

الرسالة الأولى

العالم الإسلامي المعاصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

كان العالم الإسلامي وحدة لا تتجزأ قبل الغزو الاستعماري الغربي فلما تنوهت حكوماته وهولة فقد كانت تجمعه وحدة فكر ووحدة شعور ولقد مر العالم الإسلامي بمرحلة ضعف وتخلف ، شأنه في ذلك شأن كل أمة عكس حضاره حين تمر بمرحلة بعد مرحلة ، قوة بعد ضعف وضعف بعد قوة ، سنة الوجود وناموس الحياة ، ولكن العالم الإسلامي لم يلبث أن استيقظ بقوة الذاتية ، استيقظ من داخل أعماقه ، وبعامل أساسي قائم في كيانه ، قادر على إعطائه هامل القوة بعد الضعف ، مستمداً إياه من مقومات فكره الأساسية ، ولقد كانت تلك اليقظة سابقة لما حاول الغربيون أن يدهو أنه مصدر لذلك ، سابقا الثورة الفرنسية بسنوات طويلة ومتقدما على الحملة الفرنسية أيضا ، فقد انبثق من قلب الجزيرة العربية منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا ثم هم الآفاق إلى غير ما حد ، مضت هذه اليقظة إليه وإلى كل طريق مضى فيه الاستعمار إلى غايته في السيطرة على العالم الإسلامي وتمزيق وحدة هذه الكتلة الجامعة التي يربطها فكر عميق المدى وشعور دقيق الأثر وكلاهما عميق الجذور يمتد إلى إلى يوم بزوغ ضوء الإسلام في القرن السابع الميلادي ومنذ ذلك الوقت وإلى اليوم ، لم يقع أمر في تاريخ أو يحدث حدث في حركة الإنسانية إلا وكان وثيق الاتصال بالإسلام والعالم الإسلامي ، مؤثر فيه أو متأثر به ، فقد فرض الإسلام كقوة هائلة دينية وسياسية واجتماعية مكانه على هذا السكوك فرضا ولذلك فقد كان ذلك الصدام بين العالم الإسلامي والاستعمار أمراً خطيراً بعيد المدى في تاريخ الإنسانية وتاريخ الإسلام نفسه ، يحتاج إلى دراسة واسعة عميقة مستوہبة .

ولقد كان من الضروري أن يتصدى كثير من الباحثين لهذا العمل وأن يحشد له الجهود وأماننا دراسات كثيرة ، لعل أكثرها استيعابا وأعماها « حاضر العالم الإسلامي » الذي تمثل مجموعة من الدراسات الإسلامية الواسعة التي قام بها الأمير شكيب أرسلان وألقاها على هواش كتاب « لوثروب ستوارد » الذي ترجمه هجاج لويض في أوائل الثلاثينات .

ومنذ صدر ذلك الكتاب وإلى اليوم لم نجد من كتابنا الذين يكتبون بالعربية من أولى العالم الاسلامي اهتماما واسعا ، فقد شغل الكتاب بالدراسات المتخصصة في مجالات كثيرة ، كان أهمها دراسات العالم العربي التي استنفذت جهوداً ضخمة في السنوات العشرين الأخيرة ، فقد صدرت مؤلفات متعددة متخصصة عن واحد من الأقطار الإسلامية ، أو آخر . ولكن دراسة شاملة تربط بين تحديات الاستعمار وبين رد الفعل في العالم الإسلامي لم تخط باهتمام خاص ، وربما كتب بعض الباحثين دراسات قصيرة استعرضوا فيها أحوال العالم الاسلامي الجغرافية والتاريخية وبالرغم من أن بعض هذه الدراسات قد حملت وجهة نظر الغربيين والمشرقين ، واعتمدت اعتماداً كبيراً على مصادرهم وآرائهم فإن هذه الدراسات لم تستوف الغرض الذي يحقق ظهور دراسة شاملة عن « الاسلام والاستعمار » . وكثير من الكتاب الذين يتصدون للكتابة عن تاريخ الاسلام السياسي أو خريطة الاسلام في العصر الحديث يعتمدون اعتماداً كبيراً على المصادر الغربية وهم معذورون في ذلك حيث أنها متوفرة على نحو كبير ، وهي قادرة على منحهم كل ما يريدون من معلومات بدراساتها الواسعة ، ولكن هذه المصادر لها وجهات نظر مستمدة من علاقة الاستعمار والتغريب بالعالم الاسلامي وتاريخه وهؤلاء الكتاب ينقادون مع الأسف وراء دقائق خطيرة بحسن نية أو عن تصور أنها نظرات علمية بينما هي في أعرق أعماقها تحمل معنى التوجيه الاستعماري وتبطنها الكراهية والحقد وبغلفها الصراع القائم بين الاسلام والغرب من قديم ، والمعروف سلفاً أن الدراسات الغربية عن الاسلام (فكرياً أو تاريخياً أو سياسية أو جغرافياً) إنما تقوم على أساس خطة أساسية هي اقناع المسلمين أنفسهم بأور هامة ورئيسية تحول دون وحدتهم أو قوتهم ، لتثير أسباب الخلاف والصراع بينهم دوماً وتجددها كلما هدأت هذه الأسباب ، رغبة في أن يظل هذا العالم ممزقاً ، فلا تقوم له وحدة فكر من شأنها أن تؤدي إلى وحدة جامعة يمكنه من تكوين جبهة صامدة في وجه الغزو الاستعماري .

ومن الحق أن للمسلمين والعرب في مواجهة الغزو الاستعماري الجديد : اقتصاديا وثقافيا ومواجهة التغريب للركز ، هم في حاجة إلى عناصر الملائمة والالتقاء وفي حاجة إلى عوامل الترابط والامتزاج والاعضاء عن الخلافات القديمة والمعارك للماضي التي قامت بين المذاهب السياسية ثم كادت أن تموت لولا أن الاستعمار جعل بيعتها من جديد ، وأيقظها ، ودفعها لتثير الخلاف مستأنفا حتى لا يلتقي أصحاب الفكر الاسلامي الذي يستمد أصوله من التوحيد على الوحدة ، وهم من ناحية أخرى في حاجة إلى النظرة العلمية التي تستمد جوهرها من الإيمان بوجودهم وشخصيتهم وكيانهم وقيمهم الأساسية ، وهي نظرة يجب أن تختلف أساساً عن نظرة الغرب إليهم . فالمعروف أساساً أن الغرب كان يحمل

حققت الحروب الصليبية في أعماقه لم يتخل عنه ، وكان يخاضم الدولة العثمانية التي مدت نفوذها إلى قلب أوروبا وسيطرت عليها خمسة قرون ، وإن هذه الاحقاد والخصومات قد جرت في دماهم جيلا بعد جيل ، ولذلك فن غير المعقول أنهم ينصفون الاسلام والمسلمين والعرب والدولة العثمانية أو يصدرون فيها من رأى مجرد من الهوى ، أو عقل وضمير متحرر من الاحساس الذاتى العميق الذى قلما ينفصل عن شخصية المؤرخ أو الباحث الغربى .

ومن هنا فهم لا يستطيعون أن يعرضوا تاريخ الاسلام عرضاً بريئاً خالصاً لوجه الحق ، وحيث هم يرون أن « العالم الاسلامى » هو التجسيد المائل للاسلام فهم يرون للمسلمين قوة أو نهضة تمكنهم من القوة والعزة ، فهم مازالوا يمثلون الخطر الذى يمتص ثرواته ومقدراته ، ولقد كان هدف الاستعمار الاساسى من السيطرة على العالم الاسلامى القضاء هو : على هذه القوة المعنوية العقلية والروحية التى تدفع المسلمين إلى اليقظة ، وإملاك ناصية أمورهم ، والسيطرة على مقدراتهم ، وكان القضاء على هذه القوة — ولا يزال — هو أهم في أهداف الاستعمار بحسبان أنه العامل الوحيد الذى يعارض استثمارهم ويقاوم وجوده ، ولكن القيم الاسلامية الحيوية هى دائماً قادرة على التجدد والنمو والتفاعل كلما مرت بالعالم الاسلامى فترة من الضعف أزمة من أزمات التخلف ، لتدفعه إلى الأمام مرة أخرى ، ومن أجل هذا فإن الأقلام الغربية في كتاباتها عن العالم الاسلامى ، ومن خلال هشرات المؤلفات والدراسات والموسوعات إنما تحاول أن تصور العالم الاسلامى تصويراً بعيداً عن حقيقته ، ولهذا فإن اتجاه بعض كتابتنا إلى ترديد هذه النظرات ، موالاة للفكر الغربى ، أو هجران فهم جوهر أمتهم وقيمها ومقدرتها إنما يترك آثاراً بعيدة المدى في تأخير النهضة والقضاء على روح اليقظة . فالغربيون يحاولون إثارة الشبهات المختلفة رغبة في تمزيق وحدة العالم الاسلامى الفكرية وإحلال انشقاقات الإقليمية والقومية محلها ، ولكن هذه الانشقاقات ما تزال تستمد مقوماتها من الفكر الاسلامى أساساً ، ولذلك فهم يدعونها إلى احياء تراث قديم جداً سابق للاسلام كالفرهونية والبربرية والفينيقية وحضارات سالفة في أندونيسيا والهند وإيران وتركيا ، ولكن هذه الدهوات القديمة ما تزال تنهاوى حيث لا أدب لها ولا تراث ولا مقومات تربط الأمم بها بعد أن قضى عليها الاسلام خلال أربعة عشر قرناً ، وما تزال الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى هى أعرق عوامل الترابط بين حاضر الأمم الاسلامية وماضيها ، ويحاول الغربيون أن يصوروا الاسلام على أنه (دين) وأنه لاهوت ويشبهونه في هذا بأديان أخرى هو يختلف عنها لأنه ليس ديناً فحسب ولكنه دين ومجتمع وحضارة وهو فى هذا مخالف للصورة التى عرفتها أوروبا للدين والكنيسة ومناهضتهما للنهضة أما الاسلام فهو يتميز في موقفه من الحضارة والنهضة بأنه منشئ « المنهج العلمى التجريبي » الذى بنت عليه أوروبا الحضارة المعاصرة .

وتحاول مقررات التقريب أن تفرض على القيم الاجتماعية والإنسانية مفاهيم تختلف عن مفاهيمنا المستمدة من فكرنا الإسلامى ، كما تحاول إثارة الشبهات نحو تاريخنا ولغتنا ورسولنا وتراثنا لتفسد مفهومه فى نظر الأجيال الجديدة ، ومن هنا فإن اعتماد كتابنا على مصادر الغرب عمل خطير يحمل طابع الهدم لقيمنا ومقوماتنا ، وهو خطر لا يعرف كتابنا مدى أثر للتابعة له ، ولذلك فقد كان من الضرورى إعادة النظر فى هذه الآراء جميعا محاولة لمرض (حاضر العالم الإسلامى) على نحو أكثر اتصالا بقيمنا ، وأكثر إيماننا بكياننا وأكثر تحرراً من نظرة الغير الخاطئة للعادية لوجودنا وتاريخنا وأمتنا وكياننا .

ونحن فى الحق لا نهدى النظرات للنصفة والآراء الخالصة لوجه الحق والعالم ، بل نرحب بها ولكننا نصحيح المفاهيم الخاطئة للفرضة التى يدفع بها النفوذ الاستعمارى كإسلوب من أساليب استدامة وجوده بتدميره وجودنا والعالم الإسلامى حقيقة واقعة تلعب دوراً أساسيا فى سياسة العالم بين الكتلتين الشرقية والغربية لها ثقلها فى ميزان التاريخ ، والسياسة الدولية ، والوجود البشرى . لهذه القوة ميزتان (أولاها) أنها عامل مؤثر وما من حدث وقع فى العالم كله منذ ظهور الإسلام إلى اليوم إلا كان له به صلة ما (والثانى) : أن العالم الإسلامى هو موضع الحساب والتقدير من مختلف سياسات الدول الأوربية الكبرى فلم يكن قط فى أى مرحلة من مراحل التاريخ قوة مهمة أو أثر منكورا . وهو إلى ذلك حقيقة فكرية تتمثل فى رباط العقيدة الإسلامية والفكر والثقافة وهو إلى ذلك نظام اجتماعى كامل يقوم على هذه العقيدة ، وهو منهج إنسانى شامل للعلاقات بين الأفراد والجماعات وبين الشعوب والمجتمعات والدول ، فهو يضم ألف مليون من المسلمين يمثلون ربع سكان العالم (الذى يضم ٤٠٠٠ مليون نسمة) والعرب منهم مائة مليون وللسلمون موزعون على أكثر من ٦٧ دولة يوجدون فيها بنسبة أو بأخرى من بينها عدد من الدول أكثر من نصف سكانها مسلمين ، وهم منتشرون فى أوروبا وأفريقيا وآسيا وأستراليا منها ٢٣ دولة مستقلة فى إفريقيا و١٤ دولة مستقلة فى آسيا ، حتى ليكن أن يقال إن واحدا من كل سنة أشخاص فى العالم اليوم يدينون بالإسلام . وحتى ليوشك أن لا تكون هناك دولة واحدة فى عالم اليوم لا يتمثل فيها الإسلام ولو ببعض عشرات من الآلاف كما فى أستراليا أو اليابان . ويكاد يكون الإسلام هو الدين القومى فى مجموعة ضخمة من هذه الدول . نعم هو هدد ضخم من البشر يتحد فى العقيدة والفكر والشعور لا مثيل له فى العالم كله ، يتميز بأكثر من حامل قوة ، أهمها المجاورة فى المكان والتركيز فى قلب العالم فى منطقة تمتد دون حواجز أو فواصل من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسى ، من روسيا فى الشمال المحيط الهندى ، وجنوبا ما وراء

خط الاستواء ويملك احتياطي العالم كله من المواد الخام والبتترول وما يزال العالم العربي هو قلب العالم الإسلامي ، مقر العقيدة ومركز الأماكن للقدسة والأزهر ، وما زال العرب يمثلون القيادة الفكرية والروحية ، على مذهب الجماعة والسنة . وقد انتشر الإسلام في هذه المناطق الواسعة بعمل الأفراد دون أن يكون له نفوذ سيامي أو قوة تعتمد على المؤسسات والدول والاعتمادات في إفريقيا وآسيا وفي أوروبا وأمريكا ، وما زال الإسلام في توسع دائم في منطقتين من أخطر مناطق العالم هما : قلب إفريقيا وجنوب شرق آسيا بالإضافة إلى العالم الجديد . والإسلام دين المستقبل وإفريقيا للإسلام هي قارة المستقبل والحقيقة التي يعترف بها الباحثون المنصفون هي أن الإسلام ينتشر كل يوم وإن عدد المسلمين يزداد يوما بعد يوم في جميع الأوساط والهيئات حيث لم يعرف الإسلام دون الأديان جميعا ، أي ارتداد عنه أو تحول إلى غيره ، فهو دين وزيادة وإذا كان الدين علاقة بين الإنسان والله فإن الإسلام يزيد إلى هذا علاقة بين الإنسان والمجتمع .

هذا الوجود الإسلامي له أهمية وخطره ، فهو يسيطر على قارة وسطى في قلب آسيا وإفريقيا هي من أخطر المواقع العالمية حيث يتكلم عالم الإسلام ثمانى لغات في مقدمتها اللغة العربية العالمية ولغات متعددة تكتب بالحروف العربية ويسيطر على موأى البحور الثلاث الأحمر والأبيض والأسود ، وبطل على محيطين هما المحيط الهادى والمحيط الأطلسى ، ومن هنا كانت خطورة الصراع بينه وبين الغرب ، وبينه وبين الاستعمار بتياراته المختلفة وقواه المتعددة المتلاقية عليه أصلا وإن اختلفت فيما بينها ، هذا الصراع المتجدد الذى لم يتوقف منذ فجر الإسلام حتى اليوم ولعل من أخطر ما واجه الإسلام في العالم المعاصر والتاريخ الحديث ، تلك الغزوة الخطيرة : غزوة الاستعمار الحديث التي تمثل في رأى كثير من المؤرخين حلقة جديدة من الحملات الصليبية أو كما صورها أحد قادتهم « نهاية الحروب الصليبية » التي انحسرت من العالم الإسلامى منذ ثمانية قرون مهزومة ، مدحورة ، وقد هادت مسيطرة هذه المرة ، وهذا هو موضوع هذا البحث . ذلك أن العالم الإسلامى في العصر الحديث ما كاد يستيقظ (من أحماقه ومن داخله) ليجدد حياته وليعيد تجميع قواه وانعاش واقعه حتى يواجه الغزو الاستعمارى بحركة تطويق ضخمة ، لم تلبث أن اندفعت إلى أحماقه ، فكانت مهمته مزدوجة : هي مهمة اليقظة ومهمة المساومة وكان ضعف الدولة العثمانية مقدمة لحركة الاستعمار الذى طمع في أن يمزقها ويسيطر على مقدراتها ، ومن ثم واجه العالم الإسلامى معركة طويلة بين المحافظة على وجوده وقيمه وبين الاستعمار الفاسد ، قدم فيها الشهداء والضحايا والدماء ، وقاوم بكل ما يملك أهله ، حتى بالأجساد المتراصة أحيانا أمام قوات حديثة الأسلحة ، مليئة بالمسكر والغدر ودخل معارك حاسمة لم ينهزم فيها عن طريق

الاسلح رغم قلة العدد والعدد ولكن هزم بالمؤامرة والخداع ، ولم تستسلم فئة منه إلا بعد أن غدر بها أو فقدت كل ما تستطيع أن تقاوم به من هتاد . وغلب طابع المقاومة على مختلف طبوايع المجتمع الاسلامى : واستطاع العالم الاسلامى أن يواجه التحدى ، تحدى الحضارة الأوروبية الاستعمارية بصمود هظيم واستطاع أن يرد بقوة وصلابة جيشا من الطامحين الغزاة ، وقاوم فى سبيل التحرر من النفوذ السيامى والاقتصادى والعسكرى الغربى وخطا المسلمون خطوات واسعة فى سبيل التحرر وأفسدوا حلم الاستعمار فى البقاء الطويل واستمرت مقاومة العالم الاسلامى وامتدت ولم تتوقف : فاندلعت ثورات الهند واندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب والسودان والتركستان والقوقاز . ولم يتوقف المسلمون جيلا بعد جيل ، فى نطاق الدعوات الاسلامية أو الدعوات الوطنية ، أو الدعوات القومية عن مقاومة الاستعمار . ولم يقبلوا أبدا أن تحتوهم مناطق النفوذ ، قارموا الاستعمار والتبشير والصهيونية ومذاهب الاتحاد والأباحة .

وعمد الاستعمار إلى مخططات خطيرة حاول بها الفصل بين العرب والمسلمين وبين الترك والعرب وبين المسلمين والنصارى ، وبين المسلمين والهندوس ، وأثار الخلافات للقديمة بين السنة والشيعة والبربر والعرب ، ووجد الاستعمار المجتمعات البدوية وجد القبليات وحرص على هدم إنصهارها فى المجتمعات الكبرى حتى لا تسود الأمة وحدة شاملة ، وحال دون مقدرة الوحدات الصحراوية على التمدن لتظل هناك طبقات متخلفة وقوى متفاوته وخلق المشكلة الطائفية ، وغناها وفرضا لتكون أداة سياسية له ، فقد كان للتعايش قائما وآمنا على شريعة الله بين الأغلبية المسلمة والطوائف المختلفة قبل الاستعمار ، غير أن الاستعمار حرص على أن يؤلب ويوقع بين الطوائف ويأخذ كنفه الأفليات ليدهسها إلى الأنقضاض الدائم وقت ما يريد وألب الاستعمار وأثار الخلاف بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية وعمق خلافاتها وألب الاستعمار الخلاف بين العرب والترك وأوقع النار بينهما وألب الخصومات بين الفرق الاسلامية . وفتح الاستعمار باب التبشير للإرساليات وساندها وضمن لها حرية الحركة والتحويل وسهل الاستعمار استيراد أقليات دينية غربية من الأرمن والأشوريين والنساطرة فى المشرق العربى وقدم أجناسا أخرى من المالطيين ويونانيين ويهود . واحتضن الاستعمار الفرنسي المارون واحتضن الاستعمار البريطانى الدرروز فأوقع بينهما وحمل على تمزيق الدولة العثمانية إلى عرب وترك ، وتمزيق سوريا إلى علويين ودروز ، وإلى دمشق وحلب . وعمد إلى تحويل لبنان الصغير إلى لبنان الكبير وحشد أكبر أقلية مسيحية فى رقعة واحدة . وأفسد الاستعمار نمو الاسلام وتوسعه ووقف فى وجهه زحفه السلمى وقاومه ووقف فى وجه اللغة العربية ووجد انتشارها بحسبانها لغة القرآن ونشر لفته . وعمد

الاستعمار إلى تعزيز الروابط التاريخية والفكرية بين قوميات المسلمين من عرب وترك وفارس وحق هذه الخلقات بينها حرصا على الانفصالية والحيلولة دون الوحدة الفكرية أو الأخوة الروحية وانبثقت الفكرة الاستعمارية من الحركة الصهيونية الطامعة في الوصول إلى (القدس) في قلب فلسطين طمعا في إقامة هيكل سليمان مكان بيت المقدس . ونجحت مطامع روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا كلها لتجتاح العالم الإسلامي وكانت الصهيونية من وراء هذه القوى ثم أسفرت عن هدف واضح وإذا كان للاستعمار أثره البعيد في تعزيز وحدة العالم الإسلامي وإقامة الكيانات الإقليمية فإن أخطر تبعات الاستعمار هي تهديدات الغزو الثقافي في سبيل إبقاء الوجود الاستعماري ودعمه بما يحقق للاستعمار استمرار استنزاف المواد الخام من العالم الإسلامي وامتصاص مالهته واقتصاده بالتخاذه سوقا تجارية لمحتجاته، ولذلك فقد كانت حركة اليقظة والمقاومة عميقة المستولية، فقد عملت على تصحيح مفاهيم الإسلام والتباس جوهره وقيمه ومفاهيمه الأساسية باعتبارها الوسيلة الأولى للمواجهة والمقاومة ، وإيماننا بأن انفصال المسلمين عن جوهر فكرهم هو الذي أصاب وجودهم بالهزيمة والضعف .

وقد أبرزت حركة اليقظة والمقاومة مجموعة ضخمة من الاعلام والقادة والأبطال الأفذاذ الذين قادوا النضال ، كبراً بعد كبر ، بحيث لم تسقط الراية أبداً من أيدي قادة النضال الذين يتتابعون على العالم الإسلامي ، وكانت حركاتهم متوالية بكل بعضها بعضاً ، فهي قد اتصلت فلم تنفصل وتوالت فلم تنوقف وتوزعت على مختلف وحدات العالم الإسلامي وماتزال تدفع بالأفذاذ والقادة في مواجهة التهديدات وعلى قدرها صلابه وصموداً . وما يزال الاسلام ينمو ذاتياً رغم كل العقبات التي توضع في طريقه ، وقد ارتبط بحركات النضال التحرر ورفع مستوى أتباعه في كل مكان وعلمهم الكرامة والعزة والايان والأخلاق . وبعد فماذا فعل العالم الاسلامي ازاء الاستعمار ؟ هل تقبله راضياً وذاب فيه وفقى في بوتقته وانصهر وجوده والمعنى كياناً ؟ الحق أن لا ، ولن يكون ذلك ولو طال صراجه مع الاستعمار فان الجذور العميقة للاسلام لا تزال حية واختلايا لا تزال نفاذه وقادره على المقاومة طويلاً وبالرغم من الخلقات التي يجدها الاستعمار بين السنة والشيعة والعروبة والاسلام ، فإن هناك أرضية هريضة للانقاء موجودة ويمكن أن تنمي ، والمسلمون والعرب ، والسنة والشيعة قادرون جميعاً على أن يفهموا الهدف من تفريقهم وتمزيقهم والقاء الفرقة بينهم ، فيزيلوا العوامل المصطنعة التي وضعها الاستعمار ونماها وهم يعرفون أن كل الشيع والفرق والطوائف بدأت أساساً كهراعات على الساطة والحكم وقد انتهت بانتهاء عصورها . هذه الأرضية تتمثل في وحدة الفكر التي يفرضها الاسلام

وتدعمها القيم الأساسية الكبرى المشتركة بين المسلمين جميعاً استناداً من ثقافتهم وتراثهم وجذورهم الممتدة إلى أربعة عشر قرناً . والعالم الاسلامي يضم هديداً من القوميات وليست القوميات معارضة للاخاء الاسلامي وليست ضد مفهوم الاسلام ، وليس الاسلام في مواجهة القوميات وإنما يتقبل الاسلام القوميات كعامل قوة ويدفع عنها التعصب والعنصرية ويجعلها مفتوحة للالتقاء مع وحدة الفكر التي تربط القوميات على صعيد الاسلام . ولن يحول اختلاف المسلمين في المذاهب من الوحدة والأخوة ولن تفقد عقبات باسم العروبة والاسلام أو السنة والشيعة عن التضامن واللاحم . ولن يتخلى المسلمون عن مقومات فكرهم ازاء غزو الفكر الغربي لهم وفي مواجهة نظريات القومية والديمقراطية والاشتراكية والحرية التي تتميز جميعها بأنها ذات جذور أصيلة في الفكر الاسلامي وهي قيم لها مفاهيم واضحة عندهم منذ أجيال . ولن يكون تقبل المسلمون للحضارة الغربية عاملاً على انصهارهم في بوتقة الاممية أو العالمية ولن تدفعهم دراسة فكر الغرب والانتفاع به إلى التخلي عن مناهجهم وفكرهم ومقوماتهم . إن تجربة تركيا التي همل لها الغرب وحاول أن يفرضها على المسلمين قد نفقت وعادت تركيا إلى جوهر مزاجها النفسي الأصيل الذي انفصلت عنه بقوة القانون العسكري والحكم الاستعماري المتسلط . ولن تكون القومية بمفهوم الغرب ولكنها ستكون مستعدة من جذور فكرنا : وحدة فكر ووحدة شعور ووحدة ثقافة . ذلك إن الخطر الذي يواجه الأمة العربية والعالم الاسلامي ازاء الصهيونية العالمية وسيطرة اسرائيل على فلسطين ، إنما يعض المسلمين والعرب جميعاً أمام تجربة ضخمة أشبه بالتجربة التي خاضوها من قبل في مواجهة الغزو الصليبي وحملة التتار ومعارك الفرنجة وقد واجه العرب المسلمون هذه الغزوات في قوة وبسالة وصمود وحققوا في «حطين» و « عين جالوت » و « الزلاقة » نصراً مؤزراً رد الأعداء ودك حصونهم . وسيكتب العرب والمسلمون معهم صفحة جديدة من صفحات الجهاد والاستشهاد والنصر ستكون من المواقع الحاسمة التي يذكرها تاريخ العالم الاسلامي المعاصر ويضعها بين أنصع صفحاته . فقد تعلم العرب والمسلمون من دروس التاريخ كيف كان النزاع والخلاف مصدراً لما أصابهم من كوارث . وتلقب المسلمون إلى أنهم يشتركون في تاريخ واحد وتقاليد واحدة وثقافة جامعة وهرفوا أن أزمة العالم الاسلامي المعاصر إنما تصدر من حيث هو واقع تحت النفوذ الاستعماري ، وما يزال العالم الاسلامي يتخضع عن أوضاع جديدة تقديمية في الاقتصاد والسياسة والاجتماع قوامها الوحدة والتحرر والقوة والعدل الاجتماعي .

وما يزال عوامل الوحدة والأخوة تعمق وتنسج حتى يعود العالم الاسلامي مره أخرى إلى أصلاته فكرياً ومجتمعا ، وحده لا تنجزاً ، هي وحدة فكر ووحدة شعور . وبعد فهذه هي المحاولة التي يجري

القلم لتصويرها في هذه الصفحات ، في دراسة العالم الإسلامي والاستعمار الشياطي والاجتماعي والشفافي منذ أوائل البقطة حتى أواخر الحرب العالمية الثانية . على أن نتابعها بدراسة أخرى عن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

الباب الأول

الإسلام وعالم الإسلام

(١)

الإسلام والإمة العربية

هناك حقيقة أساسية هي أن د الأمة العربية هي التي حملت لواء الاسلام إلى العالم كله . ونشرته من خلال دولته الكبرى التي امتدت من حدود الصين إلى حدود فرنسا . ومن ثم فقد ارتبطت الأمة العربية بالاسلام ارتباطاً عضوياً لا سبيل إلى فصامه ، وقد كانت اللغة العربية بحسبانها أكبر عوامل الوحدة العربية هي لغة القرآن والصلاة ووسيلة أداء الاسلام ونشره . وقد ارتبطت الأمة العربية بالدولة الاسلامية في مجال القيادة السياسية قرون طويلة ، حتى إذا ما سقطت الخلافة العباسية عام ٦٥٦ تقبل العرب الوحدة السياسية التي أصبحت قيادتها للدولة العثمانية دون أن تكون العلاقة بين العرب والعثمانيين علاقة احتلال أو استعمار أو ما يوصف في هذه الأيام بالسيادة . ذلك أن المفهوم الأساسي للوحدة الاسلامية إنما كان يقوم على أساس واضح هو أنه يحمل لواء القيادة أقدر الأمم الاسلامية عليها ، فحيث ضعف النفوذ السياسي في بغداد بعد أن اجتاحت العالم الاسلامي الغزو التتاري وبعد الحروب الصليبية التي استمرت أكثر من قرنين لم تلبث قوة الأتراك العثمانيين أن برزت وسيطرت وتقبلتها الأمة العربية وانضوت إليها بوصفها قيادة إسلامية ليست فيها فوارق بين جلس وجنس ، هذه الفوارق التي لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر وفي مجال التأثير والتأثير بين العالم الاسلامي في مرحلة المضعف وبين العالم الغربي في مرحلة القوة ، حيث رجحت كفة أوروبا وأخذت بمجتاح عالم الاسلام بالغزو والتطويق . فالأمة العربية كانت إلى قريب من نهاية الحرب العالمية الأولى ، شطراً من الدولة العثمانية

التي كانت تجمع الأتراك والعرب ، حيث استطاع النفوذ الاستعماري الزاحف أن يضرب هذه الوحدة وأن يثير بين العنصرين خصومة عنيفة في ظل دعوة « القومية » التي اجتاحت أوروبا ونقلها النفوذ الاستعماري إلى العالم الإسلامي كاحدى أسلحة الحادة العنيفة في تمزيق هذه الوحدة الإسلامية القائمة باسم الدولة العثمانية والتي تضم الترك والعرب وترسم من طريق الخلافة قيادة للعالم الإسلامي كله . ولما كان الاستعمار حريصا على أن يمزق هذه الوحدة ويسيطر على هذه الأجزاء ويقسمها ، فقد كان تركيزه قويا على كيان هذه الدولة وذلك بإثارة العناصر المختلفة فيه ، وقد حملت لواء هذا العمل فئة الاتحاديين الذي كانوا يصدرون من دعوة الوحدة الطورانية ويعمدون إلى تحويل الدولة العثمانية إلى قومية واحدة بتتريك العرب . وكان لابد للعرب أن يقاموا هوامل الفناء وخاصة حين امتدت إلى اللغة العربية والكيان العربي ، ومن هنا وقع الصدام الذي انتهى إلى الانفصال عسكريا وحربيا عن طريق ثورة الشريف حسين التي قاتل فيها العرب للمسلمون الترك المسلمون وأجلاهم من شبه الجزيرة وعن الشام كله ، وبذلك أتاحوا الفرصة للقوات الفرنسية والبريطانية بالسيطرة على المناطق التي أجلاها العثمانيون .

وحيث كان على « الدولة العثمانية » التي مرت بهوامل الضعف والفناء فترة طويلة ، كعامل قوة أن لها تركيز وحدتها على نظام لامركزي يضمن للعرب مثل نصيب الأتراك مع بقاء القيادة التركية في مركز الخلافة ، وحيث كان على العثمانيين أن يأخذوا بكثير مما هرض عليهم من وسائل لدعم الوحدة الإسلامية الممثلة في الدولة العثمانية ، وذلك بأخذ اللغة العربية كلسان للدولة الإسلامية أو قيام نظام الخديويات الذي اقترحه جمال الدين الأفغاني على السلطان عبد الحميد كقدمة لانضمام الهند وپارس وأفغانستان إلى دولة الخلافة ، حيث كان على العثمانيين كل هذا ، فإن قوى النفوذ الاستعماري المضاعفة على حزب الاتحاد والترقي الذي بدأ في أول أمره كحركة عثمانية إيجابية ثم سيطرت عليه عناصر الدوامة واليهود والماسونية والقوى الاستعمارية البريطانية والفرنسية لتحويله إلى أداة للتجزئة ، استطاعت هذه القوى أن تفهم العروة الوثقى وأن تحول تركيا تحويلا خطيرا إلى دولة غربية خالصة إنقلب من النقيض إلى النقيض ومن قيادة العالم الإسلامي إلى إلغاء الإسلام رسميا واجتاهيا وانتهاج نهج غربي خالص .

هنا كان دور الأمة العربية قد تجدد ، لتحمل لواء الإسلام والإصلاح الإسلامي ، وأن تقاوم الغزو الغربي العنيف الذي يعمل على نحو مقوماتها الأساسية ، ولقد كانت اليقظة في قلب الأمة قد اندلعت بريقها فعلا في منتصف القرن الثامن عشر ، وحيث خبت شعلة القيادة الإسلامية العثمانية ، بدعوة

التوحيد من قلب الجزيرة العربية وتبعتها دهورات من الأزهر في مصر ومن اليمن واتقدت من جديد شعلة التجديد والإصلاح قبل وصول الحملة الفرنسية بأكثر من ستين عاماً، وكان ذلك مع امتداده إيماناً بأن تحمل الأمة العربية من جديد لواء حركة التجديد والإصلاح والبعث الإسلامى فى مختلف مجالاته ، وقد كان على هذه الحركة أن تجد مفاهيم الإسلام وتنفض عنه غبار الجود والتقليد ، وأن تقاوم فى نفس الوقت قوى النفوذ الغربى الزاحف سياسياً واجتماعياً وثقافياً ، وهى مهمة شاقة اضطلمت بها الأمة العربية — وشاركتها فيها حركات إسلامية متعددة فى الهند وأندونيسيا ، غير أنه كان الأمة العربية ولمصر بالذات أثرها الواضح فى تأصيل حركة اليقظة ودفعها إلى الأمام فى المغرب العربى وفى أفريقيا وفى مختلف أنحاء عالم الإسلام بما أتيج لها من منبج قوى قام عليه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومدرسة المنار .

ومن هجب أن الاستعمار حين زحف بنفوذه السياسى والثقافى والعسكرى إلى العالم الإسلامى لم يضبط بشدة ، ولم يركز تركيزاً عالياً على أمة بقدر ما ركز على الأمة العربية بمسببان أنها حاملة للمشمل وقائدة الحركة التجديدية الإسلامية . وقد تمثلت حركة التحدى وللقاومة فى عدة عوامل هامة : أبرزها الطائفية والأقليات فقد أهتم الاستعمار بخلق الخلافات بين اتباع البلد الواحد وإثارة الخصومات القديمة بينهم هادفاً من ذلك إلى خلق الطائفة وتكريسها وإنشأ الصراع بين الفرق المختلفة . وكذلك خلق ولاءاً خاصاً له مرتبطاً بالأقليات إذا كانت غير مسلمة ، فهو قد والى الأقليات المسيحية فى لبنان ومصر وبيننا والى الأغلبية الهندوكية فى الهند ، والمشكلة الطائفية قصة طويلة انسكأ عليها الاستعمار وجعلها عاملاً من العوامل الهامة فى تنفيذ سياسته كما جعل منها وسيلة للقضاء على القيم الأساسية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى . « والمشكلة الطائفية لم تنفصل فى أى مرحلة من مراحلها عن الاستعمار فهو الذى غذاه إن لم يكن خلقها وهو الذى اتخذ منها أداة سياسية يدهم بها وجوده » . والمعروف أن أهل الذمة والأقليات فى عصور التاريخ الإسلامى المختلفة كانوا يعيشون فى خال نظام يسمح يوفر لهم الأمن والسلام ويكفل لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ويحافظ على كنائسهم ويضمن لهم مكاناً هادلاً فى مختلف مجالات المجتمع . غير أن النفوذ الاستعمارى قد عمد منذ اللحظة الأولى لوجوده إلى دعم الطائفية وتنفيذها وشهرها كسلاح فى وجه المجتمعات المختلفة ، وجعلها أداة ، كوسيلة من وسائل دهم بقائه على أساس التفرقة الدائمة . وفى ظل هذه الدعوة « فتح الاستعمار الباب للتبشير والإرساليات والمدارس الأجنبية كما سهل إستيراد أقليات أخرى دينية هربية ، كالآرمن والأشوريين والنساطرة فى المشرق والمالطيين والقبازرة واليونانيين والهنود ، بالإضافة إلى جاليات الاستعمار نفسها » . وقد

هرف منذ همد بعيد أن الاستعمار الفرنسى يحتضن المارون وأن الاستعمار البريطانى يحتضن الدروز ، وكانت روسيا كانت تحتضن الكنيسة الأرثوذكسية ، أما أمريكا ففى ربة الكنيسة البروتستانتية . وأن صراع الإرساليات الأمريكية والفرنسية كانى بالغ العنف على الأرض العربية . فى الشام ومصر ، وكانت له آثاره الخطيرة فى تشيئة جيل جديد أسلمه الاستعمار لواء القيادة السياسية فى أهلب أجزاء العالم العربى .

وقد كان للتبشير دوره فى تمزيق وحدة الأمة الدولة كما حدث فى السودان حيث قصد به (تعميق الهوة بين الجنوب والشمال) وصولا إلى الفصل السياسى بينهما . وكذلك جرت المحاولات لتقسيم « الشام » إلى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن . وتقسيم سوريا إلى دولة علوية شيعية ودولة للدروز ، وتحويل لبنان الصغير إلى لبنان الكبير على نحو روعى فيه حشد أكبر أقلية مسيحية ممكنة فى رقعة واحدة وإقامة مشروعات سوريا الكبرى والملاال الخصب . وكذلك الدعوة إلى إقامة كيان للبر فى المغرب وإيجاد عناصر الخلاف بين المسلمين والمسيحيين فى مصر . ثم بين الشيعة والسنة فى العراق وسوريا . وتمزيق وحدة وأدى النيل بين مصر والسودان إلى هشرات المحاولات الخطيرة منذ جرى تمزيق الوحدة الاسلامية الجامة للعرب والترك إلى تقسيم العرب أنفسهم إلى دول ، وتقسيم الدول إلى أحزاب وفرق ومذاهب . وفى خلال مرحلة الاحتلال البريطانى والفرنسى للعالم العربى تضخمت هذه الفروق المذهبية والطوائف والأقليات ودعمت ، حيث حرص الاستعمار على الإبقاء على الكيانات القبلية والطائفية حتى لا تنصهر الأمة العربية فى وحدة واحدة ، وماتزال هذه الكيانات قائمة ومازال لها أثرها الكبير فى دهم الأقليات وزيادة الخلافات . وتأخير الانصهار والوحدة . والاسلام هو الدين القومى للأمة العربية . وقد نص عليه فى دساتير أهلب الاقطار العربية وفى دستور سوريا أن الاسلام هو المصدر الرئيسى للتشريع .

ومن قلب الأمة ظهرت الدعوات : الوهابية والسنوسية والمهدية وحركات الإصلاح الاسلامى بقيادة جمال الدين ومحمد عبده وتابعهم فى ذلك مدرسة فى الشام تتمثل فى (طاهر الجزائرى والبيطار والقاسمى) ومدرسة فى المغرب أطلق عليها اسم الحركة السلفية تمهدت فى تونس والجزائر والمغرب . وابنتقت منها جمعية العلماء بقيادة عبد الحميد بن باديس ثم تجددت الحركة الوهابية مرة أخرى فى العقد الثالث من هذا القرن ، وارتبط ظهورها بسقوط الخلافة فى الدولة العثمانية كأنما كانت بديلا عنها وكان الأزهر فى دوره الخطير ، بالإضافة إلى دور الزيتونة والنجف والقرويين وغيرها من جامعات الثقافة الاسلامية . ولا يتكر فضل الطرق الصوفية فى نشر الاسلام هر ضياً بينها كانت الحركة السلفية

نعمل على تصحيح عقائده وتنقيته من التقليد والبدع . ولعل أخطر ما واجه الأمة العربية في معركته مع الاستعمار الغربي هو فرض نفوذ صهيوني على فلسطين تحول من بعد إلى دولة يهودية طاردت أهل البلاد الأصليين وأقامت في مكانهم جسدا غريبيا هو « إسرائيل » التي أصبحت من بعد هاملا خطيرا في الحيلولة دون إلتقاء الأجزاء العربية في أفريقيا وآسيا ، وخطرا بعيد الأثر في فرض النفوذ الأجنبي وتعميق قيام وطن كامل . ومانع خطير دون قدرة الأمة العربية على الحركة في مجال مقاومة الاستعمار أو بناء كياناتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد بلغت الحركة الصهيونية قمها باحتلال القدس سنة ١٩٤٧ .

وكان للنفوذ الاستعماري في العالم العربي خلال فترة ما بين الحربين : « مرحلة الاحتلال » أبعاد الأثر في إقامة البناء السياسي العربي على التقليد الغربي الذي أثبت عدم قدرته على التجاوب مع النفس العربية . وقد قام في خلال فترة ما بين الحرب حكم كانوا أولياء المستعمر ولذلك حاولوا دون قيام تربية إسلامية أو بناء ثقافي مؤصل يستمد مفاهيمه من الفكر الإسلامي . وممخ في هذه المرحلة للنفوذ الأجنبي أن يسيطر على برامج التعليم وأن يفصلها عن أرضيتها العربية الإسلامية . وأن يؤكده اللغة الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) ويجعلها مصدر التفوق في مجال العمل في المعارف والدوائر المختلفة ، وبذلك تأخرت اللغة العربية عن أن تشق طريقها وتنمو ، كما تخلف التاريخ العربي الإسلامي وتخلفت فنون الثقافة العربية حيث سيطرت دراسات الفكر العربي وأبطاله وتاريخه وجغرافيته وفي جزء من الوطن العربي كالجزائر قضى نهائيا على اللغة العربية لولا ما استنفذته حركة جمعية العلماء التي قام بها الإمام عبد الحميد بن باديس ، كذلك كان للبعثات التبشيرية والصحف السكبرية التي يسيطر عليها النفوذ الاستعماري أثرها في خلق مفاهيم جديدة للفكر العربي منفصلة أو متعارضة مع القيم الأساسية الإسلامية . ولذلك فقد انتفضت في العالم العربي القوى الوطنية فسكونت جمعيات إسلامية في مقدمتها جمعية الشبان والأخوان التي نشأت في مصر لمواجهة تحديات أعمال التبشير الخطيرة التي استنفحت في مصر والسودان خلال الثلاثينات وكان من أبرز ما استهدفته هذه الحركة « تصحيح مفاهيم الإسلام في مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد » وقد كان لهذا النفوذ الثقافي الشعبي أثره البعيد في دوائر الجامعات والمدارس وكان لها صوتها للسموع عن طريق صحفها ومجلاتا وطى منابر البرلمان .

وقد كان للأحزاب السياسية التي ظهرت في العالم العربي أثرها في تأكيد مفاهيم الاستعمار على الصعيد الاجتماعي بالرغم من عملها السياسي الظاهر في مواجهة الاحتلال والدعوة إلى الاستقلال ،

ويبدو ثلاثة رجال من كبار الزعماء في مصر والعراق كتوايع للفكر الغربي في تأكيد مفاهيمه من خلف الحركة الوطنية السياسية : وم لطفي السيد وسعد زغلول ونوري السعيد . قاومت الأمة العربية النفوذ الأجنبي والنفوذ الاستعماري الذي هاجمها في أشد فترات حياتها ضعفا وتفككا ، قاومته بالسلاح والقنال ولم يحقق الاستعمار وجوده إلا بالخدعة والتآمر ، وفي مصر والجزائر وهما من أولى الدول المحتلة قامت ثورة عبد القادر وثورة عراق ، وقد وضعت الحرب العالمية الأولى خاتمة هذا الزحف حيث سيطر النفوذ الاستعماري على مختلف أجزاء العالم العربي بالاحتلال العسكري فيما عدا أجزاء من الجزيرة العربية اكتفى الاستعمار بوضها في منطقة نفوذه السياسي بالمعاهدات . وفي خلال ما بين الحربين اتهم العالم العربي كله بالثورات وأعمال المقاومة التي لم تتوقف في ثورات مصر والسودان والعراق وسوريا وفلسطين ، وقد جرت في هذه الفترة مفاوضات متعددة هدفها توقيع معاهدات عسكرية تعترف فيها هذه الأقطار بالاحتلال الذي كان موجوداً فعلاً وسيطراً على كل القدرات وافند للمفعل في توجيه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في البلاد العربية . وإذا كان الاستعمار الغربي قد خدع الأمة العربية حين أعطاها وعوده إبان الحرب العالمية الأولى بإقامة دولة عربية . وحين أوقع بينها وبين الدولة العثمانية ، وحين فرق هذه الأمة العربية إلى دول متعددة جعل لكل منها نظامها الخاص وحدودها الخاصة وحال دون التقائها في وحدة ، فإن الجذور العميقة لفكر الإسلام والثقافة العربية ، بل الإسلام والثقافة العربية كانت جميعها من العوامل الهامة التي حققت الالتقاء والتقارب بين الشعوب بينما ظلت الحكومة خاضعة للنفوذ الأجنبي الذي كان يفرض عليها السدود والقيود .

بل لقد امتدت هري الروابط بين الأمة العربية والعالم الإسلامي وهدت عديد من المؤتمرات على المستويين العربي والإسلامي كان لها أثرها في التثام الوحدة الفكرية ، واستمرار الدعوة إلى الأخوة الإسلامية الشاملة . وإذا كان سقوط الخلافة (١٩٢٤) قد عد من أخطر العوامل التي واجهت العالم الإسلامي والتي عمقت فيه هومل الاقليمية والتفرق والانفصال العربي والإسلامي جميعاً ، فإن « فريضة الحج » التي حتمت على المسلمين الالتقاء في مكة وهرفات خلال موسم سنوي محدد ، قد جددت الصلة بين المسلمين بالإضافة إلى استمرار استقبال الأزهر لعدد من شباب العالم الإسلامي مما جعل الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والرابطة الإسلامية والجامعة الإسلامية لا يتوقف للنظر فيها وإن لم تكن بعد مبسورة التحقيق للعوامل الاستعمارية الضاغطة . وكان قيام النهضة الوهاية الأولى ، هاملاً هاماً في هذا الصدد ، بالإضافة إلى الجماعات الإسلامية للتمدد التي قامت أجزاء مختلفة من

العالم العربي ، وخاصة جمعية العلماء في الجزائر، والحركة السلفية في المغرب التي تحولت إلى مجال العمل الوطني السياسي . وفي هذه الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية استطاعت الاقطار المغربية بعد كفاح شاق أن تحقق استقلالها وأن تقوم في ليبيا والمغرب حكومات وطنية ، وكان لشوكة الجزائر العتيقة الخصبية أثرها البعيد في دعم القيم الإسلامية الأساسية في المقاومة والجهاد ونضال الفاصب ، وفي تأكيد الطابع العربي الإسلامي الذي لا يسقط أمام الزحف الاستعماري الغربي فإن استطاع هذا النفوذ أن يقضي على اللغة فقد هجر أن يقضى على الإسلام . ولم يعد هناك من خطر واضح للواجهة إلا الاحتلال الصهيوني لفلسطين ونتائجه وآثاره المستمرة التي كانت تزداد على الأيام قوة بعد الحرب العالمية الأولى عندما أعلن عهد بلفور وبعد الحرب العالمية الثانية حيث قامت دولة إسرائيل في قلب الوطن العربي .

ولا شك كان للاحتلال الصهيوني أثر بعيد وعميق ومخالف لأثر الاستعمار الفرنسي والبريطاني في البلاد العربية ، فقد كان الاحتلال الإسرائيلي رامية إلى الإقامة والنوسم ، مستهدفاً لللايين من اليهود من أنحاء العالم وهو احتلال له طابع مخالف للاستعمار الغربي الذي كان يقوم على أساس للماهدات العسكرية ولا يفرض نفوذه بالإقامة والتمجير والتملك وطرد أهالي البلاد الأصليين طرداً نهائياً . ولا شك كانت الأزمة الإسرائيلية من أخطر العوامل التي واجهت العالم الإسلامي والأمة العربية على مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكان لها أثر ودوى أيقظ النفس العربية المغالطة وحرّكها في مواجهة خطر طامع يمكن أن يتمدد ويتسع نطاقه فيقضي على العروبة والإسلام جميعاً ويفرض في الأرض العربية والعالم الإسلامي قوة أشد خطراً من الاستعمار الغربي نفسه . ومن هنا فإن الآثار التي ترتبت على قيام إسرائيل في قلب الأمة العربية كانت بعيدة المدى ، تجلت بصورة واضحة في الشعر والنثر والفن وفي مجال البحث العلمي وفي المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية للأمة العربية ، ولقد زادت هذه الاعتبارات أهمية مع تضاعف الخطر الإسرائيلي في واجهاته العسكرية المتعددة ، مع الأمة العربية بحيث يمكن أن يقال أن هذا الخطر يمثل تحدياً خطيراً يحسب له كل حساب في حلاقات العالم الإسلامي بالغرب وفي مواجهة النفوذ الاستعماري الذي يتعرض له العالم الاتصلي منذ أوائل العصر الحديث ، وإذا كانت الأمة العربية قد استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تخطو خطوات واسعة إلى التحرر من النفوذ الأجنبي وبناء قوتها الذاتية الداخلية وتحقيق قدر كبير من التقدم العلمي والثقافي والاجتماعي فإن النفوذ الاستعماري الذي تسحب قوات العسكرية ومظاهر نفوذه السياسي قد اختفى الآن من وراء الاقتصاد والثقافة . وعن

طريق الاقتصاد مازال موارد الأمة العربية تحت سيطرة النفودالأجنبي والحصيلة منها قليلة، ومازال خاضعة لنفوذ الأسواق الأجنبية ومؤامراتها .

أما من الناحية الثقافية فإن النفوذ الاستعماري ، قد وجد في هذا المجال سلاحاً خطيراً يقاوم به الانتماء العربي إلى الفكر الإسلامي والقرآن والإسلام واللغة العربية والقيم الأساسية التي أقم بناءه الفكري عليها ، وقد اتخذ النفوذ الاستعماري من التبشير والتغريب والشعوبية والغزو الثقافي وسائل جديدة خطيرة خفية في سبيل نقض هذه الروابط الأساسية بين الأمة العربية وتراثها الفكري وإثارة شبهات متعددة ومتصلة حول هذا الفكر الإسلامي العربي ، بالإضافة إلى تأريث الخلافات بين المذاهب وللذل وتعميق الفوارق للتصلة بالقوميات والأجناس والطوائف ، والحيلولة دون إذابة الطائفية والقبلية وتجميعها حتى لا يتم انصهار الأمة العربية في بوتقة فكرها الإسلامي الأصل مع فرض تيارات فكرية غربية متعددة . (وجودية وماركسية ورأسمالية) بحيث تظل الثقافة العربية مضطربة تعيش في متاهات ومصراعات ولا تلتهي ، وبحيث لا تجمد ذاتها ولا طوابعها ولا مزاجها النفسي الأصل وتلتهي إلى دوامة « الأمية » التي تقضي على شخصيتها وكيانها جميعاً . وهذا الغزو هو أخطر جوانب النفوذ الاستعماري في العصر الحديث وأشدّه حاجة إلى التنبه والاهتمام . ويضاف إلى هذا التحدى معضلة أخرى سياسية هي : —

هل فهم العرب الإسلام فهماً صحيحاً أم هناك عوامل كثيرة اليوم تحاول أن تحول بينهم وبين فهم الإسلام كما فهمه المسلمون الأولون وكما أنزل فعلاً . وأخطر ما في هذا الشأن تلك المحاولة الخطيرة من الاستعمار والتبشير والتغريب والشعوبية والمستشرقين جميعاً وهي محاولة تصوير الإسلام على أنه « دين » فحسب ، والأغضاء على دوره كنظام مجتمع ومنهج حياة ، ومحاولة وصفه بالروحية ، وبأنه علاقة بين الإنسان والله وذلك لإقصائه عن مكان الحركة في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية . وهذا للفهم في حقيقته مفهوم أوروبي أو غربي خالص ، وهو أبرز معالم الخلاف بين الفكر الإسلامي وبين الفكر الغربي ، ويترب على هذا الفهم القاصر كثير من النتائج التي تمرل الاسلام كثقافة ومنهج حياة عن التربية والمدرسة والمجتمع . كما يؤثر هذا الفهم الخاطيء في كثير من القضايا الهامة كفضية الشريعة والقانون ، والربا والاقتصاد ، والدين والمجتمع ، والتربية والأخلاق والعلم والدين ، والعروبة والإسلام . وحقيقة الأمر أن الإسلام ثقافة شاملة كاملة متصلة تربط أجزاء

الفكر الاسلامي في وحدة كاملة ومركب جامع وحيث تقع السياسة والاجتماع والاقتصاد منه مكان
الأجزاء من الكل أو العناصر من المركب . لقد فصل الغربيون بين الدين الدولة وبين الدين والمجتمع
لعوامل كثيرة مختلفة أهمها أن الدين إنما جاءهم من خارج مجتمعاتهم فكان دخيلاً عليهم ولم يكن عنصراً
أساسياً في تكوين جذور فكرهم الوثني والأفريقي . وثانياً : لأن الدين توقف عندهم وجمد في مواجهة
حركة اليقظة ولم يتجاوب مع تقدم العلوم ، وحال دون نموها بالإضافة إلى أثره كؤسسة في تأكيد الانقطاع
وسلطة الكهنة والأمراء . أما اسلام فقد كان مصدر الدعوة إلى العلم والحضارة ، ومن خلال مفاهيم
القرآن بنى المسلمون « المنهج العلمي التجريبي » أساس الحضارة الحديثة وكان الاسلام ولا يزال
بمفاهيمه للمرتبة الحية قادراً على التجاوب مع الحضارات والأمم والبيئات المختلفة ، والفكر الاسلامي في
أساسه الطبيعي يشتمل على عنصر الدين مرتبطاً ومركباً مع مختلف عناصر الاجتماع والاقتصاد
والسياسة والتربية ، ولذلك فإن محاولة فصله عن المجتمع هي محاولة هقيمة ، فضلاً عن أن الاسلام ليس
ديناً لا هو تياً فقط وإنما هو دين ومجتمع وحضارة . « وما تزال الأمة العربية هي النواة الأساسية
للإسلام ، وهي القطب المغناطيسي للمؤمنين ، وإذا وصف بأنه قلب فإنه أيضاً رأس مؤثرة » وذلك
على حد تعبير أحد الباحثين الذي يرى « أن الاسلام يختلف في تاريخه وتوسعه عن بعض الأديان
الأخرى حيث أن معظم الأديان قد صدرت في موطن ثم هاجرت منه وهجرته كلية أو تقريباً حيث
انتشرت خارجه كالبوذية بالنسبة إلى الهند واليهودية للسيحية بالنسبة لفلسطين ولكن الاسلام وحده
ينفرد أو يمتاز بأنه رغم أن انتشاره الأكبر يقع اليوم خارج وطنه الأصلي فما زال وطنه الأصلي هو
أخصب حقوله » .

وهندنا أن ارتباط المسلمين بقبلة واحدة هي الكعبة منجبه أرواحهم ما تزال هي نقطة الالتقاء
الروحي والنفسي والاجتماعي وسنظل منائر الأزهر والقرويين من أهم مرصدا الأمة العربية الأساسية .
ولقد كان ظهور الجامعة الاسلامية كؤسسة سياسية على مستوى الحكومات في أواخر الحرب
العالمية الثانية عاملاً من عوامل التوحيد والالتقاء بالإضافة إلى أن الدعوة إلى الوحدة العربية قد لامت
نطاقها بعد الخمسينات وأصبح لها مرتبطة بالجامعة العربية أثرها في مجال الفكر والثقافة والتعليم ، هذا
في جانب الدائرة العربية التي تنمو من خلال قاعدة الفكر الاسلامي والثقافة العربية ذات الجذور الوثيقة
بالقرآن والاسلام واللغة العربية والتراث والتاريخ الاسلامي العربي المشترك ، والذي لا سبيل إلى
الانفصال عنه إلى دعوة قومية علمانية كما تحاول بعض الآراء وللذاهب — ولقد طغت موجة
الافليمية والانفصالية فترة طويلة على أقطار الأمة العربية وكان لها دوافعها وتحدياتها التي فرضتها

ظروف الاحتلال الذي مرت به وقد حاول كثير من الباحثين ، تكريس فلسفة للاقليمية والانفصالية متصلة بالغرونية والفينية والآشورية والبابلية وجرت محاولات لفلسفة أخرى قوامها وحدة البحر الأبيض ولكن هذه الدعوات جميعاً لم تلبث أن فشلت في تحقيق شيء ، فقد كانت التغليب والاصطناع واضحاً فيها جميعاً ولم تلبث الأمة العربية أن إنتقت على مفهوماها الأصل القائم على اللغة العربية والاسلام كأرضية طبيعية وكأساس ثقافي وفكري وكقدمة للقائدات واسعة على صعيد الفكر الاسلامي . وفي قارة العالم الاسلامي إنتقت الأمة للعربية والدول الاسلامية في مؤتمرات متعددة عقدت في القدس ومكة وباكستان وأندونيسيا وغيرها وهي في مجموعها مقدمات هامة لازالة الفواصل بين الثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية التي تلعب جميعاً من مصدر واحد هو (الاسلام والقرآن) ولذلك فهي مهما إنتست طوابعها القومية والاقليمية فإنما ستمو في جو الوحدة والتجمع والالتقاء وستكون تحديات الاستعمار والغزو الثقافي ومؤتمرات التغريب والشعوبية دافعاً قوياً وحميةً يصل الدائرة العربية بالدائرة الأفريقية في أفريقيا وآسيا . وتواجه الأمة العربية والثقافية العربية تحديات واضحة نتيجة إفتتاحها على الفكر الديمقراطي الغربي والفكر الاشتراكي الماركسي ، وفي الأنصال بمختلف التيارات التي تحمل لواءها فلسفات الوجودية والعلمانية واللاذينية والإلحاد والأبادة وخاصة دعوة الثقافة الأمية بالاضافة إلى الخطر للمائل في الصهيونية وآثارها في الفكر الغربي جميعاً ومحاولاتها التي أقترنها بروتوكولات صهيون لتدمير المدينة وتحطيم البشرية وتحويلها جميعاً إلى خدمة قيادة فكرة يهودية تستعبد الانسان جميعاً .

كل هذه التيارات تواجه الثقافة العربية ، وتصارعها على نحو أشد مما كان ذلك في مرحلة الترجمة والنقل من الفلسفات اليونانية في القرن الثالث الهجري ، فقد كانت تلك حركة حرة إختيارها المسلمون وأتيح لهم فيها فرصة الأخذ والرفض ، بينما تنشال الثقافات الغربية المختلفة والمتصارعة اليوم في ظل النفوذ الأجنبي ومهما يكن من أمر فإنها ستنتصر في بوتقة الفكر الإسلامي والثقافة العربية لتندوب وتشكل ويتحول الجيد منها إلى كياننا بينما تنقى مالا حاجة إليه خارجها كما هي دائماً طبيعة الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الإنساني والتعامل معه . خير أن وقوع الأمة العربية والعالم الإسلامي ، في هذه المرحلة تحت سلطان النفوذ الاستعماري والتغريب الثقافي سيطلق مرحلة الصراع وسيشكل صورة غير صحيحة عن الفكر الإسلامي في هذه المرحلة تتطلب الجهاد بتصحيح المفاهيم حتى استطاعت أن تبلور فيما بعد عن الفكر الإسلامي بأصوله الأساسية وقيمه الأصيلة وهي متشعبة بما استطاعت أن تجده صالحاً من التراث الثقافي الغربي في مختلف فروعه وفنونه ومذاهبه . وستظل الأمة العربية هي

صاحبة القيادة الفكرية والتحديد الاسلامي ممثلة في حركته ومصالحه من حيث أنها تنظر إلا الاسلام
نظرة أصيلة سلفية مستعمدة من القرآن نفسه ومن واقع الاسلام وجوهره الاصيل .

(٢)

تركيا : مقاومة الغزو الغربي

ولا شك كانت حركة مصطفى كمال نتيجة طبيعية للحركة التي بدأت بزعامه مدحت في
أوائل حكم السلطان عبد الحميد وخاتمة للدور الذي عاشته تركيا بين الدهوتين : الجامعة الإسلامية
الجامعة والطورانية . ذلك أن الدولة العثمانية كانت قد تعرضت في هذه للرحلة من حياتها الطويلة إلى
أخطار الشيخوخة في مواجهة أوروبا خصمها الأول الذي سيطرت عليه أكثر من أربعمئة عام . وكانت
دول أوروبا قد أجرت عشرات المحاولات للسيطرة على تركيا وتخزيقها ضمها الوزير دوجوفا في
كتاب له باسم « مائة مشروع لتقسيم تركيا » قال فيه إنه في خلال ستة قرون متتابعة كانت الشعوب
الأوروبية تهاجم الدولة العثمانية وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأفلام يهيشون برامج تقسيم هذه
السلطة « وقد أخذ هذا العداء بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية — بحق أو بغير حق — طابع
عداء بين الإسلام والمسيحية ، حتى كان الأوروبيون يرددون دائما للطلابة يعمل مشترك لادحر الإسلام
على حد تعبير دجوفا ، وبينما استطاع للعالم الإسلامي أن يحتضن الجماعات المختلفة من أصحاب الأديان
والنحل والفرق وللللال ، قاومت أوروبا المسلمين والعرب عن طريق الأندلس (أسبانيا المسلمة) وعن طريق
البلقان (تركيا الإسلامية) وقد شهد الأوروبيون شهادة صريحة بالتسامح الديني العظيم الذي أولاه
الأتراك للمسيحيين والحرية الدينية التامة وكذلك الحرية للمدرسية التي أتاحت لهم النمو والرقى . واتقد
ظلت بريطانيا وفرنسا وروسيا سنوات طويلة تعمل للقضاء على دولة الرجل للريض ، وتحول دون
قيام نهضة أو قوة في العالم الإسلامي من شأنها أن تجدد شباب الامبراطورية أن تبني دولة جديدة ،
ولذلك فقد عمدت إلى القضاء على الحركة الوهابية حركة محمد علي — وقد قاما في وقت واحد أو
متقارب في أوائل القرن الثامن عشر — وذلك رغبة في تمزيق كيان الدولة العثمانية والقضاء عليه .
وتفتتت أجزائها إلى دول صغيرة تقع تحت نفوذها ، وقد عمدت منذ وقت باكر إلى استقطاع الجزائر
وتونس ومصر وإقامة حكم خاص في لبنان — بعد أن أشارت بريطانيا وفرنسا (الموارنة والدروز)
إلى معركة دامية ١٨٦٠ كحلقة من حلقات هذا التمزيق للدولة الإسلامية الكبرى . وكانت أكبر

أال تمزيق هي الواقعة بين الأتراك والعرب باعتبارهما العنصران الأساسيان الكبيران في هذه الوحدة، وكان للأفليات دور كبير في هذه المعركة الخطورة من طريق الصحافة والمؤامرة وإثارة الخصومات، وكان الهدف الذي ترمى إليه القوى التي كانت تهاجم الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وتدهوا إلى انفصال العناصر، إنها تهدف أساساً إلى تمزيق وحدة ذات طابع إسلامي تمتد عبر منطقة واسعة في سبيل مقاومة الغزو الأوربي الزاحف، فلما ضعفت الدولة العثمانية استطاعت القوى الأجنبية أن تسيطر في مختلف أجزاء الامبراطورية وأن تمهد لتحطيمها، أما في الدولة العثمانية فقد قادت جماعة «الدعوة» (اليهودية التي أسست تقيّة) في سالونيك قيام هذه المعركة تحت أسماء مختلفة أهمها حركة حرب الاتحاد والترقي التي اتخذت من مفار الحافل الماسونية مرا كز لها للعمل، وخلفت في فترة طويلة تزيد عن أربعين عاماً حركة ضخمة سداها ولجنتها الحملة على السلطان عبد الحميد واتهامه بالاستبداد. وقد حملت هذه الحركة الشعبية الضخمة — التي كانت مصر أكبر مرا كزها حيث كان البريطانيون يفتحون الأبواب لجماعات مختلفة من الدعاة وأصحاب الصحف من مختلف الأجناس والأديان ممن يجمعهم العداء للإسلام والدولة العثمانية — لواء العمل لتحقيق أشياء كثيرة تحققت فعلاً بعد الحرب العالمية الأولى :

(أولاً) تمزيق الدولة العثمانية التي تمثل قوة إسلامية كبرى ونجدة لها في مسلمي الهند وأندونيسيا ومختلف أنحاء العالم الإسلامي صدى وتأثيراً . (ثانياً) السيطرة على الأجزاء العربية من الدولة ووضعها تحت سلطان الاحتلال البريطاني والفرنسي . (ثالثاً) إقامة إسرائيل في فلسطين قلب العالم الإسلامي . ومن هنا فقد كانت خطة القضاء على الدولة العثمانية هدفاً أساسياً للقوى الاستعمارية والاقليات المختلفة الموالية للنفوذ الاستعماري وهدفاً أساسياً أيضاً للحركة الصهيونية الوليدة التي عمدت إلى الاتصال بالدولة العثمانية وبالسلطان عبد الحميد بعد أن عقدت مؤتمرها الأول في بال ١٨٩٧ وحاولت أن تحصل على إذن بالهجرة إلى فلسطين عن طريق الاغراء بقرض قدره خمسون مليوناً من الجنيهات لخزينة الدولة العثمانية وهبة قدرها خمسة ملايين من الجنيهات لخزينة السلطان الخاصة . وقد كان موقف السلطان عبد الحميد مشرفاً بالغ القدر في الجرأة والصدق ، فقد رفض ذلك العرض رفضاً تاماً وأعلن في كلمة خالدة له استحالة تحقيق هذا الهدف طالما هو على قيد الحياة . وقد تكشف للسلطان من بعد حين أسقط عام ١٩٠٩ أن واحداً من الذين أعلنوا إقصائه عن السلطة كان هو نفسه الذي جاء يعرض عليه ذلك العرض الصهيوني . وكان إسقاط عبد الحميد سنة ١٩٠٩ نهاية لنظام الجامعة الإسلامية الذي دها إليه السلطان عبد الحميد ونفذه في محاولة لتجميع الدول

الإسلامية خارج الدولة العثمانية في تجمع باسم الخلافة لمواجهة النفوذ الاستعماري الغربي الزاحف . وقد تحقق فعلاً في عام ١٩٠٨ د إعلان الدستور العثماني ، وظن المسلمون أن الدولة العثمانية تواجه عصرًا جديدًا يتحقق فيه مزيد من الحرية والمعادلة ، بيد أن النظام الذي قاوم وتوطد بعد عزل عبد الحميد إنما كان يمثل أنجاساً مخالفاً للتيار الإسلامي ومعارضاً له فقد استهدف حزب الاتحاد والترقي الذي تولى السلطة منذ ذلك التاريخ إلى نهاية الحرب العالمية الأولى تنفيذ خطط الجامعة العثمانية في محاولة لتتريك عناصر الدولة العثمانية ، ومن هنا فقد وقع الصدام بين العنصرين الكبيرين في المملكة وم الأتراك حكما والعرب محكومين ، وتأججت حركة الدعوة إلى العروبة الجامعة في مواجهة محاولة إلغاء الوجود العربي عن طريق فرض اللغة التركية في المحاكم والمدارس في نفس الوقت الذي استشرت فيه الدعوة إلى إهلاك تاريخ طوران والانتقاص من تاريخ العرب والإسلام ، ولقد كانت هذه الفترة (١٩٠٩-١٩١٨) فترة حرجية حقا ، فقد غلب فيها الاتحاديون وأوجدوا بينهم وبين العرب نفرة واسعة وحين أنجس الممانيون إلى ألمانيا وانضموا إليها في الحرب أنجس العرب إلى بريطانيا وابضدوا إليها وبذلك تمزقت الوحدة العثمانية العربية وانتهت الحرب بهزيمة تركيا واستيلاء بريطانيا وحلفائها على الأجزاء العربية من الإمبراطورية والتشكر لليهود المعقودة بإقامة دولة عربية مستقلة . وقد كان من الطبيعي أن يسقط النظام كله بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية واحتلال الحلفاء واليونان لأجزاء منها ولما كانت الدول الأوروبية قد حققت بذلك القضاء على الدولة العثمانية وتمزيق أوصالها فقد بلغت من ذلك نهاية الشوط وهي تحويلها من دولة اخلافة إلى دولة علمانية لا دينية تتشكر لسل كل قيم الإسلام ومفاهيمه وأنظمتها ، وذلك عن طريق الانقلاب العسكري الذي قام به مصطفى كمال وسيطرته على كل مقدرات تركيا وصفى به جميع النظم القديمة .

ويمكن اعتبار الانقلاب الكبالي هو التطور الطبيعي لحركة الاتحاديين لاستمراراً للمخطط الذي جرى تنفيذه بعد سقوط السلطان عبد الحميد في تحويل الدولة العثمانية تحويلًا تدريجيًا من دولة اخلافة والسلطنة والجامعة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي كله إلى دولة إقليمية ذات طابع عربي خالص ، فقد صارت الدعوة الإقليمية باسم الجامعة العثمانية أنجس الوحدة الإسلامية الذي حمل لوائه السلطان عبد الحميد وانحذه سبيلا إلى تجمع المسلمين في حركة واحدة لمقاومة النفوذ الغربي الزاحف . غير أن النفوذ الاستعماري كان قادراً — والدولة العثمانية في مرحلة الضعف — إلى القضاء على هذه الحركة وتمزيق هذه الوحدة .

كان دخول الدولة العثمانية الحرب في صف ألمانيا من العوامل التي جعلت بالقضاء عليها ، وتمزيقها

كوحدة مقاومة جامعة بين العرب والترك ، وكانت الخطوة التالية لذلك هي إلغاء الخلافة العثمانية التي كان يدين للمسلمون بالولاء لها من خارج الدولة العثمانية . ومن حق أن يقال إن هذه الخطوة الحاسمة لم تتم طفرة وإنما تمت على مراحل طويلة خلال فترة لا تقل عن خمسة عشر عاماً ١٩٠٩ — ١٩٣٤ وأن النفوذ الأجنبي قد أحكم العمل بالوقعية بين عنصرى الدولة العثمانية (العرب والترك) ودفع الاتحاديين إلى مواجهة العرب مواجهة حادة بالمشاق والقتل مما فتح ثغرة لم يكن هناك من سبيل إلى أن تلتئم وبذلك تحققت خطوة أشد عنفاً حينما حارب العرب المسلمون والأتراك المسلمون في معارك متعددة على خط ممتد من مكة إلى دمشق ، وكانت الحرب لحساب الخلفاء الذين حلوا محل الأتراك في المناطق التي هزم العرب فيها ، وبذلك أسلم العرب أرضهم إلى بريطانيا وفرنسا بعد أن استخلصوها من الدولة العثمانية وتلك مؤامرة النفوذ الأجنبي البالغة الخطر . وقد كانت هناك أراء لها وزنها ترى أن الدولة العثمانية على ما هي عليه من الضعف ما تزال تمثل قوة وكيانا ضخماً قائماً في مواجهة النفوذ الاستعماري وأن من واجب العرب والترك أن يحفظوا هذا الكيان . — حق لا يسهل إزديادهم فرادى ، ولكن الاتحاديين ومن ورائهم قوى النفوذ الاستعماري وقوى القضاء على فكرة الجامعة الإسلامية والوحدة المشتلة في الدولة العثمانية كانوا هم أداة تمزيق الرابطة بين العرب والترك — وإسلام هذه المنطقة إلى النفوذ الأجنبي كلية .

ومن هنا فقد كان من السهل وقد تحقق هذا الجزاء الهام من المخطط أن تحول تركيا العثمانية — دولة الخلافة ومقر قيادة الجامعة الإسلامية — في فترة قليلة — إلى دولة هدانية تشعب الإسلام وتنحلى عنه تجلياً تاماً في مجال القوانين ونظم والمجتمع والحكم ، وتفتح أبوابها للتغريب والعلمانية في كافة صورها ، مخالفة بذلك أبسط قوانين التطور والنمو والتحول ، حقاً ، لم يكن هذا الانحلال طبعياً ولم يكن العمل لتغريب تركيا قائماً على مراحل ، وإنما كان يتم تحت سلطة النفوذ العسكري العسارم والقوانين الاستثنائية المفروضة ، في محاولة قوامها الظفرة والعنف إلى تحويل أمة من النقيض إلى النقيض . حقاً ، لقد مرت الدولة العثمانية بفترة جمود وتخلف في مجال الثقافة والمجتمع كان مصدرها متصل بالجزيرة التي سادت باسم الدين ، ولكن هل كان الإسلام في حقيقة مصدر للتخلف والضعف والهزيمة ، أم كان التخلف من مفهوم الإسلام الأصل القادر على الحركة والقوة والحياة هو سبب الهزيمة . لقد هزى إلى الإسلام ما أصاب تركيا من هزيمة وتخلف وضعف ، ومن الحق أن يقال إن تركيا تخلفت عن مفاهيم الإسلام في القوة والعدل والحرية ، منذ سنوات طويلة ، يوم تجمدت في حركة التقليد

والجبرية ، وهجرت من مجارة الغرب في تقدمه العلمى ، هذا التقدم الذى كان مصدره العالم الإسلامى أساساً وكان قاذته المسلمون أنفسهم أولاً . ولكن الأتنام وجه إلى الإسلام ، رغبة في تشويهه والقضاء عليه ، وخلق جو عام مسمم ضده في العالم الإسلامى والبلاد العربية . وقد كانت الخطوات التى خطتها تركيا بعيدة الأثر في مصر وأفغانستان وإيران والهند الإسلامية وفي كل مكان . فقد أتاحت الفرصة لدعاة التغريب وخدام الثقافة الغربية الاستعمار أن يتفندوا إلى مكان الصدارة وأن يضربوا المشل بتركيا في مجال التقدم والنهضة . ولقد كان المفكرون المسلمون المخلصون في أول الأمر يؤيدون النهضة التركية بحسبان أنها ستجمع بين قوة الغرب وطابع الإسلام ، وأنها ستتمثل أولى مراحل اليقظة في العالم الإسلامى وفق مفهوم النهضة عن طريق نقل جوانب القوة الإيجابية في الحضارة الغربية ، ولكن الأمر كان على عكس ذلك تماماً ، فإن تركيا لم تلتفت إلى جوانب القوة في الحضارة الغربية ولكنها عمدت إلى نقل جوانب التحلل من الحضارة وحدها وكان أبلغ مظاهرها : تطبيق قوانين الأحوال الشخصية السويسرى وفتح أبواب المراقص وزواج المسلمة بغير المسلم ، وإلغاء المظاهر الإسلامية كلها ، وإلغاء الحروف العربية لغة التركية واستبدالها بالحروف اللاتينية وكتابتها من الشمال . وقد تأكد من هدد من المصادر الموثوقة أن تركيا قد نفذت فعلاً مخططاً كان مرسوماً لها في المعاهدات التى عقدها مع الدول الغربية . والمعروف أن تركيا قبلت شروط الصلح الذى عقده الحلفاء معها في لوزان عام ١٩٢٣ والمعروفة بشروط كرزى الأوبى وهى : (١) قطع كل صلة بالإسلام . (٢) إلغاء الخلافة . (٣) إخراج انصار الخلافة والإسلام من البلاد . (٤) اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم . وقد استجاب مصطفى كمال لهذه الشروط ونفذها تنفيذاً أميناً ودقيقاً ، وكان في تنفيذها أكثر من حماسة من الذين فرضوها عليه ، وكان هدف النفوذ الاستعمارى أن ينخلص نخلصاً نهائياً من أى بؤرة أو نواة للطابع الإسلامى أو للوحدة الإسلامية . ولكن هل من حق أن الانقلاب المفروض بقوة النفوذ العسكرى والقانون العرفى ووسائل الأرهاب والأهدام ، قد استطاع أن يحقق تحولا جذرياً في الأمة التركية بحيث قصى فيها على الإسلام . أن وقائع التاريخ كله منذ قام مصطفى كمال إلى اليوم لتدل على أنه كان نظاماً ملحوظاً مهزوماً قد واجه المعارضة من مختلف الطبقات منذ اللحظات الأولى وإلى آخر أيامه وكشف عن تهديدات خطيرة أبان عنها الأتراك المسلمون بمختلف الوسائل ، أولاً : بالنورات المتوالية عليه وثانياً : بالصمت وبالتصميم الجاهى الكامل على أداء فرائض الإسلام والتمسك بها ، فلما منحت الفرصة بعد وفاة أتاتورك تكشف الشعب التركى عن إيمان عميق بالإسلام لم تزد هذه الحنة إلا قوة وصلابة .

(٢)

حركة الانقضاء على الإسلام

كانت الدولة العثمانية قبلة المسلمين في العالم الإسلامي كله بعد مكة ، ولذلك فقد كانت هزيمتها في الحرب الأولى مصدراً من مصادر القلق في الهند ومصر وأندونيسيا . ومن هنا فإن حركة مصطفى كمال لمحاربة اليونان الذي احتلوا تركيا وجدت من المسلمين تقديراً ومتابعة . وكان السكاليون قبل جلاء اليونان يتمسكون بالطابع الإسلامي ويستميلون المسلمين لتأييدهم بالمظاهر الإسلامية فقد اجتمعوا بالسيد أحمد السنوسي ومنعوا الحنوز والفجور ووقعوا المصاحف علامة على الدفاع عن الإسلام ، فلما بلغوا ساحل الأمان وانصرفوا بإجلاء اليونان كشفوا خبيثتهم وهي السياسية اللاتسكية القائمة على التنسكركامل الدين عامة والإسلام خاصة والأخذ السكامل بمظاهر الحضارة الغربية وإلغاء كل مؤسسات الإسلام ، وقد كان المسلمون خلال المرحلة الأولى يحسنون الظن بهم بحسبان أن حركة التمدن التركي إنما هي الحركة التي تطلم إليها المصلحون المسلمون وهي تقبل الحضارة الغربية على أساس من القيم الأساسية للفكر الإسلامي ، وقد مضى أتاتورك في خطواته على طريقة المراحل فبدأ بإلغاء الخلافة الرمنية وإنهى بإلغاء الخلافة كليا .

وفيما بين ذلك أجرى هديداً من التغييرات التي كشفت عن معارضة كاملة للنظام الاسلامي ومن هنا تبين أن الأمر لم يكن حركة إصلاح وتطور من خلال إطار الاسلام وإنما هي عملية إنقلاب شامل كامل وإتجاه إلى الغرب على النحو الذي كان يدهو إليه في تركيا أحمد غاي وزملائه حيث كانوا يدهون إلى تقبل الوجود الغربي تقبلا كاملا ترتبط فيه الحضارة والثقافة معا ، أي أن تصبح تركيا دولة أوربية في مختلف مناهجها وأنظمتها وقوانينها وتخرج خروجاً كاملاً من مجتمع العالم الاسلامي . وقد نفذ مصطفى كمال هذا المخطط كاملاً .

(١) إعتاد القانون للدنى السويسرى وقانون العقوبات الإيطالى والقانون التجارى الألمانى بديلاً للشريعة الإسلامية (فصل الدين عن الدولة) . (٢) إلغاء الحروف العربية وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ونصفية اللغة من السكليات العربية . (٣) الأذان باللغة التركية وترجمة القرآن إلى التركية . (٤) الأحد عطلة أسبوعية بدلاً من الجمعة . (٥) إلغاء الطربوش وحجاب للمرأة . (٦) إلغاء وزارة الأوقاف والمدارس الدينية وحل منظمات الدراويش وغاق

سكايام . (٧) لإحلال التقويم الأوربي محل التقويم الإسلامي . (٨) قبول نظم الحضارة
بلا تحفظ . (٩) الاتجاه نحو أوروبا والانفصال كلية عن العالم الإسلامي والعرب وآسيا .
(١٠) إلغاء الخلافة . وقد كانت هذه الخطوات عنيفة عاصفة تحمل طابع الاستفزاز ويظهرها
النفوذ العسكري الحاكم ، ولم تسكن تصدر عن تطور حقيقي أو تفاؤل أصيل ، وإنما كانت طفرة طافية
تهدف إلى الاسراع في تغريب تركيا . ومن هنا وقف العالم الإسلامي كله مذهولاً إزاء تحول الدولة
التي قادت للمسلمين ستة قرون مرة واحدة إلى دولة غربية الطابع وكان لهذا التحول أثر بعيد المدى ،
فقد إرتج العالم الإسلامي رجّة عنيفة لالغاء الخلافة وقطع أوصال الرباط الذي كان يربط للمسلمين وقامت
في الهند حركة عاصفة لتأييد الخلافة وعقدت مؤتمرات كبرى في الهند ومصر الحجاز . واتاحت
فرصة هذه التصرفات لدعاة التغريب في مصر والعالم العربي فرصة إسباغ التقدير والاهجاب على
خطوات مصطفي كمال وتأيينها والدعوة إلى تقليدها غير أن الطريقة التي اتخذها مصطفي كمال أوجدت
رد فعل عنيف بين المسلمين في تركيا الذين رفضوا هذا التحول رفضاً صامتاً . كما واجه المسلمون
والعرب خارج تركيا هذه الخطوات بالنقد . فقد خلق أتاتوك جوّاً من الاحتمار للعرب واعتبر الإسلام
غريباً والنبي محمد عربياً ومن هنا حملت صحف على العرب والإسلام ومحمد . فانقلب ذلك التقدير
والاهجاب الذي أسيغه للمسلمون والعرب على أتاتوك أولاً نقمة وتقدراً . ومهما قيل عن أن مصطفي
كمال كان مضطراً إلى ذلك اضطراراً في مواجهة إحساسه بأن الطابع الإسلامي الذي عاشته تركيا
العثمانية في سنواتها الأخيرة كان مصدر هزيمتها — مهما قيل في ذلك وهو بعض الحق فإن ما اندفع
إليه لم يكن من عمل للمصلح وإنما هو عمل عميل التغريب الذي وكل إلى قوته العسكرية والدكتاتورية
للمفروضة أن تنقل دولة الخلافة إلى دولة أوربية خالصة حتى تعاضد أوروبا إلى أن على حدودها دولة
لا تحمل من طابع الإسلام شيئاً . وبعد أن كانت الامبراطورية العثمانية هي الحصن الزمى التي تقف
عند أسواره موجه التوسع الغربي للمسيحي . أصبحت هي للعبر الأكبر لهذا التوسع . ولقد حاول
بعض المصلحين أن يردوا مصطفي كمال عن أنجياه المصمم بإلغاء الخلافة وعن التحول وجهة الغرب
كلية ، على أساس القول بأن الخطأ ليس في النظام ولكن في التطبيق ولكن الغاوى كان منصرفاً
انصرافاً كاملاً عن الاستماع لأي وجهة نظر أخرى . وكان حريصاً على أن يقدم الغرب أعظم هدية
وهي (إلغاء الخلافة) التي كانت في اعتبار المسلمين والعرب عقدة الصلة والرابطة الوثيقة بحسبانها
قوة حامية لهم في مواجهة الغزو الغربي .

ولقد أدت مختلف المصادر بأن مصطفي كمال كان يهدف إلى قيام دولة أوربية بكل معنى

الكلمة لا تسترشد في قوانينها وسائر أعمالها إلا بما يؤدي بالبلاذ إلى هذا الغرض . وقد جاء في بيان للغازى أنه تحقيقاً لذلك واقتداء بالأمم الغربية ولا سيما الجمهورية الفرنسية فقد تقرر فصل الدين عن الحكومة فصلاً تاماً وإلغاء الخلافة الإسلامية وإلغاء وزارة الأوقاف ومشيخة الإسلام والمحاكم الشرعية وإقرار قانون استعمال التقويم الغريغورى وهدم تغيير مواعيد العمل مدة شهر رمضان في مصالح الحكومة أو المدارس : مع اعتبار العطلة الرسمية يوم الأحد . « أونه لى يكون الترك أمة أوربية بمعنى الكلمة فقد تقرر أن يكون لأفراد الشعب التركى كلهم ثقافة واحدة هى الثقافة الغربية حتى لا تسكون هناك طوائف ذات عقليات مختلفة . وتوحيد الثقافة مبنى قبل كل شيء على توحيد التعليم فنقرر سياسة إلغاء التعليم الدينى وجعل التعليم كله علمانياً . وإلغاء جميع الطوائف والفرق الصوفية الإسلامية والكتاتيب المدنية الإسلامية بدون استثناء وحصر تدريس العلوم الدينية في كلية اللاهيات بجامعة الآستانة دون غيرها » . وقد صاحب هذه الخطوات حملات عنيفة في الصحف التركية اتجهت أولاً إلى رسول الإسلام نفسه وجرت عادة توجيه خطابات مفتوحة إلى النبى ﷺ تحت عنوان (إلى حضرة محمد) .

وهذا نموذج مما نشرته جريدة (كنج دوشونجه ل) أى (الأفكار الفنية) بقلم قومندان أوغلى توفيق . أو نوفمبر سنة ١٩٢٨ و ٨ و ١٤ و ٢٢ : قال في ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتى : « أ رأيت يا رسول الله كيف كنت لا تمنعرج عن الاختصاص ببعض النسوة الأسيرات في كل غزوة تفزوها وأقررت المشايخ والخطباء على هذه الرذيلة بل كنت مصداقاً لقول أنكحتم بتواضع طاقدة الأنكحة ، كيف لا ، وقد كنت إمامهم والقادة الذى يتبعونه ، فهذا الرجل الذى لا يملك قوت يومه يتزوج لعدة نساء لأنك قلت له إن هذه سنة وصاحبه مأجور عليه فكنت بذلك سبب نكبة ملايين العائلات وانتشار ملايين الأطفال في الشوارع . وأنت أنت وحدك (والخطاب للنبى) سبب تحولهم إلى جناة وأشقياء وأراذل وثوارين ، فهل ترتجف الكعبة كما ترتجف روحك من هول هذا . فلا قيمة للكعبة هندی إلا من حيث أنها ركام من أحجار وتراب يتآلف منها بناء حقيق ذو سقف أخفى عليه الدهر ولا أعتقد أنها ترتجف إلا بزلزلة أرضية » . وكان ختام الخطاب . . . « لقد خلصنا منك » . وقد أمضت هذه الصحيفة خمسة شهور في هذه الحملة . حتى أبريل سنة ١٩٢٩ ، وتناولت موضوعات واتخذت عبارات أشد عنفاً . ومن ههنا أن هذا الحامى المدافع عن الانقلاب التركى لم يلبث أن ضبط متلبساً بخريطة حربية أجنبية .

ويروى العلامة محمد هرة دروزه في كتابه تركيا الحديثة وكان قد أمضى هذه السنوات في تركيا

أنهم كانوا يلقنون الطالب بأن الثقافة والتمثاليات الإسلامية هما من أسباب تأخر التركي وجوده . وما أصابه من كوارث وتعرض له من مصائب . وأشار إلى شعور المرأة التركية وبروزها إنما تم بدعوة ملحة تولاهما الزعيم وشجع عليها بكل وسيلة وكل مناسبة وكانت الدعوة عامة لم تقتصر على شعور المرأة التركية وبروزها بل شملت اندماجها في المجتمع واختلاطها على أوسع معاني الاندماج والاختلاط . وقد أشار مؤرخ الغازي (محمد محمد توفيق) أنه كان يقيم حفلات الرقص ويدفع الضباط دفعا إلى محاضرة الفتيات فإذا تراجعن قال لهن إنما هي أوامر عسكرية (يراجع النص) . وقد أدى ذلك — حسبما أورده دروزه — إلى تفسكك غير يسير في البنين العالمى وخاصة في المدن الكبرى . وكان لمقتضيات البروز في اشتداد رغبة المرأة في التأنق والزهج ولم يكن أثر هذا أقل في الرجل أيضا . فقد كثرت حوادث السقوط والتهدير فإن المرأة التي ظلت سنين طويلة جدا محرومة من حريتها منطوية على نفسها قابعة في عزلتها والتي نالت حريتها فجأة قد دهشت ولا ريب وصارت في حالة ذهول ، ومن هنا فإن مئات الآلاف من الفتيات فقدن الاتزان وسرن في الطريق الخاطئ واندفعن بدفعة السقوط . وأصبحت قلوبهن المتفتحة قبل أوانها كالخزعة التي فسدت ولم يأت وقت نضوجها : وقد كانت كانت للنشر الفلسفية الوضيعة دورا خطيرا في تقوية هذا التيار الجارف . فكما صدر من مجلات وكتب وترجم من قصص لعبت فيها السموم ، وكما اشترت الصحف من رسائل وكتابات ، وما نشرته من أحاديث في الصحف عن الرقصات وبنات الحانات ومن أخبار البغايا في حياتهن الخاصة من خفايا وأسرار بأسلوب مفر فاجر ودرس غرام وهشق لفتياتنا .

أما لبس القيمة فإن الجميع يجرون على اكتساء القيمة . أما اتخاذ القانون المدني فقد كان له خطورته لاتصاله بحياة المجتمع التركي الاجتماعية والعائلية والشخصية والاقتصادية فقد هز الحياة هزا عنيفا لقيامه على أسس مغايرة للأسس التي تقوم على أن الحياة الاجتماعية . . وقد مضى منهاج حزب الشعب الذي ألفه الغازي عام ١٩٢٧ إلى أن العلمانية (اللائكية) هي ركن من أركان مبادئ الحزب ، ثم نص هذا الركن في صلب الدستور وفي عام ١٩٣٨ حذفت المادة التي كانت تنص على أن الاسلام دين الدولة . وقد فسر معنى « العلمانية » على أن تقوم قوانين الدولة وأنظمتها على أساس ما يقرره العلم والفن وينسق مع أصول الحضارة الحديثة ومقتضياتها . واعتبر « الدين » أمرا وجدانيا خاصا بالافراد . وأن فصل الدين عن أمور الدنيا والسياسة أمرا أساسيا . كما دها إلى صيانة الله القومية أي التركية عن تأثير اللغة والثقافة الأجنبية (أي اللغة العربية والفكر الاسلامي والثقافة العربية) .

وقد أشار واصف بك وزير المعارف إلى أن الإسلام كان عقبة في سبيل اندفاعهم نحو الحياة الجديدة وأنهم ساروا شوطاً ابتداءً به لهدم المدنية الإسلامية التي استعبدت وطنهم وحالت بينهم وبين ترقيته ، والإسلام في عبارة الغازي والحكومة التركية ووزير المعارف ليست إلا الصورة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية . أما الإسلام نفسه فقد كان بعيداً عن تقدير هؤلاء جميعاً ولم يكن هو مصدر الضعف والتخلف ولو كانوا هم جادين حقاً في خلق نظام اجتماعي إيجابي سليم في إطار الإسلام لما أهورتهم الوسائل ولوجدوا من المجددين والمصلحين من يحقق إبعاد هذا النظام . ولكن الكمالين في الحق كانوا قد قرروا قراراً لا رجعة فيه بشجب الإسلام أصلاً والدين بصفة عامة كأساس لنظامهم الجديد . واقتنعوا اقتناعاً كاملاً بأخذ النظام الغربي . وكانت هذه في تقديرنا تجربة ضرورية بالنسبة للعالم الإسلامي وذلك حتى تنكشف التجربة عن فهم مدى النجاح والفشل الذي ساورها . ولمعرفة ما إذا كان العالم الإسلامي قادر فعلاً على الانسلاخ كلية من أنظمتها ومفاهيمه . أي من جلده ، لينصهر انصهاراً كاملاً في المجتمع الأوربي عقلاً وروحاً . بعد تغيير أنظمتها وقوانينها وأساليب التعليم والتربية والتكوين الاجتماعي . ولقد أمضى مصطفى كمال (١٩٢٢ — ١٩٣٧) ، خمسة عشر عاماً كاملة يقود هذا النظام في حماسة خطيرة وينقل به من مرحلة إلى مرحلة ، فهل حقاً تقبلت تركيا المسلمة . الأمة التركية ، هذا النظام . أم أنه بقي أسير للعاصمة ودوائر الحكم والطبقات الغالية التي تدور في فلك الحاكم الديكتاتور وتذهن له . الواقع الذي كشفت عنه التجربة أن ضمير الشعب التركي لم يستجب لهذه الحركة المفتعلة التي خالفت المقومات الأساسية للأمة والقيم الأصيلة لفكرها .

وقد تبين تماماً أن هذا المنهج غير صالح للتطبيق . وأن طموح النفوذ الغربي في أن يجد من كل بلاد العالم الإسلامي تركيا أخرى قد بدأ بالخسران . بل إن الدولة التي عاصرت حركة مصطفى كمال : كمصر وإيران وأفغانستان قد أخذت التطور والنقل من الغرب بشيء كثير من الخسر . بل إن مستشرقاً بعيد النظر هو « هاملتون جب » قد قرر في صراحة أن العرب لن يكرروا تجربة تركيا وأن لهم من حق إيمانهم بالإسلام ما يعصمهم من الجري وراء هذه الخطوة . ومن حق أن يقال إن نفوذاً هائلاً باسم الدين كان مصدراً من مصادر الضعف والتخلف ذلك هو عنصر الزوايا والنكاي والطرق والدرابيش وما اتصل بها من خطط خلقت جواً من الجبرية . وكان لها نفوذها في الحياة الاجتماعية والحياة السياسية جميعاً وهو ما هناك الكاليون بالغاء الطرق الصوفية وإلغاء وحظر كل أنواع الطرق ومشايعها ومسلكت وألقاب الدرويش والمرید والاسناد والسيد والعرافة والسحر والتحكيم وكتسابة الإنماويز والأحجية والتأمم وأعمال كشف الغيب وأخبار المستقبل . كل هذه الأشياء التي عنها

السكاليون بالإلغاء : لم تكن من الإسلام وإنما دخلت عليه ، وكان إلغاؤها عمل إيجابى حقاً . وهنا يكون الأمر هو أمر هؤلاء الذين تصدروا وتسموا باسم رجال الدين وليس أمر الدين نفسه . ليس الإسلام إذن هو الذى أخر تركيا ولكن المفاهيم التى فرضتها مرحلة الضعف . والمعروف أنه خلال هذه المرحلة جلب نفوذ الدراويش والصوفية على العلماء والقضاة والأئمة وآزروا السلاطين وحملوا لواء نرضية الشعب إلى تصريفاتهم . دون أن يحملوا لواء مناصحة الأمراء والحكام . وبذلك سيطرت مفاهيم « الجبرية » . مما أدى بالدولة إلى الضعف والتخلف . وذلك فى نفس الوقت الذى تخلفت فيه الدولة عن ميادين القوة العسكرية بينما أخذت نظم الحرب ووسائل الدفاع تتقدم فى الغرب . وقد نشأ عن هذا التخلف الثنائى والانحراف فى مفاهيم الفكر الإسلامى موقفاً خطيراً . ذلك أن النفوذ الاستعمارى هاجم هذا الاتجاه ونسبه جملة إلى الإسلام فى سبيل شعب مفاهيم الإسلام فى المجتمع والسياسة وكاملة وإحلال مفاهيم غربية خالصة وكان « للدعوة » دخل كبير فى الحركة الإصلاحية التركية التى حمل لواءها أدباء تركيا ومصلحوها أمثال : خاكف ونامق مما أدى إلى الاتجاه كلية إلى المفاهيم الغربية . لقد كانت المحاولة أول الأمر تحمل طابع المقاومة للنفوذ الغربى عن طريق اقتباس بعض الأنظمة الغربية . غير أن الثقافة التى سيطرت على المدرسة العسكرية بالذات لم تلبث أن انجذبت بعيداً عن فهم الإسلام . وتبنت فكرة القومية بمعناها الغربى فكانت نزعة طورانية تحولت إلى نزعة تركية خالصة على يد مصطفى كمال . وبالنسبة لمصطفى كمال بالذات فقد كان واحداً من أبناء المدرسة العسكرية التى كانت ثقافتها غربية خالصة . وكان الغاوى مقتنعا بضرورة الاتجاه نحو الغرب والاقتباس منه فى التشريع والإدارة والثقافة والحياة دون تأثر بالدين واعتباراته وأحكامه . ولم يكن مصطفى كمال فى حياته الخاصة مستقيماً السالك فقد عرفت منه حياة مضطربة صارخة . وهوى بالسهرات المصاحبة الحافلة بالخمر والقمار . ولذلك فقد كان مندفعاً إلى هذا الاتجاه . بمزاج نفسى بالإضافة إلى الظروف السياسية التى فرضت عليه بتوقيع شروط كرزى فى معاهدة لوزان .

وقد حاول الفرد كائنات سميت الدفاع عن مصطفى كمال ووصفه بأنه أراد أن يتخلص من قيود علماء الدين وأنه ظل مسلماً ، وكل الوقائع تكذب هذا القول . سواء فى حياة المجتمع العامة أو فى حياته الخاصة : وأن دفعه الفتيات إلى المراقص ومخاضة الرجال وتحريضهن على الفسق لا يمكن أن يكون هادفاً إلى التخلص من جود العلماء وليس ما تخلصت منه تركيا هو (الخرافة والجود) على حد تعبير سميت ، وإنما هو التخلص من جوهر الإسلام نفسه : وليس صحيحاً ما ذهب إليه سميت من أن الأتراك فى عهد أتاتورك « لم يكونوا مجرد مقلدين بشكل سطحي بل مساهمين فى هذه المدينة الغربية الحديثة وخاصة فى إعادة تشكيل بيتهم »

والواقع أنهم لم يتخذوا أسلوباً تطورياً في النهضة بل تقلوا كل ما في أوروبا من فساد المجتمعات أو القوانين التي لا تنطبق على البيئات الإسلامية . ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا خطوة واحدة إلى المشاركة في أي عمل حضاري أو علمي أو تكنولوجي يشاركون به الغرب في مجال الحضارة والعلم الحقيقية . فهم لم يصبحوا سادة مصيرهم بل أصبحوا عبيد تقليد آخر . خلاصوا من تقليد إلى تقليد وخرجوا من نظام مجتمعاتهم ، ليس إلى تطور بل إلى تغيير انقلابي خطير . نعم — كانت هناك — خصومة واضحة . وحقد دفين . ونحن باعظ في مقابل هذا الإجراء . ويرى ليس ف توماس : أن القومية التركية هي نزعة عاطفية أكثر منها حقيقة علمية . وأنها ليست في الواقع سوى تقليد للقومية الغربية في كثير من وجوها .

ويعلق (عجاج نوبخت) على انتفاض تركيا على الإسلام ويربط بينها وبين إيران وأفغانستان ، ويسأل هل هناك شعبية على الثقافة الإسلامية ويقول : الإصلاحات في تركيا تقع موقع القبول في طهران كما تأثر بها أمان الله خان في أفغان وأن لكل شعب من الشعوب التركية والبرانية والأفغانية مزاجاً من أقوى مقوماته : العناصر المستمدة من طبيعة الأقاليم وشكل الحياة العامة . وأن الثقافة في القرون الإسلامية الثلاثة الأخيرة كانت قد اكتسحتها العوامل العنصرية وأضعفت آثار الروح الإسلامية . ويسأل هل العوامل العنصرية الآرية واللغوية هي المسكونة لمزاج هذه الشعوب . لأن الروح الإسلامية التي غمرت قلوب الأمم الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرناً لم تزل إلى اليوم روحاً أصيلة بأوسع المعاني مهما قيل من أن الإسلام لم يتغلب على الروح العنصرية في كل من هذه الأمم . مهما قيل إن هذه الأمم ذات خصائص نفسية يختلف بعضها عن بعض . ومما قيل من أن الفرس منحدرين من الأصل الآري والترك من الأصل اللغوي فإن أوروبا على اختلاف عناصرها ولغاتها لا تزال مستقلة بظل ثقافة واحدة هي الثقافة للمسيحية . ويقول : إن العرك الواقع (إذ ذاك) بين السلطيات والقوة العسكرية في أنقرة وطهران وكابل ، إنما هو عراك بين أفراد فئات يريدون انتزاع شيء من قرارة نفسية الأمة ، أي من النواميس الاجتماعية التي لا تحارب ولا تعاند ولا تحول قهراً وأن هذه المحاولة تهدف إلى خلق روح المبادعة عن أصول الثقافة الإسلامية والانفصال عن العرب فكرياً . ويصل الكتاب إلى القول بأن برنامج « أنقرة — طهران — كابل » هو برنامج التنقيص عن الثقافة العربية الإسلامية . فهم يودون إحياء نفسية جديدة في الأمة بانتزاع نفسياتها الراهنة — ١٠ هـ . ومن حق أن مصطفي كمال كان واحداً من جيل استطاع النفوذ الغربي تكوينه في العالم الإسلامي فحمل لواء الدعوة إلى التماس طوائمه ومناهجه وحاول أن يتخلص من نفوذ أوروبا السياسي بالخضوع لنفوذها الثقافي

والاجتماعى . ولستأ نستطيع أن نمجد ما قام به أتاتورك فى سبيل تحرير بلاده من اليونان . ولكن من الحق أن يقال إنه لم يستطيع تحريرها من العبودية للنفوذ الأجنبي فقد أصبحت به تركيا تابعة تبعية كاملة لأوربا كأنما هى ربيبتها ، وقد كانت بذلك أن تفقد كيائها القادى كأمة مسلمة لها طبيعتها التى لا تستطيع أن تفصل بين الدين والمجتمع . وقد بلغ الأمر بمصطفى كمال فى أنجاهه هذا أن يقول : ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين . أو يقال عنه فى الصحف المصرية التى كانت تبتهج بتصريحاته مثل جريدة السياسة : أنه — أى مصطفى كمال — ألقى القرآن ذات يوم فى يده ، فقال : إن إرتقاء الشعوب لا يصلح أن تنقيد بقواعد وقوانين سنت فى العصور الاليرة . أو ينقل عنه قوله « إن حكومة الجمهورية أودت أن يكون محور النفوذ الدينى من الشئون الصاملة كاملا » . ويمكن أن يقارن هذا بموقف مصطفى كمال فى أول الحرب الأناضولية عندما أمسك بالقرآن وحرص الناس على الجهاد فى سبيل إقراره . وقد هلل الغرب لخطوات مصطفى كمال وأيدها وألقت عنه عشرات الكتب بل مثاتها تمجد جراته وخطواته القوية فى سبيل القضاء على الإسلام حتى لتقول جريدة الطان (نقلا عن السياسة الأسبوعية فى ١٥/١/١٩٣٧) :

« لقد لبنت تركيا الإسلام كنظام اجتماعى وكأس للسياسية والعدالة ونظم التربية ذلك لأن الإسلام الجمهورى — إذا أمكن وصف الإسلام كذلك — لم يبق بمد مذهب الدولة العثمانية . فقد حل محل الدين القديم . إن أول أثر للثورة السكالية فى الدين هو حمل الناس على كسر أصفاد هذه الضلالات والأساطير . فقد اختفت الصلوات من المعاهد العامة وقلمت تقص المساجد اليوم إلا أيام الأعياد أو فى رمضان وقد طلبت بعض الصحف أن توضع فى المساجد مقاعد كما هو الشأن فى غيرها من المعابد الحديثة وانتقدت بعضها عدم وجود موسيقى دينية تحمل محل القرآن والأذان . إن الإسلام الجمهورى ليس إلا تقليدا ظاهرا للعقلية والمناهج الأوروبية . والحق أن مصطفى كمال قد بلغ أقصى الشوط فى مواجهة الماضى . واتخذ أنجاها معاكسا ومضادا تماما لمفهوم الإسلام نفسه . ولو كان قد توقف عند مهاجمة الدولة العثمانية أو الخطأ الذى ارتكبه الخلفاء فى فهم الإسلام لكان من حقه ذلك . ولكنه انتفض لا على الخلافة أو الدولة العثمانية بل على الإسلام نفسه . فتد رجاله بالقرآن وسفروا القيم الأساسية للإسلام وفى مقدمتها : الرابطة الجندرية بين الإسلام والمجتمع . أو الدين والدولة وقد وجد النفوذ الأوروبى فى هذه الحركة قوة له وتجربة وضعها أمام مختلف دول العالم الإسلامى ظلما منه أن كل هذه الدول ستجرى فى نفس الشوط » .

ولكن هذه التجربة نفسها كانت هاملاً هاماً في شجب هذا الاتجاه أساساً ، ولم تلبث أن كشفت ، بل لقد كشفت في حياة أتاتورك نفسه — عن فشلها لولا أساليب التمتع الشديد والإعدام بالجملة ، والنفوذ الديكتاتوري المؤيد بالقوانين العسكرية ، ولم تسكد نهض سنوات قليلة حتى حطم الأتراك تمثيله في كل مكان وهاجموا اتجاهه وانبعث الإسلام من قلب تركيا واضطرت الحكومة والأحزاب إلى الاعتراف بالدين وبالأحرى بالإسلام كقوة أساسية لها قيمتها ومكانها وفعاليتها في المجتمع التركي المسلم .

(٢)

التحول

هل صمدت تجربة مصطفى كمال للبقاء وهل استطاعت أن تدمر الإسلام في أعماق الأمة للتركية والعالم الإسلامي ؟ من حق أن يقال أن الغازي ظل ساهراً على تجربته خمسة عشر عاماً بقوة السلطة وسلاح الديكتاتور العسكري للاستبداد ، غير أن نتائج التجربة في حركته مضادة لم تنتظر هذه الفترة لتكشف عن نفسها — بل أنها حاولت ذلك مرات متعددة في حياة الغازي وحكمه ، وهي تعرف مدى الخطر الذي يواجهها أو النتائج المترتبة عليها ، ولكنها كان لابد أن تعبر عن مقاومتها للنظام الذي وقع فرض واقعاً ضد طبيعة الأشياء مخالفاً لمختلف القيم التاريخية والأوضاع الاجتماعية لأن لهذا النظام الذي لا يقوم على الجذور أو التطور الطبيعي أن يراجعه انتفاضاً عليه مرة ومرة . ومنذ اليوم وإلى اليوم الآخر فإن الإجراءات التي حاول مصطفى كمال فرضها لم تجد تقبلاً صحيحاً من الشعب التركي ، ولم تجد صدى طيباً في العالم الإسلامي ، بل قوبلت هذه الإجراءات بالانتقاد الشديد والاستياء المر من أغلب الزمر والجماعات في تركيا .

وقبل مرور عام على إلغاء الخلافة وقعت الثورة الكردية (شباط ١٩٢٥) مطالبة بإعادة الإسلام يقول كرافشوفسكي : « اتهم النقاد مصطفى كمال بأنه كان مثلاً بخمرة الحكم ، ونددوا بالأوباش الحقيرين الذين أحاط بهم نفسه واستنكروا حلقات السكر التي كانت تعقد في منزله السكائن في خفايا من أرض أنقرة ، كما طالبوا بالحد من سلطته ، وقد عمد إلى القضاء على المعارضة فأعلنت وزارته في صيف سنة ١٩٢٦ اكتشاف مؤامرة لاغتياله وبادرت إلى اعتقال عدد لا يستهان به من شبان الأتراك السياسيين ومؤيدي السلطان الخلوع وبيض المارقين من حزب مصطفى كمال نفسه وحكم على ١٨ من

الذين اعتقلوا بالإعدام وفرضت عقوبة النفي على الجنرال كاظم قره بكير (وهو الرجل الذى كان له الدور الفعلى فى انتصار تركيا فى معركة سقاريا مع اليونان) .. وسحق مصطفى كمال المعارضة وأصبح وحزبه سادة البلاد بلا منازع . ولم تتوقف المعارضة وظهرت حركات أخرى تعلن رفض الشعب الترتين لنظام مصطفى كمال وإجراءاته . وكانت هذه المعارضة تقابل بالقمع العنيف ، وفى عام ١٩٣٢ قضى على مجموعة كبرى بلغت أكثر من ١٥٠ من أعلام الفكر ورجال الدولة فى تركيا بالإعدام بحجة مقاومة الثورة الكمالية . وكان الغازى قد ظن أنه ثبت دعائم حركته فسمح بإنشاء حزب جديد ، فلم يلبث هذا الحزب أن ضم كل خصوم النظام القائم وبدأت معارضة واضحة لآرائه واتجاهاته حمل لواءها حزب النقشبندية وأدت إلى صدام مسلح دفعه إلى إعادة ضم قبضته مرة أخرى . ولم يقف أمام الغازى رجال الصوفية أو علماء الإسلام وحدهم ، بل لقد كشف المثقفون أيضاً عن موقفهم وعلى رأسهم دكتور فؤاد كوبرلى زاده مدير جامعة القسطنطينية الذى كتب فى جريدة (حيات) التركية عام ١٩٢٨ وكان ذلك على أثر توغل حركات التبشير فى المدن التركية . قال : ليس معنى حادث مدينة بروصة الخاص بانسلاخ الفتيات التركيات الأربع عن الجامعة الإسلامية والتحاقهن بالجامعة النصرانية بتأثير النصرانية التى تقوم بها المدارس الأمريكية فى بلادنا وحدها ، ولكن الذى أعان على تنصيرهن عامل آخر عظيم الخطر وإن كان خطره غير ظاهر للابصار هو انحلال رابطتنا القومية منذ حين ، وبلوغنا فى ذلك إلى غاية أصبحت فى حكم الواقع ، أن من مظاهر انحلال قوميتنا سواء اعتقادنا بثقافتنا والدعاية التى تقوم بها للانسلاخ منها والتنازل عنها للذوب فى ثقافة الغرب متجردين من شخصيتنا القومية وتقاليدنا الأهلية ، ومن المؤسف أن القائلين بتقمص الشخصية الأفرنجية يدعون إلى ذلك باسم القومية ويلبسون لباسها المزيف . إن تركيا تعانى الآن أزمة يصبح أن نسميها (أزمة الثقافة) إن إختلال التوازن بين ما نحن فى حاجة إليه من التجديد وبين ما يدعونا إليه المجددون من نظريات فكرية قد نشأ عنه مرض فى التجديد . ومن أعراض هذا المرض تهاقت أنصار التفرنج على الدعوة إلى التجديد الظاهرى فى الأشكال والانخداع بالتغير المقصور على القشور ، ومن أبرع مظاهر هذا الانخداع بالظواهر ما يحاوله القائمون بالدعوة إلى ترك الكتابة بالحروف العربية والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية ، إننا ننسلخ الآن من المدنية الإسلامية لنذوب فى المدنية الأوربية فنواجه بهذا العمل خطراً عظيماً ، وأظهر سجية نشاهدها فى أدياء التجديد

استخفافهم بثقافتهم القومية وإنكارهم ماضى أمتهم ، وقيامهم بالدعاية لثقافة أجنبية عنا من شأنها أن تجعلنا فى حكم الأمم المغلوبة على أمرها الخاضعة لأنظمة الاستعمار ، بينما الأمة التى تريد أن تكون أمة عصرية حقاً تحتفظ قبل كل شئ بثقافتها وكيانها ليكون لها بين الأمم شخصية قوية ، فعلى أمتنا أن تربأ بنفسها أن تذوب فى المدنية الأوروبية ، إننا لم نأخذ من حضارة أوروبا إلا القشور بل أخذنا القشور المخدرة التى انسلخنا بها من سجاياتنا وخصائصنا ، فنحن على خطر أن نذوب فى الأفرنج فنصبح أمة ممسوخة كهذه الأمم التى أصيبت بمرض الاستعمار وسن فقد شخصيتنا القومية ثم لا نظفر من حضارة أوروبا إلا بسفاسفها « ١.٥. » وقد وجدت هذه المعارضة الوسيلة إلى إزالتها بالقمع ومواصلة الدعوة إلى « الأمجاد » التى حققتها حركة الغازى . وقد رافقت هذا الموقف مؤازرة كاملة من الصحف الغربية وتأييد شامل لإجراءات مصطفى كمال ، وكان ذلك طبيعياً من ناحيتين ، من ناحية تأييد هذه الخطة لما كان لنجاحها من أثر بعيد فى تركيز ودعم النفوذ الأجنبى ، والتغريب ، فى العالم الإسلامى والبلاد العربية بحسبان أن كبرى دول الإسلام ومعقل الخلافة والباب العالى ، ودار السعادة التى كانت متجه المسلمين ومصدر التوجيه لهم سياسياً واجتماعياً طوال القرون الماضية ، هى نفسها اليوم التى تحاول أن تفقد حركة التغريب . وكانت الصحف المصرية التى تتصل بحركة التغريب وفى مقدمتها الأهرام . والسياسة والمقطم تؤازر الحركة وتحاول أن تفسر للناس هذه الإجراءات على أنها ليست هجوماً على الدين ولكنها تنحية له عن التفاعل فى المجتمع : تقول السياسة ١٩٣٦-١٠-٣ : « إن الجنوح عن المعتقدات والتقاليد القديمة هى أهم ما يميز الثورة الاجتماعية التركية والصبغة المدنية الحرة من كل أثر للدين ، هى أهم ما يقصد به قادة الإصلاح فى أنقره ، هم لا يريدون أن يمسوا الدين فى شئ ، غير أنهم يريدون أن يحرروا نظم الحياة الاجتماعية من المؤثرات الدينية » وكان التباهى عظيماً بأنه « لآل مرة تعدل دولة إسلامية عن تطبيق الشريعة الإسلامية فى مسائل الزواج والميراث فتقضى بإلغاء تعدد الزوجات وبالتسوية فى الميراث بين الذكر والأنثى واعتبار الزواج عقداً مدنياً محضاً » وترى جريدة الطان الفرنسية ١٩٢٦-٣-٢٣ إن أنساناً لم يجزؤ حتى يومنا هذا أن يناقش الشريعة فى مسألة : زواج مسلمة من غير مسلم « وهى حين تؤيد ما جاء بالذانون التركى الجديد من أنه يجوز زواج مسلمة من غير مسلم ، لا تلبث أن ترى مدى الأثر العكسى لذلك فى محيط الأمة التركية والعالم الإسلامى كله فتقول

«لا ريب أن أخلاق البلاد لا تجيزه حتى اليوم ، ذلك لأنه برغم الجمهورية ومبتدعاتها ما زالت سريرة المسلم تأتي تمتع كافر بابنته أو بأخته ، والظاهر أن سواد الأمة التركية ما زال متشدداً في تلك المسألة ، فإذا كان التشريع الجديد بالنسبة للزواج المختلط خروجاً تاماً على الماضي ، فإن هذا التغيير لا يشمل سوى النص ولا يصل إلى القلوب . ولا ريب أن القانون الأخلاقي لأمة من الأمم يؤثر في مصائرهما بأشد مما يؤثر القانون الشرعي» . وهكذا منحت تركيا العالم الإسلامي تجربة مفتوحة لتطبيق القانون الأوربي الغربي وإخلاله محل الشريعة الإسلامية وأتاحت فرصة الكشف عن النتائج المترتبة على ذلك ، والذي تؤكد كل المصادر والأبحاث أن قوانين الغازي لم تكن في الحقيقة إلا حبراً على ورق وأنها لم تفعل أكثر مما يفعله صاحب السلطان القوى في محاولة رسم صورة غير منبثقة من أعماق الإيمان الأصيل . وقد وجدت الحركة التركية تأييداً من بعض الصحف في مصر - إذ ذاك - ولكنه تأييد معروف المصدر ، فالصحف في هذه الفترة كانت أجيرة لأكثر من نفوذ ولكن كلمة حق كانت تتردد أحياناً فتكشف الحقائق كاملة . فإذا جاءت من كاتب - أتيح له أن يسافر إلى تركيا وأن يؤيد خطواتها فإن الأمريكيون جديرين بالاعتبار ، ويكشف الأستاذ محمد عبدالله عنان عام ١٩٢٨ (أي في معمان الحركة) كيف صكت المعارضة الشديدة سمع الحركة التي قام بها الغازي فيقول : تناول الانقلاب أسس المجتمع القديم كله (سياسية واجتماعية وروحية واقتصادية) وظهرت بوادر المعارضة مع ذلك . ولم يتسع صدر الجمهورية التركية لصوت يرتفع بالنقد والمحاسبة وسرعان ما لجأت إلى التشريع الاستثنائي وقامت محكمة الاستقلال بحجة الاستقلال المحافظة على سلامة الجمهورية وانتشرت أحكام الموت والأشغال الشاقة والسجن المؤبد هنا وهناك حينما ظهرت بوادر المعارضة ، على أن إخماد هذه المعارضة في المهد لا يعني بأن هذه المعارضة ليست توجد اليوم في تركيا فهي قائمة ولكن في خفاء وضمت ، والرأي العام التركي لا يقبل دائماً كل المشاريع الجديدة بنفس التأييد والحماسة وقد تناولت حكومة أنقره بالحو والتغيير كثيراً من الشؤون الدينية ، دعت من الفصل بين الدين والدولة وإلغاء الشريعة وإلغاء ما يتعلق بدين الدولة من دستور الجمهورية . ولكن حكومة أنقره أرادت أن تقوم ببنوة جديدة وأن تخلق من شعائر الإسلام خلقاً جديداً فعهدت إلى لجنة من العلماء مما وصف بأنه اجترأ على شعائر الإسلام ، وقد أنكر الرأي العام آراء لجنة تريد أن تلغي فروض الصلاة فيؤدي المسلمون

صلواتهم كما يؤدى النصارى قدسهم بغير الركوع والسجود ، وتغدو المساجد كنائس لا أقل ، فلما حدثت الضجة تراجعت الحكومة وحاولت إخماد الضجة ، ربما كانت هذه خطوة أولى وتمهيداً لدعوة تشهر ضد الإسلام وتعاليمه وما زالت السيادة المطلقة تستند إلى القوة القاهرة ، فالقوة هى عماد الثورة التركية ، بل إن قواعد النظم التركية الجديدة ذاتها والأساليب التى أختيرت لتنفيذ هذه النظم تجعل من الصعب علينا أن نجد لها مكاناً بين النظم البرلمانية بل النظم الحرة على الإطلاق ، حيث تمتزج السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية فى الجمعية الوطنية التى تقوم على قواعد غير تلك التى تأخذ بها كل البلاد الدستورية ، تتولى بيدها فوق سلطة التشريع سلطة التنفيذ ، فتختار الوزراء وتعينهم وفيها وإليها يرجع القضاء ، فتشئ محاكم الاستقلال متى أرادت وتنتخب رئيس الجمهورية ، حزب واحد ، هو الشعب أو حزب الغازى ، وهو كل شئ فى الجمعية وخارج الجمعية يدفع رجاله إلى جميع كراسى الجمعية ولا يسمح لسواهم بدخولها ويلجأ فى ذلك إلى كل الوسائل . وما نظام أنقره إلا دكتاتورية عسكرية مقنعة تعمل باسم الشعب التركى ، وقد استطاع دعاة التجديد ، أن يسبغوا على المجتمع التركى العتيق كل مظاهر المجتمعات الغربية : ثورة الثياب ، وتعلم الرقص وكتابة الحروف اللاتينية وما يستطيع التشريع العنيف أن تنتزع فى بضعة الأعوام طبائع كونتها وزعتها القرون ، والتاريخ يعلمنا أن للشعوب خواص جنسية وأخلاقية لا يمكن محوها بضربة واحدة ولا غيرها سوى تطور الأجيال . لقد ظهر الشعب التركى فى مهاد العقلية والتقاليد الشرقية ، وخرج من أقفاص القفار الآسيوية مزوداً بخواص الجنس الآسيوى أو بالأحرى المغولى ، وأنفق الشعب التركى عصور المجد والانحلال كلها شعباً تركيا ، متمسكاً بخواصه وتقاليده ولم يندمج فى المجتمع الغربى رغم أنه نفذ إلى أوروبا واستقر فى شرقها عصوراً فهل يستطيع سادة أنقره أن ينزعوا بتشريع الأشهر ذلك الثوب الخالد « ا. هـ . وقد تنبه الدكتور هيكل فى أغسطس ١٩١٧ إلى مفهوم الانقلاب القائم بالحكم العسكرى الصارم وليس بإرادة أهله ولا باقتناعهم فقال : إن أمراً يلفت النظر فى هذه النهضة التركية ويدفع إلى التساؤل عن مبلغ ثباتها وعدم تعرضها لرد فعل يعود بتركيا إلى ما كانت . ذلك أن هذه النهضة تبدو كأنها ليست أثراً محتوماً لتطور طبيعى ، وأنها مصنوعة على يد مصطفى كمال وأصحابه الذين فرضوها على تركيا عن طريق التشريع وألزموها

الآخذ بها بقوة القانون وبما وراء القانون من الجندى وسيفه ومدفعه فإذا حدث لسبب من الأسباب أن جاءت حكومة غير هذه الحكومة وألغت هذه القوانين ابتهج الناس إما ابتهاج بالعودة إلى سيرتهم الأولى . « ولم يجد هذا الإصلاح من يؤيده وينصره » . ولسبب بسيط يجهل الدكتور هيكل أن الذين أقاموا هذه الحركة سوف يحمونها طويلا حتى تؤكد الغاية التي ذهبوا إليها والتي ستظل ضرورة لبقاء نفوذهم في العالم الإسلامى وقد ذهب حكام أنقره إلى القضاء على مختلف صور الإسلام في البلاد ، بل أنهم أسلموا جامع آيا صوفيا إلى بعض المهندسين الأجانب لإعادته إلى صورته الأولى ، فأزالوا ما فيه من آيات قرآنية وأحاديث وكشفوا عما ستره المسلمون من صور القديسين والملائكة والصليبان ونحوها من نقوش المسيحية . ولم يكن ذلك في نظر كثير من الباحثين والمعلقين « إلا إنفاذا للمنهاج الذى وضعوه وأنهم إنما فعلوا ذلك تقرباً إلى أوروبا النصرانية التى التزموا محاكاتها فى كل شئ » . وكانت هذه الأعمال تدفع إلى مزيد من حركات المعارضة والانفجارات التى كانت تقمع بشدة ، ولكنها لم تكن تنتهى حتى كانت تعود مرة إلى الاختفاء فى أعماق الأمة منتظرة فرصة أخرى لتعلن عن نفسها . وقد جرت فى العالم العربى تساؤلات كثيرة فى ظل الدعاية التى بثها أولياء النفوذ الغربى ودعاة التغريب حول ما إذا كان على البلاد العربية ومصر بالذات أن تقتفى أثر تركيا ، ، وكان الرأى العام الإسلامى قد بدأ يتطلع إلى مصر بعد أحداث تركيا بحسبانها قلب العالم الإسلامى وليتخذ منها « مركزاً لحركة الجامعة الثمافية الإسلامية العامة » كما كان يطلق عليها حيث « لم يزل العالم العربى الآسيوى الإفريقى من أعالي الموصل إلى غربى مراكش ينظر إلى مصر نظرة المهتدى المسترشد ويهتم بها ويعطف بكل جوارحه على نهضتنا السياسية ويقرأ ثمرات مطابعها وصحفها كل هذا اعتقاداً أن مصر هى أحسن معتقل للإسلام وأحرز للشرع الحنيف » . وقد تناول فى الإجابة على هذا التساؤل عدد كبير من المفكرين العرب فى مصر وسوريا وتونس . أما دكتور عبد الرحمن شهبندر فيقول : إن الأمة الحية هى كالشجرة الناضرة لها جذور فى الأرض من تراث الآباء والجدود ونحن مهما كرهننا الجمود وسئمنا التعفن والركود فلا نريد بوجه من الوجوه أن نجارى القومندة العسكرية فى تركيا فنقطع هذه الجذور ونعرض الشجرة كلها لليبوسة والذبول ، وإنا مع أنصار الإصلاح الاجتماعى والتجديد الصحيح على أنواعه ولكننا من أعداء قطع الاتصال بالماضى فنحن أبناء السلف وآباء الخلف وأصولنا ثابتة فى الأرض وفروعنا باسقة فى السماء » ويرى

فريد وجدى « أن محاولة الاقتداء بالأُم لا تنتج أثراً محموداً لأن كل ما في الأُم هو ثمرات نفسها فإذا ساق المجتمع الطالب للاقتداء في مظهر من مظاهرها وأراد تحقيقه أعوزته العوامل ويرى الأمير مصطفى الشهابي أنه من حيث الدين فقد غلا الترك فخلقوا قومية لا دينية ومنعوا تدريس العلوم في المدارس الرسمية وتبعوا خطا البلاشفة تقريباً ، ومن البلى أن الشرق العربى لا يمكنه أن يسير في هذا الطريق لأن القومية العربية والدين الإسلامى يمشيان جنباً إلى جنب ، ولو اقتصر أعمال الترك في هذا الباب على إصلاح بعض التكايا والزوايا والفرق الدينية لكان في تلك الأعمال نفع لا ينكره العقلاء أما الكفر والزندقة والمناداة في المجالس الخاصة بعبادة الذئب فجهاالات يأسف لها عدد كبير من الترك أنفسهم . » ووصف عبدالعزيز الشعالبي الحركة الكمالية بأنها « ليست نهضة شعبية بالمعنى الصحيح يمكن أن تستهوى أخيلة النقاد الاجتماعيين وتستغرق مقاييس الفقهاء المشترعين بل هي نزوة ديكتاتورية في أمة مستقلة أنهكتها أنواع الحروب الداخلية والخارجية » . هذا وقد صدقت توقعات الباحثين جميعاً الذين أجمعوا على أن هذه الحركة هي من صنع رجل واحد وأنها تشق طريقها ضد التيار ، وأنها لن تلبث أن تسقط بسقوطه ، ذلك أنه ما كاد الغازى يصاب بانفجار في المخ ويختفى من الواجهة عام ١٩٣٩ حتى أخذت السفينة تتحول تدريجياً عن مجراها المنحرف وتتجه شطر الإسلام بتأثير مبادئه الراسخ في قلوب الشعب . وتوالت منذ ذلك الوقت حركات التراجع عن الخطوات العصبية التي انسأقت إليها ، وإذا كانت هذه الحركة قد أمضت ربع قرن ثم لم تجد لها إحساساً بالإصالة أو الاستقرار ، فإن ذلك يعنى بحق أنها لم تكن أصيلة المجرى ولا متجهة إلى الطريق الصحيح . وقد زار محمد التابعى تركيا عام ١٩٤٦ بعد وفاة الغازى بسبع سنوات فلم يجد عبارة يصف بها المجتمع التركى الذى خلفته حركة مصطفى كمال أبلغ من هذه العبارة : « تركيا تعاني آلام المخاض » يقول ، « ما زالت تركيا وبعد ربع قرن من حكمها الجديد تعاني آلام المخاض لأنها لم تلد بعد مولودها الجديد الذى مناهى به أو منى نفسه به باعث نهضتها أتاتورك (مصطفى كمال) . لقد ألقى أتاتورك بحجرة قلم السلطنة ومن بعدها الخلافة ، وفي فجر أحد أيام ١٩٢٤ تسلل آخر خلفاء آل عثمان عبد المجيد من قصر ضوالة بغجة على ضفاف البسفور ، ومن ورائه أحد الأغوات المخلصين يحمل في يده حقيبة متوسطة الحجم ، وتوالت بعدها قوانين وأوامر الغازى أتاتورك » . والتاريخ وحده هو الذى يحكم

هل أصاب أتاتورك أو أخطأ في تقدير الحساب ، وألغيت الخلافة ، ثم فرق بين الدين والدولة ثم حوِّر أو على الأقل نوهض الدين الإسلامى فألغت الحكومة الأوقات الخيرية وصادرت أملاكها وأموالها وأموال صناديق النذور وأضرحة أولياء الله ، ثم جعلت الزواج عقداً مدنياً صرفاً لا فضل للدين فيه ولا للمأذون وجاز بعدها للتركية المسلمة أن تتزوج برجل من أى دين من الأديان ، وأصدر أتاتورك منشوراً أهاب فيه بنساء تركيا أن يخلعن الحجاب وأن يسفرن لدى العالم وجوههن وأسفرن نساء تركيا . واتجهت تركيا إلى أوروبا وسنت القوانين والنظم ما يكفل جعل تركيا الحديثة قطعة من أوروبا لا جغرافياً فقط بل معنوياً ونفسانياً، فاستبدلت الحروف التركية الأصل بالحروف اللاتينية ، وحوِّر كل شيء عربى شرقى أو من أصل عربى شرقى ، ووضعت مكان بك وباشا (مسيو ومستر) إلى هذا الحد فى الإغراق فى الأوروبية أو بالحرى على سنن الغرب سار الأتراك الأتراك والآل بعد نحو ربع قرن يتسائل الباحث : هل المرأة التركية سافرة أم محجبة ، لا هذا ولا ذاك . أما فى المدن فالمرأة سافرة ، أما فى الأناضول فى القرى ، فى سفوح الجبال وبطون الأدوية فلا تزال كما كانت على عهد السلاطين ، ويحيط برأسها وجهها قناع من الشاش الأبيض أو الأسود . هل تركيا اليوم مسلمة أو مسيحية أو ملحدة ، لا هذا ولا ذاك ، وتستطيع أن تقول إن شباب اليوم فى تركيا لا دين له أما شيوخه وفلاحوه فما زالوا مسلمين . « واللغة والكتب والصحف تطبع بالحروف اللاتينية ، والمدارس تدرس بالحروف اللاتينية ، بعد أن نحيث الكلمات التركية القديمة لتحل محل الكلمات العربية الدخيلة ، أما تركيا المدنية فهل هى ديمقراطية أو أتوقراطية أو ديكتاتورية : لا هذا ولا ذاك . ثم إن هناك معارضة أخذت تنمو وتشتد ، نلمس الآن فى تركيا تبرماً ولعله نفسانى معنوى أكثر منه مادياً ، والسبب عدم الاتساق وعدم الانسجام بين الماضى والحاضر ، وبين القديم والجديد ، فتركيا بعد أربع وعشرين عاماً لا تزال تعاني آلام المخاض لأنها لم تضع بعد مولودها الجديد . ولم تلبث أن توالى نذر التحول فى عام ١٩٥٠ تزعم التيجانيون حملة ضخمة ضد أتاتورك وأعماله وحطموا تماثيل « منشى تركيا الحديثة » ووزعت نشرات تحض على معارضة سياسة أتاتورك ومخاضة كثير من المبادئ التى يعتنقها رجال الحكم فى تركيا ، ثم تطورت الحوادث ، وعرف المراقبون أن شدة تدين الشعب التركى ما تزال ذات فاعلية وأن جماعة التيجانية - بعد جماعة النقشبندية - التى تولت قيادة الحركة هى فرع من الطريقة الإسلامية الكبرى التى تنتظم أغلب العالم الإسلامى وعلى الأخص الجزائر . وقد حاولت

الدولة التركية أن تتمحل الأسباب لهذه الحركة المضادة ولكنها غفلت عن المصدر الأساسي لها ، وقد علق عباس محمود العقاد على هذا التحول فقال إنه يرجع إلى سبب أعمق من جميع الأسباب ، فهو مظهر من مظاهر الاحتجاج على حركة الفرنجة والاستغراب التي فرضها مصطفى كمال فرضاً على الأمة التركية ، فالإجماع على معارضة هذه الحركة كامن في الوعي الباطن من أعماق الأمة التركية ، وقد اقترن ظهور التنفنج والاستغراب بظهور الحركة الطورانية في وقت واحد ، ولعل تفسير الحركة الطورانية بالاتجاه إلى الغرب هو أعجب تفسير عهده الناس لحركات الشعوب في العصر الحاضر ، وغير قليل منها مدسوس على الحركة عن قصد وتدبير وكانت مدينة سالونيك كعبة الدعوة الطورانية أو كعبة المدرسة الفلسفية التي تبشر بها وتلمس لها الذرائع في العلم واللغة ، وفي سالونيك يقيم (جوك الب) فيلسوف الحركة ، وسالونيك مدينة تغلب عليها الصهيونية واتباع شبتاي زيفي الذين دخلوا في دين الإسلام وبقوا في عزلتهم الدينية باسم الدوامة ليعملوا في البيئة التركية . وقال العقاد : « إن اتباع الطريقة التيجانية جادون في إعادة الصبغة الإسلامية إلى الحكومة وأنهم يتقصون آثار مصطفى كمال فيحطمونها ومنها تمائيله في الميادين ، وأنهم دخلوا ساحة المجلس الملى الكبير وأذنوا للصلاة باللغة العربية وقالوا إن هزيمة حزب (مصطفى كمال - عصمت آينونو) ترجع إلى جهود هذه الجماعة وتضافر دعائها على التشهير بذلك الحزب » . وليس كتاب المسلمين والغرب في مختلف أقطارهم ، هي الذين عارضوا حركة الغازي ، ولكن المراقبين الغربيين المنصفين كانوا على ذلك الرأي وفي مقدمتهم فرنان ويلي الذي يرى « أن النفوس لم تكن مستعدة لمثل هذا الانقلاب الشامل لذلك كان مصطفى كمال كي يتمكن من فرض مشروعاته الإصلاحية مضطراً لأن يمارس حكماً ديكتاتورياً ثورياً حقيقياً طوال حياته وكان حزباً واحداً هو الحزب الجمهوري كان مسيطراً على الجمعية الوطنية ، وكانت السلطة التنفيذية تطفئ على التشريعية ، وإذا نظرنا إلى مثل هذا النظام من الناحية الأخلاقية نجد مشوباً بلطخات مثل محاكمة الديمقراطيين والقمع الوحشي لثورة الأتراك » . ويتساءل : هل خضع الديمقراطيون لحكم غابت فيه الحرية على الرغم من المحاكمت التي لفظت عام ١٩٢٦ أحكاماً بالإعدام والإبعاد لعشر سنوات . وقد كانت معارضة المفكرين المسلمين والعرب منصبة على أن الحركة التي قادها الغازي لم تكن هادفة إلى الثورة على مشايخ الطرق وحدهم ولو فعلت لما أنكر عليها أحد - على حد تعبير السيد محب

الدين الخطيب، ولكنها كانت ثائرة على «العقيدة» نفسها، تريد أن تقتلعها من الأمة التركية تدريجياً وكل حركاتها وسكناتها ترى إلى ذلك ، ومن الحق أن يقول : إن التغيير الذى أدخلته القوة فى أوضاع تركية وهدمت به ركناً من الإسلام ليس فيه أدنى ضرورة ولا يقاس بما أجازه الأوروبيون تحت قاسر الضرورة ، والواقع أن أوروبا لها أن تستن من القوانين ما تشاء وهى بهذه القوانين لا تكون مخالفة للإنجيل ، لأنه لا يضم شيئاً من أمور المعاملات المدنية ، هذا بخلاف القرآن الذى شرع للدين والدنيا معاً فلا يقاس أحدهما بالآخر . وليس ما أخذت به تركيا فإن القوانين الأوروبية وفى مقدمتها القانون السويسرى الذى أخذت به تركيا مأخوذ من القانون الرومانى ومن الاصطلاحات التى أقرتها الكنيسة وكلها قديم فى قديم ، وهذا هو وجه الخلاف ، وهذا هو ما يرضى أوروبا ويجعلها تقف موقف الدفاع والتأييد لحركة الغازى وبعد ، فإن الروح الإسلامية تجددت مرة أخرى فى تركيا وانتقل الزمام ١٩٥٠ من حزب مصطفى كمال ، وسمحت السلطات الجديدة للمسلمين الأتراك بالآذان باللغة العربية وباستعمال اللغة العربية قراءة وكتابة . ويحقق تساؤل المؤرخ « توينبى » الذى شك منذ اللحظة الأولى فى جدوى حركة الغازى حين قال : « علينا أن نسأل أنفسنا ما سيكون مآل إدخال هذا المثل السياسى الغربى ذى العاطفة الضيقة فى عالم إسلامى تقضى تقاليده السالفة باعتبار كل المسلمين إخوة بسبب دينهم المشترك رغم مرونة العنصر واللغة والمنبت » . وقد اتسعت فعلاً تلك الحرية التى تعمل على مقاومة روح التغريب السائدة فى تركيا والعود إلى تعاليم الإسلام ، ذلك أن وباء التغريب لم يصب إلا المدن الكبرى والطبقات العالية ، هذه الطبقات التى أخذت تقاوم حركة العودة إلى الإسلام . وتعتبرها رجعية ، وقد أكدت هذه النقطة العجيبة على أن الحركة التى قادها مصطفى كمال كانت طفرة ، وكانت ضد طبائع الأشياء فالعالم الإسلامى متقبل ومرحب للتطور والحركة والنهضة والأخذ من الحضارة الغربية ما يدفعه إلى القوة والحياة ولكنه يلفظ كل حركة تحاول أن تخرجه عن مقوماته . لقد تحولت الصورة على نحو مشير ، كشف عنه كثير من الكتاب الذين زاروا تركيا - وهذا تقرير محمد حسنين هيكل عام ١٩٤٩ : « لم أشهد قوة الإيمان بالدين فى بلد إسلامى شرقى كما شهدته فى تركيا ، وربما كان سبب التعصب هو محاربة الحكومة التركية له بكل الطرق وليس هناك بلد شرقى إسلامى لا يذكر أهله القرآن إلا بقولهم « حضرة قرآن كريم » إذا سمعوا القرآن فى أجهزة الراديو أطفأوا السجائر وخلعوا

الأخذية وتربعوا على مقاعدهم . هذا كله برغم الحواجز والعراقيل والحرب التي أعلنت على الدين حتى فرضت الحكومة أن يردد الآذان للصلاة باللغة التركية - يقول المؤذن « الله أكبر » باللغة Tanre uludur العربية وبالحروف اللاتينية ، والخطيب يلبس القبعة ويدخل بها المسجد ثم يخلعها ويضع عمامة ، والمقاومة السلبية التي قام بها الشعب التركي لهذه السياسة مقاومة بديعة رائعة ، لا تدخل بيتاً في تركيا حتى تجد المصحف موضوعاً في أعلى مكان فيه ، ولا تتركب سيارة تاكسي يملكها مسلم أو يقودها حتى تجد آية قرآنية بخط عربي جميل ، ولا تدخل متجرّاً حتى تقابل نفس الشيء ، ولا تدخل مسجداً في استانبول (وفي استانبول ألف مسجد) حتى تجد الحلقات غاصة بالمصلين . ثم بدأت المقاومة تأخذ شكلاً عملياً ، كان خطباء المساجد يصعدون إلى المنابر ويبدأ الحديث فإذا كل ما يقولونه ينصب على حكومتهم ووصفها بأنها حكومة كفر ، وبدأت روح التذمر وإذا بمنشورات دينية توزع في الطرق ، ثم رأت الحكومة أنه من الخير أن تسمح بإصدار المجلات الدينية ، فبدأت ستة عشر مجلة دينية تظهر ، وبدأ الاكتتاب لبناء مسجد ، وفي أوساط الفلاحين في الأناضول : سلطان الدين هو السلطان . معظم الناس حتى الآن لا يستعملون الحروف اللاتينية بل العربية ، بها يكتبون وبها يقرأون القرآن حتى الأطفال الذين يزيد عمرهم على خمس سنوات . وفي أنقرة تجديبوتاً كثيرة تنتظر موعد إذاعة القرآن من محطة إذاعة القاهرة ، وتجد حلقة كبيرة منعقدة حول الجهاز الذي ينبعث منه القرآن خافتاً مرتعشاً بتأثير ضعف محطة القاهرة . ونوع آخر من المقاومة : ذهب أحد المسلمين إلى المجلس الوطني يوم انعقاده وفجأة من شرفة الزوار نهض أحدهم وصاح مؤذناً باللغة العربية بأعلى صوته وهجم الحرس يلقون القبض عليه فنهض زميله ليكمل الآذان وألقى القبض عليه فاندفعت طائفة أخرى فأكملت الآذان . وفي اليوم التالي شهدت شوارع استانبول منظراً فريداً ، حيث ذهب عدد كبير من أئمة المساجد والخطباء والمؤذنين وكان كل منهم يبحث عن جندي بوليس يعثر عليه فيقف أمامه ويصيح : الله أكبر وتكرر المنظر في يوم واحد خمسين مرة . وقدمت الحكومة الذين أذنوا إلى المحاكمة والسجن أربعين يوماً ، أما هذا العدد الأكبر من الناقمين فأُحيلوا إلى مستشفى المجاذيب . ورأت الحكومة أن الحالة ستطول وتتحول إلى حركة خطيرة ، فتقدم بعض النواب بمشروع لإدخال التعليم الديني اختيارياً في المدارس الابتدائية . وكانت قد طمست بعض الآيات القرآنية باللغة العربية البالية على بعض المستشفيات من عهد السلاطين فعادت ورفعت الطمس وأظهرت

الآيات وجددتها بماء الذهب ، وكانت قد أغلقت قبور الأولياء حتى نوافذها سدت بألواح عريضة من الخشب فعاتت أخيراً وفتحت النوافذ . جاء هذا بعد أن ظهر جيلان أو ثلاثة أجيال على درجة مخيفة من الإلحاد. إن الهوة التي تفصل الأجيال القديمة والأجيال الجديدة الملحدة هوة سحيقة وهي من أعقد مشاكل تركيا . ومسجد آيا صوفيا في تركيا تحول إلى كنيسة .. لقد جاءت الثورة التركية وقررت الحكومة أن لا يصبح مسجداً ولا كنيسة بل يصبح متحفاً ، الصلوات لا تقام فيه ، وكانت تغطي جدرانه الآيات القرآنية بالذهب وقد تبارى السلاطين في إهدائه المنابر ، ثم تقدمت جماعة أمريكية وقالت : إن متحفاً آيا صوفيا يخفي تحت الآيات القرآنية وتحت نقوشه الإسلامية آثار بيزنطية نادرة قديمة وإنها على استعداد للكشف عن هذه الآثار . ووافقت حكومة تركيا فأزالت النقوش الإسلامية والآيات القرآنية وظهرت صورة تمثل أحد الأباطرة البيزنطيين يحمل في يده الصليب وفوقه مباشرة الآيات القرآنية . وبعض أهالي تركيا المتدينين يقبلون على زيارة آيا صوفيا ليتنسّموا العهد القديم وبعضهم يحلوا لهم أن يصلي الجمعة خلصة في هذا المتحف الغريب الذي يتحول إلى كنيسة ، فإن البعثة الأمريكية أزالوا نصف المعالم الإسلامية في مسجد آيا صوفيا لتظهر الآثار البيزنطية لدرجة أن مدخل المسجد القديم أزيل ما كان عليه من آيات قرآنية فظهرت تحتها صورة للعدراء المقدسة فوقها الآية الكريمة « إنما يعمر مساجد الله » ولا يحتاج الزائر إلى حدة بصر غير عادية ليرى الدموع في مآقيهم أسى وحسرة على المسجد الشهير في تاريخ الإسلام الذي يتحول إلى كنيسة في ظل حكومة تحكم شعباً كاملاً من المسلمين » ١ . هـ . ويقول ناصر الدين النشاشيبي انه في عام ١٩٥٠ جرت المفاجأة فإذا بحزب أتاتورك « حزب الشعب » يكاد يذفن تحت الرماد فلا يفوز بأكثر من ٦٩ مقعداً بينما فاز الحزب الديمقراطي بأكثر من ٤٠٨ مقاعد - لقد جاء الحزب الديمقراطي إلى الحكم من باب الدين ، من أصوات المؤذنين في الجوامع . لقد سقط حزب أتاتورك بعد أن ظل يحكم منذ عام ١٩٢٢ ولكن يبدو أن النفوذ الغربي قد أزعجه هذا التحول فاتهم الحزب الديمقراطي بالتمرد على العلمانية وعلى تعاليم الجمهورية التركية ولكن رد الفعل الإسلامي استمر زمناً . يقول (كرافشكوفكي) في كتابه ، الشرق الأوسط : « كم كان رد الفعل الديني قوياً ، إن رد الفعل هذا كان يمثل من حيث النوعية نواة صلبة من أناس غير مسلمين نذروا أنفسهم للمبدأ وعزموا على شن حرب لا هوادة فيها من أجل تحقيق أهدافهم مع أنهم أقلية من الناس ، لقد شهدت الخمسينات في سنى هذا القرن انتعاشاً واسعاً

النطاق في الطرق الدينية مثل الطرق التيجانية . وبديع الزمان والبكتاشية والنقشبندية والقادرية والمنظمات الميالة للإسلام مثل الحزب الديمقراطي الإسلامي وحزب النهوض الوطني، وجماعة بنيوك طوفو ، هذه الجماعات تعتنق فلسفة جريئة في ميلها إلى الإسلام وتمارس في بعض الأوقات تدمير الآثار وعلى الأخص تماثيل أتاتورك . وقد كان الإقبال على الحزب الديمقراطي في تقدير (كرافشكوفسكي) أنه يرجع إلى إدخال الدين في المدارس وإذاعة القرآن في الراديو بالعربية وتكوين جناح إسلامي بين أعضائه ، وفي عام ١٩٥١ تقدم بعدة مطالب أهمها نيل الحروف اللاتينية وإعادة استعمال الأحكام الشرعية الإسلامية . غير أن محاكمة جرت لأعضاء هذا الحزب ، وصدرت قوانين صارمة تحمي ذكرى الغازي ومنع اتخاذ الدين وسيلة للأغراض السياسية وأعلن قادة الحزب أنهم يوافقون على جميع المظاهر الدالة على احترام الإسلام ولكنهم ما زالوا يعارضون الأحكام الشرعية « ١.٥ . غير أن الخطوات التي اتخذت منذ ١٩٤٦ واتسعت فيما بعد بإعادة التربية الدينية وفتح مدارس لتخريج أئمة وخطباء للمساجد وفتح كلية أصول الدين في جامعة أنقره لم يلبث أن حقق نتائج في خلال العشرين عاماً التالية فقد برزت الحركة الإسلامية واشتد عودها واستطاعت أن تخرج جيلاً من الدعاة إلى الإسلام وأن توجد قاعدة عريضة ضخمة من جماهير الشعب التركي المسلم المؤمن بأن الإسلام دين ونظام مجتمع ، وأنه لا يستقيم أمر تركيا إلا بالعودة إلى الإسلام من جديد ، وقد تمكنت الحركة الإسلامية من أن تبرز خلال السنوات القليلة الماضية كحركة لها وزنها ووجودها بالنسبة للمجتمع التركي . وقد وجهت جريدة بوكون (اليوم) التركية عام ١٩٦٨ نداءً تطالب فيه المسلمين أن يقيموا صلاة الصبح بصورة مجتمعة . وقد تحقق هذا عندما اتجهت جموع المسلمين التي تقدر بالآلاف في إشراقة الفجر في هدوء كامل ينسجم مع عظمة الموقف إلى أكثر جوامع اسطنبول حيث زحف ٥٠ ألف شخص ليقوموا صلاة شهادتها تركيا منذ خمسين سنة » ويقول المعلقون أن هذه الصلاة كانت جزءاً من سلاح قوى تستخدمه الحركة الإسلامية لضرب القوى الإلحادية ، والمنحرفة في تركيا . وكان لها رد فعل بين عناصر اليهود والماسون والملاحدة مما حمل بعضهم على التهديد بنسف مسجد أنقره ، وقد انفجرت عدة قنابل فعلاً ولكنها لم تخرج أى مصل من الصلاة ، وانصرف المسلمون بدون ضجة .

٣ - العودة إلى الإسلام

صدرت في السنوات الأخيرة دراسات ضافية كشفت حقائق ثلاث (أولاً) دور مصطلق

كمال أتاتورك وتبعيته للصهيونية العالمية وللنفوذ الاستعماري (ثانياً) دور حركة المقاومة التي قادها كثيرون ضد الحركة الكمالية وفي مقدمتها حركة المجاهد المسلم بديع الزمان النورسي (٣) حقيقة دور السلطان عبد الحميد وموقفه البطولي في مقاومة المؤامرة الصهيونية الاستعمارية . وقد كشفت مذكرات السلطان عبد الحميد التي نشرت في السبعينات ومذكرات هرتزل التي نشرت في الستينات عن موقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية بما يصحح ذلك الزيف الذي رددته الكتب المدرسية والجامعية والثقافية في البلاد العربية خلال هذه الفترة الطويلة .

ولعل قضية العودة إلى الإسلام هي أبرز ملامح هذه المرحلة ، حركة الحركة التي تبلورت في حرب السلام الوطني بعبارة نجم الدين أرباكان (استاذ الميكانيكا في الجامعة التكتيكية في استانبول ، بما يوحي أن تركيا قد عادت فعلاً إلى الأصالة الإسلامية بعد أن انحرفت - عنها بفعل المحاولة الخطيرة التي جرت لتغزيتها على أيدي جماعة الدوغة : الانحاديين الكماليين على طول الفترة التي امتدت خلال حكم السلطان عبد الحميد وبعد اسقاطه وخلال الفترة من ١٩٠٩ إلى الحرب العالمية الأولى حيث دخلت تركيا الحرب في صف ألمانيا وحاقت بها الهزيمة ، وحيث سلم حزب الاتحاديين الحاكم طرابلس الغرب لإيطاليا وقبل معاهده لوزان التي قضت بتسليم الشام بأجزائه الأربعة إلى فرنسا وانجلترا ، وفلسطين إلى اليهودية العالمية .

كان السلطان عبد الحميد قد عرف خطة الصهيونية العالمية في الاستيلاء على بيت المقدس ، وإقامة هيكل سليمان نتيجة للمخططات التي كان يجري تنفيذها في الأمبراطورية العثمانية ، تحت ستار التنظيمات الماسونية التي نشرتها وهكذا دفع السلطان عبد الحميد ثمن موقفه الحاسم من الصهيونية العالمية ، وكان للنفوذ الأجنبي مشاركة ضخمة في هذا الأمر ، ذلك لأن اللواء الذي رفعه تحت اسم «الجامعة الإسلامية» خارج نطاق الدولة العثمانية : «يا مسلمي العالم اتحدوا» قد هز الدوائر الاستعمارية هزاً شديداً ومن ثم كانت المؤامرة ذات شقين :

١ - اسقاط السلطان عبد الحميد : وهذه كانت مهمة الاتحاديين . ٢ - اسقاط الخلافة العثمانية وهذه مهمة الكماليين . وبذلك وئدت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بحذف صاحبها من سجل الحكام . ولم يكن الكماليون والاتحاديون إلا فرعاً من دوحه واحدة : تقاسمت العمل على مرحلتين للأجهاز على الدولة العثمانية والخلافة ، وفتح الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل إلى فلسطين ، ولتمزق العرب والترك ولتمكن للاستعمار البريطاني والفرنسي من إقتسام تركة ما كان يطلق عليه الرجل المريض » ولقد كان السلطان عبد الحميد يعرف

دخائل هذا المخطط كله : بفروعه وخلفياته ، فيما يتصل بالدوغة والمخافل الماسونية ومخططات الاتحاديين وتركيا الفتاة وفي مقدمتهم مدحت وأحمد رضا . ويعرف الأهداف الخطيرة التي يدور حولها تأمر الصهيونية مع بريطانيا وغيرها من دول أوروبا ، ولكنه بعد كل الوساطات التي بذلها هرتزل أرسل إليه كلمته الواضحة الحاسمة الصريحة : « أنصح الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع . اني لا أستطيع أن اتخلي عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي . لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم . إذا مزقت امبراطوريتي فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلائمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً في جثثنا . وانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » . وكان هذا الرد الحاسم هو منطلق الحملة العاصفة التي شنتها الصهيونية والاستعمار على السلطان عبد الحميد عن طريق الصحف العربية التي كان يصدرها . الموارنة اللبنانيون خصماء الإسلام والخلافة الإسلامية وهم الذين حملوا على السلطات تلك الحملات الضخمة (المقطم - المقتطف - الهلال) أمثال : جرجي زيدان فارس نمر ، صروف مكاريوس ، سليم سركيس ، لويس صابونجي ، وما أطلق عليه من بعد اسم السلطان الأحمر ، وما ذهبوا يلفقونه من اتهامات كاذبة عن الدردنيل ومن يلقي فيه وعن والسجون والأحكام مما ثبت من بعد أنه وهم باطل حتى لقد قال أحدهم لجماعة من السوريين زاروا تركيا وركبوا في الدردنيل مركباً : قولوا لنا اسم رجل واحد ألقاه السلطان أو أمر بالقائه في الدردنيل ولكنها كانت المحاولة لتدمير السلطان وسمعته وهدم مواقفه الكريمة قبل التآمر عليه ولقد عاشت الصحف وداسات المدارس والمؤرخين تحمل هذه الأكاذيب سنوات وسنوات حتى تكشف في الأخير فساد هذه الأباطيل والادعاءات . يقول حسان حلاق في أطروحته : « في الوقت الذي كانت المؤامرة تحاك في الخارج ضد الدولة العثمانية كانت مؤامرات تحاك في الداخل تضم مجموعات تركية ويهودية بتشجيع من الدول الاستعمارية وكانت تهدف إلى قلب نظام الحكم وخلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ، ذلك لأن السلطان كان العقبة التي تقف في طريق الصهيونية إلى فلسطين ويؤكد القنصل البريطاني الجديد في القدس - بلش - عام ١٩٠٨ المصاعب التي وضعها السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة الاستيطان اليهودي في فلسطين ويمكن القول أن اليهود لعبوا دوراً فعالاً في انقلاب عام ١٩٠٨ ويؤكد ستبون واتسون هذه الحقيقة بقوله : « ان أصحاب العقول

الحركة لحركة الانقلاب في الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهوداً ومن الدوئمة أما المساعدات المالية فإنما كانت تصلهم عن طريق الدوئمة ويهود سالونيك الممولين ، وتقول صحيفة المشرق (ان الكل يعلم أن مركز الانقلاب إنما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفاً » وهناك معلومات تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير إسلامية وغير تركية فمنذ نشأتها لم يظهر من قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص كان جاويد يهودياً من الدوئمة وقارصوه من اليهود الأسبان وطلعت بلغاريا أما أحمد رضا فقد كان نصفه شركسياً والنصف الآخر مجرياً ، أما نسيم وسو ونسيم مازلياح فقد كانا يهوديين . ويقول : ويبرز دور اليهود ثانية في حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ثم أوفدوا هيئة مكونة من عارف حكمت وأسعد طوبتاني وغالب باشا ومن زعماء اليهود قارصوه رئيس المحفل الماسوني في سلانيك وشلمون ابران ووصلوا إلى بلدز لابلاغ السلطان نبأ الخلع وكانت مشاعر التأثير والانزعاج بادية عليه فقال بغضب : ما هو عمل هذا اليهودي (يقصد قارصوه) في مقام الخلافة . بأي قصد بهذا الرجل أمأي . ويذكر النقيب التركي (ديبيرلي) بأن السلطان عبد الحميد حدثه عندما كان مسجوناً في سلانيك عن آخر اجتماع له مع الزعيم الصهيوني هرتزل ورئيس الجاخامين في تركيا فقال : تصور أن هذين اليهوديين مثلاً أمأي ليقدا إلى سلطنتنا رشوة . صرخت في وجههما قائلاً : ان اخراجا من هنا . ان الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال القصر أن يقودهما حالاً إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح اليهود أعدائي فما ألقى هنا في سلانيك من عذاب الاعتقال ليس سوى جزائي منهم حيث لم أقبل أن أقطع لهم أرضاً لبولتهم المزعومة . ويذكر السلطان نفسه في وثيقة على قدر من الأهمية موقف الاتحاديين والصهيونية من سياسته فيقول : « أن هؤلاء الاتحاديين أصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين - ووعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية وبعد جواي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيعيدوني إلى سلانيك » . والمعروف أن السلطان عبد الحميد أقام إقامة جبرية في سالونيك (مقر الدوئمة اليهود) منذ عزل عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٦ حيث توفي رحمه الله في إقامة مجهدة سيئة ولا ريب أن مذكرات السلطان عبد الحميد التي نشرت أخيراً باللغة العربية قد كشفت كثيراً من الحقائق وأوضحت موقف هذا الرجل المسلم العظيم ، ودحضت تلك الصور الزائفة التي حشدها في تاريخه الظالمون من الدوئمة واليهود

والاستعماريين والموارنة في تلك الكتب التي سبق أن ترجمت إلى العربية مثل كتاب عبد الحميد ظل الله على الأرض (أو قصة الانقلاب العثماني لجرجي زيدان وغيرها ، لقد عاشت هذه الحقائق مدفونة في الأضيال منذ خمسون عاماً حتى أذن الله لها بأن تكشف وأن توضع الحقائق في مكانها الحق وأن تصحح وقائع التاريخ . لقد كشفت المذكرات كيف كان السلطان عبد الحميد ضحية مؤامرات صهيونية واستعمارية غاشمة كانت تهدف إلى تفويض دعائم الخلافة وتفكيك أوصال الدولة العثمانية وأن الخليفة واجه الإغراء والتأمر جميعاً بآباء وشمم إسلامي وكان يعرف مصيره ، ولكنه أثر إرضاء الله على رضا اليهود ومطامع الدنيا . وقد أشار السلطان في مذكراته إلى ما ظل منشوراً أكثر من خمسين عاماً من كذب وبهتان حين قال ان الأمة تنسى بسرعة فاستميتها العذر للذين يجادلوني سياسياً دون تبصير بما يدور من وراء الستار من الأعياب وما تهيه الدول الكبرى من مؤامرات عدوانية . لقد اهتموني بالخور لأنني لم أشترك بالحركات القومية قلباً وقالباً . لعلمهم ينسون المآسى التي جابهتها » . لقد تحدث السلطان عن الدسائس الأجنبية والفساد في أجهزة الحكم والحملات الصليبية على الدولة وتحدث عن ثروته ومخصصاته وكيفية انفاقها وما ترتب عليه من التزامات وواجبات . لقد كان القضاء على السلطان عبد الحميد مقدمة للقضاء على الخلافة الإسلامية ، وكان بطل هذه المرحلة مصطفى كمال : الذي أطلق على نفسه زوراً وبهتاناً (أتاتورك) أي أبي الشعب التركي . ولقد ألفت في تمجيد أتاتورك وتكريمه مئات الكتب بلا مبالغة استهدفت خلق حالة متوهجة كاذبة لهذا الرجل الذي حطم طابع الإسلام في دولة الخلافة ونقلها من أقصى مكان في خدمة الإسلام إلى أقصى مكان في خصومة الإسلام ومعارضته ويكفي أن يراجع المثقف المسلم رموز الموضوعات التالية - ألغى الحروف العربية وفرض الحروف اللاتينية حتى في طبع المصحف الشريف . - ألغى الشريعة الإسلامية وفرض قوانين الأحوال الشخصية . - حرم تعدد الزوجات وجعل الفصل وحده هو الفصل في طلب الطلاق - عدل قوانين الموارث الإسلامية فسوى بين الابن والبنت . - أباح للمرأة الخروج والرقص والسفور ودفعها دفعاً إلى حانات الهوى والفساد . - أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج بمن تشاء من أي دين . - قرر إلغاء الأوقاف الإسلامية . - جعل الدولة علمانيه وقرر أن الدين قضية شخصية . ألغى الخلافة الإسلامية والمحاكم الشرعية وقوانين الشريعة الإسلامية وقرر العمل بالقانون المدني السويسري والجنائي الإيطالي والتجاري الألماني . - منع التعليم الديني ومنع الأذان بالعربية

وحطم الأساس الدينى وغير وجهة الشعب التركى . ولقد خدع مصطفى كمال المسلمين فى المرحلة الأولى من حياته بتعاونه مع جماعات إسلامية ولكنه ما أن يمكن من امتلاك إرادة الحكم حتى كشف القناع عن عداء سافر للإسلام حتى وصف بأنه واحد من ثلاثة إمامين طائفة الدوثة أو من الماسونية وقع فى حياثل اليهودية العالمية أو من غلاة الطورانيه التركبة والحقيقة أنه كل ذلك وقد كانت حياته الشخصية مثالا رديئاً لحاكم ينتسب اسماً إلى الاسلام فقد عرف بأسرافه فى الخمر وعلاقات الفساد والاعتداء والسطو والقتل بالظنة وكشفت تصرفاته عن بغض الدين عامة وللإسلام بصفة خاصة ويرجع ذلك إلى أنه كان تلميذاً أصيلاً لتعاليم ضياء كوك الب داعية الطورانية وعودة الأتراك إلى أجدادهم القدماء . والتذكير لتاريخهم الاسلامى ولقد كان أشد قسوة بالنسبة لرجال الاسلام الذين عارضوه ودفعوا الناس إلى مقاومته والتخلص منه . وقد كشف الضابط التركى السابق فى كتابه (الرجل الصنم) كمال أتاتورك الذى ترجمه الأستاذ عبدالله عبد الرحمن هذه الجوانب المظلمة والغامضة والسوداء من حياة هذا الرجل على نحو واضح صريح وكانت آية الآيات فى حياته هو ذلك الولاء المزدوج لبريطانيا ولروسيا الشيوعية فى آن ، ولقد تكشف أن هناك معاهدة سرية أقرها مصطفى كمال وبها أعطى حق الحكم والسلطان فى تركيا تتضمن عدة مبادئ أهمها : - الحكم بالنظام الفردى واسقاط الشريعة الاسلامية وتطبيق القانون الوضعى . - والقضاء على علماء الاسلام وإخراجهم من البلاد . - القضاء على الخلافة الاسلامية . - القضاء على القرآن واللغة العربية . والمراجع لحياة كمال أتاتورك يتبين له بوضوح أنه قام بتنفيذ هذه المعاهدة السرية التى قيل أنها كانت مرفقة بمعاهدة لوزان تنفيذاً صحيحاً . ان هذا الكتاب يقدم مجموعة ضخمة من الوثائق عن حياة مصطفى كمال لا يستطيع الباحث المنصف أن يتجاوزها دون أن يسجل بعض الخيوط العامة فيها . عن صلته بالانجليز وما تحمله الوثائق تشير إلى عبارة قيامه ببيع الوطن إلى الانجليز (ص ٤٧٣) وأن البطل الحقيقى لمعارك أرمرى هو (قره بكير) وليس مصطفى كمال وأنه كان يعمل ديكتاتوراً ويدير الدولة كما تدار مزرعة ، وأنه كان يقوم بفرض رأيه على كل عمل ويقول (ص ٤٨١) بعد أن حصل على منصب القائد العام بالحل . والطرق الملتوية لم يدع هذا المنصب يخرج أبداً من يديه وقد قام بواسطة رجاله الفدائيين من تهديد معارضيه والقضاء عليهم ولم يظهر فى الجيش العثمانى عسكري ظالم وحريص على المنصب إلى هذه الدرجة مثله . استولى على مساعدات العالم الاسلامى (ص ٤٨٩) نفذ كل ما طلبه منه الانجليز : ١ - ترك الموصل ٢ - ترك الجزر اليونانيى ٣ - تنازل عن كل الحقوق

حول مصر وقبرص - ٤ - تنازل عن طلب التعويضات من اليونان ٥ - عدم تحصين المضائق أو وضع جند حولها وتجريد المنطقة الممتدة من مضيق البحر الأسود حتى مضيق (جنة قلعة) - ٦ - ألغى الخلافة - ٧ - أكد العلمانية (ص ٤٩٠) . كذلك كشفت هذه الوثائق عن أنه عضو ماسوني عامل (أورد ذلك فالح رفقي أثارى) مؤلف كتاب (جانقيا) يقول : لو لم يكن مصطفى كمال ماسونياً فمن كان يتناول إلى الانتساب إلى مثل هذه الجمعية السرية في عهده (ص ٤٩٢) كذلك أشارت الوثائق إلى موضوع الاتصال بالنساء وطالبات المدارس مما كان حديث المجالس ، ويشير الكاتب إلى أخطر موقف في حياة مصطفى كمال وهو إلغاء الخلافة يقول الكاتب إنه عندما عرض الأمر على الهيئة المكونة لبحث الأمر تردد الأعضاء فوقف يقول أن هذا أمر محتم وإني أرى أن من المستحسن أن يوافق المجتمعون هنا وأعضاء المجلس وكل واحد ولكن إذا حدث العكس فإن هذا الأمر سينفذ في إطار المجرى الطبيعي ولكن من المحتمل أن بعض الرؤوس ستقطع ولكن هذه السنوات المظلمة لم تمر دون مقاومة ، فقد ظهر كثير من دعاة الحق يكشفون زيف اتجاه مصطفى كمال وكان أبرزهم الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي ، الذي كان قد حضر إلى استانبول من شرق تركيا في عهد السلطان عبد الحميد يطلب فتح المدارس وإنشاء جامعة في ديار بكر ، وتطوع للقتال وأسره الروس ونفوه إلى سيبيريا ولكنه تمكن من الفرار والعودة إلى تركيا ، فانضم إلى حركة مصطفى كمال التي كانت تستهدف تحرير الوطن ثم اختلف مع أتاتورك حين ظهر الانحراف فنفته السلطة إلى غرب البلاد ، فظل بين نفي وسجن وتحديد إقامة من ١٩٢٨ إلى ١٩٥٠ ألف خلالها ألف ومائة وثلاثين كتاباً سماها (رسائل النور) شرح فيها الإسلام بأسلوب استهوى الشباب ، فتناقل الناس هذه الرسائل نسخاً باليد ، وأصبح قراء هذه الرسائل يسمون طلاب رسائل النور ، أو جماعة نور جو وبلغ عددهم ثلاثة ملايين شاب تركي ، وقد أصبحت هذه الجماعة القوة الحقيقية في الجامعات التي سحقت حزب الشعب (حزب أتاتورك) وعزلت عصمت آينونو خليفة أتاتورك من الحكم . والواقع أن سعيد النورسي كما تقول مريم جميلة في كتابها عنه كان رجلاً على الإيمان مصدراً في فهم الإسلام تقول : كانت روحانيته العالية فوق المحن والامتحان » ولذلك فإنه ما كاد يدخل السجن حتى أصبح سجانوه من تلاميذه ومن أحسن الناس تديناً وغيره على العقيدة ، فقد تهافت زواره في عزله على استنساخ ما تنتجه عبقريته المؤمنة بحيث لم يمر وقت قصير حتى كانت عشرات الآلاف من مخطوطات هذا التفسير تتناقلها الأيدي وتدرس في المدن والقرى والمدارس وحتى الوزارات : يقول بديع الزمان

النورسي : « لقد أتاحت لي آلام المنفى والسجن والاعتقال فترة هدوء وصفاء أتاحت لي التأمل في الحقيقة القرآنية الخالدة ». غير أن السلطات لم تدعه يعمل ، فعمدت إلى تليفق تهمة ضده وضد مائة وعشرين من أتباعه ومريديه ساقطتهم إلى محكمة الجرائم ، فأنفذتلى بدفاعه أمامها فقال : « الحق أنني لا أنوى بأى حال من الأحوال الاستيلاء على زمام الحكم ، وكل ما أسعى إليه هو أن أهدي قوى إلى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحكيم . نحن لا ننتمى لأية نخلة من النحل ولا ندعو لعصبية ولا لفرقة ، ولكننا أنصار متحمسون للحقيقة ، الله غايتنا والرسول قائدنا ، والشرع الشريف دستورنا . إننا لا نملك أى تنظيم خاص ونحن بمعزل عن السياسة وكتابنا رسالة النور مدرسة بدون مدارس ولا مناهج ولا أموال ، أنها مدرسة روحية كتابها القرآن المنزل » ثم أضاف يقول : « لقد أكد وكيل الاتهام بأنه بلغ من مدى ذبوع (رسالة النور) أن قرأها عام ١٩٤٧ ستائة ألف شخص منتشرين عبر إقليم الأناضول من أساتذة وعمال وفلاحين وطلبة وموظفين ، وماذا فى ذلك ؟؟ هل أدت تلك القراءة بواحد منهم بتهديد الأمن العام أو خرق دستور البلاد ، إذا فكيف تبسحون لأنفسكم غلق هذه المدرسة التى تنبع أصولها من قلوب مثل هذا العدد العظيم من المواطنين الأتراك . أن البعض يأخذ باعتمادى طربوشاً على رأسى ويرى عدم خلعى له إهانة بمجلسكم الموقر . تذكروا أنهم قلة أولئك الذين استبدلوا عن طوعية ورضا عمائمهم بغطاء الرأس الأوروبى واذكروا أن الملايين من الأتراك أكرهوا على ذلك الاستبدال اكراهاً ، ويجرى ذلك فى الوقت الذى يتاح فيه للماسونيين وأشباعهم من أن يسخروا - بكل حرية وفى جرأة ووقاحة - بالإسلام وأن يمتدحوا ويمجدوا ملذات الخمر وأن يزينوا الزنى وأن يشوقوا الناس إلى الخمر فى حين يحرم على وعلى أتباعى أن نذيع وننشر رسالة القرآن المجيد وأن ندعو إلى الله ، إنكم تتهمونى بأننى رجعى شرير ، وأنتم تعلمون أننى من أبطال الوطنية منذ نعومة أظفارى ، وإنى أخص النمل بجانب راتب من قوى إعجاباً منى بتنظيمها الديمقراطية ، وإنكم لتزعمون أنى أدعو إلى ضرب من التصوف وأنا أؤكد لكم أن الجنة ليست للمتصوفة وحدهم ، ولكن من المؤكد أنه من المستحيل أن يدخل الجنة من لا يؤمن بالله ، ولا يلنزم بشرعه فى ظرف عشرين سنة تعاقبت أثناءها على دست الحكم ثلاث حكومات من لدن أتاتورك حى الآن ، وفى خلال هذه الفترة مثلت أمام محكمتين ولكن أية منهما لم يتوفر لديها أى دليل على إدانتى ، بله تلك القرية التى تزعم أنني عدو لتركيا . وإذا كان الأمر كذلك فاتركونى لأداء رسالتى » . ثم لم يلبثوا أن أحالوه مرة

أُخْرِىَ إِلَى المحاكمة . قال افتترضون أيها الحكم إننى أعمل لغاية نفعية . ها أنذا أمامكم شيخ يحمل على كتفيه أثقال الثمانين ، رجله فى القبر ، فقير لا يملك شيئاً من متاع الدنيا لا مالا ولا عقاراً فماذا تروننى صانعاً وأنا فى هذا السن بمتع الحياة الدنيا ، لقد قضيت حياتى فوق ساحات الوغى ، كما عانيت الاعتقال فى معسكرات الأسرى ، وعشت طريداً فى المنافي والسجون لقد طاردتمونى من مكان لآخر ، وأبعدتمونى من مدينة لغيرها كأننى متشرد منبوذ من المجتمع ولم تتورعوا حتى على حرمانى من الاتصال بأهلى وأقاربى ، ولو لم يكن إيمانى واحتسابى يعصمانى من الوقوع فى وهدة اليأس ، لاستطبت الموت وفضلته على مثل هذه الحياة المنغصة ، ولكن هذه الحياة على غصصها وآلامها أتاحت لى أن أكتب « رسالة النور » التى بفضلها أتيحت السلامة من العذاب الدائم ، لما يزيد عن النصف مليون من الناس فالحمد لله ألف مرة وإياه أشكر أن وفقنى بتضحية من أجل شعبى . إن عذاب النار أو نعيم الجنان عندى سيات إذا ما جحد القرآن فى هذه الدنيا لأننى وإن أكن منعماً فى الجنة فإننى لأشعر بدبيب الألم يمشى فى أعماق نفسى إذا ما حصل ذلك ، بيد أننى لأشعر بسعادة عارمة تملأ على نفسى إذا سلمت العقيدة فى وطنى تركيا ، ولو كنت أعذب فى أعماق الجحيم . وهكذا قيض الله لتركيا رجلاً حمته رحمة الله من أن يشنق أو يقتل حتى أدى رسالته فمن سغير هذا الجحيم ، نشأ وكتب ، وحفظ الله له ما كتب فوصل إلى كل مكان وانتفعت به الملايين ، وحرر الفكر الإسلامى التركى من التبعية . وكان النورسى عالماً بكل أساليب الاتحاد والترقى والكمالين ، مؤمناً بأن دعوة القرآن هى المنطلق الوحيد للإصلاح ولإنقاذ المسلمين . « لم ينشك يدعو الشعب بحرارة وإيمان إلى التمسك بأهداب القرآن الكريم كما لم ينشك يحذر مواطنيه من الوقوع فى حبال الغرب مبيناً لهم أن البديل الوحيد للإسلام هو العبودية للغرب وأن المسير فى ركاب الغرب يؤدى حتماً إلى فناء الذاتية وذويان الشخصية » . ولقد كانت عبارته أمام محاكميه مليئة بالإيمان والقوة ، ولو كنت أملك ألف روح ، لضحيت بهن الواحدة تلو الأخرى طائعاً مختاراً فى سبيل الذود عن الإسلام ، إن أى عمل يتناقض مع الإسلام ما هو إلا باطل فى اعتقادى وإننى فى هذه اللحظة لأضع قدمى على أبواب البرزخ فى انتظار الرقعة التى ستقودنى إلى العالم الآخر ، وأنا مطمئن ومستعد كل الاستعداد للرحيل إلى الدار الباقية ، لألحق ببلخوانى الذين انقذهم قرار محكمتمكم الجائر من حياة الطغيان والعلو فى الأرض بغير الحق . « وفى كل مكان كان يدافع عن الحق : « لو أن المسلمين أخلصوا لعقيدتهم ودافعوا عنها بكل قوة

وإيماناً لأنّ تحل الحضارة الإسلامية محل الحضارة الغربية التي ينخرها سوس الأطماع الخسيسة والشقاق بالإضافة إلى أنّها حاوية من كل اتجاه روحى . وتعرض للموت أكثر من مرة ، عندما حكموا عليه بالإعدام ثم أطلقوا سراحه وعندما أسره الروس فى الحرب العالمية الثانية وحكموا عليه بالإعدام ثم عفى عنه . ولقد كان يهز الناس كلما تكلم حتى أعضاء برلمان أتاتورك حين وجه إليهم مذكرة من عشر نقاط قال فى مقدمتها : « اتقوا يوماً تقفون فيه أمام الله سبحانه ولا يغرنكم انتصاركم بالأمس على العدو لتفسدوا هذا النصر بسلوك فخر ، إنكم إن تخشرون تقليد الأوربيين فإنكم ستفقدون عطف ومؤازرة العالم الإسلامى الذى سيتحول عنكم إلى جهة أخرى .. فكان من أثرها أنّ التزم مائة وستون نائباً على الالتزام بشعائر الإسلام فى حياتهم وسلوكهم . وقد حاول مصطفى كمال أنّ يستدرجه لموالة نظامه عن طريق الإغراء المادى فعرض عليه أنّ يكون الإمام الأكبر لإقليم الأناضول ، ولكن بديع الزمان كان فوق كل إغراء وفضل الانزواء والبعد عن ضجيج المدن ، حيث نصب نفسه داعية إلى الله فاجتمعت إليه هذه البذرة التى نمت من بعد وسرعان ما التفتت الفئة الحاكمة إلى هذا النشاط وعملت على تعطيله وأبعدته إلى منطقة نائية فى أعماق تركيا ظل مبعداً بها ثمانية أعوام محروماً من الاتصال بأفراد أسرته وأهله . ومات أتاتورك عام ١٩٢٨ وعاش النورسى إلى ١٩٦٨ ثلاثين عاماً بعد أتاتورك أفسح الله فيها العمل لدعوة الحق ، ومات ليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة القدر عن ست وثمانين سنة ، بعد أنّ ترك ذلك التراث وتلك الجماعة المؤمنة التى هى عماد النهضة الإسلامية فى تركيا اليوم . ومن نقطة (رسائل الثور) بدأ التحول فى تركيا الإسلامية مرة أخرى عودة إلى المنابع ، ويرى المؤرخون أنّ انتخابات عام ١٩٥٠ تعتبر نقطة التحول فى تاريخ تركيا الحديث ، كانت بداً سقوط ذلك الفكر العلمانى الفاسد الذى سيطر على تركيا هزيمة حزب الشعب . حزب أتاتورك ، فقد كان حزب عدنان مندريس (الحزب الديمقراطى) قد قدم برنامجاً ضخماً يتضمن عودة الأذان بالعربية ، والسماح للأتراك بالحج ، وإعادة تدريس الدين بالمدارس وإعادة أيا صوفيا مسجداً ، ومن ثم فقد حصل على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعداً وسقط حزب أتاتورك الذى حصل على (٣٢ مقعداً) وكان من طالع التحول الجديد : أنّ عقد عدنان مندريس أول جلسة لمجلس الوزراء فى غرة رمضان وأعاد الأذان باللغة العربية وبدأ تعمير المساجد واستعادت الحكومة المساجد التى باعها أتاتورك وقرر تدريس الدين بالمدارس ، وفتحت مدرستان للأئمة وفتح خمس وثلاثون ألف مدرسة لتحفيظ القرآن .

ومن قلب هذه الأحداث نشأ حزب السلامة الوطنى الذى اقترن اسمه باسم الدكتور نجم الدين أربكان أستاذ الميكانيكا فى الجامعة التكنيكية فى استانبول وبذلك برز فى تركيا اتجاه إسلامى واضح وعميق من خلال التحرك السياسى : وكان حزب السلامة علامة على الفكر الوطنى الأصيل الذى يستمد جذوره من الإسلام وسطا بين حزب الفكر الحر الليبرالى (حزب العدالة) والفكر اليسارى (حزب الشعب الجمهورى) وبذلك أصبح حزب السلامة عاملاً الموازنة فى الحياة السياسية التركية .. وقد كانت بيانات حزب السلامة تعلن دائماً أنها تهدف بالوصول بالأمة التركية إلى أن تنهض معنوياً ومادياً . وأن الشعور الوطنى للأمة كل لا يتجزأ . والشعب التركى مرتبط بماضيه يحترم تراثه وعرقه ويحافظ عليهم وهو بعيد عن كل تقليد ، مدرك تمام الإدراك لشخصيته الأصيلة ويقرر حزب السلامة : ضرورة إلغاء الربا بكل حزم والقضاء على الإسراف . وقد أعلن برنامجاً طويلاً للتصنيع ومنها المصانع الحربية بدلا من الخضوع للدول الأجنبية ، ويقول نجم الدين : نريد أن تكون تركيا دولة رائدة ، وليست تابعة تدور فى فلك الآخرين . وقد قام الحزب خلال اشتراكه فى الحكم بتخصيص ٤٠ مليون ليرة تركية لمشروع جامع القرية ، وتخصيص ميزانية جديدة لكادر الأئمة والمؤذنين ومدارس تحفيظ القرآن ، ووجه الحزب عناية واضحة لمدارس الأئمة والخطباء . كذلك حمل الحزب على المطبوعات المخلة بالأداب ، وأقام أكاديمية للعلوم الإسلامية وأعد لها قانوناً بالفعل وضاعف عدد المعاهد الإسلامية العالية . وكشف نجم الدين عن فساد الفكر الوافد سواء الاشتراكى منه أو الرأسمالى : فقال عن الأول أنه فكر يهدر الحريات ويضر بالكيان القومى ويركز على مصادر أجنبية أما الفكر الرأسمالى فهو فكر يقوم على الربا ومصدره أجنبى أيضاً ، أما حزب السلامة فيمضى فى طريقه رافعاً راية الأخلاق والأصالة وقال أن النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى لا يقتصران على ميدان الاقتصاد وإنما يمتد تأثيرهما إلى الميدانين الاجتماعى والمعنوى ورغم اختلاف النظامين فى الظاهر فكلاهما مادى وكلاهما نفعى وكلاهما يريد ربط الأمم الأخرى به ثقافياً وكلاهما يعمل على النهوض بالجانب المادى فى مقابل انحطاط فى الأخلاق والمعنويات وكلاهما يزداد ارتفاعاً مادياً مع هبوط فى الثقافة والأخلاق . وفى مختلف ميادين السياسة الدولية قدم نجم الدين مفاهيم إسلامية أصيلة وقد لخصت جريدة انزيجر الألمانية هذا التحول الخطر بقولها إن عودة الإسلام لتركيا ومخالفتها بذلك لأسس الدولة العلمانية التى أرسى أتاتورك دعائمها لثار تفكير من قبل جهات عدة ، إن المستفيد من هذا كله حزب السلامة الذى هو ضد عضوية تركيا فى حلف شمال الأطلسى ودخول تركيا عضواً فى السوق الأوروبية

المشتركة . ولقد دعا نجم الدين إلى ضرورة تطوير علاقات تركيا بالعالم الإسلامي من جميع الوجوه وأن لا تظل هذه العلاقة صورية وإنما يجب أن تكون علاقات فعلية متطورة . حيث أن في العالم ما يقرب من خمسين دولة إسلامية يبلغ سكانها ملياراتاً وهذه الدول الإسلامية سوق طبيعية قوية لإنتاجنا . وهكذا حدث تحول كبير في تركيا بعد أن ظل حزب الشعب الذي أنشأه مصطفى كمال أتاتورك ١٩٢٢ - ١٩٥٠ حزباً علمانياً وعندما مات أتاتورك ١٩٣٨ خلفه عصمت أيونونو في رئاسة الحزب ، ومنذ عام ١٩٥٠ لم يستطع هذا الحزب أن يحكم بمفرده . وإن دخل أحياناً الوزارة في ائتلاف مع أحزاب أخرى ، ويعبر حزب السلامة رسمياً عن اتجاهاته بعبارات الأخلاق والمعنويات والعودة إلى التراث والمحافظة على المقدسات . وقد كان من أثر ذلك أنه عندما مات خليفة أيونونو رفض الشعب الاشتراك في الجنازة ، ولما حملوه إلى أحد المساجد رفض الإمام أن يصلي على جثمانه وترك المسجد وظلوا ينتقلون به من مسجد إلى آخر حتى عثروا على شيخ يقوم بهذه المهمة وما كاد الشعب يعرف ذلك حتى حاصر المسجد وهم بخطط الجثمان ولم تتم الصلاة على جثمانه إلا في حماية الجيش . ولم تكسب تركيا من التجربة شيئاً ، قال إقبال : « إنكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوروبا وصحبتها مع أنكم كنتم بفضل الإسلام على مقربة من النجوم والكواكب » ، ويقول ارنولد توينبي « إن تركيا عندما تغيرت أصبحت عالة على التكنولوجيا الغربية ولم تستطع أن تقدم شيئاً ، وقد ظلت تركيا حتى يومنا هذا متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة لم يعترف بها الغرب كدولة أوروبية وما علاقتها بالغرب إلا علاقة الأحلاف والتبعية » . ولقد كان من أبرز عوامل التقارب مع العالم الإسلامي : انعقاد مؤتمر السيرة النبوية بتركيا عام ٧٧ فقد أحدث شعوراً طيباً بتعميق هذا الاتجاه الأصيل . ولقد كان من أبرز أحداث هذا المؤتمر ، أن تم بين المؤتمرين عقد اتفاق يجسد واجباتهم نحو عقيدتهم وبلادهم وقد حرر الاتفاق على صيغة تعهد التزم به المسؤولون عن الصحافة الإسلامية التي شاركت في المؤتمر وركز الميثاق على القول بأن الإسلام يدعو إلى تثبيت الأخوة الإسلامية ومحاربة كل فكرة عنصرية أو سلافية ولذلك فإن الصحافة الإسلامية تلتزم بالعمل لتثبيت فكرة الأخوة بين مختلف الشعوب الإسلامية . وهكذا تزحف تركيا مرة أخرى بقوة إلى استعادة مكانتها في عالم الأصالة والقيم وحضارة الإسلام وتحطم ما عاقها خلال خمسين عاماً عن أداء دورها المرموق .

(٣)

إيران : الشيعة ومقاومة النفوذ الاجنبى

ما تزال « إيران » تمثل ثقلاً هاماً وخطيراً فى خريطة العالم الإسلامى وتركيبه ، باعتبارها أحد العنصرين الكبيرين الذى تشكل منهما بناء الإسلام فى مرحلته الأولى ، وأحد الأجناس الخمسة الكبرى : العرب والفرس والترك والبربر والزنوج ؛ الذين يتشكل منهم عالم الإسلام . وما تزال منذ العصر الإسلامى الأول تمثل قطاعاً له طابعه بحكم سيطرة اللغة الفارسية واستمرارها وبقائها إلى جوار اللغة العربية ودون الانصهار فيها أغلب اللغات فى هذه المرحلة ، وإن كانت اللغة الفارسية الجديدة بعد الإسلام قد كتبت بالحروف العربية . والمعروف أن الإسلام قضى على نفوذ الدولة الأسبانية وقوض العرش الكسروى ، غير أن فارس ظلت تقاوم انصهارها فى العرب ثم استطاعت فى ظل الدولة العباسية أن تصبغ الحضارة والفكر بطابعها ، وأن تزيد نفوذها وتدعمه . فقد قامت الدعوة العباسية فى خراسان بزعماء أبى مسلم الخراسانى ، وأقامت عرشها فى خراسان ، ثم كان من علو أمر البرامكة فى ظل الرشيد ، مما انتهى بالقضاء عليهم وكان انتصار المأمون على الأمين تركيزاً للطابع الفارسى وضعفاً للعنصر العربى ، ثم تقلص هذا النفوذ فى عهد المتصم الذى استعان بالأتراك وقد أقام الفرس عديداً من الدول : الصفارية والسامانية والبويهية . وفى ظل فارس نمت الدعوة إلى آل البيت وكونت قطاعاً من المعارضة للقيادة السياسية الإسلامية ، ومنذ قتل الإمام على ، وقتل من بعده الحسين فى موقعة كربلاء أخذت دعوة آل البيت تتسع وتعمق . وبرز مفهوم الشيعة المعارضين لنظام الحكم ، وانضوى تحت اسمهم عدد من الفرق الغالية ، غير أن الإمامية الإثني عشرية ظلت أقرب إلى مفهوم الإمامة العلوية . وفى إبان غزو التتار للعالم الإسلامى سيطر المغول على إيران ثم تركوها نهياً للولاء إلى أن قامت الدولة الصفوية ١٤٩٩م ، واستمرت إلى ١٧٣٦م وكانت إحدى الدول الإسلامية الثلاث : العثمانية فى تركيا والمغولية فى الهند وقد وقع الصراع بين العثمانيين والصفويين عهداً طويلاً وكان هذا الصراع عاملاً من عوامل الشقاق الذى فرض نفسه على المسلمين : بين السنة والشيعة . كان الشاه إسماعيل الصفوى قد تبنى مذهب الشيعة ، وكان السلطان سليم يناصر السنة ومن هنا فقد أصبح الخلاف بين إيران وتركيا ، صراعاً بين المذهبين . وقد غزا السلطان سليم إيران ١٥١٤م وهزم الإيرانيين ودخل السلطان سليم تبريز حاضرة إيران ووالى الأتراك غزو إيران وارتدوا عنها ولكنهم تركوا فى النفوس خصومة

وصراعاً بعيد المدى ، وقد أفاد النفوذ الاستعماري الغربي الزاحف على العالم الإسلامي بهذا الصراع ، فاتصل البريطانيون بالشاه عباس (١٥٨٧ - ١٦٢٩) ووسعوا نفوذهم داخل إيران ، وكان لهذه الصلات أثرها في تأريث الخلافات بين فارس وتركيا حتى لا تلتقي الجبهة الإسلامية على وحدة واحدة . ومن ثم عاود السلطان مراد الرابع ١٦٣٥ زحفه على أذربيجان ومملك تبرير وقصد إلى بغداد . ليسترجعها من الإيرانيين فأخذها عنوة وظلت العراق في يد العثمانيين منذ ١٦٣٨ حتى استولوا عليها مرة أخرى الإنجليز ١٩٢٠ . ثم سقطت إيران تحت حكم الأفغان وعادت مرة إلى حكم أبنائها فقامت فيها دول الافشار حتى ١٧٥٠ والدولة الزيدية إلى ١٧٤٩ والدولة القاجارية التي حكمت ١٧٩٤ إلى ١٩٢٥ حيث أحدث رضا خان انقلابه العسكري واستولى على حكم إيران . وقد وقع في هذه المرحلة التدخل المزدوج من الروس والإنجليز في شئون إيران وظل الصراع بين النفوذيين مستمراً . وقد وقع حكام إيران تحت نفوذ بريطانيا وحاول جمال الدين الأفغاني في عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) أن يصدر الدستور فرفض الشاه أن يقبل الحريات التي وضعها للشعب واختلف معه فترك البلاد ، ولقد ظل يناوئ ناصر الدين ويحرض عليه حتى قتل في أول مايو ١٨٩٦ . وكانت الحركة الوطنية في إيران قد تأججت ١٨٩٠ حين منح الشاه شركة انجليزية حق احتكار تجارة التبغ مقابل نصيب من أرباحها فأفتى العلماء بتحريم التبغ وأضرب الأهالي عن التدخين فاضطر ناصر الدين شاه إلى إلغائه بعد أن دفع نصف مليون من الجنيهات تعويضاً للشركة . ثم تأججت الثورة الفارسية ١٩٠٤ - ١٩٠٥ للمطالبة بحكومة دستورية تقييد سلطة الشاه . وكانت أول ثورة على النظام الاستبدادي في الشرق ، واضطر الشاه إلى إعطاء الشعب الحكم الدستوري ١٥ - ٨ - ١٩٠٦ وأعلن الدستور ٣٠ كانون أول ١٩٠٦ غير أن روسيا وانجلترا لم تلبشأن اتفاقاً فيما بينهما ١٩٠٧ على تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ تجاري حيث عقدت بريطانيا مع روسيا الاتفاق الودي الثلاثي بانقسام مناطق النفوذ في إيران حيث أصبح القسم الشمالي منها خاضعاً لنفوذ القيصر ، والقسم الجنوبي في نفوذ بريطانيا ولم يبق إلا جزء صغيراً ينحصر في طهران وما حولها . ووقعت على اثر هذا « الثورة الإيرانية ١٩٠٨ » في مواجهة الثورة الدستورية في تركيا وقررت بخلع الشاه محمد على وتولية الشاه أحمد بوضاية الأمير عضو الملك وأعيد الحكم الدستوري ، وقد استمر التنافس بين النفوذيين الروسي والإنجليزي حتى فبراير ١٩١٨ حين رحلت القوات الروسية عن شمال إيران واستطاع الإنجليز الوصول إلى

بحر قزوين والسيطرة على إيران كلها وشم بدأ نفوذهم منذ ١٩١٨ يزداد قوة ، حتى استطاعت بريطانيا عقد معاهدة ١٩١٩ التي صحب البلاد بموجبها تحت الحماية البريطانية . غير أن الروس أخذوا في مراجعة بريطانيا من جديد حين توغلت قواتهم في شمال إيران . وكان ذلك مقدمة لحركة في الجيش الإيراني بزعامة رضا خان وقيادة ضياء الدين طبا طبا أشهر كتاب إيران لإنقاذ البلاد من النفوذ الأجنبي . وقد اتسعت هذه الحركة حتى استطاعت خلع أسرة قاجار عام ١٩٢٥ وبذا بدأ عصر إيران الحديثة حيث حكم رضا خان (١٩٢٦-١٩٤١) . وقد استطاع النظام الجديد أن يقوم بكثير من أعمال الإصلاحات ، وفي مقدمتها موقفه من شركة البترول الانجليزية التي تسيطر على استغلال البلاد إذ ألغى امتيازها عام ١٩٣٢ واضطرها إلى قبول شروط جديدة ألغى الامتيازات (مايو ١٩٢٨) .

(٢)

استطاع النفوذ الأجنبي الزاحف على العالم الإسلامي أن يوسع شقة الخلاف بين الدولتين الكبيرتين في القرن التاسع الهجري (الدولة الصفوية الفارسية) و(الدولة العثمانية) . وأن تركز بريطانيا على فارس في مواجهة الدولة العثمانية ومن ثم اتسع النفوذ الأجنبي في فارس وبدأ التدخل واضحا من كلا الجانبين : روسيا القيصرية وبريطانيا في الميدانين السياسي والاقتصادي . وفي ظل هذا النفوذ أدخلت إيران النظم العسكرية الأوروبية على جيشها وأنشأ ناصر الدين شاه أكاديمية العلوم والفنون ١٨٥٢ على أساس أوروبي وكان أساتذتها من الأوروبيين الذين يعلمون علم الغرب وثقافته وتاريخه ، وقد ترجموا إلى الفارسية كثيراً من الكتب هذه العلوم وظلت هذه الأكاديمية مركزاً لثقافة الغرب وعلومه حتى القرن العشرين . وفتح الفرنسيون والأمريكان والبريطانيون ثم الروس والألمان فيما بعد مدارس حملت مظاهر النفوذ العسكري لهذه الدول وتوزع عليها ولواء الإيرانيين . ويرى بعض المؤرخين أن بداية ظهور النفوذ الأجنبي بإيران كان أبان حكم الشاه على شاه (١٧٩٨-١٨٣٤) ممثلاً في بريطانيا والروس . حيث كانت بريطانيا تسعى إلى بسط نفوذها على إيران خوفاً من نفاذ الخطر الروسي والفرنسي إلى الهند . ويمكن أن يقال إن البترول كان أخطر العوامل التي أحاطت فارس بهذا التزامم والصراع ، وقد بدأ ذلك عندما عقد وليم دارسي ١٩٠١ مع الشاه مظهر الدين امتياز الاستغلال البترول (٦٠عاماً) مقابل عشرين ألف جنيه انجليزي تدفع نقداً

وحصة ضئيلة من محصول الشركة المستغلة تبلغ ١٦ في المائة من أرباحها كل عام . وقد بدأت مع هذا الامتياز قصة الصراع الكبرى بين الدول على هذا الامتياز حيث استطاع الراهب روزنيوم أن يحصل عليه من دراسى لحساب بريطانيا عن طريق تلك المؤامرة الرهيبة ، وقد تبين هذا الراهب إنما هو جاسوس يهودى (سكرنى ريللى) كان يعمل فى دائرة المخابرات وكانت الدائرة قد عهدت إليه بالحصول على امتياز دراسى لشركة نفط بورما التى كانت تمدها إمارة البحر البريطانية بالعون والتى سميت فى نفس العام ١٩٠٨ شركة النفط الانجليزية الفارسية . ومنذ ذلك التاريخ والبتروى هو العامل الهام والخطير الذى يحرك الأحداث فى إيران فقد تدخلت بريطانيا لتحول دون وقوع صفقة البتروى الإيرانى فى أيد غير بريطانية ، حيث استطاعت تأمين الأسطول البريطانى العامل فى الباسفيك وبحار الصين والمحيط الهندى والبحر الأبيض وفى عبادان : بنت أكبر مصفاة : لتكرير البتروى فى العالم بالإضافة إلى مكانتها الاستراتيجية على خطوط المواصلات بين الشرق والغرب ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فكان إنتاج مصفاة عبادان ٢٧٠ ألف طن من البتروى زادت عام ١٩١٨ إلى تسعمائة ألف طن وبعد الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران الدولة الرابعة فى إنتاج البتروى فى العالم والدولة الثانية المصدرة للبتروى بين دول العالم . وفى عام ١٩٥١ حيث قامت أكبر ثورة من أجل تأمين البتروى كانت الآبار فى عبادان تنتج اثنين وثلاثين مليوناً من أطنان البتروى . وفى ظل نفوذ البتروى إبان الحرب العالمية الأولى وقع شاه إيران معاهدة تمثل الحماية البريطانية المنقعة حيث تعهدت بريطانيا بتنظيم الجيش الإيرانى ومنح إيران ما يلزمها من المال . غير أن الحلفاء لم يلبثوا أن احتلوها ثم اتفقوا على اقتسام أسهم شركات البتروى فى إيران والعراق بين فرنسا وأمريكا وبريطانيا بحظوظ متعادلة . وتجدد الحديث حول البتروى عندما تولى رضا خان أمر إيران وبعد أن أنهى حكم أسرة قاجار عام ١٩٢٥ حيث جرت المفاوضات لتعديل اتفاقية البتروى المجحفة بحقوق الشعب الإيرانى . حيث عقدت اتفاقية جديدة تفضل اتفاقية سنة ١٩٠١ فى بعض الوجوه تدفع الشركة فيها ٢٠ فى المائة ولكنها تجدد الاتفاق ٦٠ عاماً أخرى إلى ١٩٩٣ . ويمثل بترول إيران المركز الاستراتيجى الأول للأمبراطورية البريطانية وللأسطول البريطانى والأمريكى فى الحرب العالمية الثانية وكان الأمل معقوداً للجيش وأسلحة الطيران على مصانع التكرير فى عبادان وكانت إيران صاحبة الفضل الأول فى انتصار الحلفاء . غير أن رضا شاه لم يلبث أن استعان بالخبراء الألمان

وعقد معاهدات تجارية مع ألمانيا المتلرية فحجب نفوذ بريطانيا وروسيا وظل يحجبه حتى اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية فكان عاملاً من عوامل عزل بريطانيا والحلفاء للشاه إفساحاً لجيوشها باحتلال إيران لتأمين وصول الامدادات إلى الجبهات الروسية بعد أن رفض رضا شاه إنذارهما ، احتلت بريطانيا وروسيا البلاد في أيام معدودات ، (١٩٤١) بعد عشرين عاماً من حكم دكتاتورى حقق بعض الأعمال العظيمة . وكان الشاه في خلال أعوام حكمه العشرين قد تحول إلى مثل شاهات قاجار الذين تخلص منهم . وفي ظل الاحتلال البريطانى يقظ المتنبه إلى ما يريد عادت قوة القبائل لنفوذها بتسليحها وإفسادها وإغداق الأعطيات عليها لاستخدامها في الضغط على القوى الوطنية وقت احتمت هذه القبائل بوجود الجيوش الأجنبية المحتلة والتي كانت تقوم بتسليحها تقوم أغلب هذه القبائل قرب الحدود الإيرانية العراقية أهمها (قبائل البخترى) والقشقاى . وفي الشمال وفي الشرق على محاذاة الحدود التركية الروسية والأفغانية والباكستانية أولت القوات البريطانية اهتمامها للقبائل الكردية والتركية المختلفة بحيث أصبحت قادرة بهاعلى أن توجه الأحداث . وقد كان هذا التحدى استعداداً مسبقاً لذلك الشعور الجياش في أعماق أهل إيران الذين يملكون البترول الغزير المتدفق ويقاسون أشد حالات الفقر وسرعان ما برزت قوى ثلاث هى الحزب الإسلامى والكتلة الوطنية وحزب توده الشيوعى تتصارع والنفط هو القضية . وتصدر الدكتور محمد مصدق وآية الله كاشانى قيادة العمل في خطورة جريئة هى تأميم البترول ضد الشاه وبريطانيا . ولا شك أن معركة النفط عام ١٩٥١ هـ من أحدث العالم الإسلامى الكبرى بما آلت إليه من هزيمة للقوى الوطنية وانتصار للاستعمار ونفوذه ، وهى أن انتهت هذه النهاية فقد تركت بصماتها في أحداث الشرق كله وما تزال تفعل الكثير ثم لم يلبث أن ظهر عامل جديد فى الأمر فبعد أن كان الصراع بين قوى نفوذى بريطانيا وروسيا أصبح النفوذ ثلاثياً بين أمريكا وبريطانيا وروسيا . وقد كشفت معركة تأميم البترول عن أن المفاهيم والثقافة الإسلامية ما تزال عاملاً هاماً في الحركة الوطنية والسياسية ، فقد قاد زعماء الشيعة حركة تأميم البترول بزعامة كاشانى وكان رجال الكتلة الوطنية بقيادة الدكتور مصدق من أتباعهم ، وقد ظل النصر معقوداً لهم ، حتى إذا وقع خلاف بين كاشانى ومصدق بدأت كفة الاستعمار ترجح . لغت فكرة التأميم في ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٧ حيث أصدر مجلس النواب الإيراني قراره برفض منح امتيازات جديدة لأى رأس مال أجنبى للبحث عن

البترول في إيران . وأضاف القرار العمل على مفاوضة شركة البترول الانجليزية - الإيرانية لرفع نصيب إيران من بترولها إلى ٣٠ في المائة غير أن لجنة البترول في مجلس النواب برئاسة الدكتور مصدق رئيس الكتلة الوطنية لم تلبث أن أصدرت قراراً مفاداً أن خير عمل هو « تأميم البترول » . . وسقطت الوزارة وجاءت وزارة رزام أراه الذي اتفق الانجليز والأمريكان والشاه على أنه أقوى رجل في إيران المواجهة الموقف وكان من رأى مصدق أن اتفاق رضا خان الذي عقده عام ١٩٣٣ باطل لأنه وقع في عهد كملت فيه الحريات وليس للشركة سوى (اتفاق دارسي) الذي ينتهي بعد عشر سنوات . ولما كانت الشركة قد استهلكت خمس أسداس حقوقها فإنه لم يبق لها إلا السدس من العشر سنوات القادمة ويمكن تعويضها عنه . ولم يلبث رازم راه في الحكم أكثر من أربعة شهور ثم دوت أربع رصاصات أردت رئيس الوزراء قتيلاً وقال قاتله (خليل طهمسي) : نعم قتلت رازم أراه ، ولم يكن لي شركاء في شرف قتل الخائن ، وأصدر نواب صفوى رئيس جمعية فدائيان إسلام بياناً قال فيه : إن البطل الذي قتل رازم راه الخائن أدى واجبه . وأصدر آية الله كاشاني الزعيم الروحي بياناً قال فيه إن الرصاصات التي أردت رازم راه قتيلاً قد أكسبتنا معركة البترول رغم أنف الخائن المضرع بدمه . ووجدوا في جيب القاتل ورقة مكتوبة عليها (الجنة تحت ظلال السيوف) ورفض جميع أئمة المساجد في طهران أن يشتركوا في جنازة رئيس الوزراء . وأعادت الأحداث صورة جمال الدين الأفغاني والشاه ناصر الدين . وقد عرف آية الله كاشاني بعدائه الشديد للانجليز ، وكانت له سابقة في الجهاد خلال ثورة رشيد الكيلاني عام ١٩٤١ ، وكان لا يملك السيطرة على أموال الشيعة الطائفة وله ولاء على الكتلة الوطنية التي تضم عشرة نواب في البرلمان تخرج من السربون برئاسة الدكتور مصدق . وكان كاشاني يردد دائماً صيحة واضحة : الانجليز أضاعوا قرآتنا ، وكان غلادستون يقول : لا طريق للإنجليز بين الأمم الإسلامية ما دام فيها القرآن ، ليخرج الانجليز من كل بلد إسلامي . ومضت الحركة خطوات في سبيل الهدف وحاولت بريطانيا أن توقف الثورة حين أعلنت أنها تدفع ٥٠ في المائة من الأرباح واضطرت بريطانيا أن ترحل مواطنيها ، غير أن النواب الذين ناصروا مصدق في مجلس النواب سرعان ما انقلبوا عليه ، ورفضوا منحه الصلاحيات المطلقة لمدة ستة أشهر واضطر إلى الاستقالة ولم يستطع خلفه « قوام السلطنة » العمل واضطر الشاه إلى استدعاء مصدق مرة أخرى لتأليف الوزارة وانتخب آية الله كاشاني رئيساً لمجلس النواب ، غير أن الخلاف ما لبث أن

وقع بين الزعيمين الديني والسياسي . فقد كان من رأى مصدق أن لا سبيل للإصلاح إلا بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي وتطهير الجيش وإعطاء خمس محصول الأراضي للفلاحين المستأجرين الفقراء ، وعارض كاشاني هذا القرار ، واشتد الخلاف وبلغ درجة بعيدة من العنف والاتساع وكسب النفوذ الاستعماري الموقف ، واضطربت الوحدة الوطنية الإيرانية وضربت شركات البترول ستاراً جديداً من الحصار الاقتصادي على زيت إيزان في الأسواق العالمية ورفضت أمريكا وروسيا شراء البترول أو توقيع اتفاقيات أو قروض معها . ولم يستطع الدكتور مصدق أن يفعل شيئاً بالرغم من إعلان خفض سعر البترول الإيراني إلى نصف سعره العالمي ولم تغن ثروة الذهب الأسود الإيرانية هذه البلاد شيئاً في محنتها ، بل ربما كانت عاملاً هاماً في إسقاط مصدق . وإن استطاع أن يوازن بين الصادرات والواردات على نحو مذهل .

(٣)

لا شك كانت التحديات بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية منذ القرن (العاشر) وتلك الحروب والغزوات المتصلة سبباً في توسيع شقة الانقسام بين السنة والشيعة التي ظلت آثارها حية وقائمة إلى أن استطاع الاستعمار الزاحف لتطويق عالم الإسلام الانتفاع بهذا الصراع ودعمه والتركيز عليه . فقد آزرت بريطانيا فارس مؤازرة ضخمة ، في نفس الوقت الذي كانت تعمل فيه للقضاء على الدولة العثمانية . وفي خلال هذه المعركة عمقت طوايع الخلاف واتسعت الشقة بين السنيين والشيعة ، وما زالت عقابيل هذا الخلاف باقية إلى اليوم بالرغم من المحاولات المتعددة للقضاء عليها وللإستعمار أثر لا شك في بقاء هذه الهوة للحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي والتقاءه في «رابطة تامة» . وقد أكد هذا المعنى كثير من الباحثين الشيعة أنفسهم ، تقول مجلة العرفان : «إن الفارقة بين السنة والشيعة جاءت من الحكام الظلمة الذين لا يحكمون إلا إذا تعددت الكلمة وتفرق الشعب شعباً وأحزاباً . ولما جاء الاستعمار غذى هذه الروح وعمل على تقويتها وقسم البلاد العربية وأقام بها الحدود والسدود وغذى الطوائف فإذا أردنا أن نحمل الإسلام فعلياً أن نقضي على النفوذ الخارجي وأن نعرض الإسلام عرضاً سليماً بدون سنة ولا شيعة» . ولا شك يحمل العثمانيون وزراً في تغذية هذا الخلاف . ولكن النفوذ الاستعماري كان من وراء تعميقه ولو ترك العثمانيون والفرس لأنفسهم

لالتقوا على جامعة تجمعهم هي جامعة الإسلام وكلمة لا إله إلا الله.. وقد جرت في العصر الحديث محاولات لتصفية هذا الخلاف وما تزال وكان للأزهر دوراً كبيراً فيها فقد حدثت لقاءات متعددة بين علماء السنة وعلماء الشيعة في مجالات مختلفة أهمها المؤتمرات الإسلامية الكبرى . وفي طليعة من دعى إلى تصفية هذا الخلاف : جمال الدين الأفغانى ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشرى ، محمد حسين آل كاشف العطاء شيخ جامع المنجف الأشرف ، محسن الأمين ، محسن الحكيم . ومن أشهر من نبه إلى قيمة الكنوز الدفينة في مذهبي الإمامية والزيدية : محمد أبو زهرة ، السنهورى ، شلتوت ، محمد المدنى . ومن الحق أن يقال إنه ليس بين الشيعة والسنة من خلاف في الأصول العامة فهم جميعاً أهل التوحيد ، وإنما في الفروع ، وهو خلاف يشبه ما بين مذاهب السنة نفسها (الشافعية والحنفية) . فهم يدينون بأصول الدين كما وردت في القرآن والسنة المطهرة ، كما يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به ويبطل الإسلام بالخروج منه من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة ومن ، الحق أن السنة والشيعة هما مذهبان من مذاهب الإسلام يستمدان من كتاب الله وسنة رسوله وتتميز الشيعة بتقدير وافر لأهل البيت ولا يوجد في أهل السنة من ينكر فضل آل البيت ومصر معروفة بحب آل البيت . ويحاول الشعوبية ودعاة التغريب دوماً إثارة الخلاف بين السنة والشيعة : فيقولون للشيعة إن السنة تنكر استحقاق «على» للخلافة قبل أبي بكر ، ويقولون للسنة إن الشيعة تفضل علياً على أبي بكر وعمر ، ويقولون للشيعة إن أبا بكر منع ميراث السيدة فاطمة من أبيها ، وقد ألف أحد المستشرقين كتاباً باسم «فدك» في محاولة لإثارة شبهة عن الضيعة التي كانت تطلب بها السيدة فاطمة والتي احتج الخليفة أبو بكر في الاعتذار عنها بأن الأنبياء لا يورثون . وقد أكد كثير من أعلام الشيعة على أن الغالبية كالباطنية وغيرها ليست من الشيعة وأن الشيعة منها براء ، وأن الشيعة لا تتهم وإنما توجه التهم إلى الفرق التي أدعت أنها باسمها وأن للشيعة أعلام عظماء خدموا الإسلام وكانوا من كبار رجاله أمثال : عمار ابن ياسر وسلمان الفارسي والأحنف بن قيس وسعيد بن المسيب وأبو الأسود الدؤلي والفرزدق والكميث وابن الزوني والبيهقي ومهيار الديلمي وابن هانيء الأندلسي وأبو فراس الحمداني والطبراني والشريف الرضي ولا شك أن الشيعي والعلوي والدرزي والاسماعيلي والسني كلهم منضوون تحت كلمة التوحيد وخلافهم في الفروع وحدها وهو خلاف لا يفرق ، وهم متفقون في الأصول يقولون بأن لا يحكم بالكفر على أحد من

أهل القبيلة والشيعة الإمامية أكثر فرق الشيعة عدداً وانتشاراً ويسمون الاثنى عشرية ، ويبلغ الإمامية سبعون مليوناً موزعون في العراق وإيران ومنها ٣٢ في الهند وباكستان و ١٠ ملايين في روسيا وتركستان وبخارى والأفغان ولبنان وبعضهم في سوريا والحجاز واليمن ومنهم مجموعات في الصين والتبت والصومال وجاوه وتركيا والبحرين والكويت وقد بذل أعيان الشيعة جهداً واسعاً في سبيل تحرير الفقه الإسلامي من أغلاله ولهم اجتهادات دائمة لم تتوقف . وقد حاول المستشرقون وخاصة المستشرق رونلدس في كتابه (عقيدة الشيعة) إيقاع الفتنة بين المسلمين ودعم هذا الدس بشتى الأساليب ، وقد دفع الإمامية ما جاء في كتابه من إتهامهم بتحريف القرآن وإنكاره . وقد دعا كثير من مجتهدى الشيعة وفي مقدمتهم العلامة جواد مغنية إلى عدم التعصب لمذهب فقهي خاص ، فإن ذلك تعصب للسياسة التي كانت وراء المذهب ، وقال إن الشريعة لها أصول مقررة والخلاف والجدل بين المذاهب إنما حصل فيما تفرع عن تلك الأصول وما يستخرج منها . وقال : : إن في كتب الشيعة الإمامية اجتهادات لا يعرفها أهل السنة ولو أطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة ومفكرها ، نقول وكذلك الشأن بالقياس إلى كتب السنة وعلماء الشيعة . وجملة القول إن محاولات الغزو الفكرى والاستعمار القملى والتغريب والشعبوية ما تزال تتدخل إلى حد كبير في توسيع شقة الخلاف بين أهل السنة وبين الشيعة وفي إذاعة الشبهات وترديدتها وتجديدها في مختلف كتب الباحثين عملاً على تمزيق وحدة المسلمين وتعميق الخلافات الفرعية وتحويلها إلى خلافات جذرية والحيلولة دون الالتقاء . وما يزال المذهب الجعفرى هو المذهب الأساسى للفقه الشيعى .

في هذا الضوء ينظر إلى حركة المقاومة للاستعمار التي حملت لواءها إيران فهي مرتبطة إلى حد كبير بالمفهوم الإسلامى الشيعى العنيد في مقاومة كل غزو والذى حمل دوماً لواء المقاومة للحكام المستبدين . وقد تجلت هذه المقاومة في مواقف حاسمة : (١) معركة التنباك . (٢) مقاومة الغزو البريطانى الفرنسى . (٣) مقاومة الاستبداد .. (٤) حركة تأميم البترول . ولقد استغلت القوى الأجنبية فرصة الخلاف بين تركيا وإيران فأيدت إيران تأييداً أفسح لها مجال النفوذ فقد شرعت الارساليات الانجليزية والفرنسوية والأمريكية تتوافد

إلى إيران منذ أواخر حكم ناصر الدين شاه (١٨٨٠) وتفتح مدارسها في وجوه الإيرانيين الذين ينتمون إلى الطبقات العليا والوسطى ، وكانت الشركات الأجنبية قد حصلت على امتيازات اقتصادية عظيمة الشأن ، ولم يكن في وسع ناصر الدين أن يوقف هذا السيل الجارف من الأوربيين الذين يحملون معهم الثقافة الغربية . وكان الشاه قد سمح للانجليز باحتكار صناعة التبغ فقاطع الأهالي الدخان وقام العلماء بحملة عنيفة اضطرتهم إلى أن يلغى الاحتكار (١٨٩٠) . ومن حق أن يقال إن الإيرانيين اتجهوا إلى الجامعات الأوربية ١٨٦٥ تقريباً . وإن ذلك الاتجاه الباكر الذي حاول النفوذ الاستعماري تأكيده وتعميقه خلق حاجزاً ضخماً بين إيران وبين العالم الإسلامي وصبغها بصبغة التغريب من ناحية وحال بينها وبين الانصهار في المجموعة . غير أن ثبات علماء الشيعة المسلمين قد حفظ مفهوم الاسلام في مواجهة الغزو الغربي : سياسياً وعسكرياً وثقافياً - قادراً على الحياة فكان عامل المقاومة في مختلف العصور وفي جميع حركات الثورة والمقاومة إسلامي الطابع . وفي خلال العقود المتوالية من القرن العشرين جرى تحول كثير فيه مرونة والتقاء بالعالم الإسلامي بعد أن ظلت فارس تمثل شخصية مستقلة عن العالم الإسلامي ، باعلاء مفهومها العقائدي ، ولكنها كانت عرضة لخطر النفوذ الغربي شأنها شأن مختلف إجزاء العالم الاسلامي ، بل لعل موقعها الخطير قد عرضها لنفوذ مزدوج وصراع متصل بينها وبين الروس في الشمال والبريطانيين في الجنوب ويرى كتاب الغرب ودعاة التغريب أن فارس كانت دوماً ذات طابع خاص بحسبانها مجموعة شيعية وسط الأغلبية السنية في أفغان والهند والمجموعات السنية في العراق ومصر وتركيا ، وأن هذا الخلاف العقائدي قد شكل مع الزمن . شعوراً قومياً كان دائماً موضع الصراع بين العرب والفرس . وبين الفرس والترك من ناحية أخرى . ولا شك كانت خطة الاستعمار واضحة منذ عاون عباس الأكبر (١٥٨٧) لإنشاء جيش مسلح لمواجهة الأتراك . وهي تستهدف السير في مخطط توسيع الخلاف وتعميقه بين ايران وتركيا وبين إيران والعرب كخطة يسعى الاستعمار دائماً إلى ابقائها واستمرارها . غير أن المسلمين الترك والعرب قد تنبهوا إلى هدف الاستعمار وحاولوا إحباطه فقد تمت خطوات كثيرة في السنوات الأخيرة للتقارب والانتماء على المستوى السياسي والمستوى الفكري أيضاً . عاشت إيران في العصر الحديث مدة طويلة تحت حكم ال قاجار امتدت ١٥٠ سنة حتى اسقط حكمهم رضا خان

عام ١٩٢٠ وكان أهم آثار هذه الأسرة تقبل التدخل الأجنبي في الأمور الداخلية فقد كان الأجانب يسرون مختلف أمور إيران وكان للنفوذ الأجنبي أكبر الأثر في ترسيخ أقسام رؤساء الاقطاع وتشجيعهم على العصيان والثورة . وكان تدخل الانجليز في أمور إيران يتمثل في حجب مختلفة منها سياسة المحافظة والدفاع عن الهند ، وقد انتهز الانجليز ضعف إيران خلال حكم أسرة فاجار فوسعوا نفوذهم في أطراف خليج فارس بحسبان باب الهند ، وكانت سياسة إيران تضطرها إلى عدم التعرض لرواد البحار والسفن التابعة للدول الكبرى وتجارها وبعثاتها الاستكشافية ، فقد أعطت الحرية التامة لتجارة الأجانب وعلى الأخص الإنجليز الذين اكتسحوا الأسبانيين والبرتغاليين من طريقهم . وقد مكنت هذه السياسة بريطانيا من التلاعب في أمور إيران الاقتصادية والسياسية ، بفرض الامتيازات الهامة كالسكك الحديدية لجميع طرق إيران ١٨٨٩ وامتياز تأسيس المصارف ١٩٠٨ وامتياز التبغ والتبako ١٩٠٨ . وكانت حكومة قاجاز كحكومة إسماعيل في مصر مدينة مرهقة يحيطها النفوذ الأجنبي من مختلف أقطارها . وقد وضع الاستعمار البريطاني الخطط لإثارة القبائل وتجهيز الطوائف المختلفة بالأسلحة وشد أزر الأمراء والشيوخ ومحاولة تقسيم إيران إلى ولايات ومناطق عشائرية وكان اتصالها بأكبر القبائل والعشائر لإثارة الخلاف والارتباط مع الأجانب وكان ذلك جرياً على القاعدة البريطانية والاستعمارية التي تقول : « إن الوظيفة الكبرى للمثليين البريطانيين البريطانيين في البلاد الشرقية هي إضعاف الحكومات في كل شيء وبث التفرقة وتشجيع تعدد المذاهب والآراء والعقائد ثم تأليب فئة على الأخرى وإشغال الحكومة والشعب على بعضها بغية التدخل وسيطرة بريطانيا العظمى عن تلك الدول » . غير أن العلماء الشيعيين المسلمين لم يتوقفوا عن العمل في سبيل مقاومة النفوذ الأجنبي ، وكان جمال الدين الأفغاني قد قاوم استبداد « ناصر الدين شاه » وحاول أن يحقق لإيران دستوراً يكفل للشعب حقوقه ازاء سلطات الشاه المطلقة فأخرج من إيران ولكن لم يكد يعلن منح حق امتياز التباك والدخان للمستمر تالبت في ٨ مارس ١٨٩٠ وكانت مدة الامتياز خمسين سنة حتى كان هو نقطة الانتفاضة بعد أن أسرف الشاه في منح امتيازات مختلفة للشركات الأجنبية بعد أن منع البارون جولياس روتر حق إنشاء البنك الشاهاني ١٨٨٩ كما منحه حق استخراج جميع المعادن في إيران : ورأت الأمة الإيرانية إسراف الشاه في منح الامتيازات للشركات الأجنبية فثارت ثائرتها ولم تنطق بعد هذا صبراً ورأت حكومة الشاه أن تخدم اتجاه الرأي العام فألقت

القبض على زعماء الثائرين . وكان جمال الدين - الذى اقتاده جنود الشاه إلى منطقة الحدود العثمانية - يعرف ما للحاج مرزا حسن شرازى كبير العلماء والمهدين من نفوذ عظيم فأرسل إليه خطابه المشهور : « هذا يومك يا حجة الإسلام فإن لم تسمع نداء القوم وإن لم تنهض لجمع شملهم ، وتوحد كلمتهم وتضم صفوفهم ، وتدفع عنهم بقوة الشرع الذى أنت حامية ظم الظالمين فقل على ممالك الإسلام السلام . إن العلماء ينتظرون بفروغ صبر كلمتك وإن التاريخ ليرمق عن بعد سيرتك فماذا أنت قائل والسلام » . وقد أصدر كبير المجتهدين من مقررته (سر من رأى) فتوى تحريم التمباك والدخان ، « تلك الفتوى التى سرت مسرى الكهرباء فى جميع البلدان فأقفلت مخازن الدخان وأبى البائعون بيعه ، والشارون مشتراه ، حتى لقد هشم رئيس خدم الشاه كل مافى القصر الملكى من نراجيل ، واتلف ما فيه من دخان بدون أمر أو استئذان وعندما عنفه الشاه على فعلته قال : وهل استأذنتم قبل الإقدام على ذلك ، أجاب بشجاعة وسكون : « لقد أمر الشرع فلا بنا إلى استئذان السلطان » .

وبرزت منذ تلك اللحظات حركة مقاومة للشاه تمثلت فى اتحاد شامل وجمعيات وطنية ، وحاولت الحكومة أن تخفف من ضغط الأزمة فأعلنت إنها اتفقت مع شركة الاحتكار على ألا توظف فى إدارتها أجنبياً ، ولكن إعلانها لم ينقص من حماسة الأمة ولم يزد النار إلا ضراماً « فهاجم الشعب محلات الشركة فى كل مكان ومزق إعلاناتها فأرسلت الحكومة خمسمائة فارس بقيادة سعد الدولة للقبض على السيد (كالمكير كلاروسى) أحد زعماء الثائرين فلم يتمكن الجنود من ذلك إلا بعد معركة شديدة قتل فيها ما يزيد على مائتى نفس من الأحرار .

« ونزول الشاه على إرادة الحكومة وأعلن أن الامتياز قد أصبح باطلا ، ولكن حجة الإسلام أبى أن يرفع فتوى التحريم حتى يتأكد من بطلانه تماماً وعلى ذلك استمر الشعب مقاطعاً ، فعز ذلك على ناصر الدين شاه فعمد إلى العنف وأرسل إنذاراً إلى الحاج ميرزا حسن ميرزا اشتياني أحد كبار علماء طهران يخيره فيه بين التدخين والنفى بفضل الخروج من بلده على الخروج على أمته وزحفت الجماهير على قصر الشاه معلنة سخطها ، وفى أواخر يناير ١٨٩٢ نالت الأمة ما أرادت فألغى الامتياز ، وكانت مسألة التنباك فرصة لإعلان الثورة ، فكانت على أشد ما تكون فى عهد محمد على شاه حفيد ناصر الدين الذى حاصر نواب الأمة فى البرلمان ، ثم سلط عليهم المدافع تدكه على من فيه » . وكان من نتيجة ذلك أن أقدم ميرزا

رضا كرماني تلميذ جمال الدين الأفغاني على اغتيال ناصر الدين شاه يوم الجمعة ١٨ ذى القعدة ١٣١٣ (١٨٩٦) في إبان الاحتفال بمرور خمسين عاماً على سلطة ناصر الدين شاه أثناء زيارته لمقام شاه عبد العظيم وما حدث عام ١٨٩٢ شبيه بما حدث بعد ذلك سنة ١٩٥٢ من موقف علماء الشيعة في إيران في حركة تأميم النفط ودفعها إلى غايتها ، هذه الحركة التي كانت ستؤتي أكلها لولا وقوع الخلاف بين الزعيمين : آية الله كاشاني ومحمد مصدق . وقد ثارت إيران مرة أخرى عام ١٩٠٧ بعد توقيع المعاهدة الإنجليزية الروسية التي اقتسمت إيران وأملت عليها شروطهما . ونظمت مخطط النفوذ الروسي الإنجليزي وتقاسمت مناطق النفوذ (شمال إيران لروسيا وجنوبها لانجلترا) والمنطقة الوسطى محايدة ، وهذه المعاهدة شبيهة بالاتفاق الودي الذي عقد بين فرنسا وانجلترا عام ١٩٠٤ باقتسام النفوذ بين بريطانيا في مصر وفرنسا في تونس . وقد أيقظ هذا التنافس الروح الوطنية في البلاد للتخلص من النفوذ الأجنبي وكانت هذه الثورة معاصرة لثورة ١٩٠٨ في تركيا التي أعلنت الدستور العثماني وقضت على حكم السلطان عبد الحميد وفتحت الطريق إلى نفوذ الاتحاديين . غير أن نذر الحرب العالمية الأولى لم تلبث أن وسعت نفوذ الروس والإنجليز معاً فقد سارع الروس إلى احتلال تبريز وأرسل البريطانيون قوتهم إلى بوشير والمجرة باسم حماية امتيازات البترول . ولا شك كان ظهور البترول في إيران - الذي حصل الراهب روز نيلوم على امتيازه عام ١٩٠١ - قد زاد من خطر النفوذ البريطاني في هذه المنطقة وكان للبترول أهميته الكبرى في الحرب العالمية الأولى مما ساعد الحلفاء على قهر ألمانيا . وقد ظلت إيران مسرحاً للقتال والفتن طوال مدة الحرب الأولى . وفي عام ١٩١٩ تم توقيع اتفاق إنجليزي إيراني مجحف ، مهد للثورة على الاستعمار حتى حدث انقلاب ٢١ فبراير ١٩٢١ . بقيادة رضا شاه الذي دعا إلى طرد جميع العناصر الأجنبية من الجيش . يقول جورج ليشوفسكي : إن إيران لم تعامل مطلقاً باعتبارها منطقة من مناطق التوسع الاستعماري بل دولة فاصلة بين الهند وروسيا . وقع الانقلاب الفارسي الذي قاده رضا شاه في نفس الوقت الذي وقع فيه الانقلاب التركي بقيادة مصطفى كمال . ولقد حاول رضا شاه أن يسير مسيرة مصطفى كمال ولكنه لم يجد الطريق مهيأ ، كانت قوة علماء المسلمين الشيعة عاملاً ضخماً في تحفظه ؟ وقد أشار جورج ليشوفسكي في كتابه : الشرق الأوسط إلى أن نفوذ رجال الدين الشيعة هو الذي أعطاه الحذر والتيقظ . وأوفاً إلى أن الدستور الإيراني ١٩٠٧ كان ينص صراحة على أن الدين الرسمي هو الإسلام على المذهب

الجعفرى وكان على شاه إيران أن يعتنق هذا المذهب ويعمل على نشره ، كما كان يحظر على المجلس أن يصدق على أى تشريع ينافى مبادئ الإسلام وينص على استشارة الفقهاء فى عملية التشريع والاستشارة ملزمة ، لذلك لم يشعر الشاه أن فى استطاعته أن يتحدى هذه النصوص كما أنه بدلا من أن يشن هجوماً أمامياً فى خططه الإصلاحية التجأ إلى طريق عدة ملتوية تحاشى فيها رجال الدين الشيعة وتجاهلهم دون أن يعمل على كبح جماحهم بصورة مباشرة . وقد أشار لنشوفسكى إلى الفارق بين رضا خان ومصطفى كمال فقال إن شاه إيران نجح فى الإصلاح والتحرر من النفوذ الأجنبى وإن كان لم يصل فى الأخذ بأسباب الغرب إلى ما بلغه أتاتورك وقال « ولا شك كانت مهمته أشق من مهمة أتاتورك لأن بلاده كانت أكثر تأخراً ولأن ثقافته وشخصيته كانتا تختلفان عن ثقافة أتاتورك وشخصيته . ومن حق أن يقال أن رضا خان ومصطفى كمال وأمان الله كانوا فى عصر واحد هو عصر ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان مصطفى كمال هو أجراً هؤلاء جميعاً إلى الخطو نحو التغريب ، وكان عمله يلقى دهشة كبرى ، بحسبان أن تركيا التى كانت (الدولة العثمانية ودولة الخلافة) هى التى تقود فى العالم الإسلامى حركة التغريب والانفصال عن القيم الإسلامية . وقد سار الثلاثة فى خطوط مختلفة ، أما أتاتورك فقد استطاع أن يلغى كل مقومات الحياة الاجتماعية الإسلامية ويفرض نظاماً جديداً كان عرضة للانتقاص بين فترة وأخرى ولم يستقم طوال حياته ولا بعدها نظراً لخروجه عن طبيعة المجتمع الإسلامى الجذور . أما أمان الله خان فقد عجز عن فهم مدى قدرة أمتة على التغيير فانفصل عنها ، أما رضا خان فقد استطاع أن يسير بخطوات بطيئة فى سبيل تحقيق إدخال الأنظمة الحديثة فادخل ١٩٢٧ النظام التشريعى الفرنسى ونظام التعليم الحديث وسار فى تحرير المرأة سيرة بطيئة . ولكنه حقق أمرين هاميين هما جعل التعليم إجبارياً وإلغاء الامتيازات الأجنبية . ولا يخلو أمر الأنظمة المستوردة فى العالم الإسلامى من أخطاء وتجاوزات وخاصة فى إلغاء رضا خان التعليم الدينى الإلزامى فى المدارس الابتدائية والثانوية ١٩٣٠ وتأكيد الناحية المدنية وحدها والتخلص من أرضية الفكر الإسلامى فى مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية .

إن أخطر ما منيت به إيران فى تاريخها المعاصر هو محاولة إعادة « الكسروية الفارسية » المتمثلة فى قورش ومثير أى إعادة ما قبل الميلاد (قورش ٥٥٩ ق.م) بينما جاء الإسلام بعد

الميلاد بستة قرون ونصف القرن (٦٥١م) ودخلت فارس في دين الله وزال من الوجود كسرى ورستم ويزرجرر وفتحت أبواب الأهواز ونهاوند أمام المغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص والنعمان بن مقرن . هذه الردة الخطيرة التي حمل لوائها رضا خان المتسمى بيهلوى إعادة لأمجاد الجاهلية وابنه محمد رضا بهلوى ، هي الوجهة الخطيرة التي اتجهت إليها إيران المسلمة منذ خمسين عاماً مرحلة بعد مرحلة عندما استولى رجل مغمور أُمى هو رضا خان على السلطة ونصب نفسه ملكاً - ولم يكن ضابطاً قد تعلم في مدرسة عسكرية بل متطوعاً في لواء القوازي الإيراني أُمياً لا يعرف القراءة والكتابة حول اسمه من خان إلى يهلوى . (الرمز الفارسي) إيماء إلى غايته وهدفه الذي سار فيه وقطع مرحلة ثم جاء ابنه محمد رضا ليكمل المسيرة ومن هنا كانت ثورة إيران ١٣٩٩ هـ علامة على العودة إلى الأصالة والتأسي بالانتماء الإسلامي الحقيقي الذي تعرض للخطر في تلك الاحتفالات الضخمة التي أقامها الشاه المخلوع علامة على العودة إلى الوثنية المجوسية الفارسية وقد صدقت محطة الإذاعة البريطانية حين قالت : إن الثورة الإيرانية قد انفجرت من جانب الأصالة الإسلامية ضد الجانب المظلم من التحديث بل ويمكن القول في وضوح إن سقوط الشاه ونظامه الغربي هو علامة أخرى على فشل هذا التيار الذي قاده أتاتورك رضا خان في العشرينات تحت تأثير النفوذ الأجنبي المسيطر الذي كان يرى أنه هو الأسلوب الذي يمكنه من احتواء هذه المنطقة والحيولة دون امتلاكها إرادتها الحرة في إطار طبيعتها الإسلامية وروحها المستمدة من الشريعة الإسلامية ومنهج الإسلام الاجتماعي والاقتصادي. وقد أشار مؤلف كتاب (إيران: الديكتاتورية والتطور) إلى هذا المعنى حين قال أن الثقافة الرسمية للنظام الحاكم كان يغلب عليها طابع النزعة المادية المتطرفة للحياة . وكانت هناك قلة محدودة فقط من المثقفين هي التي تنظر بصورة جدية إلى « الأساطير القومية » المختلفة التي يروج لها الحكم وسط مزيج من النزعة العسكرية والتعصب القومي وهي ترفض في نفس الوقت الثقافة الفارسية التي عاشت في الماضي بترائها الشعري والفني الحافل وتفضل عليها جوانب أكثر سطحية من المجتمع الغربي . وقد كان هؤلاء المثقفون الإيرانيون يشعرون أنهم في مصيدة فمن ناحية كانوا يدركون حدود التاريخ والثقافة الإيرانية ومن ناحية أخرى كانوا ثائرين على نحو قومي وجمالي بسبب ذلك الشكل المحدود من الثقافة الغربية التي كانت تستورد إلى إيران ولذا تطلع عدد محدود من هؤلاء المثقفين إلى العودة إلى الماضي : إلى القيم الإسلامية ، وكان أصحاب التطلع إلى قيم ما قبل الإسلام يعتقدون أفكاراً متعصبة مناهضة للعرب وحاول الكثيرون القفز فوق حواجز الثقافة الغربية التي تنبثق من المجتمع الاستهلاكي . وفي رأينا أن هذه النقطة هي الركيزة

الأساسية لسقوط نظام إيران الديمقراطية الغربى الذى كان يقوده الشاه المخلوع بهدف تشويه وجه إيران الإسلامى والقضاء عليه وإعادة وجه إيران الوثنى المجوسى القديم بإحياء التاريخ والحضارة بل وتغيير العام الهجرى والميلادى المعمول بهما لهذا الغرض المسموم . ولا ريب إن إعادة وجه إيران الإسلامى هو أبرز معالم حركة اليقظة التى قادها الإمام الخومينى والتى وصفت بعد أن تحققت نتائجها بأنها علامة على يقظة الإسلام ذاته وأن التجربة الغربية لم تستطع بعد خمسين عاماً إلا أن تعلن فشلها وسقوطها ، كما أعلنت التجربة الماركسية فشلها وسقوطها فى أجزاء أخرى من العالم الإسلامى منها أندونيسيا ومصر ومهما قيل من أن شاه إيران المخلوع كان يهدف إلى « تحضير إيران » أو تمدينها أو دفعها إلى أن تكون دولة عظمى بالأسلوب الغربى فإن هذا العمل مقضى عليه بالفشل تماماً لأنه معارض لطبيعة الأسلوب الإسلامى فى العيش والعمل وأن المحاولة التى حاولها الشاه كانت فاشلة تماماً بتقدير المعلقين الغربيين أنفسهم وفى ظل التقدير الحقيقى لها ذلك لأن الشاه لم يكن يصدر فيها عن أسلوب أصيل وإنما عن محاولة استعلاء ضالة خادعة ويقول روبرت جراهام فى كتابه (إيران : وهم السلطة) أن الشاه لم يكن يعرف أسلوب العمل الحقيقى وكان كالسيارة التى تنتقل فجأة من السرعة الأولى إلى السرعة الرابعة وهى تندفع إلى أسفل منحدر ، وأن الشاه إنما كان يهدف بعباراته الطنانة « الدخول إلى مرحلة الحضارة العظمى أو القوة الخامسة ، إنما يهدف بأسلوب مضلل إلى دعم النظام الامبراطورى وتثبيت سلطته الشخصية (أسرة بهلوى على عرش إيران) بصرف النظر عن أصول الاقتصاد وقدرة المجتمع الإيرانى على استيعاب أحدث مبتكرات التكنولوجيا . وقد جاء المغامرون الغربيون من كل مكان للحصول على الإثراء السريع ، وعجرت إيران عن استيعاب آلاف الملايين من الدولارات وفقاً للمشروعات الاقتصادية المرتجلة وحين قال الشاه إننا عبرنا الحدود بالفعل إلى الحضارة العظمى كانت الخطط الاقتصادية تتجاهل الأوليات ، وعندما تختلط الحابل بالنابل يبدو الازدهار شاملاً ، ولم يكن هذا الازدهار إلا مقصوراً على المحظوظين وأصحاب العلاقات الوثيقة بالقصر الذين جمعوا عشرات الملايين فى وقت قياسي ورأى غالبية الإيرانيين أن ثروة إيران القومية تتسرب إلى المغامرين الأجانب . كان اتجاه الشاه الغربى معارضاً للأصالة والطبيعة الإيرانية التى شكلها الإسلام منذ أربعة عشر عاماً ، وكان أسلوبه مضاداً للفطرة راعباً فى إخراج هذه الأمة من وجودها الحقيقى ولذلك ووجه بمعارضة اجتماعية شاملة ، ظلت صامدة بالرغم من عوامل القسوة العنيفة فى مقاومتها وبالرغم من قتل الألوف الذين عبروا عن معارضتهم بالاحتشاد حيث لم يزد ذلك إلا إصراراً وعزماً على التحدى

والمقاومة ، ولم يكن نظام الشاه في الواقع قادراً على الصمود لأنه لم يكن عادلاً ولا مطابقاً لرغبات الشعب ولا محققاً لمطامح الأمة ولكنه كان كما يصفه الغربيون أنفسهم أمثال جيمس بيل وغيره : كان يتمثل في مؤسسات هشة مهتزة تدور جميعها حول الشاه وتقع تحت السيطرة البهلوية التامة ، وكان حكم الشاه حكماً مطلقاً لا حكماً دستورياً جمع بين الهجوم الذي لا يعرف الرحمة أو المراوغة التي تلجأ إلى المناورات فضلاً عن أن الشاه لم يكن - كما يقول جيمس بيل وغيره - يتمتع بصفات الزعامة ولم تبه الطبيعة الشخصية الجذابة وقوة التأثير وإنما فرض شخصيته فرضاً على أذهان الشعب وأحاط نفسه بهالة من القوة الغامضة ، وكان الشاه يحمي نفسه وراء نظام من المخابرات والتجسس والحرس اسبغ على رجاله مميزات هائلة جعلته من الطبقات المترفة في المجتمع الإيراني فعرفت به إيران منذ ١٩٧١ عهداً من الروع والقمع الوحشي للمعارضة وامتلات السجون ونفذت أحكام الإعدام في كثير من وهوجمت المؤسسة الدينية هجوماً مباشراً . وكانت عملية تطوير الجيش وتسليحه بأحدث المعدات العصرية لا تستهدف إلا مطامع شخصية وعرقية تقوم على السيطرة على الخليج وإعلاء الجيش الإيراني وقد تعمد الشاه إلى القضاء على المعارضة وعلى الطبقة المثقفة المسلمة المستنيرة التي كانت ترى إن خطته السياسة هذه لا تستهدف خيراً للوطن ولكنها تعمل لتحقيق مطامح فردية وأهداف لخدمة النفوذ الأجنبي فكان يعمل على تضعيف هذا الاتجاه والقضاء عليه ولقد عمق الشاه هذا الاتجاه المعادي للأصالة وللإسلام ولروح الأمة الحقيقي حين أغرق البلاد في الجنس فكان له مدينة كاملة ودائرة واسعة حافلة بالملاهي الليلية والمراقص ، والفنادق التي تقدم المشروبات الروحية للأجانب وفتيات الليل وما يتصل بهذا من ظهور مجالات مكشوفة تشجع القصص الجنسية وتقنين الفساد والإباحية وتدعو إلى الجريمة والأهواء . وكان أخطر وجوه الخطر في الوضعية الإيرانية في ظل نظام الشاه :

(أولاً) : الديكتاتورية والقضاء على الأصالة .

(ثانياً) : إعادة صورة التاريخ الوثني المجوسي قبل الإسلام .

(ثالثاً) : تحويل البلاد الإسلامية إلى تبعية كاملة للحضارة الغربية المنهارة .

(رابعاً) : موقفه من الصهيونية العالمية .

(خامساً) : الثروات الوطنية المنهوبة .

ومنذ وقت طويل تكشف هذا الانحراف الخطير في النظام الإيراني وتكشف تواطؤ الشاه مع

الصهيونية العالمية وتبعيته الواضحة للاستراتيجية الاستعمارية ، ولقد ورث الشاه عرشه عن والده الذى وصل إلى الحكم بواسطة انقلاب مشبوه فى ظروف غامضة لا يخفى ما وراءها من أهداف الصهيونية العالمية وبروتوكولات صهيون فضلاً عن التبعية الواضحة للماسونية التى تعمل لإعادة هيكّل سلمان وتغريب سيطرة اليهود على العالم وقد أعطى الشاه سلاحاً حاداً للتغريبين الذين انطلقوا يهاجمون الإسلام وكل ماله علاقة به ويطالبون بإبعاده عن الصراع مع الصهيونية العالمية وكانت أخطر محاولاته إثارة الشعوبية والنعرات القومية بين العرب والفرس وكانت له خطة مغامرة لإحداث فتنة فى الخليج كان من شأنها أن يصبغ مياه الخليج بدماء المسلمين ولقد تركزت قوة المعارضة على أن شاه إيران لم يكن يمثل فى الحقيقة شعب إيران ولا المسلمين وأنه كان يقوم بتمثيلية وهمية تحت اسم الثورة البيضاء أو الإصلاح الاجتماعى ، بينما يعانى ملايين التمساء والبؤساء فى إيران حياة مريرة فى نفس الوقت الذى ينعم فيه الشاه بالفضائح والقصور والمعونات الأجنبية وتقوم مؤسسة بهلوى على ألوف الملايين من الثروة القومية المنهوبة وعائدات البترول السخية . وقد واجه الإمام الخمينى هذه المحاولات منذ عام ١٩٥٩ فوجه إلى قادة الدول الإسلامية بيانات يدعو فيها إلى إنقاذ إيران وكشف عن أن الشاه ورث عن أبيه اللؤم والغدر والخيانة وكره العرب والمسلمين ، فقد غدر رضا شاه بهلوى بأسرة فاجار وخلع الشاه الشرعى الذى كان اغدق عليه ورقاه من منصب عسكري إلى منصب بلغ رتبة جنرال . ولقد كان رضا شاه أول من فتح هذا الطريق إلى مقاومة الأصالة وروح الإسلام فى المجتمع ونظام الحكم وعمل على انتزاع إيران من ذاتيتها ، وجاء محمد رضا فأكمل الخطة وكاد أن يبلغ بها إلى غايتها ومن هنا كانت الدعوة إلى محو آثار الظلم وإعادة إيران إلى موضعها الطبيعى بين دول العالم الإسلامى وتحرير أراضها فى إقامة نظام إسلامى أصيل . إن سقوط النظام الإيرانى الليبرالى القائم على الاستبداد وابتعاث كوروش وقيمير وما قبل الإسلام من فاهيم يذكر تماماً بسقوط التجربة التركية التى قام بها مصطفى كمال ، والتى أوحى إلى الشاه فى نفس الفترة تقريباً الاتجاه بإيران بعيداً عن طابعها الإسلامى الأصيل وقد خلفت تجربة تركيا عبرة واضحة يجب أن تكون قائمة أمام المصلحين والمتقنين فى البلاد الإسلامية والعربية وخاصة بعد أن سقطت تجربة أندونيسيا الماركسية وتجربة باكستان الغربية الماركسية معاً وتجربة الناصرية والبعث فى العالم العربى . من شأن دراسة هذه الأوضاع أن تكشف أمام

المسلمين على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى أن لا سبيل إلى العمل الصحيح إلا من خلال قناة واحدة هي القناة الإسلامية الرحية الفسيحة السمحة الكريمة الشاء التي تستمد مفاهيمها من منهج الله تبارك وتعالى وتستهدف قيام المجتمع الربانى بالحق والعدل على شرعة الله الخالصة التي جاء بها الدين الحق. الخطأ كل الخطأ في اتخاذ أتاتورك مثلاً أعلى فإن تجربته فشلت والعرب ربما كانوا أقدر على فهم أبعاد النهضة وأساليبها من الترك فقد أشار إلى ذلك هاملتون جب فقال أن العرب لن ينقضوا المثل الأعلى الإسلامى للنهضة .

(٤) أفغانستان : مقاومة الاستبداد والاستعمار

يمثل أفغانستان طوابع الإسلام على نحو يكاد يكون أشد عمقاً من الهند وإيران وتركيا جميعاً ، ويتمثل ذلك فى أمرين خطيرين : (أولاً) : مقاومة الاستعمار الغربى مقاومة حاسمة جبارة اندحرت فيها بريطانيا فى ثلاث معارك كبرى امتدت على مدى ثمانين عاماً . (ثانياً) : دحض الخطة التى حمل لواءها (أمان الله) فى فرض الحضارة الغربية فى مواجهة حركة (مصطفى كمال) فى تركيا ، و (رضا خان) فى إيران . وقد أكد الباحثون والمؤرخون أن أفغانستان حين تلقت الإسلام آمنت به وتقمصته ووجدت فيه نفسها حيث عجزت المجوسية والبوذية والهندوكية أن تعطى هذا الإحساس العميق بالله والتوحيد . يقول العلامة صلاح الدين السلجوقى « عندما دخل الإسلام إلى أفغانستان ، لم يكن نوره غريباً عن مشاعرهم وإحساساتهم ولا سياً أن هناك اختلافات فكرية عميقة بين العقيدة الاوسطائية وبين الفكرتين الفكرتين البوذية والبرهمانية ، فلما دخل العرب الديار الأفغانية مبشرين بالاسلام استقبل الأفغانيون مقدمهم وأفكارهم التى تتعلق بالحياة بعد الموت أحسن استقبال . ويدحض السلجوقى اتهامات الغرب فى فرض الاسلام على الأفغانين يقول : يزعم الغربيون أن العرب دخلوا البلاد الأفغانية عنوة وغصباً ، وهذا إفك مفترى على الحقيقة ، فنحن معاشر الأفغانين أحببنا العرب منذ ثلاثة عشر قرناً وافتديناهم بكل ما عندنا من فكرة وعقيدة ، لأننا رأينا لديهم مبادئ قويمه لاءمت قلوبنا وضأثرنا وتراثنا . ولذلك فنحن لم نأخذ العقيدة التى أتوا بها إلينا فحسب ، بل أخذنا لسانهم العربى المبين ، وحتى القرن الرابع للهجرة كانت اللغة العربية هى اللسان الرسمى ، ولا تزال اللغة العربية حتى يومنا هذا لساننا الدينى والعلمى ، وليس لدينا لغة علمية غير اللغة العربية ، لقد فتح جنكيز خان (أفغانستان) عنوة وغصباً ،

وبعد معارك عنيفة ومذابح دموية ، وكذلك دخل الانجليز البلاد ، وما لبث الأفغانيون أن أبادوهم عن بكرة أبيهم ، ولكن العرب « حملة لواء الإسلام » فتحوا ديارنا بمبادئهم السامية ، سواء كانت دينية أو خلقية أو ميتافيزيقية ، وفتح لهم الأفغانيون قلوبهم وصدورهم ، متقبلين هذه التعاليم ، حتى أنه عندما ضعف مركز العرب ومركز الخلافة ، وتوقفوا عن نشر الحضارة الإسلامية ، كنا نحن معاشر الأفغانيين ، المبشرين بهذه الحضارة والناشرين لها والمجاهدين في سبيلها في أنحاء العالم » ومن حق لقد قدمت أفغانستان إلى الفكر الإسلامي والحضارة عدداً من الأئمة الأعلام البارزين : أبو حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل ، والبخاري والترمذي ، وابن قتيبة ، والرازي ، والغزالي . ومن الفلاسفة : ابن سينا والفارابي والبيروني وجابر بن حيان والجورجاني . ومن الصوفية : البلخي والبسطامي . ومن علوم اللغة والبلاغة والأدب : الزمخشري ، والسكاكي والتفتازاني والجبلي . ومن علم الكلام : النسفي والقننداهري . والظاهرة البارزة في أفغانستان هي أن اللغة العربية لا تزال تسيطر بحسبانها اللغة الثقافية لها . يقول السلجوقي : لا يجد الزائر للديار الأفغانية أية قرية - مهما صغرت ونأت - إلا وفيها مكتب أو اثنان على الأقل لتدريس اللغة العربية والإسلام ، ولذا فإن لغتنا العامية تحوى على اثنين في المائة من المفردات العربية بينما لغتنا الفصحى تحتوى على ستين في المائة من الكلمات العربية الصافية الخالصة مما لا يستعمل بعضها أكثر شعوب العالم فصاحة وبياناً . بل إننا نحفظ بعض كلمات عربية جميلة انقرض استعمالها في البلاد العربية . كل ذلك لأن اللغة العربية الشريفة هي لغة القرآن الكريم ، لسان الله المبين ، ولأن العرب أمة خرج منها رسول الله ولأن الإسلام والحضارة العربية الإسلامية قوتاً في قلوبنا مبادئنا السامية الخالدة التي ندين بها . وما تزال آثار هؤلاء الأعلام الذين أنجبته أفغانستان (خراسان) تدرس في الأفغان ، كما أن التفسير الوحيد الذي يدرس هناك هو تفسير جلال الدين السيوطي . « ويرجع هذا الالتقاء الكامل بين الأفغان والإسلام إلى طباع مشابهة لطباع العرب حملة رسالة الإسلام ، وبين الأمة العربية والأفغانية مئات الصفات والسجايا الخلقية والذاتية المشتركة كالشجاعة والصدق والأمانة والكرم ومثالية الأخلاق وقرى الضيف والدفاع عن الحق والخير والحرية » . وقد دخلت اللغة العربية أفغانستان مع الإسلام وأصبحت تمثل نسبة لا تقل عن أربعين في المائة من اللغة الوطنية (البشتو والفارسية) والعربية تدرس في جميع مدارس أفغانستان لأعلى أنها لغة أجنبية بل على أنها جزء متمم للغتين البشتو والفارسية اللتين يتحدث بهما الأفغانيون ، وتتبع أفغانستان في معاملتها الدنيوية التاريخ الهجري

الشمسى فهى كدولة شرقية تعتز بالإسلام قد رفضت أن تأخذ التاريخ الميلادى المسيحى كتاريخ رسمى لها ، وهى فى الوقت نفسه كدولة حديثة أبت أن تكون أيام الدولة والمواسم عرضة للتغيير فاتخذت الهجرة نقطة بداية للتاريخ ولكنها اتخذت شهوراً شمسية لا قمرية ، ولا شك لهذا الطابع الإسلامى الواضح فى حياة أفغانستان صلة كبرى باللغة العربية التى تدرس فى جميع المدارس المتوسطة وفى المدارس العالية يتم تدريس مواد الشريعة الإسلامية واللغة العربية وإذا بها بصورة أكثر توسعاً وعمقاً مثل دار العلوم فى كامل وهرات وجلاد آباد . استطاعت أفغانستان أن تؤكد طابعها الإسلامى العميق بموقفها القوى من النفوذ البريطانى الذى زحف نحوها بعد أن دخل البريطانيون دلى إذ كانوا حريصين على أن يسيطروا على الأفغان بحسبانها جارة الهند ، ولكنهم فشلوا فى كل محاولات احتلالها ، كانت بريطانيا فى كل مرة تعود وهى مشحنة بالجراح فقد حارب الأفغان الاستعمار ببسالة منقطعة النظير وخاضوا مع بريطانيا ثلاث حروب دموية طاحنة . فقد المستعمر جيشاً بأكمله فى المعركة الأولى ومنيت القوات البريطانية بخسائر فادحة ، فى حرب استمرت أربع سنوات حتى ١٨٣٨ . ثم زحف البريطانيون على كابل وقاومهم الأفغان مرة أخرى واستطاعوا أن يبيدوا جيوشاً بريطانية بأكملها فى معارك استمرت ثلاث سنوات حتى ١٨٧٨ منها جيش بريطانى بأكمله قوامه سبعة عشر ألفاً من الجنود المجهزين بأحدث الأسلحة . وعاد البريطانيون مرة أخرى إلى الأفغان بحجة تأمين حدود الهند فقاومهم الأفغان فى كل مكان وأنزلوا بهم خسائر كبيرة وظلت هذه المقاومة حتى عام ١٩١٩ حيث استطاعت أفغانستان أن تنتزع استقلالها الكامل . وقد واجهت أفغانستان بعد معركة الاستقلال ، معركة البناء الفكرى والاجتماعى لها ، وكان أمان الله خان الذى تحقق على يديه هزيمة الانجليز ، قد اتخذ منزع الحركة التى قادها مصطفى كمال فى تركيا هادفاً إلى تغليب الطابع الغربى فى الفكر والحياة تغليباً كاملاً ، ولم تقبل الأفغان هذا الاتجاه . وقد اندفع أمان الله خان فى محاولته لتقليد المدنية الغربية دون أن يفهم روح النهضة وقد أولى اهتمامه للمظاهر الخارجية وحدها ، محاولاً مجاراة مصطفى كمال ناسياً الفوارق والخلافات بين البلدين . ومن أهم المسائل التى حاول أمان الله أن يتخذ منها موقفاً : مسألة تحرير المرأة على هدى من الخطة التى إتبعها مصطفى كمال فى تركيا . دون تقدير لآوجه الخلاف بين البلدين على نحو أشار إليه أحد المعلقين السياسيين فى تركيا حين قال : نظن أنه لا يمكن أن تكون مصر أو الهند أو إيران مثالا لبلاد

الأفغان . لا بد للأفغان أن تسير بنظامها الاجتماعي وفاق خصوصياتها الجنية والمحلية ، وإنما يتسنى للأفغان أن تستعير بعض المبادئ من تركيا تكميلاً لنظامها ، بل إننا نرى أن الهند وإيران ومصر لا يمكنها أن تهب الأفغان تلك المبادئ . تد ، لأن هذه البلاد لافك مرتبطة بتقاليدها . ويقول معلق آخر : لا نظن أن ما يتطلبه الأمر من أفغان هو من هذا النوع من الإصلاح اللاديني ، بل إننا نعتقد أنها ستهتدى بهداية دينها المتين ، الذي رفع شأن المرأة إلى أعلى عليين وساوى بينها وبين الرجل قبل أن يخطر على بال أحد من المصلحين أن يسوى بينهما . وما دام الوجدان الأفغاني الفردي والاجتماعي مرتبطاً بالعقائد والمبادئ القرآنية فحريته الوجدانية تتحرك في تلك الدائرة ، ولا بد من أن تكون كل حركة إصلاحية مبنية على احترام هذه الحرية الوجدانية في تلك البلاد . . إن سفور المرأة (وحده) لا يضمن لها أي رقي وإنما الرقي الحقيقي في تربية المرأة تربية فاضلة تؤهلها لأن تعيش حرة شريفة نقيصة طاهرة ، فإذا كانت المرأة حائزة على هذه التربية فإنها أشرف وأرقى سواء كانت سافرة أم محجبة ، نود أن يكون نصيب المرأة الأفغانية من الرقي الحقيقي أعظم مبلغ ، نود أن نفتتح المدارس والمعاهد التي ترى المرأة الأفغانية تلك التربية الإسلامية التي تجعلها عامل خير ونجاح في حياة الأفغان » . هكذا كان مفهوم الكتاب المسلمين في النظرة إلى الحركات المستحدثة في تركيا وأفغانستان وإيران ، أما تركيا فقد استمرت في خطواتها تحت نفوذ الحكم الاستبدادي الدكتاتوري المغتصب ، ومع ذلك فقد قاومت تركيا مرة أخرى هذا الحكم وقدمت ضحاياها وشهدائها ، أما في إيران فقد خطا رضا خان خطوات متحفظة وثيدة في أعمال الإصلاح ولكنه لم يخرج عن دائرة الإسلام ، أما أمان الله خان فقد تحطم ملكه نتيجة لتهوره في الإصلاح . وقد وصف سردار أقبال على شاه في كتابه عن أمان الله خان كيف « ظل أمان الله يبتعد عن شعبه يوماً فيوماً وهو غافل عن الله سائر في إصلاحاته الحديثة التي أراد أن تصل بها البلاد طفرة واحدة في حين أن غالبية الشعب متخلفة عنه لا ترى مجاراته في هذا الشأن فلما أن وقعت الكارثة واشتعلت الثورة استفاق الملك من غفوته والتفت حوله فلم يجد معيناً ولا نصيراً ، ذلك أن ذوى الكلمة والنفوذ - على حصد تعبير سردار أقبال شاه من الزعماء الدينين كانوا يرون في أعماله خروجاً على الدين والتقاليد قد أحفظهم ذلك عليه وكان أعيان البلاد وزعمائها يرون أن الملك تجاهل أمرهم وكان يعمل على تفويض ما لديهم من نفوذ قائم ، أما الشعب كان فقد متردداً حائراً ، ذلك أن الإصلاحات

السريعة التي ارتأى الملك وجوب إدخالها في بلاده. قد جعلت أفراد الأمة يتوجسون منها شراً كثيراً ، ذلك أن عقولهم لم تستطع أن تفهمها من جهة لسرعة وقوعها ، وكان الزعماء الدينيون وخصوصاً الملك يصورونها لهم بأبشع الصور من جهة أخرى . وقد ألفت سياسة الملك (أمان الله) الرعب في قلوبهم إذ أرهقتهم بالضرائب حتى أنه جمع منهم ضرائب ثلاث سنين دفعة واحدة لينفق منها على رحلته هو وزوجته إلى أوروبا وما كاد يعود بعد أشهر قلائل حتى أخذ في جمع ضرائب جديدة لأن ما جمعه منها كان قد أنفقه جميعه « ويرى سرادار اقبال على شاه : أنه في البلاد التي لا تقوم حكوماتها على أساس إداري متين والتي تتوقف إدارة أعمالها الإدارية والسياسية على شخصية الحاكم وقوته ونفوذه يحدث مثل هذا الاضطراب » ، وعنده أن أمان الله خان لم يكن له من الثقافة والتعليم ولا من الخبرة والتجربة ما يوحى إليه الخطة المثل . وقد كان من نتائج خطة أمان الله أن تعرضت يلاذه لسيطرة باجى سقا على الحكم وهو ابن سقا استطاع أن يهاجم العاصمة كابول ويستولى عليها ، غير أن هذا الحاكم بالرغم من أنه ألقى جميع ما أدخله أمان الله من خطط ، فإن علماء المسلمين رفضوا قبوله والياً على البلاد مما مهد لنادر شاه أن يقود معركة إسقاطه . وقد استطاع نادر شاه أن يعيد ميزان الأمور ، وأن يحقق إصلاحات معتدلة في إطار الإسلام وخطا خطوات عاقلة حذرة ، وبالرغم من أنه أعد قواته في أرض الهند التي تحتلها بريطانيا فقد رفض أن يكون ألعوبة في أيدي البريطانيين وظل محافظاً على التوازن بين بريطانيا وروسيا . وتعطى هاتين الصورتين عمق طوابع الإسلام في أفغانستان ، ولعل ذلك يرجع إلى وحدة الأمة الأفغانية التي لم تعرف يوماً نزاعاً طائفيّاً أو صراعاً مذهبيّاً « فقد كان الدين الإسلامى باحتوائه على الأسس القومية والمبادئ السامية » عاملاً فعالاً في هذا التماسك والمودة أن الشعب الأفغانى بأسره يدين بالإسلام الحنيف ويتمسك بتعاليمه السنية وأن الديانة الإسلامية مادة أساسية في المدارس والمعاهد . والقانون الأفغانى هو الشريعة الإسلامية ولا ترى في حياة افغانستان شيئاً يتنافى مع الإسلام فالخمر ممنوعة . وعلماء الإسلام لهم نفوذ روحى عظيم . ومن أفغانستان انبعث رسالة جمال الدين الأفغانى في « اليقظة » إلى مختلف أجزاء العالم الإسلامى وما زال اسمه مقترناً بحركات الكفاح والنضال المختلفة في مواجهة الاستعمار والانجليز بالذات وما تزال هزيمة بريطانيا على تراب أفغانستان من المسائل ذات الأهمية المبالغ في تقدير الأفغانين ،

وقد أقاموا نصباً تذكاريّاً لهذه المناسبة الخطيرة ، وقد شهد «تويعي» الذي شاهد هذا النصب
للأفغانين بأنهم دفنوا قتلى الانجليز مثل ما دفنوا شهداءهم . بل إنهم أقاموا تذكارا لهؤلاء
الانجليز وقال «وهذا دليل على خلق كريم أصيل في نفوس الأفغان» . وقد واجهت المنطقة
الإسلامية الممتدة من الملايو - باكستان - أفغانستان إيران - تركيا إلى متغيرات كثيرة في
السنوات الأخيرة . وتعرضت أفغانستان إلى انقلاب شيوعي (١٩٧٨) الذي أطاح بحكم
الرئيس محمد داود الذي كان قد اسقط النظام الملكي يتأيّد من الشيوعيين المحليين
الذين لم يلبثوا أن انقلبوا عليه وقد جاء ذلك في إطار الصراع السوفيتي الصيني وتمزق باكستان
إلى دولتين ومن وقوع الانقلاب لم تتوقف عناصر المعارضة المسلمة للنظام الماركسي الحاكم
في أفغانستان عن المقاومة ، وقد تزعمت قبائل اليبان هذه المقاومة وهي قبائل ذات شكيمة
لها تاريخها كمقاتلين أشداء في كل الحروب التي شهدتها أفغانستان وقد اعتبروا مقاومتهم
لنظام الحاكم الماركسي في البلاد بمثابة حرب مقدسة دفاعاً عن الإسلام وقد وجدت هذه
القوى الزاحفة تأييداً شعبياً كاسحاً ، وظلت تتقدم بقوة وتستولي على المدن واحدة بعد
أخرى ، وبالرغم من التعزيزات التي قامت بها الحكومة الشيوعية فإن قوى النضال لم تتوقف
وظلت تتقدم بقوة وخاصة بعد أن شنت القوات الشيوعية الحاكمة غارات على القرى
والمساجد في عدد من الأقاليم وقتلت عشرات الألوف وقد أعلنت هذه المقاومة أنها تعارض
زعماء الحكومة الأفغانية في دائرة نفوذ الاتحاد السوفيتي ، وهم يدركون أطماع الشيوعيين
في بلادهم منذ عهد القياصرة ، وتعتبر قبائل الباتان أضخم المجموعات الدينية الأفغانية
وهي فرع من قبيلة المحمدين التي انحدرت منها سلالة الحكام الأفغانين الذين تولوا حكم
البلاد حتى ١٩٧٣ عندما أطاح الجنرال محمد داود بابن عمه الملك محمد ظاهر شاه وأعلن
قيام الحكم الجمهوري وقد حاز الباتان احترام الجنود البريطانيين المعادين خلال الحروب
الأفغانية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالى ولا ريب أن القوى الوطنية في
أفغانستان تتمسك تمسكاً شديداً بتعاليم الاسلام وهم يرون أن الاسلام أصبح مهدداً بخطر أجنبي
رغم إدعاءات حكام كابول . ويهدف السوفييت من السيطرة على أفغانستان إلى تحقيق أهدافهم
في هذه المنطقة الإسلامية الموازية للبلاد الغربية ولقد وجد السوفييت وأتباعهم أن في
أفغانستان شعباً مسلماً صب المراس لا يمكن أن يقبل الماركسية بنأى حال من الأحوال ،
ولا أن يدعها تستقر في بلاده مهما كلفه ذلك من ضحايا وتضحيات وهزيمة الشيوعيين تأتّى

موازية لهزيمة الاستعمار البريطاني من قبل. يقول العلامة محمد علال الفاسي : الأفغان المسلمة الدولة الأولى التي اعترفت بروسيا وجلس رئيسها مع لينين في الوقت الذي لم يعترف أحد من الدول بثورة أكتوبر والحكم المنشق منها . هذه الجارة الهادئة للاتحاد السوفيتي تبين انتهاكات مركز استراتيجي مهم في هذه المرحلة من مراحل تطور مناطق النفوذ والتعايش والتعايش السلمي الأمريكي الروسي . ان أهميتها في سيطرتها على ممر خيبر الذي يمر من كابول العاصمة فيجتاز سهول غرب الباكستان ويصل إلى البنجاب الهندية وتغطي حدود الأفغان الشمالية الاتحاد السوفيتي باستثناء قطعة صغيرة في أقصى الشمال الشرقي ، ولم يشك الملاحظون السياسيون أن الأفغان ستكون محل الضربة التالية من روسيا والهند بعد حادث انفصال البنغال ولقد قامت الثورة في الباكستان باسم إعلان الجمهورية قام بها محمد داود خان المعروف منذ ١٩٥٢-١٩٦٢ خلال مدة توليه رئاسة الحكومة بتعامله التام مع روسيا وتشده في إثارة قبائل الباتشو لفصلها عن الباكستان ويعني ذلك فصل جزء بضم عشرة ملايين من السكان عن باكستان ولا شك أن وجوده على رأس الدولة الجمهورية يضعه في المركز الذي يؤمن مصالح روسيا والهند لاقامة دولة بلوخستان المرتقبة التي تنهى وجود دولة باكستان ويقول :لقد تعاون الرئيس محمد داود مع السوفييت فتحصلوا به من الملك محمد ظاهر وسرعان ما انقلبوا عليه وأسقطوا حكمه وتلقفوا الجمهورية الأفغانية لقمة سائغة ولكن الشعب الأفغاني المسلم لم يحقق لهم هذه الأمنية وقاومهم مقاومة شديدة . لقد وقفت أفغانستان بقواها الاسلامية الصامدة مرتين أمام الأحداث والغزو الأجنبي : أمام الاستعمار البريطاني الذي سيطر على المنطقة كلها من الهند إلى الخليج إلى مصر والسودان فقد قهرته في عنفوانه وردته في قوة ، وأمام النفوذ الشيوعي كره أخرى بعد أكثر من قرن من الزمان وكان لها فيما بين من ذلك وقفات صامدة كان أبرزها موقفها عند سقوط القدس في أيدي الصهيونية فضلا عن أنها آوت من المسلمين الذين هربوا من الاستعمار الروسي في نجاري وسمرقند وازوربكستان

(٥)

باكستان ومسلمو الهند

بعد الحرب العالمية الثانية قامت دولتان اسلاميتان : هما أندونيسيا والباكستان ولكي نعرف حقيقة قيام باكستان علينا أن نرجع إلى عام ١٩٣٠ عندما كتب محمد إقبال يقول :

ليست الوحدات في المجتمع الهندي إقليمية كما هو شأنها في البلاد الأوروبية فالهند قارة تضم إليها مجموعات بشرية تعود إلى أجناس مختلفة تتكلم بلغات متباينة وتدين بأديان غير متقاربة ، وأن المبدأ الذي تحتنقه أوروبا الديمقراطية لا يمكن تطبيقه بحال على الهند دون أن يسبق ذلك اعتراف بوجود المجموعات الطائفية ، وعلى هذا فمطلب المسلمين له ما يبرره تماماً وبودى أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان قد توحدت وأصبحت دولة ، ويبدو أنه ليس أمام المسلمين سوى هدف واحد ، هو تكوين حكومة ذاتية لهم ، إما داخل الامبراطورية البريطانية وإما خارجها : دولة إسلامية هندية تقع في شمال غربي الهند ، وحياة الإسلام كعامل ثقافي وحضاري في هذه الدولة إنما ينهض على تركيزه في حدود معينة فقط ، فإذا ما أُتيح لهذه الدولة الإسلامية الحديثة أن تقوم فإنها سيكون المدافع الأكبر عن الهند ضد أي هجوم أجنبي عليها ، وإنا لهذا نطالب بتكوين دولة إسلامية موحدة ، وقيامها هذا سيكون في صالح الهند كما هو في صالح الإسلام لأنها ستعمل على محو الطابع الاستعماري الغربي الذي أجبر على طبعها به ولأنها ستتيح للقوانين والتعاليم الإسلامية أن تسود والتعليم والثقافة أن يعملان جنباً إلى جنب وفي تعاون لإظهار الروح الإسلامية الحققة وإمكان تطبيقها في هذا العصر الحديث . وقد مر عشر سنوات حتى قبل حزب الرابطة الإسلامية فكرة إقبال في الدورة التاريخية التي عقدتها الرابطة في لاهور عام ١٩٤٠ وفي ١٤ أغسطس ١٩٤٧ تأسست الباكستان بقيادة محمد علي جناح الذي حمل لواء فكرة إقبال وسار بها حتى تحققت . ولا بد أن يوضع في التقدير تاريخ المسلمين في الهند أولاً ، والدور الذي قامت به بريطانيا بالنسبة لهم عند احتلالها الهند وكيف أقصتهم عن مواطن القيادة وكيف إثارت أحقاد الهندوس عليهم بعد أن عاشوا في كنفهم قروناً طويلة في محبة ووثام ، وكيف فتحت أبواب التعليم والثقافة والثروة للهندوس وفرضت على المسلمين الفقر والجهل والتأخر . حكم المسلمون الهند ما يقرب من ألف عام وكان تاريخاً حافلاً بدأه محمد بن القاسم الذي فتح السند ، وامتد بحركة محمود الغزنوي الذي أسس أسرة جعلت من مدينة (لاهور) أول مركز للحضارة الإسلامية وثقافتها في هذه الأرجاء واستطاع محمود الغزنوي أن يمد رقعة الغزو الإسلامي حتى وصل البنغال ، وجاء بعد ذلك المغول : نسل الامبراطور التتري الكبير « تيمور لنگ » ، ففي عام ١٥٢٦ م غزا (بابر) شمال الهند ، وجاء بعده (همايون) الذي فتح الطريق أمام النفوذ الفكري الفارسي وبلغ المغول ذروتهم أيام

الامبراطور (أكبر) وقد قامت الدولة المغولية واستمرت وظل سلطانها في الهند إلى عام ١٨٥٨ وهي الدولة التي اتسع سلطانها وتولى عرشها ستة ملوك عظام في مائتي سنة من بابر إلى محي الدين أورنگ زيت وأبرزهم جهانجير وشاه جيهان وقد حمت الدولة المغولية بعسل والاسلام الأجناس والأديان جميعاً . ثم جاء الانجليز بوصفهم تجار في الوقت الذي كانت الامبراطورية قد بلغت مرحلة الضعف والتفكك وقد حصلوا على ميثاق للتجارة عام ١٦٠٠ ثم لم يلبثوا أن سيطروا على مقدرات البلاد وحتى عام ١٨٥٧ كان المسلمون سادة البلاد ، حين اندلعت الثورة التي ألقى المسلمون منها بكل قواهم بقصد التحرر من النفوذ البريطاني . وللنفوذ الغربي في الهند قصة ، فقد بلغ فاسكودي جاما ميناء كالكوت الواقعة على شاطئ ملبار من جنوب الهند ١٤٩٨ وأقام ستة شهور على شاطئ الدكن الغربي في رحلته الأولى ، وكان العرب يحتكرون الملاحه بين موانئ الهند وموانئ الخليج الفارسي . وقد استظهر دى جاما بالهندوس في محاولة للتنكيل بالبحارة المسلمين من ناحية ومنافسة التجار المسلمين من ناحية أخرى ، وكان بعض الأمراء الهندوس قد حمل إلى ملك البرتغال رسالة يغريه فيها باحتلال الهند . وعاد دى جاما إلى بلاده ، فاستقبل الفاتحين ، ولم يلبث أن كر عائداً إلى الهند في ثلاثة عشر مركباً محملة بالجنود فاحتلوا كالكوت وتبابعبت البعثات البرتغالية حتى مام ١٥٠٩ فوصل إلى الهند (البوكرك) واحتل ثغر (جوا) باسم البرتغال عام ١٥١٠ وفي ١٥١١ احتل البرتغاليون ملقا في جزر الهند الشرقية . وقد أيدت السياسة البرتغالية الهندوس في ثوراتهم على الدولة وكانت الحملات البرتغالية تحمل في ثنائها شيئاً من التبشير بالديانة المسيحية ، واستطاع ملك البرتغال أن يحصل من البابا على صك رسم فيه بأنه «سيد بحار العرب والعجم والهند والحيشة» وحاول البوكرك أن يثير الهندوس ضد المسلمين ، ثم أثار الهندوس ضد بعضهم بعضاً ، ولم يلبث البرتغاليون أن تواروا أمام أوروبيون آخرون ، واقترن انهيار الدولة البرتغالية بظهور دولتي هولندا وانجلترا على مسرح السياسة الدولية والمنافسة البحرية . وفي عصر المغول بدأ موكب القراصنة والمغامرين يقد إلى شواطئ الهند من البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا حتى استقر الأمر لشركة الهند الشرقية . وكانت معركة بلاسي في البنغال عام ١٧٧٥ من الواقع الهامة في حركة المقاومة التي بدأها المسلمون في الهند منذ اليوم الأول : وقد سجلت مظاهر واضحة من البطولة والفداء . ولم ينتصر فيها البريطانيون إلا بسلاح الخيانة ، وقد حمل المسلمون وحدهم عبء المقاومة ضد الاستعمار البريطاني وتمثلت في نوعين من المقاومة ، مقاومة الأمراء المسلمين ، ومقاومة الفقهاء المسلمون الذين قاوموا على أساس

شعبي شامل ، لأنهم رأوا في الزحف الاستعماري قضاءً على الاسلام « وقد بدأ هذه الحركة فقيه مسلم زار نجد واعتنق الدعوة الوهابية ونظم تلاميذه ومريديه بطول الهند وعرضها تنظيمًا شعبيًا ثوريًا ضد الاستعمار البريطاني ودعا إلى تطهير الاسلام من البدع وتطهير الهند من الغزاة ، وكان هذا أعظم تنظيم ثوري شعبي عرفته الهند قبل حرب المؤتمر واستمرت صامداً في معركة مقاومة نصف قرن كامل حتى سقط آخر قادته شهيداً في معركة دامية في شمال الهند » . وقد قام الانجليز بأعمال البطش الرهيبة التي قصروها على المسلمين في نفس الوقت الذي حرّمهم فيها من التعليم والمناصب . وأفسحوا المجال والتأييد والولاء للهندوس إلى حد آذان بانفجار ثورة الهند الإسلامية الكبرى عام ١٨٥٧ فجأة « والتي بدأت كحركة تمرد بين بعض وحدات الجنود الهند في الجيش الامبراطوري ثم انقلبت إلى حرب تحريرية قادها الأمراء والفقهاء المسلمون واشترك فيها المسلمون والهندوس والشيوخ والنساء والرجال واكتسحت شمال الهند ومراكز النفوذ البريطاني ، حتى أعلن بعض قواد بريطانيا الكبار أن كل شيء قد انتهى وأن كل ما بنته بريطانيا قد ضاع ، ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلا عن طريق الخيانة والرشوة » . وقد حمل الإنجليز المسلمين مسؤولية الثورة ، فقد اعلنت الثورة باسم (امبراطور دلي) وقاد معظم معاركها قواد مسلمون ، ونادى الفقهاء المسلمون بالجهاد ، وأعلنوا الهند كلها (دار حرب) حتى يباد الغزاة الغاصبون ، وصب الإنجليز كل حقدهم وانتقامهم على المسلمين . وكان انتقاماً مريعاً ، أعلنوا أنه لن يقف حتى يباد المسلمون . عن آخرهم وأهدر دمه وأصبح من حق كل بريطاني أو مدني أن يقتل من يشاء من الهنود وأعدمت النساء والأطفال وأبعدت أسر وعائلات بأكملها في مذابح جماعية لكي « يباد جنين الثورة في أي مكان في الهند » كما قال القائد البريطاني ولم يسبق أن عرفت الهند أو عرف المسلمون رعباً ولا هولاً كالذي عرفوه يومئذ وسميت هذه بالمحنة الكبرى ولم ينسوها أبداً . والمعروف أن البريطانيين كان قد استهلوا سياستهم في الهند باضهاد المسلمين إذ أنهم كانوا سادة البلاد الذين نظموا المقاومة التي انتهت بثورة ١٨٥٧ وهم الذين نشروا الدعاية الحارة ضد الاحتلال البريطاني لبلادهم فضلاً عن أن المسلمين كانوا ينظرون إليهم منذ البداية نظرهم إلى مغتصبين حقوقهم المشروعة في حكم البلاد . وقد عمد البريطانيون إلى إثارة العداوة بين المسلمين والهندوس وأوغلوا في سياسة احتضان الهندوس دون المسلمين ، وعملوا على إقرار قوانين التفرقة بينهم تحت ستار من حرية الاعتقادات الدينية ، وقد قاطع المسلمون المستعمرين

في كل شيء ، ولم يقبلوا على المدارس التي أنشأوها ، بينما أقبل عليها الهندوس وبذلك رجحت كفة الهندوس على كفة المسلمين في العلم ، وأصبحت وظائف الحكومة وفقاً على الهندوس ، وفي ميدان المال والأعمال ساعدت الظروف الهندوس بعد أن تحطمت مالية المسلمين بعد ثورة ١٨٥٧ التي صادف فيها البريطانيون كثيراً من ممتلكاتهم وأوقافهم ، وطرق المسلمون أبواب الهندوس يستدينون ، وانتهى ذلك الإقراض إلى انتقال أملاك المسلمين إليهم فلم يبق لدى المسلمين ما يوازي خمسة في المائة من عامة الأملاك في الهند . غير أن المسلمين لم يلبثوا أن تنبهوا إلى الخطر الذي يهددهم من سياسة التجميد ، حيث قام المسلمون بإنشاء مدارس خاصة على نفقة المسلمين حرصاً على مجاوزة خطر مدارس الإرساليات الأجنبية التي ترفض الإسلام واللغة العربية ، وتفرض مناهج معارضة للقيم الإسلامية أساساً . وقد كانت حركة السيد أحمد خان هي نقطة التحول في تاريخ المسلمين من الناحية الثقافية والاجتماعية جميعها ، فهي التي كسرت قيد التوقف والمقاطعة للمؤسسات الاستعمارية في التعليم ، وذلك بإنشاء كلية عليكره التي أنشأت جيلاً جديداً يجمع بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية . وقد كان عمل أحمد خان موضع النقد وموضع التقدير في نفس الوقت فهو في نظرة إلى عصره قد ألغى الخصومة بين المسلمين والاستعمار الإنجليزي وحاول أن يحل بدلا منها تقارباً ومودة ، على صعيد الفكر ، وفي هذا الاتجاه أحصيت على أحمد خان آرائه في شجب الجهاد ضد الإنجليز ، ومواليتهم ، وما عرف من تفسيرات للقرآن نسبت إليه تحمل معنى الطاعة والإذعان كما حملت مناهج مدرسته نفس الاتجاه في إعلاء اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية . وقد هاجم جمال الدين هذا الاتجاه وكان كتابه (الرد على الدهريين) منصباً على النتائج التي نجمت عنها محاولة أحمد خان ، غير أن النظرة اليوم تختلف ، فقد أحدث هذا العمل تحولا بعيد الأثر كانت له نتائجه الهامة التي جاءت من بعد في صورة النهضة التي حمل شيلي النعماني وتلاميذه ثم محمد إقبال ومدرسته . ويشبه أحمد خان في هذا الاتجاه موقف الشيخ محمد عبده بعد هزيمة الثورة العربية وسيطرة بريطانيا على مقاليد الأمور في مصر ، وهي خطة اضطرابية احتاج إليها المسلمون خلال الأزمان التي واجهتهم ليتحركوا بدلا من أن يتوقفوا ثم جاءت بعد ذلك مرحلة التصحيح للمفاهيم التي حرفت أو حيل بينها وبين الاستقلال الكامل . وفي الهند اضطروا مفكرو المسلمون - ويبدو أن ذلك استمر إلى وقت طويل - إلى مثل هذا الموقف الذي فرض عليهم تفسير آيات الجهاد في القرآن على نحو كان نفوذ الاستعمار واضحا عليه في حجب مفاهيمه الصحيحة . أما بالنسبة لكلية عليكره فإنها قد

استطاعت من بعد أن صححت طريقها أن تعاود تنفيذ الخطة الصحيحة بالنسبة لمفاهيم الإسلام والفكر الإسلامى ، غير أن هذه الحركة التى قام بها أحمد خان كانت قد ركزت مفهوماً للإسلام يشجب الجهاد ويفصل بين الإسلام والمجتمع على النحو الذى يحرض الاستعمار على أن يصنع به وذلك فى مختلف أنحاء البلاد التى احتلتها فى محاولة الخلق جيل يؤمن بهذه المفاهيم وتكون له الصدارة فى تولى مقاليد الأمور ، فقد كان أثر هذه المفاهيم بعيد الأثر فى أغلب قادة الفكر أو السياسة الذين جاءوا من بعد ، وكان هذا تحولا عن الطريق الأصيل الذى مضت عليه حركة اليقظة التى كانت والحق يقال إنها ركدت ولم تستطع مواجهة التحول الخطير الذى أحدثه الاستعمار البريطانى فى الهند . وغير أن عمل أحمد خان فى إنشاء كلية عليكرة التى كان يطلق عليها (الكلية الإسلامية الانجليزية الشرقية) قد دفع تيار الإصلاح الإسلامى القديم بالتحدى إلى تجديد أساليبه فنشأت (ديوبند) على الأساليب التقليدية ثم لم يلبث أن قام تيار وسط حاول أن يجمع بين دراسات عليكرة ودراسات ديوبند تمثل فى (ندوة العلماء) ودار العلوم فى لكنو (١٣١١هـ) . ولم يلبث المسلمون فى الهند أن وسعوا نطاق الثقافة والتعليم فقامت جامعات إسلامية فى دكا ودلهى والكلية الإسلامية فى لاهور وبشاور ثم أنشأت مدرسة كلكتا وكلية الشيعة فى لكنو والجامعات العثمانية فى حيدر آباد والجامع العباسى فى بابلور . وقد خرجت هذه الجامعات عدداً ضخماً من أعلام الفكر الإسلامى فى الهند الإسلامى : من أمثال شبلى النعمانى وأمير على ومحمد على جناح ونذير ومحمد والطف حسين وكثيرون .

منذ انبعثت دعوة التوحيد من قلب الجزيرة العربية فى منتصف القرن الثامن عشر فقد تأثر بها العالم الإسلامى كله وقد جاء هذا التأثير الواضح نتيجة ورود المسلمين إلى مكة فى موسم الحج واستماعهم إلى هذا الصوت الجهير الذى يحمل لواء فكرة متعددة الجوانب قوامها التحرر الفكرى فى مجال العقيدة والتحرر السياسى فى مجال مقاومة النفوذ المسيطر والراحف . وقد كان شاه ولي الله (أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى) (١١١٤-١١٧٦) م معاصراً للامام محمد بن عبد الوهاب غير أن الهند المسلمة امتازت بآثارها قدمت مجدداً ومصلحاً سبق ذلك هو أحمد السرهندى (٩٧٧-١٠٣٤) والذى عاصر أيام حكم الامبراطور المغولى «أكبر» وكان له دوره فى تصحيح كثير من المفاهيم ويوصف بأنه مجدداً لآل الثاني . ويعد الدهلوى

واحداً من نوابغ المفكرين الإسلاميين : ، وكانت دعوته إلى التوحيد واضحة الأثر وأبرز آثاره كتابية : « حجة الله البالغة » و « وإزالة الخفا في خلافة الخلفاء » وقد تابعه ابنه عبد العزيز الدهلوى ١٣٢٩ فدرس وألف ووالى عمل أبيه في الدعوة الحق . ولم يلبث الإمام أحمد بن عرفان أن دعا بها إلى التوحيد الخالص ، وقام بجولات في الهند كون بها جيلاً من المخلصين ، ثم لم يلبث أن اتجه إلى تأسيس دولة إسلامية تمتد من الهند إلى حدود أفغانستان قاعدتها « بشاور » طبق نظام الاسلام المالى والإدارى تطبيقاً دقيقاً ، وجمع بين العبادة والجهاد ، وقد عرضه موقفه الحاسم إلى خصومه رؤساء القبائل الأفغانية فثاروا على حكومته ، وكان هذا مقدمة للثورة الهندية الكبرى التى ثارها المسلمون في مواجهة الإنجليز . ولم توقف الطريقة العنيفة التى قادت بها بريطانيا ثورة ١٨٥٧ كفاح المسلمين إلا قليلاً ، إذ لم يابث أن تجدد مرة أخرى على هيئة جماعات ومدارس ومعاهد . فقد هب المسلمون لمقاومة التبشير المسيحى والتبشير الهندوكى معاً . وكان واضحاً من أسماء جماعاتهم وتشكيلاتهم الإحساس بالمقاومة والدفاع ، أمثال جمعية حماية الإسلام ، وجمعية الدفاع عن الإسلام . يقول لك. برج : « كانت كلمة الدفاع هى الصيحة التى ينفر لها مسلمو الهند جميعاً » . الدفاع عن الجماعة أو عن الإسلام الذى يواجه ويحرق به خصمان خطران هما النفوذ الهندوسى والنفوذ البريطانى الحاكم . فقد اتبعت المبشرون والمرسلون يدعون إلى أديانهم علناً ويهاجمون العقيدة الإسلامية ويعلمون أن دولة الإسلام قد زالت ، وأن الهند قد أدخلت في الحكم الغربى المسيحى ، وأن هذا هو دين الحكومة ، وقد بدأ ذلك واضحاً في مختلف المدارس والمعاهد التى أنشأها الاستعمار البريطانى . ولم يكن أمام المسلمين إلا خططهم التى طبقوها في كل مصر ، وهى إنشاء مدارس إسلامية خاصة يستطيعون من خلالها تدريس الإسلام واللغة العربية (وقد فعلت ذلك الجمعية الخيرية التى أنشأها محمد عبده وآخرين في مصر ، وفعل ذلك الإمام بن باديس في الجزائر وقد بدأ هذا العمل حين أسس مولانا محمد قاسم النانوتوى مدرسة (ديوبند) عام ١٢٨٣ هـ وأسس مولانا سعادت على مدرسة مظاهر العلوم في سهار بنور في نفس ذلك العام ، وتعددت المدارس المدنية في أنحاء الهند وكان لها أثرها الواضح في نشر الدين والدعوة الإسلامية ، لم تكن هذه المدارس تنال مساعدة ما من الحكومة وكانت قائمة أساس جهد المسلمين واعتماداتهم الخاصة . مما أثار المقاومة والجهاد . ولم يكن لأبنائنا

المخرجين منها أقل أمل في وظائف الحكومة ومن ثم فقد اتجه أكثرهم إلى الانقطاع للعمل في تربية الشعب وتعليمه والخدمة بعيداً عن المناصب والرواتب . وبذلك نشأ جيل من الدعاة المتجربين المحتسين الذين يقنعون بالكفاف (وهذا شبيه تماماً بما حدث في الجزائر) وقد نبيه المفكرون المسلمون إلى أن المدارس الدينية القرآنية الخالصة لا تكفي ، فأنشأوا مدارس تجمع بين الدراسات الإسلامية والمدنية . فأسست ندوة العلماء في لكهنؤ ثم مدرسة دار العلوم على نمط دار العلوم المصرية ، وقد أبرزت علماء ومؤلفين في مقدمتهم : شبلى النعماني . وسليمان الندوى . وهما أكبر مؤلفين في السيرة النبوية وتعاليم الإسلام . وإذا كان شبلى النعماني قد ساعد أحمد خان في إنشاء عليكرة فإنه كان أشد حرصاً منه في الحفاظ على التراث الفكرى الإسلامى وأشد إيماناً بأهمية هذا التراث . وكان يؤمن بالتحديد في إطار الإسلام ، ولذلك فقد على عمل بحث تاريخ الإسلام فكتب عن عمر والمأمون . وناقش بعض القضايا التى أوغل فيها المستشرقون ، وكشف عن الرأى الصحيح كمسألة الجزية وإحراق مكتبه الاسكندرية وعارض الكثير من خلفاء المبشرين والمستشرقين وشن هجوماً ضحماً على جرجى زيدان وكشف عن أخطائه في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامى) وكان شبلى النعماني علامة على التيار الوسط بين مدرستى المحافظة التقليدية وبين مدرسة التحديد المتدفع إلى الاعجاب الكامل بالانجليز والموالاة لمفاهيمهم الفكرية والداعى إلى اخضاع الإسلام لها. فقد دعا شبلى النعماني إلى مخطط جديد للتربية والتعليم بين مسلمى الهند وحاول تنفيذه في دار العلوم ، ويرى هذا المنهج إلى إصلاح مناهج التعليم وتغيير الكتب القديمة كما دعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية قرآنية كما كانت تدرس في العصر العباسى وأضاف بالضرورة مواد علوم الاجتماع والاقتصاد والشريعة الإسلامية والثقافة العربية . وكان قد زار مصر عام ١٨٩١ وشاهد خطة على مبارك في إنشاء دار العلوم وقد نجحت فكرة المدرسة الوسطى في الهند ، كما نجحت في مصر وحققنت نتائجاً هاماً وتخرج منها كثير من المفكرين مثل : أبو الكلام إزاد وسليمان الندوى وعبد الماجد الديريابادى وعبد البارى الندوى ممن قادوا فكر المسلمين في الهند وقد اتجه المسلمون إلى هذا العمل الخصب البناء في ميدان التربية والتعليم في مواجهة حركتين قام بهما الاستعمار البريطانى : الأول هى تغريب مناهج الدراسة في المدارس التى أنشأها حيث خلت من علوم الإسلام واللغة العربية وفي مواجهة حملة التبشير الضخمة التى شنها الاستعمار في مختلف أنحاء الهند ، وقد لفت هذا نظر الذين زاروا الهند من أمثال

دكتور عمر فروح الذى يقول : إن المستعمر لا يريد أن يعلم أبناء البلاد الخاضعة له وإذا اضطُر أن يعلمهم ، علمهم ما يضرهم أكثر هم مما ينفعهم ، من أجل ذلك لا يستغرب إذا علمنا أن الانجليز لما غادروا الهند كان عدد الأميين فيها قد أصبح ثمان وثمانين من المائة من مجموع أربعمائة مليون نفس ، أما الذين يستطيعون قراءة شىء من لغاتهم المحلية فكانوا نحو اثني عشر بالمائة والذين تعلموا شيئاً من الانجليزية اثنين بالمائة فقط ، ويستطرد فيقول : فالجهل هو أحد أوجه التراث الذى يخلفه الاستعمار فى كل بلد ، هذا إذا اضطُر إلى أن يغادر ذلك البلد على أن الأمية كانت أكثر تفشياً بين المسلمين منها بين غير المسلمين ، ولما استولى الانجليز نهائياً على الهند أخذوا يقضون على عناصر القوة وعلى مظاهر القوة فى الهند ، ثم حاولوا أن يخضعوهم لمناحى حياتهم تماماً كما يفعل كل مستعمر ، وقضوا ما استطاعوا على الحركة الثقافية وفرضوا على المواليين لهم من أهل البلاد تعلماً إنجليزياً استعماريّاً ، قد ابتعد المسلمون فى الهند عن التعليم بعاملين أولهما : أن الانجليز أخذوا يزودونهم عن العلم حتى يغمرهم الجهل فيغفلوا عن ماضيهم ويفقدوا إدراكهم بقيم الحياة الحرة ، والمسلمون فى الهند كانوا أشد سكانها مقاومة للانجليز . ثانياً : كان كره المسلمين أنفسهم للعلم الذى جاء به الانجليز لأنه علم غربيّ أجنبيّ ولقد كان لهذه السلبية أسوأ الأثر فى المسلمين فقد غرقوا فى جهل بعيد القعر وخسروا الجزء الأوفر من نفوذهم السياسى ولكن سلبية المسلمين لم يكن مقدراً لها أن تطول وأشار إلى ذلك أحمد خان الذى أدرك أن انكماش المسلمين عن العلم مضر بهم فحثهم على طلب العلم الغربى وإلى تعلم اللغة الانجليزية ثم أسس جامعة عليكرة ... الخ ومع ذلك فقد ظل المسلمون متخلفون فى مضمار العلوم نحواً من خمسين سنة عن الهندوس وكان تأخرهم فى الحياة السياسية على مقدار ذلك . وقد عمد أحمد خان فى تنمية كلية عليكرة إلى جمع التبرعات من المسلمين من مختلف الأنحاء « ولم يكن ليترك باباً من أبواب سراة المسلمين بل أبواب فقرائهم إلا طرقه مستندياً الأكف لهذه الجامعة » . وكان أحمد خان قد أعلن أن أسباب ما حل بالمسلمين من ضعف وتخلف إنما يرجع إلى أنهم لم يتعلموا العلوم الحديثة واللغة الانجليزية « لغة الغزاة » ، وقد استجاب له كثير من المسلمين وأطلق عليه اسم المنقذ الأعظم وقدر البعض أنه لولاه لانقرض المسلمون نهائياً . وإن عارضه جمال الدين الأفغانى وعدد من الفقهاء والعلماء ، عارضوه فى آرائه لا فى عمله التعليمى لما عرف عن آرائه ومنحاه فى تفسير القرآن ويرى العلامة محمد اسماعيل الندوى (الذى انتفعنا بأبحاثه المتعددة فى هذه الدراسة) أن جمال الدين الذى ألف كتاب (الرد على الدهريين) فى مواجهة

ما أذيع عن أحمد خان ، لم تتح له فرصة طيبة ليطلع على الدعوة التي قام بها « وأن أحمد خان كمصلح ديني يزود عن كيان الدين تلك الحملات الفكرية الصليبية ولم ترقه الكتب التي وضعها المستشرقون مثل وليم موبر وغيره من الذين طعنوا في الإسلام وصاحب الشريعة وتعاليمه ، وقد صنف في الرد عليهم بالأردية ، وقد أنكر الندوى ما تردد من أن هناك صلة ما بين دعوة أحمد خان وبين دعوة القاديانية ، وكل ما وجه إلى أحمد خان أنه خالف دعوة الجهاد ضد الانجليز وكان هذا رد فعل لنزعة العلماء الذين أفتوا بأن الهند دار كفر وعند الندوى أن مسألته للانجليز كانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم وهو يشبه في ذلك الشيخ محمد عبده » ، ويذكر في هذا الصدد أن أحمد خان رد على كتاب مسلمي الهند الذي ألفه أحمد المستشرقين بكتاب (أسباب العصيان الهندي) وضح فيه للبريطانيين فداحة الأخطاء التي ارتكبوها في الهند وأبان عن مسؤولياتهم وانعدام الاختلاط الاجتماعي بين الحكام والمحكومين وتدخل الحكومة في الشؤون الدينية تدخلا غير مرغوب فيه . ويرى بعض الباحثين أن الانجليز قد استطاعوا أن يكسبوا إلى صفهم طائفة ممن يتسمون بسمة الإسلام وقد أتاحوا لهم من الشهرة ما يجعل لآرائهم مكانة وأن هؤلاء قد حرفوا مفاهيم الإسلام الأصلية بما تخدم مصالح بريطانية ، وأن هؤلاء قد حملوا لواء الدعوة إلى الدهرية والطبيعية فكانوا أعواناً للانجليز في إفساد العقيدة الإسلامية وأن دور الدهريين كان أخطر من دور المبشرين الذين هاجمهم الناس وأنكروهم . ويصل هؤلاء الباحثين أحمد خان بهذه الفئة وقد جعلوا من إنشاء جامعة «عليكرة» وسيلة إلى بث هذه الآراء . وأحصوا عليه ما رددته في تفسيره للقرآن من أمور أهمها تهوينه من فرض القتال على المسلمين والتقليل من شأنه تحت ستار التسامح الإنساني والتعاون العالمي وكذلك ما يتصل برأيه في نفي المعجزات . ومن هنا كانت حملة جمال الدين عليه وكان ما قيل من أن آرائه كانت تمهيد لظهور المذهب القادياني ، ولابد أن يكون لما ورد من ذلك أثر ما ، غير أنه لابد من الاحتياط في تقدير اختلاف النظرة الجذرية في موقف جمال الدين من الانجليز وموقف أحمد خان منهم . فالأفغان رجل ثائر وخصم عنيد لبريطانيا وحامل دعوة تنكيس أعلام بريطانيا في كل مكان يذهب إليه ، أما أحمد خان فهو مصلح قد اقتنع بأن مصلحة المسلمين الهنود اتخاذ خطة مسالمة مع البريطانيين حتى يستطيعون البقاء والنهوض ، ولا شك أن ماصنعه أحمد خان كان بعيد الأثر وإن كان ذلك لا يمنع من المؤاخذه على تطرفه في بعض الآراء ، وإن كانت كليسة عليكرة قد

صححت بعد ذلك مناهجها حتى لا تصادم القيم الأساسية للفكر الإسلامى . ويبدو أن اليقظة الإسلامية في الهند كانت مضطرة إلى أن تأخذ طابعاً معيناً يختلف شيئاً ما عن طابع اليقظة الإسلامية العربية وفي ذلك سبيل السماح لها أن تنطلق من تحت مدافع البريطانيين . ذلك أن بريطانيا والاستعمار جملة كان حريصاً على أن يقوض روح الإسلام في المسلمين الهنود ويحل محلها طابع الذلة والفقر والجهل جميعاً ، في شماته وحقد بالغين ، وقد أشار إلى هذا (ك. ك. . برج) في كتاب وجهه الإسلام حين قال : « وأخذ المسلمون يتقهرون بانتظام حتى ألقوا أنفسهم في منزلة من الانحطاط والمهانة ، ذاقوا ذل الحقيقة المرة وهى أنهم بعد أن كانوا سادة الهندوك منذ ستمائة سنة أصبحوا كالهنود رعية (للالنجليز) » . وقد تمثلت هذه الضربات في جعل اللغة الانجليزية لغة التعليم ، وإبطال قانون العقوبات وإلغاء القضاة الذين كانوا يطبقون الشريعة . ووجد المسلمون أن جاههم ولى وأن قوانينهم زحزت عن مكانها وأن لغتهم أهملت جانباً وأن تعليمهم فقد قيمته . ثم وقعت ضربات أقوى انتهت بمحو آخر ما بقى من مظاهر حكم المغول وبمصادرة أملاك المسلمين بمصادرة واسعة النطاق ، هذه النكبة الأخيرة أنزلت المسلمين إلى أسفل درك من الكبرياء المثلوم واليأس القائم مما لاح أنهم لا يقدرّون على الخلاص منه » . نعم بهذه اللهجة الحاقدة السيئة يتحدث مستشرق عن صورة الاحتلال البريطانى للهند ثم هو لا يتوقف عند هذا الحد بل يهاجم علماء المسلمين ويصفهم بالتعصب لأنهم أنشأوا جماعة «الرجوع إلى القرآن» ورفضوا - ما أسماه - الفرص التي أتاحها لهم الانجليز لتحصيل العلم الأوربي . . ولكن (ك. ك. : برج) لم يكن متصفاً وتحمل شعاراً واحداً هو : لم يقل كل الحق ، فقد واجه المسلمون الاحتلال البريطانى بارادة صلبة وقوة وكرامة . ولم تتوقف حركات المقاومة منذ يوم الاحتلال ، واستمرت برغم كل ما فعلته بريطانيا من مجازر ومن وقعة بينهم وبين الهندوس ، ومن تسييد الهندوس عليهم رغبة في إذلالهم بحسبان أنهم كانوا هم الحكام والأمراء ، وكانت كل الحركات والجماعات والجهود التي قامت على أثر انقضااض بريطانيا تحمل شعاراً واحداً هو «الرجوع إلى القرآن» . وإن المسلمين حين رفضوا العلم في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية كانوا كراماً على أنفسهم لأنهم أنشأوا مدارسهم بنقودهم القليلة ، ولم يقفوا عند المدارس وحدها بل أنشأوا الكليات ثم برزت جمعياتهم من تحت حراب الاحتلال . فكانت جمعية علماء الهند في امبالا وفي البنجاب ولها فروع في مختلف البقاع مهمتها المزدوجة هي (١) ، مكافحة حركة (إريا سماج) التي شجعها البريطانيون بالدعوة إلى تخليص الجنس الأرى وهى حركة

تدعو إلى الوثنية القديمة وهي شبيهة بالدعوات التي أثارها الاستعمار في مصر بالفرعونية وفي لبنان بالفينيقية وفي المغرب بالبربرية (٢) إرسال مبشرين يعلمون المسلمين المتأخرين ، وبزرت أيضاً جمعية (حماية الاسلام) في كل مدينة تعنى بتعليم المسلمين (ومركزها في لاهور) وتعمل على دحض الافتراءات والشبهات الموجهة للإسلام والعناية بآيتام المسلمين .

وعند هذا عشرات من الجماعات والمدارس والمعاهد (الجامعة العثمانية ، الجامعة المليية ، دار العلوم ، ندوة العلماء ، مدرسة ديوبند) ولم يكن أحمد خان وحده ولا كلية عليكره وحدها هي مصدر اليقظة ولكنها كانت عملاً مشاركاً لأعمال أخرى كثيرة وكان إيمان زعماء الجماعة الإسلامية في الهند في مواجهة الاستعمار البريطاني منصباً على قاعدة أن (التعليم أول ما يلزم كل إنسان) وهي نفس القاعدة التي دعا إليها محمد عبده في مصر بعد الاحتلال البريطاني . ولقد كانت بريطانيا حريصة على أن تقضى على الاسلام كأساس لبقاء نفوذها في الهند ، وذلك بالقضاء على علماء المسلمين أو تحويلهم عن القيم الأساسية لمفاهيم الاسلام الجوهرية وخاصة مفهوم الجهاد وترابط الدين والمجتمع ، ويحفظ المسلمون الهنود في هذا قول لورد النبرو : «إن العنصر الاسلامي عدو أصيل للعداوة لنا وأن سياستنا الحقبة ينبغي أن تتجه إلى تقريب الهندوس» ومن هنا فلما بدأت اليقظة الإسلامية واستشرت عمد الاستعمار البريطاني إلى أن يحول بينها وبين كمال دورتها وانطلاقها ، واستطاع أن يحجب قادة المسلمين الذين فهموا الاسلام فهماً صحيحاً ، عن مكان الصدارة والقيادة . وكان من أهم الظواهر في هذا الشأن أن الذين حملوا لواء الرابطة الاسلامية «كانوا ممن تخرجوا من الكليات العصرية ولم يكن لهم سابق علم ولا معرفة بالاسلام ومبادئه ونظمه الخالدة» . ومن هنا لم يتصدر للقيادة السياسية أصحاب المفاهيم الاسلامية ، وشأن الهند في هذا شأن جميع السياسيين الذين تصدروا بعد الحرب العالمية الأولى في أندونيسيا وفارس وتركيا وأفغانستان والعالم العربي . والمعروف أن الاستعمار في الهند - كما في مصر وغيرها قد حرص على الفصل بين التعليم الديني والتعليم المدني وحال دون اندماجهما وبذلك خلق «ثنائية ثقافية» أدت إلى الصراع الفكري والنزاع التربوي وقد أتاح لأصحاب العلم المدني الوصول إلى المناصب القيادية بينما جمد الآخرين . غير أنه فيما عدا قطاع السياسة فقد ظل المجتمع الاسلامي مؤمناً بمفهوم الاسلام متكاملًا قوياً في أخص خصائص جوهره . وقد تبلور هذا التيار واتسع في الحركة الثقافية التي تمثل المدرسة الوسطى والتي فهمت الاسلام متكاملًا

بقيادة شبلى النعماني وحافظ نظير ومحمد حسن ازاد وأمير على وسيد الطاف حسين وكانت كتاباتهم (شعراً ونثراً) دعوة إلى انبهاض الاسلام والكشف عن سر الأئمة التي أخرت المسلمين . وتوصف قصيدة (مد الاسلام وجزره) التي نظمها سيد الطاف بأنها من قمم هذه الدعوة إلى التحرر والمقاومة من مفهوم الإسلام : فقد دعت المسلمين إلى اطراح الاستسلام والإيمان بأن إرادة الله تدفع المسلم إلى العمل والمقاومة ، ورددت مفهوم القرآن في دعوة المسلمين إلى الحرية والكبرياء والكرامة . وهذا هو الخط الذي نماء أمير على في كتابه المشهور « روح الإسلام » وتابعه (خدا بخش) ثم بلغ قمته في أعمال « محمد إقبال » . ويدور مفهوم النهضة عند هذه المدرسة حول « تنقية » الإسلام من الشوائب والتاس « أساسيات الإسلام كما أوحاه الله في القرآن ، فالإسلام ليس جامداً ولكنه قادر على مسيرة العصور والحضارة ، وعلى المسلمين أن يحتفظوا بقيمهم الأساسية ثم يحصلوا علم أوربا » وكان لجمعية أهل الحديث دورها في هذه الحركة ، فقد عملت عن طريق مدارسها ووعاظها وصحفها على تطهير الإسلام في الهند من المفاهيم الوثنية ، وكانت جماعة « أهل القرآن » تدعو إلى تأكيد قيمة القرآن أساساً ، وقد دحض هؤلاء جميعاً الآراء الخاطئة التي رددتها خصوم الإسلام بغية القضاء على مقومات العزة والقوة في نفوس المسلمين ، ومن رأى « أمير على » أن الإصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرير العقل من القيود وهو من المؤمنين بأن للإسلام قدرة على صنع ما عدها بصيغته . أما العلامة « خدا بخش » فيرى أن الإسلام يجب أن يدافع عن نفسه أمام الغرب بنفس الأسلحة التي صاغها الغربيون وعلى المسلمين أن يستفيدوا من أساليب التعليم والثقافة وطرق الغرب في البحث ليجعلوا ذلك في خدمة تقدمهم وهو من المؤمنين بأن روح الإسلام الحقيقي قادر على الوفاء بمقتضيات الزمان والمكان ومفتاحه وحدانية الله وشعاره الأخوة الإنسانية

وقد بلغ محمد إقبال غاية القوة والعمق في الدعوة إلى إيقاظ المسلم وشجب نزعة (الجبرية) التي سادت من خلال استشراف فهم خاطئ للتصرف ، ويعد « إقبال » رمزاً على المثقف المسلم الذي أتيحت له فرصة إحراز أرقى الدرجات ، والرحلة إلى الغرب والإقامة فيه ، دون أن يقضى ذلك على روحه المسلمة العميقة الإيمان بالله وبالإسلام . ويرى إقبال في الإسلام « المثل الأعلى » الذي لو تحقق تماماً لأوفى بكل مطالب الإنسان في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى . وإذا كان (أمير على) قد حقق بمحاولته الضخمة في كتاب (روح الإسلام) أن يكشف عن جوهر الإسلام على نحو يبنى المجتمع المسلم ، فإن (إقبال) قد عنى بببناء الفرد المسلم كأُس

لبناء المجتمع وعنده أن الفكرة الأساسية الإسلامية هي إقامة أخوة شاملة بين الناس ، غير أن انتصار الغرب السياسى الذى لم يكن متوقعا وأن ما طبعه من طابع امبراطورى ، قد عاق تحقيق فكرة إقامة الأخوة الشاملة بين الناس ، ويرى إقبال أن الخطر العظيم الذى يهدد الإسلام هو روح العصبية فى الشعوب ، تلك الروح التى لها دلائل كبيرة فى معظم البلاد الإسلامية ، « فالفرس الذين دعتهم عصبيتهم إلى الانحراف عن جمهور المسلمين طالما افتخروا بما كان لهم من تاريخ قبل الإسلام ، كما اشتد الشعور الجئسى فى تركيا ومصر حيث أخذ الناس يفخرون بتاريخهم الوثنى القديم بخرافيته وفراعنته . ويرى إقبال « أنه ليس فى الإسلام قوميات ولا هو نزعة امبراطورية بل هو « جمعية أمم » تعترف بالحدود الصناعية والفروق الجنسية لسهولة الإشارة فحسب لا لتضييق الأفق الاجتماعى » . وقد طفق إقبال منذ عام ١٩٠٨ حتى وفاته يردد فى شعره أن تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن هى وحدها التى فى استطاعتها إعادة الحياة إلى المسلمين ، كما دعا إلى العمل والحركة فى بناء الحياة والارتفاع بالإنسان ، والإخاء الإنسانى والتوحيد والإيمان بالذات . وقد حملت دعوته أساس مقاومة الجبرية التى تأثر الإسلام بها حين اتصل بفلسفة البراهمة وبالمذاهب الفلسفية المنحرفة كوحدة الوجود والحلول والاتحاد مما كان سبيلا إلى ضعف المسلمين وهزيمتهم وتواكلهم . وسيطرة الاستعمار الغربى عليهم . وعنده أن العمل واليقظة والقوة هى من مقومات الإسلام أساساً قبل أن تكون من أدوات الحضارة المدنية . ومذهب « الذاتية » فى فلسفة إقبال يعنى : « الروح المنشئ الذى أودعه الله الإنسان وجعل العمل والدأب أساسه وقد دعا إلى نمو الذات بالسعى والعمل الذى لا ينقطع فى سبيل تجديد الحياة والقوة والقدرة على التحرر من تعجزهم الغير . كما دعا إلى أخوة الإسلام . ومن أبرز القضايا التى حمل لواءها : الدعوة إلى إنشاء باكستان ، إيماناً بأن أساس الحياة فى المجتمع الإسلامى يختلف عن أساس الحياة فى المجتمع الهندوكى . وبما يضع العلاقات الأساسية لاتجاه « إقبال » العبارة التى صكت أذنه حين قال له والده : « اقرأ القرآن كأنما أنزل عليك » فهو يرى فى القرآن أعمالاً وحقائق ، ويعتقد أن كل آية تنطوى على حركة وحياة تدفع المسلمين إلى الأمام ، وأن الإسلام كشف القناع عن أسرار الكون ، ولذلك فلا ضير أن يأخذ المسلمون الحضارة الحديثة « فإنها ليست سوى ازدهار لبعض الجوانب الهامة فى الفكر الإسلامى . هذا الفكر الإسلامى الذى حملهُ الأوربيونمناه حتى يشيظ على الطبيعة. بينما تخلى عنه المسلم وعاد إلى الاستكانة مع تصوف البوذية

رجيرية البرهمية » ويقول إقبال : إن النبي محمد هو روح الثقافة الإسلامية ، هذا النبي العظيم يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها ، وأن مولد الإسلام هو مولد الاستدلال العقلي القائم على الاستقراء . وقد وقف إقبال ضد نظريات الحلاج وابن عربي وهاجم الرياضيات الصوفية وقال : إن قصد الرسول هو إنشاء أمة صاحبة ، يؤكد أن الأمة الإسلامية لم تتأخر ولم تتراجع إلى السلبية القاتلة إلا بعد انهيار سلطانها السياسي ودخول التيارات القرمطية والفارسية بمختلف أقطاها الداعية إلى الهرب من الحياة والداعية إلى قتل الذات وإفنائها ، وكل أمة يصيبها ضعف كالأمة الإسلامية تتبدل أنظارتها وتحمل الاستكانة في أعينها وتركن إلى ترك الدنيا وفي ترك الدنيا تخفى ضعفها وهزيمتها في تنازع البقاء . وعنده أن النظرات التشاؤمية قد استمدت زادها من الفلسفات اليهودية والمسيحية ، وأن هذه الفلسفات كانت مصدر كل تشاؤمية جبرية قاتلة لكل مفاهيم الحرية والإرادة والإيمان الصحيح بالله والحياة » فإذا درسنا القرآن نجد أنه صرح المفاهيم التي أخطأ النظر فيها قارئو العهد القديم والجديد حين أوضح أن الله سبحانه جعل الأرض مستقراً ومتاعاً ومكاناً للسعى وتمكيناً للمعاش ولم يجعلها لعنة أو ساحة تعذيب سجت فيها البشرية الشريرة العنصر بسبب ارتكابها الخطيئة ، فإن الغصية الأولى للإنسان تدل فيما تدل على أنها أول فعل تتمثل فيه حرية الاختيار والإرادة ، ومن هنا كانت المسؤولية ، لهذا تاب الله على آدم وغفر له . ومن هنا كانت نظرية إقبال هي توكيد الذات في هدم نظرية وحدة الوجود بكل مفاهيمها المنفصلة عن روح التوحيد .

بدأت الحركة الوطنية لتحرير الهند في أحضان الحركة الإسلامية ، وقد أزعجت الاستعمار البريطاني هذه الخطوة فعمد إلى القضاء عليها بأسلوب غاية في المكر والبراعة نحا بها المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وأسلمها إلى الهندوس وأجراها على الأسلوب الذي أراده . فالاستعمار البريطاني الذي سيطر على الهند بعد ثورة ١٨٥٧ التي قادها المسلمون كان حريصاً ألا يتحقق للمسلمين السيطرة على الهند التي ظلت تحكم الهند أكثر من خمسمائة عام مرة أخرى بعد أن أسقط دولتهم والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أتيح لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد جاءت في مقدمتها

الكلية المحمدية الإنجليزية التي أقامها أحمد خان وأطلق عليها من بعد كلية عليكره . ثم تعددت الجامعات والمعاهد في لاهور ولكنو ولم تلبث أن حقت تقدماً واضحاً في هذا المجال ثم اتجه إلى العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة في لكنو (بومباي) وكان يشرف على أعمالها أكابر المسلمين في الهند : (أغا خان وفاصل حسن ومظهر لحق الهادي) مطالبين بحقوق المسلمين الهند كوطنيين ، بدأ ذلك عام ١٩٠٧ واتسع وتعمق بإنشاء جمعية عامة تشرف على أعمال الأحزاب السياسية بقيادة شيخ المسلمين في الهند مولانا محمود الحسن . وقد استمرت تعمل في الخفاء عشر سنين وإليها يعود الفضل في يقظة المسلمين السياسية في الهند . وكان الهندوك قد أعلنوا إنشاء المؤتمر الوطني العام ، وسموه المجلس المللي الوطني الهندي العام وكانت غايته كما أشار تقرير (عبد العزيز الثعالبي) (١) أن ينالوا حقوقاً سياسية تخولهم السيادة على الأقليات (وهم لا يريدون من كلمة الأقليات غير المسلمين) وفي عام ١٩١٦ تنبّهت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبض على أعوانه : أبو الكلام آزاد ، حسرت مهاني ، ظفر الله خان ، محمد علي ، شوكت . ولما عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لإجراء إصلاحات في قانون الهند فاتفق الفريقان (المسلمون والهندوس) على عقد مؤتمراً في لكنو يجتمع فيه زعماء الفريقين وفي عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة من المسجونين السياسيين المسلمين فاجتمع زعمائهم في لكنو بدعوة مولاي عبد الباري . رئيس علماء افرنجي محل ، فتداولوا في تأسيس جمعية إسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال ، وكان قد ظهر في هذا الوقت تأمر الدول الكبرى مع تمزيق شمل الدولة العثمانية ، فأطلق على هذه الجماعة (جمعية انقاذ الخلافة من مخالف الأعداء الطامعين) . وتأسست جمعية الخلافة في بومباي (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو ، ميان محمد حاجي خان ، ودخل في عضويتها الزعماء المسلمون المعروفون في الهند ، ودعت اللجنة المسلمين إلى جمع الإعانات للدفاع عن حوزة الخلافة فأقبل بسخاء وجمع مالا يقل عن سبعة عشر مليون روبية إلى أضعاف ذلك . يقول : عبد العزيز الثعالبي في تقريره : كان (غاندي) إلى تلك الآونة غير معروف في الهيئات السياسية في الهند وكان متطوعاً في فرقة تمرير الجنود ، ولما انتهت الحرب وانفصل عنها ، كانت جمعية الخلافة في بدء تأليفها فأقبل عليها . . . وكان اسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل الذين عرفوه في الناطل وجنوب أفريقيا فتيا من به زعماء المسلمين رغم تحذير المللوى

(خو جندى) وكان على صلة به من قبل ويعلم من أمره مالا يعلمون وبالأخص من ناحية تعصبه للهنادكة مع المسلمين . وشاعت الغفلة أن تنطوى هذه الحركة العظيمة على يديه ، فقعد في جمعية الخلافة مقعد الناصح الأمين وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية وندبوه للسعى إلى ذلك . فقام وطاف الهند على حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق . ويقول المطلعون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنادكة ويتآمر معهم على شل الحركة الإسلامية ، ولما عاد من الرحلة سعى في اقناع جمعية الخلافة بالانضمام إلى الكونجرس (المؤتمر الوطنى) الذى تأسس للملاحقة المسلمين وانتزاع حقوقهم في الهند ، فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة ارتكاناً على الثقة بغاندى ، وعقد الكونجرس اجتماعاً فوق العادة بعد انضمام المسلمين إليه في مارس ١٩٢٠ في بلدة باكبور حضره ٢٥ ألف مندوب أكثرهم من المسلمين ولما تلى عليهم القانون الأساسى اقترحوا تعديل المادة التى تقول بإصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر ، وشرعت الأحزاب الهندوكية منذ ذلك اليوم تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء اصلاحات ، فارتاعت الحكومة (البريطانية) لهذا التغيير وعدته فاجعة في سياسة البلاد وعلى أثره ألقت القبض على الزعماء وزجرتهم في السجون . (واجتمع قادة الحركة) وعرض أبو الكلام آزاد اقتراحاً باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان الأمة الهندية بأن الحكومة الحاضرة غير مشروعة ، مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها . فوافقت الجمعية واتفقت على أثره (مؤتمر جمعية الخلافة) فأعلن موافقته أيضاً بالإجماع ، وبعد أن جرى تصديق المؤتمر على قرار المقاطعة قام غاندى خطيباً وقال : إن اتحاد الهنادكة يبقى متيناً ما لم يشرع المسلمون في مناوئة الحكومة ويشهروا السلاح في وجهها ، ورد عليه أبو الكلام آزاد فقال : إن كان غاندى يتصور أن أعمال المسلمين في الهند لا تقوم إلا على مساعدة الهنادكة فقد آن أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا على الله وعلى أنفسهم .. وشرعت الأمة الهندية عقب ذلك في مقاطعة الحكومة وإظهار العصيان المدنى فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم وتخلي المحامون عن الدفاع أمام المحاكم ، وأعاد أصحاب الرتب النياشين والبراءات للحكومة ، وأحرق التجار المسلمون جميع ما في مخازنهم من البضائع الإنجليزية ، وترك المسلمون الموظفون مناصبهم في الحكومة . فحل الهنادكة محلهم ، وهاجر عدد كبير من أكابر المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا

أُملاكهم وأرضهم في الهند واشتدت المقاطعة في البنغال اشتداداً عظيماً ليس له مثيل فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين ، حتى إذا أعْيى الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص في الصباح وتطلقهم في المساء ، لأن السجون لم تعد تسع المعتقلين . وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) في كلكتا فقال : إنني شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ولست أدري ماذا أصنع فيها . ومن هذا السياق تستطيع أن تتصور قوة المسلمين في الحركة الوطنية وضعفها في الهندوكية ولا شك أن الهندوكي بالغ ما بالغ من النشاط السياسي لا يستطيع أن يجابه الحكومة كما لا يستطيع أن يحارب المسلمين إلا بسلاح الدس . وقد اجتمع الزعماء عام ١٩٢١ وأعلنوا استقلال الهند استقلالاً فعلياً وعينوا ولاية الولايات وحكام المقاطعات وقضاة المحاكم في جميع المدن ، فكان الوطنيون يرفعون قضاياهم أمامهم ، ويتجاهلون محاكم الحكومة . وبسبب ذلك تعطلت أعمال الحكومة والبوليس وحدث ارتباك شديد في الدوائر العالية بالهند ، غير أنها بدلا من أن تستعمل القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية وهي أشد خطراً وكان بطل هذه الحركة المهاتما غاندى زعيم الهند . فقد اتفق اللورد ريدنج مع غاندى على حل الوفاق القومى بين المسلمين والهندوك . وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية عقب ستة أشهر ، فقد نقل أن اللورد قال لغاندى : إن مصدر الحركة الاستقلالية في الهند المسلمون ، وأهدافها بأيدي زعمائهم فلو أسرعنا وأجبناكم إلى طلباتكم وسلمنا لكم مقاليد الأحكام ، ألا ترى أن مصائر البلاد آيلة للمسلمين ، فماذا يكون حال الهنادكة بعد ذلك . هل تريدون الرجوع إلى ما كانوا عليه قبل الاحتلال البريطانى . وهل تفيدكم يومئذ كشرتكم وأنتم محاطون بالأُمم الإسلامية من كل جانب وهم يستمدون قوتهم منها عليكم .. إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فعليكم أن تسعوا أولاً لكسر شوكة المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومة ، وينبغى لكم أيضاً تنشيط الحركات الهندوكية للتفوق على المسلمين في جميع الأعمال الحيوية وفي بلوغكم الدرجة المطلوبة فإني أؤكد لكم أن حكومة بريطانيا لا تتمهل في الاعتراف لكم بالاستقلال . وقبل انصراف غاندى أوعز اللورد إليه أن يشير على (مولانا محمد على) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه في مؤتمر الخلافة وحمل فيه على الحكومة حملة عنيفة ، بقول فيه : « إن ما فهمته الحكومة كان مخالفاً لمرادى » فصدع غاندى بالأمر ودعا محمد محمد على لكتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سرياً لا يطلع عليه أحد غير

اللورد ، فكتب البيان تحت التأثير السحري الذي كان لغاندى عليه وما كاد الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع في جميع أقطار الهند بعد أن صدرته الحكومة بمقدمة قالت فيها : « إن محمد علي تقدم إلى الحكومة يطلب منها العفو عن المفقوة التي ارتكبها » واتهم محمد علي من المسلمين بالتراجع ورمى بالخور والضعف ، غير أنه لم يحاول أن يصحح موقفه إلا حين عقد مؤتمر الخلافة في كراتشي (أغسطس ١٩٢٠) حين أعلن سياسة المناوأة للحكومة لا موالاتها فتلقى منه الهنادكة والمسلمون هذا التصريح بالارتياح التام ، ولكن عقب انفضاض المؤتمر أمرت الحكومة باعتقاله مع ستة آخرين منهم : شوكت علي ، حسين أحمد ، كثار أحمد ، بير غلام محمد ، الدكتور سيف الدين كتشلو ، وساقطهم جميعاً إلى المحكمة الخصوصية للمحاكمة فرفضوا الاعتراف بالحكومة وهيبة المحكمة عملاً بقرار المؤتمر السابق وامتنعوا عن الدفاع عن التهم ، ولكن المحكمة أدانتهم بمجرد الاتهام وحكمت عليهم بالسجن عامين مع الأشغال الموجهة إليهم ، وبعد الحكم أصدر محمد علي وسيف الدين كتشلو منشوراً بتوقيعيهما يخاطبان فيه الشعب وينصحانه بعدم الاهتمام بما حصل ويعدان بأن الزعماء المعتقلين سيحضرون اجتماع الكونجرس القادم في ديسمبر بمدينة أحمد آباد سواء رضيت الحكومة أم كرهت ، لاغتنادهما أن الكونجرس سيعلم بصقة رسمية استقلال الهند وتأليف حكومة وطنية هي التي ستقرر الإفراج عنهم ، ولكن الحكومة لم تأبه لهذا المنشور لأنها كانت واثقة أن الكونجرس لن يفعل . ولما عقد اجتماع الكونجرس (ديسمبر ١٩٢٠) حضر غاندى وقال بما أن الزعماء معتقلون ولا سبيل للمداولة معهم في منهاج أعمال المؤتمر ، فأقترح عليكم تعيين ديكتاتوراً للمؤتمر وتخويل السلطة المطلقة لتنفيذ ما أراه صالحاً من الإجراءات فوافقته اللجنة على ذلك دون أن تنتبه إلى ما كان يضمه هو من المقاصد التي قد لا تتفق مع خطة المؤتمر ، وتقرر فيها أيضاً اسناد رئاسة مؤتمر الخلافة إلى أجمل خان ، ومؤتمر مسلم ليك لحسره مهاتى ، وقبل اجتماع مؤتمر الخلافة قال غاندى للحكيم أجمل خان أن إعلان الاستقلال في الظروف الراهنة غير مناسب وما زال حتى أقنعه بالعدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسجونين كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، وكانت الحكومة تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وماذا عساها تصنع لو تخلف غاندى عن الوفاء لها بوعده. وفي أغسطس ١٩٢١ اجتمع الكونجرس تحت رئاسة غاندى في أحمد آباد فأعلن أن الوقت الذي يصرح فيه المؤتمر

باستقلال الهند لم يحن بعد ، فهاج الأعضاء وماجوا وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافة وتيسب الحكيم أجمل خان أن يثير عاصفة من قبل المسلمين ، فأمسك عن اعلان الاستقلال ، أما حسرت مهاتى فقد أعلن في مؤتمر مسلم ليك أن الهند تريد أن تعرب بواسطتهم عن إرادتها في الاستقلال ، فعلى الهنود أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترفوا بقوانين الحكومة الملغاة فأمرت الحكومة بالقبض عليه وأودع السجن عشر سنين مع الأشغال، وأجمعت الصحف الهندية على نقده ووصفه بالشدة ، وخفضت العقوبة إلى سنتين وعقب ظهور هذا الفشل العظيم في سياسة البلاد اعترت المسلمين شكوك في تصرفات غاندى واستيقنوا « بأن زعماء الهنادكة متفقون على ذلك فدب الانشقاق بين الطرفين » . هذا هو النص الذى أورده العلامة (عبد العزيز الثعالبي) عن دور المسلمين في الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه وانهار مخطط الاستقلال ، ومن المعتقد أن هذا العمل كان أكبر مقدمات الدعوة إلى مطالبة المسلمين بكيان خاص لم فقد بدأت من خلال ذلك حركة مقاومة خطيرة للكيان الإسلامى ، مرتبطة بحركة تبشير هندوكى وتبشير غربى بريطانى في محاولة لاقتلاع الإسلام والقضاء على دعائمه .

وقد أشار عبد العزيز الثعالبي إلى ضخامة مخطط التبشير في الهند عام ١٩٣٧ حيث توجد ٣٧٧ ارسالية تضم (٣٦٣٤) مبشر ، بإضافة إلى ٥٠ كلية و ٣١٨ مدرسة ثانوية و ٤٢١ مدرسة ابتدائية و ٢٧٠ مدرسة متنوعة أخرى بالإضافة إلى ١٧٠ جريدة وصحيفة ونشرة تدار كلها لحساب الإرساليات التبشيرية الغربية . وقد بلغ حجم النفقات السنوية للإرساليات بالهند ٣٣١ و ٢٢٧ مليون روبية . وقد واجه المسلمون هذه الغزوات بإنشاء جمعيات التبليغ بفروعها المختلفة الإسلامية في أنحاء الهند وذلك لصيانة عقائد الضعفاء من المسلمين والدعوة إلى الإسلام . وفي أعقاب هذه الحركات أخذت الدعوة إلى القومية الهندوكية طريقاً متطرفاً أحس المسلمون معه إلى حاجتهم الشديدة إلى تعميق مفهوم الرابطة الإسلامية .

يقول سعيد الندوى : « إنه في الثلاثينات ظهرت حركتان وحزبان متناقضان : حركة تدعو إلى القومية الهندية المشتركة والانضمام إلى حوزة المؤتمر الوطنى الهندى وحركة تدعو إلى القومية المسلمة ، وغير خاف على المسلم المستبصر ما فى الحركتين من خروج على الإسلام وخطر على مستقبله فى هذه الديار . فالقومية الهندية المشتركة كانت تريد إدماج المسلمين

في حظيرة القومية الهندوكية تمهيداً للقضاء على الإسلام وشعائره في هذه الديار . وكذلك القومية المسلمة المتطرفة في المقاومة للقومية الهندية لم تكن أقل خطراً على الإسلام من ضررها لأن القائمين بها والداعين إليها وإن كانوا من أبناء المسلمين يتسمون بسمة الإسلام ويصيحون ويصرخون باسمه في المحافل والمنتديات ما كانوا يعرفون من الدين إلا اسمه ، وكان جل همهم أن يحصلوا على مملكة على طراز الجمهورية التركية الكمالية وأخوانها من الجمهوريات اللادينية في الغرب وكان من نتائج خططهم المعوجة أن كثر التبرج والاختلاط ، وجهر زعمائها بالقضاء على آداب الإسلام وأخلاقه الذكية الطاهرة بالإضافة إلى ما كانوا يبذلون من اعتزامهم تتبع معالم الغرب في الحياة الاجتماعية والسياسية . ويمضى فيقول : ظهرت هاتان الحركتان المتعارضتان بعد سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١ م) واشتد الخلاف بينهما بعد بضع سنين إذ بلغ الأمر بأنصار الحركتين أن جعلوا يتنازعون في كل ناد ومجلس وأخذت صحف الحزبين تمنع في التنازب بالألقاب وعنده أن الرابطة الإسلامية لم تكن على مستوى الأحداث فقد حشدت في دائرتها كل غث وسمين من مطايا الاستعمار وأذئاب الشيوعية وأتباع الكمالية من أبناء المسلمين وقال أنها ليست من الجماعة الإسلامية في شيء وإنما هي جمعية للمسلمين الجغرافيين توحدت كدلتها وانتظم عقدها لمحاربة القومية الهندوكية والمؤتمر الهندي وقال إن بعض صحف الرابطة الإسلامية وأنصارها سخروا من الدعوة الإسلامية وفريضة إقامة الدين . ويمكن القول أن الرابطة الإسلامية كانت شبيهة بالأحزاب السياسية التي ظهرت في العالم العربي في نفس هذه الفترة وتحررت من كل علاقة بين السياسة والأخلاق أو بين الدين والمجتمع .

(٢) لم تتمكن باكستان من مواجهة الأعاصير لأنها عجزت عن أن تلمس أسلوب الأصالة الإسلامية فقد كانت منذ نشأتها أملاً ضخماً من آمال المسلمين في قيام دولة إسلامية على مبادئ الإسلام ولكنها وقعت صريعة النظام الغربي الذي فتح لها أبواب الصراع حول القومية والديمقراطية وفرق الدولة الواحدة نتيجة إلتماس الأسلوب الغربي في مواجهة الأمور وإعلاء جانب الحكم في البنجاب على حساب المحكومين في البنغال ، ولقد عجز قادة باكستان وزعمائها منذ نشأتها في أن يوجهوا الدولة إلى النظام الاسلامي وصبغة المجتمع منها صياغة إسلامية فسقطوا في سراييد صراع القوميات والمذاهب مع التبعية للقانون الوضعي والمناهج الغربية ، بل ان بعض المراقبين يرى أن تمزق باكستان جاء نتيجة طبيعية للتكرار للإسلام

وإهمال مبادئه في أسلوب الحكم والسياسة والوقوع في شرك المذاهب والأيديولوجيات القومية والديمقراطية . ولا ريب أن المنهج الإسلامي هو طريق النصر والسداد ولو إتخذ حكام باكستان أسلوب الإسلام لما حدث الصراع ولكن سمة الأصالة لم تلبث أن اختفت وظهر الطغاة الذين قادوا البلاد إلى الدخول في حرب عاصفة مزقت وحدة باكستان ومكنت الهند في مساعدة البنغال على الانفصال عن باكستان عام ١٩٧١ ولقد قامت الهند بخطوتها هذه في سبيل سحق القوة الإسلامية بمساعدة الاتحاد السوفيتي العسكرية ولضمانته الدولية ، وقد قام الشيوعيون بهذه المغامرة ليس ضد باكستان فحسب ولكن لتركيز نفوذهم في منطقة أقرب ما تكون إلى حدود الصين ولقد كان تركيب باكستان من جزئين يفصلهما بحر متلاطم من الهندوكية ينذر بخطر شديد ، غير أن أسلوب الحكم الذي لم يحرص على العدالة والتوازن هو الذي أوجد في أيدي أصحاب الأغراض سلاحاً للخلاف والحرب فان حكام باكستان الذين أقاموا في البنجات لم يعدلوا مع اخوتهم في البنغال فباكستان الشرقية أصغر مساحة وأكثر سكاناً (مساحة البنجاب ستة أضعاف مساحة بنغال وتعدادها أقل عشرة ملايين) وكان معظم ما ينتج في المنطقة يصرف في الغرب وبذلك أصبح الشرق (البنجال) مباءة خطيرة للفقر وازدحام السكان ومن هنا نشأت فكرة الانفصال ووجدت عوامل كثيرة لانمائها فقد كان هذا الانحراف في التعامل وجشع القادة في البنجاب عاملاً خطراً في بذر بذور الجفاء بين أبناء البنغال وأبناء البنجاب ثم جاءت محاولة قهر الراغبين في الانفصال عن تحقيق غايتهم مما دعا إلى تدخل الهند ، فقد رفض حاكم باكستان تسليم السلطة إلى الحزب الذي حصل على ولاء البنغاليين ، فضلاً عن امتناع القيادة الحاكمة بالاعتراف باللغة البنغالية كلغة رسمية ، لقد كانت الثغرة القومية قد نمت حيث لم توجد الفرصة لإقامة إخوة إسلامية حقيقية ، وتعرضت أخوة الدين والعقيدة لامتحان خطير ولا ريب في غياب المفاهيم الإسلامية أن ينتصر التيار القومي في البنغال حتى لقد رفضت الدولة الجديدة النص على ارتباطها بالإسلام وما تزال تضطرب بين مفاهيم القومية والاشتراكية .

ولا ريب أنه إذا كانت عملية تقسيم باكستان خطة مدبرة ساهمت منها الدول الكبرى لضعاف أكبر دولة إسلامية فان حكام باكستان يحملون وزراً شديداً لأنهم لم يتمسكوا بأسلوب الإسلام الذي يحقق العدل والتكافل

والشكامل ويحول دون السيطرة والاستعلاء . لقد انفصلت بنغال عن باكستان في غيبة الحكم الاسلامي وغيبة الحاكم المسلم الذي يطبق ما جاءت به الشريعة الإسلامية ولقد أدان المراقبون المخطط كله على هذا النحو : (أولاً) : استشرأء دعوة مجيب الرحمان إلى القومية البنغالية على حساب الوحدة الإسلامية . (ثانياً) تفصير الساسة الباكستانيين في الجناح الغربي حيث لم يأخذوا بعين الاعتبار «حاجات وعواطف» الجناح الشرقي (البنغال) . (ثالثاً) استغلت حكومة الهند التي لم يرق لها قيام دولة منفصلة عن شبه القارة الهندية على أسس إسلامية الضعف والانهيار الذي أصاب الوحدة الباكستانية فساعدت على إيقاد نار الحرب بين الجناحين ورمت بثقلها إلى جانب الجناح الانفصالي في باكستان الشرقية . (رابعاً) : لقيت مأساة الانفصال تأييداً كبيراً من الدول الغربية ومن الدول الشيوعية على السواء . يقول الدكتور مطيور رحمن : من المعروف أن الباكستان قد أسست على مبدأ إسلامي صريح فكان المأمول أن تصبح نموذجاً يحتذى به في ممارسة الآخاء والعدل ، وان ما حدث إنما جاء نتيجة تراخي الحكام في العمل بأحكام الإسلام الذي على مبادئه أسست دولة باكستان ، ويوجد في باكستان صراع بين العناصر العلمانية وبين العناصر الدينية المتزمتة والاسلام دين إنساني لا يتعارض مع القومية ، بل انه يشملها فالقوميات في الاسلام يجب أن تؤسس على التعارف والتآلف وليس على التناحر والتفاخر وان تعدد القوميات ضمن دولة واحدة ممكن التحقيق على أساس الآخاء والعدالة والاحترام المتبادل غير أن الحكومة المركزية لم تدر الاهتمام الكافي للقوميات التي تكونت منها دولة باكستان ولذلك وجدت الحركة الهدامة التي تزعمها مجيب الرحمن تربة خصبة في الجناح الشرقي من باكستان ، وكان الأفضل قيام حكم إسلامي فيدرالي يسمح للقوميات المتعددة بقسط وافر من الحكم الذاتي . ولا ريب أن انفصال (البنغال) عن (الباكستان) الأم مأساة إنسانية لسكان بنجاليدش ولا سيما في الحقل الاقتصادي فهي لا تستطيع الوقوف على قدميها اقتصادياً ما لم تلجأ إلى الهند وتعرض للذوبان في الجسم الهندي أو تنتظر المساعدات من مصادر خارجية وليس هناك مخرج من الأزمة إلا بالعودة إلى الإسلام وإلى الانتقام مرة أخرى بين الجناحين مع تجنب أخطاء الماضي وبقول المراقبون أن البنغاليون هم الذين نادوا بالباكستان وكانوا أشد لها حماساً من أهل البنجاب ولكن الحكم العسكري هو الذي أساء إليهم وكان لحكومات الجنرالات أثرها

البعيد في المآسى التى لحقت بهم ولقد كان من أكبر الأخطاء أن تقوم باكستان على أساس الإسلام ثم توصف بالقومية الباكستانية ، وتأخذ أسلوباً مماثلاً للقوميات الأوروبية بينما كان عليها أن تأخذ طريقها الوحيد إلى النظام الإسلامى. يقول أحد الباحثين : من المؤسف أنه منذ النشأة الأولى لباكستان لم تحاول أية واحدة من الحكومات المتعاقبة على دست الحكم فيها أن تفعل شيئاً يقوى من تلك الأوامر المدعومة للوحدة بل أن الواقع يشير إلى أن كل حكومة من تلك الحكومات قد أسهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى إضعاف تلك الأوامر . إن كبار القواد العسكريين (الجنرالات) والموظفين البروقراطيين الذين نشأهم الحكم البريطانى كانوا يعارضون قيام دولة إسلامية وقدروا أنه من الضرورة بمكان أن يحطموا الديمقراطية حتى يحكموا البلاد على هدى خطتهم وضد إرادة الجماهير ولذا تأمروا حتى يستطيعوا الاستيلاء على الحكم فالجنرال أيوب خان دام حكمه اثني عشر سنة كاملة وفى أثناء ذلك أتيح لكل القوى المعادية للإسلام من قاديانيين وعلمانيين وماركسيين أن تنطلق من عقائدها وتزيد من نشاطها مقابل تأييد تلك القوى لحكم أيوب خان الدكتاتورى وبإضعاف نفوذ الإسلام السياسى والذى كان يوحد بين المواطنين فى باكستان وهم مختلفوا الألسن ففتح الباب للشعور الاقليمى والكيانى للناطقين بلغة ما من لغات الشعوب التى كان يضمها كيان باكستان الموحد فأصبح مفهوم القومية القائم على وحدة اللغة أو العرق حراً لأن يقوى ويشدد ساعده . وكانت الفوارق بين المواطنين من شتى باكستان فى السيطرة الاقتصادية أو الإدارية أو فى الرتب العسكرية تشكل مادة ملتبهة للأحاديث السياسية ، ولقد أفلح فى استغلالها الانفصاليون الاقليميون لاثارة الكراهية ضد الحكومة المركزية فى باكستان . وفى هذه الظروف المواتية لأهدافه استطاع داعية الاقليمية الشيخ مجيب أن يكتسب لنفسه شعبية ظاهرة قومية ولكنه لم يجرؤ قط على المجاهرة بعوائده للإسلام أو المطالبة بالانفصال عن الدولة الموحدة ، وجاء الجنرال يحيى خان فاتخذ عدة قرارات سياسية فاحشة الخطأ مهدت الطريق لانتصار مجيب الانتخابى وقد منبت باكستان الشرقية بأضعف إدارة حكومية الأمر الذى مكن للشيخ مجيب من أن يستعمل كافة الأساليب الفاشية ليكسح انتخابات انتخابات سنة ١٩٧٠ وأخفق يحيى خان ومجيب فى الوصول إلى تسوية سياسية حيث نظم الشيخ مجيب التمرد أو الثورة على الحكومة واستعمل يحيى خان القوة المسلحة لكبت تلك الثورة وكانت هذه الأحداث الدامية فرصة ذهبية بالنسبة للهند العدود للود

لباكستان للتدخل في شئون باكستان الداخلية بغية تمزيق وحدتها وهو ما كانت الهند تصبو إليه منذ قيام دولة باكستان فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه لولا تدخل الهند العدواني السافر لما أمكن فصل باكستان الشرقية (البنغال) عن دولة باكستان الموحدة. وتشير الدلائل إلى مؤامرة دولية كبرى بين جمهورية الهند والصهيونية المالية فباكستان المعروفة بغيرتها الإسلامية لمصلحة العرب البالغة درجة التعصب لهم قد جعلت اليهودية تعتبرها العدو رقم واحد لها وفي محاولتهم المنكرة للإلحاق الأذى بباكستان قدم اليهود كل عون مادي ومعنوي وعتادي ودبلوماسي للهند في مغامرتها الامبريالية التي قامت بها فنجحت في احتلال نصف أراضي باكستان واستعباد خمسة وستين مليوناً من المسلمين . ولقد واجه مسلمو البنغال من العذاب والتقتيل بسبب حبهم للإسلام ووليدته باكستان على نحو لم يعرف المجتمع العالمي مثيلاً لها ، ولم يعرف شيئاً من فصولها التي تقشعرها الأبدان وتشيب هولوها الولدان على أثر سقوط (داكا) عاصمة باكستان الشرقية فالتقارير تذكر أن الناس قد عذبوا حتى الموت بوسائل غريبة في أفضاعتها ووحشتها على يدي الجيش الهندي المخمور بالنصر وأعوانه من المحاربين من شذمة الانفصاليين .

(٣)

ولقد خطت باكستان خطوة جديدة في الطريق الصحيح على يد حاكمها ضياء الحق الذي أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية محققاً بذلك أملاً طالما غمر قلوب المسلمين نحو باكستان منذ بدأ ظهورها عام ١٩٤٨ حيث قامت باكستان بالإسلام وللإسلام ولكن العواصف والأعاصير حالت بينها وبين أن تخطو نحو الطريق الصحيح وكانت آخر مراحل الاضطرابات انحراف (ذو الفقار علي بوتو) إلى نفس الطريق الذي سار فيه التابعون للعلمانية والمؤمنون بالتجربة الغربية، وأخذ بوتو يعمل على تحويل باكستان إلى دولة علمانية مقلداً أسلوب أتاتورك والشاه وعبد الناصر وسمح للفساد الاجتماعي أن ينمو تحت اسم جلب الليل والمراقص وبيوت البغاء ، وقام في مواجهة معارضيهِ بالبغي والبطش والتنكيل ، وأمم المدارس الإسلامية الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم (١٢ ألف مدرسة) وبدأت حركة اليقظة الإسلامية تواجه خطر الإبادة وقاد الشيخ مفتي محمود مظاهرات الاحتجاج منذ قرار تأميم المدارس الإسلامية وضد الانحراف والفساد وعزل ضياء الدين علي بوتو عن الحكم عندما تبين له أنه أوغل في الطريق المظلم . وأعلن ضياء الحق أن الشريعة الإسلامية هي مصدر القوانين وأخذ في تعديل مختلف

القوانين لتكون مطابقة للشرعية الإسلامية وأعلن في مولد الرسول (٢١ ربيع الأول ١٣٩٩) القوانين الإسلامية بتطبيق الحدود الإسلامية قطع اليد السارق ورجم الزاني وجلد شارب الخمر ، وبذلك دخلت باكستان التجربة الإسلامية التي نرجو أن تكون نبزاً صادقاً أمام المتطلعين إلى إقامة منهج الله تبارك وتعالى ولا شك أن ما تقوم بتحقيقه باكستان هو تجربة كبرى : ترى إلى إعادة بناء النظام الاجتماعي الاقتصادي بها على أسس من أحكام الشريعة الإسلامية وقد أكد المسؤولون الباكستانيون أن التجربة الجديدة ليست مجرد تعديل أو تغيير في القوانين ، إنما هي بمثابة عملية تعتبر في أساسيات المجتمع ويستتبع هذا بالقطع تغيير القوانين المطبقة لتلائم هذه الأساسيات الجديدة (الدكتور خورشيد أحمد) ويتبع هذا كله من تعاليم الإسلام والشرعية السمحة . الذي تقول : أن عملية التحول نحو الشريعة الإسلامية تتطلب تغييراً في الجوانب الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والاعلامية وغيرها لإقامة المجتمع الإسلامي الصحيح . ، وقد جرت في جانب التعليم تغييرات جذرية في البرامج والمناهج التعليمية من أجل ربط هذه المناهج بأساس العقيدة وصبغ التعليم بالصبغة الإسلامية وكذلك فإن الاعلام أصبح إسلامياً بحيث أصبحت تصاغ جميع مواد الإذاعة والتلفزيون الفكرية والثقافية وحتى الترفيهية صياغة إسلامية صحيحة وتقدم في قالب يتمشى مع الهدف الذي يرمى إليه المجتمع الجديد كذلك فقد أخذت الصلاة تدخل في جميع مراكز الدولة ومؤسساتها ومصانعها بما يساعد على تكوين خلق جديد من المواطنين هو الخلق الإسلامي بما يقضى على الانحرافات وقد أصبحت الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي لجميع قوانين الدولة وتشريعاتها ، لما يكون لها الأولوية في التطبيق في حالة تعارض أحكام أحد بنود القوانين الوضعية معها وقد تم إقرار أربعة قوانين إسلامية هي : تحريم الخمر والعقاب عليه والسرقه والزنا والقتل وحدوده ولقد كان المؤسسات الجماعة الإسلامية في باكستان جهود بارزة منذ وقت طويل في المطالبة والإعداد لتطبيق الشريعة الإسلامية وقد وضعت إمكاناتها في هذا السبيل ، بالإضافة إلى مجلس التشريع الإسلامي الأعلى الذي يضم نخبة من كبار علماء باكستان فضلاً عن لجنة من كبار الاقتصاديين في المصارف . ويعد الجانب الاقتصادي من أهم جوانب التحول ، بعد أن تقرر إدخال مبادئ الاقتصاد الإسلامي في جميع المعاملات الاقتصادية في باكستان خاصة الزكاة والعشر ، والقضاء على مبدأ الفائدة والربا التي تحكم الاقتصاد في هذا العصر وقامت مؤسسات لأربوية لتطبيق هذا المبدأ ، وتعد هذه هي التجربة

الإسلامية الكاملة الأولى التي يبدأ تطبيقها في عالم الإسلام .

(٦)

أندونسيا وافييل الملايو

مرت أندونسيا في تاريخها الإسلامي بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : منذ دخول الإسلام حوالي ١٤٠٠ م إلى عصر الاستعمار الهولندي . المرحلة

الثانية : عصر الاستعمار الهولندي ١٥٩٦-١٩٤١ . المرحلة الثالثة : عصر الاستقلال منذ

سنة ١٩٤١ إلى اليوم .

(١)

دخل الإسلام أندونسيا عن طريق الهنود والعرب الذين قدموا إلى البلاد للتجارة وحملوا معهم الإسلام واللغة العربية ، فقد وفد المسلمون على سومطرة في القرن السادس الهجري (١٢ م) وهبطوا جاوه في القرن التاسع الهجري (١٥ م) ، جاءوا من الهند أولاً ثم تتابع سيلهم من حضرموت والبلاد العربية بعد القرن العاشر الهجري (١٦ م) . قد نشر الحضارة في أندونسيا التي تمثل سلسلة من الجزر الهندية الشرقية تمتد إلى سيلان واليابان والصين وأهمها جزيرتان هما : جاوه وسومطره وكان الأندونيسيون الأقدمون وثنيين . ثم جاءت بعد ذلك البرهمية والبوذية فانتشرتا بينهما وبعدهما جاء الإسلام ، وقد دخل الأندونيسيون في الإسلام سراعاً واعتنقوه بأعداد هائلة حتى لم يبق على البرهمية والبوذية في الجزر الألف إلا أقلية ضئيلة معظمهم يوجدون في جزيرة بالي . وقد تم إعتناق الإسلام في أندونسيا بطريقة سليمة وبسرعة منقطعة النظير « إذ أقبل الناس عليه ووجدوا في سماحة تعاليمه ما أنقذهم من الاضطراب النفسي الذي كان يسيطر عليهم نتيجة العقائد المتضاربة فدخلوا في دين الله أفواجاً وما هي إلا فترة قصيرة حتى اكتسح الاسلام جميع الأديان الأخرى التي كانت منتشرة هناك ، وسطع نور الإسلام في أرجاء الأرخبيل من أقصاه إلى أقصاه . بدأ الاسلام في جاوه ثم امتد منها إلى سومطرة ثم إلى سائر الجزيرة وحمله التجار العرب والهنود المسلمون الذين كانوا يتحركون بهمة فائقة عبر مختلف الموانئ بين الهند والصين . ويرى المؤرخون أن الفضل في ترسيخ أقدام الإسلام وتوطيد أركانه في كل من الملايو وأندونسيا إنما يرجع إلى دخول «ملقا» في الإسلام واطراد قوتها في شبه جزيرة الملايو بحسبان أنها مركز تجارة التوابل في الشرق . ومالبث حكامها أن دخلوا في الإسلام في القرن التاسع الهجري (١٥ م)

وشجعوا إقامة علاقات ودية مع أهل جاوه فأدى هذا العمل إلى دخول هؤلاء في الإسلام ومضى مسلمو ملقا يعملون للدعوة الإسلامية في شبه جزيرة الملايو وعلى محاذة ساحل جزيرة سومطره . وأبرز الدعاة في جاوه تسعة يعرفون بالأولياء في مقدمتهم مولانا الملك إبراهيم أول من دعا إلى الإسلام في أندونيسيا وهو مغربي الأصل . وعندما فتح البرتغاليون ملقا (٩١٧هـ - ١٥١١م) كان الإسلام قد استقر واتسع في مختلف أرجاء الملايو وجزر أندونيسيا . ولكنه لم يتوقف عن الانتشار ففي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي كان الإسلام قد استقر في سومطره ، والملايو ، ملقا ، جاوه . غير أن حركة تطويق العالم الإسلامي التي شقت طريقها من أوروبا عن طريق التجار بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح لم تلبث أن أصابت أرخبيل الملايو بضغط شديد . فقد جاء البرتغاليون ثم تبعهم البريطانيون والهولنديون وبذلك خضع مسلمو الملايو للسيطرة الأوروبية قبل غيرهم من أجزاء العالم الإسلامي . والمعروف أن البرتغاليون بعد أن استعادوا الأندلس «أسبانيا الإسلامية» كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهداً بشن حملة صليبية ضارية على الإسلام ، ولما لم يتمكنوا من ضربه في مكان القلب الذي كان العثمانيون يحرسونه ، فقد اتجه تفكيرهم إلى إجراء حركة تطويق واسعة ، وعندما بدأت أعمال التبشير الغربي في أرخبيل الملايو بدأت حركة هجرة كبرى من مسلمي الصين والهند إلى أندونيسيا كرد فعل للإسلام في جنوب شرق آسيا للعودة إلى المجتمع الأم لانعاش الإسلام ، واتصل بها إرسال الطلاب للدراسة عميقة في مدن الحجاز المقدسة وفي الجامع الأزهر في القاهرة ، وكان هؤلاء عندهم عودتهم ينشطون للقيام ببرامج تثقيفية إسلامية ، ومن هنا استقر هذا الترابط العميق بين الأندونيسيين وبين المراكز الإسلامية القديمة في مكة والقاهرة . وفي أواخر القرن الخامس عشر جاءت البعثة الهولندية الأولى إلى ميناء بنتام بجزيرة جاوه سنة ١٨٩٦ وأقامت شركتها (الشركة الهولندية لجزر الهند الشرقية سنة ١٦٠٢) فامتلكت الأراضي واتخذت الجيوش والأساطيل باسم التجارة ثم لم تلبث عام ١٦١٠ أن عينت حاكماً عاماً لها في مدينة جاكرتا . وقد قاوم الوطنيون هذا النفوذ الجديد مقاومة عنيفة حتى أجبروا الشركة على الانتقال إلى جاكرتا بعد أن عقدت معاهدة مع سلطانها . ثم تنازلت الشركة عن أملاكها في أندونيسيا للحكومة الهولندية عام ١٨٠٠ ، ولم يتوقف الأندونيسيون عن المقاومة فتوالت ثوراتهم وفي مقدمتها ثورة الأمير ديبو نجارا في جاوه التي استمرت الحرب بينه وبين الهولنديين خمس سنوات كاملة (٢٨٢٥ - ١٨٣٠) خسرت هولندا خلالها عشرات الملايين من

الجنبيات ولم تتمكن من إخماد الثورة إلا بعد أن ألقت القبض على الأمير وهو جالس إلى مائدة المفاوضات ، وفي سوطه إستمريت الحرب بين الهولنديين والوطنيين بقيادة على الدين محمود شاه حتى يناير ١٨٧٤ وبقيادة تنكو عمر حتى قتل سنة ١٨٩٩ قتولت القيادة إلى أن استطاع المستعمرون بعد خسائر فادحة أن يخذلوا الثورة سنة ١٨٠٤ . وكانت هولندا قد تخلت عن نفوذها لفرنسا على أثر هزيمتها في أوربا ثم عادت بعد هزيمة في معركة نابليون واترلو ، فاستردت لها مستعمراتها . وتم الاتفاق عام ١٨٢٤ وكانت بريطانيا قد استولت على جاوه في هذه الفترة ثم تنازلت عنها مرة أخرى إلى هولندا مقابل نزول هولندا للانجليز عن شبه جزيرة الملايو . ولم تتوقف روح المقاومة ولم تنطفئ حيث بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة جهاد الهيئات الاسلامية وكفاح الأحزاب السياسية وفي مقدمتها (حزب شركة إسلام - والحزب الوطني الأندونيسي) فانتشر مبدأ المقاومة السلبية وعدم التعاون مع المستعمرين الذي حقق نجاحاً باهراً عام ١٩٢٢ ثم اندلعت الثورة ١٩٢٦ واستمرت إلى عام ١٩٢٧ ولم تستطع هولندا إخمادها إلا بعد أن استعانت بانجلترا واستعملت أشد الأساليب وحشية ، وتزعيم الحزب الوطني بقيادة سوكارنو ثورة جديدة ولم تلبث الأحزاب الأندونيسية أن تكتلت في جبهة واحدة عام ١٩٤١ مطالبة باستقلال . وفي مارس ١٩٤٢ استسلم الهولنديون في أندونيسيا للجيش الياباني بعد أن احتل الألمان هولندا في واستأنف الأندونيسيون مقاومتهم لليابان وقاموا بثورات عدة . وانهمز اليابان في الحرب العالمية واستسلموا في أندونيسيا ، هناك أعلن الشعب الأندونيسي استقلاله في ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، وقام الأندونيسيون في كل أنحاء وطنهم يهاجمون القوات اليابانية وينتزعون السلطة ، غير أن بريطانيا كانت تدبر لهم مؤامرة جديدة لإعادة سيطرة هولندا مرة أخرى على أندونيسيا ، وقاوم الأندونيسيون بريطانيا وهولندا معاً ، وشنوا حرباً غير متكافئة وفي سورابايا دارت أضخم معركة حيث هاجم البريطانيون المدينة الباسلة من الجو والبحر والبر ليل نهار . وجرت ١٩٤٦ مفاوضات للاعتراف بسيادة أندونيسيا ولكن الهولنديون سرعان ما غدروا بالاتفاق وشنوا هجوماً جديداً عام ١٩٤٧ واستمرت المقاومة حتى عقدت الهدنة سنة ١٩٤٨ ولكن الهولنديون ما لبثوا أن غدروا مرة أخرى بشعب أندونيسيا الذي قاوم العدوان ببسالة حتى اعترف بالسيادة الكاملة لأندونيسيا عام ١٩٤٩ وإن بقيت (ايربان الغربية) محتلة بالقوات الهولندية . وهكذا قاومت أندونيسيا المحتلين ثلاثة قرون البرتغال والهولنديين والفرنسيين والانجليز واليابانيين .

(٢)

لَمْ يتوقف الأندلسيون عن المقاومة طوال حكم النفوذ الهولندي ، هذه المقاومة التي ترجع أساساً إلى يقظة المسلمين وتأسيس أول جماعة من جماعات الإصلاح والمقاومة (شركة إسلام) وكان طابع المقاومة اقتصادياً وثقافياً . وقد كان لدعوة الشيخ محمد عبده ومجلته المنار أثرها في هذه الحركة . كما استفادت من تجارب قادة المسلمين في الهند . قد كان من الطبيعي أن يتصدر المسلمون المقاومة للأمريين ، لأنهم أغلب سكان أندونيسيا حيث يبلغ عددهم أكثر من ٩٠ في المائة فهم يكونون بالحق مجتمعاً إسلامياً ولأنهم بحكم إيمانهم بالإسلام ووفق منطق القرآن لا يتوقفون عن مقاومة الناصب . وقد تنبه المسلمون إلى خطرين أساسيين من أخطار الاستعمار الهولندي وهما : الاقتصاد والتعليم ، ولذلك فإن الجماعة الأولى التي تكونت قد عمدت إلى التركيز على هذين الخطرين . ولقد كان الاستعمار الهولندي حريصاً على القوة المعنوية لأندونيسيا روحاً وعقيدة ولغة وثقافة . مستهدفاً أن تصبح البلاد جزءاً من هولندا أو على حد تعبير المستشرق الهولندي جرونجه : « أن تصبح أندونيسيا أمة هولندية أخرى تعيش في الشرق بروح هولندية قلباً وقالبا فتبنى مجد هولندا في ثقافتها وتستعمل لغتها وتتخلق بعبادتها وتقاليدها » . ومن هنا فقد عمد الاستعمار الهولندي إلى ابتزاز ثروات أندونيسيا الضخمة وفرض الثقافة الهولندية واللغة الهولندية على التعليم . فأصبحت لغة الدراسة في جميع المدارس الأولية والابتدائية والثانوية باللغة الهولندية التي أصبحت اللغة الأولى في أندونيسيا .

كما عمد الاستعمار الهولندي إلى بث البعثات التبشيرية في مختلف أنحاء البلاد واعتمدت هولندا على هذه الإرساليات في تثبيت أقدامها . . وقد كان التعليم الذي قدمته الحكومة الهولندية لأهالي أندونيسيا يتسم بأمرين الأول : أنه قاصر على نسبة صغيرة من الذين يحتضنهم الاستعمار ليكونوا موظفين في الدواوين (الثاني) : أنه يقدم لهم الثقافة واللغة والتراث الهولندي . وكان هذا المخطط شبيه بالمخطط الذي قامت بتنفيذه بريطانيا في مصر وفرنسا في المغرب ؛ فإذا أضفنا إلى هذا مخطط التبشير المساوق لمخطط التعليم عرفنا كيف واجه الأندلسيون هذا التحدي بإنشاء المدارس والجمعيات لنشر التعليم الإسلامي . غير أن الذين استفادوا من الدراسة الإسلامية كانوا قلة بالنسبة للذين اتصلوا بالمدارس التي أنشأها الاستعمار الهولندي والتي حملت لواء التجرد من الدين بكافة . ومن خلال حركة التعليم الوطني الأهل

القائم على إعانات الأهالي والتعليم الحكومي القائم على مناهج غريبة خالصة والتعليم الذي تشرف عليه الإرساليات قامت ظاهرة الازدواج الخطير في مجال الثقافة ، حيث نجد نوعين من التعليم : إسلامي خالص بعيد عن الدراسات العصرية وعصري خالص لا يمت إلى أصول الإسلام أو الدين بسبب ، والاستعمار في كل المناطق التي احتلها من عالم الإسلام كان حريصاً على خلق هذا الازدواج . وقد حرص الاستعمار من بعد على أن يوكل أمور الحكم والسلطة إلى خريجي مدارس بحسبانهم أقرب إلى التعاون معه . وأقل حماسة لقيم بلادهم وأممهم أو على تعبير بعض المؤرخين : « جعل منهم أداة صالحة لخدمة السياسة الاستعمارية والتعاون مع الهولنديين بروح الولاء » ويتصل بهذا ارسال البعثات إلى هولندا لإعداد ولاة منهم للفكر الغربي . وقد كان لظاهرة البعثات التبشيرية في أندونيسيا أثرها وحظها فقد نشرت المدارس في مختلف الأنحاء ، واستطاعت أن تضم عدداً كبيراً من التلاميذ نظراً لفقر البلاد وعجزها عن إنشاء المدارس . ومن ثم غلبت الثقافة الأجنبية واللغة الهولندية وظهر جيل يجهل أغلبه لغة قومه ودينه . ولم تلبث أندونيسيا المسلمة التي غلبت البوذية والهندوكية أن واجهت منافسة خطيرة من البعثات المسيحية . فالاستعمار قد أدخل النصرانية إلى أندونيسيا ، واستطاع استغلال الظروف في إخضاع القلوب ، واعتمدت هولندا على غير المسلمين في تثبيت أقدامها ، واتخذت منهم جيشاً ، وكونت منهم أنصاراً ، وأصبحت منطقة (سولاويس) ملائى بالنصارى وكانوا أنصار هولنده ويتحدثون باللغة الهولندية بطلاقة منذ ليونة أظفارهم ويمتزجون بالهولنديين في المعاشرة الزوجية حتى أطلقوا أسماء هولندية على أولادهم وبناتهم وتطبعوا بأخلاقهم وصفاتهم وعاداتهم . ولم يقف الاستعمار عند هذا الحد فقد « قيد الشعب الأندونيسي في حياته وشؤونه وفي الظروف المحيطة بحياته تفكيراً وعقيدة وثقافة وضغط على روحه » . وكما حمى الاستعمار الهولندي حرية الحركة للبعثات التبشيرية وأتاح لها فرصة العمل . فقد وضع نصوصاً صريحة قوامها أن : كل إنسان حر في عقيدته وضميره ودينه . هذا الحق يشمل حرية تغيير العقيدة والدين وحرية القيام بطقوس دينه وإظهار عقيدته . وبالطبع فما دام النفوذ الاستعماري مسيطراً على البلاد فإن حرية إظهار العقيدة وطقوسها سيكون أمراً موسعاً فيه لاتباع الهولنديين ومضيفاً فيه على غيرهم . وقد كشف باحث هولندي مسلم قدم إلى القاهرة في سنة ١٩٣٤ يدعى (فان بتم محمد علي) خطة الاستعمار الهولندي في مجال التبشير فقال : إن الخطة التي تقوم بها هولندا في أندونيسيا ترمي إلى إفناء الإسلام وإخضاعه والتحكم فيه . وفي أندونيسيا تتصارع

الكاثوليكية والبروتستانتية والتعاليم الموجودة في كل منهما تناقض بعضها بعضاً حتى أنهم مختلفون في اعتقادهم في المسيح . وقال إن سياسة التبشير في أندونيسيا تمدّها الحكومة بالنفوذ والمال كما نشروا صحفاً بها مقالات عاصفة في الهجوم على الإسلام . حتى ليتمكن القول بأن سلطة الكنيسة في مستعمرات هولندا أقوى من سلطة الحكومة نفسها . كما يجرى تنصير من يذهب إلى هولندا من الأندونيسيين والصينيين ولا سيما طبقة الطلبة والمتعلمين الذين سيصبحون فيما بعد قادة البلاد وزعماءها . وإذا تمكن رجال البروتستانت من تنصير الطلبة الأندونيسيين الذين هم الآن متحمسون للروح الوطنية القومية التي ترمي إلى استقلال أندونيسيا فإنهم باعتناقهم الدين المسيحي يشعرون بمساواتهم بالهولنديين في الدين فيتضاءل شيئاً فشيئاً هذا الروح الوطني ويصبح نوره بعد قريب ينطق انطفاء تاماً . وقد فتحت الحكومة أبواب أندونيسيا لهيئات التبشير من سائر الدول ، ويبدو تحيز الحكومة الهولندية في أنها خصصت ٧٦٥٠ روبية لإعانة الدين الإسلامي الذي يضم ٩٠ في المائة من السكان بينما خصصت مليون و ٧٩٥ ألف روبية لمساعدة عدة آلاف من المسيحيين . . . وتشير كثير من الأبحاث والتقارير في هذه الفترة أن حركة التبشير في أندونيسيا كانت تتلقى مساعدات خارجية من بلدان كثيرة غير هولندا ، ومنها كندا وفرنسا والفاتيكان وأمريكا وألمانيا الغربية . وقد استطاع هذا العمل المستمر أن يكون طبقة من أعوان هولندا . هم في نفس الوقت خصوم النضال التحرري ، وذلك على نفس النمط الذي فعلته بريطانيا في مصر إبان الاحتلال - وقد اعتمدت هولندا على هذه القوة في قمع حركات التحرر في أندونيسيا وأن ظل موقف المسلمين منهم هو موقف « التسامح التام » بيد أن هؤلاء الأعوان كانوا يستغلون هذا التسامح استغلالاً غير محدود فراحوا يشيدون الكنائس الضخمة في أحياء المسلمين وزادوا نشاطهم التبشيري في المراكز الآهلة بالمسلمين وقد باشر النفوذ التبشيري عملاً واسعاً في مجال تشييد الكنائس والملاجئ . ودور الأيتام والمستشفيات وكانوا يدفعون أثماناً خيالية لامتلاك الأراضي الواقعة في أحياء المسلمين تمهيداً لإقامة مباني التبشير عليها ، وقد تركز التبشير الكاثوليكي في جزيرة تسمى (فاو ريس) حيث توجد بها أقليات إسلامية متناثرة . ولا شك كان للتبشير أثره في مجال التعليم والثقافة فالمدارس الحكومية والمدارس التبشيرية كانت تعمل وفق مخطط واحد ، حيث تغرس مدارس الاستعمار في نفوس الطلاب المسلمين الإلحاد في الدين ، كما تعمل مدارس الإرساليات لتنصيرهم ، وكانت كلتاها تغلب اللغة الهولندية والثقافة الغربية وكان طلاب

هذه المدارس الحكومية من أبناء الطبقة العليا القادرة على دفع مصاريف التعليم . أما المدارس التبشيرية فقد فتحت أبوابها على مصاريحها أمام الشباب الأندونيسي في محاولة لتنصيره . وكانت أهداف السياسة التعليمية جملة هي إبعاد النشء عن دينه وحضارته أسلافه وتجاهل تاريخ مجده بلاده مع إحياء اللغات الإقليمية المختلفة بقصد تفريق عناصر الأمة بعضها عن بعض ليشعر كل منهم أنه مستقل بلغته وتقاليده . وتعليمه تاريخ بلاد المستعمرين : سياسياً وجغرافياً بتوسع . وعند مقارنة نسبة المتعلمين في أندونيسيا قبل الاحتلال الهولندي نجد أنها كانت عالية وأن ثلاثة أرباع سكانها كانوا يعرفون الكتابة والقراءة ، فلما دخل الهولنديون أغلقوا أغلب المدارس وغيروا مناهج الباقي منها وحاولوا دون نشوء تعليم أهلي .

- ٣ -

في مواجهة هذا العمل التبشيري الواسع واجه الأندونيسيون مسئوليتهم الإسلامية بقوة وتقدموا بأمورهم وتضحياتهم في سبيل الوقوف في هذه الموجة العاصفة وإذ كانت حركة المقاومة للاستعمار وحركة المقاومة للنفوذ الاستعماري في مجال الاقتصاد والتعليم والثقافة عملاً واحداً . وكانت أندونيسيا شأنها في ذلك شأن مصر والعالم العربي ، ومختلف أجزاء العالم الإسلامي كله قد انبثقت فيها حركة المقاومة من خلال الهيئات الإسلامية التي حملت لواء النضال لفترة طويلة ثم انبثقت منها بعد ذلك الأحزاب والهيئات . وفي مصر كان الأزهر هو المصدر حركة المقاومة والوطنية ؛ وفي السودان وليبيا بدأت المقاومة من خلال الحركتين المهدية والسنوسية ، وفي العراق كانت الحركة الإسلامية في النجف هي مقاد الحركة الوطنية والثورة . وفي أندونيسيا كما في مصر ظهرت اليقظة متمثلة في حركة الإصلاح الثقافي الإسلامي في الجزء الغربي من سومطره في أوائل القرن التاسع عشر بزعامة المجاهد المعروف (إمام بو نجول) سنة ١٧٧٢ - ١٨٦٤ وكان شعار الحركة « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » وقد واجهت انتشار البدع والخرافات وما بلغته العقائد من تشويه لعبادات وتقاليد لا تتفق مع التوحيد الصحيح ، وقد كانت حركة الإصلاح الديني ضرورة حاسمة في أندونيسيا حيث لم يمتص على استمرار الإسلام في أندونيسيا ثلاثة قرون .

وفي أواخر القرن التاسع عشر تجددت حركة الإصلاح بقيادة الشيخ أحمد الخطيب الأندونيسي الذي جاور في مكة وتلقى عليه الأندونيسي ، فلما عادوا ظهرت حركتهم في سومطره الغربية منهم عبد الكريم أمر الله وكان خطيباً شجاعاً مجادلاً بارعاً ، وزين الدين

يونس الذى أصدر مجلة المنبر لسان أنصار الإصلاح وهى أكبر المجلات الإسلامية فى أندونيسيا وقد أنشأت هذه الحركة عديداً من المدارس جمعت بين الإسلام والعلوم العصرية وألف لها عبد الكريم أمر الله كتباً للدراسة بها وبسطها حسب عقول التلاميذ . وقد كانت شركة إسلام هى أقدم هيئة اختضنت الحركة الوطنية والمقاومة فى مجال الاقتصاد والثقافة معاً فقد أنشئت عام ١٩١١ بقيادة الحاج عمر سكر وأمينوند ، ثم الجمعية المحمدية التى أنشأها أحمد دحلان وقد تقدمتها جمعية الأخلاق الفاضلة (بودى أوتومو) التى بالغت فى جاكارتا ١٩٠٨ برئاسة الدكتور وحيد الدين الذى يعد بحق واضع أساس التنظيم للحركة الوطنية الحديثة ويرى المؤرخون الأندونيسيين أن جمعية الأخلاق الفاضلة كانت عماد الحركة القومية ، فقد كانت الجمعية ثقافية اجتماعية ولكنها تحولت إلى جمعية سياسية وطنية لها الأثر الفعال فى تحرير أندونيسيا ثم لم تلبث هذه الجماعات أن توحدت واندمجت بعد فى جمعية ماشوى وواجهه المصلح أحمد دحلان البدع والخرافات ، كما هاجم شبهات المبشرين . وقد عرف بالصلاح والتقوى وصدق الإيمان ، وقد انتصب زعيماً إسلامياً ومعلماً اشتهر بالدين من غير ضعف والكياسة مع صدق العزيمة فى مواجهة الإرساليات التى كانت تقوم بدعاية منظمة ضد الإسلام تعضدها قوات الاستعمار . وكانت الجمعية المحمدية هى ثمرة عمله حيث جعلها وسيلته المنظمة للعمل وعن طريقها أنشئت المدارس وانبعث الدعاة للتبليغ . وقد أولت الحركة الإسلامية التى تحمل طابع الوطنية والإصلاح معاً اهتماماً كبيراً بالتعليم بحسبانه الطريق الحاسم لمواجهة الغزو الهولندى والإرساليات فمنذ أسس الدكتور عبد الله بن أحمد والدكتور عبد الكريم أمر الله جمعية المدرسين للمعاهد الإسلامية كثر من أعضائها البارزين من أتموا دراستهم فى مصر والحجاز ثم أنشئت الكلية الإسلامية فى سوارايا التى أشرف عليها الدكتور سوتومو وبذلك أخذت الحركة قيادة التربية والتعليم وقل الإقبال على المدارس الحكومية التى تهدف إلى تعليم الهولندية وتاريخ أوروبا . غير أن الحكومة الهولندية لم تترك هذه الحركة تمضى فى طريقها رخاء بل أخذت فى عرقلتها وتوقيفها حيث أصدرت قانون رقابة المدارس الأهلية الذى أطلقت عليه قانون (المدارس المتوحشة) ١٩٢٣ . ومظهر القانون حماية المدارس القومية ولكنه فى مضمونه يقوم على عرقله تلك الجهود والقضاء على انطلاقة الحركة الإسلامية الأندونيسية فى اختيار التعليم الذى يتفق مع عقائده الأندونيسى ووطنيته . وقد كان من نتائج تنفيذ القانون أن أقفل الاحتلال أبواب المدارس الإسلامية بالقوة وشرذ تلاميذها وزج مدرسيها فى

غياهب السجون . وهذه الخطة أشبه بما فعلت فرنسا في الجزائر حين قامت جمعية العلماء بقيادة العلامة عبد الحميد بن باديس بإنشاء المدارس القرآنية في مواجهة مدارس فرنسا التي تقوم على اللغة الفرنسية والتاريخ الأوربي ، غير أن هذا التحدى الذى واجه الأندونيسيين قد أدى إلى عمل إيجابى حاسم فقد اتحد الشعب بمختلف أحزابه وهيئاته على الاحتجاج وكان للصحافة الإسلامية في أندونيسيا جهودها في هذه الحركة معلنة أن القانون عامل خطير في محو حرية الشعب الأندونيسى فى اختيار التعليم الصالح . ومن ناحية أخرى فقد عمدت الحركة الإسلامية إلى تعديل أساليب التعليم الدينى وادخال العلوم الحديثة وكانت مهتدية فى ذلك بحركة اصلاح الأزهر وبما فعلته الحركة الإسلامية فى الهند . وقد نجحت الفكرة وقامت مدارس جمعية نهضة العلماء ، وكان أبرز ما حققته هذه الحركة هى أنها جمعت بين العلوم الحديثة والعلوم الإسلامية . وكان العلامة أحمد دحلان هو أول من نادى بذلك وحققه فى مدارس الجمعية المحمدية فى جاكرتا حيث يقول « لا نريد من التعليم الحديث أن يكون على تلك العلوم المدنية الحديثة التى تطبع الأجيال المقبلة بالطابع المادى وتجعلها عبداً للمادة كما هى الحال فى أوربا اليوم ، وإنما نريد فوق ذلك جعل الدين الإسلامى الصحيح أساساً للتعليم القومى لإنقاذ تلك الأجيال من التيار المادى الجارف وجعله ركناً من أركان قوى الشعب المعنوية التى لا يستغنى عنها البشر فى يوم من الأيام » .

ويمكن القول إن السلاح الوحيد الذى اتخذته المسلمون فى مصر والهند وأندونيسيا والمغرب كان هو اعتماد الهيئات الإسلامية على نفسها فى إنشاء مدارس تجمع بين العلوم الحديثة والإسلام واللغة القومية . ومن خلال هذه الهيئات الإسلامية انبثقت الأحزاب التى تعددت وتنوعت وكان فى مقدمتها حزب ماشوى الإسلامى ، والحزب الوطنى الذى قام على أساس سياسى قومى وقد حمل حزب ماشوى لواء الدعوة إلى إقامة صرح الإسلام ويمكن أن نعتبره التشكيل الذى انصهرت فيه الحركة الواسعة النطاق . وكانت الجمعيتان الكبيرتان جمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء قد تضامتا مع هيئات أخرى فى تشكيل ما أطلق عليه « المجلس الأعلى الأندونيسى » وقد حل هذا المجلس أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب وإعلان الاستقلال التقت جميع الجماعات والهيئات الإسلامية فى أندونيسيا على صعيد وأعلنت تأليف منظمة : « مجلس لشورى لمسلمى أندونيسيا » وكلمة ماشوى هى اختصار لهذا الاسم وقد وضع حزب ماشوى تعاليم الإسلام فى صلب مبادئه حاملاً لواء التقدم ومقاومة الإلحاد

والدعوات المختلفة المعادية للإسلام . وتهدف الحركة الإسلامية في أندونيسيا إلى المطالبة بإقامة النظام الإسلامي والأخذ بتعاليم القرآن وتطبيق أحكامه . وما زال الفكر الإسلامي في أندونيسيا قائماً وقوياً في مواجهة تحديات القوى الإلحادية والتغريبية ، وفي الجملة يمكن القول بأن الحركة الإسلامية في أندونيسيا استطاعت أن تقاوم : النفوذ الاستعماري وحركة الإرساليات والدعوات الإلحادية وكل دعوة إلى إبعاد الإسلام عن مجال المجتمع وخاصة في مجال التربية والتعليم .

وقد عملت الحركة الإسلامية في المجال الثقافي عملاً كبيراً فكشفت عن مقاصد الإسلام والتشريع الإسلامي وحاربت التقليد ألقت الضوء على حقائق كبيرة أهمها سماحة الإسلام وجودة معطياته وخاصة فيما يتعلق بأن باب الاجتهاد لم يغلق لمن يتوفر له شروط الاجتهاد . وقد استطاعت هذه الحركة وخاصة في مجال التربية والتعليم أن تحفظ للشعب الأندونيسي لغته ودينه في نفس الوقت الذي قدمت له معطيات الثقافة الحديثة العصرية . وقد سد هذا النشاط الثقافي كثيراً من النقص الناتج من إحجام الحكومة الهولندية عن التوسع في نشر التعليم . كما قضى - جزئياً - على خطة الإرساليات التبشيرية . وقد كانت للصحافة الإسلامية في أندونيسيا دوراً هاماً فقد أظهرت كثيراً من الكتاب والباحثين وهاجمت كثيراً من المواقف الاستعمارية مما أدى إلى بروز الطابع الإسلامي في الحياة السياسية فاتخذته بعض الأحزاب أساساً لجهادها الوطني . وقد واجهت حكومة الاحتلال الصحافة الوطنية والإسلامية بقوانين غاية في الصرامة والتضييق فأسقطت ٢٧ صحيفة في ساعة واحدة وسجنت الكثيرين وفرضت الرقابة على الصحف ومنعت الاجتماعات وقد استطاعت الحركة الإسلامية أن تحقق وجودها عن طريق صحف تتحدث عن عظمة الإسلام وحسن تعاليمه وتراجم رجاله وما بذلوا من جهد في سبيل نشر تعاليمه . وفيما يتعلق باللغة الأندونيسية فقد حرص النفوذ الاستعماري على أن يحول (أولاً) : دون قيام لغة موحدة (ثانياً) : أن يحول دون ارتباطها باللغة العربية وذلك عن طريق نشر اللغة الهولندية وجعلها أساس التعليم في المدارس منذ المراحل الأولى وللحفاظ على تعدد اللهجات حتى لا تتوحد أندونيسيا في لغة واحدة . ومع ذلك فقد استطاعت اللغة الأندونيسية « باهاسا هندونيسيا » وهي مشتقة من لغة الملايو الشائعة أن تفرض نفسها كلغة موحدة بدلاً من ٢٥ لغة كان يتخاطب بها السكان وتنشعب إلى ٢٥٠ لهجة محلية - إذ استطاعت الحركة الإسلامية والنهضة الوطنية أن تحقق تأكيد الوحدة الأندونيسية بلغة

واحدة وقد كانت اللغة الأندونيسية تكتب بالحروف العربية ولكن الهولنديون عمدوا إلى تحويلها إلى الحروف اللاتينية في أوائل القرن العشرين ومع ذلك فإن في اللغة الأندونيسية الآن كثيراً من الكلمات العربية ومنذ سيطر النفوذ الاستعماري الأندونيسي أضحت اللغة العربية . ولم يبق لها نفوذ ، إلا في مجال الدراسات الثقافية . أما اللغة الهولندية فقد انتشرت انتشاراً كبيراً إذ بقيت اللغة الرسمية للحكومة ثلاثة قرون كاملة حيث كان الهولنديون يعلمونها في المدارس دون سواها في الوقت الذي كانوا يحاربون فيه اللغات الوطنية في جميع الجزر المحتلة . وقد كان للإسلام دوره الواضح في الحركة الوطنية القوية العارمة التي استمرت ولم تتوقف ازاء نمو النفوذ الاستعماري الهولندي ويظهر ذلك في كتابات الحاج عمر سعيد عام ١٩١٣ . « إن الإسلام يدعونا إلى الجهاد لإعلان كلمته وسيعلو الإسلام في هذه البقعة الإسلامية التي يعيش فيها ما يزيد على سبعين مليوناً من المسلمين » . وبإلقاء نظرة إلى حزب شركة إسلام الذي قام في مواجهة الاحتلال الهولندي نرى أن العمل بدأ في مجال الاقتصاد أساساً للمحافظة على الثروة الأهلية وأشاد صناعات تقوم بها الأيدي الوطنية ويتجلى برنامج الجمعية الأساسية ، - (١) ملاحظة شروط الدين الاسلامي في العبادة والمعاملات . (٢) القيام بأعباء الحياة التي يتطلبها الدين . (٣) إنهاض الحركة الفكرية . (٤) الدفاع عن الاسلام . وقد كان الاهتمام بالناحية الاقتصادية مرتبطاً بالعمل في مجال الاقتصاد والتعليم إيماناً بمفهوم الإسلام المتكامل نفسه ومواجهة الآثار الخطيرة التي ترتبت على الاحتلال الهولندي لأندونيسيا حتى قيل أنه لو جمعت الأموال التي سلبتها الحكومة الهولندية من الأندونيسيين منذ استعمارها أندونيسيا إلى اليوم لأمكن بناء جسر عظيم من ذهب يمتد من أندونيسيا إلى هولندا . وفي أندونيسيا يوجد زيت البترول ومزارع المطاط ومنتجات البحر والذهب . والمعروف أن عصر الاستعمار في أندونيسيا اسمر من سنة ١٧٩٩ - ١٩٤٥ وإن كانت طلائع الاستعمار الهولندي في جاوه بدأت سنة ١٥٩٥ باسم شركة الهند الشرقية الهولندية .

(٤)

كان أخطر ما واجهت أندونيسيا المسلمة محاولتين :

أولاً : محاولة الشيوعية التي امتدت من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٦٥ ثانياً : محاولة التبشير الغربي التي جاءت بعد ذلك ولا تزال مستمرة وممتدة إلى اليوم (نهاية القرن الرابع عشر

الهجرى) وقد عمدت هولندا المستعمرة إلى تمزيق الجبهة الواحدة في أندونيسيا والتي تدين في أغلبية ساحقة للإسلام| والتي برز طابعها الإسلامى منذ عام ١٩٠٦ بظهور جماعة شركة إسلام التي قاومت النفوذ الأجنبي بأن عملت على خلق تيارين خطيرين غذتهما بكل قوة : التيار القومى والتيار الماركسى وقد استقدمت المهندس سينفليت الذى أخذ ينشر التعاليم الماركسية في أندونيسيا في نفس الوقت الذى غذت فيه صراع القوميات المختلفة وكانت تهدف من هذا إلى أن هذا الصراع بين القوميات والماركسية من من ناحية دين الإسلام سيعمل على اسقاط التيار الأصيل :

وكان الشيوعيون يعتبرون أندونيسيا جزءاً من هولندا ثم أخذت هولندا تشجع الشيع المضادة للإسلام وخاصة القاديانية ووجد الشيوعيون في القوميتين حلفاء لهم ضد المسلمين . وعندما استقلت أندونيسيا بعد مقاومة شديدة للاستعمار قام بها جماعة شركة إسلام انتخبت سوكارنو الذى كان قد وضع نفسه منذ اليوم الأول موضع الحاكم الموالى للنفوذ الماركسى الخادع لقومه ، وقد اختلف مع جميع أعوانه وزملائه في حركة المقاومة الاستعمارية وفي مقدماتهم الجنرال عبد الحارث ناسيتون قائد القوة التي قضت على أول تمرد قام به الشيوعيون ١٩٤٨ . وكان الوحيد الذى نجا من المحاولة التي قام بها الشيوعيون للقضاء على الوطنيين . يقول : لم آهادن الشيوعية في حياتي لأنني أعرفها على حقيقتها وقد كنت ضد الشيوعية خلال الفترة ١٩٤٨-١٩٦٥ وكان موقفي نابعاً من ولائى لأندونيسيا قبل أى اعتبار آخر ، وقد قاوم ناسيتون الاحتلال الهولندى واليابانى والشيوعى وقاد عملية تحرير إيريان الغربية . أما سوكارنو فقد اتجه إلى اليسار وقد قامت في عهده ثورتان شيوعيتان للانقضاض على أندونيسيا : أولهما شيوعية سوفيتية ١٩٤٨ أنقذته منها القوى الإسلامية وثورة شيوعية صينية ١٩٦٥ قضت عليه ، حيث فشلت الثورة وسقط سوكارنو وتحولت أندونيسيا إلى الغرب ولكنها أصبحت لقمة سائغة في أيدي منظمات التبشير المسيحى وقد فشل الشيوعيون في أندونيسيا فشلهم في مصر وإيران وأفغانستان وفي كل مكان يدين بالإسلام مهما ارتفعت أسهمهم في مرحلة من المراحل وقد كان سوكارنو خارعا للقوى الإسلامية التي ساندته وجاءت به وعمل موالياً للشيوعية وأعطى الشيوعيين كل النفوذ في البلاد فكانوا يتمتعون بالسيطرة على مختلف أجهزة الحكم والأعلام ولكنهم طمعوا في أن تكون الدولة شيوعية خالصة وحمراء صارخة وكان سوكارنو لا يتردد في الاعلان بأن

استقلال أندونيسيا لم يقيم إلا على أكتاف الشيوعيين فكان مصيره السقوط وأن ترك أندونيسيا لتسقط تحت براثن النفوذ الأجنبي والتبشيري نتيجة الفقر والأزمات الشداد التي قاساها الوطنيون ويتمثل الخطر الذي يواجه مسلمو اندونيسيا في هذه المرحلة (نهاية القرن الرابع الهجرى) في حملات التنصير التي أستطاعت أن تؤثر في عدد لا يقل عن عشرة ملايين من مجموع ١٢٠ مليون نسمة . هذا المخطط الرهيب الذى هو من توجيه وعمل الكنيسة الأندونيسية حيث يزدهر نشاطها في جزيرة جاوة موطن ٦٥ فى المائة من سكان أندونيسيا ويقوم على برامج التبشير أكثر من ثلاثة آلاف قسيس وسبعة آلاف متطوع من جنسيات أوروبية تمثل عشرة آلاف كنيسة وهم يسيطرون اليوم على الصحافة ووسائل الأعلام ولما كان الرئيس سوهارنو يعتنق المذهب الباطنى وزوجته ذات النفوذ الواسع تعتنق النصرانية فان نفوذ حملات التبشير يوحى بمخاطر شديدة في المستقبل القريب

مؤامره على الإسلام في جنوب شرق آسيا

إندونيسيا - الملايو - الفيلبين

المؤامرة تهدف على القضاء على معالم الدين وكل العناصر الاسلامية والصهيونية العالمية من وراء مذابح المسلمين في الفيلبين وتواجه (أولا) احتلال أراضي المسلمين واجلائهم عنها بالقوة وتسليمها للمسيحيين المتمردين لإرضائهم (ثانياً) : اتفاقية ماركوس واسرائيل تدفع بتقتضاها عشرة ملايين دولار للمساهمة في إبادة المسلمين بالجملة . (ثالثاً) : المستشار الصهيونى لرئيس الجمهورية الذى تخصص في تصفية المسلمين في المناطق الجنوبية . (رابعاً) : المخطط النازية الاستعمارية التى يزود بها الغرب حكومة الفيلبين لطرد المسلمين من أراضيهم الخصبة . (خامساً) : ظهور الذهب والفضة والمعادن في مناطق المسلمين يسيل لعباب الحكام فيعملون فيهم إرهاباً وقتلاً وتعذيباً وتضم منظمة جنوب شرق آسيا الاسلامية عدداً كبيراً من الجزر أهمها جاوه وسومطره ومندانو وهى جغرافيا تسمى الآن : الفيلبين وأندونيسيا وماليزيا .

وقد وصل الاسلام إلى هذه البلاد قرابة القرن الثالث الهجرى ، فقد كانت هذه الجزر هى معاقل التجارة الإسلامية وموانئ القوافل ، ومنذ القرن الثامن الهجرى انتشر المسلمون انتشاراً واسعاً في الملايو ، ومنها إلى أندونيسيا وماليزيا والفيلبين ، وكانت هذه المناطق تمثل دولة واحدة تسمى «الملايو الكبرى» وعاصمتها جاوه ، وقد قامت بها أول سلطنة إسلامية

قبل منتصف القرن الثامن الهجرى . وتبدأ قصة الإسلام بقدم الاخوة العرب السبعة التجار ، الذين جاءوا من الأحقاف (حضرموت) وبهم دخل الإسلام في هذه المناطق وانتشر وكان أبرزهم أبو بكر (يادو كامها سارى) هو السلطان شريف الهاشمى وقد اعتنق الشعب دين أمرائه ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعندما قدم الرحالة (ماجلان) عام ١٥١٩ إلى الفلبين وجد الإسلام هناك دين الأمة ودين الحكم ، وكانت أولى معارك الصراع بين الغرب (أسبانيا) والإسلام ومن ثم بدأت حملات إبادة المسلمين منذ ذلك اليوم ، ولما توقف بعد فقد جاء بعد الاسبان الهولنديون والأمريكيون .. إلى اليوم . وبعد فان المؤامرة على الاسلام في جنوب شرق آسيا مستمرة ، وهى كالنار تحت الرماد وإذا كانت صيحات الفلبين هى العالية الآن فرط قسوة التعذيب ، فان الجهات الأخرى تواجه لونا آخر من المؤامرة أبرزها التبشير وتغيير العقول بأساليب غاية في الإذلال والامتهان للكرامة الانسانية ولحرية التدين . ذلك أن المؤامرة تستهدف المنطقة كلها ، الفلبين وأندونيسيا وماليزيا ولكن كل منها بأسلوب يختلف . وقد أشارت بعض التصريحات إلى أن هناك مخططاً يرمى إلى تصفية المسلمين في هذه المناطق وأنه قد حدد له زمناً لا يتجاوز العشر سنوات ، وأن الأسلوب الذى اتخذه في الفلبين هو التصفية الدموية ، أما في أندونيسيا فهو التبشير المسيحى ، أما في تايلاند فهو أسلوب التدمير الاقتصادى . وقد بدأت عمليات التصفية الدموية بين مسلحي الفلبين منذ عام ١٩٧٠ عن طريق الاعتداءات الوحشية على جزر المسلمين بقصد إبادتهم وإحلال غيرهم من غير المسلمين مكانهم حتى تضعف نسبتهم في الجزر الثلاث الكبرى التى هى معقلهم الأساسى : مندانا وسولو وبلاوان وبذلك تسقط في أيدي الأغلبية المسيحية والمسلمون البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة يسكنون في هذه الجزر في المنطقة الجنوبية ويمثلون دولة خاصة ، غير أن حكومة الفلبين تستهدف القضاء على وجودهم الخاص بالمهجرة الجماعية إلى جزرهم وتصفيتهم عن طريق الإبادة . وقد أشار التقرير الذى قدمه المسلمون إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في كولا لمبور : أن هذه الجزر هى الموطن الأول لشعب (بانجامورو) وهذه البلاد مستقلة عن الفلبين ولم تكن في يوم من الأيام تابعة لها أو جزءاً منها ، وإنما ضمت هذه البلاد إلى حدود الفلبين الجغرافية نتيجة للمؤامرات الاستعمارية والخيانة الدولية ، وبعد أن ضمت الفلبين هذه الجزر إلى حدودها ، حاولت أن تستغل جميع خيراتها دون مراعاة لصالح شعبها المسلم بل لم تكثف بهذا الحد فقد قامت بمحاولة القضاء على سكان هذه البلاد

الأصلية لأنهم بدينون بدين آخر هو الإسلام . لم تكن بلاد (بانجامورو) تابعة أو جزءاً للفيلبيين وإنما احتلت سلطات الفيلبيين هذه البلاد بدافع التوسع ، ولكن شعب (بانجامورو) ظل يقاوم الاحتلال ، ويتشبث بالحرية والاستقلال ، فوضعت الحكومة الفيليبينية خططاً للقضاء على العناصر الاسلامية وعلى معالم الدين الاسلامي ، تستهدف محو الشخصية الاسلامية ، وإدماجها بالشخصية الفيليبينية ، ولكن المحاولة لم تنجح ، لذلك لجأت إلى استخدام العنف والقوة للقضاء على هذا الشعب المسلم . وتدعى الفيلبيين إنها قدمت مشروعاً لإصلاح ما أفسدته ، وإعادة تعمير ما دمرته قواتها من البلدان والقرى وهذا كله افتراء وكذب يراد به تحريف الحقائق وتضليل الرأي العام ، وهي تقوم بعمليات حربية في المناطق الاسلامية بواسطة خمس عشرة كتيبة من الجيش ، وثلاث وعشرين سرية من القوات الصاعقة ، وما لا يقل عن ٧٥ ألفاً من أعضاء منظمة اياجا الكاثوليكية المسلحة بأسلحة حديثة ، وقد مزقوا وأحرقوا آلاف المصاحف ، وعشرات الآلاف من الكتب العربية والاسلامية ، كما تم تجريد أكثر من ٥٠ ألف أسرة مسلمة من ممتلكاتها . وتمثل حركة احتلال أراضي المسلمين وإجلائهم عنها في تشجيع حكومة الفيلبيين للمسيحيين على الهجرة إلى أراضي المسلمين في المناطق الجنوبية ، وإعطاء الحكومة الفيليبينية للمسيحيين الذين يتمردون ضدها جزءاً كبيراً من أراضي المسلمين لكي يكفوا عن تمردهم . وقد بدأت عمليات التهجير سافرة ومنظمة من شمال الفيلبيين إلى جنوبها (منطقة المسلمين) في عام ١٩٥٨ . التي لم تكن قد تم تسجيلها باسم ملاكها المسلمين وبذلك فقد المسلمون أرضهم بما عليها من ثروات إذ كان القادمون المسيحيون من الشمال يسجلون الأرض بأسمائهم بعد قليل من استقرارهم في أراضي المسلمين في الجنوب بينما لم يكن هناك من المسلمين من يفتن إلى ضرورة احتفاظه بسند يثبت ملكيته للأرض ، ذلك لأن معظم المسلمين يكتفون في أحقيتهم وملكيتهم لأراضيهم ، بأن جزر الجنوب التي يعيشون فيها قد توارثوها عن آبائهم وأجدادهم جيلاً بعد جيل ، لمدة تزيد على ستة قرون ، ولأن أغلبهم لا يعترفون بأن الدولة الفيليبينية هي دولتهم . وبعد التسجيل كان المسيحيون المهاجرون من الشمال يسعون إلى انتزاع الأرض من أصحابها المسلمين ، وعندما يصل الأمر إلى القضاء الفيليبيني يحكم لصالح من لديه إثبات الملكية ، وهكذا عاماً بعد عام فقد المسلمون آلاف المكتنارات من الأراضي الزراعية ، بل وطردها منها ويقدر متوسط عدد الأسر التي تهاجر كل عام من الشمال إلى الجنوب بخمسمائة أسرة . ويشير الكثيرون إلى أن المذابح التي

يتعرض لها المسلمون ورائها بعض المصالح الأجنبية ، وأن إسرائيل على صلة بالمصادمات بين الطوائف ، وذلك بسبب مساندة مسلمي الفيلبين لموقف العرب ، وخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين والقدس ، والمعروف أن المسلمين طاردوا حكام إسرائيل في الفيلبين وحاصروا الجامعة أثناء زيارة (إيبان) وسدوا الطرقات المؤدية إليها من المطار ، مما اضطر إيبان إلى أن يخرج من باب جانبي من المطار ، وكانت مظاهرة الطلبة المسلمين في مانبلا عاصمة الفيلبين عندما أعلن خبر إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى ، أحرقوا علم إسرائيل فوق سفارتها وأحرقوا سيارة سفيرها ، وكادوا أن يحرقوا السفارة ويقتلوا السفير لولا جهود الشرطة الفيلبينية. وقد أجمعت المصادر على أن الصهيونية العالمية وراء كل المذابح التي تعرض ويتعرض لها المسلمون في الفيلبين نتيجة هذا الموقف ، وكذلك فإن الأدلة مؤكدة على تأمر إسرائيل مع حكومة الفيلبين والعصابات المسيحية للقضاء على الإسلام والمسلمين والاستيلاء على أراضيهم . كما تبين أن لماركوس رئيس الفيلبين مستشاراً يهودياً صهيونياً هو (مانويل اليسالدي) وهو المختص بشئون الأقليات من المسلمين والبوذيين وهو المتهم الأول في حوادث الفيلبين. ولماركوس مستشار يهودي آخر هو (هانز فنتري) وكلاهما من أصحاب الملايين. والمعروف أنه كان قد تم الانفاق بين إسرائيل وزعماء المسيحيين على معونات مادية ومعنوية ، وخبراء في مجال الزراعة ، واشترطت في سبيل ذلك تحويل أراضي المسلمين إلى المسيحيين . وقد دفعت إسرائيل فعلاً عشرة ملايين دولار مساعدة إلى ماركوس ، كما سلمت للعصابات كميات ضخمة من الأسلحة ومما تردد أخيراً أنه قد اكتشف في جزيرة (ميدانا) كبرى مراكز المسلمين ، معادن مختلفة منها الذهب والفضة والنحاس والحديد والمنجنيز والألومنيوم وأن هذا كان من أهم الأسباب التي دفعت الحكومة إلى تشجيع العصابات المسيحية على طرد المسلمين من أراضيهم واحتلالها .

المخاطر التي تواجه الجماعة الإسلامية في الفيلبين

أولاً : حرب الإبادة بشتى الطرق وإكراه المسلمين على ترك دينهم . ثانياً : إغلاق المدارس الإسلامية وإحراق المساجد ونهب المكتبات الإسلامية . ثالثاً : سلب ممتلكات المسلمين ونهب تجارتهم ومزارعهم . رابعاً : تعطيل حقوق المسلمين المدنية حتى لا يكون لهم حق المواطنة . خامساً : التمييز بين المسلمين وغير المسلمين . سادساً : إبادة المزارع الإسلامية بالمواد الكيميائية الحارقة . سابعاً : منع أبناء المسلمين من الالتحاق إلى الكليات العسكرية . ثامناً : إثارة الفتنة الخلافات بين المسلمين حتى لا يكونوا يداً واحدة في مواجهة الأحداث . تاسعاً : مواجهة

حرب المسيحية والشيوعية في وقت واحد . عاشراً : محاولة إزالة اسم الشعب المسلم الذى يعيش في جزر مندانا وسولوا وبلاوان المسمى (بانجا مورو) وهو الاسم القديم للشعب المسلم في الجزر الاسلامية .

(٢)

يقول باحث إسلامي كبير أن حركة التنصير في أندونيسيا ليست حدثاً منعزلاً بل هي جزء من حركة أوسع هدفها النهائي «تنصير العالم بأكمله» ويمكن القول أن حملة التبشير في أندونيسيا اليوم وبعد الاستقلال هي أقوى مما كانت في أيام الحكم الاستعماري الهولندي في كل مكان والملاحظ أن الإسلام في أندونيسيا في الوقت الحاضر ونتيجة لضعف العمل الاسلامي فيها خلال فترة سوكارنوا (٢٠ عاماً تقريباً) فقد اختلط الاسلام بالعقائد والتقاليد والديانات التي كانت سائدة في جنوب شرق آسيا وفي مقدمتها البوذية والهندوكية الأمر الذي شوه لدى البعض فهمهم للعقيدة الإسلامية ذاتها: ويقول دكتور يس مراد أنه لهذا السبب ركز المبشرون نشاطهم في أندونيسيا منذ الاحتلال الهولندي ولا يزالون يوصلون نشاطهم حتى الآن ويبلغ عددهم حسب آخر تقرير (٢٠ ألف مبشر) يملكون إمكانيات ضخمة في الحركة والانتقال فضلاً عن اهتمامهم البالغ بإنشاء المدارس والمستشفيات لجذب الأهالي وإغرائهم ، وقد حاولوا عقد مؤتمر للمبشرين في جاكرتا خلال العام الماضي ولكن الهيئات الاسلامية قاومت ذلك بشدة .

وتواجه أندونيسيا أخطر عملية تبشير مسيحي في العصر الحديث لمائة مليون مسلم في أندونيسيا موزعون على ثلاثة آلاف جزيرة يتوجهون إلى الكعبة كل يوم خمس مرات ، وقد دخلوا في الإسلام منذ القرن السابع الهجري ، وكانت سومطره أول جزيرة يعتنق أهلها دين الإسلام بحكم موقعها على الطريق التجارى بين جزيرة العرب والصين . ومنها انتقل الإسلام إلى مختلف الجزر إلى الملايو والفلبين حتى كان الإسلام في القرن العاشر سائداً تماماً في هذه المناطق وحاكماً ومسيطرأ قبل موجة الغزو الأسباني البرتغالي التي تعرضت لها هذه البلاد وقاومتها مقاومة شديدة والتي أسلمتها للاحتلال البريطاني والهولندي . منذ تلك الفترة تواجه أندونيسيا عملية تبشير مسيحي غاية في العنف ، والصرامة ، قامت هولندا بدور كبير فيها حيث عمل الاستشراق على تزييف الحقائق وسيطر على مناهج الدراسة وحول الكتابة

بالحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، ومنذ وقت طويل ورجال التبشير والاستشراق العاملون في خدمة الحكومات الاستعمارية يخططون لمواجهة المد الإسلامي في هذه المناطق . ومن هؤلاء الدكتور كرامر أستاذ تاريخ الأديان في جامعة ليدن الذي يقول في أبحاثه : ان هاتين المنطقتين الواسعتين (أفريقيا وأندونيسيا - يجب أن نوجه إليهما الجهد لمواجهة الإسلام بجرأة ولباقة ، وأن الإسلام ليس كغيره من الأديان فهو أقوى وأعظم مقاومة لكل الأعمال الهادفة لتغيير العقيدة وكذلك يقول السكندر أيدنبورخ وزير المستعمرات في هولندا : أنه لا بد من تحطيم الإسلام وذلك بعرض آداب الغرب في نفوس المسلمين ليبتعدوا عن دينهم وهم لا يشعرون على أن يساير أدب الغرب الدين المسيحي في وقت معاً . وقد عقدت المنظمات التبشيرية مؤتمرات عديدة في أوروبا وأمريكا وفي الهند والفلبين وماليزيا وأندونيسيا وغيرها بحث فيها المؤتمر خططاً كثيرة في هذا الشأن وكان لسوكارنو دور كبير في معاونة هذا الاتجاه الخطير حتى أنه طالب بعقد أحد هذه المؤتمرات في جاكرتا ليحضره وليبرهن للعالم على أن حرية الأديان مكفولة في أندونيسيا وحمد الغربيون لسوكارنو عطفه هذا وكان ذلك عام ١٩٦٤ وقد كان سوكارنو يعمل في النطاقين : دعم الحركات التبشيرية والحركات الشيوعية في نفس الوقت . وتولى في عهده (فرانس سيدا) منصب وزير المالية وقد منحه البابا وسام البطولة الأكبر مكافأة له على خدماته ولا سيما في حقل التربية ، وتولى وزارة الأعلام الدكتور رومامي وأعقبه وزراء غير مسلمين . وكان الدكتور أوتير يخيت الهولندي الجنسية واليهودي الأصلي قد أمر بحل منظمة الطلاب المسلمين وقد أدلى أحد كبار رجال التبشير (فن دربورخ) بحديث قال فيه أن الرئيس سوكارنو يساير خططنا (نقل هذا عن أحد كتاب أندونيسيا ومؤرخيها الأستاذ ضياء شهاب) وفي ذلك العهد أقيمت مدرسة تبشيرية لتعليم الأطفال مجاناً ومدرسة لتخريج المبشرين ، يبعث بخريجها إلى الغرب وقد أقيمت هاتان المدرستان في قرية سكانها مسلمون وفي تقرير من مدير البعثة التبشيرية الأسبوعية يفيد بأن تحولاً خطيراً يجري في أندونيسيا نتيجة التبشير . ويتدفق على المنظمات التبشيرية في هولندا معونات ضخمة من الأموال والآلات الطبية ، وهناك مبشرون متبرعون يرحلون إلى الجزر البعيدة يقيمون بين القبائل البدائية التي تعيش في أحضان الغابات الاستوائية والمعروف أنه بمجرد أن سقط حكم سوكارنو والنفوذ الماركسي الموالي له ، هجمت التبشيرية الغربية لاحتلال الفراغ وجندت نفسها للتنصير وبذلك سقط أهل أندونيسيا بين مخافتين

هما التبشير والشيوعية . وقد قدم الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق تقريراً خطيراً إلى رابطة العالم الإسلامي عن ما تستهدفه أندونيسيا من حملة التبشير وأورد أدلة كثيرة على ذلك المخطط الذي أشرنا إليه وقال أن المجلس الأندونيسي للكنائس أصدر مؤخراً خريطة لأندونيسيا قسم فيها البلاد إلى مناطق كنيسة مع توضيح لعدد أعضاء الكنيسة في كل منطقة ، كما أوضح أن اتحاد الكنائس بالتعاون مع الفاتيكان وهيئات التبشير الأخرى في العالم قد اتخذ أسلوباً جديداً في التضليل والخداع للتسلل إلى صفوف المسلمين وزرع عقائده في نفوسهم وذلك بالاسهام في مشروعات التنمية تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمعات) وقد استطاعت هيئة تابعة لاتحاد الكنائس العالمي أن تمارس نشاطها في مختلف مجالات التنمية الاقتصادية تحت اسم مناطق «انمائية للتبشير» . وقد استطاعت هذه الهيئة الأجنبية بأموالها الضخمة ، وفيالق خبراتها المتخصصة أن تقيم المستشفيات والمدارس ، وتقوم هذه الهيئات بشراء الأراضي ذات الموقع الاستراتيجي ، بأسعار مرتفعة. لتبنى عليها مؤسساتها وتقوم الكنائس بتوزيع الأرز والكساء والنقود مباشرة إلى المعنيين كما تقدم للمزارعين الفقراء قروضاً نقدية وعينية بشرط أن يلحقوا أبناءهم بمدارس التبشير ويجري رجال التبشير اتصالات بأعضاء الحزب الشيوعي المحظور المعتقلين ويعرضون عليهم مساعدة ذويهم بصفة مستمرة بشرط أن يكرسوا التبشير ، وعمل المصانع الذين يفقدون أعمالهم يقدم لهم التبشير معونات نقدية وعينية . ويصور دكتور محمد ناصر كيف بدأ النظام التبشيري المشبوه في أندونيسيا فيقول أن ذلك يعود إلى الأيام الأولى لاستقلال البلاد عندما تدفقت ملايين الدولارات إلى أندونيسيا على شكل مساعدات خارجية لتحويل هذه الملايين الضخمة إلى مستشفيات ومطابع ودور نشر ومراكز للشباب وعمارات شاهقة للتبشير ، وأمام هذه الإمكانيات المادية الضخمة التي يملكها التبشير تقف المنظمات والجمعيات الإسلامية عاجزة ويكفي أن هيئة المعونات المسيحية العالمية رصدت (١٥٠ ألف دولار) للنشاط التبشيري هناك كما رصد الاتحاد العالمي للكنائس (٢٠٠ ألف دولار) وذلك لعام ١٩٧٣ . وقد استغل رجال التبشير موجة التمحط والمجاعة في موسم الجفاف ليقدموا الألبان المعلبة والحبوب للمسلمين من أيدي التساوسة والرهبان الداميين من الخارج . وقد نشرت صحيفة (واشنطن بوست) في عددها الصادر ٧ - ٩ - ٧٣ تعليقاً بعنوان (تعاظم التبشير في أندونيسيا) أشارت فيه إلى ازدياد عدد الكنائس في أوساط أندونيسيا المسلمة وذكرت أن جاوه وهي أكثر الجزر ازدحاماً بالسكان

إذ يبلغ نسبة عدد سكانها ٦٥ في المائة من مجموع سكان أندونيسيا أصبحت تربة صالحة لنشاط الإرساليات التبشيرية . وأعادت الصحيفة إلى الأذهان أن طلائع البعثات دخلت أندونيسيا في عام ١٥٠٠ مع البرتغاليين الذين استعمروا جزر البهارات وأن مناطق عديدة استهدفت لحملات التبشير من بينها سولاويشى الشمالية والوسطى وجزر تيمور وفلوريس ومنطقة الباتاك في سومطرة ، وقد استمرت الحملات التبشيرية وبعثاتها تتوالى على البلاد في مختلف العهود التي مرت بها . كما يلاحظ أن ازدياد النشاط التبشيري قد أخذ دوراً أكثر ظهوراً وانتشاراً بعد الانقلاب الشيوعي الفاشل في أندونيسيا . كما أخذت الأموال تدفق على أندونيسيا من دول الغرب وأمريكا بالذات وجلها ينصب على الفكرة العامة وهي فكرة « محاولة تنصير الشعب المسلم في أندونيسيا » لأن الحكومة الأندونيسية وحدها لا تستطيع أن تجابه كل هذا الغزو الفكرى والعقائدى ضد شعب أندونيسيا المسلم فلا بد من أن تتكتل الجهود والطاقات لجميع الدول الإسلامية والمؤسسات من أجل العمل على صد ومقاومة هذا الغزو الاستعماري الغربي الذي جاء مستغلاً أوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية .

الاستعداد لشحن حملة تبشير ساملة في أندونيسيا المساهمة

وقد أشار تقرير تلقته رابطة العالم الإسلامى أن الفاتيكان قد عين كردينالا وأسقفاً لدعم حركة هذه الإرساليات التبشيرية ونشاطها ، وقد أشار كتاب (واجبنا في أندونيسيا اليوم) الذى أصدره أحد رجال التبشير إلى مختلف الخطط والمشاريع والبرامج والطرق والأساليب التى تتبع والتى نسقت على أساس من البحث العلمى والتى يمكن أن تستعمل كدليل ومرشد لشحن حملة تبشير شاملة في أندونيسيا المسلمة .

صوت من أندونيسيا

ويوجد في أندونيسيا خمس منظمات إسلامية هي : ١ - المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية . ٢ - المنظمة المحمدية . ٣ - منظمة الشبان المسلمين . ٤ - منظمة الوصلية . ٥ - وحدة الأمة الإسلامية . ويقول الأستاذ أحمد جوى رئيس منظمة الشبان المسلمين في أندونيسيا أن المنظمة تعمل جادة من أجل بناء الجيل المسلم الصاعد الذى يستطيع القيام بآعبائه ومسئوليته تجاه الإسلام وقد أشار إلى أن المنظمة تعمل على مواجهة حركة التبشير في أندونيسيا بإنشاء مستشفيات ومدارس وصرف أولياء الأمور عن إدخال أبنائهم في مدارس

التبشير ثم يقول : نحن نواجه الاتجاهات الهدامة التي تنجم عن مؤسسات التبشير وذلك بإيجاد البدائل الإسلامية .

ويؤكد كثير من الباحثين أنه مما سهل مهمة الإرساليات : هو ضعف الثقافة الإسلامية والمعرفة بمفاهيم الإسلام وانحطاط المستوى الاقتصادي . وقد أكد كثيرون ما جاء في تقرير إحدى الطوائف التبشيرية في جاوه الشرقية من أنهم يعملون في سبيل ملاشاة الإسلام من الإسلام من جزيرة جاوه وبها ستون مليوناً من المسلمين في خلال العشرين سنة القادمة . ولا ريب أن هذا الموقف جدير بأن تتخذ فيه الهيئات الإسلامية في كل مكان قراراً حاسماً لدفع هذه المحاذير ومقاومة هذه الأخطار .

(٧)

أفريقيا : قارة الاسلام

١ - اقتحم الإسلام القارة الأفريقية من جهتين . وكان لكل جهة منهما مسارها وتكوينها وعمقها : شرق أفريقيا وغرب أفريقيا . أما شرق أفريقيا فترجع إلى اتصال الموانئ الأفريقية بالجزيرة العربية ويمكن القول بأن الإسلام قد دخل أثيوبيا قبل أى بلد أفريقى آخر ، وذلك عن طريق الهجرة الأولى في عهد النبي (ص) ولم تلبث الدعوة الإسلامية أن انتشرت على أيدي القبائل التي هاجرت إلى أرتريا والصومال وأثيوبيا حتى أصبح الإسلام هو دين الغالبية في هذه المناطق . والمعروف أن هذا الساحل (شاطئ الصومال وكينيا وتنجانيقا) كان مجال التجارة العربية ، فلما جاء الإسلام واعتنقه العرب تحولت تلك إلى مراكز إسلامية على الشاطئ الشرقى الأفريقى تتحكم في طرق التجارة إلى داخل تنجانيقا وقلب الكونغو وتمتد إلى بحيرة فكتوريا . وكان من نتيجة إتصال العرب بالأهالى أن ظهرت اللهجة السواحلية وهى من اللهجات المحلية الأفريقية التي يتحدث بها أغلب شعوب القارة وهى خليط من ألفاظ زنجية وعربية وفارسية وهندية . ويعلق المؤرخون أهمية كبرى على الدفعتين القويتين اللتين قدمتا إحداهما من الشمال والأخرى من عمان عن طريق الخليج العربى في القرن الثانى الهجرى . وقد اتجهت الأولى إلى أرتيريا والثانية إلى الصومال . وأثمرتا نجاحاً هائلا ، حيث تأسست (موجاديشو) سنة ٨٦٠ التى أشادها عرب وفدوا من الإجماء على الخليج العربى . ومن الصومال نفذ الإسلام جنوباً إلى سواحل تنجانيقا وكينيا من الثالث الهجرى . ٢ - أما منطقة غرب أفريقيا فقد انتشر الإسلام فيها عن طريق قبائل البربر

المغربية التي اعتنقت الإسلام وعن طريق غرب السودان ، حيث يوجد خط القوافل التجارية المسافرة إلى غرب أفريقيا . ومن المغرب انتشر الإسلام في السنغال ومملكة غانة القديمة وامتد إلى داهومي الشمالية وكذلك نيجيريا وسائر غرب أفريقيا انتشر فيها الإسلام عن طريق أهل المغرب ورجال الطرق الصوفية ولم يلبث النيجيريون أن أصبحوا دعاة للإسلام في ترحالهم على الأقدام للحج سنوياً مخترقين قلب أفريقيا إلى غرب السودان فشرقة ثم عابرين البحر الأحمر . ومن غرب أفريقيا وسع الإسلام آفاقه وسط القارة . ويرجع أهمية التوسع الإسلامي في غرب أفريقيا إلى قيام دولة (المرابطين) القرن الخامس الهجري حيث توصف هذه الفترة بأنها فترة انتعاش للإسلام ، وكان أبرز مظاهر هذه الحركة الاندفاع نحو الجنوب إلى جبال إدرار ثم إلى البلاد المعروفة باسم موريتانيا ، ثم إلى نهر السنغال حتى إذا كان القرن التاسع الهجري (١٥ م) اتسعت حركة انتشار الإسلام واللغة العربية في هذه المناطق لم تلبث أن اتسعت في القرن العاشر الهجري حيث استطاع الإسلام أن ينتشر بين القبائل ويحل محل الديانات الوثنية في السنغال حيث اعتنق الإسلام حوالي مليون و ٣٠٠ ألف من مليونين هم مجموع السكان . وفي مالي والسودان الفرنسي سابقاً تأسست في القرن الخامس الهجري (١١ م) دولة بربرية عن طريقها انتشر الإسلام في قبائل السودان الفرنسي فلما تولى المغاربة حكم هذه البلاد زادت نسبة المسلمين فيها إلى أكثر من ٦٠ في المائة وفي جامبيا وغينيا انتشر الإسلام انتشاراً هائلاً وكان لقبيلتي الفولا والإمامية أثر كبير وكذلك كان لرجال الشيخ عمر أثر واضح ، فأصبحت الأغلبية إسلامية . وكذلك في إقليم النيجر ، قامت دولة إسلامية واسعة ، وأنشأ الطوارق سلطنة بربرية منذ القرن العاشر الهجري فانتشر الإسلام في هذه المناطق . أقبلت بعد ذلك مرحلة الغزو الاستعماري الذي بدأته البرتغالي وأسبانيا وتبعتهما باقي الدول الأوروبية وقد استطاع المسلمون في أفريقيا مقاومة الغزو البرتغالي والأسباني المتقدم الذي بدأ في أوائل القرن التاسع الهجري (١٥ م) بعد سقوط الأندلس ، غير أن الاستعمار الفرنسي والبريطاني لم يلبث أن حل محل النفوذ البرتغالي والأسباني ، وقد استطاع هذا النفوذ أن يستمر طويلاً . ويمكن القول بأن العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ، كانا أشد مراحل الغزو الأوربي لأفريقيا قسوة واندفاعاً وفي خلال الفترة بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر ، استطاع الإسلام أن يحقق توسعات ذاتية كبيرة فعندما انهزم البرتغاليون في القرن الثامن عشر نقل سلطان مسقط عاصمته إلى زنجبار وأصبح الساحل الشامي لشرق

أفريقيا إسلامياً . غير أنه في القرن التاسع عشر الميلادى ، وفي إبان حركة التوسع الغربى في أفريقيا كان الإسلام يمر بأزهر فترات توسعه التى . أوقفتها حركات الاحتلال والغزو وعوقفتها ، وإن كانت قد استطاعت من بعد أن تحقق نتائج هامة في مجال التحدى للإرساليات التبشيرية ، ففي هذه الفترة استطاع التاجر المسلم ورجال الصوفية والدعاة المنقطعون للإسلام إدخال عديد من القبائل الوثنية في الإسلام في تنجانيقا وكينيا وزنبار واستطاعت بعض هذه الأمم أن يصبح الإسلام دين الأغلبية كما حدث في أوغندا وكان للتجار العرب الوافدين من الخليج الفارسى أثر واضح في نشر الإسلام في كرموز وجزر المحيط الهندى (مدغشقر - سيشل - البرلوتيون - موريس حتى بلغ المسلمون في مدغشقر وحدها مليون نسمة . وكان للجاليات الاسلامية التى وفدت من الهند والملايو واستقرت في المناطق الواسعة الممتدة من في جنوب أفريقيا إلى كينيا شمالاً أثرها في نشر الاسلام وقد بلغت ٥٠ ألف هندي (٤ الف ملاوى) حتى لقد اعتنق الاسلام في هذه المناطق ٥٠ ألفاً من السكان السود . وكان للاسماعيلية والأحمدية (وهما طائفتان من مسلمى الهند) أثرهما في نشر الاسلام أيضاً ، كما كان للتجارة أثرها الواضح في إدخال الناس في الاسلام نتيجة لهجرة العمال من قبائلهم إنتاجاً للرزق . ويرجع كثير من الباحثين الفضل في انتشار الاسلام بين قبائل الزنوج في إفريقيا منذ القرن ١٨ إلى نشاط الدعاة من أرباب الطرق الصوفية الاسلامية . وقد وجد فيه الزنوج الطمأنينة بفضل نظامه الاجتماعى وما يتمتعون في ظله من أمن خلال أسفارهم للتجارة ويسر في فرائضه . » . والاسلام دين فطرة سهل التناول سهل التكيف والتطبيق على مختلف الظروف ولعل هذا من أهم العوامل التى سهلت اعتناق الوثنيين للإسلام . وقد بدل الاسلام مظاهر الحياة في البقاع التى دخلها وأسبغ روح النظافة حيث يتميز المسلم عن بقية الناس بلباس فضفاض فضلاً عن تحريم لحم الخنزير . ومشايخ الطرق في هذه المناطق يتمتعون بالتقدير بحسبان أن الله أرسلهم هداة ، ويعتبرهم الخاصة مربيون روحانيون يوجهون النفوس . ومن أهم مظاهر الاسلام مسابرة طبيعة التفكير الخاص بالعقلية الزنجية (هو بير ديشان) . وقد أشارت صحيفة دى وشنطون بوسن إلى أهمية الدور الذى يقوم به الاسلام فقالت : « ولا شك كان لعدد من الطرق الصوفية أثرها البعيد وفي مقدمتها : الطريقة القادرية : التى توسعت في افريقيا السوداء في جنوب إفريقيا . الطريقة التيجانية : في القرن ١٨ بمدينة فاس حيث تتميز بشدة معارضتها للوثنية وهى طريقة الحاج عمر التى حققت انتشاراً واسعاً

في افريقيا السوداء . وتركزت في افريقيا الغربية جهود المرابطين المغاربة وجلهم من أتباع الطريقتين القادرية والنيجانية . وقد امتد نشاطهم من السنغال إلى غينيا والسودان حتى سواحل العاج ومستعمرة النيجر . وهناك دور هام لا سبيل إلى تجاوزه هو أثر الدعوة السنوسية في طرابلس وافريقيا وكذلك أثر الحركة المهدية في السودان .

- ٢ -

لقد حقق انتشار الاسلام في افريقيا نتائج بالغة الخطورة لا يمكن تقديرها إلا بتصوير قوة زحف الارساليات التبشيرية الغربية والمبالغ الطائلة التي تنفقها الدول الأوروبية عليها ويمكن القول بأن تزايد قوة التوسع الاسلامي الذي راجع إلى مواجهة هذا التحدي أصلاً . ويعترف هوبر ونشان مؤلف كتاب « الديانات في إفريقيا السوداء » وهو أحد حكام المستعمرات الفرنسية بأن انتشار الدعوة الاسلامية - في غالب الظروف - لم يقم على القهر والتسلط ، بل قام على الاقناع « لأن الذين قاموا به كانوا مشايخ متفرقين لا تحوطهم قوة أو تحميهم دولة ، وإنما كان الاخلاص دافعهم إلى إظهار محاسن الاسلام وسماحته ، وقد يسر انتشار الاسلام ، أنه دين فطرة سهل التناول خال من التعقيد لا يفرض على المسلم طقوساً ما ، بل لا يتطلب سوى النطق بالشهادتين ، ولذلك كان التجار المسلمون من الديولا أو الهوزا يحملون بذور الدعوة الاسلامية في سماحة ويسر بل أن الاسلام قد خالف ظن المبشرين والمراقبين الغربيين الذين كانوا يظنون أنه لا يستطيع الانتشار إلا في مناطق الشمال حيث تكثر القيافي والقفار ، دون أن يستطيع اجتياز حاجز الغابات الحارة في الجنوب والتوسع في أوساط سكانها ، فان تقدم الاسلام في سيراليون وشاطئ العاج وشاطئ الذهب وداهومي أثبت بما فيه الكفاية - على حد تعليق جريدة نيويورك تايمس - كم من القوة كان ذلك الاعتقاد بعيداً عن الصواب وقد شهد بالحقيقة بعض الباحثين أمثال بور ورث سميث في كتابه Mohamed and Mohammedans : الذي أوضح كيف انتشر الإسلام سريعاً في أفريقيا ودانت له ، وكيف اجتاحت أغلب دول أفريقيا دون مقاومة تذكر ، وكيف امتدت موجة الاسلام جنوباً إلى الشمال الغربي من مراکش حيث بلغت في زمن الفتح النورماندي تخوم تمبكتو ، ووصلت شرقاً وجنوباً حتى بلغت في القرن الثالث عشر (١٩م) بحيرة تشاد التي تصافح على ضفافها العرب القادمون من الشرق مع اخوانهم القادمين من الغرب ، وقال «أنا لنسمع عن قبائل بأسرها تطرح جانباً الوثنية والشعوذة وعبادة الشيطان لترقى إلى أعلى

مستويات العقيدة الدينية . وقد لاحظ المسافرون الغربيون رغم كل رغبة من جانبهم في عكس هذا - أن الزنجرى الذى يعتنق الاسلام لا يلبث أن يجتلى شعوراً بالعزة والكرامة الانسانية لا تلمس مثلها عادة بين هؤلاء الذين ينضمون إلى غيره ونقول ونحن متأكدون من جميع النواحي أن للسكان المسلمين رغبة عاطفية في التعليم وحينما يوجد عدد المسلمين يسرعون إلى إنشاء مدارسهم الخاصة ومنهم غير قليل يقطعون المسافات الشاسعة للحصول على أفضل تعليم . ويلاحظ مراسل صحيفة دى وشنطون بوست أنه في خلال هذا القرن قد تحولت قرى بكاملها إلى الإسلام في بحر سنوات قليلة ففى فولتا العليا اعتنق الاسلام «موغانايا» ملك المرسى مع مئات من رعاياه . ومنذ الحرب العالمية الثانية تقدم الاسلام تقدماً مماثلاً في ليبيريا وساحل العاج والكونغو ، : ويوجد الآن السنغال وجامبيا وغينيا ومالى وموريتانيا والصومال وزنجبار والنيجر وتشاد أكثر من ٨٠ فى المائة مسلمون ونفس الشيء تجده في شرق أفريقيا . ويعمل أسباب تفوق الاسلام إلى أنه أكثر بساطة إذ ليس فيه أسرار مذهبية أو تعذيب للضمير ، فالاعتقاد باله واحد وتمجيد نبيه هما الشرطان الأساسيان في الإسلام ، فضلاً عن أنه يجيز تعدد الزوجات وقد لاحظ جون جنتر في تطوارة في أفريقيا حسباً سجله في كتابه «داخل أفريقيا» إن أهم عوامل انتشار الاسلام أنه ليس فيه تمييز عنصري ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزوج إلى رحابه ، وقد انتشر انتشاراً شاملاً عميقاً بين عباد الأوثان والحيوان لأن شعائره مبسطة للغاية وترجع أهمية الاسلام في نظر الأفريقيين إلى أنه نظام اجتماعى كما هو دين ، يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة بين جميع المؤمنين . ولقد أشار ولفر هامبتون في بحث له نشرته جريدة التيمس عام ١٨٨٧ نتائج انشار الاسلام فقال : أنه عندما تدين به أمة من الأمم الأفريقية تخفى من بينها في الحال عبادة الأوثان ، وتحرم أكل لحم الانسان وأود البنات وتضرب عن الكهانة وتأخذ أهلها في أسباب الاصلاح وحب الطهارة . ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمر من الأمور الممنوعة ولعب الميسر والأزلام محرمة والرقص القبيح ومخالفة النساء اختلاطاً دون تمييز منعمة ، يرون عفة المرأة من الفضائل ، أما الغلو في الحرية والتهتك وراء الشهوات البالية فلا تجيزه الشريعة الاسلامية والاسلام هو الذى يعمم النظافات ويقمع النفس عن الهوى ويحرم إراقة الدماء ، والقسوة في معاملة الحيوان والأرقاء ، ويحض على الخيرات ، ويقول بالاعتدال في تعدد الزوجات والعدل في الاسترقاق وزيادة على ذلك

فالاسلام عفيف بالكلية عن الشركات الدينية والتجارية وفي غنى عنها بالمرّة ، والتجارة الأوربية تمهد وسائل المسكرات وتسوم الشعوب خسفاً واذلالاً والاسلام ينشر لواء المدنية القائلة بالاحتشام في الملبس والنظافة والاستقامة وعزة النفس . وفي نفس العام يكتب جوزيف توميسون في التيمس عن انطباعاته بعد رحلة استكشافية في قلب أفريقيا : إذا بلغنا غربى أفريقيا والسودان الأوسط نجد الاسلام كجسم قوى تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان في أيامه الأولى ، فترى الناس تدخل فيه أفواجاً وتقبل عليه بإقبال عجيب يشبه أيامه السالفة ، نرى أشعة نوره منبعثة من شوارع سيراليون وأخذه في إنارة بصائر القبائل المنحطة في وهاد الجهالة الآكلة لحوم البشر عند منبع النيجر .. رأيت أن أعظم فتوحات الاسلام في أواسط السودان وغربه كانت على دين جماعة سليبي الطويلة متخضعي الجناح ، وكان قائماً بنشره واتساع دائرته يدعى « فيلاني » وكان يفترش الأرض ويلتحف السماء ، وفي الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجراً ذا همة وإقدام يقال له « هوذا أو نوبية » . وفي أوائل القرن الثاني عشر (١٨ م) كان ذلك الراعى يجهد نفسه في نشر لواء ديانته من بحيرة تشاد إلى الأقيانوس الأتلانتيكى فحصل من ذلك أن أشرقت شمس الاسلام في سماء هذه الجهة بأجمعها وظهرت في أواخر القرن الماضى عدة فئات من المسلمين لم يكن يعوزهم إلا رئيس يحمى زمارهم ، ويدفع عن هذه البلاد غائلة الوثنية ، فلما قبض لهم في بدء هذا الجيل رجلا يسمونه (فودبو) لم يمض غير قليل زمن حتى ساد الاسلام ، وامتد جناح سلطانه بسرعة غريبة في بلاد شاسعة واسعة وانتشرت سلطته على القبائل المتبربرة فأصاب فوزاً عظيماً . و

يصف الكاتب سلوك دعاة الاسلام في أفريقيا وطريقة عملهم :

إن زعيم الاسلام في هذه السنوات هو التاجر السوداني الذى كان يعتمد في مهماته على تقواه ويستعين بها على أعماله ، وكان يتوغل في كل قبيلة على مسافة بعيدة من بلدة ويختلط بالوثنيين المتبربرين ، وكان يبيت معهم ويأكل معهم من طعام واحد ، وكان أينما حل أو سار لا يألو جهداً في توسيع نطاق ديانته وإظهار مزاياها الخالية من الالتباس والوعظ بها بين الناس ، وفي الحقيقة أن الفرائض والسنن التى يعظ بها لا يعسر فهمها على أخيه الوثنى ، ولا يخرج عن قوة إدراكه ، هذا التاجر كان يقيم تارة شهراً وطوراً ستة أشهر أو سنة ، في خلال هذه المدة تراه موضع التعجب والاستحسان لنظافة ملبسه ولذلك ينكب الناس الذين حوله على تقليده واتباع طريقته ، وهم لا يرون شيئاً نصب أعينهم إلا ويتطلع إليه أمامهم ،

وليس في ديانتته شيء مبهم عليه معرفته ، وعلى هذا انغرست بذور المدينة في عدة قبائل همجية ونغى بينها الإسلام نمواً هائلاً إلى حد رن فيه صدى هذه البلاد في الآفاق . هذه صور توسعات الاسلام الذاتية في العصر الحديث ، كما يصورها عدد من المراقبين الأجانب ، ترسم طبيعة هذا الدين ، وقدرته على الذبوع في مواجهة التحديات التي تعرض لها من خلال جائحة الاستعمار التي واجهت القارة الأفريقية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر . والحق أن الأمور لو مضت على طبيعتها دون تدخل القوى الأجنبية والاستعمار وترك لدعاة التبشير من الأديان المختلفة حرية العمل لاستطاع الاسلام واللغة العربية معه أن يحرزا تفوقاً واضحاً وتوسعاً ضخماً في أفريقيا ، غير أن النفوذ الاستعماري كان حفيماً بأن يوقف هذا النشاط ويعوقه .

٣- الاستعمار والتبشير : والمعروف أن النفوذ الاستعماري الزاحف قد أفسد المجمع الأفريقي وقضى على عوامل الازدهار فيه وحاول أن يغير صورة التاريخ ، والحاضر القوى ويقضى على آثاره الحية وذلك كمحاولة لتصوير الوجود الاستعماري بأنه كان عاملاً من عوامل التنوير وثقافتهم والنهضة والحق أن المستعمرين أدخلوا نظمهم السياسية وقواتهم العسكرية والأوروبية ومنظمتهم التبشيرية إلى أفريقيا وقضوا على السلطات الاسلامية أو سلبوها سلطانها ووضعوها تحت الوصاية وفرضوا العزلة على هذه البلاد وقطعوا صلاتها بالعالم الخارجي وطوقوا القارة الافريقية بالقواعد العسكرية ونهبوا ثرواتها واستعبدوا أهلها وحاربوا الثقافة الاسلامية حرباً غير متكافئة ففرضوا اللغات الأوروبية على أفريقية وأنشأوا المدارس التي تبث ثقافتهم وأفكارهم ، وخاض الاسلام في أفريقيا معركة حياة أو موت وهي حركة يرى الدكتور حسن محمود أنها لم يؤرخ لها بعد تاريخاً شافياً . والمعروف أن الاستعمار في أفريقيا قد حرص على أشياء في هامة مقدمتها طمس معالم الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامي بها حتى لا يستطيع المسلمون التعرف عليه ، وإقامة دعوى خطيرة بأن هذه البلاد كانت مجهولة وغير متحضرة وأن رجال الاستعمار الأوربي أمثال (ولفنجستون وبيكر) هم الذين اكتشفوها مع أنها كانت مكتشفة فعلاً وللمؤرخين وللرحالة المسلمين أبحاث مسجلة عنها وكذلك عمدوا إلى نقل التراث الإسلامي إلى العواصم الأربية رغبة في إخفائه والقضاء عليه ثم مضى الاستعمار فحمل على التجار العرب في أنحاء أفريقيا والذين كثروا يحملون معهم الإسلام حملات عنيفة متهماً إياهم بأنهم تجار الرقيق وبذلك وضع قيود على تنقلاتهم حتى

يفسح المجال للبعثات التبشيرية التي تدفقت على مختلف الأماكن تبنى مدارسها وكنائسها ومستشفياتها وتحاول إغراء المسلمين قبل إغراء الوثنيين - بتقديم خدماتها .

وقد أشار الزعيم محمد فريد في أبحاثه عام ١٨٩٨ إلى خطة الاستعمار في أفريقيا وكان ذلك في إبانها فقال إن مبادئهم إرسال الرزاد أولاً بدعوى اكتشاف المجهول من البلاد ثم يتبعهم التجار والمرسلون الدينيون لتمهيد الطريق وعندما تنتشر تجارتهم في البلاد ويصبحون أصحاب منافع عظيمة يؤلفون الشركات الكبرى التي تمنحها الحكومة حتى تعبئة الجيوش وضرب العملة ووضع القوانين والأحكام حتى إذا ما فتحت البلاد ودوخت العباد حلت محلها الحكومة نفسها - بعد التعويض على مساهمي الشركة فتملك الدولة المحتلة بذلك بلاداً واسعة لو أردت أن تفتتحها بالقوة بادی بدءً لكلفتها الأموال الطائلة والنفوس العديدة » .

وقد استهدف الاستعمار الفرنسي والبريطاني في أفريقيا - وهو أبرز القوى الاستعمارية - القضاء على مقومات المسلمين في أفريقيا وذلك بوسائل مختلفة أهمها القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي وكل ما يتصل بتاريخ الفترة المزدهرة التي عاشها المسلمون قبل اتساع النفوذ الأجنبي . ولذلك فإن التركيز الاستعماري كان على الثقافة أساساً عن طريقين : نشر المدارس والمؤسسات التبشيرية والإرساليات والقضاء على المدارس الوطنية وإعداد المدارس التي تشرف عليها الحكومة وإعداد الإرساليات وتنصب عملها على نشر لغة المستعمر ودينه وتاريخه وتغذية اللغات الإقليمية القومية وإيقاف اللغة العربية الأم وتجميدها ويتجاهل الاستعمار الفرنسي اللغات واللهجات المحلية منذ التعليم الأولى والابتدائي حتى ينشأ الجيل كله يتحدث بالفرنسية - ويختار الصفوة فيرسلهم إلى فرنسا ليتشبعوا بثقافته ومفاهيمه ، وهؤلاء هم الذين يعملون في دولا ب الحكومة مع رجال الاحتلال بينما يترك بقية الأهالي على أميتهم . كما يعتبر الفرنسي الأرض الأفريقية جزءاً من فرنسا ، ولذلك فهو يوزع صحفه الفرنسية (الفيجارو والموند) في غرب أفريقيا ويعتبرها صحافة وطنية .

أما أسلوب الإنجليز فيختلف قليلاً ولكنه يرى إلى نفس الغاية حيث يفصل الإنجليز بين وبين الذين يحتلهم ، ويدرس اللغات المحلية في المراحل الأولى ثم يدرس لغته في المراحل المتقدمة ، وهو ينمى الإقليمية في اللغة والتراث ويدعو إلى بعث الثقافات القديمة البالية السابقة للإسلام رغبة في الفصل بين المسلمين وبين ماضيهم القريب . ويعمد البريطانيون إلى عزل مختلف المناطق الأفريقية عن الجو العربي الذي قد يكون موجوداً بين الأفريقيين ومن ذلك أنهم حولوا أهالي شرق أفريقيا (كينيا وأوغندا وتنجانيقا وزنجبار) من كتابة اللغة

السواحيلية بالحروف العربية إلى كتابتها بالحروف اللاتينية . كما يعمد الاحتلال البريطاني إلى السيطرة على الصحف وذلك بتحريك قضايا وشبهات من شأنها أن تثير الخلافات بين المذاهب المختلفة وتحول دون وحدة الأمة ، فهو يثير مشكلة الأقليات أحياناً والخلافات المذهبية أو السياسية أحياناً أو ينادى بانفصال مناطق معينة ، ويتلخص مفهوم الاحتلال الغربي (بأنواعه) : فرنسا وبريطانيا وبلجيكا في أنه هو رسول الحضارة وناشر المدنية وصاحب الرعاية الأبوية والتوجيه الديني ولطالما أعلنوا في كتاباتهم « أنهم أصحاب رسالة إلى شعب قاصر ليس له أن يبدي رأيه في أمور يعرفونها هم وإنما عليه أن يقبل الرعاية الأبوية كطفل صغير . » ويغلب على التوجيه الثقافي والعلمي روح التبشير والإرساليات ، حيث يترك الاحتلال البلجيكي للبعثات التبشيرية الإشراف الكامل في المجال التعليمي وخاصة التعليم الابتدائي ، وقد كان للبلجيكيين ٧٢٠ مجموعة تبشيرية تضم حوالى (٦) آلاف مبشر معظمهم من الكاثوليك ولغة التعليم هي الفرنسية . غير أن الاستعمار الفرنسي والإنجليزى والبلجيكي قد رأى أن معظم الذين يسافرون إلى أوروبا من صفوة أبناء البلاد الممتازين لقيادة مجتمعاتهم وأصحاب الولاء الواضح للنفوذ الاستعماري إنما يعودون بروح غير روح الولاء ويسجل ذلك جورج باديمور حيث يقول : نحن نرى الذين يزورون أوروبا ويتلقون تعليماً عالياً فيها لا يعودون إلى بلادهم بروح الحضارة من البلد الأم ولكنهم يعودون بروح معادية للبلد الذي فتح لهم أبواب الحضارة . ويمكن القول بأن الغزو الاستعماري في أفريقيا حمل لواء ثلاث عمليات خطيرة : الأولى : عملية تجارة الرقيق حيث عمد إلى خطف أكثر من عشرين مليوناً من أهالي أفريقيا وأرسلهم إلى أمريكا وقد مات منهم في الطريق عدد كبير . وقد فعل هذا بينما كان يثير حملات عنيفة متهماً التاجر المسلم المتنقل بين أرجاء أفريقيا بأنه يعمل في تجارة الرقيق ، وقد شهد للمسلمين والعرب كثير من الباحثين المنصفين وردوا هذه الشبهة المضللة وفي مقدمتهم بوزورث . حين قال : لما كان التجار العرب الذين توغلوا في القارة الأوربية ليقترفوا في يوم من الأيام جرائم الخطف والاسترقاق التي اقترفها المستعمرون بل كانوا رسل حضارة وإيمان إلى هذه القارة . (ثانياً) عمليات التبشير حيث تدفقت البعثات التبشيرية الأوربية المختلفة من الكاثوليك والبروتستانت لنشر المسيحية واللغات الأوربية ومقاومة الإسلام والثقافة الإسلامية وقد سار التبشير في ركاب الاستعمار وارتبط به . (ثالثاً) إدخال جماعات بيضاء بكميات ضخمة في كثير من المناطق للاستيلاء على الأراضي الخصبة وطردها أهلها الأفريقيين

منها وخلق كيان أوربي يجعل الوطنيين أقلية في بلادهم . والمعروف أن البعثات التبشيرية لم تستطع أن تحقق كثيراً مما كانت تتطلع إليه فقدواجهتها حركة التبشير الإسلامية السلمية واكتسحت المجال أمامها وبلغت أقصى مكان في القارة ، وقد أشار الدكتور زويمر في أوائل هذا القرن في دهشة إلى ما وجده في جنوب أفريقيا من نهضة إسلامية في مدن الكاب وحدها ما يزيد على ثلاثة عشر مسجداً وحيث يجرى تعلم اللغة العربية لنحو ٤٠٠ طالب يتلقون هذه اللغة في مدرسة واحدة يوجد بالكاب ٢٤ ألف مسلم ويدهش لأنه عثر على كتاب صرف عربي انجليزى في ثمانية مجلدات في إحدى المكتبات ويقول إن زعماء النهضة لتعليم اللغة العربية في الغالب من الحجاج الذين يعودون من مكة . والمعروف أن المنظمات الإسلامية قد خاضت معركة مبررة مع الغرب وقواته ومراكز تبشيره وتسابق الطرفان مع المبشرين الذين تسندهم أموال ، أيهما يكسب مزيداً من الزنوج الوثنيين وقد استطاع الإسلام أن ينتصر في هذه الحرب وتطرق الدعاة المسلمون إلى أقاليم لم يكونوا قادرين على أن يبلغوها من قبل وكسبوا الملايين إلى الإسلام وأحرزت هذه المنظمات نصراً بعيد المدى على المنظمات المسيحية رغم أموالها وسلطانها ولما بدأت قبضات المستعمرين في أفريقيا تنهوى ولاحت نذر التحرر تطلع الأفريقيون إلى الفكاك من الأسر فكانت الجماعات المسلمة هي الخمائر التي خرجت منها صيحات التحرر حيث لعبت الجمعيات الإسلامية دوراً هاماً في قيادة الحركة الاستقلالية في غرب أفريقيا وشرقها وأسهم الزعماء المسلمون بدور فعال في تغذية الحركة الاستقلالية . واشترك المسلمون في المنظمات السياسية وأقبلوا على التعليم . وأسهم الإسلام بنصيب كبير في تحقيق الوحدة الأفريقية . (دكتور حسن محمود) ويؤكد الباحثون والمؤرخون أن أفريقيا هي القارة الوحيدة التي يزحف فيها الإسلام اليوم ، وإن الإسلام قد ضاعف نفسه في أفريقيا خلال عشرين عاماً ، حيث ارتفع عدد المسلمين بين عام ١٩٣١ ، ١٩٥١ من ٤٠ مليوناً إلى ٨٠ مليوناً . ويرى دكتور جمال حمدان أن عدد المسلمين في أفريقيا اليوم يعادل عدد العرب في مجموعهم وأن أفريقيا أكبر القارات في نسبة الإسلام ، وقد تمددت أطراف الإسلام منها إلى كل ركن وصقع في القارة . ويصف حركة الإسلام في أفريقيا « بالثورة الصامتة التي تكتسح القارة تحت ناظرينا » وعنده أن الإسلام في حدود انتشاره الحالي في أفريقيا يرتبط بكل أنواع البيئات المختلفة ، وأن هذا النمو على كافة المستويات يكذب ما ذهب إليه البعض من أن الإسلام دين الرعاة أو دين الصحارى أو دين السهول فهو دين الرعاة والصحارى

والسهول جميعاً . والإسلام متمثل اليوم في كل وحدة سياسية في أفريقيا وعددها خمسون وحدة ، وهو قوة سياسية كبرى في أفريقيا . وعنده أن الإسلام قوة لاحمة سياسية ، فهو جسر امتد بين أفريقيا العربية وأفريقيا الزنجية ويمثل قاسماً مشتركاً أصغر بينهما بدد خرافة « زنوج وعرب » وسيظل الإسلام يزحف في آسيا المدارية وينتقل من نجاح إلى نجاح . ويؤكد الباحثون أن الإسلام في أفريقيا يتحرك في فراغ ديني وأنه يعمل دون صراع مع المسيحية ولا يصادمها ، وإنما يتخذ مجال عمله بين الوثنيين ، والظاهرة الواضحة أن التبشير قد ارتبط بالنفوذ الأجنبي والاستعمار الأوربي ، وأن تناقضات المذاهب وصراعتها قد قللت من أهمية التبشير نفسه ، بينما يبدو - الإسلام بسيطاً وسمحاً ، وقد أصبح الأفريقيون يقرنون بين المسيحية والاستعمار ، ويرون أن المسيحية دين البيض ، ومن هنا فإن الإسلام يكاد يكون محتوماً كدين المستقبل ويشير إلى هذا الدكتور جمال حمدان حين يقول : ربما سجل التاريخ قريباً أن تحرر أفريقيا كان معناه أكبر موجه حديثه في انتشار الإسلام وقد تصبح أفريقيا قارة الإسلام بالضرورة . وبالجمله فإن الاستعمار قاوم الإسلام والثقافة العربية والتاريخ واللغة العربية جميعاً خلال أكثر من قرن كامل في نفس الوقت الذي شق الإسلام طريقه وتوسع حتى أحاط بالقارة إحاطة شاملة وفرض نفوذه الفكري والثقافي والاجتماعي كتيار تقدمي واضح الأثر .

ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجري نجد أفريقيا وهي تواجه صراعاً شديداً في مناطق مختلفة منها حيث تزداد مطامع الدول الكبرى وحيث يضطرم الصراع بين النفوذيين الغربي المقيم والشيوعي الزاحف ويحتدم في مناطق اريتريا والصومال بمواجهة شديدة من أثيوبيا المسيحية الماركسية . ذلك أنه بعد أن تحررت أفريقيا من قبضة المستعمرين الأوروبيين وقعت مرة أخرى في براثن الاستعمار الجديد والتوسع الاستعماري وأصبح حكم الاستعمار الجديد تحت ستار المثقفين المنتمين إلى قبائل الأقلية الصغيرة الذين تلقوا تعليمهم في الغرب والذين هم نتاج المدارس التبشيرية المسيحية والمدارس اللاهوتية والإدارة الاستعمارية الأوربية - حقيقياً . هؤلاء المستعمرون الجدد هم الحكام غير المسلمين للأراضي الإسلامية في أفريقيا حيث لا يسمح هؤلاء حتى لمجرد أن تصبح تلك الدول الإسلامية عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي (وعلى سبيل المثال : نيجيريا ، أثيوبيا ، موزمبيق) تبعاً لهذا التطور فإن سلالة الاستعمار الجديد أصبحوا أيضاً في المقدمة هؤلاء هم الذين جعلوا أساساً كقادة للحركات التحريرية

التي تدعمها الدول الشيوعية والذين يلعبون أدواراً قيادية في عدد من مناطق الأغلبية الإسلامية في أفريقيا ولم يكن الاستعمار الجديد أقل خطراً من القديم وأبرز مظاهره فرق الجنود الكوبيين والأسلحة الشيوعية المكثفة في مناطق البترول .

كما تواجه الجماعات الإسلامية في غانا وغينيا ونيجيريا والسنغال والنيجر وتشاد مصاعب شديدة تعمل الحركات التبشيرية المؤيدة بالنفوذ الأجنبي والمال على ضرب القوى الإسلامية والسعي للقضاء عليها ويتآزر البيض والاستعمار عن طريق الكنائس والأديرة والمعابد الضخمة المشادة في أنحاء كثيرة من المدن والقرى وقد وصل النشاط المسيحي إلى الغابات وحيث تتركز البعثات التبشيرية في نيجيريا والكامرون وجنوب السنغال . ورغم هذه القوى الخضمة المتآزرة ضد الإسلام فإن الإسلام يزحف بقوته الذاتية لأنه يؤازر الفطرة ويؤيد الحرية بينما ترتبط زخوف التبشير بالنفوذ الأجنبي والاستعمار والمفاهيم المضطربة في العقيدة ويتسائل ت . هـ . ب سايله عميد الدراسات التبشيرية في الولايات المتحدة في كتابه (المسلم يواجه المستقبل) . لماذا يجلب الإسلام الزنوج ؟ ويقول : هناك الجاذبية الطبيعية من قبل الأفريقيين نحو الإسلام . لقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوباً وحتمياً لأن الإسلام يلائم الزنوج جداً وهو يحسن من أوضاعهم ولا أمل للمسيحية في منافسة الإسلام وقد اعتبروا التحول إلى الإسلام سوء حظ كبير للرجل الأسود لأن الإسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشد يد الجهود وعلى نطاق كبير لوقف المد الإسلامي . إن رسالة الإسلام إيجابية محددة وسهلة الفهم وليست مغالية في طلباتها وأن الأخوة في الإسلام ليست دينية فقط وإنما اجتماعية أيضاً والمسلم لا يرسم خطأ لونياً بين الأبيض والأسود والمسلم يأكل ويتزوج من ذوى الجلود السوداء . إن أبرز مظاهر التدخل الأجنبي في أفريقيا على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى هي ظاهرة سيطرة النفوذ السوفيتي على القارة عن طريق التدخل السوفيتي المباشر أو عن طريق إرسال قوى كوية عسكرية بهدف السيطرة السوفيتية على بعض المناطق الاستراتيجية وقد بدا ذلك بتركيز وجود سوفيتي في الحبشة وأنجولا يستهدف الحيلولة دون مقاومة ارتيريا والصومال والأوجادين ودفع السيطرة الشيوعية على حدود الخليج والجزيرة العربية .

إن التدخل السوفيتي في أثيوبيا يستهدف الصومال من أجل السيطرة على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر ، وأن محاولة السيطرة على القرن الأفريقي تهدف إلى تهديد أمن البحر الأحمر

هذا بالإضافة إلى محاولات سيطرة الصهيونية على أبواب البحر الأحمر ومنافذه .

(٨)

الدرة المغتصبة

هناك وقفة مستأنية تحتاج إلى دراسة ومراجعة للنفس المسلمة والعربية بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على احتلال فلسطين وما تزال الخطط قاصرة عن استيعاب هذه القضية الكبرى وهذا الحدث الخطير وقد تكشف في السنوات الأخيرة حقائق كثيرة : أبرزها : أن وراء قيام إسرائيل مخطط يهودى استعمارى عالمى يستهدف قيام امبراطورية الربا وتنفيذ مخططات بروتوكولات صهيون التى تستهدف السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على العالم كله عام ١٩٩٨ . وإن الخطة مرت في عدة مراحل : أولاها محاولة احتواء الدولة العثمانية والسيطرة على السلطان عبد الحميد وفشل هذه المحاولة والتخطيط لتمزيق الدولة وإسقاط السلطان وقيام الدوغما بهذه الخطة من خلال المحافل الماسونية وحزب الاتحاد والترقى الذى إحتوته الصهيونية ومنذ أسقط السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ فقد انفتح الطريق إلى فلسطين عن طريق الاتحاديين حكام تركيا الذى أسلموها إلى الهزيمة في الحرب العالمية الأولى كما سلموا طرابلس الغرب للاحتلال الإيطالى وكان ذلك مقدمة لإسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ ولوعده بلفور ١٩١٨ وتوسع الهجرة اليهودية إلى الحد الذى يمكن من إتمام مؤامرة قيام إسرائيل ١٩٤٨ ثم احتلال القدس ١٩٦٧ وقد كشفت الوثائق خلال هذه الفترة عن خطة ترمى إلى تهجير يهود العالم إلى إسرائيل وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات وكانت أبرز الظواهر في الفترة الأخيرة هجرة اليهود السوفييت بأعداد ضخمة إلى إسرائيل . وإن كان أيضاً من الظواهر الواضحة ارتفاع عدد المهاجرين إلى خارج إسرائيل . وكذلك كشفت التصريحات التى جرت على ألسنة قادة إسرائيل هدف تدمير الحضارة العربية الإسلامية وإقامة الحضارة العبرية على أساسها ، كما كشفت عن هدف إعادة بناء هيكل سليمان فوق أرض المسجد الأقصى وحيث يوجد اليوم في فلسطين المحتلة حوالى ثلاثة ملايين نسمة ، فإن في العالم مايتراوح بين ١٣ و ١٨ مليون يهودى يقيمون بين أمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتى وتستهدف الخطة جمع هؤلاء تحت راية إسرائيل ولذلك فإن فكرة التوسع هى من العوامل المقدمة في النظرة اليهودية على مسألة الأمن وذلك جرياً وراء مخطط امتلاك القوة الاقتصادية التى تحاول السيطرة على مقدرات البلاد العربية . ولا ريب أن هذا المخطط فاسد من أساسه لأنه يقوم

على الاعتماد على معونة الدول الغربية وأنه بعد ثلاثين عاماً لم تستطع إسرائيل أن توجد لها كياناً اقتصادياً ذاتياً يمكنها من القيام بنفسها فضلاً عن ذلك الشتات المتنوع المتضارب المجموع من مختلف بلاد العالم فضلاً عن تلك التفرقة العميقة بين يهود المشرق ويهود الغرب كل هذه العوامل فضلاً عن الوجود الطبيعي على الأرض العربية من شأنه أن يكشف عن فساد قاعدة الاستمرار ويجعل الفناء محتملاً ، لا سيما وأن القوة العسكرية العربية تنمو يوماً بعد يوم بالإضافة إلى مقدرات الثروة والطاقة والتفوق. لقد تعالت أصوات دعاة الاسلام إلى تعديل أسلوب العمل يجعله اسلامياً واتخاذ منهج الاسلام بالجهاد طريقاً إلى تحقيق الغاية وتقريب النصر ولقد كانت تجربة (رمضان) وما تزال علامة على الطريق على أن هناك محاولة ضخمة لتسميم عقول المسلمين والعرب بعد التحول التاريخي الذي اتجه إليه المسلمون والعرب حين التمسوا منهجهم الأصيل في العاشر من رمضان . هذه المحاولة تستهدف فرض تفسير زائف للتاريخ الاسلامي الحديث يحاول أن يجعل من (اسرائيل) وجوداً إقامته أوروبا والغرب وكأنه ليس وجوداً قائماً بذاته من وراء مطامع الصهيونية العالمية وبروتوكولات صهيون ولا ريب أن المروجين لهذه السموم هم الماركسيون والتقدميون واليساريون ، الذين كانت الماركسية في أيديهم ولا تزال خادمة للصهيونية العالمية وهي من صنعها أصلاً : أن الهدف هو هذه المنطقة الفريدة في العالم «منطقة دعوة الاسلام وقدرات المسلمين الضخمة التي تستهدف بالاحتواء والسيطرة والغزو والتي سوف تظل دائماً قادرة على المقاومة ساهرة على حراسة مقدراتها ، مرابطة في سبيل الحفاظ على كيانها ووجودها ، وسوف لا يضحى المسلمون والعرب بعقيدتهم وتراثهم في سبيل ما يسمى العلم والتكنولوجيا وأنهم لقادرون على امتلاك هذه القوة وقد أخذوا بها فعلاً فلم يبق هناك ما يسمى بالصراع الحضاري : ذلك أن الوجود الاسرائيلي هو في طبيعته وجود غير قائم بذاته لا يعتمد على أمة صحيحة وليس يهود اسرائيل هم يهود التوراة أو أبناء يعقوب ، وليس لدى اسرائيل ما لدى العرب من الطاقة والتفوق البشري والقوة الاقتصادية وأن هذا المجتمع المهلهل المجمع من شذاذ الآفاق لا يمكن أن يكون أقوى على الحياة من أهل هذه الأرض ، فأين إذن التفوق الحضاري وأين يقوم الصراع الحضاري وإسرائيل تعيش على المساعدات الخارجية ولم تتمكن بعد ثلاثين عاماً اليوم من أن تعيش على مواردها وأن تكون قادرة

بمفردها للدفاع عن وجودها ذلك لأنها بطبيعة تركيبها العدواني لا تستطيع أن تمثل مجتمعا حقيقيا ولا وجودا صحيحا . ولولا دورها الذى تقوم به فى خدمة النفوذ الأجنبي على هيئة كلب الحراسة لسقطت من اليوم الأول لوجودها . ومن هنا فان تلك الأكاذيب والشبهات التى يحاول دعاة التقدم والماركسية واليسار وغيرهم إذاعتها لن تؤثر شيئا فى النفس العربية الاسلامية التى أخذت فى امتلاك إرادتها وعرفت طريقها الصحيح . ولقد كانت هذه المنطقة منذ تسلمها المسلمون أمانة فى أيديهم للأديان الثلاث وقد أمنت كل القوى بأصالتهم وأحقيتهم للقيام بهذا الدور وسوف تعجز الصهيونية عما عجزت عنه الحروب الصليبية من انتزاع القدس من أيدي المسلمين الحماة الأمناء . يقول المؤرخ ريفمان : أن المسلمين لم يقرؤ بوجود هذه الدولة الأجنبية الدخيلة فى أرض يعتبرونها ملكا لهم . نعم هذا هو الحق ومن ومن الحق أيضا أن المسلمين انتصروا تحت اسم «مدرسة التسليح الخلقى» على كل الخلافات واستطاعوا أن يجتمعوا لمواجهة الخطر وكان دور الشعب الاسلامى أقوى من دور الحكومات . يقول ريفمان : أخذ العرب يلتمسون الوجهة بمجرد إدراكهم لمغزى قيام الدولة العدو بينهم غير أن هذا التطور كان بطيئا غاية البط . وبقي الصليبيون مدة طويلة وهم قادرون على مهاجمة أى من الأقطار المجاورة لهم ، واستطاع الصليبيون أن يصلوا إلى حدود مصر وضواحي دمشق وأن يتوغلوا فى حوران ، غير أن نجاح صلاح الدين فى توحيد مصر وسوريا واليمن تحت حكمه قضى على كل أمل للصليبيين فى التوسع ، وبالرغم من الأعداد القادمة من أوروبا فقد بقي الصليبيون معتمدين على العالم المسيحى فى الرحال والمال واستمروا ما بقى العالم المسيحى يدمهم وزالوا عندما انتهى هذا الاهتمام . ونحن نجد أن مواجهة العربية الاسلامية للغزوة الصهيونية اليوم عن طريق أكثر قوة وعمقا بالرغم من ضعفها فى المراحل الأولى فهى تدخل فى مرحلة الحسم والافتناع الصحيح بالطريق الأصيل للمواجهة : المواجهة بأسلوب الاسلام ، العقيدة والشريعة والتربية الاسلامية والجهاد ولن نخدعنا كتابات التلموديين وسوموم التقدميين ومراوغة الماركسيين عن أن نعرف الحقيقة التى بدأت يوم عمدت الصحافة التى كان يمسك بمقاليدها المارونيون واللبنانيون فى مهاجمة السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والخلافة الاسلامية تمهيدا لفتح طريق الصهيونية إلى القدس ولقد أشارت مؤرخة يهودية منذ وقت مبكر إلى أن دخول اللورد النبى لمدينة القدس كان بمثابة الخطوة الأولى لتسلم اليهود إياها (دخلها النبى) ١٩١٧ وتسلمها اليهود ١٩٦٧ . ان الكتب التى

صدرت في العام الأخير وخاصة ما كتبه جولدمان تحت عنوان (المأزق الصهيوني) يكشف وتكشف عن مجموعة من الحقائق يجب على العرب والمسلمين أن يعوها تماماً والا يخذعوا ببريق الكلام . ١ - ان الصهيونية تقسم نفسها إلى معتدلين ومتطرفين وتترك لمجموعة المعتدلين أمثال البيربرجو وجولدمان وغيرهم من الذين يحاولون أن يضعوا أنفسهم في صف الراغبين إلى تفهم المواقف والاعتدال . ٢ - ان الأحداث الأخيرة قد كشفت عن أن الصهيونية طامعة في تنفيذ برنامجها في التوسع وأن دعواها في السلام كاذبة . ٢ - أن ما يعبر عنه سكان اسرائيل لا أهمية له في الحقيقة ازاء المخططات التي يرسمها عتاة الصهيونية وهم لا يعبأون بها . ذلك أن الهدف من المخططات كلها هو إقامة امبراطورية الربا بكل وسائل الخداع والغدر وتخدير العرب والحيلولة بينهم وبين امتلاك إرادة القوة والتأمر على مقدراتهم من الطاقة والثروة والتفوق البشرى فهم دعاة تحديد النسل لانقاص عاهة العرب والمسلمين تحت شعار الانفجار السكاني وهم أصحاب مشروع السيطرة على موارد النفط وهم من وراء توجيه الأموال العربية وجهة الاستهلاك حتى لا يتمكن العرب من بناء قوتهم الذاتية . ولا ريب أن (الربا) هو المدخل الحقيقي للسيطرة التلمودية على العالمين الرأسمالي والشيوعي ويعد الذهب الذي يحتكره اليهود أقوى الأسلحة لاثارة الرأي العام وإفساد المجتمعات والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسر وعن طريق المال يسيطر اليهود على الأعلام والفكر في عديد من بلدان الغرب حيث يملك اليهود البيوت التجارية والأسواق ولهم نفوذ قوى ومؤثر على الصحافة والتلفزيون. ولقد أشار اليهود في كل وثائقهم إلى سيطرتهم على الذهب في العالم وقيامهم بامتلاك مصادر الاقتصاد والمال وهم أنفسهم أصحاب القوة الرأسمالية والسيطرة الاقتصادية الذين صنعوا الماركسية والاشتراكية التي تبدو ظاهراً معارضة للرأسمالية. لقد استطاعوا احتواء كل المحاولات التي استهدفت معارضة الرأسمالية وضربوا كل القوى ليضعوا أيديهم على كلا النظامين اللذين ينتظمان العالم توطئة للسيطرة عليه حسبما جاء في بروتوكولات صهيون. ولقد قصدت الدعوة الماركسية أساساً إلى هدم الدين نفسه ولم تكن قاصرة على معالجة مشكلة عدالة التوزيع . وكان أول مكاسب اليهودية الصهيونية هي هدم المسيحية وإدامة السيطرة على مقدرات الأمم كذلك فان قيام نظام ماركسي يعنى أول ما يعنى وضع جميع مقدرات الأمة في يد المجموعة الحاكمة وإخراجه من أيدي عشرات الأغنياء

والموسرين شريطة أن يكونوا من غير اليهود . ومعنى هذا أن تسليم الثروات إلى هذه النخبة تمكنها من أن تفعل في طريق تحقيق الهدف اليهودى أكثر مما يعمل الرأسماليون أنفسهم كذلك فان النظام الماركسى نفسه يحل في العالم روح الشر والقتل والابادة ويحقق هدفه عن طريق الانقلابات التى تقتل وتحطم وليس عن طريق التطور والتدرج والاقناع وقد ظهر أن أغلب أحداث المؤامرات والانقلابات كانت نتاجاً يهودياً يستهدف تحقيق الغاية التى يقصد إليها أصحاب امبراطورية الربا . كذلك تكشف الكتابات الأخيرة أن وجود اسرائيل لم يحل المسألة اليهودية بل زادها تعقيداً ، قال بذلك ألبير كالى وميشيل رشيлян ، وقال غيرهم أن الصهيونية هى محاولة إرجاع تاريخ اليهود المعاصر إلى الوراثة وأنه بمثابة نظرة جاهلية لأنها لا تأخذ فى الاعتبار العنصر الحاسم للتقدم فى التاريخ . ويقول الحاخام منسفيلد : ان الصهيونية انفجار شاذ لعاطفة منحرفة . ويقول رشيлян : ان اليهودى لن يشعر بالأمان فى أى مكان فى العالم لأنه يخلط بين اليهود فى العالم وسكان اسرائيل . ولقد أقامت الصهيونية تأييد الغرب لها على محاولة خادعة لثيمة : وذلك هو فرضها مفاهيم العهد القديم والتلمود على المسيحيين فى المدرسة والجامعة بما يوحى بأن دعوة الصهيونية إلى التوسع فى فلسطين هى من صميم العقيدة الدينية ، وكذلك فعلت الصهيونية فى أمريكا وبريطانيا وألمانيا ولقد كذبت الوقائع التاريخية الصحيحة ما ادعاه اليهود من أن وعد ابراهيم كان لاسرائيل أو لأحفاد اسحق وحدهم ، ذلك أن وعد الله لابراهيم كان لاسماعيل واسحاق ولأحفادهم جميعاً ، وللصالحين منهم وحدهم « وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فآتمهن . قال انى جاعلك للناس إماماً . قال ومن ذريتى . قال لا ينال عهدى الظالمين » . وكذلك يكذب اليهود فى حين يقصرون الوعد على أنفسهم ويعتبرون أنهم شعب الله المختار مع أن الوعد كان لكل خلفاء اسماعيل وهم العرب والمسلمون وقد تحقق الوعد فعلاً بسيطرة الاسلام على هذه المناطق كلها والمسلمون هم أحفاد اسماعيل . وتتعالى اليوم أصداة هذه المؤامرة الزائفة التى بدأت تتكشف أمام العقل البشرى على نحو أكثر وضوحاً مما كانت قبل لاثين عاماً فيقول المؤلف اليهودى الروسى (افرانيم سيفيلان) فى كتابه « وداعاً اسرائيل » : ان اسرائيل هى الدولة المسخ التى تأكل أبنائها . ويكشف فى وضوح زيف الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة ، ويعرى الأساليب الإجرامية التى اتبعها زعماء الصهيونية لإقامة هذا الكيان الزائف ، ولابتزاز

الأموال من العالم بحجة جمع شمل اليهود ولاجتماع اليهود من أرجاء العالم بطرق مغرية. ويقول أنه بعد أن مر ما يقرب على ربع قرن منذ إنشاء هذه المؤسسة اليهودية على جزء من الأرض الفلسطينية لم تتحقق تكهنات زعماء الصهيونية بأن تصبح إسرائيل مغناطيساً لليهود العالم ، حيث لم تستطع إسرائيل أن تجمع فوق الأرض الفلسطينية سوى خمس اليهود . ففي نيويورك وحدها قدر ما في إسرائيل بأكملها . وفي باريس يوجد من اليهود أكثر مما في تل أبيب . وفي لندن يوجد أكثر مما في القدس . ولقد تبين أنه من الصعب لا بل من المستحيل صيغ كافة اليهود بفكرة الصهيونية حيث طلب إليهم استبدالهم أما كنهم بحياة أقل أمناً في مناخ حار وغير مألوف لديهم وبعيدة كل البعد عن حسن الحال الجسماني والمادى على السواء . على أن الأسف على إنشاء المؤسسة اليهودية الجديدة لم يكن ليقتذف دماً جديداً في العروق القديمة بل بالعكس حط من مكانة اليهود في القوميات الأخرى . لقد تعرضت الجاليات اليهودية للخراب الكلي بعد قيام دولة إسرائيل . ولكننا بعد أن لجأنا إلى إسرائيل : الملاذ الأخير للجاليات اليهودية ، ربما كنا قد أنقذنا أنفسنا من الاندماج في القوميات الأخرى لكننا من ناحية أخرى حكمنا على أطفالنا وعلى أنفسنا بالانقراض الطبيعي لقد بدأت الجاليات اليهودية تنهار الواحدة بعد الأخرى ، وأصبحت صفوفها مبعثرة وهزيلة حدث هذا بسبب الهروب العاجل من اليهودية نحو الاندماج في الديانات والقوميات الأخرى هرباً من كافة عوامل الضغط والاضطهاد . أن أكثر التحليلات سطحية للأحداث منذ عام ١٩٤٧ تؤكد مباشرة هذا الواقع الحتمي . لقد دمرت أكبر الجاليات اليهودية وأكثرها ازدهاراً وهي التي كانت تعيش في الاتحاد السوفيتي ، لم يظهر التفكك السريع لهذه الجالية وبرز شتاتها وخرابها إلا بعد ظهور إسرائيل . وكذلك الأمر بشأن الجاليات اليهودية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإسلامية . كان هناك ما يربو على المليون نسمة من اليهود من اليهود الذين يعيشون في العالم العربي . جاليات كثيفة مزدهرة جنباً إلى جنب مع السكان العرب وكانوا يتمتعون بكل حرية من ناحية الدين والثقافة والتقاليد اليهودية ، في كل من الدار البيضاء ومراكش وطنجة والرباط والجزائر ووهران وتونس وطرابلس والقاهرة والاسكندرية وبغداد وبيروت ودمشق إلى أن جاء عام ١٩٤٧ الذي جعل من العرب وكافة المسلمين بضربة واحدة أعداء لدودين لليهود نتيجة احتلال الأرض الفلسطينية وما زاد الطين بلة تدفق اللاجئين الفلسطينيين هرباً من ميادين الحرب إلى البلدان العربية المجاورة ،

الأمر الذى زاد من التعصب الوطنى والدينى بين العرب واليهود ، وينطبق الأمر نفسه على يهود أوروبا الشرقية الذين لم يتعرضوا للإسامية سوى بعد إنشاء الدولة اليهودية وذلك بعد معاداة أنظمة الحكم الأوروبية الشرقية للصهيونية المتمثلة فى الدولة اليهودية الجديدة وهكذا تعرضت الجاليات اليهودية للخراب الكلى بعد قيام دولة اسرائيل ويقول الكاتب فى النهاية : أن اسرائيل محكوم عليها ألا تعيش غير عقد آخر من الزمان ومن غير المحتمل أن تتجاوز هذا الحد المقرر وأعتقد أنه فى عام ١٩٨٥ لن يكون لاسرائيل وجود على خارطة العالم بل سيتم ابتلاعها بلا شفقة . هذا ما يقوله يهودى منهم أما نحن فنعرف أن اليهود كانوا خادعين لكل الشعوب والأمم بما زيفوا من دوائر المعارف العالمية وأدخلوا إليها هذه السموم وقد كانوا أصحاب الأثر الكبير فى تزيف (دائرة المعارف الاسلامية) . وكان لهم دورهم فى السيطرة على دراسات التاريخ ومقارنات الأديان فى مختلف أوروبا وأمريكا حيث بثوا فيها سمومهم وشبهاتهم أزاء الاسلام ورسوله وكتابه وتاريخه ولغته. بل ان الصهيونية العالمية استخدمت منظمات الماسونية والشيوعية والبهائية لنفس الغرض فدخلوا هذه المحافل واستخدموها كما سيطروا على منظمات الليونز والروتارى فى العصر الحديث وعن طريقها ينقلون الأخبار والاشاعات ويذيعون الأكاذيب فى الأمم التى تقوم بها هذه المنظمات . ويكشف أحد حكماء صهيون : «جولدمان» زيف هذا الواقع المضلل المنهار حين يقول : لست أستطيع أن أتصور أن تنتهى آلاف من سنى العذاب والاضطهاد والمقاومة بدولة صغيرة مثل عشرات الدول الأخرى تعيش فى خطر وتعرض للإبادة مما يفرض عليها البقاء فى حالة تعبئة وتسليح شبر من أرضها وتركيز جهودها الرئيسية على الوجود المادى . اننى لست متأكداً من أن حماس وولاء الشعب اليهودى خارج اسرائيل سيظل وقياً لهذه الدولة إلى الأبد .. وهكذا تبدو روح التشاؤم واضحة على رأس ثلاثين عاماً من قيام هذا الكيان الزائف ويجمع الحكماء على أن وجود اسرائيل لم يحل القضية ولا يمكن أن يدوم كيان قام على الغضب والظلم والغدر مهما جرت المحاولات لأن يستمر . وسوف تعود الدرة المغتصبة إلى أصحابها إن عاجلاً أو آجلاً .

الباب الثاني

العالم الاسلامى وحركات الوحدة

(١)

الوحدة الاسلامية

ليس من متطلب منهج البحث فى هذه الدراسة التعرض للخلافة ومفهومها الفقهى الاسلامى وإنما نتعرض لها بقدر مكانتها من قضايا الاسلامى المحاضر . والخلافة فى الاصطلاح الفقهى الاسلامى هى الامامة الكبرى وإمارة المسلمين والمقصود بها أصلاً للولاية العامة على شئون المسلمين من دينية ودنيوية وقد ترك النبي ﷺ للمسلمين الحرية فى اختيار الخليفة فلم يفرض أحداً ، واتفق المسلمون على اختيار أصلح المسلمين من قريش ثم انتقلت الخلافة من مرحلتها الراشدة حتى أصبحت ملكاً عضوداً بتولى الأمويين الحكم ، ثم انتقلت إلى العباسيين ثم تعددت بمراكزها فى مصر والمغرب والأندلس إلى أن سقطت عام ٦٥٦ هـ بسقوط بغداد فى أيدي التتار ثم أعيدت فى القاهرة إلى أن حمل السلاطين العثمانيون لقب الخلافة . منذ القرن الرابع عشر الميلادى الثامن واعترف بهم جمهور المسلمين بعد اتساع الامبراطورية العثمانية ومن خلال الخلافة العثمانية نبعت فكرة الجامعة الاسلامية فى مرحلة حكم السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٨) وكان مصدرها الأساسى الدعوة إلى تجمع المسلمين فى جبهة واحدة لمواجهة النفوذ الاستعمارى الغربى الزاحف . وقد لمت هذه الفكرة على لسان جمال الدين الأفغانى الذى جاء مصر ١٨٧١ تقريباً والذى كان قد عاش تجربة مثيرة فى فارس وأفغانستان والهند قبل هذا التاريخ بقليل ، دفعته إلى أن يحمل لواء حركة اليقظة الاسلامية ويقصد بها إلى المجال الحيوى الأوسع لها : إلى استامبول حيث مقر دولة الخلافة . وإلى القاهرة حيث الأزهر الشريف وقد آثر البقاء فى القاهرة عندما وجد البيئة الصالحة لفكرته فاستقر بها سبع سنوات . ولم تكن «الجامعة الاسلامية» هى الفكرة الوحيدة التى حملها جمال الدين ولكنها كانت القالب الذى صاغ فيه الايدولوجية الاسلامية التى أراد تحقيقها ، كان جمال الدين يطمع أساساً فى تحرير العالم الاسلامى من أدوائه : الجمود والتخلف والنفوذ الاستعمارى والتفكك وله فى كل هذه القضايا آراء خفيفة واعية ، ومتقدمة

على فكر العصر نفسه ، ولكنه كان يؤمن بأن هذه النهضة المرتقبة لا تتحقق إلا عن طريق عمل سياسى يبدأ من احدى الدول الاسلامية ويحمل لواء الوحدة الاسلامية الجامعة للمسلمين تحت لواء القرآن . ومن الحق أن يقال إن جمال الدين الأفغانى كان هو « المصلح » الذى يمكنه أن يحقق هذا البرنامج وينفذه سياسياً الذى كان يرى أن مصر هى أصح المواقع لقيام هذه الحركة على أساس التقاء فكرى وسياسى جامع أشبه بالالتقاء الذى تحقق بين الامام محمد بن عبد الوهاب وأمير الدرعية من نجد . ولذلك كان أمله معلقاً بالأير توفيق كخليفة للخديو عباس وقد التقى به كثيراً وتحدث معه ، وكان يرتقب الفرص لتولية السلطة خلفاً لأبيه ، غير أن توفيق قد عاق عهده وأخلف وعده للأفغانى ولم يلبث أن أخرجه من البلاد متهماً بإياه بأنه رئيس جمعية سرية ثم حددت إقامته أكبر تلاميذه محمد عبده فى قريته وأصاب المدرسة التى كانت تتجمع حوله مصير التمزق والتفريق إلى حين . وكانت آماله معقودة يوماً بشاه فارس ، أو بمهدى السودان ، ولكن آماله لم تتحقق ، فالتجأ أخيراً إلى قبول دعوة كانت دائمة ومتصلة من السلطان عبد الحميد الذى كان قد أخذ فعلاً فى تحقيق هذه الفكرة ووضعها موضع التنفيذ على النحو الذى ارتضاه .

فقد التقط السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الاسلامية عندما وجدها خير سلاح يحارب به النفوذ الاستعمارى الغربى الزاحف على العالم الاسلامى وكان مفهومه أن يتوحد المسلمون تحت لواء الخلافة وإن لم يكونوا أجزاء من الدولة العثمانية وهو بذلك يفتح الطريق لاقامة جبهة مقاومة واسعة تضم مسلمى الهند وايران وأفغانستان وجزائر الملايو وأفريقيا ، وكان شعاره هو « الوحدة الاسلامية » ودعوته إلى مسلمى العالم للتجمع والاتحاد مع الدولة العثمانية فى وجه الخطر الغربى الأوروبى الزاحف وذلك بحسبانها أقوى الوحدات الاسلامية وأقدرها على مقاومة العدو . ومن حق أن يقال إن هذه الحركة هزت دول العالم الغربى وخاصة بريطانيا وفرنسا ، وكلفتها جهداً كبيراً فى سبيل مقاومتها ورميها بكل نقيصه واتهام السلطان عبد الحميد والتشكيك فيه ورميه بالجمود والتعصب والاستبداد على نحو لم يوجه لأحد من الزعماء من قبل ولا من بعد ، وقد جعل كرومر حملته على الجامعة الاسلامية فى مصر عملاً أساسياً وضخماً وأتاح لصحيفتى المقطم والجريدة إعلان الحرب العنيفة على هذه على هذه الدعوة ، وأشارت تقاريره المتصلة إليها واستطاع أن يرسم فى سبيل مقاومتها خططاً خطيرة حمل لواءها لطفى السيد وسعد زغلول ، بحسبانها إدعاءً لتلاميذ جمال الدين الأفغانى

وكان من أقوى الأسلحة التي واجهت بها الدول الأوروبية حركة الجامعة الإسلامية : الدعوة الإقليمية واعلاء شأن الجنسية والوطن والعرق ، وقد استنفذت الحركة جهداً كبيراً واستطاع الكتاب المارون الذين تركزوا في مصر أن يحملوا لواء مقاومة فكرة الجامعة الإسلامية على نحو مؤيد بالنفوذ الأجنبي وكانوا في الحق إنما يحملون على الاسلام نفسه وعلى وحدة المسلمين وقد جرت في سبيل مقاومة فكرة الجامعة الإسلامية مغالطات كثيرة ، كان أبرزها أنها حرب مقدسة يحاول المسلمون القيام بها ضد أوروبا والغرب والمسيحية ، ولم تكن كذلك في الحق حيث لم يكن المسلمون يملكون من الأسلحة ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم بل مقاومة أوروبا وغزوها ، فقد جرد الاستعمار الغربي العالم الإسلامي من كل سلاح وقوة حربية ومادية وتسلب على جيوشه وحكوماته ومقدراته فلم يكن ذلك الاتهام معقولاً شكلاً . كذلك جرى الادعاء بأن المحاولة ترمى إلى إنشاء حكومة إسلامية واحدة ، وجرى التشكيك في إمكان قيام مثل هذه الحكومة ، والحق أن دعاة الجامعة الإسلامية سواء أكان جمال الدين الأفغاني مفكراً أم السلطان عبد الحميد حاكماً ومن معهما من النصراء لم يكونوا يهدفون إلى ذلك أو يطلبوه لاستحائنه عقلاً وإنما كان تطلعهم يستهدف تقارباً وتوثقاً والتقاءً على مستوى الأحلاف والاتفاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية المعروفة . وعبارة جمال الدين الأفغاني في هذا الصدد واضحة صريحة « لا ألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً فإن هذا ربما يكون عسيراً ، ولكنني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهدده لحفظ الآخرين ما استطاع فإن حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم » . وقد استطاعت الدعوة الإقليمية والجنسية والعرقية أن تنمو بسلطان الاستعمار ونفوذه ، حتى تقاوم الجامعة الإسلامية وتكتسحها خلال حياة جمال الدين الأفغاني حتى وفاته ١٨٩٧ خلال السلطان عبد الحميد حتى عزله ١٩٠٩ . ومن الطبيعي أن الأطماع الاستعمارية والأطماع الصهيونية أيضاً تلك التي كانت قد تشكلت معاً في مخطط واحد هي التي كانت تطمح في القضاء على هذه الدعوة .

ولكن هل ماتت خطة الجامعة الإسلامية وانطوت . ذلك ما تستبعده جميع الدلائل والمخططات والدعوات التي ظهرت حتى بعد ذلك ، ولكن يمكن القول إن الاستعمار شغل الوحدات الإسلامية بقضاياها الخاصة ، وأنه حاول دون قيام مخطط للوحدة الإسلامية بالقضاء على نواتها حين قضى على الدولة العثمانية نفسها عام ١٩٠٨ بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى وحين أسقط الاستعمار الخلافة باتفاق سرى ملحق بمعاهدة لوزان التي أقرها مصطفى

كمال حاكم تركيا بعد الحرب العالمية الأولى . وإذا كانت الجامعة الإسلامية قد انطوت في ظل الاحتلال الغربى للوحدات الإسلامية فإن روح الوحدة الإسلامية ظلت قائمة من خلف جميع حركات التحرر واليقظة والمقاومة وأنها كانت تبرز من حين وحين لتؤكد وجودها . أما سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ فقد كان حدثاً بالغ الأهمية بالنسبة للعالم الإسلامى كله وبالنسبة للأمة العربية خاصة بحيث يمكن القول أنه ترك آثاراً بعيدة المدى ظهرت واضحة في حركة الخلافة في الهند، وفي إنشاء جمعيات الشبان والايخوان المسلمين العالمية التي بدأت في القاهرة وحملت في أول نصوص تشكيلها العمل على إعادة الخلافة وهو نص التزمت به مختلف الجمعيات والحركات الإسلامية في العالم الإسلامى كله والتي انبثقت أساساً من حركة الشبان المسلمين . وقد كانت تحديات الصهيونية في فلسطين عاملاً أساسياً في قيام وتشكيل المؤتمرات الإسلامية العالمية المتوالية ، التي واجهت هذه القضية كأول وأخطر قضايا العالم الإسلامى ، ثم كان من قيام دولة باكستان عاملاً هاماً وأساسياً لبروز دعوة الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية إلى الوجود ١٩٤٧ . وقد توالى انعقاد مؤتمرات إسلامية مختلفة بعد هذا التاريخ ، في الهند والقدس ومكة والقاهرة تكاد تكون كلها متابعة للخط الواضح ، خط الالتزام بالوحدة الإسلامية ، أما الخلافة الإسلامية فقد اتخذت حكومة أنقرة لإسقاطها مخططاً له مراحل وحاولت أن تنسب إليها كل عوامل التأخر والجمود والضعف التي عاشتها تركيا ، ولم يكن ذلك في الحق إلا تعلقة لإنفاذ هذا الحدث الضخم ، ولو كان قادة أنقرة يهدفون إلى الإصلاح لاستطاعوا إعادة تصحيح مفهوم الخلافة على النحو الذى يقرره الإسلام والذى كانت الخلافة بعيدة عنه في الواقع ، بعد أن تأثرت بمفاهيم البابوية الكاثولوكية في روما ، وقد عرض عبد العزيز جاويز إلى هذا المعنى في حديث مع مصطفى كمال حين التقى به وتحدث معه حول بقاء الخلافة وزوالها . وقد لمس في حديث مصطفى كمال الإصرار مسبقاً على الإلغاء وإنما كان البحث حول التماس الأسباب لهذا الإلغاء ، ولم يلمس جاويز في كمال أى رغبة في إصلاح نظام قائم قد انحرف عن مفهومه الإسلامى . لقد كان إلغاء الخلافة حلقة أساسية من الحلقات التي جرى بها ضغط النفوذ الأجنبي المادف إلى تمزيق الوحدة الإسلامية والقضاء على الدولة العثمانية الجامعة بين أكبر عنصرى الإسلام : « العرب والترك » وإيقاع الخلاف الدموى بينهما كما حدث تماماً بعد إقصاء عبد الحميد وتولى الاتحاديين للحكم وهدفهم الأساسى هو تصفية الدولة العثمانية تمهيداً لتحقيق أكبر هدف

للاستعمار الغربي في إزالة قوة الإسلام الكبرى كعامل فكري وعامل وحدة من ناحية، وفي إتاحة الفرصة للدول الأوروبية لتقسيم هذا الميراث بينها والسيطرة عليه وبلوغ أقصى ما كانت تحكم به أوروبا منذ بدأت عملية تطويق عالم الإسلام في القرن الخامس عشر بعد سقوط الأندلس وتحقيقاً لهدف مرسوم هو عودة أوروبا إلى العالم الإسلامي مرة أخرى بعد هزيمتها في الحروب الصليبية قبل ذلك (١٢٩١ - ١٩٠٨) بستائة عام ، وهو ما عبر عنه اللورد اللنبي حين دخل مدينة القدس وأعلن عبارته المثيرة : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » . لقد كان تمزيق الوحدة التركية العربية مقدمة لإزالة الدولة العثمانية كبرى الوحدات الإسلامية ونقطة التقاء المسلمين حول الخلافة ، وكان هزيمة الدولة العثمانية مقدمة لإلغاء الخلافة . وبذلك ضاعت « نقطة » التقاء المسلمين بحيث أصبح من العسير تحقيق الهدف . إصراراً من النفوذ الأجنبي على الحيلولة دون وجود نقطة بدء جديدة لهذه الوحدة . كان هدف النفوذ الاستعماري إذن منذ أول الأمر هو تمزيق الرابطة بين العرب والترك أساساً للقضاء على نقطة الوحدة ، تحت شعار الخلافة ، وكان رأى غير المتحمسين لدعوة الانفصال هو أن الغرب لن يسمح بعد إسقاط الدولة العثمانية من قيام وحدة جديدة ولو على مستوى الأمة العربية كما كان يتوقع الكثيرون بعد الحرب العالمية الأولى . وقد صدقت النتائج هذا التوقع ، فقد وقع العداء والصراع بين العرب والترك . ولم تكن النتائج لحساب العرب كما يظنون ولا لحساب قيام دولة عربية وإنما لحساب التقسيم والنفوذ الاستعماري ، غير أنه لا بد من إلقاء تبعة ذلك على العثمانيين : ليس كل العثمانيين وإنما على الاتحاديين الذين حكموا بعد أن أزالوا السلطان عبد الحميد ١٩٠٨ حتى الحرب العالمية الأولى ، هؤلاء وحدهم وفترة حكمهم هي التي يمكن أن توجه إليها اتهامات : ١- تمزيق الوحدة الإسلامية . ٢ - القضاء على الدولة العثمانية . ٣ - إرغام العرب بمختلف ألوان الظلم على الانفصال عن تركيا . هؤلاء « الاتحاديون » هم ثمرة الدعوة التي كان طابعها في أول الأمر الحرية والدستور والتأخر . والتي بدأت عملها منذ وقت طويل وكانت خصماً عنيداً طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد تحت شعارات براقة مغرية : هي شعارات الحكم النيابي والخروج من الجمود والتأخر . نعم أن الدعوة في مضامينها ومنهجها دعوة يقظة ولكن الأيدي التي قادتها والمخطط الذي كان يدفعها ، لم يكن هادفاً إلى خير المسلمين والعرب ، ولم يكن عاملاً على دعم المواجهة أمام الغزو الغربي الاستعماري الزاحف ، بل على العكس من ذلك ، كان أداة هذا الزحف وكانت الحرية والخروج من

الاستبداد إنما تعنى إسقاط/السلطان عبد الحميد والخلافة والجامعة الإسلامية جميعاً وجميعها من عوامل المقاومة، ولذلك فإن أى مقارنة بين حكم السلطان عبد الحميد وبين حكم الاتحاديين دعاة الحرية والإخاء والمساواة يكشف مدى الفارق البعيد ويصور كيف تحولت دعوة الحرية فى أيديهم إلى تسلط وعنف وطمع لا حد له وخاصة بالنسبة للعرب شركائهم فى الدولة حتى أنهم سمحوا لأنفسهم بتعليق أحرارهم على المشانق . ولقد عمت الفرحة أنحاء المملكة العثمانية بعد سقوط عبد الحميد ودقت طبول البشرى معلنة فى مختلف صحفها أن المملكة تخلصت من كابوس الاستبداد الممثل فى عبد الحميد ، ولكن ماذا تقول صحف التاريخ بعد ذلك: هل دامت هذه الفرحة كثيراً هل استطاعت أن تقول إن الذين احتفلوا بها كانوا صادقين : الحق أن لا . فقد كشف الاتحاديون عن حقد دفين للوحدة الإسلامية وللعرب ولكل القيم التى قامت عليها حركة المقاومة والتجمع أمام النفوذ الغربى فكان الاتحاديون هم سلاح الغرب والاستعمار وأداته فى القضاء على هذه القوة الباقية وتسليم البلاد العربية للاحتلال الفرنسى والإنجليزى وتسليم تركيا إلى نفوذ استعمارى تغربى أشد عنفاً وقسوة ، قاضياً وماحقاً لكل ما هو إسلامى . ولقد انخدعنا طويلاً وراء ما ترويه كتب التاريخ الحديث فى هذا الصدد وجريناً وراء العبارات التى حاولت أن تصور الدولة العثمانية فى صورة الاستبداد والظلم والتأخر وتركز هذا كله على رجل واحد وعصر واحد هو السلطان عبد الحميد فما أظن أن قائداً فى التاريخ كله أمكن أن توجه إليه مثل هذه الاتهامات الزائفة وأن تعيش طويلاً ، فتظل تغذى أجيالاً بعد أجيال دون أن تنكشف حقيقة الأمور التى تختلف كثيراً عما زيفه الكتاب المارونيين واللبنانيين الذين كانوا عسلاء النفوذ الأجنبى والذين نفذوا خطة دقيقة رسمتها أيدي وعقول غريبة قادرة على الغزو الفكرى ، تعرف ما وراء الكلمة من قدرة على إقناع الشعوب والأمم على الاعتقاد بوقائع زائفة توضع موضع الحقائق وتسيغ عليها كل عوامل البقاء والاستمرار . فالواقع الذى تشهد به الحقائق التى ما تزال تنكشف بين أيدينا أن السلطان عبد الحميد لم يكن بهذه الصورة التى جرى تصويره بها ، وأنه كان على عكس ذلك تماماً ، وأن دعوته إلى الجامعة الإسلامية التى أحيطت بشئ كثير من المبالغة والتحريف إنما كانت تهدف إلى خلق رأى عام إسلامى ينضم مع الدولة العثمانية فى مواجهة النفوذ الاستعمارى الزاحف ، وأن هذه الدعوة التى حمل لوائها : دعوة الجامعة الإسلامية

قد هزت الدول الاستعمارية من الأعماق ودفعتها في حقد وعصبية إلى كيل الضربات العنيفة لهذا القائد في أكبر بقعة يمكن أن يصل منها الرأي المضلل ويتسع ، ومن قلب القاهرة حيث صحف المقطم والهلل والمقتطف والجامعة والمجلة المصرية وعشرات من المجلات إلى أطراف العالم الإسلامي كله . لم تكن هذه الحملة في الحق على السلطان عبد الحميد إلا ثمناً لكلمة حق ، عندما وقف في إصرار دون محاولة تمزيق الدولة العثمانية وحال دون تمكين الصهيونية من فلسطين ، ورفع راية الجامعة الإسلامية في وجه الغرب الزاحف . ومن هنا كانت الحملة باسم العروبة لا تستهدف للعرب خيراً بل تستهدف تمزيق الوحدة والقضاء على البلاد العربية كما وقع من بعد الحرب العالمية الأولى ، وكانت الدعوة إلى الحرية لا تستهدف تحقيق مساواة أو عدالة بقدر ما كانت تستهدف إسقاط عبد الحميد بحسبانه صاحب اللوائ المنسوب في وجه التقسيم والسيطرة الأجنبية وإلا فأي الحرية التي تحققت بعد عبد الحميد في عهد الاتحاديين ، أو العروبة التي تحققت بعد انفصال العرب عن الدولة العثمانية وأن ما وقع بعد الحرب الأولى . إنما كان انتقالاً إلى السيطرة الغربية الكاملة . كانت الشعارات والدعوات وسائل لخداع الشعوب وتمزيق الأواصر والقضاء على القوى الموحدة حتى إذا تمزق المسلمون لم يعد في الإمكان تجميعهم ، لا في وحدات عربية ولا في وحدات من أي نوع كان . ولقد استغل هؤلاء الدعاة كل كلمة صادقة وحرّة ، وذهبوا بها إلى أبعد مدى واستخدموها أكثر مما كانت تقصد أو تحمل كما حدث بالنسبة لآراء عبد الرحمن الكواكبي . ولذلك فإن الدعوة إلى العروبة واللغة العربية التي بدأت تحت ظلال المؤسسات التبشيرية والإرساليات ما كان يمكن أن تكون صادقة أساساً وهادفة إلى مصلحة العرب وإنما كانت في الحق سلاحاً ضد وحدة العنصرين وضد جدار الدولة العثمانية الجامعة بين العرب والأتراك باسم الإسلام ، وكذلك الدعوة إلى الحكم العادل والتخلص من نفوذ الفرد ما كان يقصد بها إلا التخلص من السلطان عبد الحميد المتهم بأنّه مستبد وديكتاتور ، وإلا فأي أثر هذين الدعوتين بعد سقوط عبد الحميد وتمزق الدولة العثمانية ، لقد تحول دعاة العروبة في الإرساليات إلى إعلاء لغاتهم الأساسية وأغضوا نهائياً عن اللغة العربية وذاتت الدولة التي دعا الاتحاديون فيها إلى الحرية والدستور والتخلص من الاستعداد ، أسوأ مظالم الاستبداد في عهد الاتحاديين وفي عهد مصطفى كمال . لقد كان عبد الحميد الثاني هو آخر الحصون التي دافع بها الإسلام عن وجوده وكان إسقاطه هو آخر حلقة في حلقات المقاومة للسيطرة الغربية الكاملة على العالم

الإسلامي : سقوط الدولة العثمانية الجامعة بين الترك والعرب ١٩٠٨ وإلغاء الخلافة الإسلامية ١٩٢٤ وقد كشفت وثائق الصهيونية كيف حاول هرتزل ودعاة الصهيونية بعد عقد مؤتمرهم الأول في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ الالتقاء بالسلطان واغرائه لفتح الطريق إلى فلسطين وقد كانت أولى المحاولات هي محاولة هرتزل (١٩٠٠ - ١٩٠١) وكان رئيساً لتحرير جريدة نيوفري في فينا الذي تقدم بعرض مفاده أن يتعهد الصهيونيون بدفع الدين العثماني البالغ ٢٢ مليون ليرة انجليزية « وبناء أسطول كامل للدفاع عن أراضي الدولة العلية وعقد قرض بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام وذلك نظير نزول اليهود المضطهدين في العالم بفلسطين ، وقد سجل هرتزل في مذكراته رد السلطان عليه حيث قال : « بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فإنني لست مستعداً لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد ليذهب إلى الغير فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي الذي روى ترابه بدمائه وليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب . وفي المحاولة الثانية تقدم ثلاثة من اليهود (مزارحي ، جال ، ليون) إلى السلطان عام ١٩٠٢ بعرض ضخّم مغر ، يتضمن (١) الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية (٢) بناء أسطول لحماية ثغور الامبراطورية العثمانية (٣) تقديم قرض بخمسة وعشرين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لإنعاش مالية الدولة . وذلك مقابل (١) إباحة دخول اليهود إلى فلسطين للزيارة (٢) السماح لليهود بإقامة مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس الشريف . وقد رفض السلطان عبد الحميد هذا العرض في إصرار عجيب . غير أن جمعية الاتحاد والترقي التي تأسست باسم الحزبية والتقدم ثم لم تلبث عناصر الدوئمة المقيمة في سالونيك بالاشتراك مع المحافل الماسونية التي تستهدف إقامة عرش سليمان - أن سيطرت عليها ووجهتها وجهة خدمة أهداف الصهيونية الماسونية اليهودية - هذه الجماعة هي التي سمحت لليهود باستيطان فلسطين وليس السلطان عبد الحميد . وقد أكد الباحثون المثقفون أن جمعية الاتحاد والترقي كانت القناع الخارجي الذي تقنعت به جماعة الدوئمة المتظاهرين بالإسلام من يهود أسبانيا الذين اتخذوا من مدينة سلانيك مقاماً لهم بعد فرارهم من محاكم التفتيش التي نصبها الأسبانيون لمخالفتهم في العقيدة سواء من المسلمين أم اليهود. ولما كان السلطان عبد الحميد قد تفادى مؤتمرات النفوذ الاستعماري بإعلان المشروطية ١٩٠٨ فإن ذلك قد دفع الصهيونيون والنفوذ الاستعماري معاً خطوة إلى الأمام للتآمر لإسقاطه ، وقد تحقق ذلك بالخطّة التي نفذوها باسم حركة الارتجاع قاصدين

من ذلك إخراج السلطان ودفع الاتحاديين إلى الثورة عليه والتخلص منه نهائياً تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه فيما بعد . وقد حققت هذه الحركة نتائجها فقام الجيش بحركته لعزل عبد الحميد وكان أحد المتقدمين إلى السلطان عبد الحميد بطلب التنازل « مزراحى أفندى قراصوه » أحد الذين تقدموا عام ١٩٠١ بطلبات الصهيونية ، وكان هذا الموقف خاتمة للموقف الأول ونتيجة له . ومن حق أن يقال أن كان لليهود محاولة سابقة لمحاولة هرتزل . وقد سجلت مجلة الشرق الكاثولوكية في مجلدها الثاني ١٨٩٩ ص ١٠٩٤ موقف الصهيونية من الدولة العثمانية فقالت : « لما كان اللورد غوش الإسرائيلي سفيراً بالاستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحي (مافاد ومؤداب من عبر الأردن) التي مساحتها نحو ستائة ألف هكتار مستعمرة لليهود ، تحت نظارة الباب العالي ، يسوسونها كما يشاءون بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغاً من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات ، غير أن الدولة السنية لم تلب دعاء غوش وأغنياء اليهود فذهب ملهم أدراج الرياح وكانت غايتهم أن يمهّدوا لأبناء جلدتهم إنشاء مملكة مستقلة بالأراضي المقدسة كما كانت قبل المسيح » . ا . ه . والمعروف أنه بعد أن تولى الاتحاديون السلطة لم تفتح أبواب فلسطين وحدها أمام تدفق اليهود بل أتيحت لهم الفرصة للسيطرة على الدولة كلها وذلك بحسبان أن الدستور العثماني - قد أعطى جميع الطوائف حق المساواة ، وكان اليهود في مقدمة هذه الطوائف وأذكاها وأقدرها على العمل فقد قفزوا إلى الوظائف العالية في الدولة ، وكان إعلان الدستور في تركيا بالنسبة لليهود شبيه بآثر الثورة الفرنسية بالنسبة لهم في أوروبا . فقد أخذت سيطرتهم تظهر على المراكز التوجيهية العام ومن ثم بدأوا عملهم في الوقعة والدرس بين العرب والترك وبين الأتراك وسائر الشعوب المسيحية في المملكة العثمانية ، وقد أشارت إلى ذلك مجلة الشرق الكاثولوكية أيضاً حين قالت : « لم يمض وقت طويل (على صدور الدستور العثماني) حتى يتبين أن مديري دفعة جمعية تركيا الفتاة هم يهود . وإنهم أخذوا السلطة بواسطة أعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الأتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية في المملكة العثمانية ومما يؤكد هذه الحقيقة أن جريدة التيمس الإنكليزية إحدى الجرائد المشهورة بمالائتها ، رأت أن تذكر بالدور الذي لعبوه في تهيج النصارى ضد الإسلام . » وجملة القول أن الاتحاديين هم الذين سلموا فلسطين لليهود والدولة العثمانية للنفوذ الأجنبي وكانوا العامل الأساسى الفعال خلال فترة ثمانية سنوات (١٩٠٨ - ١٩١٦) على تمزيق هذه العروة العربية التركية مستعدين بذلك

لإسقاط الخلافة وأن مصطفى كمال يعتبر امتداداً أشد وأعنف للاتحاديين ومفاهيمهم وأنه هو ثمرة الحركة الاتحادية كما كان نابليون ثمرة الثورة الفرنسية . ومن حق أن يصحح اليوم هذا التاريخ وأن تجلى هذه الشبهات التي أحيط بها قائد مسلم ظل يقاوم النفوذ الأجنبي الزاحف بقوة خلال أربعين عاماً في بسالة لا تبارى ، وأن يكشف عن زيف الاتهامات التي وجهت عليه من أمثال قولهم أنه كان يلقي في البسفور الآلاف من الأحرار ، فقد ثبت أن ذلك لم يقع أصلاً ، وأن إنساناً واحداً لم يسقط في البسفور وإذا كان دعاة هذا القول صادقين فإن عليهم أن يذكروا اسماً واحداً . ويرجع الأستاذ المحقق سعيد الأفغاني تاريخ إنشاء جمعية الاتحاد والترقي إلى نفس العام الذي تمت فيه المقابلة بين هرتزل والسلطان عبد الحميد من جماعة يهود سالونيك على نمط المحافل الماسونية اليهودية الأصل ومن خلال هذا المخطط المشترك بين النفوذ الاستعماري الزاحف ومطامع الصهيونية ، رسمت خطط الدعوات المتطرفة إلى العنصرية الطورانية وإذكاء العداء بين عناصر المملكة العثمانية من عرب وأكراد وأرمن وشركس وأرثوذكس ، وكان رد الفعل أن اعتنقت هذه الشعوب نفس الدعوة العنصرية ، وكان هذا أخطر تأمر صهيوني غربي في وجه دعوة الجامعة الإسلامية والوحدة العربية التركية المثلة في كيان موحد للمسلمين في مواجهة الغزو هو المملكة العثمانية . وبذلك فقد كان خلع السلطان عبد الحميد خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم بعد الحرب العالمية الثانية في ثلاث مراحل : ١ - وعد بلفور وتسليم فلسطين للصهيونية . ٢ - تقسيم العالم العربي بين دول الاستعمار ٣ - تسليم تركيا لأبشع حركة تغريب وتدمير للقيم الإسلامية . ومن حق أن يوجه الاتهام ، كل الاتهام ، حول فصم أواصر أقوى رابطة من العالم الإسلامي بين الأتراك والعرب ، إلى الاتحاديين الذين ما أن تولوا الحكم ١٩٠٩ حتى عمدوا إلى إعلان الجامعة الطورانية وتتركب العرب واضطهاد العناصر التي تضمها الدولة . ويروى سعيد الأفغاني أن الزعماء العرب الذين نددوا بالصهيونية وأحاييلها في اقتطاع فلسطين قد قتلهم الاتحاديون ومن بينهم شكرى العسلي وعبد الوهاب الإنجليزي . بل أن هناك ما يشبه كيف أن اليهود وقوى النفوذ الأجنبي الزاحف قد دفعوا الاتحاديين إلى خوض الحرب بجوار ألمانيا بينما كان اليهود في جانب انكلترا وفرنسا يولون الحرب ، وكانت النتيجة أن تمزقت تركيا وأعلن وعد بلفور ولم يكن بين هذا وبين خلع السلطان عبد الحميد إلا تسع سنوات .

(٢)

الجامعة الإسلامية

قال بعض الباحثين في دعوة جمال الدين إلى الخلافة الإسلامية Pan Islamism بأن أساس الفكرة عنده « سياسى لا دينى » وهذا مما يخلط به الكثيرون ممن لا يفهمون أن الإسلام نظام متكامل « دينى وسياسى واجتماعى واقتصادى وقانونى » معاً . وأن مفهومها أساساً إنما هو تجمع المسلمين في جبهة واحدة لمواجهة النفوذ الاستعماري الزاحف ، وقد انتقلت الفكرة إلى حيز التطبيق حين حمل لواءها السلطان عبد الحميد ، خلال أغلب فترة حكمه ، حتى عام ١٩٠٨ حين تولى الاتحاديون الحكم حيث توقف مجرى الدعوة للجامعة الإسلامية وغلب عليه الصراع بين العرب والترك . ومن حق أن نقول إن مختلف الدعوات التي ظهرت منذ فجر اليقظة الإسلامية العربية كانت تجعل الجامعة الإسلامية هدفاً من أهدافها على نحو من الأنحاء ، وكان ذلك ظاهراً منذ حركة التوحيد الوهابية ، وحركتى السنوسى والمهدى ، ثم حركة جمال الدين ، وكذلك كانت بالنسبة للحركات الإسلامية التي ظهرت في الهند والمغرب وإندونيسيا . غير أن حركة السلطان عبد الحميد تختلف عن هذه الدعوات كلها على أساس أن حامل لواءها كان في سدة الحكم وكانت قدرته على العمل أكبر ، وقد استطاع فعلاً أن يقرب إلى هدفه الوحدات الإسلامية المختلفة خارج الدولة العثمانية فأصبح قبله آمال العالم الإسلامى . وسرعان ما استطاع النفوذ الاستعماري تدمير هذا الاتجاه والقضاء عليه وذلك بإثارة الحملة الضارية على السلطان عبد الحميد ، والدولة العثمانية ، وخلق دعوات الاقليمية والوطنية الضيقة وتغذيتها بشعارات وقوى وفلسفات واستعان في ذلك بنقل صورة الحركات الأوروبية القومية التي قاومت الكنيسة البابوية وانفصلت عنها وحاول أن يعقد وجهاً للمقاومة وبين دولة الخلافة . وكان كرومر في مصر أقوى خصوم الجامعة الإسلامية ، وقد حمل عليها حملة عاصفة ، وسرعان ما حمل حزب الأمة بقيادة لطفى السيد لواء الدعوة إلى الاقليمية الضيقة « مصر للمصريين » مشفوعة بالخصومة العنيفة للإسلام فكراً وجغرافياً وتاريخياً . وفي تركيا استطاع الاتحاديون أن يثيروا دعوة الطررانية ويضعونها موضع التنفيذ لتمزيق وحدة العرب والترك داخل الدولة العثمانية . ومن ثم فقد توقفت حركة الجامعة الإسلامية عن الحركة ، بعد الاحتلال البريطانى في مصر سنة ١٨٨٢ حيث أصبحت القاهرة مقر الدعوة المعارضة برفع شعار العروبة أو شعار المصرية ، وكان الدعاة لهما هم كتاب الصحف المارونيين ، وأصحاب المقطم ولطفى السيد في الجريدة . وفي سنة ١٩٠٧ قدم إلى القاهرة زعيم من مسلمي

القوقاز يحمل لواء الدعوة إلى مؤتمر إسلامي عام يضم جميع أمم العالم الإسلامي على اختلاف أجناسهم لمواجهة الأحداث ومحاولة الاتفاق على خطة موحدة ، واستطاع « اسماعيل عصبرنسكي » أن يقنع مجموعة من أعلام الفكر الإسلامي في مصر في مقدمتهم : البكرى ، شاكر ، بخيت ، العدوى ، والى ، أحمد تيمور ، الهلباوى ، أحمد زكى ، محمد فريد ، رفيق العظم ، طلعت حرب ، حافظ عوض ، على يوسف ، رشيد رضا . وقد أراد « عصبرنسكي » أن يتفادى خصومة أوروبا وانزعاجها من الجامعة الإسلامية فحدد هدفه بأنه بحث الشؤون الإسلامية على غير الصورة التى يتشائم منها الأوروبيون (بانسلانيزم) وقال : أنما غرضى البحث عن أسباب انحطاط الأمة الإسلامية وفتح أبواب النجاح فى الأمور الاقتصادية والاجتماعية واختيار السبل القويمة التى تصل بنا إلى أن نأخذ نصيباً من المدنية الغربية الحاضرة ، وقال إن مؤتمره « لا يتطرق قط إلى البحث فى الأمور السياسية » وقال أن هناك تهمة ألقيت على عاتق الإسلام وهو براء منها وهى أنه (أى الإسلام) «علة الانحطاط » ومدعاة التأخر ولكن التاريخ يكذب هذه الفرية ويدحضها ، وقال إن هذه القضية : قضية دراسة أسباب انحطاط الأمة الإسلامية لا تيسر تيسراً كاملاً لفرد أو فردين فلا مندوحة من عقد مؤتمر إسلامي عام .

٣- وفى نفس هذه الظروف صدر كتاب «المستقبل للإسلام » للسيد توفيق البكرى الذى تناول أثر الصوفية فى بناء « الجامعة الإسلامية » . وقد أشار البكرى إلى الجامعة الإسلامية فى مؤتمر عصبرنسكي فقال : « الجامعة الإسلامية قسمان دينية وجامعية ، أما السياسة فهى التى يعنينا الأفرنج بلفظ «بانسلاميزم» . أما الجامعة الدينية فهى موجودة لوجود روابطها وهى العقيدة الإسلامية أولاً وآخرها الإسلام » . أما الجامعة الإسلامية فهى غير موجودة ولم توجد ولن توجد كما يتوهمون لعدم وجود الرابطة فى كل أمر سياسى ، فإذا أوجد المسلمون جامعة إسلامية ، أوجد الأوروبيون آراءها جامعة مسيحية أو جامعة سياسية وثنية ، فكون المضرة عليهم جراء ذلك أكثر من المنفعة » وكان البكرى يجرى فى هذا القول فى ركاب الاستعمار . غير أن الأحداث لم تلبث أن فرضت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية مرة أخرى حين اعتدت إيطاليا على طرابلس المغرب ١٩١١ وبرزت الدول الإسلامية متحدة فى مواجهة العدوان وكانت مصر فى المقدمة مما احفظ لورد كرومر فشن خادماً أفكاره لطفى السيد حملة عاصفة على مؤازرة العرب والمسلمين على مجاهدى طرابلس وقد شهدت معارك طرابلس مجاهدين من تونس والجزائر والمغرب ومصر والسودان والشام والترك والأفغان على اختلاف

أخباسهم وجمع أهالي مصر ١٥٠ ألف جنيه ذهباً في يوم واحد تبرعاً لها . ثم كانت الحرب العالمية الأولى عاملاً هاماً في عودة الحديث عن الجامعة الإسلامية فقد اهتزت أجزاء العالم الإسلامي المختلفة للغزو الأوربي للدولة العثمانية بعد انتصار الحلفاء وهزيمة ألمانيا وحليفاتها تركيا . وقد كان موقف المسلمين في مختلف أنحاء العالم موقفاً موحداً إزاء دولة الخلافة ، وقد بعثوا بالمتطوعين والأموال إلى القائمين بالحركة الوطنية وكان يمكن أن يصبح الأمر أبعد أثراً لو لم تكن مصر محتلة بانجلترا وطرابلس بإيطاليا وإيران بروسيا والهند ببريطانيا ، وقد اعترفت الحكومة البريطانية بمدى الأثر البعيد لهزيمة تركيا في البلاد الإسلامية من المغرب إلى الهند . وكان أقوى رد فعل لذلك في الهند الإسلامية ، فقد تجمع المسلمون في وجه بريطانيا المحتلة في حركة عنيفة وألّفوا حزب الخلافة وتدافعوا إلى مساعدة الدولة العثمانية وكان موقف العالم الإسلامي غاية في المعارضة الصريحة الواضحة لموقف حكومة أنقره من إلغاء الخلافة الزمنية نهائياً . ثم شغل العالم الإسلامي تماماً بقضايا الوطنية ، وبأمر احتلاله بعد الحرب العالمية الأولى على نحو لم يكن يسمح له البحث في قضية الجامعة الإسلامية أو الوحدة . غير أن العواطف المشبوبة والالتقاء الروحي والفكري كان قائماً بين المسلمين أساساً ومتمثلاً في روابط الجماعات الإسلامية كالشبان المسلمين الاخون وبعض الطرق الصوفية ، وتأكدت أكبر صورة كل عام في موسم الحج . وقد كان المسلمون يرون أن هذه السدود والقيود التي وضعت بين الوحدات المختلفة ، والأنظمة التي أقامها الاستعمار لعزل المسلمين ، إنما هي قيود مادية وسدود شكلية محضة ، لن تستطيع أن تفضي على وحدة الفكر والروح الإسلاميين ، وكانوا دائماً يؤمنون بآئنه سيأتي اليوم الذي يتحقق فيه لقاء جامع ، ولقد أثبتت الأحداث عمق التجارب الواضح بين مختلف أجزاء العالم الإسلامي ، وأبان ثوراته المختلفة ، ومعاركه مع الاستعمار . وكان كرومر هو أول من الب أوروبا والعالم الغربي على الجامعة الإسلامية فقد كان الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ وقدم كمرور إلى مصر ١٨٨٣ واستمراره ممثلاً لبريطانيا وحاكماً فعلياً حتى عام ١٩٠٧ تقريباً عاملاً هاماً في رسم هذه السياسة ، فقد بثت إنجلترا وفرنسا الدعوة في أرجاء أوروبا للفرع من الجامعة الإسلامية واستبشاعها ، ورسمت مختلف الخطط لمقاومتها وفي مقدمتها التبشير ودعوات الإقليمية الضيقة ومحاربة اللغة العربية وغيرها ، وقد حرص كرومر على أن يتحدث في تقاريره السنوية عن الجامعة الإسلامية ببغض شديد وفي نفس الوقت نشرت الأهرام تصريحات مثيرة لوزير فرنسي

هو «هانوتو» هاجم فيها الجامعة الإسلامية . وكانت مهاجمة الجامعة الإسلامية تستتبع بالتالى مهاجمة الدولة العثمانية بحسبان أنها عقدة التقاء المسلمين خارج الدولة وداخلها ، وكانت هذه العقدة هى الهدف المحدد الذى ترمى بريطانيا وفرنسا وروسيا إلى قطعها حتى تتفرق الوحدة التى تجمع من حول الدول الإسلامية لتواجه النفوذ الاستعماري الزاحف الذى قد رسم مخططة على أساس التهام هذه الوحدات مفرقة والحيلولة دون التقائها مرة أخرى فى أى نوع من الوحدة ليستديم سيطرته عليها . ولم يكن كثير من زعماء العالم الإسلامى ومفكره يصرون على الاستمسك بالجامعة الإسلامية إلا من أجل هدف واحد هو بقاء جبهة المقاومة فى مواجهة النفوذ الاستعماري ولم يكن ذلك يعنى تبعية من أى نوع وقد كان ذلك رأى كبار المستنيرين فى هذه الفترة ، جمال الدين الأفغانى الذى قصد إلى الدولة العثمانية أخيراً وقبل بالعمل معها لدعم الجامعة الإسلامية وقدم إلى عبد الحميد مشروع الخديويات ، كمقدمة لانضمام الدول الإسلامية خارج الدولة العثمانية إلى الوحدة الإسلامية باسم الخلافة . والشيخ محمد عبده الذى عرف عنه قوله ١٨٨٦ «إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته ، وليس للدين سلطان فى سواها » . وموقف مصطفى كامل والحزب الوطنى واضح ومعروف فى الإيمان بالجامعة الإسلامية ، والعمل على تأكيد بقاء الدولة العثمانية كقوة مواجهة للغزو الاستعماري الغربى وقد هاجم كرومر بعد خروجه من مصر مشروع الجامعة الإسلامية وأشار إلى تمسك المصريين بعقيدتهم الإسلامية المتغلبة على الوطنية بمعناها الاقليمى التى تؤمن بالوحدة الكاملة بين المسلمين فى سائر أقطار الأرض . وقد واجهت حملته تلك هجوماً عنيفاً من مختلف المفكرين والكتاب ، الذين تسجل آثارهم وكتاباتهم المختلفة الإيمان بالوحدة بين المسلمين وكذلك رد الشيخ محمد عبده على الاتهامات الماثلة التى وجهها هانوتو للجامعة الإسلامية . وفى مواجهة هذه الدعوة أجج النفوذ الاستعماري عشرات الدعوات . منها فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، وذلك حتى لا يصبح الخليفة جامعاً بين رئاسته الإسلامية وبين منصبه السياسى كحاكم وضربت الأمثلة بالبابا الكاثوليكي وكان ذلك بالقطع مخالفاً لمفهوم الاسلام الجامع بين السلطة الدينية والسلطة المدنية معاً فى المجتمع وفى يد خليفة المسلمين . كما برزت دعوة إلى الخلافة العربية أو الولاية الدينية على شئون المسلمين العرب وجرت حملات عنيفة على السلطان عبد الحميد بالذات بعد الحملة على الجامعة الإسلامية والخلافة

ورميه بالتهمة المختلفة وإثارة الشبهات حوله . وقد ثبت اليوم وبعد مرور أكثر من ستين عاماً أن كل هذه الشبهات كان مبالغاً فيها وأن أغلبها كان ملفقاً ولا أساس له . وقد تأثر الكراكي بالنظرية الغربية المسيحية في البابوية وحاول تطبيقها في مجال الجامعة الإسلامية والخلافة وقد عرض كرومر للجامعة الإسلامية في كثير من تقاريره وآرائه ومجمل رأيه فيها هو ما أورده في تقرير عام ١٩٠٦ حيث قال : « المقصود من الجامعة الإسلامية بوجه الاجتماع اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدى قوات الدول (الأوروبية) المسيحية ومقاومتها فإذا نظر إليها من هذا الوجه وجب على كل الأمم الأوروبية التي لها مصالح سياسية في الشرق أن تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة لأنها يمكن أن تؤدي إلى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الديني في جهات مختلفة من العالم » . ثم أشار إلى أن للجامعة الإسلامية معان كثيرة منها الخضوع للسلطان العثماني (أي الخليفة) وترويج مقاصده . ثم أشار إلى أن من أهم أهداف الجامعة الإسلامية ما يلي : - « السعى في إصلاح أمر الإسلام على النهج الإسلامي ، وبعبارة أخرى السعى في القرن العشرين لاعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة ، وقال إن عيب هذه المبادئ والسنن والشرائع هي المناقضة لآراء أهل العصر في علاقة الرجال والنساء وأهم من ذلك وهو إفراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تعقيداً ولا تحويراً وهذا ما أوقف تقدم البلدان التي دان أهلها بالإسلام » . هذه هي الصورة التي حاول كرومر أن يرسمها لمفهوم الجامعة الإسلامية وحاول بها الحملة على الإسلام ومهاجمته في صميم عقائده ومقاصده من ناحية وتأليب الغرب على المسلمين الذين تدفعهم مقاومتهم للنفوذ الغربي الزاحف إذ ذاك على التجمع وتوحيد خططهم في جبهة موجودة فعلا هي الدولة العثمانية حتى لا تحترق هذه الوجهة ، مهما كان من أمر ضعف هذه الجبهة ، وقد أعلن كرومر في نفس الوقت استحالة سماح أوروبا باتفاق المسلمين حين قال « أئني لأثق بقوة أوروبا واقتدارها الاقتضاء على تلافى هذه الحركة من الجهة المادية » . وقد أشار السيد رشيد رضا إلى هذه الآراء وعلل هدفها حين قال : إن السبب الأول لكون الدولة البريطانية هي الخصم الأشد الأقوى من خصوم الخلافة الإسلامية هي أنها تحس أن بها تتجدد حياة الإسلام وتتحقق فكرة الجامعة الإسلامية ليحول ذلك دون استعبادها للشرق كله » . كما أورد رشيد رضا في رده على كرومر - وقد رد عليه كثيرون في مقدمتهم فريد وجدى ومصطفى الغلايينى وعلى يوسف (تراجع الصحف عام ١٩٠٧) -

فقال إن جمال الدين ومحمد عبده هما في مقدمة الداعين إلى الجامعة الإسلامية وأن جمال الدين قد أعلن أنه لا يهدف من دعوته أن يكون للمسلمين إمام واحد فإن هذا ربما كان متعذراً وإنما عني أن يكون إمامهم القرآن وأشار رشيد رضا إلى أنه يسير على نفس الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ويفهمها على هذا النحو «أن الأساس الذي يجب أن يبنى عليه حال المسلمين هو تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف» . وقال إن الدعوة الإسلامية تنحصر في ترك البدع والجمع بين الدين وبين العلم والمدنية وقد أحسن الأربيون بخطر دعوة الجامعة الإسلامية فحاربوها بكل قوتهم ، بصحفهم ومؤتمراتهم ، لما تبين لهم قوتها وخطرها إذا تحققت ولذلك فقد اتخذوا ، لذلك عدة أعمال أساسية : ١- تعميق الدعوات الإقليمية والخاصة بالوطنية والأرض والأمة والعرق . ٢- خلق جو فكري عام لمحاربة الوحدة الإسلامية وتصنيفتها . وكان ذلك من الأعمال التي ركزت عليها مؤتمرات المبشرين وفي مقدمتها (مؤتمر سبتمبر ١٩١١) الذي كان من أهم موضوعاته : الجامعة الإسلامية وكيفية مقاومتها فقد أشار زويمر إلى هذا الأمر الخطير في نظرهم وقال : إن الإسلام تمخض في السنوات الخمس الأخيرة عن حوادث خارقة لم يسبق لها نظير : ١- الانقلاب الفارسي . ٢- الانقلاب العثماني . ٣- امتداد خطوط السكة الحديدية . ٤- تأسست في الهند مجالس ثورية . ٥- دخلت الأمور الإسلامية في قالب يلائم العصر . ٦- انتشر الإسلام في أفريقيا والهند الغربية والجزائر الجنوبية ، وكل هذا يحتم على المبشرين أن يعملوا بحزم وجد ، وقال : إن يقظة العالم الإسلامي ليست شيئاً اخترعه المبشرون بين ضفتي النيل وشرق أفريقيا وبلاد النيجر والكونغو ، ثم لخص المؤتمر الموقف بأن الإسلام متمحض الآن عن ثلاث حركات اصلاحية : ١- اصلاح الطرق الصوفية . ٢- تقريب الأفكار من الجامعة الإسلامية . ٣- إفراغ العقائد والتقاليد القديمة في قالب له بريق . وكان تركيز الاستعمار والنفوذ الغربي على العصبية الجنسية هو عمله الأكبر في سبيل القضاء على الجامعة الإسلامية . ولكن جميع الدعوات القومية والوطنية التي ظهرت إنما كانت دعوات مؤقتة تهدف إلى تحرير الأوطان أولاً ، ثم تجمعها في وحدات قوامها الأمة واللغة ، كمقدمة لوحدة فكرية أكبر هي الوحدة الإسلامية ، وليست دعوة الوحدة العربية أساساً في جوهرها (وبعيداً عن كل ما حرفت إليه أو أدخل إليها من مفاهيم القوميات الغربية) إلا نواه الجامعة الإسلامية فقد كان المسلمون ولا زالوا يؤمنون بأنه إذا ذل العرب ذل الإسلام فلا بد أن

يتحرر العرب أولاً ويأخذوا بمقادة الأمور ، بحسبان أنهم أصحاب اللغة وحماة الكعبة وبحسبان أنهم مركز القيادة الفكرية الاسلامية أساساً ، ولن يستطع المسلمون إقامة وحدة أو جامعة إلا إذا تحرر العرب أساساً . وقد كتب المستر بلانت في هذا المجال كتابة المشهور (مستقبل الاسلام) الذى تحدث فيه عن الخلافة الاسلامية وقال أن مكانها يجب أن يكون في مكة وأن الخليفة في المستقبل يجب أن يكون رئيساً دينياً لا ملكاً دنيوياً ، وقد مهد لدعوته هذه بشعر عربى جميل حين قال : لا تقنطوا فالدر ينثر عقده ليعود أحسن في النظام وأجمل أى أنه يطعن المسلمين إلى أن ولاية بريطانيا للعالم الاسلامى بديلاً عن السلطنة العثمانية لن تضر المسلمين ولن تززعهم بل ستعود بنتائج هى خير مما هو موجود الآن وقد هاجم «مصطفى كامل» هذه الدعوة التى كانت تحاول أن تمهد للخطوات التالية لها فى محاولة خلق رأى عام لتقبلها فقال : «لقد رأيت انكلاترا أن بقاء السلطة العثمانية يكون عقبة فى طريقها ومنشأ للمشاكل والعقبات فى سبيل امتلاكها مصر ، وأن خير وسيلة تضمن لها البقاء فى مصر ووضع يدها على وادى النيل هو هدم السلطة العثمانية ونقل الخلافة الاسلامية إلى أيدي رجل يكون تحت وصاية الانجليز وبمثابة آلة فى أيديهم لذلك أخرج ساسة بريطانيا مشروع الخلافة العربية مؤملين استمالة العرب وقيامهم بالعصيان فى وجه الدولة العلية » . وقد جعلت جريدة المقطم (فارس نمر) لسان. كرومر وجريدة (الطلي السيد) لسان حزب الأمة ، من أهم أهدافها الدائمة مهاجمة الجامعة الاسلامية . وقالت المقطم إن الدعوة إلى الجامعة الاسلامية مصدرها الجهل بسنن الرق الطبيعى ، وإن ذلك يهدد الدول الأوربية ، وكانت دائماً ترددقوها : نحن ضعفاء والأعداء محيطون بنا من كل جانب كما شاركت الأهرام لسان حال الفرنسيين هذه الدعوى وقالت إن الدعوة إلى تحقيق الجامعة الاسلامية مضر بالدولة وبالمسلمين ثم تصل إلى الغاية حين تقول . «تأييد الجامعة الاسلامية فى ظل الخلافة العثمانية سياسياً ودينياً أمر مستحيل لا يتسنى الحصول عليه إلا بالحرب وأين لنا أن نقاوم أوروبا بأسرها » وقد كان الرد على خصوم الجامعة الاسلامية فى ذلك الوقت يجرى على أساس عن الكشف الاخطار التى تهدد المسلمين والتعرف على ما يقاسيه إخوانهم فى جاوه . من مظالم الهولنديين والهنود من مظالم جمهورية الترنسفال وما يقاسيه المسلمون فى داغستان وقازان وما يقاسيه أخوانهم المسلمون فى الهند وأن ليس فى هذا ما يستدعى قيام حرب عوان تقاوم بها أوروبا بأسرها كما لا يستدعى ما يقول المقطم من حشد الآلوف من الألبان والآكراد

والأتراك والعرب لمهاجمة أوروبا . ويقول صاحب الأهرام باستحالة الوصول إلى تحقيق الجامعة الإسلامية اعتماداً على أن ذلك لم يحصل في الماضي حيث كان الاسلام عزيز الجانب شديد البأس ، فكيف يتحقق في حال ضعفه ما عجز عنه في حال قوته - ويعتقد أن العمل لتحقيق الجامعة الإسلامية الآن مضررة كبرى على الاسلام والمسلمين لأن دول أوروبا المسيحية التي لا يرون لها أن تصلح الدولة العلية أمورها لتقوى كذلك لا يرونها من باب أولى أن تشاهد المسلمين تحت سلطتها يتآفون مع المسلمين تحت ظل الخلافة الإسلامية لذلك ننصح بترك الجامعة الآن لما فيه من إغراء أوروبا على المسلمين لتفريق شملهم . وقد أجابت المؤيد بأن الجامعة الإسلامية لم تكن من مطلب المسلمين أيام قوتهم حتى يقال كيف يدركون بعد ضعفهم ما عجزوا عنه أيام قوتهم ، وقالت : أما الآن ونحن ضعفاء والأعداء محيطون بنا من كل جانب فقد حسن أن يكون تحقيق هذه الجامعة مطلبهم ، وليس أقدر على العمل والألفة للاتحاد أكثر من الضعفاء . ويقول المقطم : إن معنى الدعوة إلى الجامعة الإسلامية هي الدعوة إلى الجهاد وتغني تعزيز الاسلام عندهم وأهلك غيرهم فهم لا يفهمون أن يكون الاسلام عزيزاً إلا بآبادة خصومهم كما كان ذلك في زمن الصليبيين وكما حدث في جبل لبنان . ولا شك أن ما ذهب إليه المقطم فيه مغالطة كبيرة ومبالغة لا شك فيها فالمسلمين لم يكونوا معتدين قط بل معتدى عليهم ، وفي الحروب الصليبية - زحف المئات من أوروبا إلى بلاد المسلمين لحربهم والسيطرة عليهم ، وكان موقف المسلمين هو موقف الدفاع والمقاومة . أما ما حدث عام ١٨٦٠ فان وثائق التاريخ المنصفة تشهد بأن المستعمرين هم الذين أثاروا المارون على الدروز وكانت فرنسا من وراء المارون وبريطانيا من وراء الدروز ، ولو أن المسلمين والمسيحيين تركوا لأنفسهم لما وقع بهم خلاف أو خصومة كما كان ذلك على طوال تاريخ العلاقة بينهما ولكن المقطم في هذا إنما تنقل تهديدات بريطانيا ومغالطاتها ، ويذهب المقطم إلى حدود القول بأن الجامعة الإسلامية الدينية المحضة المجردة من المعاني السياسية هي التي يمكن اخراجها من القوة إلى الفعل ، وهو بهذا ينكر أمرين : أولهما : مفهوم الاسلام الجامع بين الدين والسياسة ووجود الدولة العثمانية التي تحمل لواء الخلافة والجامعة الإسلامية معاً . هكذا كان يدور السجال في قضية الجامعة الإسلامية يحمل طابع الخوف الشديد من جانب الدول الغربية وطابع التحريض الشديد من جانب حلفاء النفوذ الغربي وتصويره بصورة اعتداء المسلمين على النصارى ، بينما يعرف الجميع كيف وقف المسلمون والنصارى في وجهه^٣

الجمالات الصليبية وفي وجه الاستعمار الغربي . ولكن الاستعمار كان دائماً يحاول الوقعية بين الأديان والأجناس في سبيل احتفاظه بالبقاء . ومن عجب أن تخشى أوروبا في ذلك الوقت بلاد المسلمين محتلة أو شبه محتلة ، وليس في أيديهم قوة أوروبا أو سلاحها من أن تؤدي الدعوة إلى الجامعة الإسلامية إلى خطر داهم يتهدد الحضارة الغربية أو يؤدي بهم إلى اكتساح أوروبا ، فقد مزق الاستعمار الغربي العالم الإسلامي وسيطر عليه ، وكان عليه أن يتم آخر خطواته وأخطرها بالقضاء على عقدة الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية وذلك حتى لا يصبح من المستطاع تنفيذ أى مخطط للوحدة أو التجميع تحت أى شعار كان وقد سقط أكبر دعاة الجامعة الإسلامية جمال الدين وعبد الحميد في الميدان محاربين ومن بعدهما تمزقت الدولة العثمانية وأزيلت الخلافة . ولكن الدعوة إلى الجامعة الإسلامية لم تتوقف بعد ذلك ، فقد ظلت أبرز النقاط في برامج الجمعيات والهيئات الإسلامية المختلفة من أندونيسيا والهند والبلاد العربية . وكان أبرز العوامل الداعية إليها تأجج مسألة فلسطين والاحتلال الصهيوني لها حيث عقد عديد من المؤتمرات الإسلامية التي كانت تحمل طابع الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وفي مقدمتها مؤتمر القدس ١٩٣٢ ومؤتمرات الباكستان بعد استقلالها ١٩٤٧ وما بعدها . وقيام المؤتمر الإسلامي في القاهرة وفي كراتشي والرابطة الإسلامية في مكة ومن الحق أن يقال أن مضمون الخلافة الإسلامية ظل في مفهوم عامة المسلمين إنما هو أمر بعيد كل البعد عن الأحلاف أو خدمة نفوذ أجنبي معين وليس من وسائله عندهم الاستعانة به على عمل غير مشروع وما تزال فكرة الجامعة الإسلامية على المحيط الشعبي الإسلامي فكرة نقية بعيدة عن محاولات السياسة والدول الكبرى التي تحاول للانتفاع بها عن طريق بعض الحكومات .

هذا ويؤكد مختلف الباحثين حتى من خصوم الإسلام إلى أن الوحدة الإسلامية هي مآل المسلمين مهما طال الزمن واختلفت الوسائل . فالشيوعيون بمفهوم أحد زعمائهم ((تان مالاك)) يقول : إن الوحدة الإسلامية هي نضال وطني للتحرر لأن الإسلام هو كل شيء بالنسبة للمسلم فهو ليس فقط ديناً وإنما هو كذلك دنيا ودولة . ومن الناحية الأخرى يقول أحد ممثلي الفكر الغربي (روبرت بيبكر) « الإسلام في صورته الأولية فكرة شاسعة عن مهمته في الدنيا ، فلا القرآن ولا الأحاديث ولا أقوال الصحابة تفرق بين الأجناس أو اللغات وعلى أساس هذا

قامت نظرية وحدة سياسية وهي وحدة وإن لم تتحقق عملياً أبداً ، إلا أن المتمسكين بالدين بقوا على مر الظروف مؤمنين بأن تحقيقها رهن بوجود ظروف أصحح ووجود حلفاء أقوى .

لقد توالى محاولات المسلمين للتجمع وهي محاولات تبدأ دوماً في ظل تحدى خطير وهي وحدة طبيعية أساساً ولكن النفوذ الأجنبي والقوة الاستعمارية قد حالاً دائماً دون تحقيقها بخطوط دفاع كثيرة ولقد كانت دوماً مرتبطة بالتحديات وهي تبرز دائماً على أثر الأحداث الكبرى كما ظهرت بعد احتلال الصليبيين للقدس ومنذ بدأ النفوذ الاستعماري الغربي الحديث ولقد توقفت حركة الجامعة الإسلامية خلال حركة النضال بين العالم الإسلامي والاحتلال خلال الحربين العالميتين ولكن ضياع فلسطين واستقطاعها وقيام دولة إسرائيل قد أعاد من جديد فكرة تجمع المسلمين ..

يقول المؤرخ نلسون في تقريره عن الجامعة الإسلامية : « إن حركة الجامعة الإسلامية قد ضعفت جداً بعد خلع عبد الحميد ولكن لا تزال في المسلمين روح تضامن مع ملازمة للإسلام » . إن الأتوف يتجهون كل سنة إلى مكة ويشربون ماء زمزم ، إلا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجى وبالرغم من وجود الاتحاد الذى يجعل فكرة الجامعة الإسلامية قوة حقيقية إلى حد يستدعى اهتمام المبشرين ، فإنه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حقيقى فى استطاعته أن يجمع شمل السنيين والشيعة معاً ويضم الأتراك والفرس والهنود إلى العرب ليكافحوا ويدافعوا يداً واحدة على اتفاق وثقة متبادلة » . ويقول زويمر : إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل الدافعة إلى بث شعور الوحدة بين المسلمين والنفرة من كل شئ غير إسلامى وهذا ما يسمونه بالجامعة الإسلامية ومن المحقق أن التاجر المسلم يبت فى هؤلاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الإسلامى وحضارته الراقية . ويقول لوثروب ستوارد : إن الجامعة الإسلامية قامت على أساسين هما الطرق الصوفية الحديثة النظام كالطرق السنوسية والدعوة التى قامت بها فرقة من جلة العظماء وأكابر المفكرين والحكماء وفى مقدمتهم جمال الدين الأفغانى . وربما ظفر الإسلام فى أفريقية اليوم أعظم ظفر بما لاقاه المبشرون المسلمون حديثاً ، فى بلاد التتر الروسية ، وفى الصين وفى الهند وفى جزائر الهند نهضات إسلامية رائعة ، ويرى كثير من الباحثين والمراقبين أن هناك عوامل كثيرة تقرب المسلمين الآن من النظر فى فكرة الجامعة الإسلامية واعتناقها : أهمها ضياع بيت المقدس واستيلاء الصهيونية عليه ومنها ذلك الانتعاش الإسلامى فى تركيا وبروز الدول الإسلامية الجديدة فى آسيا

(الملايو وأندونيسيا والباكستان) بالإضافة إلى الدول الأفريقية المسلمة الجديدة .

الوحدة العربية حلقه على الطريق

هذا فضلاً عن أن فكرة الوحدة العربية أخذت تتحرر من المفهوم الغربى للقومية وتعود إلى التماس مفهومها الفطرى المستمد من مزاجها النفسى وروحها وعقليتها والقائم على الترابط بين الإسلام والعروبة ، وذلك لتنسيق روابطها مع العناصر غير العربية والانفتاح على دول العالم الإسلامى فى أخوة وترابط ثقافى واقتصادى واجتماعى ، يضاف إلى ذلك التقارب والالتقاء بين فقه السنة والفقه الشيعى ، واجتماع السنين والشييعين على اليقظة والوعى والعمل على كشف أهداف الاستعمار فى الوقية والقطيعة بينهما . ولا شك أن الكتابات الجديدة فى تحليل العلاقات بين الفكر الإسلامى والثقافات العربية والتركية والإيرانية ، وتقارب المذاهب الإسلامية ، وإعادة تفسير العلاقة بين العروبة والإسلام على أساس أكثر نضجاً وإنصافاً ، كل هذا أخذ يقيم « وحدة فكر » بين المسلمين ستؤدى إلى بناء ثقافة إسلامية موحدة ، وهناك دعوة ذاتية تجد صداها اليوم فى كل مكان إلى جعل اللغة العربية هى لغة العالم الإسلامى الثقافية وأن تصبح لغة الدول الإسلامية فى أفريقيا وآسيا . قامت فكرة الجامعة الإسلامية إذن فى مواجهة التوسع الغربى وزحف النفوذ الاستعمارى فهى رد فعل للتحديات الخطيرة التى واجهها المسلمون فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكانت هدف دعوات التوحيد التى قادها محمد بن عبد الوهاب والسنوسية التى قادها محمد بن على السنوسى والمهدية التى قادها محمد أحمد المهدي ثم دعوات جمال الدين ومدرسته ثم دعوة القرآن ، وقد استطاع النفوذ الاستعمارى تحطيم هذه الدعوات والقضاء على نفوذها السياسى واحدة بعد الأخرى وإن ثبت بعضها وتحول إلى المجال الفكرى الخالص . ولقد كانت حركات المقاومة العسكرية منبثقة من فكرة الجامعة الإسلامية أيضاً وقد قاومها الاستعمار وقضى عليها : قضى على كل حركات الأمير عبد القادر وعبد الكريم وأحمد عرابى والشيخ شامل وثورة الهند ١٨٥٨ .

وكان النفوذ الاستعمارى قادراً على إجهاض هذه الدعوات والحركات وضرب بعضها ببعض ، فإن أكبر عوامل القوة التى ظهرت فى خلال القرن التاسع عشر قد قضى عليها الاستعمار وفى مقدمتها حركة محمد على فى مصر التى حاولت أن تخرج الدولة العثمانية من جمودها ، وحركة الوهابية فى الجزيرة العربية ، ثم حركة أحمد عرابى فى مصر وحركة

المهدى في السودان وحركة جمال الدين الأفغانى وحركة الجامعة الإسلامية التى قادها السلطان عبد الحميد ، كل هذه الدعوات التحررية التى حاولت دفع اليقظة الإسلامية إلى مكان القدرة. وقد ظهرت هذه الدعوات فى مراكز حساسة متعددة من العالم الإسلامى ، فى الجزائر ، فى مصر فى الجزيرة العربية ، فى الهند ، فى طرابلس ، فى السودان ، ولو أن هذه الدعوات أتيح لها حرية الحركة لثمت وتوسعت والتقت ، فإذا قال بعض كتاب التغريب عنها إنها انطقت ، أو قصرت ، فليعلموا أنها إنما كانت تتحرك من تحت مدافع النفوذ الاستعمارى وقواته . ولكن القول الحق أن ما من حركة منها إلا وتركت آثارها القوية البعيدة المدى ، وكانت عاملاً هاماً دفع حركة اليقظة الإسلامية العامة إلى الأمام قوة وزادت المسلمين يقظة وتماسكاً وتجمعاً من جديد لمواجهة النفوذ الاستعمارى . فهذه الدعوات لم تفشل ولكنها أجهضت نتيجة للقوى الاستعمارية المتربصة التى استطاعت أن تقضى على هؤلاء الدعاة أو تفسد مخططاتهم بالتآليب عليهم أو سحقهم . وإذا كانت هذه الدعوات قد ظهرت وانطقت كالشهب ، فإن الظاهرة الأساسية أنها والت الظهور ولم تنقطع فى عصر من العصور ، وإنها كلها اتصلت كحبات فى عقد واحد . وذلك آية صدقها ونجاحها والحاجة الأكيدة إليها . ولم تكن هذه الدعوات فى مجموعها تجهل ضرورة التلاقى مع روح العصر والانتفاع بالحضارة الغربية الحديثة ولكنها كانت تفرق بينها وبين الاستعمار من ناحية وبينها وبين الغزو الفكرى ومحاولة الغرب فرض قيمه والقضاء على قيم الإسلام نفسه . وكانت تعرف أن الاستعمار لن يسمح لها أن تنال من ثمرات الحضارة الغربية ما يزيدها قوة وأن ما سمح به الاستعمار من وجوه حضارية إنما اتصل بالجوانب الاستهلاكية والمادية والمتصلة بالترفيه واللذات والمتع وليست تلك الجوانب الإيجابية المكونة للأمم البانية للقوى العسكرية أو الصناعية . وليس صحيحاً ما يذهب إليه الغربيون ومن تابعهم من دعاة التغريب الذين يكتبون باللغة العربية من أن السلطان عبد الحميد التمس من الجامعة الإسلامية سبيلاً إلى دعم سلطانه وإنما التمس من الجامعة الإسلامية سبيلاً إلى دعم مركز الدولة العثمانية باعتبارها قوة قائمة وموجودة وقادرة على أن تكون نقطة التقاء وبلورة للقوى الإسلامية المتلفة فى واجهة النفوذ الاستعمارى . وقد استطاعت قوى النفوذ الاستعمارى أن تواجه هذه القوة حين بدأت تتجمع وتتضح بحركة الاتحاديين المغرقة فى العصبية الجنسية والدعوة الطورانية . ويمكن القول إن هذه الحركة المتجهة إلى الجامعة الإسلامية فى هذه المرحلة كانت منبثقة من

داخل المجتمع الإسلامى حقيقة ، ولكنها كانت فيما يبدو تشوبها شائبة النفوذ الاستعمارى الذى كان يطمح فى توجيهها وجهة معينة يغلب أن تكون وسيلة إلى أن تسير فى فلك الغرب . والمعروف أن الجامعة العربية كانت قد قامت بين الحكومات العربية خلال الحرب العالمية الثانية على نحو مقيد لا يسمح لها بالحركة الكاملة . وإذا كان من طبيعة الاستعمار أن يضرب الحركات بعضها ببعض فإن المفكرين المسلمين فى العالم الإسلامى كله ظلوا يحملون لواء الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ومن خير ما كتب فى هذا مبحث للشيخ محمد أبو زهرة صدر فى القاهرة عام ١٩٥٨ فقد حاول من خلاله معالجة عوامل الفرقة ودعا إلى وضع مخطط شامل للتقارب والتقريب واستبعد فكرة « دولة إسلامية ذات حكومة موحدة » نظراً لتباعد الأفكار وتنائى الأمصار وهو فى ذلك يقول : لا يصلح أن يكون مقصدنا من الوحدة تكوين دولة إسلامية متحدة بدخل فى تكوينها كل الأقاليم الإسلامية » . وعنده أنه يصح أن تكون صورة الوحدة فى شكل كومنولث إسلامى أو عصبة أمم إسلامية أو جامعة إسلامية ، وإنما يجب أن يتحقق فيه اتحاد السياسة فى كل الأقاليم الإسلامية بحيث يوالى كل إقليم إسلامى من يوالى المسلمين ويعادى من يعادىهم . وقد ركز الباحث على العناية بالتعارف الإسلامى وسبيله أن تشمل المدارس فى البلاد الإسلامية كلها على دراسة جغرافية لكل إقليم إسلامى وتنظيم الرحلات وأولى للحج أهمية كبرى فى التعارف ، وكذلك أولى اللغة العربية اهتماماً بالغاً باعتبارها لغة المسلمين الجامعة والمعروف أن حركة جمعيتنا الإخوان الشبان المسلمين والجمعيات التى انبثقت منها وجماعة مصر الفتاة قد وسعت مجال الحديث فى مصر عن الجامعة الإسلامية قبل الحرب العالمية الثانية فتكون رأى عام إسلامى متقبل للحديث مرة أخرى عن الجامعة الإسلامية ثم كان قيام باكستان عام ١٩٤٧ بعيد الأثر فى تجدد الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وكذلك ظهور الدولة الأندونيسية التى تضم أكثر من ٨٠ مليوناً من المسلمين وفى هذه المرحلة شابت أغلب الدعوات إلى الجامعة الإسلامية طابع السياسة العالمية والاستعمار .

فى نوفمبر ١٩٤٨ نشأت فى باريس فكرة إنشاء جامعة إسلامية على الأساس الذى نشأت عليه جامعة الدول العربية على أن يكون لها نظام آخر فتضم جميع الشعوب سواء أكانت مستقلة أم غير مستقلة والهدف الأول من إنشائها كما ذكر دعائها هو إحياء مجد الإسلام والمحافظة على شعائره من الاستعمار والدعوات الإلحادية . ثم تعددت التصريحات والمؤتمرات

الصادرة من باكستان والتي تشير إلى التمهيد لتشكيل هيئة سياسية عالمية قيام دولة إسلامية عالمية ، وأشارت البرقيات إلى أن المؤتمر الإسلامي الذي عقد في باكستان ١٩٤٩ قد وجه اهتماماً كبيراً إلى فكرة إقامة دولة قرآنية تحتضن الدول الإسلامية المستقلة . وتحدث أحد زعماء باكستان عن إنشاء اسلامستان (أى إدماج الدول الإسلامية تحت لواء واحد) . ورددت تركيا في تصريحات أشارت إلى أنها لن تقبل في الاشتراك في وحدة إسلامية ، وتلا ذلك تصريحات من المسلمين في إيران من أن قيام كتلة إسلامية إنما يعود بالخير على الشعوب الإسلامية ويعزز مركزها الدولي ، ورددت أندونيسيا نفس التصريحات التي تقول بالتفكير في إنشاء كتلة آسيوية تضم الهند وباكستان وأندونيسيا وسيلان وإيران وتركيا والبلاد العربية ومصر . وشملت الدراسات التي قدمت في هذا الشأن كثيراً من الخطوط العامة : وكان أهمها مشروع من أربع نقاط لتوحيد البلدان الإسلامية قدمته مراکش ، وهذه النقاط هي : ١- استخدام اللغة العربية كإحدى اللغات الرسمية لجميع البلاد الإسلامية . ٢- إقامة كتلة إسلامية مستقلة في هيئة الأمم وإقامة هيئة إسلامية منفصلة . ٣- استخدام عملة مركزية منفصلة تتخذ وسيلة لتبادل العملة بين البلاد الإسلامية . ٤- رفع القيود والحواجز على حركة النقل والانتقال بين البلاد الإسلامية . وفي المؤتمر العالمي الإسلامي الذي عقد في مراکش (١٩٥١) جرى الحديث حول الوحدة العربية ، وإنها ليست إلا جزءاً من الاتحاد الإسلامي العام . وأجمعت الآراء على « أن المسلمين يستطيعون المساهمة في قضية السلام وتقدم البشرية على هدى من مبادئ الإسلام وتعاليمه » وأن العالم الإسلامي إذا اتحد أمكن أن يتحول إلى قوة فعالة قد تجعله القوة الثالثة التي يسعى العالم إليها ، ودعا أغا خان المسلمين إلى التعاضد وأعلن الحاجة إلى قيام اتحاد متماسك تام بين شعب هذه الدولة المسلمين . وكان مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد عامي ١٩٤٩ و ١٩٥١ قد جعل من أهم أهدافه : ١- النظر في أحوال المسلمين وما يحيط بهم ثم يتعاونوا على خطة إسلامية تهديهم سواء السبيل وتنجيهم من الاضطراب الذي يعم العالم ومن الشر الذي يهدد ذلك العالم . ٢- محو جميع الفوارق المذهبية والقبلية والوطنية من بين جميع شعوب العالم الإسلامي . وأحكام الرابطة الإسلامية بين الجميع باتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريعة مصدرين للهداية والتوحيد والعمل على تحقيق الاتحاد بين زعماء الشعوب الإسلامية وإدخال عناصر التعليم الإسلامي في جميع مناهج الدراسة . ٣- العدل على نشر لغة القرآن باعتبارها لغة للشعوب الإسلامية عامة في جميع أنحاء العالم . ٤- تأسيس شركات

ووكالات لنشر الأنباء الصحيحة عن الدول الإسلامية وعن شعوبها . ٥- جعل التشريع في أساسه قائماً على المبادئ الإسلامية . ٦-تنظيم الزكاة وتخفيف تكاليف الحياة عن عائق العمال والزراع بتوفير المطعم والسكن والملبس والتعليم والعلاج لهم . ٧-توجيه التعليم في الأقطار الإسلامية توجيهاً إسلامياً حتى يحال بين ناشئها وبين طغيان الجانب المادى في الحياة ، ذلك الجانب الذى تقتضيه طبيعة العلوم التى أصبحت دراستها جزء لا غنى عنه في هذا العالم المملوء بالنزاع والكفاح . أما في البلاد الإسلامية المستقلة فيجب أن يكون التعليم الدينى إلزامياً كافياً مع تسهيل الطرق للباحثين على التعمق في مظاهر الثقافة الإسلامية في كل بلد . ٨-إنشاء مجمع علمى إسلامى دولى يضم إعلام العالم الإسلامى في جميع مجال الثقافة . وكانت المؤتمرات الاقتصادية الإسلامية العالمية تضم بعض هذه المناهج : « المسلمون يؤلفون وحدة جغرافية بالإضافة إلى ما يوجد بينهم من دين مشترك وشعور مشترك و طراز مشترك ، فأكثر الأقطار الإسلامية مناطق متجاورة ، وهناك عامل ثالث من عوامل اشتراك المصالح بين هذه الشعوب ذلك هو طراز اقتصادياتها ، إذ أنها كلها ذات اقتصاديات زراعية لا تزال في مرحلة الزراعة والعمل الهام هو أننا إذا كنا مستقلين نوعاً سياسياً ، إلا أننا لا نزال من الناحية لاقتصادية في قبضة الأمم الغربية القوية ولم يستطع بعضنا حتى بعد الحصول على الاستقلال التخلص من العبودية الاقتصادية .

الخلافة الإسلامية

من أكبر قضايا العالم الإسلامى : قضية الاجهاز على الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ كجزء من مخطط النفوذ الاستعمارى لالتهام مختلف وحدات العالم الاسلامى والقضاء على آخر معقل لتجمع المسلمين وتوحيدهم في وجه الغزو الاستعمارى الزاحف . فقد كان النفوذ الاستعمارى يرى أن الدولة العثمانية هى عقدة الترابط بين المسلمين سواء في داخلها أم بالنسبة للدول الاسلامية خارجها كالهند وأندونيسيا وفارس وأفغانستان لذلك فقد كانت تلك الحملة المرتبة الدقيقة لتحطيم هذه القوة (مهما كانت من الضعف) فقد كانت الدولة العثمانية تجمع عنصريين من أكبر عناصر الاسلام (العرب والترك) وكانت حركة الجامعة الاسلامية التى حمل لواءها جمال الدين الأفغانى شعبياً وعبد الحميد بوصفه خليفة المسلمين وسلطان العثمانيين وهى دعوة مناضلة متحررة من دعوات التجمع للمقاومة والوقوف في وجه الغزو الغربى - ولم

تكن دعوة عدوانية سواء لغير المسلمين في العالم الاسلامي أو الغرب المسيحي - وقد ألح النفوذ الاستعماري وفي مقدمته فرنسا وانجلترا على هذه الدعوة وهذه الدولة بحملات متصلة استمرت منذ ١٨٧١ إلى أن تولى الاتحاديين عام ١٩٠٨ وتحقق إسقاط عبد الحميد عام ١٩٠٩ وقد استطاع النفوذ الاستعماري بمعونة الاتحاديين إسقاط الدولة العثمانية عام ١٩١٨ ثم كان مصطفى كمال بحركته المناهضة للوحدة الاسلامية والاسلام عاملاً هاماً في قطع آخر العلائق وذلك بفضل الخلافة عن السلطة أولاً ثم الاجهاز على الخلافة نهائياً عام ١٩٢٤ .

وبذلك استطاع النفوذ الاستعماري تحقيق آخر أهدافه في القضاء على وحدة المسلمين والدولة العثمانية وتمزيق شمل هذه الوحدات والتهامها والسيطرة عليها والحيولة دون قيام اتحاديينها من أى نوع ، حتى الاتحاديين أجزاء الأمة العربية لقي من معارضة النفوذ الاستعماري والاثار به عنثاً كبيراً بحسبانه أول تجمع في سبيل الوحدة الجامعة . كان إلغاء الخلافة الاسلامية إذن هو خاتمة ما أسماه الاستعمار « الحروب الصليبية » كنتيجة لمخطط وصفه أحد الوزراء الفرنسيين دوجوفار بـ « مائة مشروع لتقسيم تركيا » ولقد كانت قلوب المسلمين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي تخفق ، خلال المعركة التي قادها المحاربون الأتراك في مواجهة الاحتلال الذي قام به الحلفاء بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، وأيدوا كاظم قره بكير وزملائه الذين قادوا حركة المقاومة والتحرير والتي تكللت بالنصر قبل أن يستولى على زمام الحركة مصطفى كمال فيقضى جميع القادة المجاهدين ويضع فوق أكتافه وحده إكليل النصر وكانوا يعلنون تأييدهم لهذا الجهاد شاركين فيه بالمال والأنفس من كل أجزاء العالم الاسلامي ، وكانت الهند أكثر بلاد العالم الاسلامي تأثراً وعملاً وتأيداً ، وكانت أكثرها ثورة على بريطانيا المحتلة للدولة العثمانية : غير أن العالم الاسلامي لم يكن يعرف أن معاهدة لوزان قد ألحقت بها معاهدة سرية قبل بها مصطفى كمال تقضى بتصفية الروح الاسلامية في مختلف مجالات القانون والاجتماع والتربية واللغة وتقبل الأنظمة الغربية قبولاً كاملاً واتجاه الدولة التركية إلى الطابع العلماني الصرف ، ليس المتحرر من الدين فحسب بل المعادى له هذا الاتجاه الذي كان في مقدمة خطراته الاجهاز على الخلافة الاسلامية وإعلان دعوى عريضة تحمل الاعلام اتهامات التأخر والضعف الذي منيت به تركيا وقد أتم مصطفى كمال مشروعه هذا على مرحلتين . الأولى : إلغاء الخلافة الزمنية وإقامة خلافة روحية مجردة عن السلطة . الثانية : إلغاء الخلافة نهائياً . وقد جاشت أقلام الكتاب بنقد بالغ

لحكومة أنقره في أقدامها على إلغاء الخلافة بحسبان أنها ليست ملكاً للأتراك وحدهم ولا أنها خلافة المسلمين جميعاً والترك لا يتجاوز عددهم جزء من المسلمين ، ووصف ما وقع « بأنه بلغ أقصى ما استطاع أعداء الاسلام وأشد ما كانوا به ائثاراً وأعدى ما كانوا عليه عدواناً وأصدق ما كانوا رغبة في الكيدلة والنكاية به أن يبلغوا ما بلغه هؤلاء الكماليون على مرأى ومسمع من المسلمين فاقدام الكمالين على إلغاء الخلافة أكبر جريمة في عهد هذه الدولة على الدولة وأبشع جريمة في تاريخ الاسلام » ووصف عملهم بأنه نقض موثق استمر ثمانية قرون وبعض قرن لم يتوقف المسلمون منذ ذلك عن الدعوة إلى إعادة الخلافة . وكان الأزهر على رأس الهيئات الاسلامية التي حملت لواء الدعوة إلى إعادة الخلافة ، فاجتمع المؤتمر الاسلامي (٢٥ مارس ١٩٢٤) الذي أفتى ببطلانبيعة عبد المجيد الذي كان الكماليون قد نصبوه قبل إلغاء الخلافة ، إيماناً بأن الاسلام لا يغرف الخلافة على النحو الذي تولاهما به عبد المجيد منفصلة عن السلطة ، وأعلن دعوة جميع ممثلي الأمم الاسلامية إلى مؤتمر يعقد في القاهرة برئاسة شيخ الاسلام للبت فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة الاسلامية . ولكن هذا المؤتمر أجل مرة بعد مرة حتى اجتمع في ١٣ مايو ١٩٢٦ دون أن يسفر عن شيء إيجابي ، وذلك أن النفوذ الاستعماري كان قد حطم كل محاولة لاجياء الخلافة ووضع مختلف العراقيين والصعوبات ، وتبارى الملك فؤاد ، وأمان الله خان والحسين بن علي في تولي الخلافة . وكان الانجليز قد أعلنوا معارضتهم الشديدة لعودة الخلافة الاسلامية في أى صورة من الصور وكانوا يعملون على تعقيد المساعي المبذولة في إعادتها بوسائل ملتوية خفية . وقد أدى التدخل الاستعماري والنفوذ الأجنبي إلى خلق جبهة معارضة للجبهة التي ترشح الملك فؤاد ، فانقسم علماء الأزهر بين مؤيدين ومعارضين ، وكان الخلاف بين الملك فؤاد وسعد زغلول عاملاً من عوامل الصراع وكان سعد زغلول منذ بدء حياته السياسية معارضاً للجامعة الاسلامية ، وظن أن الانجليز يدفعون الملك فؤاد لترشيح نفسه للخلافة تحقيقاً لمشروعهم القديم : مشروع الخلافة العربية . ووقفت الصحافة نفس الموقف ، فهاجمت جريدة السياسة لسان حزب الأحرار الدستوريين موقف المعارضة . وشاركتها صحف الوفد . وانتهى المؤتمر المنعقد في ١٣ مايو ١٩٣٦ إلى قرار يقول : « إن الخلافة الشرعية المستجعة لشروطها المقررة في كتب الشريعة الغراء ، التي من أهمها الدفاع عن حوزة الدين في جميع بلاد المسلمين وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء فيها لا يمكن تحقيقها بالنسبة للحالة التي عليها المسلمون الآن . » وعمد

حزب الأحرار الدستوريين في سبيل معارضة اتجاه الملك فؤاد إلى تولي الخلافة بأن كلف أحد رجاله (على عبد الرازق) أن يضع بحثاً مراوفاً يحمل طابعاً علمياً فقهيّاً يقرر فيه وجهة نظر السياسة ، وقد اعتمد على عبد الرازق على المؤلفات التي نشرها حكام تركيا يعززون بها موقفهم من إلغاء الخلافة وكان مجمل هذه الآراء تقول بأن الخلافة ليست نظاماً إسلامياً خالصاً . بينما وقف رشيد رضا ومصطفى صبرى ومحمد بخيت في مواجهة هذا الرأي كاشفين عن حقيقة مفهوم الخلافة في الاسلام . وفي الحق أن كتاب على عبد الرازق لم يكن يهدف إلى إعلان رأى في الاسلام خالصاً لوجه العلم بقدر ما كان يهدف إلى استغلال فقه الاسلام وتشريعه وتاريخه إلى تأييد رأى باطل ن الخلافة ، هذا الرأى ليس له أهمية ولا خطر إلا بقدر ما يتعرض لأصل من أصول الاسلام وهو قوله بالباطل أن الاسلام دين روى لا صلة له بالمجتمع ولا بالسياسة منكرأ أكبر معلم من معالم الاسلام الذى يختلف اختلافاً أساسياً عن الأديان الأخرى . ولم يكن لهذا الرأى الذى ارتاه على عبد الرازق ليرجح كفة سياسية على كفة أخرى ، أى أهمية أساسية لولا أنه من الآراء التى تلقفها المبشرون ودعاة التغريب وأعطوها أهمية كبرى في إثارة شبهة من أخطر الشبهات وهى أن الاسلام دين لا صلة له بالمجتمع ولا السياسة ، وقد حاولوا أن يعتدوا بهذا الرأى الفرد الذى لم يصدر في مجال بحث علمي ولم يلق من العلماء أى تأييد أو تقدير ، ولم يقبل به جمهرة العلماء المسلمين أو يرتضوه ، والذى كان في حقيقته صادراً عن غرض سياسي وذائق لم يكن يراد به وجه الله والعلم والحق . وقد واجه الشيخ مصطفى صبرى جميع الحجج التى ساقها مصطفى كمال وحكومة أنقره متعللين بها لإلغاء الخلافة ، كما كشف عن الدوافع الحقيقية والاسباب الخفية لهذا العمل وقال إن السبيل للإصلاح كان ممكناً بتبديل المصلحين بالمفسدين لا تبديل الشريعة والدين وفصل الدولة عن الدين . وقد دحض الشبهات التى أثارت حول الدين والحرية : موقف الاسلام منها فقال أن الاسلام لا ينافى الحرية والاستغلال أن تكون حكومته ممنوعة من التخطى ما وراء حدود الدين . وأن المقصود بالحرية هو الأمم تجاه الحكومات لا حرية الحكومات في القيام بأمور الأمة . وكشف عن أن الاتحاديين هم الذين زجوا بتركيا في الحرب على غير رغبة السلطان وعلى غير رغبة كثير من المعارضين ثم وقعوا عقد الاحتلال ومع ذلك كله فهم يلومون الخليفة لاستسلامه لعواقب هذه الهزيمة التى جلبوها عليه بأيديهم . وأورد الشيخ مصطفى صبرى أدلة العارف الخبير بالأمور عن أن الكمالين

الذين حكموا بعد الحرب العالمية الأولى هم والاتحاديون الذين حكموا قبل الحرب وبعد خلع السلطان عبد الحميد حزب واحد وأن الخلاف بينهم ليس خلافاً على المبادئ ، ولكنه خلاف شخصي مبعثه التنافس على الزعامة وكلاهما يستند على السلطة العسكرية في زعامته وعنده أنهم المسئولون عن ضياع الامبراطورية العثمانية منذ وضعوا أيديهم على الدولة بعد خلع عبد الحميد . وكشف مفتي الاسلام العثماني عن علاقة مصطفى كمال بالانجليز فقال إن الانجليز قد تشددوا في معاملة السلطان وحيد الدين حتى أعجزوه ثم تساهلوا بعد ذلك مع مصطفى كمال ليجعلوا منه بطلا فتعظم فتنته في أبصار المسلمين وبصائرهم «والرجل من لا تجد الانجليز مثله ولو جدت في طلبه ، من حيث أنه يهدم ماديات الاسلام ومن أدبياته في يوم مالا تهدم الانجليز نفسها في عام فلما ثبتت كفايته وقدرته من كل الجهات استخلفتها لنفسها وانسحبت من بلادنا » وإذا كان مؤتمر الخلافة عام ١٩٢٦ في مصر ومؤتمر مكة في نفس العام لم يسفر عن شيء في أمر الخلافة فإن البحث في أمر الخلافة لم يتوقف ثمة وإلى أمد طويل ، فاتجهت الأنظار إلى مصر ، واتجهت إلى الجزيرة العربية ، وأثبتت جمعية الشبان المسلمين في برنامجها الذي أعلنته سنة ١٩٢٧ أن من أهم أهدافها «إعادة الخلافة» . كما أثبتت ذلك عديد من الجمعيات الاسلامية التي انبثقت من جمعية الشبان المسلمين ، وتناول الدكتور عبد الرازق السنهوري هذا الموضوع الخطير في رسالة الدكتوراه التي قدمها إلى جامعة باريس في هذه السنوات تقريباً تحت عنوان «الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية» ، كتبه عقب سقوط الخلافة وقد كان التساؤل بسم العالم الاسلامي كله وهو ماذا بعد الخلافة من رابطة تجمع المسلمين وتعيد وحدتهم . وقد وصل الدكتور السنهوري في بحثه إلى أن يتطور نظام الخلافة فيصبح عصبة أمم شرقية . وكان مجمل رأيه هو أن تشتد القوميات وتبلغ الرشد وتصبح قادرة على أن تكون نوعاً من الوحدة بين الأمم بعد أن تكون قد أصبحت أمماً ، وهذه عبارته : «حتى إذا توافرت لكل قومية كياناتها وحرياتها الداخلية كان من الطبيعي أن تفكر هذه القوميات المختلفة في التعاون والتضامن على أساس نوع من الوحدة لا يزالون حتى الان يتلمسون إليه السبيل» . ثم يتساءل : أيحسن التفكير في تكون المجموع قبل استكمال الأجزاء لمقوماتها أو يحسن ترك الأجزاء تستكمل ذاتيتها ثم التفكير بعد ذلك في تكوين المجموع ، فلتترك الشرق تستكمل كل قومية فيه مقوماتها ، ولكن لتنفخ في هذه القوميات روحاً شرقية واحدة ، تسترشد بها كل أمة في نهضتها الوطنية

حتى يسود التآخي والتعاون فيما بين هذه الأمم ويسهل بعد زمن قريب أو بعيد أن تحقق نوعاً من الوحدة في الشرق لا تزال أوروبا تتلمس الطريق إليه . « وعرض السيد رشيد رضا لأمر الخلافة وقال : إن إقامة الخلافة الإسلامية يسوء رجال دول الاستعمار وأنهم قد يقاومونها بكل ما أوتوا من قوة وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية . وقد عاد البحث في أمر الخلافة من جديد قبيل الحرب العالمية الثانية وحوالي سنة ١٩٣٠ وتعددت فيه الآراء . وكان من رأى الدكتور عبد الحميد سعيد أن الخلافة الإسلامية في الشرق لازمة للإسلام والمسلمين . وإنها في العصر الحاضر ألزم منعها في أي عصر مضى ، غير أن تقدير ما تحمله فكرة الخلافة من قبل الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وتعددت فيه الآراء وكان من رأى الدكتور عبد الحميد سعيد أن الخلافة الإسلامية في الشرق لازمة للإسلام وأنها في العصر الحاضر ألزم منها في أي عصر مضى ، غير أنه يقدر ما تحمله فكر الخلافة من تهديد لسياسة أوروبا الاستعمارية والقضاء على أطماعها في الأمم الإسلامية والتي عمل الغرب زمناً طويلاً على تمزيق شملها ليصل إلى ما وصل إليه . ذلك أن الذي يربع أوروبا حقاً ويخيفها أن قيام الخلافة يؤدي إلى اتحاد الأمم الإسلامية وتعاونها في سبيل نهضتها ونهضة الشرق كله وهذه النهضة إذا قويت باتحاد الأمم الإسلامية تحطمت مطامع الدول الأوروبية وشهواتها الاستعمارية . « وإذا كانت هذه وجهة نظر ، فإن هناك دائماً وجهة النظر الأخرى المعارضة يحمل لواءها كتاب سياسيون لهم ارتباطهم بأحزابهم وما وراء الأحزاب من علاقات دولية . فعبد القادر حمزه يرى أن الخلافة في مصر تكون مصدر خطر عليها من الدول القوية ، وأن الخلافة ستجد من يعارضها كتركيا والمغرب الأقصى ولا فائدة من قيام نظام لا يعترف به الجميع ويقول : « ولا ريب أن الخلافة في مصر تستدعي أن تصبح حكومتها دينية ، ومعنى هذا أن جميع القوانين التي صارت عليها منذ ستين عاماً يجب أن تتغير ، وتوضع بدلا أحكام شرعية تسرى على المصريين والأجانب ، وهذا العمل يناهى ما ارتبطت به مصر في المعاهدة المصرية البريطانية فقد نصت هذه المعاهدة على أن أي تشريع مصرية يطبق على الأجانب يجب أن لا يتنافى مع المبادئ المعمول بها في التشريع الحديث . « ويورد عباس العقاد قريباً من هذه العقبات ويضيف إليها أعباء الخلافة التي تتحملها ميزانية مصر وفي مجال نقد واقع الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية عرض عبد العزيز جاويز ورشيد رضا إلى ما وصلت الخلافة من انحراف عن مفهوم الإسلام حين نقل العثمانيون مفهوم البابوية

والامبراطورية وفي هذا يقول رشيد رضا « ليس في الاسلام فوق الشرائع والأحكام أمير ولا خليفة ولا سلطان ، فقد قلدت تركيا أوربا في شتى القوانين الرومانية قاعدة تقول بأن الخلفاء فوق القانون والشرائع فأصبح الخلفاء بهذا خلفاء رومانيون لا خلفاء اسلاميون » . ومن ذلك ما أشار إليه عبد العزيز جاويز حين ناقش مصطفى كمال في أمر الخلافة حين قال : « إن الأعاجم أفسدوا أمر الخلافة بما دست الباطنة وبما أفرط التترك والفرس في الغلو باطراء الخلفاء حتى فتحوا لهم باب الاستبعاد وقهروا الأمة على الخنوع ، وقد كان تقديس الخلفاء العثمانيون سبباً لاسقاط دولتهم » . كما دافع الفاتيكاني عن اتهام جرىء طالما رددته الكماليون وهو أن ما وصلت إليه الدولة العثمانية من تأخر إنما كان مرجعه إلى الاسلام . والاسلام برىء مما وصلت إليه تركيا وأنه لا علاقة بين الاسلام وما اضطربت به الدولة من استعداد وفساد الاسلام لا يؤيد الاستبداد ، ولكنه يشجعه ، ولذلك فان الرأي القائل بأن النهضة لا تتم إلا بترك التقيد بالاسلام في حكومتهم لم يكن رأياً منصفاً . وأعجب الظن أنه كان بإغراء النفوذ الغربي الطامع في أن يقضى على الطابع الاسلامي وهدمه بعد اتهامه وإلصاق شبهة التأخر به . وبعد فاننا نصل من هذا العرض التاريخي إلى حقيقتين : الأولى : أن الخلافة هي بؤرة الجامعة الاسلامية ، وأن الجامعة الاسلامية يمكن أن تقوم أولاً ثم تنبثق منها الخلافة ، وأن حركات التحرر والوحدة والتقارب التي تجري اليوم في عالم الاسلام يمكن أن يتحقق من خلايا نظام جامع للدول الاسلامية ترتبط به ثقافياً واجتماعياً قبل أن ترتبط به سياسياً وعسكرياً . ثانياً : أن المسلمين بعد إلغاء الخلافة لم يتفرقوا أيدي سبا وأن الهدف الذي كان يطمع فيه النفوذ الاستعماري قد فشل تماماً ، وأن العالم الاسلامي قد تلاقى على مستويات كثيرة سواء في مجال الوحدة العربية أو الوحدة الثقافية العامة ، وأن الفكر الاسلامي ما زال هو المصدر الأول للثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية الاسلامية . وإذا كانت الخلافة قد سقطت بعمل سياسي استعماري دفين أخفى أمره طويلاً وبدقة وراء غلالات وتمويهات ، فإن المسلمين قد بدت أمامهم الحقائق سافرة وتنبهوا لما يراد منها فسارعوا إلى اتخاذ وسائل أخرى تحل محل الخلافة فاندغمت رابطتهم في مؤتمر الحج السنوي وفي الاتجاه نحو الأزهر ، وفي مؤسسات مختلفة تقوم الآن بالربط بين المسلمين على صعيد الفكر والثقافة والتعليم . وزاد من قوة هذه الروابط تحرر دولتين كبيرتين بعد الحرب العالمية الثانية : هما الباكستان وأندونيسيا وعشرات الدول الأخرى

ذات الأغلبية المسلمة في جنوب شرق آسيا وأفريقيا ، وكانت أزمة فلسطين والصهيونية عاملاً بعيد المدى في التقارب والالتقاء وخاصة بعد سقوط القدس في يد الصهيونية وقد دفعتهم الأزمات إلى نسيان خلافاتهم وتقريب مفاهيمهم والالتقاء على الاسس وخاصة فيما يتصل بالسنين والشيعيين والأكراد والعرب والبربر فقد توثقت الصلات وازدادت عمقاً ونفت حدة الخصومات والخلافات التي أججها الاستعمار والنفوذ الغربي خلال فترة بين الحربين . كما كشفت الوقائع حقائق كانت مطمورة عن السلطان عبد الحميد : الواقع أن تاريخ السلطان عبد الحميد لم يكتب بعد إلا من جهة واحدة ، هي جهة خصومه وأعدائه من اليهود والاستعماريين والغربيين وأتباعهم من أصحاب الأفلام التي تكتب باللغة العربية كأصحاب المقطم وسركيس وغيرهم وكتاباتهم عن السلطان فيها كثير من المبالغة الصادرة عن الخصومة الشخصية أو المذهبية . ومفتاح تصحيح شخصية السلطان عبد الحميد إنما يتصل بنقطة واحدة هي : موقفه من الصهيونية ومقاومته لها ، وتآمر الصهيونية مع النفوذ الأجنبي على إقصائه .

فالنفوذ الأجنبي قد أحس بالعمل الخطير الذي أزعج أوروبا وهو دعوة عبد الحميد للمسلمين أن يتجمعوا في جامعة إسلامية تواجه الزحف الاستعماري وأن هذه الدعوة وجدت استجابة تحت تأثير الغزو العسكري والسياسي الذي كان يجتاح جميع أجزاء العالم الاسلامي ولم يجد المسلمون نقطة اللقاء أو عروة تجمع إلا في الدولة العثمانية التي تضم العرب والترك ومن هنا كان الضغط شديداً على هذه العروة لفصمها وتمزيقها وقد ضاعفت من هذا العمل ما تطلعت إليه الصهيونية بعد عقد مؤتمر بال ١٨٩٧ من الزحف على فلسطين والاستيلاء عليها ومقاومة السلطان لهذا العمل . وتبدأ نقطة الحملة عليه من اصطفاء النفوذ الأجنبي للاتحاديين وإعدادهم للسيطرة على الدولة العثمانية ، وقد نمت الحركة الاتحادية في أحضان المحافل الماسونية التي أقامها الصهيونيون كوحدات متنقلة للعمل والتي كانت مبعثرة في سالونيك وصلة الاتحاديين باليهود مؤدكة وثابتة وليس هناك سبيل إلى دحضها . وقد بدأ الاتحاديون عملهم من نقطة التمزيق بينما كان يعمل عبد الحميد من نقطة الوحدة ، وكانت الدعوة الطورانية هي رسالة تمزيق الامبراطورية والقضاء على الجامعة الاسلامية وإيقاع الخصومة الدموية بين العرب والترك ، وقد صاحب الدعوة الطورانية مفاهيم غريبة جريئة تعارض القيم الاسلامية أساساً وتهاجمها في عنف وتدعو إلى العلمانية واللا دينية واللاحاد وشجب الدين

من المجتمع أساساً وقد أشار الذين تعرضوا لهذه القضية أن السلطان عبدالحميد كان يخشى من أن يؤدي إصدار الدستور إلى تسلط هذا التيار ، ومن هذا يبدو أن السلطان عبد الحميد كان ضحية المطامع الصهيونية من ناحية والنفوذ الغربي من ناحية أخرى . وقد جرت على أقلام الكتاب عبارة « الاستعمار التركي » بالنسبة للعرب وهي كلمة غريبة دخيلة وليست صحيحة فلم تكن الرابطة الجامعة للعرب والترك في الدولة العثمانية « استعماراً » بقدر ما كانت « امتزاجاً » على أساس مفهوم الرابطة الاسلامية وحدها ، ويمكن أن يقال إن النفوذ الغربي هو الذي مزق هذه الرابطة بإثارة الدعوة الاقليمية المنبثقة من إحياء تراث طوران وجنكيزخان وهي دعوة حمل لوازمها كتاب معروفون في هذا الوقت في مقدمتهم ضياء كوك الب وسيد بلك وأحمد أغايف ويوسف أقشورا وأغا أوغلي أحمد وحمدالله صبحي وجلال نوري ، وقد كان هدف هذه الدعوة في ظاهره العمل على إخراج الدولة العثمانية من التأخر والجمود والعزلة ، غير أن النفوذ الغربي الكامن وراءها والمغذى لها كان طامعاً في أن يحقق بها أهدافه جميعاً التي تحققت فعلا بعد الحرب العالمية الأولى وهي : (١) القضاء على الجامعة الاسلامية والخلافة . (٢) القضاء على الدولة العثمانية .

(٣) السيطرة على البلاد العربية واحتلالها . (٤) نقل تركيا من دولة ذات طابع إسلامي إلى دولة غربية الطابع . وقد عمدت جمعية الاتحاد والترقي - التي سيطر عليها الدوغة (يهود سالونيك) من الداخل وحولوها عن أهدافها إلى خدمة أغراضهم وذلك حين أفسموا لها عقد ندواتها في المحافل الماسونية ، إلى تأليف الجمعيات واللجان ونشر الكتب الطاعنة في الاسلام الداعية إلى التحول إلى الرابطة الطورانية بدلا من الاسلام وكانت لهم أناشيد قصائد ينشرونها سرا . وقد استطاعوا بقوة النفوذ الاستعماري من اسقاط عبد الحميد وكان قره صوه اليهودي الذي اشترك في مفاوضة السلطان واغرائه بالملايين لمنح اليهود حق دخول فلسطين واحداً من الذين اشتركوا في خلعه علامة على إعلان أثر اليهود في خلع الرجل الذي عارض نفوذهم ويمكن القول بأن الفترة التي بدأت من تاريخ تركيا بخلع عبد الحميد وتولى الاتحاديين للحكم هي الفترة التي اجتمعت فيها إدارة الحاكمين والاستعمار على تصفية الدولة العثمانية وابرار طابع الجامعة الطورانية وإبلاغ العلاقة بين الترك والعرب أشد مراحلها عنفاً وقسوة مما مهد بزوال الدولة وإلتهام الغرب للأجزاء العربية ومنح اليهود وعد بلفور الذي يعطيهم الحق في إقامة دولة فلسطين . في ضوء هذه الملاحظات يمكن النظر إلى موقف

السلطان عبد الحميد من التاريخ بعين الانصاف وفي السنوات الأخيرة أخذت تظهر وثائق كثيرة تكشف حقيقة هذا الرجل وتدفع عنه كثيراً مما شاب اسمه من اتهامات وشبهات ألصقتها به النفوذ الاستعماري والصهيونية على السواء .

الباب الثالث

(١)

الأمة العربية ومصر العربية الاسلامية

« الأمة العربية » حقيقة واقعة ملموسة بوضوح في تاريخ المسلمين منذ فجر الاسلام إلى اليوم ، لم تختف يوماً وإن جنحت إلى الضعف والانطواء في فترات قليلة . وفي العصر الحديث وحيث ضعفت قوة الوحدة الاسلامية القائمة على الرباط بين الترك والعرب ، برز دور الأمة العربية من جديد في مجال اليقظة والاصلاح ، وعاد العرب إلى تسلم مقاليد مركزهم الاجتماعي والحضاري في بناء العالم الاسلامي . ويمكن القول أن عوامل اليقظة الفكرية والاجتماعية في العالم الاسلامي كله قد بدأت من قلب الأمة العربية ، ومن قلب الجزيرة التي انبثق فيها ذلك الضياء الوهاج ، ولقد ظل العرب أو فياء الوحدة الاسلامية حفاً عليها حتى اضطهرم الاتحاديون - وليس الأتراك جميعاً - إلى الانفصال ورفع لواء الثورة . كان العرب يطالبون بحقوقهم - حق الأمة - من خلال الرابطة الاسلامية والدولة العثمانية وكانت حركاتهم جميعاً تستهدف قيام نظام لامركزي يقيم لهم حكومة مستقلة داخل إطار الدولة العثمانية ، وكانوا يؤمنون بالوحدة في مواجهة الغزو الزاحف ، فلما ضعفت الدولة العثمانية بعد سقوط السلطان عبد الحميد وغلب طابع الاتحاديين مستهدفاً الدولة العثمانية والقضاء على الرابطة الموحدة بين العرب والترك خدمة للنفوذ الأجنبي الراغب إلى تمزيق هذه الأواصر وابتلاع هذه الأجزاء ، اتجه العرب إلى إقامة حركة المقاومة من خلال وحدتهم كآمة ، وهذا هو المفهوم الحقيقي للوحدة العربية كما فهمها العرب ، الذين أحسوا بأن كيانهم الذاتي قد بدأ يصيبه خطر كبير نتيجة الدعوة التي حمل لواءها الاتحاديون وهي « الجامعة الطورانية »

وهي جامعة تقوم على الجنس والدم وتحاول أن تجمع العناصر الطورانية في قومية واحدة كما أحس العرب بخطر يواجه كيانه من حيث غزو اللغة التركية في مجال المدرسة والتعليم والمحكمة والمجتمع . ومن خلال العمل الدائب على « تتركب العناصر » الداخلة في الدولة العثمانية ومن بينها العرب . كان هذا هو التحدى الخطير الذى واجه العرب ، ودفعهم إلى التجمع من حول فكرة الوحدة العربية . وقد تمت الدعوة وتطورت حيث ضعفت الدولة العثمانية وزادت تحديات حكامها الاتحاديين للعرب حتى علقوا على المشائق في دمشق وبيروت عام ١٩١٦ فكان هذا هو الحد الفاصل بين الوحدة العربية وبين الدولة العثمانية ، ثم توالى الأحداث وظل كثير من العرب خلال الحرب العالمية الأولى - وقد دخلها العثمانيون إلى جوار ألمانيا - يحذرون من انتفاض على الدولة حرصاً على تقوية الفرصة على النفوذ الاستعماري الذي انتفع وحده من هذا الخلاف والذي خدع العرب حين دعاهم إلى الانضمام لصفه في مقابل إقامة دولة عربية لهم بعد الحرب ، ثم لم يلبث الخلفاء أن خفروا عهدهم واحتلوا البلاد العربية وسيطروا عليها وأقاموا حكم الاحتلال والانتداب الوصاية على معظم هذه الأجزاء ، ووجد العرب أنفسهم قد وقعوا في براثن وضع استعماري أشد قسوة من الوضع الذي كانوا يشكونه في الدولة العثمانية . ولما سقطت الخلافة عام ١٩٢٤ وانطوت الدولة العثمانية كانت مرحلة الدعوة إلى القوميات في العالم الإسلامي كله قد أخذت تلعب دوراً خطيراً وتمثل مرحلة جهيرة ، وواجه الاستعمار الأمة العربية بالتحدي فأثار في مختلف أجزائها دعوات إقليمية ضيقة ، سميت بالقومية المصرية والقومية السورية وحملت لواء الارتباط بالماضى التاريخي الغامض البعيد السابق على ماضيها الإسلامي الحى ، فنشرت دعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والبربرية في المغرب وعلت هذه النصبحة التي كانت في أول أمرها عاملاً من عوامل المقاومة الوطنية وطابعاً ضرورياً في مرحلة مقامة الاحتلال الذي كان يلقي إلى كل هذه البلاد شبهات تقول بأنهم ليسوا « أمة » فالمصريون ليسوا أمة والعرب ليسوا أمة ، كما حاول الاستعمار عن طريق المدارس والكتب والصحف أن يقول بأن هذه البلاد عاشت منذ أول التاريخ في احتلال : احتلها الفرس والرومان ووصف العرب بأنهم محتلون ، وهكذا أثيرت دعوات إقليمية خطيرة ، وفرضت قيود كبيرة تحول دون التقاء هذه الأجزاء العربية معاً ، واستسلمت الأقطار لهذه الدعوات في مرحلة « الوطنية » حيث كان الصراع دائراً بين المستعمر وأهل القطر الواحد ، فكانوا يتشبثون بالوطنية ويتخذون من تاريخهم الخاص وسيلة للمقاومة

والاستعلاء ، فكان المصريون حين يدعون إلى الفرعونية في هذه الفترة إنما يريدون أن يقولوا إن لهم ماضياً وتاريخاً يبلغ خمسة آلاف سنة من العمر وأنه أقدم من تاريخ بريطانيا وأمريكا جميعاً . وفي العراق والشام بأجزائه (فلسطين وسوريا ولبنان) كانت الدعوة تحمل طابع الماضي العربي ثم تذهب إلى مرحلة ما قبل تاريخ الإسلام فتحاول التفاخر بالفينيقية والآشورية وخلق كيان محدود ، وكانت دعوة المصرية في مصر في هذه الفترة تحاول أن تنفصل عن الأمة العربية والفكر الإسلامي جميعاً وترتد إلى ماض من الفرعونية غير واضح التاريخ أو الثقافة أو التراث وفشلت هذه الدعاوات جميعاً في مصر والشام والمغرب ، واهتدى العرب إلى أن رابطتهم بالإسلام وتاريخه هي أقوى هذه الروابط ومنها ينبعث كيانهم الحقيقي ووجودهم الواضح المؤصل .

وكانت مسألة الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان والجزائر ومراكش وتونس ، والاحتلال البريطاني لمصر والسودان والعراق والجنوب العربي والاحتلال الإيطالي لليبيا ، هذه مسألة الجهاد الذي لم يتوقف بالكلمة والمفاوضة والدعوة إلى الحرية في حركات متصلة لم تتوقف . وقد سبقتها مرحلة الكفاح المسلح والجهاد المحارب على أيدي : عبد القادر الجزائري في الجزائر ، وأحمد عرابي في مصر ، والمهدي في السودان ، والسنوسي في ليبيا ، وعبد الكريم في المغرب الأقصى . غير أن هناك قضية أخرى كانت أخطر من ذلك كله : هي قضية الغزو اليهودي لفلسطين والذي اتخذ خطواته الأولى منذ سنوات طويلة بعد عقد مؤتمر بال ١٨٩٧ والمفاوضات التي جرت بين هرتزل والسلطان عبد الحميد والتي قضت على آمال اليهود في فلسطين والتي عمد الاستعمار والصهيونية إلى تحقيقها بإسقاط عبد الحميد وفتح الطريق إليها في ظل نفوذ الاتحاديين إلى روتشلد عام ١٩١٨ والذي كان نقطة تحول خطيرة في الوجود العربي حيث أقام فاضلاً بشرياً بين جزئي الأمة العربية الأفريقي والآسيوي وفي أخطر موقع على البحر الأبيض المتوسط وعلى البحر الأحمر وفي نفس المنطقة التي سيطرت عليها الحملات الصليبية وقد تدافعت خطوات هذا الغزو في العصر الحديث حيث انتهى باحتلال الصهيونية لفلسطين ١٩٤٨ واحتلال القدس ١٩٦٧ وتشكيل أخطر تحد واجه الأمة العربية . هذا الخطر كان علامة القوة في التركيز على الوحدة العربية ، حيث بدأت هذه الحركة تتضح وتستحصد حتى بلغت مرحلة هامة من مراحلها بقيام الجامعة العربية ١٩٤٦ (قبل احتلال الصهيونية للقدس بعامين) ثم انتقلت حركة الوحدة العربية إلى مرحلة أشد قوة

وعمقاً منذ عام ١٩٥٦ عندما أعلنت مصر أنها جزء من الأمة العربية. وتصدرت لقيادة الحركة العربية بالاشتراك مع الهيئات العاملة في مجال الوحدة العربية في سوريا والعراق والأردن . وقد حققت هذه الحركة خطوات بعيدة المدى في سبيل البناء القوي العربي ، ومن خلاله حدثت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا التي أعطت العمل العربي خبرة واسعة ، ثم اتسع نطاق الحركة العربية حتى شمل العالم العربي كله .

مصر : العربية الإسلامية

ولقد كانت مصر دوماً قلب الأمة العربية ومنار العالم الإسلامي كله ، وذلك بوجودها الجغرافي والتاريخي والثقافي الفريد ، ومن هنا فقد حرص الاستعمار والنفوذ الأجنبي على التذكيز عليها منذ وقت بعيد ، حيث زحفت الحملة الفرنسية ١٧٩٨ لاحتلالها ثم ارتدت عنها ثم تبعها حملة فريزر الانجليزية ، ثم كان إنشاء قناة السويس عاملاً هاماً وخطيراً في مكان مصر من أطماع النفوذ الاستعماري الزاحف الذي قضى على الحركة الوهابية في الجزيرة العربية وحركة محمد علي في مصر ، وهما حركتان كانتا من عوامل اليقظة العربية ، ثم كان احتلال فرنسا للجزائر ١٨٣٠ واحتلال إنجلترا لمصر ١٨٨٢ مقدمة لاحتواء هذه المنطقة داخل النفوذ البريطاني افرنسي . ومن ذلك فقد ظلت مصر هي قلب الأمة العربية بالرغم من الدعوات التي دعت إلى تمصيرها ، وظلت منار العالم الإسلامي لوجود « الأزهر » وهو ثالث القوى الإسلامية في هذه الفترة : حيث مكة هي قبلة المسلمين والدولة العثمانية مقر الخلافة الإسلامية وكانت مصر مقر الأزهر مصدر الثقافة العربية الإسلامية . ولقد لعبت مصر دورها على المدى الطويل في حركة الغزو الفرنسي ، وفي مقاومة استبداد محمد علي وفي الثورة العربية وفي ثورة ١٩١٩ وكان الأزهر هو مصدر . مع هذه الحركات ومعضلها وكانت مفاهيم الفكر الإسلامي في العالم كله هي مصدر حركات المقاومة والتجمع والوحدة ، ولقد كانت مصر رابطة جامعة للدعوات والحركات التحريرية تؤمن بأنها مصرية وعربية وإسلامية في مجال الأرض كانت تؤمن بالأمة العربية ورابطتها الأكيدة معها ، وفي مجال الفكر كانت تؤمن بالإسلام التي تربطها بالمسلمين في كل مكان . وفي العصر الحديث دعمت مصر دورها في هذه المجالات عن طريق هيئاتها العربية والإسلامية فهي مقر الأزهر ومقر الجامعة العربية ومقر الهيئات الإسلامية المختلفة (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومجمع البحوث والمؤتمر الإسلامي) وقد

ربطت نفسها بالعالم الإسلامي كله ، فلها طريقها إلى الدول الأفريقية المسلمة وطريقها إلى الدول الأفريقية المسلمة. وطريقها إلى أرخبيل الملايو وطريقها إلى تركيا وباكستان والهند. وإندونيسيا وأفغانستان ، تؤدي دورها القيادي الإسلامي الحضاري بالنسبة للأخوة الإسلامية والوحدة العربية فهي لم تتخل قط عن إيمانها المصري مثلاً في الوطنية والعناية بالتراث الفرعوني والقبطي ، ولم تتخل عن دورها القوي في الإيمان بالعروبة وروابطها مع الأمة العربية ولم تتخل عن دورها الإسلامي في الأخوة الإسلامية مع المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وشاركت في مختلف المؤتمرات والحركات والدعوات التي حملت لواء التحرر والوحدة والمقاومة وتصفية الاستعمار وتحرر الشعوب بإيمان صادق أكيد .

(٢)

الوحدة العربية والدعوات الاقليمية

عاش المسلمون في تاريخهم الحديث بين ثلاث روابط :

١- الرابطة الإسلامية العامة . ٢- الرابطة القومية المرتبطة بالأمة وبالقوم . ٣- والرابطة الوطنية المتصلة بالوطن والأرض . أما الرابطة الإسلامية العامة فقد كانت تتمثل في مفهوم فكرى واحد يجمع المسلمين قوامه الإسلام نفسه : دين الأغلبية الساحقة في العالم الإسلامي ، ولذلك وصفت هذه الرابطة بأنها رابطة دينية أو جامعة دينية في مواجهة الرابطة الأخرى التي بدأت تغزو المجمع الإسلامي وهي الرابطة القومية أو كما كانوا يطلقون عليها الجامعة الجنسية . ولقد كان الصراع بين الجامعتين الإسلامية والقومية طويلاً وبعيد المدى وقد مر بمرحلتين : المرحلة الأولى خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى ، وقبل سقوط الدولة العثمانية وقد تمثل في هذه المرحلة في دعوتين . دعوة الجامعة الإسلامية التي تحمل لواءها الدولة العثمانية خلال حكم السلطان عبد الحميد الذي انتهى عام ١٩٠٨ وهي دعوة الإسلام بحسبانه جامعة لأهله ليس داخل الدولة العثمانية وحدها وإنما للمسلمين عامة من حيث أن الدولة العثمانية تحمل لواء الخلافة . وقد كانت هذه الدعوة دعوة ضرورة في هذا الوقت بالذات حينما اتسع نطاق الغزو الاستعماري الزاحف وتوالى سقوط الوحدات الإسلامية في قبضة النفوذ الغربي ، فكان إعلان شعار الوحدة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية إغمايستهدف .

تتجمع المسلمين ومقاومتهم وقيام جبهة صامدة قوامها الدولة العثمانية التي تضم عنصرى العرب والترك إلى باقى المسلمين فى الهند وأفغانستان وإيران وأفريقيا وأرجيل والملايو . أما دعوة الوحدة العربية ، أو الجامعة العربية ، أو القومية العربية ، أو الجامعة الجنسية فإنما كانت قد برزت أساساً من خلال الاتجاه الذى نما فى الشام بالذات ومن خلال منابر الإرساليات الغربية وبثته بيروت بالذات ولها وضعها الخاص القائم على أنها كيان مستقل داخل الدولة العثمانية ، وكانت الدعوة إلى العروبة إنما تعنى تمزيق الرابطة السياسية القائمة بين العرب والترك فى كيان الدولة العثمانية ، ولم تكن الدعوة فى هذا الوقت وبالصورة التى برزت بها نتاج طبيعى وإنما كانت محاولة أولى لإعلاء شأن الجنس والدم والعرق رغبة فى تمزيق وحدة العناصر المختلفة التى تضمها الدولة العثمانية وفى معارضة وتضارب مع حركة الجامعة الإسلامية التى دعا إليها جمال الدين الأفغانى وحاول تحقيقها السلطان عبد الحميد . ولم يكن غاية الدعاة إلى تحقيق مطالب العرب إلى أبعد وقت بعد ذلك تطالب بأكثر من حكم قوامه اللامركزية أو خلق وضع عربى مستقل داخل كيان الدولة العثمانية ، أو على أكثر تقدير ما دعا إليه عزيز المصرى وزملاؤه من أن يتم إقامة كيان عربى داخل اتحاد فدرالى تكون قيادته عثمانية (أى عربية وتركية) يبقى به وضع الدولة العثمانية قائماً وجامعاً بين الترك والعرب . ولقد اقترب العرب كثيراً من الجامعة الجنسية أو الوحدة العربية ولكن ذلك إنما تم على مراحل طويلة ولم يبرز فى صورة واضحة إلا بعد سقوط السلطان عبد الحميد وانطواء دعوة الجامعة الإسلامية وزاده قوة وتأكيدهم تمزيق الاتحاديين للرابطة التركية العربية ودفعها إلى آخر مراحل الخلاف والصراع والتمزق بتعليق أحرار العرب على المشانق . ثم كانت الدعوة إلى الوحدة العربية ضرورة حتمية بعد أن مزق الغرب الأمة العربية إلى دول وكيانات إقليمية منفصلة بعد الحرب العالمية الأولى وفى ظل أخطر تحدى واجه العرب وهو التحول الذى فرضه الاستعمار على فلسطين وتاهيلها لتقوم بها دولة صهيونية ونضال العرب فى سبيل مقاومة هذا التحول الخطير . فالوحدة العربية فى الحق لم تصبح جامعة أساسية فى تقدير العرب ، ولم يتجه إليها نضالهم إلا بعد أن سقطت الرابطة الكبرى : الجامعة الإسلامية أو الوحدة العربية التركية المثلثة فى الدولة العثمانية ، وذلك بحسبان أن تحل هذه الجامعة محل الجامعة الإسلامية فى مقاومة الغزو الغربى والنفوذ الأجنبى والاستعمار الأوروبى . ولقد كان للاستعمار دوراً كبيراً مؤثراً فى الاضطراب والصراع بين هذه الدعوات المختلفة . إذ كان قد اتجه

إلى اتخاذ سلاح التفرقة وتمزيق الكيان الأكبر وسيلة إلى القضاء على وحدة العالم الإسلامي وذلك في سبيل خلق كيانات متعددة يحكمها وتتوزع بين قواه الاستعمارية : المغرب والجزائر وتونس لفرنسا وليبيا لإيطاليا ومصر والسودان والعراق لانجلترا وفلسطين لليهود . ومن هنا فقد أُرز الاستعمار الدعوة القومية وأعلاها وأتاح لها فرصة النماء والقوة في حدود محدودة وإلى مراحل معينة ، فقد بدأت الدعوة إلى القومية العربية من بعض المؤسسات الأجنبية التبشيرية في بيروت تحمل لواء الحرية والديمقراطية واللغة العربية في مواجهة ما وصفت به الدولة العثمانية في هذه الفترة من الاستبداد وإعلاء اللغة التركية . فلما تحقق سقوط النظام الذي كان يقوم عليه السلطان عبد الحميد من الجامعة الإسلامية ، تحولت هذه المؤسسات عن دعوتها وأخذت تخاصم اللغة العربية وتعلو من شأن لغاتها الأجنبية كما سكنت عن الكلام عن الحرية والديمقراطية فقد قامت حكومة قوامها الاتحاديون المواليين للنفوذ الاستعماري في حربه للوحدة الإسلامية وفي توسيع نطاق الدعوة إلى القومية التركية باسم الجامعة الطورانية ومحاولة إعلاء شأن الجنس التركي والعمل على تتركب العناصر المختلفة في الدولة العثمانية وفي هذه العناصر العرب .

هناك وقع الخلاف وقامت الخصومة بين الاتحاديين والعرب أساساً ، وبدأ الصدام بين الجامعة الطورانية والجامعة العربية وبذلك سقط الحاجز الضخم الكبير الذي كان يجمع العرب والترك في الوحدة الإسلامية الجامعة . ولقد كان العالم الإسلامي يتمثل في ثلاث قوى إسلامية : هي : الدولة العثمانية (تضم العرب والترك) ، والدولة الفارسية ، والدولة المغولية في الهند ، ولقد سيطر الاستعمار على هذه المناطق الثلاث بدرجات مختلفة .

أما الدولة المغولية في الهند فقد اجتاحتها الاحتلال البريطاني في نفس الوقت الذي سيطر الهولنديون على جاوة وسومطره بالاشتراك مع الإنجليز الذين سيطروا على الملايو . أما الدولة الفارسية فقد تقرب إليها النفوذ البريطاني منذ وقت بعيد في مساندة لصراعها مع الدولة العثمانية حتى تظل أكبر قوتين في هذا الوقت في صراع دائم .

أما الدولة العثمانية فقد كانت الشغل الشاغل للنفوذ الأجنبي ولأوروبا وللغرب كله بحسبان أنها الدولة التي اقتحمت أوروبا واحتلت القسطنطينية وسيطرت على البلقان وصارعت الغرب كله خلال ثلاثة قرون ووصلت قواتها ونفوذها إلى سوارفينا . ولذلك فقد حرص النفوذ الأجنبي المتمثل في فرنسا وانجلترا وروسيا إلى اقتطاع أجزائها واحدة بعد أخرى ، وأطلق

يد روسيا في مناطق آسيا وسيبيريا ، كما أطلق يد بريطانيا في مصر والسودان والخليج الفارسي والبحر الأبيض وأطلق يد الفرنسيين في المغرب والجزائر وتونس . ولم يبق في يد الدولة العثمانية إلا الجزيرة العربية والشام بأجزائه والعراق ، ومن خلال هذه الثورة بدأت معركة الصراع الأخير للقضاء على الدولة العثمانية وتمزيقها . ومن هذه المنطقة ظهرت دعوة الوحدة العربية التي تحولت إلى ما أطلق عليه الثورة العربية بحسبان وعد بريطانيا بإقامة دولة عربية كبرى بعد الحرب العالمية الأولى تضم هذه الأجزاء التي حملت لواء الحرب مع الدولة العثمانية ، وقد كان مفكرو المسلمين والعرب في هذه الفترة بين رجلين : أحدهما يرى أن بريطانيا ستفي للعرب بما وعدت وتمكنهم من إقامة دولة عربية بعد الحرب نتيجة للمؤازرة الضخمة التي قدمها العرب لبريطانيا في مواجهة الدول التي انضمت إلى أعداء بريطانيا . أما الآخر فيرى الإبقاء على دعم الكيان العثماني كقوة قائمة في وجه النفوذ الأجنبي الزاحف ، إيماناً بأن بريطانيا والغرب لن يسمحوا بقيام دولة للعرب فإنهم بسبيل تمزيق الدولة العثمانية والتها مها ، ومن ثم فإنهم سوف يخدعون العرب حتى يقدموا معونتهم فإذا انتهت الحرب ، فسوف يغدروا بهم . وقد تحقق فعلاً ما توقعه أصحاب هذا الرأي وكان أصحابه أصدق نظرة إلى الاستعمار من الآخرين الذين أيدوا بريطانيا ، وبالحق فقد خدعت بريطانيا العرب ثم مزقت المنطقة بعد الحرب إلى كيانات ومنعتها تحت نفوذها باسم الانتداب أو الوصاية من الالتقاء والتكامل ، وكان أخطر نقطة في تأمر الاستعمار هو تمكين الصهيونية من فلسطين لإقامة كيان غريب في قلب الأمة العربية . وبهزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى ، انتهت المعركة بين الاستعمار والدولة العثمانية التي سقطت وتمزقت ، وقامت بدلا منها دولة تركية قومية ذات صبغة عربية خالصة منفصلة عن العرب والإسلام جميعاً . وبذلك غلب طابع القومية العربية مع تمزق الكيان الموحد الذي كان يجمع العرب والترك . وأصبح العمل للجامعة العربية في نظر العرب هدف كبير ، من خلال محنة تمزق الكيانات وإعلاء الاستعمار للإقليميات وإثارة الدعوات القديمة كالفرعونية والفينيقية والآشورية والبربرية لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقاً يحول دون التقائها على وحدة عربية .

ولقد كانت دعوة القومية العربية في مفهومها الفطري والطبيعي أنها لا تنفصل عن الأساس الإسلامي الذي يشكل فكرها وثقافتها وقيمها الأساسية ، غير أن بعض دعاة القومية لم يلتزموا بمفهومها من تاريخ الأمة العربية وموقعها من العالم الإسلامي ومن الإسلام نفسه ،

وإنما التمسوا مفهومها من نظريات القوميات الأوربية التي كان لقيامها وتشكلها ظروف تختلف ، وأوضاع تتباين . ولذلك فقد حرص دعاة القومية العربية ذات المفهوم الغربى أن يؤكدوا ابتعاد أسس الوحدة العربية عن الدين ، والدين هنا هو الإسلام ، ومن حق أن يقال إن القومية تختلف عن الدين في مجالات عدة ، فإن القومية دعوة جنس ودم وقوم ووحدة أمة ، وإن الدين بمفهوم اللاهوت الغربى له مجال آخر يرتبط بالعقول والأرواح والروابط المتصلة بين الإنسان وربه ، ولذلك فمن هذه الناحية ليس الدين أساس من أسس القومية ولكن هذا الأمر على إطلاقه في مفهوم الدين لا يتفق مع « الإسلام » نفسه ، فليس الإسلام ديناً كالأديان الأخرى التي واجهتها نظرية القومية في أوروبا ، بل الإسلام دين وزيادة ، دين ونظام مجتمع ، ومن هنا فإن مفهوم الإسلام بالنسبة للقومية يختلف عن مفهوم الدين وحده ، ومفهوم الإسلام هنا بالنسبة للقومية العربية أو الوحدة العربية يختلف عن مفهوم الأديان في القوميات الأوربية ، ذلك أن الأسس الكبرى والقيم الأساسية للثقافة العربية واللغة العربية والتاريخ العربى وهى العناصر الأساسية للقومية فى المفهوم الغربى إنما تستند وجودها من الإسلام والفكر الإسلامى ولا تنفصل عنه فالإسلام بحسبانه نظام مجتمع قد أثر تأثيراً كبيراً فى اللغة والتاريخ جميعاً وليس هناك لغة عربية منفصلة عن لغة القرآن والإسلام ، وليس هناك تاريخ للعرب منفصل من تاريخ الإسلام ، ولذلك فإن القيم الأساسية للوحدة العربية أو مقومات اللغة العربية لا تجد إلا الإسلام نفسه بحسبانه فكراً ونظام مجتمع هو القاعدة الأساسية له . وليس للدين فى الإسلام كبير دخل فى هذا المجال . ومن هنا تسقط دعوى التصارع المقتعل بين الإسلام والعروبة وبين القومية العربية والإسلام . ومن الحق أن يقال إن الدوائر الثلاث : دائرة الوطنية ، وتسمى « دائرة الأرض » . ودائرة القومية ، وتسمى « دائرة الأمة » . ودائرة الإسلام ، وتسمى « دائرة الفكر » . ليس بين هذه الدوائر الثلاث صراع أو تقابل ولكنها دوائر متداخلة متساندة : الوطنية أصغرهما وأوسطها والقومية أكبر منها وتليها فى الدائرة والإسلام هو الدائرة الكبرى . ولقد كانت الدعوة الوطنية فى مواجهة النفوذ الاستعمارى دعوة ضرورية وهامة حيث كان النفوذ الاستعمارى يحق كيان الأمم فيقول : إن مصر مثلاً ليست أمة وليست وطناً وأنها لم تكن يوماً من الأيام حرة ، وقد تواتر عليها المستعمرون من الفراعنة والترك والفرس والإنجليز ، ويقول مثل هذا عن كل أمة ووطن ، فكان لابد أن تقوم فى مصر دعوة وطنية مصرية على

أن مصر أمة ووطن يجرى النيل بين شاطئيه وله تاريخ قوامه الفراعنة أصحاب الحضارة الأولى وممدنو العالم وأنه رد الغزاة وحمل الحضارة وامتد إلى السودان والحجاز والشام وهكذا . ومن هنا كان الضغط على مفاخر التاريخ ، ومفاخر الأرض وسيلة أساسية ومرحلة طبيعية في طريق اليقظة والحرية .

ثم كانت المرحلة الثانية : مرحلة الأمة : فمصر جزء من الأمة العربية يربطها بها تاريخ موحد ولغة ومقومات جغرافية وسياسية واجتماعية لا سبيل إلى انفصامها ولذلك فإن الأوطان حين تبلغ درجة ما من الحرية تنداعى أجزائها إلى وحدة الأمة ، وهذا هو مفهوم الوحدة العربية . ولكن هذه الدعوة الوطنية : وحدة الأرض ، وهذه الدعوة القومية : وحدة الأمة ، إنما تتحرك في إطار واسع هو إطار الوحدة الفكرية الإسلامية التي جمعت هذا العالم منذ أربعة عشر قرناً من خلال ثقافة موحدة وقيم أساسية واحدة صاغت العقل والقلب والضمير ، ومن هنا فإن الوحدة الإسلامية ليست وحدة سياسية إلا كنتيجة أساسية قوامها الروح والمجتمع وعوامل الوحدة الفكرية .

هذا هو المفهوم الواضح الطبيعي ، ولكن النفوذ الأجنبي يحاول أن يجعل من دعوات الجماعة الوطنية والجماعة القومية والجماعة الإسلامية جامعات متعارضة متصارعة متخاصمة ، بينما هي مراحل طبيعية تاريخية فرضتها ظروف النفوذ الأجنبي والاستعمار التي سيطرت على العالم الإسلامي .

فالدول الإسلامية قد عمقت وجودها الوطني ووجودها القوي ، ولكنها لم تنفصل عن دائرتها الواسعة واطارها العام وإن بعدت عنه فترة من الزمن فإنها في الفترة الأخيرة تتقارب وتلتقي وتحاول أن تقضى على العوامل الخلافية الفرعية التي عمقها الاستعمار لجعل منها عوامل تمزيق ويحول بها دون الالتقاء والتوحيد . وقد كشفت مقررات المؤتمرات الكبرى العامة التي ضمت دول العالم الإسلامي مرات متعددة من سلامة مفهوم الرابطة الإسلامية والالتقاء الجامع وعمق هذا المفهوم وضرورته واستمراره دون أن تقلل منه عملية العزل والتمزيق الواسعة التي امتدت الآن أكثر من مائة عام . وما تزال الرابطة الفكرية والروحية معاً قائمة في مختلف أجزاء العالم الإسلامي بالرغم من الكيانات ووجود الخلافات الفرعية التي أثارها الاستعمار وأكدها وعمقها في خلال مرحلة الاستعمار وما تزال ردود فعل هذه الرابطة الفكرية والروحية واضحة في كل موقف أو تحد أو حدث من الأحداث المختلفة التي تواجه

أي وحدة من وحدات العالم الاسلامي . وهي تتجلى واضحة في قضية فلسطين ، وفي مختلف معارك الصراع بين الاستعمار والعالم لتطورات الاسلامي مثلاً في المختلفة ومن أقرب هذه النماذج : معركة الجزائر .

(٣)

الاسلام وحركات المقاومة العربية

إلى ما قبل أن تندلع الحرب العالمية الأولى كان العالم الاسلامي يتمثل في الدولة العثمانية وتضم العرب والترك ثم أفغانستان وإيران . وكانت هناك ثلاث مجموعات أخرى

(١) الهند التي سقطت فيها الدولة الاسلامية بالاحتلال البريطاني (٢) أرخبيل الملايو بمجموعة الاسلامي الذي قسمه الاستعمار إلى أندونيسيا تحت الاحتلال الهولندي والملايو تحت الاستعمار البريطاني . (٣) أفريقيا الاسلامية التي مزقتها الاستعمار وتوزعتها دوله والتهمتها قبل نهاية القرن التاسع عشر . وكان الزحف الاستعماري الذي بدأ منذ أوائل القرن الخامس عشر على العالم الاسلامي قد اتجه نحو أفريقيا ودار حول رأس الرجاء الصالح ومد خطواته إلى كانتون ثم تواصلت موجاته المتدافعة : البرتغال والأسبان والهولنديون ، والفرنسيون والبريطانيون ومنذ اتصل الأوروبيون بالعالم الاسلامي لم يتوقف الصدام ولم تتوقف المقاومة . هذه المقاومة التي حمل لواءها العالم الاسلامي في مختلف أجزائه دون توقف . وقد تمثلت هذه المقاومة في الحرب والمعارك العسكرية حيناً فلما ازدادت سيطرة الاستعمار تمثلت في صور أخرى من المقاومة ولكنها لم تتوقف قط ، ولم يستسلم جزء من العالم الاسلامي إلا بالخدعة والمكر وتآليب الخيانة على حركة المقاومة ، ولم تسلم قوة من قوات المقاومة إلا بعد أن نفذ كل ما تملك من عتاد وزاد . وقد واجه النفوذ الاستعماري هذه المقاومة بالعنف وبالحيلة معاً . أما العنف فقد قضى به على قادة حركات المقاومة ثم فرق جموعها بالسجن أو الاغراء أما الحيلة فقد كانت تتمثل في تكوين أجيال جديدة تؤمن به وترضاه وتصادقه وتتعاون معه . وقد اختار بعض مفكرى الاسلام وقادته مبدأ المصالحة مع الاستعمار ، ورأوا أنه « طريق ضرورة » لا بد منه في هذه الفترة . وأن من الحق أن يستمر المسلمون في طريق واحد هو طريق المقاومة والتجمد ، بينما العناصر الاخرى تتقدم عليهم وتسيطر على مجالات

القيادة السياسية والفكرية . ويحضر هنا مثلين أحدهما الشيخ محمد عبده في مصر وأحمد خان في الهند . فقد دفع الاستعمار من غير المسلمين في كل مكان حل فيه وفتح لهم آفاق التعليم والثقافة والبعثات ثم جعل منهم ركائزه وخدامه ، وبذلك تخلف المسلمون حتى جاء مثل محمد عبده وأحمد خان فدعيا إلى ضرورة مهادنة الاستعمار وفتح الطريق أمام الطلائع المسلمة . لأن تتعلم تعليماً منحرفاً ولكنه على كل حال خير من الجمود والتوقف ولذلك فقد كان إقبال المسلمين على البعثات والارسلالات والمدارس الأجنبية التي نشرها النفوذ الأجنبي في العالم الاسلامي مسألة ضرورة . وكان قادة المسلمين يعلمون ما تحفل به هذه المعاهد من مقاومة للاسلام واللغة العربية وقيم الأمة ومقدراتها ولكنهم كانوا في سباق مع الزمن فلما أن أن يتعلموا هذا التعليم أو يموتوا ، فقد جمد المستعمرون المعاهد الاسلامية المختلفة في العالم الاسلامي ، ولم يجعلوا لخريجيتها أهمية تذكر في مجال العمل والحياة ، وفتحوا الطريق أمامهم في الثقافة الحديثة عن طريق المدارس التي وضعوا برامجها واستهدفوا بها خلق أجيال ترفض بالاستعمار وتصادقه وتعاون المستعمرين وتحتقر القيم العربية والاسلامية ، والوطنية وتقيدون بطولات التاريخ الأوربي والانجليزي والفرنسي . غير أن هذه المجموعات من المثقفين التي أتت لها أن تتصدر لقيادة أوطانها في العالم الاسلامي من تأثرت بأفكار المستعمرين لم تخلص كلها للنفوذ الاستعماري بل تحرر كثير منها نتيجة لقوة الفهم العربي الاسلامي الموجود والقائم في طوايا الثقافة العربية وفي جماهير العالم الاسلامي التي كانت قد ود من مواقعها العامة وتفرض نفوذها على قادتها وتحول اتجاه بعض المفكرين إلى الطريق الاصيل بل إن من سار في طريق الغرب ثمة ، لم يلبث أن عاد إلى حمل لواء القيم الأساسية بأصالة أمثال منصور فهمي وهيكال والعقاد . وكان لابد أن تبقى مجموعة قليلة متعلقة بالنفوذ الاستعماري تحمل لواء التبشير والتغريب والشعوبية ، وقد كانت هذه الجماعة دائماً مكشوفة معروفة ، ولم تستطع كسب ثقة المجموع ، بل أن تطور الأحداث وبرز الحركات الجديدة قد كشفت عن الدسائس التي جوتها مؤلفات هؤلاء كما تكشف أخطاء سلامه موسى وطه حسين وأسماعيل مظهر ومحمود عزمي وعلى عبد الرازق ، وبان هدفها التغريب الذي اندفعت إليه حال بروزها . ويرجع ذلك في الأغلب إلى قوة القيم الأساسية للفكر الاسلامي الاصيل العميقة الجذور في بناء الأمة الاسلامية خلال أربعة عشر قرناً ، بحيث لم يستطع الاستعمار الغربي من خلال قرن من الزمان بأباليه المختلفة (المدارس . النظريات . الصحف . الكتب . الدعاة) أن يهز

يطمس هذه الحقيقة . ولقد واجه النفوذ الاستعماري في زحفه على العالم الاسلامي قوة متجددة يقظى كانت موضع ازعاج شديد له تمثلت في الدعوات العربية الاسلامية التي برزت في مناطق الصحراء : الوهابية في جزيرة العرب والسنوسية في صحراء ليبيا والمهدية في السودان وقد كانت حرباً عنيفة على نفوذه ، حملت لواء المقاومة من ناحية ، ولواء الانشاء والتمدد والتوسع من ناحية أخرى ، فاذا بالوهابية في جزيرة العرب تشكل خطراً على النفوذ البريطاني في الهند حين قام بعض من آمن بها ببناء دولة قاومت بريطانيا وكبدتها كثيراً . وواجهت السنوسية النفوذ الايطالي مواجهة ضخمة ، وامتدت آثار السنوسية فواجهت النفوذ الفرنسي في الجزائر نفسها وكان هو الخطر الدائم في كل مناطق أفريقيا . أما المهدية فقد كبدت بريطانيا في السودان دماءً وهزائم لا حد لها وكذلك فعل المسلمون في أندونيسيا وفي الهند وفي إيران وفي أفغانستان على نحو واسع عريض في معارك ثلاث ضخمة فاصلة . وواجهت فرنسا الجزائر وتونس والمغرب مقاومة وصراعاً لا حد له . وواجهت دول أوروبا المستعمرة المستعمرة في أفريقيا مقاومة لم تتوقف في المناطق التي يكثر فيها عدد المسلمين . وحين انطوت صفحة الأمير عبد القادر في الجزائر وعرابي في مصر وعبدالكريم في الريف المغربي وشامل في القوقاز بدأت صفحة جديدة من المقاومة . فالنفوذ الاستعماري قد حرص على أن يستخلف على أقطار العالم الاسلامي قوى جديدة ليس لها طابع إسلامي صريح ، تمثلت في الأحزاب السياسية ولكن هل كانت هذه القوى الجديدة خالية من مضمون القيم الأساسية الاسلامية التي تحمل دوماً طابع المقاومة والجهاد للمحتل والمغاصب . من الحق أن يقال إن هذه القوى الجديدة التي ظهرت في أوائل القرن العشرين لم تكن إلا صورة مجددة للقوى القديمة فحركة الحزب الوطني في مصر هي الوليد والبديل لحركة مكرم وجمال الدين الأفغاني وأحمد عرابي ، وأحزاب السودان كانت بديلاً عن المهدية والأنصار ، وفي المغرب تحولت الحركة السلفية إلى أحزاب سياسية تحمل في أعماقها طابع المقاومة على مفهوم الاسلام - نعم ، « إن الحركة القومية لم تكن مطابقة للاسلام فحسب بل هي جزء لا يتجزأ من فكرة بعث الاسلام ، فنضال المسلمين للتخلص من الهولنديين وكفاح السوريين ومسلمي المغرب للتخلص من الفرنسيين ونضال مسلمي الهند ضد البريطانيين كل ذلك كان جزءاً من حركة المسلمين لبناء مجتمع إسلامي في العصر الحاضر ، ومن هذا القبيل قيام الأتراك بطرد اليونانيين سنة ١٩٢٢ والإيرانيين للقضاء على منطقة النفوذ الروسية الانجليزية كانت جميعاً خطوات نحو احياء

الاسلام فكل المسلمون مسلمون إجتماعياً وسياسياً وإذا كان ثمة اختلاف بين الزعماء الوطنيين والزعماء الدينيين فهو خلاف لم يتخذ مظهر النضال والكفاح . « وقد كانت الصفة الاسلامية غالبة على جميع هذه الحركات حتى في الحالات التي يكون فيها القادة ممن تأثروا بالغرب فتصبح هذه الحركات إسلامية بالنسبة للجماهير والاتباع . « وكانت الجامعة الاسلامية شعوراً لدى المسلمين بضرورة تماسكهم إذ أن وحدة المسلمين في العالم الاسلامي هي وحدة مشاعر ، وظلت الجامعة الاسلامية إلى اليوم حلماً جميلاً تعز تحقيقه ، كانت مستقرة في الوعي الديني الاسلامي القديم وبقيت محتفظة بقوتها . . وليس ثمة تعارض بين الجامعة الاسلامية وبين الروح القومية في البلاد الاسلامية . « وصفوة القول فيما تقدم أن الاسلام في العصر الحاضر قد احتضن النزعات والحركات القومية التي رآها تتفق ونهجه في استعادة أمجادها الماضية ما دامت متمشية وفق التقاليد الاسلامية ، هذا باستثناء تركيا . هذه العبارات نقلناها بتصرف عن ولفردي كانتول سميث من كتابه « الاسلام في التاريخ الحديث » وهي تحمل مضموناً أساسياً معترفاً به ومقرراً بأن حركات المقاومة والتحرر من النفوذ الاجنبي مهما تطورت ولبست أثواباً مختلفة فإنها جميعاً أجزاء أساسية من حركة المقاومة الاسلامية للاستعمار والنفوذ الغربي وفي سبيل وحدة فكر ، وقد مضت هذه الحركات تعمل في مجالين متصلين : مقاومة الاحتلال والاستبداد معاً نظراً لتساندهما واتصالهما ، وقد مرت بمراحل المقاومة المسلحة في معارك حربية متصلة : اتصلت بين البرتغال والمسلمين على شواطئ أفريقيا والهند وجزر الملايو ، ثم تحولت فيما بعد إلى معارك من نوع آخر تمثلت في مقاومة الحملة الفرنسية في مصر وفي معارك الجزائر بقيادة عبد القادر الجزائري والثورة المصرية بقيادة أحمد عرابي ومعارك شامل في التوقاز ، وعبد الكريم في المغرب ، وثورة المسلمين في الهند ١٨٥٧ وحركات المقاومة بين المسلمين والهولنديين في أندونيسيا والمعارك الثلاث الكبرى بين الأفغان والاحتلال الانجليزي ومعركة ميسلون في سوريا وثورة العراق . وقد انتصر الاحتلال في هذه المعارك بالتآمر والخداع وبقواه الحربية الحديثة غير أن المسلمين في أي بقعة من العالم الاسلامي لم يستسلموا إلا بعد أن نفذت ذخائرهم ولم يجدوا مفرأ من التسليم . ولكن حركات المقاومة لم تتوقف ولم تلبث أن تحولت إلى مقاومة فكرية وجماعية تمثلت في الجمعيات الاسلامية والهيئات والأحزاب ، وفي هذه المرحلة أخذت هذه الحركات طابعاً سياسياً واضحاً ، وقام عليها بعض الزعماء المدنيين ، هذه الحركات لم تتخل عن طابع

الاسلام. فقد كان مفهوم المقاومة في الاسلام هو الأساس للعمل وكانت روح الايمان بالله والوطن هي أساس أعمال هذه الهيئات ، ولم تتوقف مفاهيم الاسلام عن العمل من خلال الحركات السياسية ، ذلك أن الاسلام جماع بين الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد وأنه لا توجد لهذه الحركات طابعاً دينياً خالصاً ، منفصلاً عن الطابع السياسى ، فالاسلام دين ونظام مجتمع ، جامع بين السياسة والدين معاً ولما كان الغرب حريصاً في السيطرة على مقدرات عالم الاسلام لعدة أسباب أهمها : ١- أن يظل عالم الاسلام غير قادر على إمتلاك مقدراته ومقومات فكره التى تصنع دولة قوية قادرة متكاملة يخشى منها على الغرب نفسه. ٢- أن تظل في يد الغرب هذه المقدرات الاقتصادية المادية : البترول والثروات المكثفة . ٣- المركز الاستراتيجى الذى يحوى مواقع هامة على البحرين الأبيض والأحمر وبين القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا . هذا الحرص ، هو الخطر الذى ما يزال يواجهه عالم الاسلام بمزيج من حركات الغزو ، وبحركات الصراع والتنافس بين الكتل المختلفة ، والايديولوجيات المتباينة حيث يبدو كأنه بوتقة للتيارات العسكرية الغربية والشرقية معاً ، ونظريات الفردية والجماعية على السواء . ومع ذلك فان العالم الاسلامى ما يزال يقاوم بصمود ولن يستطع الاستسلام لأن مقوماته الأساسية الأصيلة ما تزال تكون الأجيال وتدفعهم إلى الرباط والصمود . إن حركة المقاومة التى واجه بها عالم الاسلام الاستعمار كانت تنطلق من تحت المدافع الغرب ومن خلال حملاته المتوالية العسكرية وسياسية وفكرية، وهى حملات لم تتوقف وإنما تتوالى بصور مختلفة وتدور حول غزو هذه القيم الفكرية والقضاء عليها بحسبانها هى مصدر القوة والقدرة على المقاومة ، ومن هنا تبدو أهمية حركات التبشير والتغريب والشعوبية المتصلة المستمرة وما تثيره من شبهات وما تحاول من إيجاد الخلاف وتعميقه لتجذير الفرق المختلفة ، والمذاهب المتعددة ولذلك فان قصور حركة الفكر الاسلامى والثقافة العربية عن مقاومة التغريب والغزو الفكرى وتمزقها هى مما لا يستغرب ، ذلك أن هذه الحركة لا تتم فى جو مطلق الحرية وإنما تتم من خلال سيطرة العدو الطاغية ، بواسطة أدواته وقواه وأقلامه وأجهزته الضخمة المتمركزة فى بعض الأقطار . وقد قاوم الغرب كلمة الاسلام ، والوحدة الاسلامية ، والجامعة الاسلامية ، والرابطة الاسلامية ، وحاول أن يجعل حركات الإقليمية أساساً للعمل ، كما أكد على الفصل بين الاسلام والمجتمع فى مجال القانون والاقتصاد والتعليم والسياسة . واتخذ من الأقليات فى كل بلد ذريعة للضغط فى

في مجال تجميد مفهوم الاسلام . وقد خلق في كل مكان مشاكل طائفية وتفرقة مذهبية وعنصرية وحزبية ، وأثار دعوات قديمة ماتت مع الزمن وأججها من جديد ، وأكدها بقوة القانون كما فعل بين المسلمين والنصارى في مصر والبربر والعرب في المغرب ، كما حرص على بقاء القبلية ودعمها ولم يسمح بانصهارها في المجتمعات الكبرى ، واتخذ من الطائفية القبلية أداة سياسية يدعم بها وجوده ، فقد احتضن الاستعمار في مختلف أجزاء عالم الاسلام الأقليات وعمل على خلق شعور بكيان خاص لهم وفتح الباب للتبشير والارساليات والمدارس الدينية وركز الاستعمار على الفرق والمذاهب داخل عالم الاسلام على للضغط بها وأكدها وجمدها بحيث لا تنصهر . ولما كان مفهوم الاسلام هو الطابع الأساسي لكل حركات اليقظة والمقاومة معاً ، ولما كانت مختلف الحركات السياسية والاجتماعية إنما تدور في إطار الفكر الإسلامي ، فقد عمد الاستعمار إلى بناء قوى ثابتة له ، مؤمنة بفكره ، وأعطاهما أماً كن القيادة في الوطن الاسلامي (بعد الحرب العالمية الأولى) وحرصت هذه القوى على ابعاد الاسلام عن موضع الفعل في السياسة أو الاجتماع أو القانون أو التربية ، وبذلك فصل المدرسة عن المسجد والقانون عن الشريعة .

(٤)

ثورة الجزائر

تعد ثورة الجزائر (١٩٥٤-١٩٦١) من علامات الأصالة الاسلامية والبطولة العربية وهي ثمرة من ثمار اليقظة العربية الاسلامية وعملا من أعمال المرحلة الجديدة الناهضة للأمم العربية في عصر اليقظة . ولقد أدهش المراقبون في العالم الغربي كله تلك الصلابة والاستمرار في المقاومة ومواجهة القوات الضخمة وعمليات الابادة الفرنسية ورددها الكثير من المؤرخين والكتاب إلى مصدرها الأصيل : قوة الايمان الروحي في الاسلام وعمق الصلابة العربية ولا شك كانت ثورة الجزائر عملا خطيرا وضخما في سبيل تحطيم النفوذ الاستعماري والأداة منه وأن قدمت مليوناً من الشهداء ولكنها حققت معنى رائعا سيكون بعيد المدى في اليقظة العربية الاسلامية . فقد تمزقت كل دعاوى الاستعمار في محاولة إدماج الجزائر في فرنسا وأعلن أكثر من واحد من كتاب فرنسا ومؤرخيها وفي مقدمتهم (شارل أندريه جوليد) : أن هناك وحدة متكاملة من الجنس واللغة والحدود تجمع تونس والجزائر ومراكش

وأن سلسلة جبال الأطلسي التي تبدأ من المحيط الأطلسي من مراکش والتي تخترق الجزائر وتنتهي في تونس من البحر الأبيض المتوسط تكون العمود الفقري الذي يربط دول شمال أفريقيا الثلاث بعضها ببعض وتجعل منها وحدة في الجنس واللغة والحدود الجغرافية وأن هذا الجزء من أفريقيا لا صلة من أي نوع تربطه بفرنسا كما أثبت غير واحد من المؤرخين أن سلسلة جبال الأطلس الممتدة عبر المغرب العربي وكثبان رمال الصحراء الدافئة والجنوب وأوج البحر المتوسط من الشمال طبع هذا الجزء من الدنيا بطابع واحد. ولم يذكر هؤلاء المؤرخين أن الاسلام في الحق هو الذي أكد وحده العروبة في المغرب كله وأنه هو الطابع الأصيل لها، والذي يجمع بينها وبين الأجزاء المختلفة للأمة العربية. وقد انبثقت ثورة الجزائر من أشد مناطق الجزائر إيماناً بالاسلام وتعمقاً لفهمه، وأن هذا الاصرار والثبات والعزم إنما مصدره هذا الإيمان الذي يؤكد الاسلام بالقتال دون الأرض والعرض والذمار وأن هذا المعنى هو «الخطر» الذي واجهه الاستعمار في العالم الاسلامي كله وحاول بكثير من الأساليب القضاء عليه حين قاوم دراسات الجهاد في المعاهد الاسلامية وحين أيد الدعوات القاديانية والبهائية القائلة بالاستسلام أمام النفوذ الاستعماري وتقبله وكذلك حين أكد دعوات الغاندية والتولستوية من حيث أنها تفرض عدم المقاومة. ولقد عارض النفوذ الفرنسي مقومات الاسلام واللغة العربية في الجزائر مقاومة ضخمة وبأساليب بعيدة المدى في الفصل بين الجزائريين ودينهم ولغتهم ومنيت اللغة العربية في الجزائر بمحنة شديدة كان منها القضاء على اللسان علامة القومية، وكذلك القضاء على القرآن مصدر التشريع. وقد عمدت فرنسا إلى اعتبار الجزائريين فرنسيين بمقتضى دستور ١٧٤٨ واعتبار الجزائر فرنسية واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية من الجزائر ومن خلال مناهج التعليم جعلت السلطات الفرنسية التعليم من رياض الأطفال إلى الفرق العالية باللغة الفرنسية وحدها وجعلت كل مدرسة تقوم بتدريس اللغة العربية في عداد المدارس الأجنبية، وكذلك الشأن في الصحف وكل رسالة يريد تنون باللغة العربية يكون مصيرها الاهمال. كما سجلت السلطات الفرنسية المدرسين الجزائريين الذين حاولوا أن يدرسوا لتلاميذهم تاريخ الجزائر العربية الفرنسية وكانوا يرون أن تاريخ الجزائر يجب أن يبدأ منذ عام ١٨٣٠. وإذا كانت اللغة العربية قد أصيبت في الجزائر بالضعف والتأخر، فقد ظل الاسلام نفسه هو العامل الأقوى في الحفاظ على الشخصية الجزائرية العربية المسلمة. وأمامي نصوص عديدة تؤكد هذا المعنى عن كتاب

فرنسيين ، ومن هنا ما يقوله (جاك بيزك) لولا الاسلام في الجزائر لفقدت الشخصية الجزائرية ذاتيتها لأن ضغط الاستعمار ومفاسده كان يمكن أن يؤدي إلى إذابة الشخصية الجزائرية ولكن فكرة إذابة الشخصية الجزائرية في الشخصية الفرنسية بما فيها من جاذبية لمن سحرتهم الحضارة الغربية من الجزائريين هي التي كونت الخط الأكبر من الشخصية الجزائرية في المغرب . إن هذه الظاهرة هامة وخطيرة ويجب أن تكون موضع تقدير الباحثين لقد كان الاسلام هو العنصر الفعال الحقيقي في دفع الجزائريين إلى طلب الحرية « لقد أيقن الجزائريون منذ اليوم الأول للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الاسلام ، من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالاسلام حتى يقدروا على التحرر » . وردد هذا المعنى كثير من الباحثين المنصفين . « لقد قهرت الجزائر الغرب بالاسلام » لقد صمدت الثقافة العربية في الجزائر : ويقول الأستاذ نعيم قداح « فرض على الجزائريين أن يتعلموا تاريخ الجزائر يبدأ من عام ١٨٣٠ وأن على الجزائري أن يجهل كل شيء عن تاريخ العرب الحضاري في بغداد وقرطبة وأن فيكو الايطالي هو واضع أسس علم الاجتماع لا ابن خلدون ، ودانتى لا المعري ، ولامرتين لا عمر بن أبي ربيعة ، وكلود بانار وليس ابن سينا » . وقد جرت مناقشات مطولة بين مجموعة من الباحثين العرب حضرها (جاك بيزك) الذي عاش فترة طويلة في الجزائر حول ثورة الجزائر ومفهومها الاسلام العربي : يقول الكاتب « لقد كنا نتفق على أن الاسلام قام بأكبر الأدوار في المقاومة الجزائرية بل كدنا نتفق على أن الاسلام كقوة فكرية وروحية كان هو السياج الأخير والوحيد الذي لم يستطع الاستعمار الفرنسي أن يزيحه من طريقه ، فقد كانت الحرب الاستعمارية الفرنسية حرباً حضارية وجهها الاستعمار الفرنسي ضد اللغة والدين والتنظيم الاجتماعي وملكية الأرض وطريقة الإنتاج وقد استطاع الاستعمار أن يبدل اللغة العربية فجعلها اللغة الفرنسية واستطاع أن يحرق أرض الجزائريين (١٨٣٠ - ١٨٤٥) واستطاع أن يوزع هذه الأرض على المستوطنين الذين هاجروا معه ومع قواته وأساطيله ، ولم يكن الاحتلال الفرنسي غزواً واحتلالاً فقط بل كان محاولة الاستبدال حضارة بحضارة وتنظيماً اجتماعياً بتنظيم اجتماعي ولغة بلغة فلم تكن هذه الحرب لاستعمارية سوى حرب حضارية شملت الاقتصاد والأرض دعمت اللغة والدين وأصابت التنظيم الاجتماعي والفكرى ، ولكن ذلك كله لم يسهل مهمة الاستعمار الفرنسي في الجزائر لأن المقاومة بدأت بإصرار الجزائريين من دعاة الإصلاح بالثبات على تعلم اللغة

العربية ، ولعل هذه الحملة التي بدأها مشايخ الجزائريين حين كانوا يجمعون الفرنكات القليلة لإقامة المدارس الابتدائية الإسلامية لتعليم الصغار مبادئ اللغة والقرآن ، كانت أول طلقات هذه الثورة الجارفة الشاملة . وخلاصة ما أريد أن أقول إن الدفاع عن اللغة والإسلام كان هو الخط أو الخندق الرئيسى الذى لم يستطع عنده الاستعمار مزيداً من التوغل ومزيداً من العدوان .

وهكذا فإن ثورة الجزائر هى « إسلامية » فى بادئ الأمر ، ومن أعمق أعماقها ، فإن كانت المدن الساحلية والمدن الصناعية قد تقوضت وانهارت بأكملها أو انهار بعضها فإن هذا السياج الداخلى لم ينقلب ولم يستطع عليه الاستعمار شيئاً . لقد تعرض إسلامهم للامتحان وانتزعوا إسلامهم من براثن حملة شديدة الوطأة كثيرة العدة رهين النوايا .. وهكذا يتضح أن الإسلام هو الذى حفظ العروبة والقومية والشخصية الجزائرية فى معترك الإذابة فى فرنسا ، ومن خلال هذه الجذور الأساسية القومية للقيم الإسلامية استحالت الشخصية الجزائرية على الموت والانصهار خلال أكثر من مائة وثلاثين عاماً حاول فيها الاستعمار الفرنسى محاولاته المتصلة ، ومحاولات القوى المسيطر ، للقضاء على « ذاتية الجزائر » وإذا كانت اللغة العربية قد أصابها التخلف إزاء خطة خطيرة ألغت المدارس العربية الإسلامية وأحلت محلها المدارس الفرنسية اللغة ، وقد أغلقت فرنسا نحواً من ألف مدرسة يدرس فيها ١٥٠ ألف طالب أو يزيد عندما احتلت الجزائر وأباحت للإرساليات التبشيرية أن تحل محل هذه المدارس وتطبق برامج أقل مافيهما أنها ترسم عظمة فرنسا وحضارة الغرب وتحط من قدر حضارة العرب والمسلمين وتدعو إلى ما تدعو إليه الإرساليات من تحويل المسلمين عن دينهم وقيمهم وتدمير مقومات فكرهم دفعاً لهم إلى الاستسلام أمام النفوذ الفرنسى وتقبله . والمعروف أن فرنسا لم تلبث فى الجزائر بعد احتلالها إلا قليلاً حتى أخذت تخطط لاستيعاب الجزائر بحساباتها فرنسا الجنوبية ، كما أغرقتها بسيول من الكتب والصحف والاسطوانات والأفلام الفرنسية ، وأنشأت بعد عشر سنوات من الاحتلال مكتبتي (شبكس) و (هاشيت) برأس مال قدره ستة ملايين جنيه استرلينى عام ١٨٤٢ لتكون هذه نواة الحركة الثقافية الفرنسية فى شمال أفريقيا ثم أنشأت مراكز فى وهران للزحف على غرب الجزائر ، وفى قسطنطينة للزحف الثقافى على شرق الجزائر ، ولم يلبث أن أصبح (لهاشيت) ثلاثمائة مركز وأصبحت جريدة لموند توزع فى الجزائر ٧٨٠٠ نسخة كما توزع الفرائى سوار ١٣٦٠٠ نسخة . غير أن المقاومة

الصلبة الغنيدة لهذا الإفناء للشخصية الجزائرية لغة وثقافة لم تصدر من الأحزاب السياسية المختلفة التي كانت تذهب وراء الألفاظ وتتحرك داخل إطار النفوذ السياسي الفرنسي وفيها من يدعى بأنه لا توجد للجزائر شخصية خاصة ، إنما جاءت المقاومة من خارج الدائرة التي والّت النفوذ الاستعماري ، جاءت من دائرة اليقظة الإسلامية التي بدأت في الجزيرة العربية وامتدت إلى مصر والشام والأزهر وظلت تشق طريقها حتى تسلم رايتها في الجزائر علامتها الإمام عبد الحميد بن باديس وزملائه البشير الإبراهيمي ومحمد الميلي وأحمد توفيق المدي وغيرهم . فقد لمع هذا المجدد المصلح لمعان النجم وأشرق إشراق الفجر ووضع الكلمة التي رددتها الأجيال ولم تمت منذ ذلك اليوم ، والتي دحضت أكاذيب وادعاءات وأباطيل الاستعمار خلال مائة عام كاملة ، كانت كلمة ابن باديس : « إننا نرى الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض ، وهي لا تزال حية ولم تزل ولهذا الأمة تاريخها اللامع ووحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها وتقاليدها ، هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصبح فرنسا ومن المستحيل أن تصبح فرنسا » .

بدأ ابن باديس عمله سنة ١٩١٣ في صمت وخفاء وأناة حتى استطاع أن ينشئ جمعية العلماء المسلمين سنة ١٩٣١ ووجه جهده كله إلى التعليم العربي الإسلامي في المساجد ، في مواجهة سياسة فرنسا الاستعمارية التي تحاول أن تمحو العربية والعروبة والإسلام ، وبعيداً عن ضجيج السياسة وصراع الأحزاب ، بدأ وزملاؤه يعملون في المساجد ويحمون لغة القرآن من الزوال حتى تم إنشاء مائة وخمسين مدرسة في شرق الجزائر وغربها ولم تلبث فرنسا أن أحسّت بخطر عمله حتى بدأت تحاربه بكل وسيلة ولكنه كان قد دعم قوة لا سبيل إلى دحرها . واستيقظت اللغة العربية ودراسات الإسلام مرة أخرى على النحو الذي وصفه جاك بيريك وغيره والذي كان بعيد المدى في حركة التحرر الجزائرية وثورة الجزائر . وهكذا رفضت الشخصية الجزائرية باستمرار وخلال قرن وثلث قرن ، رفضت الذوبان في الإطار الفرنسي المفروض عليها فرضاً ، وقضى الاستعمار على اللغة ولكنه لم يقض على الإسلام . لقد طلبت فرنسا من الجزائريين أن يعتبروا أنفسهم فرنسيين ، بعد أن أخضعوا منذ ١٨٨٩ في الأحوال الشخصية للقانون الفرنسي وكانت السلطات الفرنسية ترى من وراء ذلك إلى السير بهم نحو « الإدماج » الكامل ، إلا أن الجزائري كان مؤمناً بأنه ليس فرنسياً ، وهو مسلم قبل كل شيء وعندما فصلت فرنسا الدين عن الدولة في ٢٧ أيلول سنة ١٩٠٧ لم ينفذ هذا القرار

بالنسبة للجزائر وبعد أربعين سنة من ذلك التاريخ كانت الدولة الفرنسية تدفع من خزانيتها مرتبات لمائتين وتسعة وخمسين رجلاً دين كاثوليكي وبروتستنتي ويهودي . ولقد عمدت فرنسا أول ما عمدت إلى السيطرة على أوقاف المسلمين والسيطرة عليها ، ثم اتجهت إلى المساجد بحسبانها مراكز الإسلام . فأجرت لها عملية تصفية أليمة ، وفي مدينة الجزائر وحدها ذات الـ ١١٢ مسجداً لم يبق منها إلا خمسة فقط وحول اثنان إلى كنائس وهدم الباقي ، وفي كل مكان حولت مساجد الجزائر إلى كنائس . ويروي القائد روفيجو مؤلف « الجزائر الثائرة » كيف حول أضخم مسجد في مدينة الجزائر إلى كاتدرائية الجزائر بعد أن هدم أربعة آلاف مسلم كانوا قد اعتصموا به . وفي أعقاب هذا العمل أتيحت الفرصة للمبشرين وتكونت جماعة الآباء البيض التي أنشأها الكردينال لافيغري . وقد أشار إلى هذا مؤلف كتاب تاريخ الجزائر : « إن أول ضربة ضربها الاستعمار الفرنسي في الجزائر بعد تقويض أساس الدولة الجزائرية هي ضربة الأوقاف الإسلامية فكل المساجد الإسلامية والمؤسسات الإسلامية قد أصبحت ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة . فرجال الإفتاء وأئمة المساجد وسدنتها وقراء القرآن فيها يتقاضون أجورهم من الخزينة الفرنسية وهم موظفون تابعون لفرنسا لا يتسلمون عملهم إلا إذا قدموا للاستعمار ما يوجب رضاه » . وهكذا مضت الحملة الاستعمارية الثقافية وخطة التغريب لتتقضى على الأمة الجزائرية واللغة العربية والإسلام في الجزائر جميعاً وتغلبت اللغة الفرنسية بعد أن حوربت العربية حرباً متصلة لم تنقطع ولم تقتر استخدامت فيها كل الأسلحة . وعلى رأس المائة من أعوام الاحتلال حيث بدأ الاستعمار يحتل بالإدماج الكامل للجزائر كان صوت عبد الحميد بن باديس وجميع العلماء المسلمين يؤكد في قوة وجهازة أن الجزائر عربية مسلمة وأنها تستحيل على الفناء في الوجود الفرنسي .

وكان هذا علامة ضخمة في تاريخ الإسلام الحديث لها أثرها العميق ومداها الواسع مقدمة حرب ضروس استمرت سبعة أعوام من أجل بقاء « الذاتية الجزائرية العربية الإسلامية » ويرى كثيرون وفي مقدمتهم جاك بيرك أن اللغة العربية (الفصحى) أو الكلاسيكية هي التي حملت الجزائر من الانتصار ، يقول بيرك : « إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا » . كيف كان ذلك ! . يقول « لقد كان للمستعمر قوة مادية مدهشة ، واقتصاديات عالية ، ومدينة جذابة ومع ذلك يلاحظ أن شيخ علماء

الجزائر الذي كان يعتبر نفسه رجلاً غير سياسياً ، وكان يتجنب السياسة ويقولون عنه في الجزائر إنه شخص جاد أكثر من أى شخص آخر ، كان هذا الرجل من أعظم رموز مقاومة الاستعمار فإن صحت هذه الدعوة المعنوية الثقافية بل أقول الرمزية كانت أقوى العوامل في النهوض الحقيقي لشعب الجزائر . إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصاله الجزائرية وقد تركت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية . ويبدو هذا الدور حقيقة مثلاً في خطاب ابن باديس عام ١٩٣٧ قبل وفاته بسنوات ثلاث الذي ألقاه في جمعية العلماء حيث يقول : « حوربت فيكم العروبة » حتى ظن أن قد مات منكم عرقها ونسخ منكم نطقها فقسم بعد قرن تصدح بلبابكم بأشعارها فتثير الشعور والمشارع ويهدر خطباتكم بشقائقها فتدك الحصون والمعقل ويهز كتابكم أقلامها فيصيب الكلا والمفاصل . * حورب فيكم « الإسلام » حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه وانتزعت عقائده ومكارمه ، فجثتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا كما حرفة الجاهلون وشوّهه الدجالون . * وحورب فيكم « العلم » حتى ظن أن قد رضيت بالجهالة فجثتم بعد قرن ترفعون للعلم بناءً شامخاً وتشيدون له صرحاً شاهقاً فأنستم على قواعد الإسلام والعروبة والعلم جمعيتكم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . * وحوربت فيكم الفضيلة فسمتم الخسف ورميت بالصغار حتى ظن أن قد زالت منكم المروءة والنجدة وفارقتكم العزة والكرامة ، فجثتم بعد قرن تنفضون غبار الدل وتهزون أسس الظلم ، وتزمرجون زمجرة العزيز المهان وتطالبون مطالبة من يعرف أن له حقاً لا بد أن يعطاه أو يأخذه . نعم ، نهضنا بعد أن صهرنا بنار الفتنة والابتلاء ، وقارعنا الخطوب ودافعنا ودافعنا . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » . نعم نهضنا بعد قرن ، بعدما متنا وأقبرنا ، أحيينا ويثعنا ، سنة كونية فقهاها من القرآن ونعمة (ربانية) لمقيناها من الملك الديان ، نعم نهضنا نهضة بنينا على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشرية . العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان نهضتنا ، وأركان جمعية العلماء ، فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين وتعلمنا اللغة وتبيننا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطننا ، وما كانت جمعية العلماء حتى كان العلماء القرآنيون الذين فقهوا الدين والدنيا بفقه القرآن وعرفوا السنن الأقوم بمعرفة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وهدوا واهتدوا بما كان عليه السلف الصالح . إن الإسلام عقد

اجتماعي عام فيه جسيع ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورفقه ، وقد دلت تجارب الحياة كثيراً من علماء الأمم المتمدينة على أنه لا نجاة للعلم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام « ١. هـ . هذه هي علامات التحول التي حققتها الدعوة الإصلاحية القائمة على الإسلام واللغة العربية وهي أرضية الثورة الجزائرية والحرية ، ومن خلال هذه الحركة برزت الشخصية الجزائرية « عربية مسلمة » بعد أن ظن الاستعمار أنها انتهت ، وكان ذلك مقدمة طبيعية للثورة المسلحة التي حققت « الذاتية الجزائرية » بعد سبع سنوات من الجهاد والاستشهاد . ولقد استطاع النفوذ التغريبي الثقافي الفرنسي المسيطر أن يخذع بعض المثقفين الجزائريين عن جوهر شخصيتهم وعن حقيقة وجودهم العربي الإسلامي فترة من الزمن حين ظنوا أن أوروبا هي كل شيء ، وأن الجزائر ليس لها وجود ذاتي متفصل عن فرنسا ؟ ولكن كثيراً من هؤلاء الزعماء قد رجعوا عن آرائهم وعادوا إلى الإيمان بالشخصية الجزائرية « عربية إسلامية » ، وكان لجمعية العلماء أثرها القوي في تصحيح هذه المفاهيم . وفي مقدمة هؤلاء عباس فرحات الذي قال في كتابه (الظلمة الاستعمارية) إن الجزائر بلد عربي ومن ذا الذي ينكر هذه الحقيقة ، وهي أرض إسلامية أصيلة وذلك حق أيضاً ومهما يكن من إرادة الإمبريالية في الماضي والحاضر فإن هذه الظاهرة التاريخية تظل صادقة تمام الصديق » . ومن أعماق جبال أوراس اندلعت الثورة ، من البيئة التي كانت أكثر تمسكاً بالإسلام ، ومن حق أن يقول « مالك بن نبي » ، من العقيدة الإسلامية نفسها انطلقت ثورة الجزائر وكانت العقيدة الإسلامية نفسها المحرك والدافع الكبير للتيار الثوري في الجزائر . ويؤكد هذا المعنى عمار وزقان في كتابه (الجهاد الأفضل) حيث يشير إلى أن الفكر الجزائري المشيع بروح الإسلام لم يفقد نفسه في غمار التيارات الفكرية الدولية . « بل إن احتكاكه بهذه التيارات لا يزيده إلا اطلاعاً على مظاهر الحقيقة والزيغ فيها وتدعيم الإيمان بقيمه المثل والمبادئ التي تحتضنها حضارتنا العربية الإسلامية » . ويقول : إنها لفارقة واضحة أن يكون الولاء للإسلام الذي اضطهده الاستعمار واستخف به هو الأكثر ثورية بالفعل على الصعيدين الديالكتيكي والتاريخي وأن حركة الإصلاح الديني حركة نهضة إسلامية ذات طابع ثقافي وسياسي وتستهدف القضاء الاجتماعي (الاستعماري) « وأنها كانت منهجاً يتلخص في هذه الصيغة الأخاذة » . « الإسلام ديننا . العروبة لغتنا . الجزائر وطننا » . وكان

سر الرسالة القومية لحركة الإصلاح الجزائرى يكمن فى الترابط العضوى بين هذه الكلمات الثلاث .

ويصور الكاتب كيف عملت حركة الإصلاح التى قادها ابن باديس على تصفية العيوب الاستعمارية للمجتمع الجزائرى ففتحت الطريق إلى اليقظة حين صفته من : « البدع . الجمود . القدرية . السلبية . الخرافة » . وقد حاول المؤلف أن يقدم تفسيراً لتغلب « اللغة العربية » على « اللاتينية » فى أفريقيا وقال : إن العقلية البربرية ليست غريبة إلى الحد الذى يظن عن اللغة العربية . وقال : إن التجربة البربرية التى أجراها الاستعمار كنزعة للتجزئة قد فشلت على الصعيد الاجتماعى والفكرى والسياسى . ويصور عمار وزقان - بوصفه أحد المشتركين فى قيادة الثورة الجزائرية - دور الإسلام فيها فيقول « إن موقفنا إزاء الإسلام لا يختلف لأننا ثوريون مرتبطون بالشعب ، وذلك أن رفض الأيدلوجية الإسلامية فى بلاد مستعمرة يضطهدون الأكثرية الساحقة فيها هو علامة تجدد أخرى تنادى به فئة منفصلة منفصلة عن الشعب غريبة الحياة والفكر امتصتها أو شلتها أيدلوجياً العدو المستعمر » . ثم يشير إلى دور التغريب فى العالم الإسلامى فيقول : تستعجل العقلية العصرية كثيراً فى توديع الأديان كلها توديعاً مآتماً دون أن تدرك أن الأيدلوجية الإسلامية ليست مختصرة بل هى فى كامل اندفاعها وحركتها . ويبدو مفهوم الشخصية الجزائرية واضحاً فى ميثاق الجزائر عام ١٩٦٤ . « إن الجزائر بلد عربى إسلامى ولذا فإن هذا التحديد يبنى أى رجوع إلى مقاييس عرفية ويتعارض مع كل انتقاص من الإسهام السابق على الفتح العربى . ورغم تجزئة العالم العربى إلى وحدات جغرافية أو اقتصادية مميزة فإن عوامل الوحدة المكونة من تاريخ وثقافة إسلامية ولغة مشتركة ظلت تحتل المقام الأول . فالجماهير الجزائرية العميقة الإيمان قاومت بصلاية لتخليص الإسلام من كل الشوائب والخرافات التى خنقته أو شوهته وناهضت دائماً الدجالين الذين كانوا يريدون أن يجعلوا منه مذهباً للخنوع والتوكل وربطه بإرادتها من إنهاء استغلال الإنسان للإنسان . وعلى الثورة الجزائرية أن تعيد إلى الإسلام وجهه الحقيقى ، وجه التقدم ، إن الجوهر العربى الإسلامى للأمة الجزائرية قد شكل حصناً منيعاً ضد تهديمها من طرف الاستعمار » .

جذور الوحدة العربية

قلنا في كتابنا « الإسلام وحركة التاريخ » إنه حين ضعفت حركة قائمة في العالم الإسلامي نبعت من مرحلة الضعف « حركة يقظة جديدة » ، وهي هذه المرة من قلب الأمة العربية ، وقد كانت ارهاصاً لنهضة ما زال مداها يزداد كل يوم قوة ، وهي على الطريق إلى غايتها تضارع قوى كثيرة تحاول أن تعوقها أو تحولها عن جوهر فكرها ومضمونه ، وهي في نفس الطريق وبالرغم من كل التحديات فهي شأنها دائماً مفتوحة الآفاق على الثقافات العالمية والفكر الإنساني تأخذ منه ما يتفق مع مقوماتها وما يزيدها قوة على الحركة والتقدم كما هي معطية دوماً لا تتوقف عن منح الإنسانية من ثمار فكرها الإيجابي البعيد الأثر في تكوين الحضارة الحديثة والفكر البشري . والأمة العربية اليوم تواجه تصفية عصر الاستعمار وتواجه تحديات النفوذ الثقافي والغريب فلا تستسلم له وتقاوم أخطر تحديات الاستعمار في تاريخها وتاريخ العالم الإسلامي وهو « الغزو الصهيوني » المدعم بالنفوذ الاستعماري الذي أقام فلسطين حاجزاً بشرياً بين شطري الأمة العربية وبين قارتي أفريقيا وآسيا وفي قلب العالم الإسلامي وما زالت الأمة العربية تواجه وجوده بالمقاومة خلال أكثر من عشرين عاماً. ولا شك كان لهذا الوجود الصهيوني في فلسطين منذ ١٩٤٨ وفي القدس بالذات ١٩٦٧ أبعد الأثر في حركة المقاومة واليقظة التي تواجهها الأمة العربية من خلال ثوراتها المختلفة واتجاهه إلى بناء كيانه بناءً قادراً على الضمود في وجه التحدي الزاحف من خلال السياسة والاقتصاد والاجتماع . ولذلك فقد أصبحت الدعوة إلى الوحدة العربية التي كانت مطمح الأمة العربية منذ انفصلت عن الدولة العثمانية - أصبحت هذه الدعوة ضرورة محتومة للتجمع في وجه النفوذ الصهيوني والمطامح الاستعمارية الدولية . ولقد استغرقت السنوات الخمسة عشر الأخيرة من عمر الأمة العربية محاورات مفتوحة حول مفهوم هذه الوحدة وفلسفتها ومداهها ومضمونها السياسي والاجتماعي وذلك بعد أن تبنت هذه الدعوة معظم الأمم العربية في دساتيرها وفي هيئاتها السياسية وتشكيلاتها الحزبية ، وقد كان لمصر بعد عام ١٩٥٦ حين اعترفت بارتباطها بالوجود العربي وعملت في حقه عملاً إيجابياً قيادياً أبعد الأثر في دعم فكرة الوحدة واقتربها من مرحلة التحققة. حث قامت أول تجربة للوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ ثم توالى التجارب بين

مصر وسوريا والعراق . ولقد كان مفهوم الوحدة العربية الذى انبعث من القاهرة أعمق مفاهيم هذه الوحدة وأقربها إلى التطور الطبيعى والتشكيل الجذرى المرتبط بالقيم الأساسية للأمة العربية والثقافة العربية ، فقد كان منبعثاً انبعاثاً طبيعياً بعيداً عن جميع المحاولات التى تريد أن تغرقه فى طوفان المفاهيم الغربية أو تنتزعه من جذوره وقيمة وأصالته . وكان إلى ذلك بعيداً عن ما يحمله مفهوم القومية فى بلاد كثيرة من الاستعلاء الجنسى أو العنصرية أو التعصب أو المفاخرة العصبية . وقد حافظت مصر بفهمها للوحدة العربية على مكانتها فى العالم الإسلامى بحسبانها واجهة حامية للتراث الإسلامى حيث يقوم فيها الأزهر ، وحيث تغذى عشرات الأقطار الإسلامية فى أفريقيا وآسيا بهذا التراث . وبذلك بعدت عن القومية فى مفهومها العنصرى الحاد الذى يبلغ مرحلة العقائد أو يحل محلها ، وبعدت أيضاً عن المفهوم العلمانى الذى يفصل بين القومية وبين القيم الروحية وبين الدين أو بين الإسلام نفسه الذى كان دوماً ديناً وفكراً جامعاً . لقد كانت النزعة القومية ضرورة طبيعية فى العالم كله ، وقد فرضت نفوذها فى العالم الإسلامى فظهرت القومية الأندونيسية والقومية التركية والقومية الباكستانية ولكنها فى ذلك كله كانت تحافظ على جذورها وروابطها التى تربطها بالإسلام باعتبارها مصدرراً أساسياً للفكر والثقافة . وفى مفهوم الوحدة العربية كان العاملان الأساسيان هما اللغة والتاريخ ، اللغة لسان الأمة والتاريخ ذاكرتها ، كان هذان العاملان مرتبطين أشد الارتباط بالإسلام والفكر الإسلامى . أما الذين قالوا بأن الدين ليس عاملاً من عوامل القومية فإنهم صدقوا من حيث أرادوا « الدين » بمفهومه اللاهوتى والعبادى الذى يفرق بين أصحاب الأديان المختلفة ، أما بالنسبة للإسلام فالقول بأنه دين فحسب إنما هو خطأ شائع ، أو ظلم مقصود ، فالإسلام له جانبه الروحى والعبادى وهذا خاص بالمسلمين ولكن للإسلام جوانبه الأخرى فى مجال الفكر والثقافة والتاريخ والتراث وهذه الجوانب كلها ليست ملكاً للمسلمين وحدهم ولا تمثل تقاليدهم وقيمهم وحدهم ولكنها تمثل قيم « الشرق » كله ، والشرق هنا هو كل ما ليس من العالم الغربى ، هذا الجانب الضخم من التراث الفكرى والثقافى هو « أرضية » أصيلة وجذور عميقة للوحدة العربية .

والأمة العربية حين ينبعث وجودها على هذا النحو البعيد عن المفهوم الغربى العلمانى وحين ينبعد أيضاً عن التعصب الإقليمى أو الاستعلاء العنصرى فإنه لا يجد من الخصومة أو الصراع أو المخالفة للقوميات الإسلامية الأخرى بل يلتقى معها فى الأصول والجذور والقيم الأساسية

والمعالم الكبرى . لقد حاول الاستعمار أن يستفيد من حركة الوحدة العربية من أجل تمزيق الروابط التي كانت تجمع العالم الإسلامي وتربط بين العرب والترك والفرس ولكن عوامل جديدة أخذت في إحياء هذه الروابط ودعمها من جديد . وكانت الدعوة إلى الوحدة العربية بعد الحرب العالمية الثانية عاملاً هاماً في القضاء على الدعوات الإقليمية التي أُرثها النفوذ الأجنبي في مرحلة ما بين الحربين ، وكان عودة إلى التقاء الأمة العربية في فكر موحد على الأصول الأساسية والقيم والجنود الثابتة وعلى نحو ما كان يفهمه دعاة الوحدة العربية القدامى وقريباً من مفهوم محمد عبده وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وعبد العزيز جادويش وشجباً للدعوة التي برزت في الأربعينات واستشرت بعد ذلك محاولة فصل العروبة عن روابط الفكر الإسلامي وقيمه . والتماس مفهوم القومية الغربي المجرد الذي يفصل الأمة عن جذورها . وفي أوروبا كانت المسيحية غريبة عن طبيعتها وتاريخها ، ولم تكن إلا عقيدة أخلاقية وتعبدية صرفة ، وفي نفس الوقت لم تتصل أصولها بلغاتهم ، ولم تمتزج بتاريخهم . أما بالنسبة للإسلام فإن الأمر يختلف اختلافاً جوهرياً فهو ليس أخلاقاً أو عقيدة أخرى أو تعبدية وإنما هو منهج حياة شامل متصل بمختلف أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وهو ليس مرحلة تاريخية في حياة الأمة العربية يمكن أن يقال أنها إنقضت ، ولكنه يربط التربة بالجذور حيث يختلط التراث والتاريخ واللغة بين الأمة العربية وبين الإسلام نفسه وتتداخل على نحو يصعب التفريق فيه بين العروبة وبين الإسلام فهو للمسلم دين ومنهج حياة وللمسيحي ثقافة قومية ومصدراً لمقومات الفكر والشعور والذوق والحياة . «فعلاقة الإسلام بالعروبة ليست إذن كعلاقة أي دين بآى قومية» . ولقد تكشف للأجيال الحديثة أن الفرعونية كانت من موجات الأمة العربية وكذلك كانت الفينيقية والبربرية في بعض أقوال علماء الآثار والمؤرخين وبذلك لم يعد هناك تعارض فقد انصهرت الموجات القديمة بعد الإسلام وتبلورت وتلاقت ووضى الاعتزاز بالتاريخ الفرعوني في مصر لا يتعارض مع العروبة أو الإسلام إلا من حيث اتصاله بالوثنية أو تيارات الفكر التي قضت عليها دعوة التوحيد ، فهي مقبولة من حيث الشكل التاريخي ولكنها متعارضة إذا قدمت على أنها ثقافة خالصة ، وكذلك مختلف الدعوات والتيارات فقد صهر الإسلام الأمة العربية في كيان موحد ، وصهر الفكر الشرقى في بوتقته وتشكل من جديد . والإسلام لا يعارض وجود الامم وغيرها ، ولكنه يعارض صراعها وقيام الخلافات التي تحول دون تحقيق «الوحدة

الانسانية» والالتقاء الفكرى والروحى للأمم البشرية المختلفة . والنفوذ الاستعماري دائماً من وراء عملية التمزيق والتفرقة بين الأمم ووراء التناحر والصراع بين القوميات . وللوحدة العربية أهميتها فى مجال التحدى الذى يواجهه العالم الاسلامى اليوم مع الاستعمار وبالنسبة لأخطر قوى هذا التحدى وهى «الصهيونية» فى فلسطين ، ولقد تنبه إلى هذا المعنى كثير من زعماء الاسلام ومفكره وأعلنوا فى وضوح ضرورة قيام الوحدة العربية كأساس للأخوة الاسلامية فالأمة العربية هى مبعث الاسلام ولغته وقرآنه ، وهى الأمة التى حملت لواءه إلى العالمين ، وهى جغرافياً وسياسياً وتاريخياً موئل العالم الاسلامى النابض ، والأمة العربية وما تزال هى الأمل فى رفع راية الاسلام والحفاظ عليه ونشره . ولقد ظلت مصر تلتمس لنفسها طريقاً منذ أوائل النهضة الحديثة حتى اهتدت إليه «وطنية مصرية» ذات جذور ترتبط بالأرض ، «وعروبة» ترتبط بالأمة واللغة ، و«اسلاماً» هو أساس الفكر والثقافة . وقد ارتفعت صيحات كثيرة بالدعوة إلى الفرعونية ولكنها عجزت أن تجد لها ثقافة أو فكراً أو منطق حياة، ولم تلبث الدعوة إلى الفرعونية أن اصطدمت بالوثنية بعد أن غمر التوحيد مصر ثلاثة عشر قرناً . وقد تخطاها أغلب المنصفين الذين دافعوا عنها وعرفوا بعدها الطريق الأصح مقدمة هؤلاء دكتور محمد حسين هيكل . ولقد كانت زعامة الأمة العربية دوماً تستمد مقوماتها الصحيحة من المؤمنين بتراتها المرتبطين بتاريخها الممتد ، ولذلك فقد سقطت دعوات القومية التى حاولت أن تفصل الأمة العربية عن مقومات اللغة والتاريخ وجذورها الثقافية ، وبدأت الآراء المتعددة تنصهر الآن فى مفهوم سمح بعيد عن ذلك الجفاء المصطنع للفكر الإسلامى الذى أوجده بعض دعاة المفهوم الغربى للقومية ، ذلك أن الثقافة العربية التى تتمثل بأبرز صورها فى التاريخ إنما هى وليدة أصيلة للفكر الإسلامى فلا يمكن أن تنفصل عنه . وواضح أن النفوذ الغربى وحركات التغريب قد حاولت بالنسبة للوحدة العربية محاولتين : حاولت بالدعوة إليها «أولاً» الفصل بين العرب والمسلمين فى كيان الدولة العثمانية الواحد ، فلما قامت الوحدة العربية ذات أصالة كقوة للمقاومة والوقوف فى وجه النفوذ الغربى فقد اتجهت الحركات والدعوات إلى محاولة تصفيتهما من مضمونها الثقافى الإسلامى العربى الأصيل ، ولذلك حتى لا تلتئم هذه الوحدة لتكون قوة كبرى فى وجه النفوذ الأجنبى . ومن هنا تظهر كل هذه المحاولات التى ترمى إلى التشكيك فى التاريخ أو هدم اللغة الفصحى أو بعث العامة أو اغراق الثقافة العربية باليونانيات الوثنية أو

الفرعونيات أو العربيات الجاهلية السابقة للإسلام ، وكلها عوامل تفرقة ومحاولات للتجزئة ولتعميق الأقلية ودفعها . وهى محاولات يائسة ضد حركة التاريخ نفسه الذى يتجه إلى توحيد الأجزاء وإلى التجمع والالتقاء بين العناصر ذات الأصول الواحدة . لقد قامت الحركات القومية فى الغرب فى محاولة التخلص من نفوذ الكنيسة والاقطاع ، ولكن الحركات القومية فى العالم الاسلامى إنما تقوم فى محاولة التخلص من النفوذ الاستعمارى الغربى فى صورته المختلفة ولذلك فهى تعتمد أساساً على مقوماتها التى حققت لها النصر فى مختلف معارك المقاومة وصدامات الصليبيين والتتار والقوى الزاحفة ، ولقد كانت القيم الأساسية المستمدة من الاسلام والعروبة هى مصدر القوة والصمود وآخر هذه الصور إنما تتمثل فى معركة الجزائر . وإذا كان للغرب نظرية فى القومية فإنها مستمدة من ظروفه ووجوده وكيانه ولا بد أن يكون للغرب والقوميات فى العالم الاسلامى نظريات مستقلة مستمدة من ظروف هذه الأمة وكيانها وقيمها الأساسية ، وإذا كانت نظرية القومية الغربية قد رفضت الدين الغربى فليس ذلك مساوياً للمفهوم الذى يقول بأن نظرية القومية العربية لا بد أن ترفض الدين ، لأسباب عدة أهمها أن الاسلام ليس ديناً لاهوتياً تعبدياً بالمعنى الذى رفضت به أوروبا الدين المسيحى وليس للإسلام قوة تتمثل فى شئ مثل الكنيسة الأوروبية التى قاومتها الدعوة القومية فى الغرب وكل ما أورده ساطع الحصرى وغيره فى هذا الصدد لم يكن فيه متحرياً جوهر الحقيقة ولم يكن متمثلاً لمفهوم الفكر الاسلامى فى شموله وتكامله . وقد تجاوزت الثقافة العربية فى تطورها نظريات ساطع الحصرى وغيره فى ظل الايمان بقيمتها . ولقد حاول الغرب دائماً أن يفرض نظرياته ومفاهيمه على هذه المناطق الواقعة تحت نفوذه الاستعمارى والسياسى ، ولقد آن للعالم الاسلامى والأمة العربية أن تتحرر من التبعية للنظريات الغربية أو المفاهيم الغربية للقيم المختلفة . وقد أشار أرنولد توينبى إلى هذا المعنى حين قال إن طغيان الغرب يتجلى فى تحويل تجاربه إلى قوانين عامة للجنس البشرى ، فالعالم عند الغرب هو مادة الحضارة للجنس الأبيض الممتاز . والمعروف أن الاستعمار هو الذى قضى على الوحدة الاسلامية وهى فى طريقها إلى الدعم ، محاولاً أن يحل بدلاً منها الدعوة العربية المرحلية فى مقدمة الدغوات الإقليمية والتجزئة ، ولكن الوحدة العربية تمت فى ظل تحديات قضية فلسطين . ولذلك فقد حاول الاستعمار حين أيد قيام جامعة الدول العربية إلى تأخير وجودها الحقيقى ، وذلك بوضع العقبات فى طريقها ، ولكنها اليوم بعد أن قطعت مراحل

متعددة ، وتغلبت في عقبات كثيرة. تحاول أن تحقق التثاماً وتقارباً في مجالات مختلفة كالمجال التربوي والثقافي والاقتصادي .

الباب الرابع حركات الإصلاح في العالم الاسلامي

الدعوات الاسلامية

تتمثل اشارة اليقظة في العالم الاسلامي في صيحة المصلحين لالتماس المفاهيم الأساسية للإسلام بحسبان أن مرحلة الضعف والاستعمار إنما ترجع أساساً إلى أن فقدان المسلمين قوتهم وكيانهم إنما جاء نتيجة فقدانهم لقيمهم الأساسية التي تحمل طابع التأهب الدائم والحرص المستمر فالمسلمون في رباط دائم إزاء عدو قائم (ووالذين كفروا لو تغفلون عن أممعتكم واسلحتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ومن هنا فقد كان الجهاد في مفهومه الشامل الكامل تأهب كامل ورباط دائم وتجدد مع الزمن في أساليب الدفاع والمقاومة . تلك هي الدعوة التي حمل لواءها المصلحون طوال عصور تاريخ الاسلام ، وهي مفتاح اليقظة في مختلف المراحل التي تتوالى على المسلمين . ومنذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري دخلت الدولة الكبرى التي تحمل لواء الاسلام في مرحلة الضعف بعد أربعمائه عام من النضال والمقاومة وقفت خلالها في وجه الزحف الأوربي المتربص ، غير أن تخلف المسلمين ممثلاً في قيادتهم السياسية عن سنن الكون وضعهم في موضع الضعف ووضع عدوهم في موضع القوة ، ومن ثم تحول الميزان فأصبحوا في منطقة الظل واستطاع خصمهم أن يطوق عالمهم على مهل خلال القرون الخماس عشر والسادس عشر والثامن عشر الميلادي ، وإن يشد الحبل في القرن التاسع عشر حيث سقطت وحدات العالم الاسلامي واحدة بعد أخرى في يده . نعم استطاعت الدولة العثمانية أن تحمي منطقة ضخمة هي منطقة شرق البحر الأبيض والعالم العربي ، وأن تصمد فيها للمقاومة ولكن عالم الاسلام المتدبر أفريقيا والهندو أندونيسيا قد أتاح للنفوذ الأجنبي فرصة واسعة في الإيغال هناك حتى وصل إلى حدود الصين ، ومكن لنفسه في أرخبيل الملايو وشواطئ أفريقيا والشرقية وفي الهند نفسها ، وكان له نفوذه في قلب إيران حيث كانت الحرب سجلاً بينها وبين تركيا غير أنه يمكن القول بصدق أن جميع بواعث اليقظة في عالم الاسلام كانت نابعة أصلاً من تقدير كامل لموقف الضعف الذي يمر به المسلمون ، وفي كلا المنطقتين اللتين علت فهما صيحة اليقظة والتجديد . كانت منبثقة من أعماق الأمة الاسلامية وفي كلا الحركتين

ظهرتا في الهند وفي الجزيرة العربية كانت الدعوة إلى الإصلاح تصدر عن الاحساس بأن طوابع الفكر الاسلامي قد بهتت وأصبحت في حاجة إلى الانفصال . ويمكن القول أن دعاة الإصلاح في الهند مثلين في السر هندي ١٦٣٤م . ١٠٣٤هـ والدهاوى ١٧٦٢م ١١٧٦هـ قد سبقوا دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإمام محمد عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية غير أن نجم دعوة التوحيد ما كاد يبزغ ، وصوتها يعلو من حول الكعبة حتى هزت العالم الاسلامي كله وأصبحت مصدراً لكل ما تلاها من حركات أيا كان نوعها ومصدرها ، سواء الفكرية الخالصة منها أو السياسية أو الوطنية وذلك في تصحيح مفاهيم الاسلام ، لا غربة في ذلك ، كان الاسلام ولا يزال جامعاً متكاملًا بين السياسة والاجتماع والوطنية والثقافية والتربية ، فكل الحركات في أي وحدة من هذه الوحدات إنما تتصل بالكل وتؤثر فيها . والواقع أن حركة «السرهندي» إنما كانت محلية أساساً ، وكانت تهدف إلى إصلاح أداة الحكم ونظام المجتمع في الهند بعد أن أوغل في الانحراف بدعوة «أكبر» إلى توحيد الأديان رغبة في تأكيد نفوذه وهو في تقدير كثير من الباحثين مجدد الألف الثاني (٩٧٧-١٠٣٤) وقد رأى ما صارت إليه الدعوة الاسلامية من انحطاط وتقهقر بسبب اهتمام الحكام المسلمين بتوطد نفوذهم ، وكان جهاده أساساً ينصب على مناصحة الأمراء والحكام ومحاربة البدع والمنكرات والعقائد الفاسدة ، والمجاهدة في الكشف عن بدع وأباطيل العلماء ، وتحرير ما ابتدعه ونسبوه إلى الاسلام ومهاجمة الصوفية الذين تأثروا بفلسفة البراهمة والأقطار والأخرى غير الاسلامية . وقد رفض فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، ودعا التصوف الاسلامي الخالص المستمد من منابع القرآنية . ظل السرهندي يقاوم ظل دعوة الامبراطور أكبر إلى ما أسماه الدين الالهى المبني على تلفيقات من الاسلام والهندوكية . وقد قاوم ذلك السهر هندي ، واستطاع في خلال حكم ابنه (جهايبكير) ١٠٩٤هـ (١٦٠٥م) أن ينجح إذ وجد رأييه ثقيلًا قوياً لدى الحاكم فالغى الكثير من البدع وفي مقدمتها الأمر بالسجود أمام الملك . وإيجاد التقويم الهجري بعد أن حل محله التقويم الالهى الذى يبدأ تاريخه بجلوس الامبراطور أكبر . ويعد «السرهندي» نقطة تحول في تاريخ الاسلام في الهند في العصر الحديث وإرهاصا بحركات الإصلاح المتعددة التي جاءت بعده (توفي ١٠٣٤) أما «الدهلوى» فقد جاء بعده بقرن كامل . كان دوره أشد خطراً وعمقاً ، وكان أثره الفكرى أبعد مدى من أثره الاجتماعى فقد «أصل» الفكر الاسلامي وواجه به مجدداً تحديات المرحلة الحاسمة التي كانت تمر بها

الهند وهى فى طريقها إلى السيطرة البريطانية . كان عمله الأكبر هو تصحيح مفهوم التوحيد الإسلامى والدعوة إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة ونشر علم الحديث ، وبيان أساليب الإسلام وأساسه فى تنظيم الحياة والمجتمع وهو محدود فى الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية الهندية من طراز حجة الإسلام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية . ويمكن القول بأن «السرهندي» والدهلوى هما حلقتان من حلقات المجددين المصلحين الذين تابعوا العمل على نفس المنهج الذى رسمه ابن تيمية والذى توالى متابعوه والعاملون به جيلا بعد جيل وإن لم يسمع صوتهم الخافت خلال مرحلة الضعف والتخلف البالغة .

(١)

دعوة التوحيد

أما دعوة محمد بن عبد الوهاب التى أعلنها فى قلب الجزيرة العربية فقد كان أبرز عوامل نجاحها وقوتها أنها ظهرت فى منطقة بعيدة عن التحديات الخطيرة التى واجهها العالم الإسلامى كله من خلال النفوذ الأجنبى الزاحف ، وهذا ما أعطاها قوتها ومكن وأتاح لها فرصة البقاء والتأثير ، كما زاد من قوتها وأثرها أنها انبعثت فى مكان الدعوة الإسلامية ، وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم قاصدين بيت الله الحرام ، ومن هنا وجدت من المتتبعين حولها قوة إذاعتها ونقلتها إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى . ولم تكن حركة محمد بن عبد الوهاب كما حاول أن يصورها خصومه دعوة «دينية» من حيث أنها حملت لواء التوحيد ، بل كانت دعوة إسلامية كاملة ، ولم يكن التوحيد منها إلا أقوى عاملات المقاومة للاستعمار والاستبداد والنفوذ الأجنبى بحسبان أن الإسلام دعوة خالصة لا تقر بالعبودية إلا لله وحده ، وهذا عامل قوتها الذى أزعج النفوذ الأجنبى الحريص على أن يظل عالم الإسلام غارقا فى مفهوم منحرف عن الإسلام سيطر عليه خلال فترة الضعف عن طريق جبرية التصوف ، كان طابعه التواكل وتقبل نفوذ السلطان الظالم . فكانت هذه النصيحة إلى التوحيد من قلب الجزيرة العربية إنما تمثل حركة مقاومة ضخمة فى مواجهة زحف النفوذ الغربى . ولذلك فقد حرص الاستعمار على أن يباد الحركة التى تحولت إلى دولة ، وذلك بما حمل عليها من حملات وبما أوغل عليها الصدر لدى الدولة العثمانية التى كانت ترى فيها خطراً على نفوذها ، هنالك اصطلحت القوى على القضاء

عليها حين عمدت الدولة العثمانية إلى دفع محمد على إلى إعلان الحرب عليها فلما انتهى محمد على من إسقاطها ، استدار خصوم حركات اليقظة سياسية كانت أم فكرية إلى حركة محمد على نفسها ففقدوا عليها . ولم تكن ثمرة ذلك لمصلحة الدولة العثمانية بقدر ما كانت لمصلحة النفوذ الاجنبي الزاحف . غير أنه إذا كان قد قضى على الدولة التي أقامت حركة التوحيد فان الحركة نفسها لم تمت بل قد وسعت مداها ، وأوقدت شعلة قوية في كل أعماق دعوة للإصلاح وقد تأثر بها دعاة السلفية في الهند والعراق والشام ومصر والمغرب جميعاً ، وكان من تلاميذها الالمى الكبير في بغداد والأفغانى ومحمد عبده في مصر وجمال القاسمى في الشام وخير الدين في تونس وصديق حسن خان في بهو بال الهند . ومزية دعوة التوحيد التى اهتمتها إلى كل الحركات والدعوات والمصلحين الذين تابعوها هى فهم الاسلام فهما متكاملان قائماً على أنه دين ونظام مجتمع ومنهج حياة فقد قامت هذه الدعوة « دينية سياسية » (١) لأن الاسلام دين وقانون واجتماع فى نظام موحد ومن العسير فصل هذه العناصر بعضها عن بعض . والمعروف أن النفوذ الغربى وفى مقدمته بريطانيا قد قاومت هذه الدعوة لأسباب عدة أهمها أنها كانت لا تريد أن يسمع فى هذه المنطقة صوت يقظة حتى يتم تمزيقها . وسلخها من الدولة العثمانية وإدخالها فى مناطق نفوذها ، وكانت منطقة الخليج العربى فى هذه الفترة هى أخطر هذه المناطق التى تطمع فيها بريطانيا ، ومن هنا فقد قاومت هذه الدعوة ، وحملت عليها محاولات مختلفة حاولت أن تصورها خارجة عن الاسلام التقليدى الذى تمثله الدولة العثمانية . وإذا من كراهية بريطانيا الدعوة للتوحيد أن قوماً من الهنود التمسوها سلاحاً لمقاومة بريطانيا فى مة دمتهم الإمام أحمد بن عرفان الذى بدأ دعوته فى الهند ١٨٢٠م (١٢٣١هـ) فدعى الناس إلى التوحيد الخالص واتباع السنة وحارب البدع محاربة سافرة وأنشأ مع أعوانه دولة فى بشاور طبق فيها نظام الاسلام وجمع بين العبادة والجهاد ، وكان عمله إرهاباً بالثورة التى قادها المسلمون عام ١٨٥٧ وقد عمد النفوذ الاجنبى إلى خلق الازدراء بدعوة التوحيد فى مصر وفى الهند وبلاد الدولة العثمانية . وأغضى عن اسمها الحقيقى وأطلق عليها اسم الوهابية وأشاع هذه التسمية وأدخلها معاجمه الحديثة ، وقد أخطأ عمداً حين وصفها بأنها مذهباً جديداً فى الاسلام . وقد قاومت الدولة العثمانية دعوة التوحيد رغبة منها فى الاحتفاظ بنفوذها على العالم الاسلامى عن طريق السيطرة على مكة والمدينة ، فلما اجتاحت-

قوات الوهابيين هاتين المدينتين عام ١٨٥٣ واجهت الدولة العثمانية موقفاً صعباً لم تتمكن من إصلاحه إلا بعد وقت طويل ، فان المدينتين لم تعودا مرة أخرى إلى نفوذ الدولة العثمانية إلا عام ١٨٧٠ تقريباً . وقد أكد «دعوة التوحيد» بما كتبه الامام محمد بن عبد الوهاب ضرورة التماس مفهوم الأساس من القرآن «وأن وسيلة الإصلاح والنهضة لن تتحقق إلا بحملة ضخمة قوامها القوة والافناع معاً للقضاء على «البدع والمفاسد التي دخلت الإسلام ظلماً والعودة إلى نقاوته الأولى وعدم الاعتراف بما تركه المفسدون مما يتعارض مع أصول الاسلام في بساطته وسماحته وترك الطقوس وأنواع الاحتفالات والبدع الخاصة بتقديس الأولياء وقصر العبادة على توحيد الله وحده وفق ما دعا إليه الرسول واتبعه ووفق تعاليم القرآن » ولا شك أن صدق عبد الوهاب وعمق إيمانه وصلابته كانت كلها عوامل أساسية في النتائج التي حققتها الدعوة فقد عاش عمراً مديداً قضى أكثر من خمسين عاماً في قلب الحركة التي قام بها عام ١٧٤٠ والتي ظل يواظب عليها حتى توفي عام ١٧٩٢ ، أضف إلى ذلك تقبل الأمير محمد بن سعود لها مادفعها إلى مجال القوة والسلطان حيث أصبحت أسلوباً تطبيقياً للمجتمع مما أعطاها حيوية وانطلاقاً وخلق لها جذوراً ثابتة . وقد كانت في تقدير المؤرخين والمفكرين بحق نقطة انطلاق الأمة العربية وتسلمها لقيادة الحركة الاسلامية في العصر الحديث وإيداناً بانتهاء دور الدولة العثمانية التي شاخت وضعفت . وكان أبرز معطياتها عمليتين كبيرتين : أنها فتحت باب الاجتهاد في الفروع بعد أن ظل مغلقاً منذ سقوط بغداد ٦٥٦ هـ وضرورة القيام بواجب الجهاد وحياء هذه الفريضة التي أصابها الوهن وأنها - إلى ذلك - كانت ثورة بدوية على الاستبداد والضعف والانحلال الذي آل إليه حال العالم الاسلامي ، وكانت كذلك أول حركة تحريرية عربية اسلامية . وقد حملت الدعوة في عنف على الوجه الاسلامي التقليدي القائم وعلى علماء المسلمين التقليديين الذين كانوا يسرون في ركب الأمراء والولاة ، وهزت قوائم مراكزهم ونفوذهم ، ومن هنا واجهت خصومه «الاسلام الرسمي» الذي تصدى رجاله لها وحرصوا على تشويه مبادئها بحسبانها عاملاً هادماً لوجودهم . ومن حق أن الوهابيين كانوا غاية في «القسوة والعنف» وتلك طبعة الدعوات مواجهة التخلف والضعف ، فقد أعلنوا سخطهم على كل الطوائف الاسلامية الحضرية التي استسلمت للترف ، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك في محاولتهم مهاجمة حدود الدولة العثمانية ، التي أغراها النفوذ الاستعماري ومطامع محمد علي - على أن تضرب به هذه الحركة الوليدة ، والاستعمار

قادر على أن يوقع الخلاف بين القوتين الشابتين : الفكرية في نجد والسياسة في مصر ، ولو أنهما التقيا لتغير وجه التاريخ . ومن حق أن الدعوة الوهابية لم تجد أمامها من الوقت ما يهيئها لتنمو ، ولتتصل بروح العصر ، وتستخدم أسلحته وأساليبه ، حتى تستطيع أن تواجه خصومها ، ولم تكن قوة الفكر وحدها قادرة على العمل . وقد كان الاستعمار وراء القضاء على هذه الحركة قبل القضاء على حركة محمد علي في مصر ، بحسبان أنها حركة أيديولوجية فكرية عميقة الجذور متصلة بالإسلام نفسه الذي كان ولا يزال هو الخطر الأول المستيقظ في مواجهة الغزو الغربي المتطلع إلى السيطرة على المنطقة كلها . ومن هنا جاز للكاتب : لوثرروب استوارد أن يقول إن الوهابية لم تقو على الوقوف في وجه البنادق والمدافع الأوربية ومن حق أن يقال أن محمد علي لم يستطع القضاء على الدعوة الوهابية قبل ١٨٢٨ وكان قد بدأها ١٨١١ . فقد صمدت أمامه صموداً عجيماً بالرغم من أسلحته الحديثة ولولا أن محمد علي استعمل الرشوة إلى بعض قبائل العرب وأغراها بالمال ليستعين بها على الوهابيين لما استطاع تصفية هذه الحركة (راجع الجبرتي) . غير أن دعوة التوحيد التي قادها محمد بن عبد الوهاب قد سجلت أمراً خطيراً وبعيد الأثر في حركة اليقظة المعاصرة كلها ذلك إنها أيقظت عالم الإسلام والأمة العربية قبل قدوم حملة نابليون بأكثر من ستين عاماً وهدته إلى وسائل النهضة وأسبابها . وقد استطاع النفوذ الاستعماري الزاحف ، التي أعد خطة القضاء على الدولة العثمانية ، وتمزيق أواصرها والسيطرة عليها أن يقضى على مختلف الحركات الإصلاحية التي قامت في هذه الفترة . سواء ذات الطابع الإسلامي منها أو العسكرية والسياسي : كحركة السلطان محمود في تركيا أو محمد علي في مصر . وكان التركيز على الحركة الوهابية أشد ، فقد أحس الاستعمار أنها تمثل مفهوم الإسلام في اليقظة والمقاومة والعودة إلى عوامل القوة ، وكان الوهابيون قد وضعوا أمامهم خطأ أساسياً هو الدفاع عن حوزة الإسلام ضد الخطر الأوروبي بعد أن حسبوا مدى الوهن والتراخي الذي طرأ على الوحدة الإسلامية العثمانية في الأستانة وانحلال الدول . وإذا كانت « الدولة » التي أقامتها الحركة الوهابية قد انتهت عام ١٨١١ . فقد تركت آثارها القوية التي انتشرت في أنحاء العالم على حد تعبير لوثرروب ستوارت « لقد ظل الوهابيون يبعثون روح الحركة في مئات الألوف من الحجاج الوافدين كل عام إلى مكة والمدينة . واستطاع الوهابيون أن يبذروا بذراتها لاختيار الشدائد للثورة الدينية في كل فج إسلامي حتى وصلت دعوتهم إلى أقصى المعمورة » . وقد اتصلت الدعوة بالهند وأفغانستان وكان من ثمارها « محمد بن علي السنوسي » الذي تلقاها في مكة وأنشأ طريقة مهدت للجامعة الإسلامية ،

وبالجملة فإن دعوة التوحيد كانت صيحة التوحيد في مواجهة خطر سقوط العالم الإسلامي في براثن النفوذ الغربي ، ومن هنا جاز للكاتب لوثرروب ستوارت أن يعتبرها وبحق مبدأً اليقظة حيث يقول « استيقظت روح الإسلام في كل رقعة من رقاع العالم الإسلامي فهب أتباع محمد من مراكش إلى الصين ومن تركستان إلى الكونغو ، هبوب العاصفة الزعزع لا يعرف مستقرها قدح الزناد في صحراء شبه الجزيرة ، ثم أخذ الشرر يتطاير إلى كل جانب من جوانب العالم الإسلامي .

وأبرز المعالم الفكرية لدعوة التوحيد : ١ - تحرير فكرة التوحيد من الآراء الدخيلة باسم وحدة الوجود ، وعندهم أن الوحدانية التي تكون العنصر الأساسي للإسلام هي الوحدانية التي تترتب على سلوك الموحد وهو ما يسمونه بوحدانية الربوبية ، أي أن المؤمن لا يكون موحدًا إلا إذا قصر عبادته على كل كائن واحد . ٢ - ضرورة عودة الفقهاء والقضاة إلى المصادر الأصلية رأساً وهي القرآن والحديث وإجماع المسلمين على حكم معين إلى آخر القرن الثالث الهجري . ويترتب على هذا فتح باب الاجتهاد في الفروع ، وقد أولى الوهابيون هذا الحق اهتماماً كبيراً . ٣ - دعوتهم إلى عدم التقيد بمذهب معين من المذاهب الأربعة ، وإنما يجوز لكل قاض أن يأخذ من أي مذهب بما يرى أنه أقرب إلى الصواب ولا يباح التقليد إلا عند العجز من الرجوع إلى هذه النصوص . ٤ - إنكار التحدث في مسائل الخلاف التقليدية ، والتي كانت مصدر الفرقة بين المذاهب الإسلامية المختلفة كمسألة الذات والصفات والجبر والاختيار . ٥ - ضرورة قيام إمام للأمة الإسلامية ، والإمامة عندهم غير الخلافة فهي لانتصن صفة العموم بالنسبة للعالم الإسلامي . والخلافة في رأى الوهابية لم تدم أكثر من ثلاثين سنة ثم تحولت إلى ملك . ومنذ ذلك التاريخ يمكن الاعتراف بعدة أئمة في وقت واحد ولا يشترط في الإمام النسب القرشي . والإمام ضرورة جماعية للمحافظة على مصالح الجماعة الإسلامية (١)

(٢)

الدعوة السنوسية

أولى الحركات التي انبثقت من دعوة التوحيد هي السنوسية وهي حركة ودعوة وطريقة قد صيغت على نحو جامع محرر لمفهوم الإسلام المتكامل بين التصوف والفقہ والعقيدة . في ذات صلة بالنسب مع مفاهيم دعوة التوحيد وهي في نفس الوقت تشكيل اجتماعي تربوي على

نمط الصوفية ودعوات الفتوة والجهاد متحرراً من الأخطاء والانحرافات التي وقع فيها بعض الصوفية . وإذا كانت دعوة التوحيد قد استطاعت أن تقيم دولة . فإن الحركة السنوسية قد استطاعت أن تكون جيلاً قادراً على أن ينشر الإسلام في أنحاء أفريقيا ويشكل في نفس الوقت كتائب الجهاد في سبيل الله والإتماء الاقتصادي والاجتماعي أيضاً . وإذا كانت حركة التوحيد التي قادها محمد بن عبد الوهاب قد انبعثت من تخلف الدولة العثمانية وتحولها عن المفهوم الصحيح للإسلام وهي قائمته ، فإن دعوة محمد بن علي السنوسي كانت رد الفعل للتحدي الضخم الذي واجهه العالم الإسلامي باحتلال الجزائر في معركة غير متكافئة ظلت تقاوم ستة عشر عاماً ثم سقطت بين برائن الاستعمار الفرنسي . كان محمد بن علي السنوسي في خلال هذه الفترة ينظر إلى موجة جديدة من الحروب الصليبية قد بدأت بالجزائر وستمضي في طريقها فلا يقف أمامها شيء لذلك كان فكرته ترمي إلى عمل جامع من أعمال المقاومة والمواجهة لهذا الغزو الغربي الزاحف . وكان تطلعه وكانت دراسته تحاول أن توجد عملاً جماعياً كاملاً تشترك فيه الأمة الإسلامية جميعاً ولعل عبارته التي لخص بها موقفه تصور اتجاهه واضحاً : يقول : « أفكر في العالم الإسلامي قبالرغم من سلاطينه وأمرائه ورؤسائه وعلمائه ، فهم لا يزيدون على أن يكونوا كقطيع من الغنم الذي لا راعي له ، في كل محل من محلات الإسلام تجد المسلمين وعلماء الدين ، ولكنك لا تجد في العالم الإسلامي مرشداً حقيقياً تكون غايته سوق الجميع إلى هدف واحد أن ديننا الحنيف دين توحيد أسس على الاتحاد ولكن الخلاف والتفريق قد سادا جميع النواحي لأن العلماء والمشايع ليست لهم غير دينية حتى ينشروا العلوم والمعارف . انظروا إلى أحوال السودان والصحراء تحذوا أفواجا من الشعوب يعبدون الأوثان ، ويوجد في كل مسجد من مساجد المعمورة جماعة من العلماء غير العاملين لا هم لهم غير راحة أجسادهم ، حريصين على لذاتهم ، غير قائمين بواجباتهم ، لاضمائرهم تؤنبهم على إهمالهم إرشاد هؤلاء المساكين ، وقد اتصل بنا خبر أحوال العالم الإسلامي من القوافل التي ترد إلى بلادنا ، أننا مغلوبون في كل محل ، وإن المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من أيدي المسلمين في كل وقت وبسرعة البرق فالإسلام في حالة من التدهور المخيف وهو ما فكرت فيه » . ومن هذه النقطة كان انطلاقه إلى دعوته التي تضم خمس أصول أساسية : * العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى . * توحيد المذاهب . * فتح باب الاجتهاد . * نشر

... .. ١٨٤٢

في زاويته الأولى « البيضاء » ، بالجبل الأخضر حتى توفي ١٩٥٦ وفي خلال سبعة عشر عاماً استطاع أن يحقق الكثير وأن يرسى أساس نظام تربوي مطبق فعلاً لبناء الشخصية الإسلامية من خلال (الزاوية السنوسية) . وتضم الزاوية السنوسية مسجداً ومدرسة لتحفيظ القرآن ومعهداً لتدريس العلوم الإسلامية ومساكن للطلاب الغرباء ومكتبة علمية . وقد ضمت زاوية جغبوب حوالى ثمانية آلاف مجلد في الفقه الإسلامى والتاريخ وتفسير القرآن الكريم والأدب . وتقام الزاوية عادة بجوار الآبار أو على الأطلال التى خلفها الرومان في الصحراء الغربية أو في مواضع الزراعة أو المواقع الاستراتيجية ، أو تقاطع الطرق وملتقى القوافل ، أو على حدود مصر أو تونس أو الجزائر أو السودان . والمعروف أن هذه الزوايا تحولت عام ١٩١١ عندما بدأ الغزو الإيطالى إلى مراكز للمقاومة التى استمرت حتى عام ١٩٢٨ . وتبدلوا الحركة السنوسية منفردة بتنظيم جديد يختلف عن حركة التوحيد ، فقد قامت على التربية أساساً ولم تلجأ إلى العمل السياسى إلا بعد وقت طويل . وقد جمعت بين منهج حركة التوحيد وبين منهج الحركة الصوفية ومزجت بينهما في دقة ومرونة ، حيث حققت لأول مرة في العصر الحديث محاولة بناء الشخصية الإسلامية عن طريق التربية الإسلامية تأخذ من الفقه ما يثير العقول ومن التصوف ما يصلح النفوس ، ومن هنا كان خطرها على حركة التبشير التى انطلقت بعد احتلال الجزائر في قلب أفريقيا . فقد استطاعت أن تنشر وتقود حركة للدعوة الإسلامية في مختلف أنحاء القارة وبواسطة السنوسية صارت نواحي بحيرة تشاد مركزاً للإسلام في أواسط أفريقيا ، ثم امتد عملهم حتى بلغ النيجر الأدنى .

وقد عمدت السنوسية إلى تولى عدد كبير من الأرقاء وتربيتهم في جغبوب وغدامس ، وغيرها حتى إذا بلغوا أشدهم وأكملوا تحصيل العلم أعتقوهم وسرحوهم إلى أطراف السودان يهدون أبناء بلدتهم إلى الإسلام . وهكذا يرحلون كل عام مئات من مبشرى السنوسية لبث دعاية الإسلام في جميع أفريقية الداخلية من سواحل الصومال شرقاً إلى سواحل السينغامبية غرباً ومن هنا فقد تعددت الزوايا واتسع نطاقها من شمال أفريقيا إلى أقصى أقاصى السودان وتأسست ممالك إسلامية مثل سلطنات رابح وأحمد وسامورى . وقد ظلت قوى النفوذ الغربى ترقب بحذر بالغ خطوات نمو الحركة السنوسية وزواياها وكان كتاب أوروبا الاستعماريين يحذرون منها ومن خطرها ، ومن ذلك ما كتبه الكابتن دانرى من رجال الجيش البريطانى في أوائل القرن التاسع عشر ، يحذر من ظهور زعيم إسلامى تتوحد تحت لوائه قبائل الطوارق

وعشائر العرب والبربر ، ويقول إنه « إذا استفحل أمره عززت نجد قواته فسارت وصار العالم الإسلامي يداً واحدة وزحف على أوروبا فاكسحها حتى تحاصر جيوش المسلمين . باريس . . » . ومن هنا فقد مضت أوروبا تؤلب الدولة العثمانية على هذه الحركة كما فعلت . بالنسبة للحركة الوهابية ، وتغرى بها مؤكدة للأستانة بأن خطرهما على السلطنة العثمانية قريب . غير أن محمد بن علي السنوسى استطاع بحرصه وذكائه أن ينال ثقة الدولة العثمانية ومضى يعمل في حيلة وصمت داخل أفريقيا ، بعيداً عن أسلوب الثورة والتدخل مع حيدة تامة بالنسبة للخليفة العثماني ، وقد رفض أى تدخل مع ألمانيا أو إيطاليا أو تركيا أو مع عرابي أو المهدي جميعاً ، وكانت ألمانيا قد طلبت من السنوسية مساعدتها ضد فرنسا في إفريقيا ، كما طلبت تركيا منها مساعدتها ضد روسيا ، وكذلك طلبت إيطاليا مساعدتها ضد تقدم فرنسا في تونس . ولكن السنوسيين كانوا قد حددوا موقفهم في هذا الصدد وهو أن لا يدخلوا معارك من شأنها أن تكشف قوتهم ، أو توقع الخلاف بينهم وبين دولة الخلافة . وكان عمل السنوسية في المقاومة للغزو الأوربي لأفريقيا متكاملاً مضمراً ، مع عمل مكشوف في نشر الإسلام ، ويسجل ذلك مسيور دوفرير جن يقول : إن السنوسية هي المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر ، وأن السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الأفريقي وفي السنغال . وإنما أيدت ثورة محمد بن عبد الله في تلمسان وصحراء الجزائر ١٨٤٨-١٨٦١ و ثورة الصادق بجمال الأوراس ١٨٧٩ وثورات أولاد سيدى الشيخ ١٨٧٩-١٨٨١) . ويضيف قوله : إن السنوسية هي أخطر أعداء نفوذنا (نحن الفرنسيين) في شمال أفريقيا وفي السنغال ، والعقبة في سبيل توسعنا الاقتصادى والسياسى داخل أفريقية ، وهي عائق في طريق أهدافنا في القارة الواقعة شمال خط الاستواء ولا شك أن السنوسية بهذه الصورة تختلف كثيراً عن الحركات الصوفية الحديثة : التيجانية والشاذلية والإدرسية والقادرية ، حيث جمعت بين عمليتين أساسيتين : هما نشر الإسلام (وهو ما حاولته الطرق الصوفية) ومقاومة النفوذ الأجنبي بالقوة المسلحة وبناء مواقع المقاومة الاجتماعية والعسكرية . واتصل بذلك عملها في سبيل إقامة وحدة إسلامية كبرى . وغاية القول أن السنوسية بعد وفاة الإمام محمد على ازداد عدد مواقعها في عهد محمد المهدي إلى ثلاثمائة زاوية وأصبحت السنوسية قوة اجتماعية وفكرية في كل مكان ، وعندما ولي أحمد الشريف السنوسى « أمر الدعوة عام ١٩٠٢ دخلت الحركة في دور جديد أشد قوة ، غير أن الغزو الإيطالى الذى وجهته إيطاليا إلى طرابلس ١٩١١ -

حول الدعوة كلها إلى حركة مقاومة عسكرية مسلحة . وقد دام نضال السنوسية بقيادة الشريف حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وقد ظلت الصحراء تحت حكم السنوسيين خلال مائة سنة لم يتمكن الاستعمار خلالها من السيطرة إلا على السواحل فقط . وجملة القول أن الحركة السنوسية كانت دعوة إسلامية جامعة هدفها النهوض بالمسلمين في مواجهة الغزو الغربى . ولذلك فقد أخذت بالأسباب على اتساع وشمول . من حيث (١) التربية (٢) بناء شخصية المسلم وبناء المجتمع الإسلامى (٣) مقاومة العدو (٤) الاجتهاد وتنقية الإسلام مما علق به من أوهام . وقد أقام أحد الباحثين المقارنة بين الوهابية والسنوسية فقال : إن الوهابية إصلاح دينى وإنابة إلى عقيدة السلف ، أما السنوسية فهى طريقة عمل بالسنة والشرعية . وكما واجهت بريطانيا خطر الدعوة الوهابية فى كل مكان حتى فى الهند كذلك واجهت فرنسا خطر الدعوة السنوسية فى قلب أفريقيا إذا كانت مصدراً لكل أعمال المقاومة فى مختلف الأقطار التى عمدت فرنسا إلى احتلالها . ويقول جيمس هاملتون فى كتابه جولات فى شمال أفريقيا الصادر عام ١٨٥٦ أنه عندما أرادت فرنسا التوغل فى داخل أفريقيا عبر الصحراء اصطدمت بمقاومة عنيدة تولى تنظيمها وقيادتها أتباع السنوسية . وأشار إلى أن الكتب الفرنسية التى تناولت التوسع الفرنسى عبر الصحراء قد أعطت الجزء الأكبر للكلام على المقاومة التى وجدها القوات الفرنسية من أتباع الدعوة السنوسية هناك ، وقد بلغ من اهتمام فرنسا بالدعوة السنوسية أن خصصت وزارة الخارجية الفرنسية أرشيفاً خاصاً بها ، وأشار لوريس رين باهتمام كبير إلى المقاومة الصلبة التى اتخذتها السنوسية والطوارق أمراء الصحراء تجاه التوسع الفرنسى . والمعروف أن السيد محمد بن على السنوسى قد حرص أساساً على إقامة وحدة إسلامية فى أفريقية داخل نطاق وحدة إسلامية كبرى ، ولما كان هذا مقصداً أساسياً له فقد مهد له بالمزج بين المذاهب السنية الموروثة (المذاهب الأربعة) بما صح وكمل من أقوالها ، ثم أضاف إليه ما استنبطه من السنة والمذاهب لم يعد هناك اتباع لها واستطاع أن يجعل من هذا المزيج الدقيق مذهباً واحداً هو هو مرآة المذاهب الأربعة وزيدتها . وعمله فى هذا مجال الاجتهاد بارز واضح فقد دعا إلى تحرير الفكر الإسلامى من التقليد الأعمى والتسليم العاجز وتطهير السنة المحمدية من الأقوال المشبوهة والأساطير الموروثة والصوفية المنحرفة الزاعمة بأن الإسلام ليس من شأنه الدنيا وأن المسلم ليس من شأنه المادة ، وخلص التصوف من الشطح والغلو والتواكل الميت لشخصية المسلم والدافع له على الاعتماد على غيره فى رزقه . وقد خارب دعوى الاتحاد الحلول ووحدة

الوجود ، كما دعا إلى ذبح باب الاجتهاد للقادرين عليه وإرجاع الأقوال كلها إلى مصدرها الأصيل من الكتاب والسنة وجاهر بالعداء للتقليد المطلق ، وطالب العamy أن يسأل المفتي عن دليله ، الذى استند إليه فى فتواه وحكمه ، فإذا أخبره بالدليل اقتنع وإلا تركه إلى غيره من هو أقدر منه على الإتيان بالدليل ، وهذا عنده هو اجتهاد العamy . ويرى أن الاجتهاد وضرورة عقلية لأن فتح باب الاجتهاد يجعل لدى المسلم حيوية وتمسكاً بالإسلام ، حيث يجد الدلول المناسبة للمشاكل التى تتجدد فى كل زمان . وقد استفاد الإمام السنوسى من مختلف الدعوات التى سبقته وتجبب المآخذ التى أخذت عليها واهتم بالتربية العقلية والتطبيق العلمى للإسلام . ويمكن القول بأن الحركة السنوسية كانت مدرسة نموذجية لتجديد الإسلام جامعة بين الحركتين السائدتين : حركة التوحيد وحركة الصوفية .

(٣)

الدعوة « المهدية »

وفى السودان برزت الحركة الثالثة من الحركات الإسلامية التى أخذت طابع العمل السياسى والاجتماعى معاً ، حين أعلن « محمد أحمد » حركة الجهاد ضد النفوذ الأجنبى وتحرير مفهوم الإسلام من البدع والخرافات معاً ، وقد قامت حركته على الجهاد واستشرقت إنشاء مجتمع إسلامى وحكومة إسلامية عادلة تقوم على أساس مفهوم الإسلام وقد استطاعت هذه الحركة أن تواجه الحملات التى شنتها بريطانيا فى ظل احتلال مصر وأن تسحق كل عمليات الغزو التى وجهت إليها.وقدواجهت هذه الدعوة كما واجهت دعوة التوحيد والحركة السنوسية مقاومة عاصفة من الاستعمار والنفوذ الأجنبى الزاحف ، ولكنها صمدت فى وجهة وكبدته خسائر فادحة . واستطاعت أن تقاوم فترة طويلة . وقد انتصرت المهدية فى جميع المعارك التى قادها غردون وهكس ومونكرىف وستيوارت ، وببكو وجراهام وولسلى . كما تطلع « محمد أحمد » إلى الزحف لإنقاذ مصر من النفوذ الإنجليزى بعد فشل الثورة العربية ووجد تأييداً من جمال الدين ومحمد عبده . وقد قامت دعوته على نظرية كاملة ضمنها مناشيره وبياناته المتعددة « أمرنا هذا مبنى على هدى من الله ونور من رسول الله وما مقصدنا إلا إحياء الدين وإظهار آثار الأنبياء والمرسلين ولا يزيد مع هذا ملكاً ولا جاهاً ولا مالا . إن مذهبنا هو : الكتاب والسنة والتوكل على الله وقد طرحت العمل بالمذاهب ورأى المشايخ . وقد نجحت

الحركة المهدية في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية إذ حملت لواء المفاهيم الإسلامية المتحررة من سلبية التصوف وجمود الفقه وجبرية الزهادة . واتسمت بإيجابية واضحة في مختلف المجالات . فقد عمد « محمد أحمد » المهدى إلى إيقاف العمل بالمذاهب المختلفة وأذاب جميع الفرق الصوفية بكل طوائفها في طريقة واحدة . وكانت حجته في ذلك ضرورة الرجوع مباشرة إلى الكتاب والسنة دون شروح معقدة ، واسهدف إلغاء الخلافات المذهبية بين الناس في أمور العبادات وتوجيه أنظارهم إلى الوحدة الفكرية ورفض عملية الانعزال في الخلوات مع الأوراد والأذكار . هذا مع الدعوة إلى الجهاد والقوة حماية للحق والعدل ، والسيف لحماية الحق ، ولذلك فقد تحدث طويلاً عن آداب الفروسية والفتوة في زمان الحرب والسلام وأعلن أن مقام الصبر عند البلاء أقوى من مقام الشكر على النعماء . وقد مزج بين الصوفية ومفاهيم التوحيد مزجاً رائعاً . وأعطى مفاهيم القلب والروح قوة على دفع الإنسان للعمل كما نفذ تعاليم الإسلام في القصاص والسرقة والزنا والحدود الشرعية ، وأبطل زيارة القبور والأضرحة . وقد استطاع النفوذ الاستعماري أن يوجه إلى الدعوة المهدية عن طريق علماء الدين الزميين كثيراً من النقد والمعارضة وتحذير الناس منه رغبة في زلزلة ثقة أنصاره به ، ولكنه صمد ووالى دعوته وتأكد صدقه وسلامة مقصده .

ومن حق أن (محمد أحمد المهدى) قد حرر الفكر الإسلامي السوداني من طابع الصوفية المغرق في الجبرية واتجه إلى منابع الثقافة الإسلامية العربية الأصيلة وفق المنهج الذي سارت عليه دعوة التوحيد والسنوسية وهو تأكيد العمل بالكتاب والسنة وتحرير الفقه من روح الخلافات ، ومن ثم ظهر « أدب عربي إعلاني » له طابع أكثر إيجابية بعيداً عن أسلوب السجع والزركشة ، وكانت أقوى أعماله توحيد المذاهب الأربعة في مذهب واحد باختيار الأصلح من كل منها معتمداً على الكتاب والسنة ، رافضاً لكل الخلافات التي فرقت الناس ، وقال « إن هؤلاء الأئمة رجال ونحن رجال ولو أنهم أدركونا لاتبعونا . ولذلك قد طرحت بالمذاهب ورأى المشايخ » . وفي مجال المجتمع عمد إلى تحريره من التقاليد المعارضة للإسلام فحرم الاحتفال بالأعراس احتفالاً يدعو إلى السرف ومنع شرب الخمر وخفض مهر الزواج وأبطل ولائم الأعراس بطعام من التمر واللبن وأبطل الرقص واللعب ودعا إلى القصد في الزخرف فأبطل الألقاب وساوى بين الغنى والفقير في مواقف المحاكمة والحق وفرض على أتباعه لباساً

خاصاً يمتازون به ، ولقى عمله تقبلاً حتى قال أحد المؤرخين : إن المهدي هو الرجل الوحيد الذى يدين له السودان باسترجاع حريته واستقلاله . وكانت حركة المهدي واحدة من سلسلة حركات الجهاد ضد الاستعمار والنفوذ الأجنبي فى مختلف بلاد العالم الإسلامى وامتداداً للمبادئ الأساسية للإسلام التى كانت دوماً مصدر المقاومة وسبيل الرفض كل نفوذ أجنبي ورفع راية الجهاد فى سبيل مقاومة الغاصب ، ومن هنا حاول النفوذ الاستعمارى تشويه الوهابية والسنوسية والمهدية وعمد إلى القضاء عليها جميعاً ، وظل يهدد دوماً بخطر ظهور حركات مثلها تقوم على أساس مفهوم الإسلام فى الحكم وتعلن الجهاد فى وجه الغاصب ، وكان لهذه الحركات الثلاث أثرها فى خطط الاستعمار . فقد عمد إلى فصل الدين عن السياسة والمجتمع فى مختلف الأقطار التى احتلها كما عمل أتباعه من أصحاب الدعوات الهدامة إلى إنكار الجهاد ومحاولة التقليل من شأنه . وقد عمد النفوذ الإنجليزى إلى خطة مأكرة فيما يتصل بالمهدية ، فحيث حرص محمد على للقضاء على « الوهابية » قضى هو على حركة محمد على ، ثم قاد الإنجليز جيشاً مصرية على رأسه ضباط إنجليز للقضاء على الحكومة التى كان يرأسها التعايشى بعد وفاة المهدي . وعمدوا إلى هدم وإزالة كل آثار هذه الحركة ، فقد دخلت بريطانيا السودان بقيادة كشنر فى سبتمبر ١٩٩٨ ونسف كشنر قبة الإمام المهدي ونبش قبره فى بربرية وهمجية وبغث جثامه وبعث بجميعته إلى المتحف البريطانى فى لندن إنتقاماً لمقتل غردون . وقضى على الدعوة المهدية كلية . ولم يقبل عودتها إلا بعد ذلك بوقت طويل بعد أن كان قد سيطر سيطرة كاملة على مقدرات الأمور .

(٤)

الحركات الإصلاحية

بدأت دعوة التوحيد (محمد بن عبد الوهاب) ١٧٤٠م - ١٧٩٢ وامتدت بعد دعوة ودولة . وبدأت المهدي (محمد أحمد المهدي) ١٨٨١ - ١٨٨٤ وامتدت إلى سقوط السودان ١٨٩٨ . وما تزال الدعوات الثلاث قائمة إلى اليوم فى صورة أو أخرى وما تزال تمثل الطليعة الأولى لحركة اليقظة التى اتخذت منهجاً آخر فى العمل ومن خلال هذه الدعوات قامت حركات المقاومة العسكرية فى العالم الإسلامى فى مواجهة الاستعمار وأبرز هذه الحركات :

* حركة الأمير عبد القادر (١٨٣٠ - ١٨٤٦) * حركة أحمد عرابي - ١٨٨٢ * حركة السنوسية ضد الغزو الإيطالي ١٩١١ * ثورة الهند ضد الإنجليز - ١٨٥٢ * حركة المهديّة ضد النفوذ الأجنبي ١٨٨٤ * حركة الشيخ شامل في القوقاز * حركة عبد الكريم الخطابي في المغرب ١٩٢٦

وقد برزت حركة اليقظة الإسلامية منذ القرن التاسع عشر في الهند وإندونيسيا والأمة العربية وارتبط فيها تجديد الإسلام بحركة المقاومة للنفوذ الأجنبي . وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهرت في العالم الإسلامي حركات تستمد مفهوماً أساساً من دعوة التوحيد وفي مقدمتها دعوة « الشوكاني » في اليمن ودعوة « الألوسي » في بغداد . وحركة أحمد خان في الهند ، وفي نفس الوقت كانت حركة التجديد الأدبي والفكري تبدو بارزة بقيادة رفاعة رافع الطهطاوي وعلى مبارك في مصر وخير الدين في تونس ، وعاكف ونامق في تركيا . غير أن بروز جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في الحلقة السابقة من القرن التاسع عشر كان بعيد الأثر في حركة اليقظة حيث ظهر من بعد عدد كبير من تلاميذ هذه المدرسة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وكان لظهور جريدة « العروة الوثقى » في باريس ١٨٨٤ ثم المنار في القاهرة ١٨٩٨ وانتشارها في مختلف الأقطار وكانت تحركات جمال الدين بين الهند وفارس وأفغانستان وبين فرنسا وروسيا واستنبول ، ثم وقوع الاحتلال البريطاني لمصر وتحركات محمد عبده بين الشام وباريس وتونس والجزائر ، كل هذا كان من شأنه أن يخلق مدرسة جديدة أطلق عليها اسم « المدرسة السلفية » وكان أكبر إمتدادها إلى الغرب الأقصى ، وإلى أفندونيسيا والهند الإسلامية . وفي هذه الفترة ظهر في تونس المصلح خير الدين وكان له دوره في تجديد الفكر الإسلامي ، وفي أوائل هذا القرن ظهر في الشام علامة الشام طاهر الجزائري وزملائه وتلاميذه : القاسمي والبيطار وعبد القادر المغربي . وفي الهند برز : أبو الكلام آزاد وأمير علي وشبلى النعماني ومحمد اقبال . وفي المغرب برز : محمد بن العربي العلوي وأبو شعيب الدكالي ، وعبد الحميد ابن باديس ، وعبد العزيز الثعالبي ، والطاهر بن عاشور وفي مصر ظهر : رشيد رضا . وفريد وجدي ومصطفى المراغي ومحب الدين الخطيب .

حركة جمال الدين - محمد عبده

تعد [حركة جمال الدين - محمد عبده] مرحلة جديدة على طريق اليقظة العربية الإسلامية لها طابعها ولها استجابتها للتحديات التي كانت قد ازدادت من خلال مواجهة العالم الإسلامي للنفوذ الأجنبي . ومع ذلك فقد كانت في كلتا مرحلتها تختلف عن الأخرى . مرحلة ما قبل الثورة العربية والاحتلال البريطاني لمصر ومرحلة ما بعد ذلك . وأبرز ملامح حركة جمال الدين هي الدعوة إلى الجامعة الإسلامية أما عمل محمد عبده بعد انفصاله عن جمال الدين عام ١٨٨٥ تقريباً فقد كانت دعوته إلى العلم والتربية كاسلوب أساسي في مقاومة النفوذ الأجنبي . وقد كانت الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين عملاً من أعمال التجمع في منطقة طابعها إسلامي أساساً لمواجهة الغزو الاستعماري الزاحف الذي شهد جمال الدين طلائعه في فارس وأفغانستان . ولم يلبث أن وقع بالفعل في مصر وتونس فقد أكدت له تجربته وخبرته وثقافته أن السبيل الوحيد لمقاومة الاستعمار هو التضامن الإسلامي عن طريق التمسك بالقرآن وإلغاء العصبية المذهبية والاجتهاد في فهم القرآن والملاءمة بين مبادئه وظروف الحياة التي يعيش فيها المسلمون ، وطرح الخرافات والبدع التي صبغت الإسلام بلون معايير لطابعه الأصيل . ومن هنا فقد كان جمال الدين يرى أن القرآن هو أساس الوحدة وقطبها الأصيل . ولم يكن يعنيه بعد أي نظام يمكن أن تتم على أساسه الوحدة ما دام العامل الأساسي في الالتقاء بين أجزاء العالم الإسلامي هي وحدة الفكر ممثلة في القرآن الكريم . وقد رأى جمال الدين أن أصلح مجال لدعوته هو الأمة العربية بحسبانها منطلق الإسلام الأول وقاعدته ، ومنذ ثم اتخذ منبره في مصر إيماناً بأنها أبعد ما تكون عن خلافات المذاهب وصراعات العمل . فقد رأى أن مصر أقدر من يستطيع حمل اللواء . ومن الحق أن يقال أن تجربة جمال الدين كانت مثيرة ويعيدة الأثر في الفكر الإسلامي العربي . فقد أخذ الأصول الأساسية لدعوة التوحيد وأضفى عليها ثوباً عصرياً وربط بينها وبين الزمن والحضارة والفكر الحديث فكان استجابة صادقة لعصره وتحديات النفوذ الاستعماري في زمنه - فقد جمع فيها بين (١) تصحيح مفاهيم الإسلام وتحرير قيمة وإعادة صياغتها من جديد على نحو مناسب مع المحافظة على قيمتها الأساسية كاملة (٢) وبين اتخاذ الوسائل الكفيلة بمناهضة الاحتلال الأجنبي . وكانت أبرز قواعد دعوته (١) التقارب

والالتقاء بين أهل السنة والشيعة على أساس أن التفرقة بينهما إنما أحدثتها مطامع الدول وجهل الأمة . (٢) التوفيق بين العلم والقرآن (٣) تأكيد الأساس الواحد للأديان الثلاثة . وقد ضمن برنامجه الذى أذاعته «العروة الوثقى» علامات طريق واضحة إلى النهضة ، إذ ادعا إلى أن يبين المصلحون للشرق واجباته التى كان التفريط فيها موجباً لضعفه وسقوطه وتوضيح الطريق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات وأن النجاح ميسور إذا عقدت الغزائم ، وإذا كان قائماً على أساس الأصول التى حققت لأسلافنا العزة والقوة . دعا جمال الدين إلى أن تتكون عقائد الأمة «وهى أول رقم ينقش فى ألواح نفوسها» مبنية على البراهين القومية ، والأدلة الصحيحة وأن تتحاشى عقولهم مطالعة الظنون فى عقائدها وترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها وذلك بحسبان أن الاسلام يكاد يكون منفرداً بتفريغ المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون . «وعنده إن أهم الأمور التى تتم بها سعادة الأمم هو «صقل القلوب بصقال التوحيد وخلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه يظهر بلباس البشر أو أن تلك الذات المقدسة نالت فى بعض أطوارها شديد الايلام وألم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق» . وهو يدعو النفس الانسانية إلى النهضة ويلح فى الدعاء إلى أن يستقبل وجهة الشرف طامح إلى بلوغ الغاية من مراتب الكمال الانسانى ما عدا مرتبة النبوة فإنها بمعزل عن المطمع وذلك تسابقاً فى مجالات الفضائل ، وقد حرص جمال الدين إلى تأكيد القول بفتح باب الاجتهاد وأن القرآن بشر بالمخترعات والعلوم الحديثة . وقد أولى جمال الدعوة اهتمامه بالنفوذ الاستعمارى وحرص على كشفه ومهاجمته دون توقف ، وكانت بريطانيا هى هدفه الأكبر بحسبانها العامل الأكبر فى الحيلولة بين المسلمين والوحدة وبينهم وبين القوة والنهضة . وقد درس أخطار الاستعمار وتحقق أسباب تغلغله فى عالم الإسلام ، مفرقاً بين النفوذ الاستعمارى وبين تفوق الغرب العلمى . وكان يهاجم بشدة أمراء المسلمين المستسلمين للنفوذ الأجنبى ، مقاومة الاستبداد فى تقديره تجرى مع مقاومة الاستعمار فى خط واحد . وهو أول من التفت إلى أسلوب الاستعمار الذى يتخذ صورة القضاء على الشخصية الاسلامية التى مضىها القرآن ، حين بدأ ذلك فى محاولة إفساد عقيدة المسلم ، إما بتشكيكه فيها أو بمحاولة صرفه عنها . وكيف أن بريطانيا احتفت بالمذهب الطبيعى فى الهند ونشرته ، واتخذت منه سلاحاً خطراً ضد المسلمين . فحين عجز الاستعمار عن تحويل المسلم عن الاسلام بالتبشير ، عمد إلى هدم عقيدته بالمذاهب المادية وفى مقدماتها مذهب الدهرية . ولذلك فقد حمل حملة عاصفة

على هذه المحاولة وعراها . وانطلاقاً من طبيعة جمال الدين ومزاجه الشخصى كانت محاولة الإصلاح التى قادها تهدف إلى اتخاذ الثورة السياسية كآسرع الوسائل إلى تحرير الشعوب الإسلامية ، ولذلك فهو لم يتجه إلى وسائل الإصلاح الاجتماعى والتربوى والتعليم ، ولم يتعمق دور المفكر فى حل المشكلات فقد كان ذلك كله عنده إنما يجرى بعد قيام حكومة تحمل لواء دعوته فى أى مكان من عالم الاسلام ولذلك فقد كان دعوته أساساً تتجه إلى الثورة كوسيلة جذرية للقضاء على الفساد والجمود والأنظمة والقوانين المتخلفة . مؤقثاً بأن الثورة تفتح الطريق أمام الوحدة والالاتء بين أجزاء العالم . الاسلامى وتحرره من نفوذ الاستبداد والاستعمار معاً . وقد كانت دعوته إلى الجامعة الاسلامية من أخطر ما واجهه الاستعمار والنفوذ الأجنبى الزاحف لتقطيع أوصال العالم الاسلامى والسيطرة عليه . ولذلك فقد قاومها مقاومة كبرى ووجه إلى الدعوة وإلى القائمين بها كل اهتام . وقد بلغ به الأمر أن أصدر قراراً بمنع دخول جريدة العروة الوثقى إلى العالم الإسلامى وحدد عقوبة صارمة لكل من يوجد عنده عدد منها ، ومع ذلك فقد وصلت العروة الوثقى إلى كل مكان وكانت مدرسة تكون من خلالها نوايغ العصر ودعاة الإصلاح . ومن الحق أن يقال أن التجنى كان بالغاً بالنسبة لرأى جمال الدين فى الجامعة الاسلامية . ولكن الاستعمار كان حريصاً عن أن يسكت هذا الصوت ، ذلك أن جمال الدين لم يكن فى مطالبته بالوحدة الاسلامية يستهدف قيام دولة إسلامية كبرى وإنما كان فى حدود ما عبر عنه « لا التمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصياً واحداً فان هذا ربما يكون عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جمعهم القرآن ووجهه وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهد لحفظ الآخرين ما استطاع فان حياته بحياتهم وبقاؤه ببقائهم » . ويقول رشيد رضا : إن ما اشتهر عن جمال الدين من كونه يريد بالجامعة الاسلامية أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة فلم أره فى شىء من العروة الوثقى ولا فى غيره مما كان يرويه عنه الاستاذ الامام (أى محمد عبده) وهو أعلم الناس بمقاصده وأعماله . « وربما كان يتطلع إلى مصر كنقطة بدء لهذه الدعوة ويتجلى ذلك فى عبارة الشيخ محمد عبده : « كان غرضه ترقية دولة إسلامية ، أية دولة كانت ، فبدأ بمصر فلما أخفقت خططه تعلق آماله بالمهدى ثم ببلاد إيران وأخيراً بالدولة العثمانية » . وتبعاً لمزاجه الدموى فقد إختار وسائل الثورة السياسية «وخيل إليه أنها أسرع الطرق وآكدها فى تحرير الشعوب الاسلامية . أما وسائل الإصلاح التدريجى

والتعليم فكان يرى أنها بطيئة وغير محققة لغايتها ». ويبدو اختلاف الوسائل بين جمال الدين وبين الوهابية والسنوسية والمهدية ، اختلافاً بين حركات استطاعت أن تحكم ، ودعوة لم يتحقق لها ذلك ، لعدة عوامل حتى يمكن القول بأن حركة (جمال الدين - محمد عبده) هي حركة بناءه خارج مجال النفوذ السياسى ومن هنا كان عمق أثرها ومفعولها . وللفارق بين جمال الدين والحركات الثلاث، هو فرق في الزمن ، و فرق في المكان و فرق في التصور العقلى ، وفي تطور النفوذ الأجنبي نفسه وتغييره لأسلحته فقد ظهر جمال الدين في الحواضر [إيران ، تركيا] وفي ظل حكومات قائمة (الشاة - اسماعيل - السلطان عبد الحميد). كما ظهر في مواجهة تقدم الزحف الاستعماري حيث لم تواجه الدعوات الثلاث هذا الزحف مباشرة في تاريخها كما واجهه جمال الدين - بريطانيا في الهند وفي فارس وفي مصر . وأمام مواقف حاسمة كامتياز التبناك في فارس ، وقناة السويس في مصر ، ثم الثورة العربية ، والاحتلال البريطاني لمصر والسودان وتونس . لقد جاء في مواجهة العاصفة الزاحفة على العالم الاسلامى لتدمير مقوماته الفكرية . امتاز جمال الدين بأنه كان واسع الثقافة العصرية بالإضافة إلى الثقافة الاسلامية فقد قصد إلى لندن وباريس وبرلين وبطرسبرج ورأى العالم الغربى وهو يتأهب لالتهام العالم الاسلامى، وقرأاً مختلف الفلسفات والأديان والمذاهب ووقف على تاريخ الحضارات والدعوات وأفاد من ذلك للاسلام نظرة سريعة قوامها تحرير الفقه الاسلامى من الجمود وتحرير العقائد من التقليد ، وكانت دعوته إلى عقد أواصر الوحدة والألفة بين السنة والشيعة بعد خلاف مرير استمر أكثر من ثلاثمائة عام عملاً هاماً بعيد المدى ، وكان يكافح من أجل تغيير الأنظمة القائمة في العالم الاسلامى بالقوة والثورة « وكان يرى جواز خلع وقتل أمراء المسلمين الذى يشجعون الاعتداء الأوربى أو يرضون عنه فيقيمون بذلك الحوائل بين الناس وبين خلاصهم على ما يرجون » . وكان يرى أن إنقضاء أجل الاستعمار إنما يتم بزوال الأسباب التى مكنت أهله من التسلط وأكهرت الشعوب على الخضوع له . وذلك متى تعلمت . وتيقظت وقويت وبدأت بالتمرد على الغاصب الدخيل . وعنده أن التفاوت بين الشعوب واستعمار دولة لأخرى ليس قانوناً أزلياً لا يمكن تبديله ، بل هو حادث وقى يزول بزوال مسبباته ، كغيره من الحوادث التاريخية والاجتماعية الخاضعة لنواميس التطور . « ولما كان لحياة الأمم والدول أدوار وآجال ولحدوثها وتكونها ثم ضعفها وانحطاطها أسباب وعوامل فالاستعمار خاضع لتلك النواميس الكونية .معنى أنه يصل إلى

حد محدود وأجل معلوم . وبذلك كشف جمال عن النفس الاسلامية ذلك الاحساس المظلم الذى عايشها خلال فترة الضعف وتحت تأثير مفهوم الجبرية ، وأعطاها روح الاحساس بالحياة والعمل والتطلع إلى الحرية . وقد كانت مفاهيم جمال الدين التى ضمنها « العروة الوثقى » بعيدة الأثر فى الجيل المتطلع إلى العمل فى مجال الإصلاح والتجديد ، يقول رشيد رضا وهو واحد من هذا الجيل الذى تابع جمال الدين ومحمد عبده وحمل لواء الحركة بعدها : « إن العروة الوثقى نقلتني إلى طريق جديد من فهم الدين الاسلامى ، وهو أن الاسلام ليس روحانياً أخروياً فقط بل هو دين روحانى جسمانى ، أخروى ودنيوى وأن مقاصده هداية الانسان إلى السيادة فى الأرض بالحق ليكون خليفة الله فى تقرير المجد والعدل . وأحدث لى هذا الفهم الجديد فى الاسلام رأياً قوى الذى كنت أراه فى إرشاد المسلمين ، وكان همى محصوراً فى تصحيح عقائد المسلمين ونهيمهم عن المحرمات . وتزهيدهم فى الدنيا ، فقد تعلقت نفسى بإرشاد المسلمين عامة إلى المدنية والمحافظة على ملكهم ومباراة الأمم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة » ومن الحق أن يقال أن جمال الدين قد غير العقلية العربية الاسلامية فى مجال المجتمع والسياسة تغييراً بعيد المدى يتمثل فى عبارة محمد عبده : « وكان أهل مصر قبل قدوم جمال الدين يرون شئونهم العامة بل الخاصة ملكاً لحاكمهم الأعلى يتصرف فيها حسب إرادته ويعتقدون أن سعادتهم وشقائهم موكولان إلى أمانته وعدله أو خيانتة وظلمه ، ولا يرى أحداً منهم رأياً يحق له أن يبديه فى إدارة بلاده . وفى آخر أيامه ألح فى طلب الحكم النيابى وحرص عليه وكان ذلك آية المقاومة الفكرية السياسية » . وعبارة جمال الدين فى هذا المجال تكشف عن مفهومه العميق للحرية كما جاء بها الاسلام وعقدها القرآن ونفذها محمد : « أنكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم فى حجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين ، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون بل راضون وتستنزف قوام حياتكم التى تجمعت بما يتحلب من عرق جباهكم - بالعصا والمقرعة والسوط وأنتم صامتون . انظروا أهرام مصر ، ومشاهد سيوة ، وحصون دمياط فهى شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم ، هبوا من غفلتكم ، أصحوا من سكرتكم ، عيشوا كباقي الأمم أحرار سعداء » . هذا أهم ما ألقاه جمال الدين إلى قلب ذلك الجيل الذى اتصل به ، ومن حق أن جمال الدين قد

استطاع أن يترك خلال ثمانى سنوات ركيزة هامة فى مصر والشام والمغرب ، ركيزة ضخمة كانت بعيدة الأثر فى حركة اليقظة الاسلامية ويمكن أن يقال أن مدرسة جمال الدين قد ضمت أولئك الأعلام الذين تصدروا منذ أول القرن : طاهر الجزائري والقاسمى والبيطار وعبد القادر المغربي وكرد على ورفيق العظم ، وشكيب أرسلان ورشيد رضا ، والمراغى ، وعبد العزيز جاووش ، وابراهيم اللقانى ، وفريد وجدى ، وطنطاوى جوهرى ، ومصطفى عبد الرازق وعبد الحميد بن باديس ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد زكى باشا ، والبارودى ، وعبد المحسن الكاظمى ، والخضر حسين ، وأحمد تيمور ، وعبد العزيز الثعالبى ، والطاهر بن عاشور ، والعربى العلوى ، وكان على مقدمة هذه المجموعة الشيخ محمد عبده . وبعد الاحتلال البريطانى بدأ دور هام لحركة اليقظة . ذلك أن عمل جمال الدين قد مضى فى طريقه واستقر أخيراً فى عاصمة الدولة العثمانية أما محمد عبده فقد رسم منهجاً للدعوة وفق حاجة المرحلة نفسها وله طابعه المستمد من مزاجه ومفاهيمه . ذلك أن انفصال محمد عبده عن جمال الدين كان أمراً محتوماً فى الأغلب بحسبان الفارق بين « عقلية الثآر » و « عقلية الربى » . وبحكم الزمن نفسه . وعندنا أن اتجاه محمد عبده كان تطويراً وتعميقاً لحركة اليقظة نفسها بعد أن ثبت أن عمل جمال الدين الأفغانى حقق دوره الطبيعى فى أنه هز الحياة الاجتماعية والسياسية فى العالم الاسلامى (الهند - إيران - مصر) وكان لابد من دور جديد ، ذلك هو دور محمد عبده فى التربية وبناء الدعاة وكان هذا هو مناخ الخلاف حين اقترح الشيخ عبده كضرورة لتحقيق خطوة أكبر فى مجال حركة اليقظة من تربية جيل من الشباب فى مكان بعيد عن تحديات الاستعمار وهو ما لم يقبله جمال الدين واتهمه من أجل اقتراحه هذا بأنه مثبط ، غير أن الزمن نفسه قد كشف عن عمق مفهوم محمد عبده فى معرفة ضرورات المرحلة وحاجة الحركة ، وقدمضى جمال الدين دون أن يستطيع تحقيق هدفه من حيث إقامة حكومة إسلامية تتولى تنفيذ التعاليم الاسلامية وتجمع الحكومات الاسلامية الأخرى فى وحدة تواجه بها الاحتلال والنفوذ الأجنبى وتناهضه .

وبدأ فى ظل اندفاع الاستعمار العنيفة التى تمثلت فى احتلال مصر وتونس أن أسلوب العمل يجب أن يتغير ، وأن يكون المخطط قائماً على خطة واسعة مرنة قوامها العمل فى مجال التعليم والتربية والثقافة ، ومن هنا كانت دعوة محمد عبده التى أذاعها فى مصر وتونس والجزائر حينما حذر من السياسة وحين نصح بنقل مجال المعركة كلها إلى مجال الثقافة والتعليم

وبذلك حقق نتائج بعيدة المدى في خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته (١٨٩٦-١٩٠٥) وقد امتدت هذه الحركة ممثلة في جريدة المنار التي وصلت إلى أقصى مكان في العالم الاسلامي وشاركها عمل فريد وجدى ومحب الدين والخطيب وكثيرين . وقد شكلت هذه الحركة ما أطلق عليه : « المدرسة السلفية » .

وكان اعتماد محمد عبده الأساسى في تبليغ الدعوة هو تفسير القرآن على نحو عصرى سلفى معاً ، محرراً مختلف القضايا والمعضلات التي كانت تواجه المسلمين في هذه المرحلة أزاء التحديات إلى فرضها الاستعمار والنفوذ الأجنبي وحملات المبشرين والمستشرقين وكتاب الغرب على الاسلام واللغة العربية وراث المسلمين والعرب وتاريخهم . وعن طريق تفسير القرآن استطاع محمد عبده أن يقول رأيه في حرية بالغة ، مما لم يكن يتيسر له عن طريق الكلمة المطلقة بعيداً عن تفسير القرآن ، قد ركز على مجال التربية والتعليم تركيزاً هاماً ، وكان له دوره في تحرير اللغة العربية أسلوباً ومضموناً من السجع والمقدمات معاً وكان ردوده الحاسمة على « هانوتو » و « فرح أنطون » مجالا واسعا لالقاء نظرة واسعة على جميع القضايا المثارة والشبهات الموجهة إلى الاسلام ومن حق أنه عالجهما بحكمة وبراعة وأضاف إلى عمل قادة الحركة إضافات جديدة . وجملة موقف محمد عبده أنه كان حريصاً على أن يبرز الاسلام في مكان القدرة على مواجهة الحضارة الغربية بدون تخلف ، سواء في مجال الرابطة بين العلم والدين ، أو بين الدين والمجتمع . وكانت فتاواه في القضايا الهامة : مثل ذباح أهل الكتاب ولبس القبة وغيرها قد ألفت ضوءاً ساطعاً على قدرة الاسلام في مواجهة الحضارة والزمن وعلى فتح باب الاجتهاد في الفروع وبعد هذا العمل خطوة جديدة بعد عمل جمال الدين الأفغانى الذى توقف عمله عند العموميات والكليات ومن حق أن محمد عبده كان معلماً ومفتياً . وكان عمله في مجال إصلاح الأزهر بعيد المدى فقد أدخل تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر وكان إيمانه بأمريين لا يبلغهما إيمان : إصلاح الكومة وتربية الرجال وكان يقول : أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد سلطتها وإلزامها بالشورى والمساواة بين الرعية إنما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا إذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة وصار لهم رأى عام . وأنه لم يعهد في أمة من الأمم أن الخواص والأغنياء ورجال الحكومة هم الذين يطلبون مساواة أنفسهم بسائر الناس وإزالة إمتيازاتهم . وكان من أبرز دعوات محمد عبده معارضة الجبرية الصوفية والدعوة إلى العمل

أولينا : « لماذا تعتزل الدنيا ، إن علينا أن نخالط الناس وأن نعيش في المجتمع عاملين وأن واجب كل مسلم صحيح الاسلام أن يؤدي رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . وقد جعل من أهم ما عني به التفرقة الدقيقة بين الاسلام وبين المسلمين . وكان مما قال وجرى منجى الأمثال : « الاسلام محجوب بالمسلمين » هذا الجمود مما لا يصح أن ينسب إلى الاسلام ، ما أبعد هذا عن صورة الاسلام في صفاتها ووضوح بياضها . حدث هذا عندما دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الاسلام في أفئدتهم . وكان السبب في تمكنها من نفوسهم « السياسة » . تلك الشجرة الملعونة في القرآن ، نظر المسلمون إلى فخخة الوثنية ، واستعاروا من ذلك للاسلام ما هو عنه برآء ، وسنوا عبادة الأولياء والعلماء ، واتخذوا من عقيدة القدر مثبّطاً للغرائم . هذه السياسة التي أدخلت على الدين ما لا يعرفه ، دخول البدع والخرافات والجمود ، جنى هذا الجمود على اللغة وأساليبها وعلى النظام والاجتماع ، مما أدى إلى الاختلاف وتفرق المذاهب والشيع في الدين ، وجناية الجمود على الشريعة وأهلها مما جعلها تضيق عن أهلها . كان كل متأخر يقصر فهمه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال لسلفه الأول ، بل ولا بما كان يحف بالقول من أحوال الزمان وفقدت كتب السلف الأولين مكانتها » . « قام الاسلام على العقل « والاقناع بالحجة » وأقر الاسلام قاعدة تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض - والتجارب مع الزمن وتطوره ومراعاة البيئة واختلافها ، وقام على الشورى « وعدم وجود وساطة » والحاكم ليس بالمعصوم ولا هو مهبط الوحي وهو مطاع ما دام على الحق ، ورضى المسلمون عنه ، وليس في الاسلام سلطان إلهي ، مع التسامح مع العلم ، والتسامح مع الطوائف الأخرى ، وحماية حقوقها وحرية اعتقادها ، والجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، وإباحة الزينة والطيبات والمزج بين الروحية والمادية » . وبالجمل فهد كان منهج فكرته في إصلاح الاسلام على هذا النحو : الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى منابعها الأولى . واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وصفها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه لتتم حكمه الله في حفظ نظام العالم الانساني وفتح باب الاجتهاد . ومحاربة الخرافات والأباطيل التي نسبت إلى الاسلام . الثاني : إصلاح العلم في الجامع الأزهر وملحقاته . بحسابه مصدر النهضة الاسلامية وحسن الدين ومعل اللغة وإنشاء جيل من علماء الدين القادرين على مواجهة العصر وبالجمل فهد كان منهج

فكرته في إصلاح الاسلام على هذا النحو . الثالث : تجديد شباب اللغة العربية إصلاح أساليبها في التحرير سواء في المخاطبات الرسمية أو المراسلات بين الناس وكان عمله في إصلاح اللغة على درجتين : أحدهما إلقاء دروسه كلها باللغة الفصحى الممتازة برشاقة التعبير وبلاغة التأثير . والأخرى مقالاته وكتاباته . والرابع : الإصلاح السياسي . يقول : أمر كنت من دعائه : حق الحكومة على الشعب وحقه على الحكومة والاعتقاد بأن الحاكم وإن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم وأنه لا يرده عن خطئه ولا يقف طغيان شهواته إلا نصح الأمة له بالقول والفعل ، وأن تقوم بين الراعي والرعية علاقة قوامها الطاعة من الشعب والعدالة من الدولة . الخامس : العناية بتربية الأمة تربية خاصة وأنها مقدمة على العمل السياسي . السادس : الاتحاد العام أمام العدو الخارجي ونسيان الحزاقات والخلافات أثناء الخطر . السابع : اعتبار الدين صديقاً للعلم لا موضع لتصادمهما ، إذ لكل منها وظيفة التي يؤديها ، وهي حاجتان من حاجات البشر لا غنى لأحدهما عن الأخرى . الثامن : « القرآن » : يجب أن يكون أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين .

(٥)

الحركة السلفية

أصل محمد عبده منهج الإصلاح الاسلامي - ورسم بكتاباته فكرة كاملة لا يقاظ الفكر الاسلامي العربي ، وواجه تحديات عصره وخاصة في السنوات الأخرى من عمره . ١٨٨٥-١٩٠٥ في ظل توسع النفوذ الأجنبي واحتلال مصر وتونس والسودان . وسيطرة فرنسا على الجزائر . وقد امتدت دعوة محمد عبده في ثلاث جهات متوازية في الشام ومصر والمغرب ومنها إلى أندونيسيا وكان للهند حركتها الاسلامية المتوازية مع هذه الحركة ولها منهجها المستقل وفق ظروفها . وكانت المنار هي رابطة المسلمين بعد العروة الوثقى ، على نفس النسق والهدف مع اختلاف الأساليب ، وقد استطاعت المنار أن تغذى هذه الحركة حتى عام ١٩٣٥ وشاركها في هذا الوقت دعاة كثيرون وكتاب كثيرون . وكان أبرز مجالي هذه الدعوة « المغرب » فقد وجد محمد عبده في تونس والجزائر من يؤمنون بفكرته ويسايرون خطوه ثم كان للمغرب الأقصى إمتداد آخر وأن لم يذهب إليها الشيخ عبده وفي تونس والمغرب كانت الدعوة السلفية متقدمة في الزمن . وفي الجزائر بدأت جمعية العلماء

في العقد الثاني من القرن العشرين وبرزت في العقد الرابع قوة بعيدة المدى . والمعروف أنه في عام ١٨٨٤ أسس محمد عبده وجمال الدين «العروة الوثقى» جمعية سرية بباريس وقد شمل نفوذها السواحل الشرقية للبحر المتوسط وقصد عبده إلى تونس ١٨٨٥ وأثرت فتاواه في علمائها فأيدوها ، وكانت تونس رصيد في الإصلاح منذ برز الشيخ قبادو وخير الدين التونسي في محاولة الربط بين الاسلام والحضارة الحديثة . وقد عاود محمد عبده زيارة تونس والجزائر ١٩٠٣ وكانت دعوته قد تطورت فلم يكن يدعو إلى مقاومة الغاصب بالثورة بل كان يدعو إلى العلم كوسيلة لمقاومة النفوذ الأجنبي . ويرى المغاربة لشكيب أرسلان أبعد الأثر في نفوسهم فقد وقف مع الليبيين في حربهم مع إيطاليا . وكذلك تنسب إليه ازدهار الحركة السلفية وفق غايات استأذه محمد عبده وزميله رشيد رضا صاحب المنار الذي كان من أهم وسائل تغذية الحركة وقد اتصل شكيب في تونس برجلين من أبرز رجال الفكر : صالح الشريف وعلى باشر حبنه وكان جمعيتي الخلدونية والصادقية بعيدة الأثر في تآريث الحركة السلفية وكان لظهور الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام وصديق الشيخ عبده أثر كبير وقد ظل شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ورشيد رضا في صحف المنار والتمنح ومعهم في مصر الخضر حسين يواجهون الحملات العاصفة على المغرب وعلى تونس ومراكش وبخاصة في أخطر أزمتين : وهى المؤتمر الافخارستى في تونس والظهير البربرى في مراكش (المغرب الأقصى) . ومن الذين عملوا في هذا الميدان خارج الوطن [عبد العزيز الشعالى] الذى ظل مبعداً عن تونس أكثر من عشرين عاماً . وعرض رشيد رضا في المنار الرأى في هذه القضايا كما واصل شكيب أرسلان من لوزان مقالاته وشاركهما على الصعيد العربى محمد على الطاهر فى (الشورى) وكان شكيب أرسلان عليمًا بأحوال المسلمين فى أفريقيا من ليبيا إلى الدار البيضاء بصيراً بشبهات الاستعمار التى كان يثيرها للوقية بين المسلمين والبربر وكان مما يقوله : « فى شمال أفريقيا يعرفون المسلم العربى ، والعربى هو المسلم فالإسلام والعروبة مترادفان » . أما الحركة السلفية فى مراكش فقد كانت قوة ضخمة بعيدة المدى فى مقاومة الاستعمار وكان قوامها قاده أعلام من أمثال : عبد الله السنوسى ، والمهدى الوزانى وأبو شعيب الدكالى ومحمد بن العربى العلوى . وقد امتزجت الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية فكانت دعوة إلى إصلاح شامل ومقاومة للتخلف والجمود فى كل مناحى الحياة . ويؤكد العلامة علال الفاسى ارتباط الدعوة السلفية فى المغرب بابن جنبل وابن تيمية

وحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب وذلك في مواجهة مرحلة الجبرية التي مرت بها الدولة العثمانية في الفترة الأخيرة . ويرى أن علة التأخر في العالم الإسلامي كانت كامنة في « خطأ الفهم بعقيدة الجبر : وتأول عقيدة القضاء والقدر الإسلامية على أنها تعبر عن حتمية لامناص منها ، ولا يمكن التحرر من أحداثها ، لذلك فلا محل لبذل المحاولات للخروج من أية نكبة تنزل بنا - وهذا ما دفع الحكام والولاة إلى احتضان الصوفية لأنها كانت تدعو الأمم إلى الاستسلام والرضا وكذلك اتخذها الاستعمار سلاحاً لهذا الغرض . يقول : وذلك ما نشأ عن انتشار « الشاذلية » في بلادنا مع سوء الفهم لصوفييتها الحقيقية ، وترتب على ذلك ازدهار شأن طبقة من المشايخ والمرابطين أصبحوا يملكون زمام الأمر في الأمة ويسيرونها في الاتجاه الذين يريدون . وأعانتهم على ذلك الأسر الحاكمة » . وفي المغرب دعا السلطان المولى سليمان العلوى إلى السلفية الأولى ومقاومة الطرق وتشعباتها . وواصل الملوك الذين تعاقبوا على عرش المغرب الدعوة إلى السلفية ، فلما سقطت الجزائر تحت نفوذ فرنسا بدأت يقظة دفعت المسلمين في المغرب إلى التفكير في التجديد العسكري والاجتماعي وكتب أحد علماء المغرب كتاباً أسماه « كشف الغمة في أن الحرب النظامية واجبة على الأمة » وقال في كتابه : إن الأوربيين تطوروا في أساليبهم العامة بينما نحن لازلنا نواصل الأساليب العتيقة في جهادنا وفي تدبيرنا . ومضى فحلل أسباب الجمود الفكري والجمود العلمي ، وكشف عن حيوية الإسلام وكونه صالحاً لكل زمان ومكان . وقد كان لازدهار الدعوة السلفية في العالم العربي في أوائل هذا القرن وإعادة طبع مؤلفات ابن تيمية وابن القيم والشاطبي ، هذه الحركة التي قام بها رشيد رضا في مصر وظاهر الجزائري في دمشق ، والألوسي في بغداد ، ثم ما كان من جهود الحركة الوهابية بعد تجددتها في العقد الثالث ، وكان أول من تصدى لنشر دعوة كاملة للسلفية في المغرب هو « عبد الله السنوسي » أحد علماء القرويين والذي سافر إلى المشرق واتصل بأقطاب الدعوة وصدع بدعوته داخل جامعة القرويين (الجامعة القروية) بفاس وتلمذ عليه محمد بن العربي العلوى بينما كان شعيب الدكالي يرفع صوته بالدعوة في الرباط ، ويرى الأستاذ الفاسي : إن الجانب السياسي طغى على المدرسة السلفية في مصر والمشرق بينما طغى الجانب الاجتماعي والعقلي في الهند . أما المغرب فقد تأثر بكلتا المدرستين .

وكان للهجوم الفرنسي على البلاد ودسائس الفرنسيين في استعمال بعض مشايخ الطرق قلب سلم المعركة إلى عنف شديد فقد جر إلى إغلاق الزاوية « الكتانية » والحكم على رئيسها

بالإعدام وتنفيذه . واتخاذ وسائل شديدة في الحكم على « التيجانية » وغيرهم من رجال الطرق . ومقاومة المشايخ الذين كانوا يستغلون الدين والتصوف لأغراضهم الشخصية . وقد انضموا لصفوف الفرنسيين والأسبان وأخذوا يوجهون الرسائل المختلفة يغرون فيها القبائل المكافحة في سبيل الله والوطن إلى العدول عن الجهاد والاستسلام للأعداء . وبذلك حلت السلفية محل التصوف ممثلة قوة الإسلام وسلامة مفاهيمه وكان لتحالف بعض الصوفية مع النفوذ الأجنبي دورها في هزيمة الأمير عبد الكريم في الحرب الريفية عام ١٩٢٦ فقد تحالف عبد الحى الكتاني وعبد الرحمن الدرقاوى مع الفرنسيين ضد الثوار والأمير عبد الكريم . وبعد ذلك اتجه الفرنسيون إلى مقاومة الشريعة الإسلامية ووضع المناهج الرسمية العلنية لفرنسا والمغرب عن طريق تسيحة ، وكان الظهير البربرى في ١٦ مايو ١٩٣٠ رمزاً على هذا المخطط . هنالك تحولت الحركة السلفية إلى حركة سلفية ووطنية في وقت واحد ، سلفية في إقرار الشرع الإسلامى ووطنية في مقاومة السيطرة الأجنبية .

(٦)

جمعية العلماء

وكانت جمعية العلماء في الجزائر عملاً ضخماً بعيد المدى في مجال البقطة والإصلاح الإسلامى وقد كانت بعيدة الأثر بقدر خطورة مهمتها فلم تكن مهمتها قاصرة على تصحيح المفاهيم أو مقاومة نفوذ الجبرية الصوفية فحسب ، ولكن كان أمامها ما هو أخطر من ذلك : وهو حماية اللغة العربية التي كانت على وشك الضياع بحسب ما خطط لها النفوذ الاستعماري خلال مائة عام كاملة . وقد برزت جمعية العلماء في عام ١٩٣٠ في ذكرى مرور مائة عام على احتلال الجزائر ، حيث حسبت فرنسا أنها قد فرنست الجزائر نهائياً ، فمضت تزدهى بأنها حققت عملاً باهراً بعيد المدى غير أن الإمام عبد الحميد بن باديس كذب ذلك حين أعلن صحبته في هذا الوقت وبالذات وإن كان يعمل في مجال الإصلاح . منذ ١٩١٤ تقريباً . هذه الثورة التعليمية التي أحلها ابن باديس كانت بعيدة المدى في إعداد جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويكتب ويتحدث باللغة العربية . حتى ليكن أن يقال بضد أن كل من يعرف اللغة العربية اليوم في الجزائر مدين للعمل الضخم الذى قام به هذا الداعية النؤوب وكانت مجالس التذكير التي يعقدها في المساجد ذات أهمية بعيدة المدى في الكشف عن

عن جوهر الإسلام وهي شبيهة بمجالس الشيخ محمد عبده في الرواق العباسي والتي سجلها رشيد رضا في المنار وقد سجلت مجالس التذكير البادية في مجلة الشهاب وهي تدل على معرفة شاملة بأمور العصر وما يكتنفه من ظروف طارئة ، ومدى معالجة الإسلام لهذه المشكلات والمعضلات على نحو سمح يسير ، وقد أخذ بأسلوب الاجتهاد « في اختيار الرأى المناسب وترجيح الحكم المدقق دون أن يتقيد بمذهب من المذاهب ولا بإمام من الأئمة ، شأن السلف الصالح للخروج بالفكر الإسلامى من دائرة الضيق والجمود . » ، وقد جرى في دروسه على أن شريعة الله خالدة لا تتأثر بالمكان ولا تتغير بالزمان ولا تتسم بالخصوص ولا تضيق بالحضارة ولا تتبرم بالعالم ولا تنبو عن التطور « وقد رسم « عبد الحميد بن باديس » منهجاً على نحو واضح مشرق : « على مرشدى المسلمين أن يعالجوا أدواءهم بالعلاجات النافعة ، ويشخصوها لهم عند الحاجة بالعبارات الرقيقة المؤثرة في رفق وهودة ، مجتنبين كل ما فيه تقنيط أو تثبيط . وأن يعرفونهم وإن ساءت نواح ما تزال هناك نواح صالحة وهناك علاجات من الإسلام قريبة وناجعة . وأن يعرفوا ما هم فيهم من فضائل ، وما لهم من مجد وما لهم بهذا الإسلام من قدر وعز ، ليثيروا فيهم النخوة ويبعثوهم عن العمل والخير . هذا أصل عظيم في التربية المبنية على علم النفس البشرية فإن النفوس عندما تشعر بحريتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب ، وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل ، إن التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس : نفوس الأفراد والجماعات وذلك ضد التربية . وهذا مصداق لقول الرسول : « إذا سمعت الرجل يقول : هالك الناس فهو أهلكهم » نحن المسلمين ربينا تربية إسلامية على ألفة الجوع والتقلل من الأكل والاقتصار على قدر الحاجة ، فطعام الواحد يكفى الإثنين ، بهذه التربية استطعنا أن نبقى ونعيش في مثل ما عليه معظم الأمة الجزائرية من الفاقة والعوز والجوع والمسغبة .

وكما ربانا الإسلام هذه التربية من ناحية الغذاء ، فقد ربانا تربية أخرى من نواحي أخرى ، ربانا على مجد العلم بالمعرفة والرغبة فيها والتلهف على ما فات منهما والاحترام لمن له حظ فيهما . وبهذه التربية استطعنا أن نحافظ على قرآننا وخطنا وبقايا علوم لغتنا وديانتنا وجملة معارفنا واندفعنا إلى تأسيس المكاتب العربية رغم ما يحول بيننا وبينها . ولولا تلك التربية الإسلامية التي زرعناها القرون فاستقرت في قرارات النفوس ، وصارت من الخلق

الموروث ، لكان ما نحن فيه من ظلم وتعاسة وتقديس كل أحد علينا في وطننا وترك لمعامل التجريح والتمهيل شاغلا لنا عن العلم وعن الشعور به . « ظنوا أن الخبز هو كل ما نريد ، لا يقوم ، إننا أحياء ، وأننا نريد الحياة ، للحياة خلقنا وأن الحياة لا تكون بالخبز وحده فهناك ما علمتم من مطالبنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلها ضرورات في الحياة » .

(٧)

الحركة الإسلامية في الهند الإسلامية والباكستان

بدأت اليقظة في الهند الإسلامية قبل وصول الاحتلال البريطاني بوقت طويل فقد ظهر الإمام السرهندي (أحمد عبد الأحد) في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ م) في خلال حكم الإمبراطور جلال الدين أكبر الذي دعا إلى ما أسماه الدين الإلهي ، وقد حكم الملك أكبر خمسون عاماً (٩٦٤ - ١٠١٤) م وواجهت المسلمين بدعوته إلى الدين الجديد مخنة خطيرة ، غير أن السرهندي لم يقبل تأييد الإمبراطور في دعوته ووقف موقفاً مجيداً أمام المحنة القاسية ونزل ميدان الجهاد ضد طغيان الإمبراطور ودعوته الضالة وهاجم العلماء التقليديين الذين لم يعارضوا الملك بل شجعوه على نشر هذه الفتنة في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة وبعد أن تولى ابنه « جهانكير » اشتدت هذه الفتنة وتعرض كثير من العلماء والفقهاء للاضطهاد ولم يتوقف الملك عن زج الشيخ السرهندي في السجن وكان ذلك نقطة تحول في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، فقد اهتدى به المسجونون إلى الله وأقلعوا عن الجريمة فلم يلبث مدير السجن أن كتب بذلك إلى الملك حتى أصدر أمره بالإفراج عنه واستقدمه بالترحيب فلما دخل على الملك سلم عليه بتحية الإسلام ولم يسجد ولم ينحن وأسدى إلى الملك مواعظه ونصائحه . وكان من نتائج مساعيه أن أصدر الملك قراراً بإلغاء كثير من البدع والمنكرات ومنها ما ابتدعه أبوه نفسه ، وفي مقدمة القرارات التي أصدرها جهانكير أمراً بتحريم السجود أمام الملك تعظيماً له وكذلك أبطل جميع القوانين المعارضة للتعالم الإسلامية وعين قضاة مسلمين في كل بلدة . وقد واصل السرهندي دعوته بين جميع طبقات الأمة وكاتب الأمراء والرؤساء في الحكومة والجيش يدعوهم إلى اتباع الحق ويقاوم البدع والمنكرات . ويعد السرهندي مجدد الألف الثاني الهجري فقد جرد قلمه للرد على البدع والأباطيل وهاجم دعاة التصوف الذين تأثروا بمذاهب البرهمية

وفلسفتها ، من وحدة الوجود والاتحاد والحلول . ولم يتوقف عن نقض آرائهم . وقد أعلن السرهندي أن المسؤولية الأولى في نشر التعاليم الإسلامية الحققة والمبادئ القرآنية الخالصة يقع على عواتق العلماء المسلمين . كما أن تبعات النكبات التي يصاب بها المسلمون من ذلة وهوان ترجع إلى العلماء التقليديين الذين يتهافون على حطام الدنيا ويردد قول الرسول عليه السلام : « صنفان من أمتي إذا صلحنا صلح الناس جميعاً : وإذا فسدنا فسد الناس جميعاً : العلماء والأمرء » كما جاهد في الكشف عن البدع والأباطيل وأوقف قلمه للرد على ما ابتدعه ونسبه إلى الإسلام وعمل على إصلاح الأمرء والحكام ووجه اهتمامه نحو إسداء النصائح للحكام البلاد . وقد ألف عديداً من الكتب في الرد على فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد وكشف عن زيفها وأبعد الإسلام عنها كما دعا إلى التصوف الإسلامي الخالص الذي ترجع أصوله إلى المنايع القرآنية والنبوية . وأبرز أعماله أنه قضى على عقيدة وحدة الوجود التي تغلغلت في أحشاء التصوف والأدب والشعر وقضى على فكرة استقلال الطرق عن الشريعة وعلى كثير من العقائد والأفكار والعادات التي تسربت من الفلسفات الضالة . (٩٧٧ - ١٠٣٤ م)

٢ - شاه ولي الله (أحمد عبد الرحيم الدهلوي) . أما شاه ولي الله فقد كان مجدداً من أبرز مجددى الفكر الإسلامى في العصر الحديث وقد عاصر الإمام محمد بن عبد الوهاب وتأثر به وهو واحد من طراز الإمام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية . كان من أكبر أعماله تصحيح مفهوم التوحيد الإسلامى والدعوة إلى الاتصال المباشر بالقرآن والسنة الصحيحة . وكتابه (حجة الله البالغة) من الكتب المعدودة في هذا المجال . وقد قاوم ولي الله ما ساد عصره من انحلال وفساد ، وهاجم التساهل وعدم الاكتراث واجتهد في إيجاد تفسير يجمع بين التصوف والسنة الخالصة . ويكون أكثر مرونة تقبلاً وللتطور . وقال ولي الله : إن المسلم الحق يجب أن لا يقبل الانحطاط المعاصر .

تتمثل النهضة في هذه المرحلة بعد الاحتلال البريطانى للهند المسلمة في صورة النهضة الثقافية التي قام بها محمد قاسم النانوتري وسيد أحمد خان ومحمد علي المونكيرى وبرز خلال هذه الحركة : شبلى نعمانى وأمير على وأبو الكلام آزاد . وقد كانت الدعوة إلى إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات بمثابة رد فعل لحركة التعليم الاستعماري الذي رفض المسلمون الاندماج فيه محافظة على دينهم .

فأسس النانوتوي مدرسة ديوبند عام ١١٨٣ هـ ١٨٦٦ م . وسعادت مظاهر العلوم في سهارنبور ومحمد علي المونيكرى : مدرسة دار العلوم عام ١٣٩٢ هـ ١٨٩٤ م في ليكنو وأنشأ سيد أحمد خان مدرسة عليكرة الشهيرة عام ١٢٦٣ . ١٨٧٠ م . وكان شبلى النعماني هو أبرز معاوني أحمد خان ومؤسس ندوة العلماء . وقد خلفه فيها سليمان الندوى ومسعود الندوى الذى أصدر مجلة للضياء العربية (١٣٥١ - ١٣٥٤) م . وأصدر أبو الكلام آزاد صحيفة الهلال ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م . وكانت الحركة الثقافية التى تصدرها شبلى النعماني تضم حافظ نظير ومحمد حسين آزاد وسعد الطاف حسين تدعو إلى انهاض المسلمين في مجال التأليف والشعر والكتابة وتعد قصيدة (مدرسة الاسلام وجزره) لسيد الطاف من الشعر الرفيع الذى هز النفس الاسلامية الهندية . ولما رأى المسلمون أن خطة أحمد خان في كلية عليكرة قد اقتضرت على الثقافة الحديثة أكملوا عمله بدارس أخرى تعنى بالدراسات الاسلامية الخالصة وكان أبرز أعلام اليقظة في الهند الاسلامية . شبلى النعماني وأبو الكلام آزاد وأمير علي وسيد أحمد خان واقبال .

(٨)

حركة الإصلاح في أندونيسيا والملايو

على الرغم من أن أرخبيل الملايو قد دخل في الإسلام بعد الهند وفارس وأفغان بقرون عديدة فإنه قد وجد للإسلام تقبلاً روحياً ونفسياً كبيراً مما كان له أبعد الأثر في مواجهة الغزو الاستعماري البريطاني والهولندي للملايو وإندونيسيا ومقاومة حركات التبشير والتغريب التى تكاثفت في سبيل إخراج هذه المنطقة من عالم الإسلام . وتتسم حركة الإصلاح فيها بروح عالية من المقاومة والعمق وقد عملت في ميدانين في وقت واحد : ميدان تصحيح العقيدة وتجديد الفكر الإسلامى بما يجعله قادراً على الكشف عن جوهره وصلاحيته للنهضة ، وفي ميدان مدافعة الشبهات وحملات التشكيك وشبهات التبشير . وقد استمدت حركة الإصلاح في إندونيسيا والملايو من حركة الإصلاح الإسلامية التى حمل لوائها محمد عبده وجريدة اللغار زانها وأسلحتها فأحدثت يقظة كبرى في سومطرة وجاوة . وكانت شركة إسلام التى تأسست ١٩١٢ ومن بعدها مجلس العلماء والجمعية الحميدية ، كلها قوى إيجابية عاملة في هذا المجال على الرغم من اختلاف ميادين عملها . وقد حملت هذه الجماعات لواء العمل في كل الميادين

وبدأت بالعمل في الميدان الاقتصادي في محاولة لتحرير الاقتصاد القوي من براثن النفوذ الأجنبي وخلق اقتصاد إسلامي يحفظ للمسلمين ثرواتهم ، ومن خلال هذا العمل توسعت أهداف عمل الإصلاح في مختلف الميادين وأهمها الوحدة الإسلامية والكفاح المشترك للخلاص من الاستعمار والحركة الوطنية ومقاومة التبشير وبناء المساجد والمدارس والمعاهد والأندية لمواجهة القوى المؤيدة بالنفوذ الاستعماري . وقد استغل المصلحون المسلمون كل أسلحة المستعمر في سبيل مقاومته وخاصة ما كان يحمل على طابع الحكم الاستعماري في إندونيسيا عن طريق الهولنديين يصبح استعمارهم بصيغة دينية وتحديثهم دوماً عن القضاء على دين محمد والقول بأنهم في إندونيسيا بإرادة الله وأنهم يحملون السيف ويقاتلون لهذا الغرض . وفشل النفوذ الاستعماري بالقضاء على الوعي الإسلامي واستطاعت المعاهد والمدارس الإسلامية أن تحدد من نفوذ التبشير وأن تقاوم حركة الفصل بين العرب والوطنيين . كما عمدت هذه الهيئات إلى مقاومة نفوذ الوثنية والهندوكية . وقد أعلنت عن ذلك صراحة الجمعية المحمدية التي أنشأها المجاهد أحمد دحلان عام ١٩١٢ في جاكرتا حين سجلت في ميثاقها « تنقية عقيدة الإسلام من آثار الديانات الأخرى كالبرهمية والبوذية وأوهامهما » . كما عنيت هذه الهيئات بالمرأة المسلمة فأنشأت أقساماً خاصة لتربيتها وتعليمها وتكوينها تحت اسم « العائشية » ضمت الفتيات المسلمات من مختلف أنحاء إندونيسيا وعملت على تنشئتهن تشئة إسلامية قوية . وقد كانت هذه الحركة الإسلامية هي نواة الحركة الوطنية ، فقد أوقدت المقاومة ضد الاستعمار الهولندي بحيث لم يتوقف من بعده .

وقد اعترف سنوك هرونجني (كبير خبراء التبشير والتغريب) في إندونيسيا بأن هذه الحركة كانت بعيدة الأثر في مقاومة النفوذ الاستعماري والخيولة دون تحويل إندونيسيا إلى الغرب كلية ، وعزى ذلك إلى أثر الأزهر وخريجى إندونيسيا والملايو منه ومن الدارسين في مكة . ويثقل عصر الاستعمار الهولندي ، أخطر عهود المقاومة في الفترة من عام ١٥٩٦ إلى ١٩٤١ وقد كان لهذه الفترة أثرها البالغ في الحد من نفوذ الإسلام وتوسعه والقضاء على اللغة العربية في إندونيسيا وفرض كتابة اللغة الأندونيسية بالحروف اللاتينية على الرغم من رغبة الأهلالي الذين كانوا يرون في اللغة العربية رباطاً قوياً بالإسلام . يقول فؤاد محمد قحور الدين « إن الإسلام قد جاء بالعربية إلى هذه البلاد . هذه اللغة التي لا تفارق الإسلام أينما ذهب ، هي لغة الوحدة الدينية لجميع المسلمين وهي تربط أرواحهم رغم اختلاف أجناسهم وبها يتلون

القرآن ويقفون على أسرارهِ . واللغة الأندونيسية قد اقتبست واشتملت كثيراً من كلماتها من اللغة العربية - واتخذت منها مصطلحات عديدة وقد جاء ذلك عن طريق الإسلام نفسه . وما تزال اللغة العربية بعيدة الأثر في نفسية الشعب الأندونيسي بينما لم تؤثر الهولندية أو اليابانية في روح الشعب لأنها فرضت فرضاً خلال فترة الاحتلال الأندونيسي أو الاحتلال الياباني (١٩٤٢ - ١٩٤٥) م . كما عمد النفوذ الأجنبي على اصطفاء طائفة من الشباب الأندونيسي ونقلهم إلى إنجلترا وهولندا . وكونهم تكويناً خاصاً أراد به فرض نفوذه عن طريقهم . وقد حرص التعليم الغربي والتبشيري إلى توهين أسس الإسلام في نفوس الشباب وأن تحمله على كراهية ثقافته القديمة فتقطعه بذلك عن تاريخ وروح الأمة التي ولد فيها والتي سيعمل من أجلها ، وهذا هو ما تقوم به السياسة الاستعمارية في مختلف بلاد الإسلام . وكان من دعواه إحياء مجد الإمبراطوريات الوثنية القديمة السابقة للإسلام كما فعل في العالم العربي حين دعا إلى الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان ، وفي أندونيسيا اتجهت الدعوة إلى إحياء إمبراطورية ماجاباهت الوثنية والمغالاة في تقدير هذا التاريخ ومحاولة اتخاذه مثلاً أعلى في البطولة ، وكذلك كان لعلماء الآثار وعلماء اللغات القديمة دعواهم في هذا المجال ، وقد جرت محاولات لمقارنة العصر الهندوكي الجاري القديم بمجد العصر الإسلامي في محاولة لرفع شأن الهندوكية على حساب الإسلام ، كما حاولت القوى الاستعمارية صبغ الجامعة الأندونيسية بصبغة قومية خالصة لإخراجها من جوهرها الإسلامي وطبعها بروح إقليمية ووثنية قديمة ، وذلك في محاولة لإقصاء مفهوم الوحدة الإسلامية التي تدعو إليه الحركات الإسلامية . وقد عمقت قوى التبشير أعمالها وزاد من نشاطها ما قدمت الدول الأوروبية من مساعدات بشكل واضح منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حيث أبدوا نشاطاً واسعاً وأحرزوا بعض النجاح في مناطق نائية وجزر غير رئيسية ، أما في أهم نواحي أندونيسيا فأنهم قد واجهوا مقاومة واسعة ، ووجدوا في الإسلام منافساً قوياً لبساطته وسماحته التي تملأ القلوب وقد عانت البعثات التبشيرية والإرساليات خسائر كبيرة في هذا المجال ، فهم يربطون بين هذه البعثات وبين النفوذ الاستعماري بينما يربطون بين الدعوة الإسلامية وبين الحرية والمساواة والإخاء . وقد واجهت جماعات شركة إسلام والمحمدية والشبان المسلمين حركة التبشير واستطاعت مقاومتها عملياً . وقد اعترفت (المستشرق ك.ك. برج) في كتابه (وجهة الإسلام) إلى الدور الضخم الذي قامت به هذه الجماعات فقال : كان لها شأن عظيم بإنشائها المدارس وتأسيسها

المكتائب وفتحها إياها على المصراعين وبيع الكتب وإنشاء المستشفيات ومآوى الفقراء وملاجئ الأيتام ونشر الثقافة الإسلامية والدعاية وترجمة الكتب الإسلامية إلى لغة البلاد (فضلاً) عن الأخذ والتوفيق بين الإسلام وبين الظروف الجديدة (وبذلك) قطعت الطريق على المبشرين المسيحيين من وجوه كثيرة بعد أن اصطنعت وسائلهم . ويقول الدكتور سنوك هروجنية الهولندي الذي أمضى سبعة عشر عاماً في الهند الشرقية الهولندية مستشاراً لحكومة هولندا واستطاع أن يدرس قضايا الإسلام ويواجه مشاكل النفوذ الهولندي مع ٣٥ مليوناً من المسلمين في (أندونيسيا) وساح في البلاد الإسلامية خلال ربع قرن يراقب الحركات الإسلامية . قال : إن المبشرين لا يزالون يتوقعون انضمام كل الأديان إليهم ، أما بالنسبة للإسلام فلا تتحقق أحلامهم ، لأن الدين الإسلامي سبطل ديناً قوياً نشيطاً . ذلك أن للإسلام شرائع تتعلق بالحياة في كل أطوارها ، شخصية وعمومية ، وفردية واجتماعية . ومن الحق أن الإسلام في القرن الماضي تعرى من استقلاله السياسي باعتداء الدول الأوروبية عليه ، ونتج عن ذلك أن الإسلام اضطر أن يعدل آرائه وأعماله . « وقد استنتج الباحثون أن القضايا الروحية متصلة تمام الاتصال بالقضايا المادية في الإسلام ، بحيث أن سقوط الإسلام السياسي يستلزم سقوط الإسلام نفسه . ولكنني لا أوافقهم على هذا الرأي . » وإذا كان الإسلام قادراً على احتمال ذلك التغير ، فهو قادر على أن يطبق نفسه على قضايا الحياة الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه أن يكونوا في مقدمة الصفوف في ارتقاء العالم ومدنيته . « والمسلمون لا يقصدون أن يغيروا دينهم ، وقد احتاطوا أعظم الاحتياط ، لهذا الأمر الذي أدركه كل المبشرين المتنورين في أرض الإسلام ، ففي الهند الشرقية الهولندية ، حيث قضيت سبع عشرة سنة ملتصقاً تمام الالتصاق بالمؤسسات الإسلامية لا يقدر المرسل الديني أن يربح تابعين لدينه . « ولا أعتقد أبداً أن الدين الإسلامي يسقط أمام الأديان الأخرى ، لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الغريب ، وقد يرى أن تدينه بدين سابق خطوة إلى الوراء ... » وقد تغلغلت الأفكار الأوروبية في كل جهة من الأراضي الإسلامية ، ولكن لم يجد فيها الشعور الغربي مركزاً ، ولهذا أتجرأ على القول بأن المسلمين سيستمرون على دينهم مهما اتخذوا من التهذيب والمدنية الغربيين . « وفي كل المدارس الأوروبية نجد كثيراً من الطلبة المسلمين قد درسوا العلوم الغربية بفروعها ، ولكن مجرى عقلهم لا يزال إسلامياً ، وقد كان بين يدي طلاب مسلمون ، وعندما كنت أتناول مباحثهم التي يكتبونها ، كنت أرى فيها مظاهر فكر إسلامي في شكل

يختلف كل الاختلاف عما يكتبه طلبتي الآخرون . بل كنت أعرف الطالب المسلم من مباحثه . « ولا يمكن أن يقع انحطاط تدريجي في الإسلام ، حيث توجد بواعث خارجة تمنعه ، فالإسلام قوى لم يضعف ولا سياً في القرن الماضي ، وقلت فيه الانشقاقات الداخلية ، وزاد على ذلك أن الإسلام يريح أكثر من غيره تابعين له من الوثنية . فالذي يصير مسلماً لا يطلب منه شيء كثير ، إذ لا يوجد تقديس ولا طقوس دينية ، ولا تعليم طويل . فكل ما يطلب منه أن يعترف بالله أنه كلى القوة ومن ثم يتدرج إلى تعليم الفضائل الإسلامية ، وعندما يضير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعي ولكن إذا اختار ديناً آخر . فإنه يبقى دون غيره . » ا . هـ

(٩)

الحركات الصوفية

لا يستطيع الباحث في تاريخ العالم الاسلامي المعاصر أن يتجاهل الدور الضخم الذي قامت به الحركات كجزء من حركة اليقظة والاصلاح الاسلامي ، فالحركة السنوسية والحركة المهديّة لها طابع صوفي . وإن كانت قد ربطت بين دورها الصوفي القائم على تربية النفس وبين الاصلاح الاجتماعي ومقاومة النفوذ الاستعماري . والحركة الصوفية في مفهومها الاصيل هي تكوين أجيال من المسلمين على التربية النفسية المفطومة عن الشهوات القادرة على مواجهة انحلال المجتمعات بايجابية وقوة ، ومجابهة الغزو الخارجي بنفسية المجاهد المسعّد للاستشهاد في سبيل حماية الفكرة والذود عن البيضة والدفاع عن الأرض والوطن . غير أن الحركة للصوفية لم تلبث أن انحرفت عن مفهومها الاصيل حين دخلت عليها فلسفية هندية ويونانية ، قتلت فيها روح الجهاد والمقاومة وأسلمتها إلى التواكل والجبرية ، هذه الصوفية التي قاومها ابن تيمية ، ثم قاومها محمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث بعد أن تركت آثارها البعيدة المدى في المجتمع العثماني في العصور الأخيرة . لذلك فقد كانت السنوسية والمهديّة من بعدها تحريراً للصوفية من جمودها وتخليصاً لها من مفهوم الجبرية ومفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكانت السنوسية والمهديّة ثمرتين خالصتين من ثمار دعوة التوحيد التي قادها محمد ابن عبد الوهاب غير أن هناك طرقات صوفية أخرى ظهرت في آسيا وأفريقيا كان لها دورها الضخم ، كالأشاذلية ، والتيجانية والرفاعية والقادرية هذه الطرق كانت بعيدة المدى في نشر الاسلام ومقاومة حركات التبشير الغربية التي انطلقت موازية للنفوذ الأجنبي منذ

أواخر القرن التاسع عشر ودهد هذه الطرق بالاضافة إلى السنوسية والمهدية لاحد لأهميته في الدعوة إلى الاسلام غير أن انحرافات قد أصابت هذه الحركات حيث اتصل بعضها بالنفوذ الاستعماري وعاونه على توطيد نفوذه وإذا كانت السنوسية قد نشأت في مواجهة تحدى الغزو الفرنسي للجزائر ، فكانت عاملاً خطيراً في وجه التوسع الغربى في إفريقيا ، فان الطريقة النقشبنديّة التي نشأت في أواسط آسيا وامتدت شرقاً حتى بلغت الصين قامت عاملاً هاماً في ثورة المسلمين الكبرى في تركستان الصينية ، كما أوقدت الثورات ضد النفوذ الاستعماري في جزائر الهند الشرقية ، وكذلك كانت المهديّة عاملاً في نشوب الثورة ضد النفوذ الأجنبي في أفريقيا . وفي قلب أفريقيا ظهر «مهدى الصومال» التي أرت الحرب ضد النفوذ الأجنبي بها سنوات ، ويسجل المؤرخون ظاهرة انتعاش الاسلام ، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين من طريق نشاط حركة التصوف «فقد شهدت هذه الفترة ولادة الطرق الصوفية التي كانت تتميز باتساع رقعة الفرق القديمة وتأسيس فرق جديدة كما ازدهرت الحركة الصوفية في البلاد الاسلامية غير العربية» «وتحتل المجموعة العربية البربرية في إفريقيا المغربية التي لعبت في الماضي دوراً هاماً في الحركة الصوفية خلال القرون الوسطى مركزاً في الدرجة الأولى من هذه النهضة الحديثة لحركة الصوفية ، وقد أسس عدد من الطوائف الجديدة في القرن ١٨ الميلادي في كل من الجزائر ومراكش وقامت هذه الفرق بنشاط شديد لا في مواطنها فحسب ولكن كذلك في الصحارى وفي أفريقيا الغربية» . وقد كان لهذه الطرق الصوفية أثرها الواضح في توسيع رقعة الاسلام في أفريقيا وجنوب شرق في العصر الحديث فقد أدخلت ملايين كثيرة من الوثنيين وحقت نسبة عالية للاسلام في أفريقيا بالذات وقد كان لتوجيهات جمال الدين ومحمد عبده في مفهوم الصوفية وتحريره من الجبرية أبعد الأثر في طابع الايجابية الواضح في هذه الطرق والفرق ، غير أن هذه الطرق هي القوة الذاتية الوحيدة التي وقفت ولا تزال تقف أمام البعثات التبشيرية في الهند وأندونيسيا وجزائر الملايو وأفريقيا . وقد إختطت الحركة طريقها في الأغلب في المناطق الوثنية ، أما في المغرب والجزائر فقد تعارضت بعض الطرق والفرق مع الحركة الوطنية ومن هنا دافعتها الحركة السلفية وقضت عليها بعد أن ثبت اتصال بعض الطريقين بالمستعمرين واستغلال تصوف الاسلام استغلالاً خاطئاً منحرفاً . وهناك ظاهرة واضحة جدية بالتسجيل هو أن النفوذ الاستعماري قد حاول الانتفاع بالطرق الصوفية في مصر وشمال أفريقيا وكان أمثال

الشيخ الدمرداش في مصر وشيوخ النيجانية والكتانية في المغرب من أعوانه. ولقد كان للنيجانية دور خطير في مقاومة جهاد الأمير عبد القادر الجزائري والأمير عبد الكريم الخطابي فقد أعانوا النفوذ الاستعماري الفرنسي وأيدوه . وقد قامت الحركة السلفية في المغرب وجمعية العلماء في الجزائر بدور كبير في معارضة الدور الذي قامت به هذه الطرق ، وكشفتها أمام الجماهير الاسلامية وسجلت عليها أخطاءها وتصرفاتها المعارضة للوطنية والاسلام معاً . وقد اتخذت الحركة السلفية في مواجهة ذلك أسلوب العمل الايجابي حيث بدأت بإنشاء المدارس القرآنية في مختلف القرى . وكشفت عن مفهوم الاسلام في مفهوم التصوف نفسه . وكان للحركة السلفية التي قادها الشيخ محمد عبده في مصر دورها في توجيه الطرق الصوفية في مصر فألف محمد توفيق البكري نقيب الأشراف كتاباً عاماً في هذا الصدد كشف فيه عن مفهوم الصوفية للاسلام تحت عنوان (التعليم والارشاد) أشار فيه أن للمعرفة طريقين : طريق النظر والاستدلال وطريق الرياضة والكشف وقال إن العلوم الضرورية هي العقائد والعبادات وتدبير المال وتدبير الأمة وتدبير المنزل . وعنده أن للتربية ثلاث مدارس : مدرسة العائلة ومدرسة التعليم ومدرسة الدنيا ، والمبادئ السائدة في المدارس الثلاث متناقضة للآن ، فيما تعلمه مدرسة العائلة ومدرسة التعليم هما الأساس الذي تشاد على دعامة آثار التربية في المدرسة الثقافية ، لهذا وجب أن يكون في الأمة رجال أقاموا أنفسهم مرشدين يختص كل منهم بفئة من الناس تلازمهم وتراقب أعمالهم وتردهم إلى الفضيلة عن الرذيلة ، وإلى الصواب عن الخطأ ولا ينقطع أثر تهذيبه وتقويمه عنهم مدى العمر . ولما كان مشايخ الصوفية وخلفائهم هم الذين انتدبوا للارشاد بين الناس فهم فرسان هذا الميدان ورجال هذا المعترك وعليهم المعول في التقويم والتثقيف . وفي مختلف أنحاء العالم الاسلامي تجد فرق الصوفية وخاصة في تركيا طريقها إلى التماس مفهوم الاسلام والتجرب من مفاهيم الفلسفات الهندية واليونانية التي تتصل بوحدة الوجود والاتحاد والحلول .

(١٠)

ثمرة الحركات الاسلامية

قامت حركة اليقظة والاصلاح الاسلامية على ابداع جهاز دفاعي للاسلام عماده التماس المنابع الأصلية وجوهر الاسلام ، وقد عملت إلى تحقيق أمور ثلاثة : ١- تحرير الفكر

الاسلامى من التقليد والجبرية والجمود وإعلان أن باب الاجتهاد مفتوح لم يغلق وإزالة ما تجمع خلال فترة الضعف مما نسب إلى الاسلام أو وصل به وهو ليس منه وفى مقدمتها الوثنيات وطوايع الفلسفات المادية والقدمية . ٢ - التوفيق بين الاسلام وقضايا العصر والحضارة على النحو الذى يحقق قيام المجتمع الاسلامى على روح الاسلام ، وقيمة مع انفتاح الحضارة وعرض الاسلام كإيدولوجية صالحة لنظام المجتمع والكشف عن أنه دين ومدنية معاً وليس دنيا لاهوتياً خالصاً وأنه لا يقف عند جانب معين من حياة الانسان وشئونه وأنه يربط بين عنصرى الفرد والجماعة ويصهرهما معاً كما يربط بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة . ٣ - مقاومة الاستعمار والنفوذ الاستعماري والفرقة بين الاستعمار والحضارة من ناحية والثقافة والحضارة من ناحية أخرى ، وقد تابعت حركات اليقظة حلقات متصلة بدعوة التوحيد وتوسعت فروعها فى تغطية مختلف الجوانب ومواجهة مختلف التحديات دون أن تنزع نفسها من الترابط التاريخى العضوى المتصل أساساً بمفهوم الاسلام كما رسمه صلى الله عليه وسلم . وقد كان عمل المجددين المسلمين من المخلصين والسلفيين بالغ الأهمية والخطر فقد كانوا يواجهون روحاً من الجمود والجبرية ، وكان العمل للخروج من ظلمات مرحلة الضعف والتخلف يحتاج إلى كثير من الحضاة والمرونة . وكان الهدف هو توحيد فكر المسلمين على مفاهيم مستمدة من القرآن أساساً : باعتباره ينبوع الفكر الاسلامى ومصدر الثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية والملاوية والأندلسية ، وهى مفاهيم أكثر إيجابية وتحرراً مما وصل إليه المسلمون من جمود وجبرية . وكذلك التقريب بينهم اجتماعياً وفكرياً بعد أن باعدت بينهم خلافات مذاهب الفقه والفلسفة والتصوف وأهمها الخلاف بين السنة والشيعة . ولم تكن هذه الخلافات فى مجموعها إلا خلافات الأحزاب السياسية التى إنطوت وانتهت وكان على هذه الخلافات أن تنتهى معاً ، ثم أنها لم تكن تنصب إلا على مسائل فرعية لا عبء بها ، ولكن الأحزاب السياسية القديمة المختلفة قدغالت وقسمت الناس إليها ثم توارث الناس هذا الانقسام . فلما جاء الاستعمار الغربى والنفوذ الأجنبى حرص على إبقاء هذا الخلاف وتأثيره وذلك بالتحريض الذى شجع عليه للايقاع بين السنة العثمانية والشيعة الفارسية وكان له دور كبير فى إبلاغ الخصومة مبلغها بين فريقين من المسلمين يقولان لا إله إلا الله ويجتمعان فى أصول فكرهما حول مفهوم التوحيد والنبوة . وقد حرص الاستعمار والنفوذ الغربى فى كل مكان حل فيه على آثاره الخلافات والمذاهب القديمة ،

كالفينيقية في الشام والفرعونية في مصر والبربرية في المغرب وأوقد الصراع بين المسلمين
والهندوس في الهند وحاول إحياء التاريخ القديم السابق للإسلام في فارس وأندونيسيا والهند
وتركيا ، وذلك في محاولة خطيرة للخلولة دون تجمع المسلمين على فكر موحد يكونون به
أقدر على الالتقاء والمواجهة الموحدة للنفوذ الاستعماري ومقاومته والقضاء عليه وقد عمد
جمال الدين الأفغاني إلى تحقيق ذلك حين حمل لواء الدعوة إلى اللقاء بين السنة والشيعة
وقد سارت هذه الدعوة من بعد خطوات واسعة كذلك عمد الإلوسى (أبو الثناء) إلى التقارب
بين الفقهاء والصوفية ، وتوحيد قلوب أهل العراق خاصة والمسلمين عامة سنيهم وشيعهم
ورفض الخلافات بينهم عن طريق التقريب بين المذاهب . ومثله فعل العلامة جمال الدين
القاسمي في الشام حين أعلن أن الإسلام لا يجوز تكفير أحد ممن استقبل القبلة كما هاجم
التعصب بحسبانه مفرقاً بين الناس ومقيداً للعقول . وقد نجحت الحركة السلفية الإصلاحية
في كل مكان سارت إليه ، حين تخطت الحدود غرباً حتى وصلت إلى المغرب الأقصى وشرقاً
حين وصلت إلى الهند الإسلامية وأندونيسيا ، وأعطت الأعمال السياسية والاجتماعية صبغة
إسلامية خالصة وعملت إلى التوفيق بين الإسلام وحاجات العصر . وكان الإمام الشوكاني
في اليمن (١١٧٣-١٢٥٠هـ) مقدمة لليقظة التي تلت حركة التوحيد في شبه الجزيرة وكان
قد سبقته دعوة محمد بن اسماعيل الأمير (١٠٩٩-١١٨٢م) . وكانت كتابات الشوكاني ذات
أثر في إزالة الركود المتراكم خلال القرون وإن لم يكن مصلحاً داعياً وقد اكتفى بالتأليف
شأنه شأن الكثيرين وعاد الشيخ أبو شبيب الدكالي إلى المغرب (من زيارة المشرق مصر
والحجاز) داعياً إلى التوحيد والإصلاح والتماس مفاهيم الكتاب والسنة والتف حول جماعة
من الشباب التابع ووزع الكتب التي كان يطبعها المنار في مصر كما ظهر محمد بن العربي
العلوي في فاس فشن الحملة على الصوفية الجبرية ، وكان ذلك مقدمة لقرار مولاي
عبد الحفيظ الذي تولى الحكم في مراكش ١٩٠٧ باقفال الزوايا الكتابية وقد كان للحركة
السلفية الفضل في إحياء القومية الجزائرية بعد أن أنكرها المواليون للفكر الفرنسي الاستعماري
وكانت لها فضل الحفاظ على التراث العربي الإسلامي للجزائر بعد أن كاد أن يمحي اسمه ،
وكان للإمام عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء بالغ الأثر في ذلك . وقاومت السنوسية
في كنفاح طويل حرب الإبادة الإيطالية (١٩١١-١٩٣٣) في حركة بطولية رائعة ضد قوة
أوروبية مسلحة وكان في مقدمة رجالها أحمد الشريف السنوسي وعمر المختار . وكان لاتباع

«المنار» في تونس والمغرب دورهم البالغ في مقاومة الاستعمار الفرنسي ، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم المدرسة العبدية (انتساباً إلى محمد عبده) وقاومت الحركة الإصلاحية تقرب العلماء للأمراء والسلاطين وتهافتهم على أموالهم وحاربت رجال الدين التقليديين ورجال الصوفية المعاوينين للاستعمار كما قامت بطبع مختلف كتب التوحيد كما فهمه ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب ووزعتها في مختلف أنحاء العالم المتعددة بفضل جهود طاهر الجزائري في الشام ، ومحمد عبده ورشيد رضا في مصر والدكالي والعربي العلوي في المغرب وجماعة أهل الحديث في الهند والسعودية في نجد والحجاز . وفي مصر قامت مدرسة دار العلوم ١٩٠٧ بقيادة عبد العزيز جاويز وحفي ناصف ومحمد المهدي ومحمد عبد المطلب وعبد الوهاب النجار وأحمد السكندري وحملت لواء حماية اللغة العربية وكانت مدرسة الهند الإسلامية من المدارس الكبرى ذات الأثر البعيد وفي رجالها السرهندي والدهلوي وأحمد خان وشيلي النعماني وأمير علي وأبو الكلام آزاد ومحمد إقبال .

(٢) كانت المرحلة التي قاد خلالها الإمام محمد عبده حركة اليقظة يطلق عليها «الإصلاح» وكلمة الإصلاح كانت معروفة وشائعة في مجال الفكر الإسلامي في الدولة العثمانية وقد كانت ترمي إلى الإصلاح السياسي المدني لقول رشيد رضا . «مرادنا بالإصلاح الديني ما يؤدي إلى المحافظة على الدين . والعمل به جمع كلمة المسلمين ، وأهم أركان الإصلاح الإسلامي جمع المسلمين على عقيدة واحدة وقانون شرعي واحد لا يحكم عليهم غيره من أي نوع من أنواع الأحكام ولغة واحدة» وتوحيد العقائد والآداب ، في أصولها الثلاثة صحة الاعتقاد . وتهذيب الأخلاق . وإحسان الأعمال . وقد استهدفت حركة الإصلاح إقامة وحدة الفكر بين المسلمين ، هذه الوحدة لا تمنع الاختلاف في المسائل الفرعية والتي ليست من أسس الإسلام . ودعت إلى : (١) توحيد الأحكام وعمل منهج يوحد بين جميع المذاهب الإسلامية ما ينطبق عليه حالة العصر ، وفي توحيد الأحكام الشرعية إرضاء لجميع مذاهب المسلمين في الفروع . (٢) توحيد اللغة ، فاللغة هي مناط الجنسية ومعقد الارتباط وذلك بحسبان أن اللغة العربية هي لغة العالم الإسلامي وهي ترجح اللغة للتركية بأنها لغة الدين (٣) تلافى البدع والتعاليم الفاسدة . وكانت دعوة الإصلاح ترى أن هذا المنهج في تجديد الإسلام من شأنه أن يوحد المسلمين ضد هجمات أوربا عليهم ، والالتقاء بين السنة والشيعة وبين مذاهب السنة المختلفة.

وقد استهدفت دعوة الإصلاح : إصلاح التعليم في الأزهر وإصلاح الإدارة والاصلاحات السياسية . وكان من أبرز أهداف حركة الإصلاح فتح باب الاجتهاد ، وقد كشف الأستاذ رضا ١٩٠١ عن ذلك في المنار فقال : إن الأحكام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة لا إجتهد فيها لأن طلب معرفتها تحصيل حاصل كتحرير الظلم والخنز وفرض الصلاة والعدل وجملة القول أن الاجتهاد هو النظر في الأمور الشرعية التي هي في الكتاب والسنة والاجتماع والقياس لمعرفة أحكام الفروع التي لم تثبت بالأدلة القطعية المتواترة والمقيدة في شروط فهم الكتاب والسنة ومعرفة مقاصد الشرع والوقوف على أحوال الناس وعاداتهم لأن الشريعة ولا سيما المعاملات دائرة على مصالح الناس في معاشهم ومعادهم أي على قاعدة المفسد وجلب المنافع . وقال إن إقفال باب الاجتهاد : معناه أنه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد ، وقال هذا القول بعض المقلدين لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وتعظيم عقول السابقين ولذلك جمع الناس على المذاهب الأربع ، لو أجاز للعلماء الاجتهاد لجاءوا بمذاهب كثيرة . والمحققون يعلمون أن منشأ هذا الحجر هو السياسة . فالسلاطين والأمراء المستبدون كانوا يخافون العلم ولا علم لهم إلا بالاجتهاد . والمقلد هو الذي يقلد السابقين ، فهو ناقل لا عالم ، وقد أقفل باب الاجتهاد بعد القرن الخامس ولكن كثيراً من العلماء اجتهدوا بعد ذلك فلم يكونوا يعملون إلا بما يقوم عندهم من الأدلة ولا يخلو زمن من هؤلاء .. » كان هدف الإصلاح واليقظة أساساً هو تحرير التوحيد ورسم خطط الالتقاء بين الاسلام والحضارة ومفاهيم العلم والعصر . وقد امتد عمل محمد عبده في الثقافة والتربية والصحافة والأزهر وكانت له توجيهاته في مجال الطرق الصوفية واللغة العربية جميعاً ، وامتد عمله مغرباً حتى وصل مراكش وتابع المنار هذا العمل أما مدرسة الشام فكان أبرز أعلامها القاسمي والبيطار وشكيب أرسلان وطاهر الجزائري وكان أبرز رجال مدرسة المغرب : الدكالي والعربي المهدي ، أما مدرسة العراق : فقد كان من قادتها الألوسي أما مدرسة تونس فكان على رأسها الخضر حسين ، والظاهر بن عاشور وعبد العزيز الثعالبي .

(٣)

تتسم المدرسة السلفية المغربية التي انبثقت عن دعوة محمد عبده والمنار بالبريطانيين روح العمل في مجال الإصلاح الإسلامي والحركة الوطنية معاً ، وهي تلتبس مفهوم الإسلام

الأساسى فى الرنط بين الدين والمدنية ، يقول علال الفاسى أن السلفية المغربية ترفض فكرة لادينة الدولة وبذلك تجعل الحكومة الاسلامية حارساً على الأخلاق والفضيلة فى وسط الأمة وتطالبها بتهيئة سائر الوسائل التى تسهل على الفرد القيام بالواجبات الفردية والاجتماعية وتحمله عن طريق الاقتداء المتابعة على السلوك الحسن فى علاقته مع عائلته . ويؤمن بأنّه لا يبتعد المسلمون عن القانون المستمد من الشريعة الذى يصبح منظوراً للفقهاء الاسلامى أصولاً وفروعاً كمادة تشريع مدنى عام . وتؤمن المدرسة السلفية الحديثة كما يصورها علال الفاسى بالقومية بحيث لا تضيق إلى الحد الذى يحول بين التقارب المطلق بين سائر الشعوب الاسلامية والعربية بصفة خاصة . « وإلا أصبحت عنصرية تتنافى مع الأصل الأصيل للإسلام » . ويرى أنه لتسهيل هذا التقارب يجب أن تتوافق أساليب الثقافة فى وسط المسلمين وأن تعمل على جعل اللغة العربية صالحة لتكون لسان العالم الاسلامى كله وصلة الوصل بين سائر أفرادها وللوصول إلى هذه الغاية لابد أن تتحرر البلدان الاسلامية من سيطرة الأجنبي المادية والمعنوية . ومن أبرز رجال المدرسة السلفية المغربية عبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد بن باديس ومحمد بن العربي العلوى . وقد كان الثعالبي مصلحاً اجتماعياً وسياسياً ووطنياً فى آن ، وهو يؤمن بأن العرب قصرُوا فى أداء واجبهم وحماية الأمانة ، ومن ثم طغت عليهم الأمراض الاجتماعية وقامت أوربا تنازعهم السيادة ، وكان يردد دائماً أن تونس جزء من الأمة العربية وأن مصر مستقر الدعوة والكفاح . وعنها تلقى رجال الإصلاح فى المستعمرين دعوتهم وعلى مثالها سيروا كفاحهم وقد بث الثعالبي دعوة الحرية وناضل المستعمرين فى سبيل حصول الأمم المغاوبة على حقها وأهاب بأبناء الأمة إلى التناصح بالحق والتعاون فى إنشاء المؤسسات النافعة فلزم أن تكون الدعوة هذه راجعة إلى مبدأ يؤلف بينها وخطّة توحد وجهتها نحو الغاية المثلى . وقد دعا الثعالبي إلى الكشف عن أمجاد تاريخنا وفلسفة نشؤونا القومى وقال إن ذلك يستتبع العمل على توحيد مصادر الثقافة فى البلدان العربية كلها . وقد طاف الثعالبي بالعالم الاسلامى كله وأقام فى مصر فترة طويلة ، وكتب فى صحفها فصولاً رائعة عن أزمة العالم الاسلامى الاجتماعية والاقتصادية وله كتاب أسماه « روح القرآن » دعا فيه إلى الإصلاح والبعد عن الجمود . أما الإمام عبد الحميد بن باديس فقد حقق بإنشاء جمعية العلماء الجزائريين عملاً ضخماً بعيد المدى فى المحافظة على اللغة العربية من الاندثار فى الجزائر ، والإصلاح الاسلامى ومقاومة الجبرية والجمود وفتح أكثر من ثلاثمائة مدرسة فى المساجد وخلق فكراً إسلامياً

يقظاً ، كان مصدراً ووقوداً للثورة الجزائرية . وقد اتسم بالحزم وحصانة الرأي والتحرر من الجمود ، وتطهير العقيدة الاسلامية من الدخيل وإحياء اللغة العربية وتقوية الشعور بالشخصية العربية في الجزائرية . ومن ذلك قوله «إننا نرى الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض وهي لا تزال حية ولم تزل ، لهذه الأمة تاريخها اللامع ووحدة الدين واللغة ولها ثقافتها وتقاليدها . هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصبح فرنسا ومن المستحيل أن تصبح هي فرنسا » . وكان الامام محمد محمد بن العربي العلوي داعية لاصلاح واليقظة في القطر الثالث المغرب وله آثار البعيدة المدى في إعداد جيل جديد من أبرز رجاله الفاسي وكنون وغيرهما من مفكرى المغرب المغرب اليوم .

(٤)

أما المدرسة الاصلاحية التجديدية في الشام فقد كانت خصبة غنية وأبرز رجالها طاهر الجزائرى (١٨٥٢-١٩٢٠) . وقد عمل الجزائرى على تكوين جيل من المصلحين كان في مقدمة رجاله : القاسمى والبيطار ومحمد كرد على ومحب الدين الخطيب وعبد القادر المغربى . يقول : إن الأمة في إحتياج شديد إلى من يبين لها الطريق الاقوم من أرباب الاخلاص ، وأعظم ما تحتاج إليه هو أمر الاخلاق وما يتعلق بها ومعرفة الأمور العمرانية على وجه لا يكون فيه إخلال بمعالى الأمور ويقول «إن لكل أمة شعاراً إذ تركته طمع فيها واستضعف جانبها ، وربما صارت مندمجة في غيرها » . وقد أحيا طاهر الجزائرى مئات من الكتب الاسلامية والمخطوطات وألف كثيراً ، وكان عمله في مجال النهضة بعيد المدى . ويعد جمال الدين القاسمى في مقدمة المصلحين إيماناً بدور الأمة العربية في اليقظة الاسلامية «لما كانت الأمة العربية هي المختارة لتهديب الأمم وتعديل عوجها وإقامة منار العدل في ذلك العالم المظلم فقد وجب أن التهذيب الالهى ينزل بلغتها خاصة حتى تستعد وتتهيأ لأداء وظيفتها . وجمال القاسمى هو إمام الشام في عصره (١٨٦٦-١٩٢٤) ومن أهم مؤلفاته : قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث . وله تفسير للقرآن في إثني عشر مجلداً ، وقد قام مع زميله الشيخ عبد الرازق البيطار بالدعوة إلى الاجتهاد والجهار بكلمة الحق في دمشق عام ١٣١٣هـ وقد احتملا في سبيل ذلك كثيراً من المشقة والأعنت . وكان

عبد القادر المغربي من المصلحين والعلماء في مجال الاسلام واللغة العربية وله إثارة في مجال الاشتقاق والتعريب ، والأخلاق والواجبات . ومن آثاره قوله : إن أى نوع من الإصلاح لا يتم إلا بسعى الذين يعينهم أمره وإصلاحنا الاسلامي إنما يعنى علماء الدين فهم المكلفون به المخاطبون شرعاً بالعمل على تحصيله ، وليس العمل منهم سوى الدعوة إليه بخطبهم وكتاباتهم وتأليفهم حتى إذا إقتنع بذلك جمهور الأمة ومعظم أفرادها هبوا هبة واحدة ، وعماد الإصلاح بوجه عام إنما هو التربية والتعليم الاسلاميان أو يقال هو المدرسة الاسلامية ، هذا هو أصل الأصول » وقد اتجه عبد القادر المغربي إلى النظر في عديد من قضايا الإصلاح والاجتهاد وله في مجال المرأة وموقف الاسلام منها آراء طيبة : قال عبد القادر المغربي .

إن الحجاب ليس من الاسلام ، الحجاب الاسلامي أثر من آثار ارسطراطية المرأة وملكيته في الاسلام وليس هو أثراً من آثار احتقارها أو عبوديتها . وقال في (توريث البنت نصف إرث أخيها) أن الابناء لما كانوا هم الذين يخلفون آبائهم في أسرهم كانوا في حاجة إلى المال الكثير من أخواتهم البنات اللواتي يندمجن في أسرة أخرى غير مكلفات فيها النفقة وقال في (شهادة المرأة نصف شهادة الرجل) المرأة بعيدة عن معترك الاعمال التي يقوم بها الرجال والتي تكثر فيها الدسائس والمخادعات ، لذلك رأى الاسلام أن تتعزز عن تحمل الشهادة بواحدة من بنات جنسها فتذكر كل منها صاحبته . ومن مدرسة الشام العلامة الامام رشيد رضا تلميذ محمد عبده وخليفته على نهجه وصاحب المنار (١٨٦٥-١٩٣٥) وقد جاء إلى مصر ١٨٨٩ وعمل مع الشيخ المفتي وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد في مصر ، وله آثاره تفسير المنار (١٢ مجلداً) ومجله المنار (٣٤ مجلداً) وتاريخ الامام الشيخ محمد عبده ومن قبل خرجت الشام علامتها الكبير عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٢) صاحب الدعوة إلى قيام الأمة العربية بدورها في يقظة الاسلام وصاحب أم القرى وطبائع الاستبداد . وله كتابات متعددة في الاقتصاد والزكاة وقد وضع الكواكبي تخطيطاً لوحدة المسلمين السياسية في النطاق الدولي وعالج أزمات الفكر الاسلامي على هيئة مؤتمر ضمنه مختلف المعضلات وحلونها أما مدرسة العراق فكان علامتها «الألوسي أبو الثناء» وتبعه الألوسيون وأشهرهم حفيده محمودشكري الألوسي : وهو صاحب التفسير المشهور (روح المعاني) في تسعة مجلدات الذي طبع في بولاق ١٣٠١ هـ وقد كان الألوسي مجدداً واضح الأثر في أوائل القرن التاسع عشر ، وهو مفتي بغداد وإمام العراق في اللغة والدين والتفسير في النصف الأول من ذلك القرن

وله عشرات الفتاوى والمؤلفات والكتابات النافعة وكان مجلسه مجلس العلم والأدب وعنه تخرج مجموعة كبيرة من الأدباء والمؤرخين والفقهاء . ومن خلفاء مدرسة الألوسى اليوم العلامة محمد بهجة الأثرى . وقد جمع الألوسى الكبير بين مذهب التوحيد والتصوف والفقه جميعاً وصاغ ذلك كله صياغة جديدة حاول بها الجمع بين هذه الطوائف وتوحيد الأمة على فكر واحد قوامه التوحيد ، وكان حذراً فى خطواته حتى لا يصطدم بالمتعصبين ، وكان عاملاً من عوامل التقريب والتجمع والتلاقى والقضاء على الخصومات والفوارق المذهبية الضارة . وقد رد على الغلاة من دعاة الفلسفة الصوفية ووحدة الوجود وفصح الملحدين والباطنية وقطع ببطلان الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة ودعا إلى منطق القرآن كما فهمه الغزالى وابن تيمية .

(٥)

أما المدرسة الهندية الإسلامية فقد كانت ذات أثر واضح فى الفكر الإسلامى كله ولم يقف أثرها عند مسلمى الهند وحدهم . ويعد أحمد السهرندى (٩٧٧-١٠٣٤) مجدد الألف الثانى فقد ظهر فى خلال الأزمة التى أثارها الامبراطور «أكبر» بالدعوة إلى مزج الأديان المختلفة فى دين واحد ، واستطاع أن يحرر الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى الهندى من أخطار هذه الدعوة وتمكن فى عهد خلفه «جهانجير» أن يعيد كثيراً من الأصول الإسلامية إلى المجتمع الإسلامى الهندى . كما عمل السهرندى على مهاجمة الصوفية التى تأثرت بفلسفة البراهنة والفلسفات الأخرى ورد على فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، ودعا إلى التصوف الإسلامى الخالص المستمد من منابع الإسلام ، كما نصح للأمرء والحكام واستطاع أن يقاوم عدداً من البدع وفى مقدمتها بدعة السجود أمام الملك .

وكان شاه ولي الله الدهلوى (١١١٤-١١٧٦هـ) من أبرز الدعاة المسلمين فى فترة من أدق فترات المجتمع الإسلامى الهندى وهى مرحلة الاحتلال البريطانى فقد صحح مفهوم التوحيد الإسلامى، ودعا إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة وبين أصول الإسلام وأسسها فى تنظيم الحياة والمجتمع وقام بمهمة التجديد الإسلامى ، وقاوم ما ساد فى عصره من انحلال وفساد ، وهاجم العوامل التى أدت إلى تدهور المجتمع ، وعمل على الجمع بين الصوفية الخالصة والسنة الخالصة . وقال : إن المسلم الحق يجب ألا يقبل الانحطاط المعاصر . وقد عالج الدهلوى نظرية الإسلام السياسية ودخص المعتقدات المخالفة للسنة ، وأهمية كتابه التحفة الاثنا عشرية فى قوله أن الإسلام

ليس مسألة ولاء لأشخاص ولكنه حركة يكون الفضل الأساسي فيها والولاء للمثل العليا ، وقد فاق الدهلوى الغزالي وابن تيمية وجمع بين التصوف السلف وترك أثراً لا يمحى في تطور الفكر الاسلامى وكان لنظرياته أثرها في حركة المد التي أدت إلى نضال المسلمين في سبيل الاستقلال من خلال دور التدهور والانحلال وقد عاصر الدهلوى حركة التوحيد التي قادها الامام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وللدهلوى مؤلفاته الكثيرة وفي مقدمتها كتابه الخطير : «حجة الله البالغة» . وقد كان لهذه الحركة أثرها في المقاومة العنيدة التي أبدتها المسلمون آزاء النفوذ البريطانى مما أجج ثورة ١٨٥٧م التي أزعجت الاستعمار البريطانى وبدأت على أثر ذلك حركات إسلامية فكرية تدعو المسلمين إلى التعليم والمحافظة على التراث الاسلامى ، وقد عملت هذه الحركات في الميدانين التقليدى والحديث وكانت كلية عليكرة التي أسسها أحمد خان عام ١٨٨٧ أول خطوة نحو الدراسات الحديثة للمسلمين فقد كانت دعوته إنما ترى إلى أن يكون التعليم الحديث أكبر عامل لتحرير المسلمين وتقدمهم وفي نفس الوقت قامت جمعيات مختلفة أهمها جمعية علماء الهند في البنجاب ودار العلوم في ديبوند ، وندوة العلماء في لكنو والجامع العباسى في بهادبور واستهدفت هذه الهيئات المختلفة مقاومة التبشير الاستعمارى . وخلق جو مدرسى إسلامى يجمع شباب المسلمين ويحميهم من أخطار المعاهد التبشيرية ومدارس الإرساليات التي تعمل للقضاء على الثقافة الاسلامية ، وقد نشأت في مختلف المدن الاسلامية على أثر نفشى التبشير ، جمعيات مختلفة لحماية الاسلام قامت بالدعوة إلى الاسلام والرد على الشبهات وبذلك نهضت الحركة الإسلامية الإصلاحية نهضة كبرى على مختلف مستويات الثقافة والتعليم ، ومن خلال هذه الهياكل ظهرت حركة ثقافة إسلامية قوامها : شبلى النعمانى وحافظ نظير ومحمد حسين آزاد وسيد الطاف حسين . وكان لها تراث أدبى قوامه [الرجوع إلى أساسيات الاسلام كما أوحاه الله في القرآن] وكان رجال جمعية أهل القرآن يدعون إلى تأكيد قيمة القرآن وكانت جماعة أهل الحديث تقوم بتطهير الاسلام في الهند من أعمال الوثنية ، وقد كان للجامعة الاسلامية وجامعة عليكرة والجامعة المليية ودار العلوم وندوة العلماء آثارها الكبرى . وقد قدم شبلى النعمانى وأمير على وأبو الكلام آزاد أعمالا كبرى للفكر الاسلامى ، ثم تبعهما محمد إقبال الذى يعد أعظم ثمرة لليقظة الاسلامية الهندية للفكر الاسلامى العالمى ، فقد أعاد شبلى النعمانى كتابة التاريخ الاسلامى وتاريخ أعلام الاسلام من جديد ، مصححاً شبهات التبشير والاستعمار ،

كما كان توليه لقيادة ندوة العلماء أثره البعيد في تكوين جيل من الباحثين والمصلحين وقد لقب بشمس العلماء ، وقد امتاز بقدرته على اتقان اللغة العربية وحسن الذوق في فهم منشورها ومنظومها والقدرة على الكتابة بها ووصفه رشيد رضا بأنه «وسط بين الجامدين على التقليد القديمة وبين المفتونين بالثة اليد الحديثة وصاحب مشاركة صالحة في العلوم الاسلامية والعلوم الكونية ، ومن أهم آثارها ردوده على جرجى زيدان في كتابه «التملن الاسلامى» أما «أمير على» فقد عمل على كشف صورة الاسلام لأهل الغرب فكتب باللغة الانجليزية عن الاسلام داحضاً الآراء الخاطئة التى أثارها خصوم الاسلام . وعمل على التعريف بالاسلام في المجتمعات الأدبية ودافع عن الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى في مجال الشريعة الاسلامية وحقوق المرأة ، وقد وصفه رشيد رضا بأنه أول مسلم استطاع أن يخرج للغرب صورة صادقة للمبادئ الاسلامية ويعرضها في ثوب علمى محدث يتذوقه الذهن الغربى ولا ينكره الذهن الاسلامى» . وقد كان أمير على خطيباً بارعاً وكان بليغاً يقف في وجه كل من يحاول أن ينال من الاسلام ، وكان إلى ذلك داعية جاداً في انهاض المسلمين لإدراك حقوقهم ، ومن أهم مؤلفاته : روح الاسلام ، ومختصر تاريخ المسلمين . وهو يؤمن بأن الإصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرير العقل من القيود ، ويقول إن للاسلام قدرة على صبغ ما عداه بصبغته وسيبقى جوهرة وإن تغير مظهره . وكان «لأبى الكلام آزاد» دور هام في مجلتي الهلال والبلاغ في الدفاع عن الاسلام وإيقاظ النفوس لمفهومه الصحيح : وقد واجه النفوذ البريطانى الاستعمارى في مقاومة ضخمة كانت بعيدة المدى يقول : الاسلام من أوله إلى آخره دعوة عاملة إلى البسالة والجزالة والتضحية والاستشهاد بالموت في سبيل كلمة الحق ، وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه التضحيات الكثيرة في اعلاء كلمة الحق التى قدمتها الأمة الاسلامية في كل دور من أدوار حياتها ، إلا فلتعلم الحكومة الانجليزية أن المسلم الذى أمره ربه أن يرحب بالموت ويتغلغل في لجج الدواهى والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق ، لا يخيفه قانون العقوبات الاستعمارى . ومن مؤلفات العلامة أبو الكلام آزاد الهامة كتابه : ترجمان القرآن وهو من أعظم آثاره الفكرية فقد عرض خلاله ترجمة للقرآن وتفسيراً له على منوال حديث في اللغة الأوروبية . ومن أعلام الفكر الاسلامى الهندى العلامة «خدابخش» الذى يقول «يجب أن يدافع الاسلام عن نفسه أمام الغرب ويجب أن يستعمل جميع الأسلحة التى صاغتها أيدي الغرب أيها ولينا وجوهنا» .

أما الفيلسوف الإسلامى «محمد إقبال» فقد كان بعيد الأثر فى إيقاظ الفكر الإسلامى الهندى بدعوته إلى التحرر من الجبرية ، ويرى إقبال فى الإسلام «المثل الأعلى الذى لو تحقق تماماً لوفى بكل مطلب هذه الحياة وفى الحياة الأخرى». وعنده أن الفكرة الأساسية للإسلام هى إقامة أخوة شاملة بين الناس ، وقد طبعت هذه الصفة الشريعة الإسلامية بطابعها . ويرى إقبال : أن الخطر الذى يتهدد الإسلام هو روح العصبية فى الشعوب ، ويقول إقبال : ليس فى الإسلام قوميات ولا هو نزعة أمبراطورية بل هو جمعية أمم تعترف بالحدود الصناعية والفروق الجنسية لسهولة الإشارة فحسب ، لا لتضييق الأفق الاجتماعى للمسلمين . ويقول إقبال : إن النبى محمد هو روح الثقافة الإسلامية ، هذا النبى العظيم يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التى انطوت عليها فان للحياة فى نظره مصادر أخرى للمعرفة تلامها فى اتجاهها الجديد . وعنده أن العمل واليقظة والجرأة والقوة من صفات الإسلام أساساً قبل أن تكون من أدوات الحضارة الحديثة ، ومذهب الذاتية الذى دعا إليه يتمثل فى أن الذات هى الروح المشيئة الذى أودعته الله الإنسان وجعل العمل والدأب فيه وسيلتنا إلى انتشار هذه الروح ، حيث تنمو الذاتية بالسعى والعمل الدائب الذى لا ينقطع لتجديد الحياة والقدرة على التحرر من تحكم الغير .

(٦)

وفى مصر كان عبد العزيز جاویش وتوفیق البكرى ورشید رضا وفريد وجدى والمراغى من العاملين فى مجال اليقظة ، فى مجلة الهداية (١٩١٠) وما بعدها أخذ عبد العزيز جاویش ينهج منهج الشيخ محمد عبده ويتحدث عن أثر القرآن الكريم فى تحرير الفكر النشوى ، ويرد على شبهات خصوم الإسلام . يقول : القرآن مشجر الطعان ، قلما يمر يوم دون أن نسمع فلاناً من كتاب الافرنج طعن فى القرآن ، كان للقرآن منقبة لا يشوبها نقص فهى الفصاحة والبلاغة ، وإذا كان له مزية عظمى يفخر بها ثلاثمائة مليون من البشر فهى استعلاؤه على سائر الكتب السماوية من حيث سلامة مبانيه وجمال معانيه ، إن القرآن بمثابة ندوة علمية للعلماء ومعجم لغة للغويين وأجرومية نحو لمن أراد تقويم لسانه ، وكتاب عروض لمحبة الشعر وانسكوبيدية عامة للشرائع والقوانين « وقد كان أبرز أعمال عبد العزيز جاویش فى الاصلاح والتجديد الإسلامى فى مجال التربية فهو الذى درس التربية الإسلامية والتربية

الغربية وقارن بينهما وتحدث للعرب والمصريين عن مفهوم التربية الذى ينفعهم : يقول :
الخطأ الأول فى فهم التربية والخطأ الثانى فى إرسال الأحداث إلى أوروبا قبل أن يبلغوا
سن الرشد وعنده أن إرسال الشباب إلى أوروبا قبل أن يثقف ثقافة إسلامية أصيلة إنما يحولهم
إلى أوروبيين حتى إذا عادوا إلينا لم نعد منهم ». وتوفيق البكرى يكشف فى كتابه « المستقبل
للإسلام » الدور الذى سيحققه الإسلام فى مستقبل أيامه وهو يتمدد وينتشر فى مناطق جديدة
لم يصل إليها الفاتحون العرب ويعتبر أن التعليم هو أعظم وسائل النهضة. ومحمد كرد على
فى صحيفته المقتبس التى أصدرها فى القاهرة يدعو إلى إصلاح نظم التعليم ويكشف عن روح
الإسلام الصحيح ويتحدث عن اللغة العربية وإسلام المسلمين المعاصرين ، ومحمد فريد وجدى
فى مجلته (الحياة) وما تبعها من أبحاث يهاجم الفلاسفة المادية ويتصدى للدكتور شيلى شميل
فيكشف عن مفهوم الإسلام فى هذه النظريات الوافدة ويصحح المفاهيم فى مجال الروح والمادة
ويرد على اللورد كرومر وعلى خصوم الإسلام . ويفتح رشيد رضا بمجلة المنار أفقاً واسعة
للدعوة الإسلامية والإصلاح الإسلامى متابعاً صحيفة العروة الوثقى فى تحرير مفهوم الإسلام
والتوحيد والقضاء على الاعتقادات الدخيلة فى الإسلام ومحاربة التعاليم الضالة ومحاربة
التعصب لمذهب من المذاهب يقول « المنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ومذهب
السلف الصالح فى عقائد الإسلام وهدايتة » ويقول إنما أنشئ المنار لإيقاظ الشرق وتجديد
الإسلام بإعادة تكوين الأمة وحياة الأمة والدولة . ونشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية
والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاماً دينياً لا يتنافر مع الظروف الحاضرة
وأن الشريعة أداة عظيمة صالحة للحكم ». ويمضى الإمام المراغى فى إصلاح الأزهر على
منهج الشيخ محمد عبده ويدعو دعوته الحارة إلى « العمل على إزالة الفوارق المذهبية
وتضييق شقة الخلاف » ويقول : معروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف
ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبى تهدى إلى الحق فى أكثر الأوقات وأن بعض
المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة فى القرون الماضية لمناصرتها وخلقت فى أهلها تعصباً
يساير التعصب السياسى ثم إنقضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية
لا تركز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها ». وبالجمله فقد أبرزت الوهابية (دعوة
التوحيد) أهمية دعوة التوحيد ، وربطت الحركة السنوسية الدين بالسعى والإنتاج فى الحياة
الدنيا ، يقول « كبيرك » أن برامج السنوسية هى جمع صفوف المسلمين فى إفريقيا أولاً ثم

بعد ذلك في مختلف أنحاء العالم تحت لواء الاسلام في نقاوته الأولى . وكانت دعوة الكواكبي تهدف إلى محاربة الاستبداد والتماس العدل الاجتماعى . وكان مفهوم جمال الدين مقاومة الاستعمار الأوروبى أما محمد عبده فقد جعل العقل معيار الفكر ودعا رشيد رضا إلى نشر الدعوة الاسلامية . وقد توالى الحركات الاسلامية ولم تتكامل ، ولكنها كانت فى كل مرحلة تصحيح أخطاء الحركة التى سبقتها وتحاول أن تعوض النقص الذى لم تحققه وكان عمل هذه الأجيال من المصلحين الاعلام جرد خطير فى مواجهة خطرين ماثلين: خطر الجبرية والجمود وخطر الاستعمار والتبشير ، وكان عليهم أن يعملوا فى المجالين معاً ، يكشفون عن روح الاسلام وجوهره ، ويدعون إلى مفهوم التكامل فى الاسلام دون الانحراف إلى جانب الروح دون العقل أو العاطفة دون الفكر وقد عملوا كثيراً فى سبيل كشف الغشاء الذى فرضته الوراثة التقليدية فوق جوهر الاسلام وأزالوا تلك القشرة الجامدة ، وكشفوا عن قيمة الاسلام الأساسية وجعلوه ، قادراً على مقاومة النفوذ الأجنبى والتبشير المتعصب المذهبى يهذى إلى الحق فى كل الأوقات ويدحض المذاهب والآراء والتغريب والشعوبية جميعاً ، وواجهوا به الغزو السياسى العسكرى الغربى الذى فرض نفسه على عالم الاسلام ، حتى الحركات الوطنية التى انبثقت من الحركات الاسلامية ، كانت مرتبطة بها وكانت تستهدف نفس أهداف اليقظة الاسلامية وهى عائدة إليها بعد ذلك غير منفصلة وقد كان دعاة الاصلاح بين جماعة أو حركة وبين رجل يحمل القلم ويصحح المفاهيم أو رجل يحمل لواء الاصلاح بالتوجيه من خلال الجماعات فى المساجد والمعاهد . وقد استطاعت الحركات الاسلامية أن تواجه قوى الاستعمار وأن تكشف عن مخططاتها وتفسد أهدافها ، وكانت هذه القوى تحرص على تغيير مفهوم الاسلام فى نفوس أصحابه فتقنعهم بأنه دين لاهوتى عبادى صرف ، وأن تغمسهم فى مفاهيم جامدة وأن تلقى عليهم ظلال الاسرائيليات وكتابات الباطنية والصائئة والوثنيات المتعددة والشعوبيات المتجددة ، مع مذاهب أوروبا والغرب المختلفة وذلك حتى يظل المسلمون فى صراع لا ينتهى وانقسام لا يتوحد ، وبذلك سيصرفون عن مفهوم الاسلام فكراً بالتجزئة أو بالانحراف عن مفهوم الاسلام اجتماعياً بالتخلف فى مجال العلم والقوة . واستطاعت هذه الحركات الاسلامية أن تكشف عن أن الاسلام قادر على مجاراة الأزمنة والعصور والأمم المختلفة ، وأنه لا يعارض الحضارة

ولا يضار العلم ولا يرفض النهضة بل هو عامل إيجابي فعال في مجال الحرية والقوة والبناء ، وأن المسلمين حين التمسوا جوهره ومفاهيمه ومقوماته استطاعوا بناء حضارة ضخمة . ولأول مرة في تاريخ الحضارة إرتبط الضمير بالعلم والخلق بالسياسة ، والروح بالمادة وأضنى الاسلام على الأمم والحضارات قدرة على الحركة والبناء والانتاج مع بقاء جوهر الخلق الانساني رفيعاً عالياً متطلعاً إلى المعنى الانساني الكريم ، القائم على الحب والأخاء والمساواة . ولأول مرة ربط الاسلام الفرد بالمجتمع والمجتمع بالفرد وقضى على الثنائية التي لا تزال تصارع الحضارة الحديثة*.

(٧)

وبعد فما هي النتائج التي حققتها دعوات المصلحين والحركات الحديثة في الاسلام . لقد حققت نتائج كبرى ما تزال بعيدة الأثر في خط حركة اليقظة وتطورها وفي مقدمتها : (أولاً) محاربة التقليد وفتح باب الاجتهاد والتخلص من الجمود. (ثانياً) كشف المصلحون حقيقة أساسية هي أن ضعف المسلمين إنما كان مرده إلى انصرافهم عن تعاليم الاسلام الصحيح . (ثالثاً) التماس منابع الاسلام الصافية وتطهير الاسلام من الشوائب . (رابعاً) مناهضة استبداد الحكام ومناصحتهم وتأكيد مشورة أهل الحل والعقد. (خامساً) لفت النظر إلى أن الاسلام قد اشتمل على نظام اقتصادي اجتماعي يكفل توزيع الثروة بالعدل ويمنع استبداد الغني بالفقير . (سادساً) الجهر بأن التعليم لا يكفي وأن التربية أعظم أهمية لبناء التعليم على أساس أخلاقي . (سابعاً) دعوة المسلمين إلى الاقتراب من القانون المستمد من الشريعة وللوصول إلى ذلك يجب العمل إلى أن يصبح منظوراً للفقهاء الاسلامي أصولاً وفروعاً كمادة لتشريع مدني عام . (ثامناً) العمل على مقاومة الاستعمار وابتعاد وحدة فكرية إسلامية . (تاسعاً) إدخال الاصلاحات في مختلف المجالات وبعث نور العلم في جميع أرجاء العالم الاسلامي . (عاشرأ) رفع لواء الانبياء الاسلامي من القرآن ، والعودة إلى التماس القرآن كمنهج إنساني اجتماعي كامل صالح للمسلمين وأصلح لهم من مختلف المذاهب والمناهج.

الباب الخامس

الثقافة في العالم الإسلامي

(١)

التعليم

كانت أعقد المشاكل التي واجهها العالم الإسلامي هي مشكلة «التعليم والثقافة» : فقد أحسن المسلمون مدى حاجتهم إلى توسيع مجال التعليم وتجديد مجال الثقافة كعامل هام من عوامل النهضة . وعرف النفوذ الاستعماري هذا المقتل في حياة المسلمين فحاول أن يفيد منه إلى أبعد الحدود . وكان الاستعمار حين عاد إلى عالم الإسلام في دوره الجديد قد أعد مخططه على النحو الذي الذي يكفل له تغيير العقيدة الإسلامية والقضاء على مقوماتها الأساسية عن طريق التعليم والثقافة واعتبر هذه الحركة القائمة على الغزو الثقافي والتغريب الفسكري هي كبرى معاركة وأعظم عوامل تثبيت قواعده وتنبيه المسلمون إلى هذا الخطر فحاولوا من ناحيتهم مواجهة هذا الموقف ببناء مدارس وجامعات لها طابع الحفاظ على المقومات ولكنهم لم يكن ليبلغوا في هذا المجال المدى الذي يحقق لهم ما يريدون ، فقد كان وراء الإرساليات والمدارس والجامعات الأجنبية التي إنشئت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي قوى مادية وأجهزة قوية قادرة على العمل ، تهيء لهذه الطريق ويرسد لها البقاء نفوذ دولها في العالم الإسلامي فهي محمية بالامتيازات الأجنبية مفتوح أمامها الطريق بالإعفاء الجمركي لكل ما تستقدم مما تشاء من أدوات وكتب ، وكانت الدول المختلفة الطامعة في قروض الدول الكبرى تتقرب إليها بمنح الأراضي والإعانات لهذه الهيئات العديدة . ومن هنا نشأ تياران متعارضان : تيار التعليم التقليدي القديم ، وتيار التعليم الغربي الجديد ، وكانت مدارس الدولة في الأغلب في ظل الاستعمار تسير على مناهج أقرب إلى مدارس الإرساليات والمدارس الأجنبية وظلت أزمة «الحلقة المفقودة» التي تجمع بين ثقافة الغرب والثقافة الإسلامية قائمة لما تتحقق بعد على النحو الذي يقضي على تلك الثنائية التي مزقت وحدة الفكر في

العالم الاسلامي وحلقت صراعاً فكرياً بعيد المدى استحال معه إلتقاء المسلمين على رأى موحد .
والواقع أن القول بأن الاستعمار كان حريصاً من توجيه التعليم إلى تخريج طائفة من المتعلمين
يخدمون في مصالح الحكومة والشركات ، هذا القول قاصر في الحق عن الغاية الكبرى ،
فقد كان الاستعمار حريصاً على أن يرافق الفتح السياسي فتح معنوي بحيث يتقرب أهالي
المستعمرات من المستعمرين إلى أن يندمجوا فيهم إندماجاً ، وذلك بنشر لغة المستعمر ، وتعليم
الأهالي تعليماً ينشئ في نفوسهم حب المستعمر فيستسلمون له عن طريق طواعيه « فذلك
من الحق هو الهدف الأكبر ، ويتصل به هدف آخر هو القضاء على الثقافة القومية وذلك
بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها حتى ينظر إليها المواطن نظرة
الازدراء والاحتقار ويعلى عليها ثقافة المستعمر التي تقدم في قالب براق ، وتعرض عليه
عرضاً خافلاً بالبطولة والقوة ، ولا يتوقف الأمر عن هذا وإنما يتصل بأمور أخرى ترمي
إلى هدم اللغة العربية نفسها بحسبانها لغة القرآن ، ومصدر الثقافة ، جميعاً وذلك بنشر لغته
الأجنبية ، ونشر اللهجات العامية ، وذلك بهدف المبادعة بين الوحدات الاسلامية والأقطار
العربية . وقد حاول المستعمر لتأييد هذا الهدف أن يذيع دعايات براقه أقواها القول بأن
الجماهير لا تعرف اللغة الفصحى فعلينا أن نقرب إليهم وسائل التعليم باللغة المحلية أو العامية .
وهذه كلها أهداف أساسية في خطة الغزو الثقافي والتغريب ترمي إلى إيقاف اللغة العربية
وتجميدها ، إلى القضاء على مقومات الفكر الاسلامي . وفي مصر تبدو صورة هذا الغزو في
مجال التعليم واضحة في الخطط التي رسمها كرومر ونفذها المبشر دنلوب مستشار وزارة المعارف
فقد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربي وتاريخ العرب وصلة
مصر بالعرب والعربية ، ثم أدخل في برامج المدارس أن مصر فرعونية . وفي كل وحدات
العالم الاسلامي تجد نفس الهدف ، قد أعد بصورة وأخرى ، ففي الهند الاسلامية يحاول التعلم
التركيز على الحضارات الوثنية ، وفي أندونيسيا يجرى الاهتمام بتاريخ ما قبل الاسلام ، في
إيران وأفغانستان وفي تركيا كان الاهتمام بالتاريخ الطوراني والجامعة الطورانية وأيجاد
جنكيزخان وكلها محاولات للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الاسلامي وهو تاريخ الاسلام
وثقافته وكل ما يتصل باللغة العربية والقرآن . وقد جرت محاولات لتوحيد برامج التعليم
في العالم العربي ، ولكنها كانت جميعها تدور في نطاق المخططات التي وضعها الاستعمار والتي تنحو
دون إبراز الذاتية العربية والتفمس العربية مستمدة من الفكر الاسلامي . وقد وجدت هذه

المخططات من يعارضها ويقاومها ويحول دون تحقيقها فتبقى في حدود المخططات غير المنفذة والآراء التي لا تستطيع أن ترقى إلى درجة التنفيذ . ولقد حرصت الهيئات الاسلامية وكثير من العلماء والباحثين توجيه النظر إلى استمداد التعليم في العالم الاسلامى من الاسلام ، ولكن هذه المحاولات كلها لم تحقق شيئاً وغاية مناهج التعليم في البلاد المحتلة هو خلق عزلة إقليمية بين الأمم والشعوب فلا تتناول بالدرس إلا الإقليم الذى تعيش فيه ، فإذا عرضت لغيره من الأقاليم فإنما تعرض إلى الخلافات والفوارق التاريخية حتى تخلق جواً من الخصومة والفرقة وقد نشأ المسلمون في ظل هذه المدارس لا يعرفون شيئاً عن العالم الاسلامى إلا ما تورده كتب أوروبا وصحفها ، وهى كتب مكتوبة بأغراض معينة ، فإذا عرضت لقضايا هذه الممالك والأقطار فإنما تعرضها من وجهة النظر الغربية حيث تبرز ماحقق النفوذ الاستعمارى الذى حال بين مناهج التعليم في المدرسة الوطنية . وبين اتصال الوطن نفسه ماضيه بحاضره ، واتصال الوطن بالأوطان الأخرى التى كانت قبل الاحتلال وحده كاملة . ويعرف الباحث دون حاجة إلى مزيد من التفاصيل السر في اتجاه السياسة الاستعمارية في وطن من أوطان الاسلام نحو جعل التعليم مجرداً من الدين والأخلاق لأن هذا هو ما تقضى به مصلحته ويؤدى إلى تسلط نفوذ المستعمر بدينه ولغته .

(٢)

أما المدارس الأجنبية في العالم الاسلامى فقد حرصت على أن تقصى إنباءها عن الاسلام واللغة العربية والتاريخ الإسلامى جميعاً ، وعمدت إلى إذاعة تاريخ نابليون وفرنسا وبريطانيا واللغات الانجليزية والفرنسية وآدابها ، بل وذهبت إلى أبعد من ذلك فقد قدمت لطلابها كتباً تتناول بالهجوم والتشكيك مختلف القيم الاسلامية والعربية . وعلى مدى هذا التاريخ الطويل انتقلت الصيحات بالاعتراض على عدد من الكتب التى تدرس في هذه المعاهد والجامعات وكلها حملات ضارية على رسول الاسلام وعلى القرآن وعلى الاسلام نفسه . ومن شأن هذه المدارس أنه تخرج شباب المسلمين على ولاء لثقافة معينة ، ونظراً لتعدد هذه المعاهد بين فرنسية وأمريكية وانجليزية وإيطالية وألمانية وروسية فان شباب العالم الاسلامى ظل يتمزق بين هذه الثقافات وبين الولاء لها على النحو الذى يحول دون قيام وحدة فكر إسلامية أساسية . وقد حرص النفوذ الاستعمارى أنه يجعل من جامعاته ومعاهده مصدراً لتخريج

القادة والحكام في العالم الاسلامي ، وكانت خطابات القائمين بأعمال الدول الكبرى في هذه الجامعات في كل عام تكشف عن هذه الأغراض ، يقول اللورد لويد مثل بريطانيا في مصر حفل كلية فكتوريا بالإسكندرية عام ١٩٢٦ « أن أبناء هذه الكلية من ثمانية أجناس أو تسعة أجناس مختلفة وأن من الطلبة الآن مصريون وانكلوسكسون ويونان ويهود وإيطاليون وأرمن وسوريون وأحباش وغيرهم ، كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيكونوا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا علينا ، وأود أن أشعر أن كلية فكتوريا تنجب نفراً تنمى فيهم من الشعور الانجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرق والغرب ، وهذه المشاكل التي بين بريطانيا ومصر تحل إذا تعلم كل من الانجليز والمصريين أن ينظر كل منهم إلى رأى الفريق الآخر نظراً مقروناً بالفهم والعطف » وهكذا يكشف العميد الانجليزي عن الغاية من التعليم البريطاني ، إنه يحاول أن يخلق جيلاً مؤمناً متعاطفاً معها ، مغضياً عن استعمارها ونفوذها في بلاده عاملاً على دعم المودة والصداقة بين المحتل والوطني » وهذه غاية خطيرة غاية الخطورة لم تقتصر على كلية فكتوريا ولا على التعليم الانجليزي .

وقد كشفت الأحداث عن خبيثة كثير من هذه المعاهد والجامعات المختلفة في العالم الاسلامي واستعلن ما حاولت أنه تخفيه ، فبين حين وآخر يذاع أن هناك كتاب يدرس يحمل ثمار التبشير أو الشكوك في الاسلام أو الإساءة إلى نبيه أو اتهام القرآن . والمعروف أن هذه المعاهد قد بدأت في العالم الاسلامي في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، وأنها كانت ذات طابع تبشيري واضح مكشوف ، وكانت تقوم في مختلف أنحاء العالم الاسلامي بالدعوة الصريحة للمسيحية ، وكان لها في هذه الفترة مواقف مؤسفة بالغة الجرأة اعتمدت الارساليات التبشيرية فيها على نفوذها وحماية الامتيازات الأجنبية لها وعلى نفوذ القناصل وضعف الدول الإسلامية غير أن هذه المعاهد لم تلبث أن غيرت أسماءها ومناهجها وحاولت أن تستوى في صورة جامعات علمانية بعد كانت معاهد تبشيرية صريحة ، وقد ركزت مناهجها في كلتا الحالتين على غاية واحدة وإن اختلفت الأساليب ، تحمل ثقافة المستعمر وتاريخه ولغته ودينه على نحو واسع الاغراء للشباب المسلم ، مبعدة به عن تاريخه ولغته ودينه ، بالهجوم والتشكيك وإثارة الشبهات والربط بين تاريخ المستعمر ودينه ولغته ومكانة الحضارة ، والربط بين تاريخ الأمم الإسلامية ودينها وبين وقوعها تحت نفوذ الاستعمار وتخلفها . وقد حدث

في إحدى الجامعات المتصلة بإحدى الدول الغربية في عاصمة من أكبر العواصم العربية أن وقف شاب من خريجي هذه الجامعة ، أن بعد أحرز شهادتها العالية ، في حفلها السنوي الضخم ليظهر الناس على حقيقة هذه الجامعة وأهدافها فقال : « إن هذه الجامعة تظهر أمام الناس في مظهر المدرسة العلمية لكنها في الحقيقة تعمل لافساد عقائد الشباب الدينية وتطعن في الإسلام » . ومن خلال بعض هذه المعاهد انطلقت حركات التبشير ، وقد جعلت من طلابها حقل تجارب لذلك ، وكشفت التحقيقات والأحداث عن نتائج خطيرة . وهكذا وقف المسلمون من هذه المدارس طوال هذه السنوات موقف الحذر ، كاشفين لها ، ولم يستسلموا مطلقاً لإغرائها ، ولم يشقوا بها ، وما تزال ومن تخرج منها يمثلون في المجتمع الاسلامي ولاء غير خالص للوطن ولا للأمة ولا للفكر الاسلامي أو الثقافة العربية . ولقد شنت الصحف في مصر في الثلاثينات حملة ضخمة على هذه المعاهد وعلى حركة التبشير التي انبعث منها وكشفت عن خطر هذه المعاهد . وقد قوبلت هذه الارشاليات جميعها من المسلمين بالاعراض التام ، ثم لم يلبثوا أن استسلموا لها تحت ضغط عوامل مختلفة ، أهمها عجز التعليم الرسمي الوطني عن إفساح المجال للراغبين في التعليم وكان أغلب الذين أقبلوا على هذه المعاهد أبناء الطبقة الحاكمة ذات الثراء التي أنفست من المدارس العامة وحاولت أن ترضى غرورها النفسي بالالتحاق بالمدارس الأجنبية ، وكان النفوذ الاستعماري حريصاً على إغرائها بدخول مدارسها وذلك حرصاً على أن يربي الجيل القادم من الحكام والقادة على مفاهيمه وقيمه ، وقد تحققت ذلك في العالم الاسلامي كله إلى أبعد حد ، فلما جاء هذا الجيل قبل التفاهم مع الاستعمار ولم يعارضه على الأقل من ناحية علاقة الدين بالمجتمع أو علاقة الدين بالسياسة وقبل مفهومه في فصل الدين عن المجتمع والدولة ، وقد كان الاستعمار حريصاً من إنشاء هذه المدارس والمعاهد أن يضع المسلمين أمام خطرين كلاهما شر وخطر : الأول أن يتخلفوا عن التعليم ويتقدم غيرهم وبذلك يفقدون نفوذهم بحكم أنهم أصحاب الأغلبية في بعض الأقطار كالعالم العربي ومصر أو كانوا حكامها وأمراءها كالمند . (الثاني) : إن يقبلوا على هذه المدارس فيفقدوا إيمانهم بأمثمتهم وبقدرتهم على مقاومة النفوذ الأجنبي . وقد رضى المسلمون بالأمر الأول ، فتخلفوا في كثير من البلاد خاصة في الهند وسبقهم الهندوس إلى التعليم وإلى مراكز القيادة والحكم ، ولكنهم لم يلبثوا أن عوضوا ذلك بإنشاء معاهدهم الخاصة وجامعاتهم ومدارسهم التي تجمل رسالة فكرهم ودينهم ، ويبدو ذلك جلياً

في مصر والهند والجزائر وأندونيسيا فان جماعات ضخمة من المسلمين اندفعت للبذل والانفاق والتبرع لإقامة مثل هذه المعاهد والمدارس . وقد ساهمت هذه المعاهد والمدارس بنصيب كبير في إضعاف اللغة العربية لدى تلاميذها ، وقد عمدت إلى تنشئة شباننا على معرفة اللغات الأجنبية والجهل بلغتهم الوطنية ، كما أسهمت إلى حد كبير في تلقين أبنائنا تاريخ أوربا والدول الأجنبية المختلفة وامبراطوريتهم ونسبت أو تناسبت أن تلقن هذا النشء ذاته تاريخ أو جغرافية وطنه . ولما كان التعليم الأجنبي الذي قامت به الارساليات التبشيرية مستقلاً بمناهجه وليس خاضعاً لمناهج الدولة ولا إشرافها ، فقد سهل هذا الأمر على الذين أقاموا هذه المدارس توجيه النشء وجهة خاصة دون ما رقابة من الدولة ، وبذلك كانت الكتب المستعملة بهذه المدارس مليئة بتمجيد الدول ، والأمم والأديان الغربية ، مع معلومات خاطئة ومضللة كلها الشبهات والأخطاء عن الاسلام والعرب والمسلمين والمصريين وعن اللغة العربية والتاريخ ، وكان ذلك كله يدرس للشباب المسلم الذي يلتحق بهذه المعاهد ، حتى لكان أغلب خريجي هذه المدارس يعرف عن الأديان الأخرى كل شيء ، ولا يعرف عن دينه شيئاً ، وكذلك عن اللغات والتاريخ . فإذا به كبير الولاء لما تعلم من دين ولغة وتاريخ ، ناظم ساخط ساخر بكل ما يتصل بالعرب والمسلمين واللغة العربية والتاريخ الاسلامي . هذا فضلاً عما كان يتاح لهذا الشباب من فرص إذا أخلص الولاء لهذه الثقافات من بعثات إلى تلك البلاد ، فإذا عاد إقتعد مناصب الصدارة وأماكن القيادة في وطنه بفضل النفوذ الأجنبي المسيطر . هذه صورة الخطر الذي تعرض له العالم الاسلامي في مجال التعليم والذي ما زال أثره قائماً إلى الآن في بعض الأقطار بالرغم من تغيير هذه المعاهد لمناهجها أو توافر المدارس الوطنية . فقد قارب النفوذ الأجنبي وأوانه بين مناهج المعاهد الأهلية الوطنية وبين مناهج هذه المعاهد التبشيرية على نحو كبير ، وإن كانت المعاهد الأهلية والوطنية قد أولت اهتمامها باللغة العربية والتاريخ القومي فإنها حملت معها الخطوط العامة لفكر المستعمر وأهدافه في التعليم وهي أبعاد القيم الأساسية للفكر الاسلامي عن أن تكون القاعدة التي تنبثق منها المناهج ، ولذلك فان أقصى ما كان يطمح فيه المصلحون في المعاهد الوطنية أن تدرس مادة الدين وهي تدرس الآن في أغلب بلاد العالم الاسلامي في المدارس الابتدائية والثانوية على نحو لا يعطي النفس الاسلامية أو العربية أي ربط حقيقي بين الاسلام وبين المجتمع والفكر والثقافة أما في الجامعات فان الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية الغربية

فإنها تدرس بحسبانها هي العلوم الأساسية دون أن يوضع موضع التقدير إن للفكر الاسلامي مفاهيم وقيم ونظرات في الاجتماع والسياسة والاقتصاد . والتربية هي أصلح لأهل العالم الاسلامي وأقرب إلى أمزجتهم وعقلياتهم وأقدر على إصلاح مجتمعهم وتهذيب نفوسهم من الثقافات الأجنبية التي يدرسونها على أنها وجهات نظر ربما فشلت في تحقيق نتائج إيجابية في أوطانها . وأمر آخر بالغ الأهمية حرص النفوذ الاستعماري على استدامته وإبقائه وتعميقه في العالم الاسلامي هو «ثنائية التعليم - التعليم الديني والتعليم المدني» وذلك لخلق تمييز طبقي بين المواطنين . ولتحقيق الفروق بين الطبقتين لابعاد الشقة بينهما في الثقافة والميول والاتجاهات لجعل من أحدهما حاكمة والسبيل أمامها إلى الصدارة مفتوحة في نفس الوقت الذي أبعد فيه الأخرى عن مجال القيادة أو العمل المباشر» والاستعمار يهدف في ذلك إلى تأصيل بقاءه وخلق طبقة تسانده ويختبئ وراءها لإرغام المواطنين على استساغة وضعه . كما «أقام الفارق بين التعليمين الشعبي والحديث على الفقر والغنى فأصبحت هناك أغراض تعليمية تستهدف الفقراء وأخرى للأغنياء ، وتفاوتت خطوط المواطنين تفاوتها بين الاقطاعيين والأحرار» وقد حرص النفوذ الاستعماري على تجميد المعاهد الاسلامية الكبرى : كالأزهر والقرويين والزيتونة وأنشأ نظاماً آخر مستقلاً عنه له طابعه الغربي الخالص ، وخلق خصومة وصراعاً بين المتعلمين وجعل مدارسهم ومعاهده هي التي توصل إلى المناصب والنفوذ والثروة حين أبقى خريجي المعاهد الاسلامية في درجة منخفضة . وقد كان لهذا الازدواج العلمي وهذه الثنائية أثرهما البعيد المدى في الأخطار التي واجهها العالم الاسلامي طوال هذه الفترة . والمعروف أن جميع الثورات والحركات الوطنية والمقاومة للنفوذ الاستعماري إنما انبعثت من هذه المعاهد الاسلامية ، التي قادت دعوات الحرية والنهضة أساساً ، وقد كشف كثير من الباحثين عن خطر هذه الثنائية ودعا إلى القضاء على التعارض وإزالة هذه الهوة الواسعة بين المتعلمين تعليماً مدنياً عصرياً والمتعلمين تعليماً دينياً إسلامياً ولا يكون ذلك إلا بسلخ الصبغة الأجنبية عن التعليم المدني وإعطائه صبغة أخرى من لون محيطه الاسلامي تكون ملائمة لتقاليد الأمة وعقائدها ، ويكون القسط الأول فيه لاعلان مفاخرها وتنوير تاريخها وإحياء ماضيها وربط الحاضر به ، وكذلك تعليمنا الاسلامي يجب أن يجهز بأساليب العصر ، ومعارفه ليكون أئمة المسلمين من أعرف الناس بزمانهم وأدواته وأسباب معالجتها . وقد عرض كثير من الباحثين للجامعات العصرية التي أنشئت في العالم الاسلامي ، وكيف طمع منشؤها في أن

تكون وسيلة لدعم الوطنية والقيم العربية الاسلامية ، لكنهم عجبوا كيف تحولت هذه الجامعات لخدمة النفوذ الاستعماري وأبرز مثل لذلك الجامعة المصرية الأهلية التي أنشأها المصريون بأموالهم دعماً لليقظة الوطنية فإذا بها تقع تحت سيطرة التغريب ، وتصبح مصدراً للشبهات التي تثار حول الاسلام واللغة العربية والتاريخ الاسلامي العربي على النحو الذي قام به الدكتور طه حسين وزملائه وتلاميذه والتي كشف عنها عام ١٩٢٥ كتاب «الشعر الجاهلي» و«حديث الأربعاء» ، ومن بعدهما «مستقبل الثقافة في مصر» . فقد حملت لواء الدعوة إلى الفرعونية والتشكيك في القرآن ، ومحاولة خلق جيل من الشباب المثقف يتنكر لعروبته وإسلامه وقيمه واعلاء شأن الأدب الغربي والثقافة الفرنسية والدعوة إلى الفرعونية. وعن الجامعة بأقلام تلاميذها صدرت رسالة طه حسين في نقد ابن خلدون والتشكيك في مكانته العلمية ورسالة زكي مبارك عن الغزالي واتهام آرائه ، ورسالة منصور فهمي عن المرأة المسلمة وفيها حملات على الاسلام والرسول . وقد حرص المسلمون في مواجهة المدرسة الوطنية الخاضعة للنفوذ الاستعماري والمدرسة الارشالية الخاضعة لنفوذ التبشير وكلاهما يهاجم الثقافة الأساسية وفي مقدمتها الاسلام والقرآن ، حرص المسلمون إلى سد هذا النقص بإنشاء المدارس الأهلية ، وقد جرى هذا العمل بهمة بالغة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي وحقق نتائج طيبة ، كان أقل قدر منها أنها استنقذت جانباً من الشباب من قصور المدرسة الأهلية وتدمير المدرسة التبشيرية ، وقد كان للجمعية الخيرية الاسلامية في مصر والجمعية المحمدية في أندونيسيا ومدرسة دار العلوم في لكنو بالهند ومدارس جمعية العلماء في أندونيسيا أبعد الأثر في هذا المجال . ولا شك كان للجامعات الاسلامية التقليدية في هذا المجال دور هام وخطير ، هذه الجامعات التي انبثقت منها جميع حركات المقاومة للنفوذ الاستعماري والحركات الوطنية ومواقف المواجهة لكل حركات النفوذ الاستعماري ودعوات الالحاد والتبشير والاباحة ومعارضة مختلف الآثار المكتوبة التي أثار أصحابها شبهات حول الاسلام واللغة العربية . وفي مقدمة هذه المعاهد : الأزهر والقرويين والزيتونة ، ومعاهد النجف . أما الأزهر فقد عمل على حفظ التراث العربي الاسلامي في وجه الحملات الصليبية وغارات التتار ومحاولات العدوان المتكررة على العالم الاسلامي فضلاً عن أنه قاوم الحملة الفرنسية والاستعمار البريطاني وكان له مواقف في الثورة العربية وثورة ١٩١٩ كما قاوم الأمراء المستبدلين من المماليك حتى قال عنه اللورد لويد في كتابه (مصر خلال حكم كرومر) : إن أهمية الأزهر بوصفه مركزاً من

مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا كبيرة متعددة الامكانيات ، وقد أدرك الوطنيون ذلك فحاولوا استغلاله ، لتأييد مآربهم وترتب على ذلك نمو روح المعارضة الشديدة لسيطرة الانجليز على التعليم به . إن التعليم الوطني عندما قدم الانجليز مصر كان في قبضة الجامع الأزهر الشديد التمسك بالدين والذي كان أسلوبه الجاف القديم يقف حاجزاً عن طريق أى إصلاح تعليمي وكان الطلبة الذين يتخرجون منه يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني « ومن الطبيعي أن يكون رأى المندوب البريطاني في الأزهر سيئاً وأن يكيل له عبارات الجمود والجفاف ، فقد كان الأزهر هو الصخرة التي وقفت أمام مطامع الاستعمار ومن بؤرتها قامت كل الحركات المعارضة للاستعمار على طول المدى ولقد كانت سياسة النفوذ البريطاني في مصر إزاء الأزهر وفرنسا إزاء القرويين والزيتونة ، العمل على تجميد هذا النوع من التعليم مع المحافظة على بقائه . تجميده على النحو الذي يعزله عن الحياة الاجتماعية والسياسية والابقاء عليه لخلق الثنائية والتضارب والحيولة دون قيام ثقافة وطنية أو قومية موحدة . وكما فعل النفوذ الاستعماري البريطاني في الأزهر ، فعلت فرنسا بالنسبة لجامعة « القرويين في فاس فقد أثر عن الحاكم الفرنسي ليوطي - صنوكرومر في مصر قوله : إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب ولذلك فقد تسلط النفوذ الاستعماري الفرنسي عليها حيث توجد بها « الطاقة التي تكون فيها قوة المغرب » فأوحى إلى عملائه فتمنعوا دراسة العلوم بها واكتفوا بالقشور وتحولت كلية القرويين إلى شيء لا فائدة منه « فدراسة أحوال اعراب » ما تستغرق شهرين وقد حاولت الحكومة المغربية أثناء السيطرة الاستعمارية أن تحقق بعض الاصلاحات التعليمية فيه فكانت دائماً تجد معارضة شديدة من الاستعمار وهكذا عمد النفوذ الاستعماري إلى القضاء على نفوذ الأزهر في مصر والقرويين في فاس والزيتونة في تونس ، فوضع خطة محكمة تستهدف إضعاف هذه المعاهد وتهوين مركزها وإضاعة نفوذها ، حيث وقف المستعمرون « في طريق علمائه وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ، ومناصب الحكم ، ووظائف الارادة وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين ، على أن يكون الاسلام على حد تعبيرهم بعيداً عن السياسة وبمعزل عن الحكم . فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن يحفظ كتاب الجهاد « القرآن » وكانهم أرادوا أن يبعدوا السلاح عن أيدي أولئك الذين يتعاملون بالقراءة وبذلك أبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة . واستطاع النفوذ الاستعماري أن يجعل عدداً

من أبناء هذه المعاهد في موقع أكبر الخصوم لها الحاملين عليها الساخرين بها : مثل على عبد الرازق وطه حسين ولكن هذه المعاهد لم تجمد برغم ما قدر لها المستعمر أن تجمد ، فإنها خرجت رجالاً كباراً متحررين قادوا خطوها إلى الأمام أمثال محمد عبده والمراغي وشعيب الدكالي ومحمد العلوي العربي وأطاهر بن عاشور ، وعبد الحميد بن باديس وعبد العزيز الثعالبي . وقد حدد الأستاذ المراغي أهداف الأزهر في أهداف أربع كبرى كبرى أعتقد أنها هي رسالة الجامعات الإسلامية : (أولاً) تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعركة الفقه الاسلامي وتاريخ الاسلام ورجاله . (ثانياً) إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الاسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات . (ثالثاً) عرض الاسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل وزيد فيه الفروض المتكلفة التي يابأها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية . (رابعاً) العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضيق شقة الخلاف بينها ، فان الأمة في محنة من هذا التفريق ومن العصبية لهذه الفرق ، ودراسة أسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي إلى الحق .

(٢)

الثقافة

يشكل الفكر الاسلامي أساساً موحداً للدراسات العقلية والروحية في العالم الاسلامي كله ، ومنه تنبثق الثقافات المختلفة التي تتصل بكيان الأمم التي برزت معالمها الاجتماعية والنفسية باختلاف اللغات . ذلك أن اللغة العربية ، لغة القرآن لم تتح لها الفرصة لكي تكون لغة العالم الاسلامي كله ، ومن ثم فقد ظهرت ثقافات مرتبطة باللغات العربية والفارسية والتركية وهي الثقافات الثلاث الكبرى ، ثم برزت ثقافة المسلمين الهنود باللغة الأوردية وثقافة المسلمين في جزائر الملايو باللغة الملاوية غير أن هذه الثقافات المرتبطة باللغات والأمم قد احتفظت ولا تزال تحتفظ بأساس موحده هو الاسلام وإطار موحده هو القرآن . وفي العصر الحديث وفي عصر اليقظة بدت فوارق مختلفة بين هذه الثقافات حيث غلب على بعضها الطابع الروحي أو الصوفي وظلت الثقافة العربية تقوم في أساسها على جوهر الاسلام جامعاً بين جناحي

العقل والروح . وقد كان للاستعمار الغربي ونفوذه الضخم المسيطر منتصف القرن الثامن عشر على أغلب أجزاء العالم الاسلامي أثره البعيد في تجميد اللغة العربية في الوحدات الاسلامية القديمة والنامية فقد جعل من قواعد مخططة الأساسية تنمية اللغات الاوربية واللهجات واللهجات الاقليمية ، كما عمد إلى إجراء مبادعات وفواصل كثيرة بين الثقافة العربية والثقافات التركية والفارسية والهندية . وكان لحركة التغريب العاتية التي جرت في تركيا بعد الحرب العالمية الأولى آثارها البعيدة في تقارب ثقافات الاسلام ولغات الاسلام فقد عمد الكماليون حكام أنقره على كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ، وكذلك أجبر النفوذ الاستعماري الهولندي « جزائر الملايو وأندونيسيا » على مثل ذلك حيث كانت الحروف العربية تمثل جامعة اللغات الاسلامية المختلفة . كما جرى هذا التباعد في مجال الثقافات التي انحرفت عن مفاهيم الاسلام ، ولكن كثيراً من هذا التباعد لم يلبث أن ضعف وحل محله تقارب ، من حيث خفت يد الضغط غير الطبيعي على تمزيق وحدة الفكر الاسلامي الجامعة بين العرب والترك برباط الاسلام ، وحينما يضعف ضغط نفوذ الاستعمار أو نفوذ وريثه التغريب فان الثقافات الاسلامية في مختلف أنحاء عالم الاسلام تتقارب من حيث ارتباطها وتوحيدها باللغة العربية والقرآن ، ذلك أن الجذور الاسلامية ما زالت عميقة في هذه الأمم مهما فرقتها لغات أو نزعات سياسية أو عرقية ، ذلك أنه بالرغم مما غلب بعد الحرب العالمية الأولى وانحلال الرابطة الاسلامية الجامعة واستعلاء طابع القوميات من نزعات إقليمية مصدرها « الدافع الوطني » . الذي اتخذت منه الأمم سبيلها إلى مقاومة الاستعمار فأعلنت من شأنه وربطته بالماضي القديم لتؤكد ذاتها ، أقول : بالرغم من هذه الدعوات الإقليمية فقد ظلت هذه الاقليميات ذات رابطة أكيدة بالوحدة الاسلامية الكبرى ، وعاشت الأمم الاسلامية المختلفة في ثلاث دوائر متداخلة مترابطة ، لم تقهر إحداهم ولم تنقطع ، وأن غلب طابع واحدة منها ، تلك : هي دوائر الوطنية المرتبطة بالأرض ، ودائرة القومية المرتبطة بالأمّة أو الجنس والعرق ودائرة الفكر والعقيدة المرتبطة بالاسلام والقرآن والثقافة وقد حاولت بعض الأمم والثقافات إعلاء ماضيها قبل الاسلام وحيائه والاعتزاز به ، وكان ذلك في الأغلب بدافع من تيارات الغزو الفكري والتغريب ، ولكن هذه المحاولات لم تقطع الصلة الاسلامية الجذرية ، أعرق هذه الروابط وأقواها لاتصالها بالعقائد والعقليات والكيانات الاجتماعية والنفسية ، ولقد كان هدف دعوات إحياء ما قبل الاسلام من تاريخ الهنود أو الفرس

أو الترك أو العرب أو المصريين أو اللبنانيين أو المغاربة هو تمزيق وحدة هذه الأمة لتطرح العامل الجامع لوحدها والقاسم المشترك لرابطتها وهو الاسلام ، ولكن الثقافات تسامحت وتوسعت فشملت الماضي القديم الدارس الوثني إلى جوار الماضي القريب الاسلامي إلى جوار الوافد من الثقافات الغربية الحديثة ، وأجرت تدويراً للعناصر الثلاث في بوتقتها وصهرها لكل هذه المعطيات . وقد استطاعت بعض هذه الثقافات أن تحتفظ بمقوماتها وعجزت بعضها الأخرى وغلب عليها الطابع الأثمي ، أو الطابع الاقليمي الذي استعل في الجنس والدم والعرق . وقد كانت كتابات شبلي النعماني ، وأمير علي واقبال في الهند بعيدة الأثر في تعميق مفهوم الاسلام ، وكانت دراسات معاهد الشيعة وتجديدات الفقهاء الجعفرية في إيران وفي أندونيسيا هيئات إسلامية لها دراسات وأعمالها الفكرية الاسلامية التجديدية أما في مجال الأمة العربية فقد أثرى مجدود الاسلام الفكر الاسلامي بنظرات شاملة تمثلت في كتابات محمد بن عبد الوهاب والسنوسي والمهدي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وفريد وجدي والقاسمي والكواكبي والجزائري وشكيب أرسلان وحسن البنا وكان للهيئات الاسلامية : الأزهر والجماعات الاسلامية والاخوان في مصر والزيتونة (في تونس) والقرويين في فاس وديوبند في الهند ومعهد النجف في العراق وجمعية العلماء في الجزائر ، وجمعية أهل الحديث في دلهي واتحاد الاسلام في سومطرا وشركة إسلام جاوة والجمعية المحمدية في جاكرتا وجمعية ترقى الاسلام في الصين . وقد عملت هذه المدارس والجماعات في مختلف مجالات الفكر الاسلامي فهناك المدرسة الفقهية ، التي حاولت الكشف عن جوهر الشريعة الاسلامية ، وأبرزت طابع الاجتهاد في الاسلام وقدرته على مواجهة العصور المختلفة والبيئات المتعددة ، وهناك المدرسة اللغوية التي عملت على إدخال المصطلحات الحديثة والكشف عن عظمة اللغة العربية ومكانتها وهناك المدارس التاريخية والاجتماعية والتربوية التي قدمت عشرات الأبحاث في هذه المجالات وكان الذي يطبع هذه الدراسات الاسلامية المتعددة طابعان (١) الكشف عن قدرة الاسلام على الالتقاء بالفكر الانساني والحضارة الحديثة ومدى حيوية قيمة الأساسية في منتج الانسانية زاداً جديداً وحلولاً مرنة سمحة لمختلف معضلات المجتمع الحديث على نحو يفوق الأيدولوجيات الغربية واقناع أهل الاسلام بصلاحيته لهم صلاحية تتناسب مع أمزجتهم وعقليتهم وأرواحهم ، على نحو يفوق التطلع إلى اقتباس مناهج المجتمع والحياة من الغرب ، وفضلاً عن ذلك فهو مفتوح الآفاق لتقبل العلوم وعوامل الرقي المستحدثه وتقبل كل فكر

إيجابى صالح لتزقية المجتمعات ودفعها إلى الأمام ٢- الرد على حملات التعريب والتبشير والشعبوية ، هذه الحملات الضارية التى تحمل طوابع الشبهات والتشكيك للقيم الاسلامية الأساسية وإثارة المغالطات حول اللغة العربية والقرآن والتاريخ والفكر الاسلامى . ويمكن القول بأن جانباً كبيراً من عمل الحركة الثقافية فى العالم الاسلامى كان منصباً على مهمة الدفاع عن الاسلام فى مواجهة حملات خصومه ، والمعروف أن النفوذ الاستعمارى الغربى قد حرص عند سيطرته على مختلف وحدات العالم الاسلامى إيجاد نوعين من التعليم بالإضافة إلى التعليم التقليدى الذى حرص على تجميده ومنعه من النمو وعزل خريجيه عن مجال الحركة فى المجتمع . هذان النوعان هما : ١- التعليم التبشيرى الذى تقوم به الارساليات الأجنبية . ٢- التعليم المدنى الذى أشرف عليه مستشارون من المحتلين يرسمون مخططاته ويحولون بينه وبين دعم ثقافة القرآن وفكر الاسلام واللغة العربية والتاريخ الاسلامى ولقد حرص المسلمون فى مواجهة هذه النظم التغريبية إلى سد الثغرة بانشاء المدارس الأهلية والوطنية والقرآنية . وجرى فى بعض أجزاء العالم الاسلامى محاولات للتقريب بين المدارس الاسلامية والمدارس الوطنية ، والتوفيق بينهما لصالح الاسلام كما فعلت ندوة العلماء فى لكنو بالهند كما كان حرص المجددون للثقافة العربية المستمدة من الفكر الاسلامى وكذلك الثقافات الهندية الاسلامية ، والأندونيسية الاسلامية ، على تأكيد عدة معانى أساسية لها أهميتها فى مجال التغريب والشبهات المثارة : (أولاً) وهو أن الاسلام ليس ديناً بالمعنى المألوف لهذه الكلمة ولكنه دين ونظام اجتماعى فى آن واحد ، وقد حرص النفوذ الاستعمارى فى مدارس ومعاهده وخريجيه على دعم هذا المفهوم الخاطىء والحيلولة دون تعمق المفهوم الأصيل (ثانياً) حرص المجددون المسلمون على تأكيد مفهوم الجهاد فى الاسلام باعتباره فريضة من فرائضه وكان النفوذ الاستعمارى يحرص على الإغضاء عن هذا المفهوم بل إن الاستعمار البريطانى فى الهند قد حرص على ظهور جماعات تحمل لواء الدعوة إلى الاسلام تعلن أن الجهاد ليس أساساً من أسس الاسلام ، فضلاً عن حرص الاستعمار على إبعاد آيات الجهاد ودارساته عن مجال المدارس والجامعات والمعاهد . (ثالثة) الاهتمامات هى تأكيد مفهوم صلاحية الشريعة الاسلامية للعالم الاسلامى وامتيازها عن القانون الوضعى ، وخاصة بعد أن أعلن مؤتمر لاهى ١٩٣٧ ومؤتمر سان فرانسيسكو ١٩٥١ أن الشريعة الاسلامية شريعة تامة وأفرد لها كرسياً فى محكمة العدل الدولية تولاه مستشار مسلم . (رابعة) ومن الاهتمامات كانت الدعوة إلى استمداد التربية

والتعليم في العالم الاسلامي من مناهج التربية الاسلامية القائمة على الاخلاق والسياسة، والرابطة بين الدين والمجتمع . (خامسة) هذه الاهتمامات تأكيد اعتبار اللغة العربية الفصحى لغة أساسية في المدارس والجامعات وأساس أكيد للثقافة ومقاومة دعوات العامة أو الكتابة بالحروف اللاتينية . وكانت أكبر أهداف حركة التغريب والتبشير والنفوذ الاستعماري والغزو الثقافي هي القضاء على هذه المقومات ورفع شعار (العلمانية) في التربية باقصاء الدين أساساً من برامج التعليم ومناهج المجتمع ، ورفع شعار (الأمية) في مجال الفكر ، في محاولة القضاء على المقومات الأساسية للثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية المستمدة من الاسلام بدعوى مضللة هي « وحدة الثقافة العالمية » ، وكان مفهوم هذه الدعوة هي إذابة الثقافات الاسلامية في الثقافة العربية المستعمرة والمسيطرة . وقد عرض كثير من الباحثين لهذه التحديات ، وأشار إليها (ساريدار بابنكار) في كتابه (مشكلات الثقافة الأفريقية والآسيوية) فقد أبان أن الاحتلال الأجنبي الذي عانت هذه الدول عمل على سيطرة اللغة الأجنبية على التعليم . ففي كل مكان ما عدا العالم العربي كان التعليم يجرى بلغة أجنبية ففي الهند لأول مرة وضع نظام تربوي شامل بلغة أوروبية وفي أندونيسيا لوحظ أن عدد الذين أنهموا علومهم الثانوية باللغة الهولندية لا يتجاوز ١٤ ألفاً . وفي السودان هبط مستوى التعليم إذ لم يكن يوجد إلا كلية واحدة في الخرطوم وفي المغرب وتونس كان التعليم الفرنسي سطحياً . وكانت التربية في ظروف الوضع الاستعماري محافظة جامدة لأنه لم يكن من مصلحة الأجنبي المستعمر الذي ينبغي استغلال البلاد أن تروج تربية حيوية ، وكانت الكتب المستعملة في المدارس والنفسية التي كان يراد خلقها لدى النشء تميل بالطبع إلى التقليل من قيمة الثقافة الوطنية مع تمجيد فضائل السيد الأجنبي ، وكان أبرز أهداف التربية الاستعمارية إثارة الروح الانهزامية في المواطنين لتتمكن من التحكم فيهم . وكان التعليم يتم في مختلف بلاد العالم الاسلامي باللغة الأجنبية . كالانجليزية في المستعمرات البريطانية ، واللغة الهولندية في أسبانيا والفرنسية في الهند والصين والمغرب وتونس . فضلاً عن تضيق نطاق التعليم حتى يصبح قاصراً على الطبقة العليا التي ستحكم وإلى هذا المعنى كانت دعوة لطفى السيد في مصر (١٩٠٧-١٩١٤) بايحاء من النفوذ الاستعماري في مصر . وتبدو صورة الاستعمار الثقافي في أفريقيا أشد وطأة وأبعد أثراً حيث ما تزال حركة الغزو الفكري قائمة على أشدها ، في أفريقيا بالذات بينما تحررت كثير من وحدات العالم الاسلامي من الاستعمار وإن لم تتحرر من النفوذ

الثقافي والتغريب. ويمكن الاستعمار الثقافي في مجالات ثلاث: التعليم، الصحافة، الثقافة والخطبة الأساسية للغزو الثقافي: هو توجيه الإنسان الأفريقي إلى الخضوع للاستعمار وتقبل حضارتهم والتعاطف معها. فالثقافة في مختلف المناطق المحتلة تقوم على نفوذ مدارس التبشير والاستعمار، هذه المدارس التي كانت سبباً أساسياً في تفهقر الثقافة الإسلامية. حيث أبعد الإسلام واللغة العربية نهائياً وقدم بدلامنها لغة المستعمر ودينه وثقافته وتاريخه. وإعلاء شأن بعض المناطق للقضاء على اللغة العربية وللتمهيد للغة الأجنبية وقد أجبر البريطانيون مختلف المناطق التي احتلوها على استخدام الحروف اللاتينية في كتاباتهم، كما التهمت نيران الجيوش في مدن أفريقية الغربية كثيراً من المكتبات الإسلامية القديمة كما نقلت مئات من كتب التراث الإسلامي والعربي إلى أوروبا وذلك لقطع التيار العربي والإسلامي نهائياً وتحويل هذه المناطق عن الثقافة الوافدة من شمال أفريقية، ومصر كما تعرضت الزوايا والمدارس الإسلامية والكتاتيب للمحاصرة، والانقراض لعجزها عن الوصول إلى إعانات. ويستهدف الاستعمار من هذه المخططات الأساسية أن يوجد مفهوماً ثقافياً قوامه الالتقاء بين الوطنيين والمستعمر، في تعاون وتقبل للوجود الاستعماري، وهو نفس ما دعا إليه كرومر في مصر عند احتلالها في عبارته المرنّة الدقيقة «التقاء أهل البلاد بالمندنيين بالغربيين في منتصف الطريق». هذا المنطق الذي خلق أجيالاً ترى العلاقة بين الأوطان والمحتلين ليست احتلالاً ولكنها تمديناً وتعاوناً وصداقة، وهذا يتطلب تقارباً فكرياً وثقافياً يتم عن طريق اللغة الأجنبية وعن طريق عقائد المستعمر الدينية والاجتماعية وقوانينه. بحسبان أن هذه هي أمانة الرجل الأبيض الذي عهدت إليه العناية الإلهية (!) تمدين الأمم المتخلفة. وهذا يتطلب أساساً إبعاد الإسلام واللغة العربية بحسبانها أساس المقومات الداعية إلى مقاومة المستعمر ومعاداته ورفض وجوده الشرعي. وقد جرى التركيز على أفريقيا في خلال المائة عام الأخيرة تركيزاً أساسياً باعتبارها هي الجبهة الأخيرة للاستعمار على حد تعبير جون جنتر. وتهدف المناهج التعليمية والثقافية والصحفية إلى إعداد السكان الوطنيين على نحو يحقق فهم روح الطاعة والاستسلام والذلة. وتربية روح الخضوع والاستسلام مع الإعجاب والعرفان والتقدير للرجل الأبيض صاحب الفضل في تمدين البلاد والمنقذ الذي أدخره القدر. وقد كان نظام الرسائل من العوامل الفعالة في تنفيذ هذا المخطط وبلغ عدد الرسائل الأوربية والأمريكية في أفريقيا رقماً يزيد على ١٠ آلاف إرسالية. ويصور هذا التحدي الخطير مؤلف كتاب الثقافة

الافريقية حين يقول : « ما من ثقافة أفريقية إلا وتأثرت باحتكاكها بالأوروبيين ولكن في الوقت نفسه لم تستسلم أية ثقافة استسلاماً كلياً للغزو الثقافي الأوربي ، .. ولا ننكر هنا أنه يجري تدريب عدد متزايد من الأفريقيين على النظر إلى دين أجدادهم كما لو كان ضرباً من الخرافة وأن ينبذوا المعتقدات والتقاليد الأخرى على اعتبار أنها بالية . ولم تعد تجارى العصر الحديث » . ولكن هذا المخطط الاستعماري التبشيري على الرغم من اتساع نطاقه ووسائل دعمه فإنه واجه تحدياً أشد قوة حال وما زال يحول دون تنفيذ مخططة على الوجه الذى يرضاه الاستعمار ، فان حركة انتشار الاسلام تحطم كثيراً من هذه المخططة وتفرض نفوذ الاسلام وثقافته ، فما تزال زوايا التعلم القرآنى المتواضعة تؤدى دورها ، وكل الذين تعلموا في الأزهر عندما عادوا إلى بلادهم أنشأوا عدداً من المدارس الاسلامية .. وما زالت الفرق الصوفية : التيجانية والقادرية والشاذلية بنفوذها الواسع الممتد تقوم بإنشاء المدارس وما يزال « القرآن » يشكل حجر الزاوية في البناء الثقافى وأغلب سكان نيجيريا وأفريقيا الغربية يكتبون مراسلاتهم باللغة العربية وتسير حركة الإصلاح الاسلامى جنباً إلى جنب مع انتشار اللغة العربية في بلاد أفريقيا . والحركات الوطنية جميعها مرتبطة بالثقافة الاسلامية ، حيث ارتبطت الدعوات التبشيرية الأخرى بالاستعمار ، ومن ثم فقد حمل الاستعمار في أفريقيا طابع الحرية والمقاومة والكفاح ضد النفوذ الأجنبى . ويرجع جون جنتز في كتابه « داخل إفريقيا » السر في ذلك إلى « أن الاسلام نظام اجتماعى كما هو دين ، نظام اجتماعى يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة مع جميع المؤمنين الآخرين ، وكثيراً ما يوصف الاسلام بأنه الأكثر ديمقراطية بين ديانات العالم الكبرى ، وليس في الاسلام تمييز عنصرى ولا يحول دون تحول (البانتو) إلى رحابه ، لقد انتشر الاسلام انتشاراً شاملاً عملياً بين عبادة الأثان والحيوان » لأن شعائره مبسطة للغاية بقدر ما فيه من جاذبية أصيلة راسخة » .

(٣)

اللغة العربية في العالم الاسلامى

اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ولذلك فقد رافقت رحلة الاسلام وانتشاره إلى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وكان لها تأثيرها الواضح في لغات الأمم على عدة أوضاع : (أولاً) ورثت في مصر اللغة القبطية وفي سوريا اللغتين اليونانية واللاتينية واللغة السامرية .. واللهجات الراقية

العربية ، وفي العراق وبلاد الجزيرة ورثت اللغة السريانية وغيرها من اللهجات الارامية وغيرها من اللغات التي كانت شائعة في العالم العربي ، كما تغلب الخط العربي على خطوطها . (ثانياً) كانت تبعية الأثر في اللغات الاسلامية الكبرى الثلاث الفارسية ، والتركية ، والآردية أما بالنسبة للغة الفارسية فقد أنشأت لغة جديدة هي الفارسية الحديثة التي يتكلم بها الفرس الآن ، وهي غير اللغة الفارسية السابقة قبل الاسلام والتي تسمى البهلوية التي انقرضت تماماً . أهتم اللغة العربية وحلت محلها الفارسية الحديثة التي تميزت بكثرة الألفاظ العربية التي زادت زيادة كبرى خلال حكم الدولة العباسية كما أن الفرس كتبوها بالحروف العربية والخط العربي وقامت أساساً عن طريق إدماج اللغة الفارسية بالألفاظ العربية ، وقد ظل شعراء الفرس لا يتمواون الشعر نحو قرنين إلا باللغة العربية وما تزال اللغة العربية في إيران تحتل مكانة واضحة في مجال الدراسات الاسلامية ، وبها تؤلف الكتب ويتحدث بها المحدثون والأساتذة وما زال الايرانيون يعلمون أبناءهم في مدارسهم الاسلامية باللغة العربية ومعظمهم يقول الشعر باللغة العربية الفصحى . وقد استعمل الافغانيون الحروف العربية لكتابة لغتهم الباميرية . (ثالثاً) أما بالنسبة للغة التركية فان العربية تؤلف الجزء الأكبر من الأجزاء الثلاثة التي تتألف منها اللغة التركية العثمانية (وهي اللغة الفارسية-اللغة التركية الحديثة العربية) . وقد دخلها من الألفاظ العربية أكثر من خمسين في المائة من مجموع ألفاظها بل إن قواعد صرفها ونحوها مستمدة من القواعد التي اقتبسها العجم من العرب . ولما كانت اللغة الفارسية هي لغة العلم والأدب والسياسة في عصر السلاجقة فقد كانت مصدراً أساسياً للأدب التركي واللغة التركية ، ولما كانت اللغة الفارسية أساساً تحوى عناصر كبرى من اللغة العربية وآدابها فإن هذه الآثار قد انتقلت بالطبع إلى اللغة التركية فضلاً عما نقله الأتراك العثمانيون من اللغة العربية رأساً فيما بعد ، ولذلك فإن الألفاظ العربية في اللغة التركية تبلغ أضعاف الألفاظ الفارسية فيها . ولقد كان المسلمون يتطلعون إلى أن الدولة العثمانية تأخذ باللغة العربية لغة للدولة ، غير أن التحول الذي واجهته تركيا بعد الحرب وانسلاخها عن العالم العربي وعن الإسلام قد دفعها إلى التخلص من الأثر العربي ، وكان أساس الانقلاب هو كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بدءاً ذلك عام ١٩٢٧ ثم جرى تصفية اللغة من الكلمات العربية ، حيث عقد عدد من المؤتمرات التي قامت بإخراج ١٣٦٥٠ كلمة عربية خلت بدلا منها كلمات تركية حيث اعتبرت الكلمات العربية كلمات أجنبية ، وقد أشار

الباحثون إلى مدى الأثر الخطير الذي حققته هذه التجربة حيث فقدت تركيا ثرائها الحضاري المتمثل في مئات المجلدات في الأدب والنقد والثقافة التي كتبت باللغة التركية العثمانية ، فضلاً عن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية أقدمهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والظاء والضاد والظاء والعين فإن هذه الأحرف لا يمكن أن تجد في اللاتينية ما يصورها بحرف واحد يقوم مقامها . (رابعاً) وكذلك كان أثر اللغة العربية دائماً في اللغة الأردنية (التي كان يطلقون عليها الهندوستانية) ويتكلم بها أكثر مسلمي الهند وهي مأخوذة من اللسان الهندي ومن الألفاظ العربية والفارسية . وتأثير العربية فيها من تأثير الفارسية . (خامساً) وللغة العربية أثرها الواضح في لغات سكان أرخبيل الملايو فقد اتخذوا حروفها لكتابة لغتهم كما استعملها المسلمون والصينيون لكتابة لغتهم المحلية ، والأمم الثتيرة لكتابة لغاتهم الخاصة في مناطق بين سيحون وجيخون الممتدة حول بحر قزوين شمال البحر الأسود وجنوب الأورال وجنوب روسيا . وكذلك لها مكانها في لغة الفكر وأخواتها التركية في الشمال ولغة الأكراد وغيرها من اللغات الفارسية . (سادساً) واللغة العربية لها مكانها الأصيل في لغات أفريقيا فهي في السنغال لغة المسلمين وتعتمد بقية اللغات الوطنية على الحروف العربية في كتابة لغتها (تقويم العالم الإسلامي لماسنيون) وهي شائعة في السودان الفرنسي وعلى شاطئ العاج ويعتمدون في التهجئة على الحروف العربية ، وكذلك في نيجيريا ، والعربية ميسرة في أفاليم تشاد وجيبوتي والحيشة واللغات الوطنية أغلبها يكتب بحروف عربية . والسواحلية والهوسا في أفريقيا هي والعربية أعضاء في أسرة اللغات الإسلامية تتقارب في المفردات والمصطلحات وتلقى اللغة العربية في بلاد الصين إقبالاً عظيماً حيث يوجد في هذه البلاد مسجد تدرسي فيها العلوم واللغة العربية .

(٢٠)

واجهت اللغة العربية منذ اتسع النفوذ الأجنبي للعالم الإسلامي مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث : الفرنسية والانجليزية في أنحاء العالم الإسلامي والهولندية في أندونيسيا فقد قطع الاستعمار العربي الطريق على توسع اللغة بين مسلمي العالم حيث كان من الطبيعي أن يتسع انتشارها في مختلف المناطق التي يصل إليها الإسلام لارتباطها العضوي به : بحسبانها لغة الصلاة والدين والثقافة وقد استطاع النفوذ الاستعماري أن يضرب عدة ضربات خطيرة : (الأولى) نقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وفي مقدمتها اللغة الأندونيسية واللغة

العربية . (الثانية) توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرئيسية كما فعل في الهند الإسلامية والملايكةستان وفي قلب أفريقيا . (الثالثة) تجميد اللغات الإسلامية القادرة على النمو كالأردية في الهند مع الحملة عليها وتحريض الهنود على اتخاذ لغة أخرى باعتبار الأردية لغة الثقافة الإسلامية . واعلاء اللغات الأوربية وتقديمها . ومن حيث أن اللغة العربية هي لغة القرآن فان الاستعمار والنهوض الأجنبي يعمل لهدمها وتجميدها وإيقافها بحسبانها لسان الاسلام وما تزال اللغة العربية عاملاً مساعداً لنشر الاسلام وتعميقه . وما تزال اللغة العربية قائمة بقيام كتابها ودينها والقيم التي تمثلها . كما ماتت لغات أخرى انفصلت عن دينها وكتبها المنزلة (الرابعة) استخدام الدعوة إلى العامة والتحريض على جعلها لغة للتأليف والكتابة كما فعل اللورد دوفرين السياسي البريطاني حين طالب في أوائل الاحتلال البريطاني لمصر بتدوين العلوم باللغة العامة للمصريين . وكما حاول الاستعمار في الجزائر . وليست اللغة العربية الفصحى لغة دينية بالمعنى الذي يلجأ إليه بعض المبشرين والمستشرقين وإنما هي لغة فكرية ذلك أن اللغة العربية تحمل أفكار الفكر الإسلامي الذي يشمل على الدين والاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية جميعاً وهي كلها فروع تتصل بأصل واحد هو الاسلام الذي ليس ديناً فحسب ولكنه دين ونظام حياة . واللغة العربية ليست لغة أمة فقط ، ينطبق عليها قوانين اللغات الخاصة بالأمة وتطورها وإثاقها هي لغة ثقافة مرتبطة بكيان كامل من الفكر الإسلامي وهي لغة كل مسلم عربي كان أم غير عربي يعلم أن القرآن كلام الله ، وأن على المسلم أن يتعلم لغة القرآن ليفهمه . وإذا كانت اللغة العربية الفصحى هي الرباط الذي يجمع الأمة العربية ويحميها من التفكك ، فإن اللغة العربية هي لغة الوحدة الفكرية للعالم الإسلامي كله وهناك قاسم مشترك مع البلاد الإسلامية غير العربية هو القرآن كلام الله ولذلك فان الاستعمار يحاول أن يحول دون أن يجتمع العالم الإسلامي على لسان واحد هو اللغة العربية . وعند الإمام الشافعي أن العلم بالعربية كالعلم بالسنن ولذلك فقد تعالت الصيحات منذ وقت بعيد بالدعوة إلى أن لغة القرآن هي لغة العالم الاسلام وبحسبان أن اللغة العربية هي (إسبرانتو الشرق) . ومن هذه الصيحات صيحة وشيد رضا في العقد الثاني من هذا القرن بدعوة المسلمين إلى استعمال لغة واحدة بينهم ، هي اللغة العربية لغة الاسلام ولغة القارة الأفريقية الشالية عن الغرب إلى الشرق وشرق آسيا المشرقية من البحر الأحمر إلى خليج فارس ، هذه اللغة التي يتلقى بها المسلمون الثقافة الإسلامية على جميع الأقطار . «ولما كان الإسلام دين التوحيد» ديناً عاماً لجميع البشر ، وكل من

مقاصدة أن يؤلف بينهم ، فرض عليهم توحيد اللغة فخرجت هذه اللغة عن أن تكون لغة شعب واحد منهم ولولا ذلك لم تؤثرها جميع الشعوب الإسلامية على لغاتها حتى عم انتشارها في المشرق والمغرب مع الاسلام . « ولسنا هنا في مجال عرض المؤامرات التي قامت من أجل القضاء على اللغة الفصحى ، وذلك عن طريق دعم العامية أو بعث الحروف اللاتينية وقد واجه كتاب الاسلام والعرب وعلمائها هذه الحملات بابرار الحقائق ودخض الشبهات حتى أن بعض المستشرقين أيدوا الاتجاه العربي الاسلامي وفي مقدمتهم كارلو ا. نلينو الذي أكد أن الحروف اللاتينية لا تصلح للكتابة العربية حين قال : « قد حفظ الخط العربي للآن وحدة اللغة العربية ، حيث أن الحروف اللاتينية مبنية على أساس أن صوت الحرف واحد غير متبدل ، أما في العربية فهناك أصوات لكل حرف لا سيما فيما يختص بالحركات . فإذا تغير الخط العربي بالخط اللاتيني أصبحت النتيجة خطيرة للغاية ، فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التي خلقتها الآداب الاسلامية في الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وغيرها وكلها مدونة بالخط العربي . « وفي العصر الحديث جرت محاولات كثيرة متعددة في سبيل دفع اللغة العربية إلى مكانها الأول في العالم الاسلامي : بحسبانها لغة القرآن : لغة عالمية لجميع المسلمين مع وجوب تعلمها وتعليمها . وفي مقدمة ذلك القرارات التي اتخذتها المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في القدس وباكستان وغيرها من العواصم الاسلامية بأن تكون اللغة العربية لغة دولية في العالم الاسلامي . تتفاهم بها الدول الإسلامية في مكاتباتها . ولذلك فلا بد أن تكون مادة إجبارية تدرس في مدارس العالم الاسلامي كله . غير أن عقبات كثيرة وقفت دون هذا الهدف ، فما يزال النفوذ الأجنبي وقوى التبغريب والتبشير والشعوبية تسيطر على كثير من الجهات التي تحول دون تحقيق هذا الهدف . وقد واجهت اللغة العربية في شمال أفريقيا وفي الأقطار التي احتلها فرنسا (تونس - الجزائر - المغرب) محاولات متعددة للقضاء عليها ، أما في الجزائر فقد كان الأمر أشد خطورة حيث كادت اللغة العربية أن تمحي محواً تاماً ، حتى أتيح لجمعية العلماء الجزائرية وقادتها : عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي وغيرهم ، أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاثمائة مدرسة اقيمت في المساجد على نحو بارع استطاع أن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه وقد كان لهذا العمل المخطير أبعد الأثر في التحول التاريخي الذي شهدته الجزائر وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي « جاك بيرك » حين قال : « إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب

هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية (الفصحى) بالذات ، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا ، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الاصاله الجزائرية وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملا قويا في بقاء الشعوب العربية . « ا. هـ

اللغات الاسلامية واللغة العربية

في الباكستان والهند الإسلامية

كانت اللغة العربية في الهند الإسلامية هي لغة الثقافة ولغة الدين ، بالإضافة إلى اللغة الفارسية التي كانت حصيلتها وحروفها عربية ، وكانت اللغة الفارسية في الهند هي اللغة الرسمية طوال العصور الإسلامية وكانت تحمل في طياتها ذخيرة هائلة من التراث العربي . ثم كانت اللغة الأردية الغالبة في المناطق الإسلامية فقد حملت الثقافة الإسلامية قرابة تسعة قرون وذخرت بالكلمات العربية والفارسية ، ولما كان في القارة الهندية (التي انقسمت من بعد إلى الهند والباكستان) نحو اثنين وثلاثين لغة مستقلة عن الأخرى لأن كل لغة إقليم لا يعرفها إقليم آخر ، بينما كانت اللغة الأردية غالبة على مجتمعات المسلمين ، وكان هناك عدد كبير يتكلمون اللغة العربية الفصحى ، منهم من يجيدون الخطابة بها ويحفظون أشعار شعرائها ومنهم من يقرأها ويكتبها كما كان هناك مؤلفون بالعربية في الفقه والتفسير والحديث وكانت هناك معاهد كثيرة في أنحاء الهند الإسلامية تجرى فيها الدراسة باللغة باللغة العربية . غير أن الموقف قد تغير تغيراً شاملاً بعد الاحتلال الانجليزي للهند فقد جعل الانجليز في مقدمة أهدافهم تجميد اللغة العربية والحيولة دون قيام لغة واحدة للمسلمين والهندوس وفرض اللغة الانجليزية للهند كلها وإعلانها لتصبح اللغة الأولى الجامعة للهند كلها . وقد تحقق ذلك خلال فترة احتلال الهند الطويلة إلى أبعد حد فقد قرر حاكم الهند لورد دويسلي عام ١٨٠٠ إنشاء كلية (فور كوليم) في مدينة كلكتا بالهند وأسند مهام إدارتها إلى المستشرق الدكتور دان جيكرست وقد تولت أول الأمر تدريس العربية والسكريتي والأردية والبنغالية بالإضافة إلى الانجليزية واللاتينية واليونانية . ثم لم تلبث أن قصرت مهمة هذه الكلية على اللغات الشرقية «حيث حاول الانجليز لأول مرة في تاريخ الهند بذور الشقاق بين المسلمين والهندوس ، لأنهم شرحوا لهم عن طريق خططهم المدبرة أن كلا من المسلمين والهندوس هما حضارتان مختلفتان ، وثقافتان متباينتان ، مستقلتان ، وعلى هذا الأساس فقد دفع الانجليز

الهندوس إلى رفض اللغة الأردية كلغة موحدة للهند وجعلوا حجتهم التي ترضى الهندوس بإثارة القومية الهندية القديمة على أساس أن الأردية لغة إسلامية وحاملة للفكر الاسلامي ومن هنا فلا بد من إيجاد لغة هندية للهندوس يشتقونها من نفس اللغة الأردية مع شطب الحية الكبيرة من الكلمات العربية والفارسية وحروفها من ناحية وإخراجها من اللغة وإدخال كلمات سنسكريتية وحروفها من ناحية أخرى وهذا شكل الانجليزية لغة جديدة للهندوس ، تكون بمثابة لغة القومية لهم وقسموا هذه الكلية إلى دراسة لغتين : الأردية والهندية وأسندت مهام الرئاسة للغة الأردية إلى أستاذ مسلم ومهام الرئاسة للغة الهندية إلى كهنوت هندي . وتطورت هذه المؤامرات حتى أصبحت بمرور الأيام مثار خلاف بين الهندوس والمسلمين وبذلك تكونت في مستهل القرن التاسع عشر لغتان مع أنها لغة مشتركة واحدة وقد كان من نتيجة ذلك أن شعر الهندوس بأنهم تحرروا من سيطرة المسلمين ولا بد لهم أن أن ينفضوا عنهم جميع الآثار الاسلامية التي رسخت بهم طوال القرون الماضية وتغلغت في نفوسهم ، وظهر هذا الشعور من النفور من مظهر اللغة المشتركة فبدأ ينفرون من اللغة الأردية لأنها حافلة بالآثار الاسلامية وأنشأوا لغة جديدة هي « الهندية » وكرسوا لإحيائها ونشرها جميع جهودهم وطاقاتهم ، كما أخرجوا جميع الحروف العربية والفارسية التي كانت تستخدم في اللغة الأردية من بعض الولايات التي كانوا يتمتعون بها بأغلبية ساحقة ، ثم وجهوا عناية كبرى إلى الأدب الهندي القديم وإحيائه وإتخاذة نبراساً لمستقبل اللغة الهندية ، ثم كان أن فرض الهنود « اللغة الهندية » لغة مشتركة على المسلمين . وقد اتسع هذا الخلاف بعد إنشاء دولتي الهند وباكستان وظهر الخلاف بين المسلمين حين اتجه الرأي إلى إتخاذ الأردية اللغة الرسمية ذلك ، لأن باكستان الشرقية تتكلم اللغة البنغالية ، وباكستان الشرقية أقرب إلى الهند منها إلى باكستان الغربية كما أنها تتغذى بالإنتاج الفكري للهندوس البنغالية بدلا من الأردية ، لذلك رفضت باكستان الشرقية (الأردية) لغة رسمية وحيدة لدولة الباكستان . أما باكستان الغربية فهي أكبر معقل للفكر الاسلامي وفيها ظهر (إقبال) وفيها ولاية (السند) التي بدأ فيها الاسلام الضخم وحيث أبناء باكستان الغربية الذين يمتازون بأصالتهم في الاسلام والإنتاج الضخم في الفكر الاسلامي . ومما يتصل بهذا التحول الخطير أن غاندي زعيم الهندوس كان قد أعلن أنه من الخير لسكان الهند ألا يلجأوا إلى اللغة الأردية لأنها تكتب بأحرف القرآن وهو كتاب المسلمين وحدهم وعلى الهند أن تختار اللغة المحفوظة

عن الأمهات فقط وهي اللغة السنسكريتية . وقد عارض المسلمون ذلك الرأي وقالوا إن لغة الأمهات هي اللسان العربي المبين ، وكان الهدف التغييبي يرمى إلى تذويب المسلمين مع الهندوس في اللغة السنسكريتية ، تعصباً ضد الأردية التي تحمل الثقافة الإسلامية وضد العربية وفتحاً للطريق أمام اللغة الانجليزية التي سيطرت على الهند كلها بعد الاستقلال . وترجع صلة الثقافة الإسلامية باللغة الأردية إلى مدى تسعة قرون وإن لم تبلغ اللغة الأردية مكانة واسعة في الهند الإسلامية بعد آلت دولة المغول إلى الزوال ، واندثرت لغتها (الفارسية) في أوائل القرن التاسع عشر ، حيث تركزت عناية المسلمين على اللغة الأردية وحظيت بعناية الشعراء والكتاب ، وبفضل التأليف بها والترجمة إليها أصبحت سهلة ميسرة عذبة في أسلوبها ، وترجع غزارة مادة اللغة الأردية إلى اتصالها بالثقافة الإسلامية فقد ترجمت إلى الأردية أمهات الكتب الفقهية للمذهب الحنفي وأمهات كتب السنة ومنها (الموطأ والبخارى ومسلم) . وقاد هذه النهضة أعلام المسلمين الذين أخذوا بنصيب موفور من الثقافة العربية ، ويعتد العلامة شبلى النعماني ومدرسته في لكتو ودار العلوم بها وندوة لكتو وخريجها الأفاضل الذين عرفتهم الصحافة العربية وعرفهم ميدان التأليف من أقدر من كتبوا باللغة العربية كما كتب بها عدد كبير من الأعلام . وفي اللغة الأردية تراث إسلامي حديث قدمته أقلام كثيرة في مقدمتها الطاف حسين الذي صور بالشعر قضايا المسلمين والحرية ودعا إلى أدب القوة وهاجم الجبرية ومن أبرز إنتاجه قصيدة (مسدس حالي) حيث يروى الحضارة الإسلامية ومجدها ويصور تخلف المسلمين وأسباب انحطاطهم ذاكراً لأسباب النجاح وعوامل التقدم حاثاً المسلمين على إعادة مجدهم ومسائرهم موكب الحضارة الحديثة وتفوقهم في العلوم المعاصرة . وتدرس اللغة العربية في الجامعات الإسلامية الهندية وباكستان كلفة أكاديمية لنيل الشهادات العليا في الآداب وقد غنى بها الكثيرون باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف كما أعد بعض الباحثين دراسات مقارنة مشتركة بين اللغة العربية واللغة الأردية مثل محمد حسن الأعظمي صاحب المعجم الأعظم الجامع بين اللغتين العربية والأردية ويوجد في حيدر أباد الدكن مركزاً هاماً لنشر العربية حيث يوجد مائة ألف أو يزيد من العرب ويوجد بباكستان مئات الألوف من دارسي اللغة العربية وفي باكستان الشرقية نصف مليون تلميذ يدرسون العربية ولا شك كان للغة العربية تأثيرها الواضح في مختلف اللغات الهندية بصفة عامة وخاصة اللغة السنندية عن طريق الجيوش العربية التي دخلت السند بقيادة محمد

ابن القاسم (٩١ هـ) وتوسع سلطانهم فيما بعد إلى ملقان وما جاورها حتى أصبحت العربية في السند لغة التخاطب وما تزال السندية تكتب بالخط العربي وتضم مفردات عربية تتجاوز الحصر ويرى الباحثون أن تأثير اللغة العربية غير المباشر في اللغات الهندية إنما يأتي عن طريق الفارسية التي غمرتها العربية مادة واشتقاقاً وغلبيتها نفوذاً وانتشاراً. أما اللغة الأردية فقد تأثرت باللغة العربية تأثراً كبيراً ، والكلمات العربية في الأردية تفوق عددها في الفارسية وتتراوح نسبتها بين عشرون وستين في المائة وتبلغ الكلمات العربية في الأردية عشرات الألوف وتتراوح الألفاظ العربية في جميع لغات باكستان المحلية بين ٣٠ و ٦٠ في المائة وهي الأردية والسندية والبنغالية والبلوشية والكشميرية والبشتية ومعظمهما يكتب بالخط العربي وقد كان لقيام دولة الباكستان الأثر البعيد في إحياء اللغة العربية فقد تأكد أنه إذا كانت الأردية لغة رسمية للباكستان إلا أن اللغة العربية هي لغة الثقافة الإسلامية ، وقال «اقبال» إنه إذا استثنينا اللغات الأوروبية فلا مستقبل لأي لغة شرقية غير اللغة العربية . والواضح أن المسلمين في الهند يتلهفون على اللغة العربية كلغة لهم ، والبنغاليون شديداً الاقبال على تعلم العربية . وقد علت صيحة (أغاخان) بالدعوة إلى اتخاذ اللغة العربية لغة أساسية للباكستان بدلا من الأردية . وقد خطت باكستان خطوات واضحة في هذا الشأن ، فقد قرر المؤتمر الإسلامي في كراتشي (١٩٥١) باتخاذ اللغة العربية لغة دولية في العالم الإسلامي تتفاهم بها الدول الإسلامية في مكاناتها الرسمية (باكستان- إيران- تركيا- أندونيسيا) وإنشاء معهد لتعليم اللغة العربية في كل من باكستان وأندونيسيا . وأكد كثيرون من مفكرى الباكستان بأن معرفة اللغة العربية أمر ضروري جداً لكي تتخذ «الوحدة الإسلامية» صورتها العملية أنه ليس في مكتبة العالم الإسلامي أن يحكم اتصالاته وأن يدعم روابطه إلا إذا اتخذ اللغة العربية لغة مشتركة ومن الضروري أن تتخذ الحروف المطبعية حروفاً للغات الإسلامية وفي سبيل دعم هذه الغاية قامت دولة الباكستان عام ١٩٤٨ بإعادة الحروف العربية إلى اللغة البنغالية حتى تزيد التقارب ، عن طريق جمعية حروف القرآن الثقافية وإن كان هناك بعض دعاة التغريب الذين دعوا إلى استعمال الحروف اللاتينية للغة الأردية بدلا من الحروف العربية كما حدث في تركيا وفي أندونيسيا ويعلق كثير من الباحثين أهمية كبرى على استعمال حروف لغة القرآن لكتابة اللغات الإسلامية المختلفة مما يزيد قوة الروابط الثقافية ، خاصة وأن المسلمين جميعاً يشتركون في لغة واحدة هي لغة القرآن الكريم وتجري الدعوة

في تركيا إلى استعادة تعلم اللغة التركية بالحروف العربية حتى تتمكن الأجيال الحاضرة والقادمة من قراءة التراث الاسلامي التركي الفنى المكتوب بالحروف العربية ولا يزال هذا الاتجاه . «استعمال حروف القرآن لجميع لغات المسلمين» ركنية هامة من ركائز الوحدة الاسلامية الفكرية .

اللغة الأندونيسية واللغة العربية

اللغة السائدة في أندونيسيا هي لغة الملايو ويسمونها اليوم «اللغة الأندونيسية» وهي لغة التعليم في المدارس الأهلية ، إسلامية كانت أو حرة . وقد كانت هذه اللغة بعد دخول الاسلام إلى أندونيسيا تكتب بالحروف العربية ، بعد أن كانت تكتب بالحروف الأندونيسية القديمة التي لا تزال موجودة حتى اليوم ، وتكتب بعض اللغات الاقليمية في أندونيسيا مثل الجاوية ولغة سوندا في جزيرة جاوة ، وقد ظلت اللغة الملاوية تكتب بالحروف العربية خلال ستة قرون كاملة . غير أن النفوذ الاستعماري الهولندي الذي سيطر على أندونيسيا أكثر من مائة عام كان له أثره البعيد المدى في إلغاء الحروف العربية عن الأندونيسية وكتابتها بالحروف اللاتينية غير أن هذا التحول اللغوي الخطر لم يقلل من أهمية الثقافة العربية بحسبان أن العربية هي لغة الدين والقرآن . وقد ظلت اللغة الأندونيسية تكتب بالحروف منذ دخل الاسلام أرخبيل الملايو فعاشت تترجم إليها الكتب الفارسية والهندية والعربية وتقدمت دراسة اللغة فألف بها كثير من العلماء . وأثر اللغة العربية ما زال قائماً في اللغات في الملاوية حيث تجد آلافاً من الكلمات العربية . «وقلما يتكلم إنسان في الملاوية جملة واحدة دون أن يلفظ بكلمة عربية وتأثير العربية في الملاوية أكبر وأقوى من تأثيرها في لغات أندونيسيا الأخرى : الجاوية والسوندانية وقد ألف بعض العلماء الأندونيسيين كتباً باللغة العربية منهم العالم السومتری الشيخ خطيب فنانكبوا والشيخ محفوظ .

حاضر اللغة العربية في أفريقيا

دخلت اللغة العربية إلى القارة الأفريقية قبل الاسلام وتركت آثارها في لغات الحبشة والصومال وزنجبار ثم انتشرت اللغة العربية في أفريقيا كنتيجة طبيعية لانتشار الاسلام واعتناق شعوب البلاد له . وامتدت على أيدي العلماء والفقهاء . وأصبحت بعد توقف التوسع لغة الأقطار الكبرى شمال الصحراء ، وتركت طابعها الواضح على لغات باقي الأقطار

والأجناس. وقد قامت المساجد التي أنشئت والكتاتيب والزوايا بتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، ويؤكد أغلب المؤرخين على أنه في القرن الرابع الهجري (١٠م) تغلغت الثقافة العربية في أفريقيا (الغربية) وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب في المراسلات الرسمية للكون الأفريقية الإسلامية بالإضافة إلى أنها كانت اللغة المستعملة في التجارة التي كانت بدأت في العرب وكان للعرب في عاصمة غانة القديمة اثني عشر مسجداً ألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم اللغة والفقه الإسلامي ، ثم أصبحت اللغة العربية لغة التدوين في شتى أنحاء القارة وأن السلاطين الأفريقين كانوا يتحدثون العربية وكذلك الأمراء الأفريقيون يستعملونها في مكاتباتهم الرسمية وقد عقدوا معاهداتهم مع المستعمرين بالفرنسية والعربية ، وقد اضطلع به السلطان موسى الأول صاحب مالي ١٣٣٢ م. من القاهرة بعد مقابلة محمد بن قلاوون عدداً من الفقهاء والعلماء ، كما أرسل هذا السلطان البعوث العلمية إلى القاهرة وأقام علاقات طيبة مع المربين في فاس ، وقد عاد المتعلمون في هذين البلدين ليصلوا في القضاء وفي إقامة المساجد وأصبحوا نواة للمراكز الثقافية الإسلامية في بناني، عاصمة مالي وكوسى صالح عاصمة غانا وفي تمبوكتو ودينية في النيجر الوسط. وكان قوام هذه المراكز الثقافية الإسلامية ، وكان القرآن هو المحور الأساسي الذي تدور حوله علوم التفسير والقراءات والفقه والنحو والصرف . وكانت اللغة العربية الوحيدة المستعملة في التكلم ، وقد امتد أثرها إلى اللغات الأفريقية المحلية التي كتبت بحروف عربية ، أو تسربت إليها بعض الكلمات العربية ، ويوجد في مكتبة المعهد الفرنسي في دكار منذ عام ١٩٠٠ أكثر من ثلاثمائة مخطوط باللغة العربية وهي قسم مما استولى عليه المستعمرون الفرنسيون أثناء احتلالهم للسودان (جمهورية مالي حالياً) عام ١٩٨٣ وقد سرق الفرنسيون جميع المخطوطات التي كانت في حوزة السلطان أحمد بن الحاج عمر وقد ساهمت الطرز الصوفية في إنشاء أعداد كبيرة من المساجد والكتاتيب ونشرت بعض العلوم الحربية باسم الجهاد والمقاومة للنفوذ الاستعماري ، في السنغال ظهرت في القرن الخامس الهجري (١١ م) « الرباط » وهو مدرسة دينية - عسكرية ثقافية ومستشفى ودار للمسلمين ، فلما احتل الفرنسيون مالي أغلقوا (١٣٩ م) «معهدياً» وكثيراً من المكتبات ، ونقل الفرنسيون محتوياتها إلى فرنسا . وقد صور هذه المرحلة فرنسيس مور في كتابه «رحلات إلى ريوع أفريقيا» الصادر عام ١٧٣١ : حين قال : في كل بلد من جانبي النهر (نهر كاتينا) توجد جماعات ذات بشرة سمراء تدعى القيلي أو القلا وهم يشبهون العرب ومعظمهم يتكلم

اللغة العربية لأنهم يتعلمونها في مدارسهم ولأن القرآن وهو أيضاً شريعتهم مكتوب بهذه اللغة . وأشار توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) إلى اللغة العربية وهي لغة الديانة الإسلامية قد بلغت جداً يفوق كل وصف بل إنها أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة الأفريقية وهي إلى ذلك لغة شريفة مكتوبة ، كما أشار أرنولد إلى التقرير الذي عرض على مجلس العموم البريطاني عام ١٨٠٢ . والخاض بمستعمرة سيراليون وقد جاء فيه : « إنه منذ سبعين عاماً استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في الشمال من سيراليون فتحو مدارس تدرس فيها اللغة العربية والعقائد التي جاء بها « محمد » وجروا على عادة المسلمين في عدم بيع أبنائهم دينهم بيع الرقيق وقد أقاموا لأنفسهم شرائع استخرجوها من القرآن وجلبوا إلى البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة وقد تمتع المتعلمون بكثير من الاحترام ، ثم أصبحوا معلمين يسجلهم الناس بعد أن يعودوا مزودين بالعلم الكثير من مساجد القيروان وقاس وثلمسان وطرابلس والأزهر » . وقد أشار شاريت كانيا المؤرخ الفرنسي في كتابة تاريخ أفريقيا : « إن أهم ما يعتمد عليه في تاريخ أفريقيا هي المصادر العربية التي ألفت في هذه الفترة (القرن ١٦ و ١٧ الميلادي (١٠ - ١١ هـ) باللغة العربية لمؤلفين أفريقيين هما عبد الرحمن السعدي (كتاب تاريخ السودان) ومحمود كاتي : ويقول انتاروب : لقد تغلغل العرب إلى أفريقيا السوداء سليماً وأثروا في الأفريقيين دينياً وفكرياً وكانوا على وفاق مع العرب » .

٢ - توسعت العربية وسيطرت بحكم أنها لغة الإسلام على عديد من اللغات الأفريقية : (الهوسا ، الماندينجو ، الوولوف ، السواحلية ، الصومالية ولغات النيجرة والدنا كل في أثيوبيا وأرتيريا ، وما بقي من هذه اللغات) فقد استعار الكثير من الألفاظ العربية وخاصة الألفاظ الخاصة بالشرائع والنظم الإسلامية ، وكان لانتشار التجار العرب في الأسواق التجارية أبعد أثر ، وكذلك إنشاء الخلوات والكتاتيب ومعظم هذه اللغات كانت تكتب بالحروف العربية ، وقد تداخلت العربية والسواحلية حتى أن ٣٠ في المائة من مفردات السواحلية من الكلمات العربية مباشرة . واللغة السواحلية أكثر اللغات انتشاراً في شرق أفريقيا وتمتد المنطقة التي تتكلم اللغة السواحلية فتشمل زنجبار والمناطق الساحلية في كينيا وتنجانيقا وتمتد في الداخل حتى المناطق الشرقية من حوض الكونغو . وقد دخلت إليها الألفاظ العربية وانصهرت فيها . وفي مستعمرات شرق أفريقيا البريطانية (كينيا وتنجانيقا وزنجبار يكتبون السواحلية بحروف عربية) فقد عمد الاستعمار إلى دفع هذه القبائل إلى استعمال الحروف اللاتينية في كتاباتهم .

بدلاً من العربية . وجميع اللهجات الأفريقية الموجودة في غانة والسنغال ونيجيريا والكونغو البلجيكي ويوغندا وتنزانيا وكينيا وزنجبار قد طعمت باللغة العربية على مر العصور ، والعربية في جميع هذه المناطق هي لغة القرآن والثقافة وتنتشر فيها كتابات تحفيظ القرآن وتنتشر بين قبائل الطوارق وشعب الهوسة وفي أنحاء نيجيريا وبحيرة تشاد ، وهم الطوارق - التي لها لهجتها - باللغة العربية ومعها فقهاؤها الذين يعلمون أطفالها القرآن والحديث ، وللهوسة أيضاً لغتهم الخاصة التي هي تحريفٌ للألفاظ العربية وفي مقدمتهم (كانوا-كادونا) حيث تنتشر المدارس التي تعلم اللغة العربية . وإقليم تشاد عريق في ثقافته الإسلامية ، ومن أهل هذا الإقليم كثير من علماء اللغة والدين الذين تركوا مؤلفات لها قيمتها في الفقه والتفسير ومعظم قبائل الدينكا والشلوك والنوير والباريا والزاندي رطانتها عربية فيها حروف الحلق وخاصة العين والحاء ، وجوهر الكلام عربي يحتاج إلى جهد صادق لكي يتجلى عن عربية قد تماثل عربية المغرب الأقصى . وشعوب البانتو تتكلم لغة تعتبر فرعاً مباشراً من اللغة العربية ومن اللغة السواحلية وهي في مجموعها أقرب اللغات إلى الرطانة العربية في السودان الجنوبي ولكنها تمتاز عن تلك الرطانة بأنها لغة مكتوبة (٣) وترتبط اللغة العربية في أفريقيا بالثقافة العربية والفكر الإسلامي ، وهي تستند أساساً إلى القرآن وعلومه ، مما يعطيها شخصية متميزة من العسير أن تذوب في مؤثرات الثقافات الأخرى ، وهي قوية بالنسبة للثقافات الأفريقية الساذجة التي يستطيع الإسلام أن يصهرها في بوتقة . ومن هنا فإن حرص الاستعمار على اضطهاد اللغة العربية ، إنما كان يهدف إلى القضاء على الثقافة العربية المستمدة من الفكر الإسلامي بمقوماته وشخصيته . وقد اتبع كل من هذه القوى الاستعمارية خطة مختلفة في ظاهرها ، ولكنها تلتقي عند هدف موحد هو صرف الأنظار عن تعليم اللغة العربية ، إلى تعليم لغاتهم الأجنبية . فالفرنسيون اتبعوا سياسة مباشرة في القضاء على اللغات المحلية واللغة العربية على حد سواء وهدفهم هو امتصاص الشعوب وفرنستها فأهملوا المحلية والعربية وقصروا التعليم على الفرنسية في المدارس وأقروا اللغة الفرنسية أيضاً كلغة رسمية في المصالح والشركات الانخراط في الوظائف على الملمين بالفرنسية ، وكذلك اتبعت بلجيكا والبرتغال ذلك في مستعمراتها . أما الإنجليز فقد هدفوا إلى إيقاف تيار الثقافة العربية وتأثيرها بإحياء الثقافات الأفريقية الأصلية وصبغها بصبغة قبلية تساعد على إثارة العصبية والقوميات المحلية المحدودة في نطاق قبلي ، هادفين من إحياء هذه الروح إقامة سد في وجه انتشار الثقافة العربية التي

يعدونها خطراً على نفوذهم ومصالحهم الاستعمارية . وقد عمد الإنجليز إلى تشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين وعلماء اللغات ، وتكوين لغات جماعية لمواجهة احتياجات التعليم بحيث توضع لغات جديدة مختارة تطعم ببعض الألفاظ من لغات أخرى قريبة منها أو لهجات من نفس اللهجة . وعندما تقوم المحاولات لإيجاد لغات أفريقية شبه موحدة ، يتجه الرأي إلى اختيار إحدى اللهجات ويجرى إحياءها وتقليبها على سائر اللغات بترجمة الكتاب المقدس إليها وتعليمها في المدارس ، مع العمل على تشجيع اللغة الإنجليزية المحلية (Pidgin English) كتمهيد لسيادة اللغة الإنجليزية . وتعد اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم في مختلف المدارس العالية تدرسها تلك الصفوة التي يختارها المستعمر ليعملها لشغل الوظائف البسيطة في المصالح والشركات . ويتصل بهذا - في سبيل تجميد اللغة العربية وإيقاف نموها - إبعاد الذين يتخرجون من المدارس العربية وعدم تقديم العون للتعليم العربي وعدم الاعتراف به ، وذلك كوسيلة للضغط على المسلمين للاتجاه إلى المدارس التبشيرية والمدارس الاستعمارية حتى يقفوا في أخطبوط التغريب والاستعمار . وهكذا كان للنفوذ الاستعماري في القارة الأفريقية الذي امتد خلال قرن كامل أثره العميق في إيقاف نمو اللغة العربية التي كان انتشار الإسلام ذاتياً في أفريقيا عاملاً هاماً في انتشارها وذلك بإدخال اللغات الأوروبية وإحياء اللهجات المحلية . ونظراً لتعدد اللغات الأفريقية الوطنية ، فقد أصبحت اللغات الأوروبية هي لغات التفاهم العامة ، وما تزال اللغة عاملاً هاماً في مخطط الاستعمار للاحتفاظ بسيطرته الثقافية على عقول الأفريقيين واتجاهاتهم . ففرنسا تعمل على خلق أجيال من المتحدثين بالفرنسية ، وبريطانيا تدرب المدرسين في إنجلترا تدريباً خاصاً ثم تبعث بهم إلى هذه الأقطار الأفريقية (أبريل ١٩٥٣ : درب ١٦ ألف مدرس) . وفي مناطق كثيرة حال المستعمرون بصورة عامة بين المسلمين والتعلم إذ كانوا يشترطون على المسلم أن يغير اسمه إلى اسم لاتيني ويشرطون حضور الصلوات في الكنيسة ودراسة التاريخ الاستعماري . (٤) وقد عمدت بريطانيا في شرق أفريقيا إلى إحياء اللغة السواحلية لإيقاف اللغة العربية التي كانت تنتشر مع انتشار الإسلام ومع تزايد عدد العرب المهاجرين إلى هذه المناطق ، وبذلك صرف الناس عن اللغة العربية وأدخلت اللغة السواحلية في التعلم . ولما كانت كتابة السواحلية باللغة العربية عاملاً هاماً في ربط الساحلية بالثقافة العربية فقد انبعثت الدعوة إلى كتابة اللغة السواحلية بالحروف اللاتينية عام ١٩٣٢ ووضعت الأسس والقواعد لكتابتها بالحروف اللاتينية

وتم ذلك عام ١٩٤٨ . وصدرت عشرات الكتب المدرسية باللغة السواحلية الحديثة . وفي شرق أفريقيا عمدت بريطانيا إلى القضاء على الثقافة العربية التي تقوم على نظام الحصص القرآنية وذلك لإفساح الطريق أمام اللغة الإنجليزية فوضعت خطة لإحلال اللغة الإنجليزية تدريجياً في زنجبار وكينيا وتنجانيقا . كما جرى تطعيم اللغة السواحلية بالألفاظ الإنجليزية لإيجاد لغة أفريقية إنجليزية مختلفة (٥) وبالرغم من هذه الحملات العنيفة المشهورة على اللغة العربية والحرف العربي في اللهجات واللغات الأفريقية ما زالوا يرون أن اللغة الإنجليزية أو الفرنسية غريبة عنهم وأنها لغة المستعمر ، وما يزال إقبال أهالي شرق أفريقيا على اللغة العربية وإن قلت فرص تعلمها ، وهم يقيمون عليها باعتبارها لغة القرآن . وهم يطلقون عليها (ريباني قرآني) أي لسان القرآن لأنها لغة العقيدة : « الإسلام » . وقد استطاعت الشعوب القريية من المغرب أن تستقدم المعلمين وحفظة القرآن الكريم وخاصة شعب غانا والسنغال . وما تزال اللغة العربية في أفريقيا أصح اللغات لتحقيق وحدة التماره الأفريقية وهي منتشرة في أنحاء كثيرة من القارة وبخاصة بين المسلمين الذين يسكنون في جهات كثيرة من أفريقيا فيما يلي الصحراء وستظل اللغة العربية طلبة المسلمين في أفريقيا خاصة حيث يوجد أساس من اللغة العربية في أكثر اللغات الأفريقية ، نتيجة العقيدة الإسلامية والاحتكاك بالعرب قبل الاستعمار ، ولا زال هناك إقبال عارم لدى الشعوب الأفريقية على تعلم اللغة العربية لإعادة صلاتها بالعالم الإسلامي ، والأمة العربية ، وتركز أفريقيا كثيراً على جامعي الأزهر والقرويين . وقد أجرى الباحث العربي المسلم العلامة محمد عبد العزيز إسحق (رحمه الله) تحقيقاً حياً في هذا المجال فوصل إلى حقائق أساسية تتمثل في ترحيب شعب غانا ترحيباً عظيماً بالثقافة العربية والدين الإسلامي وكذلك القسم الإسلامي من نيجيريا وأقرب الأقطار العربية إلى نيجيريا هي ليبيا ، وفي السنغال المجاورة لششنيقيط - مصدر الإشعاع القديم - تستمد من المغرب المعلمين وحفظة القرآن ، وفي إقليم تشاد تسود الثقافة العربية القديمة والأزهر حافل بأبناء تشاد ، ويجري تعريب المناطق الشاسعة من السودان الغربي والجنوبي ، وفي مناطق السواحلي يتم إنشاء سلسلة من الكتاتيب والخلوات ومعاهد تدريب المعلمين على حدود السودان الجنوبي الغربي .

الباب السادس

الاستعمار والعالم الاسلامى

(١) الاستعمار

واجه « العالم الإسلامى » على مجرى تاريخه الطويل تحديات متصلة من القوى المعارضة لم تتوقف . فقد كان الوجود الإسلامى الذى تشكل بظهور الإسلام خلال القرن الأول الهجرى عاملاً هاماً فى تحرك قوى الدولة الرومانية - التى كانت تحتل بعض الأجزاء التى سيطر عليها الإسلام - بالمناوشة والغزو على خطوط الحدود بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية . وقد امتدت هذه المناوشات زمناً طويلاً ، وظلت أوروبا تغلبها دون انقطاع ، فلما آن للدولة البيزنطية أن تضعف ، وتفقد مقوماتها فى مهاجمة أطراف العالم الإسلامى تدافعت أوروبا فى مغامرة ضخمة شرسة تحت علم الحروب الصليبية لغزو العالم الإسلامى باسم تحرير بيت المقدس من سيطرة المسلمين . وقد اتصلت هذه الغزوات قرنين كاملين ، فى نفس الوقت الذى تدافعت فيه قوى الفرنجة من فرنسا والبرتغال إلى استعادة « أسبانيا الإسلامية » الأندلس ، وقد جرت المعارك فى الميدانين فى وقت واحد ، غير أن قوة غازية أخرى لم تلبث أن اندفعت للسيطرة على العالم الإسلامى ، تلك هى قوة المغول والتتار ، التى اجتاحت المشرق واندفعت حتى التقت بالقوى الصليبية فى محاولة لوضع العالم الإسلامى بين شقى الرحى . وانتهت هذه الصفحة أو كادت بانتهاء الحملات الصليبية وعودتها على أعقابها وانصهار القوات التتارية المغولية فى بوتقة الإسلام ، ثم لم تلبث أن ظهرت القوة الإسلامية التركية شامخة لتحمل العالم الإسلامى من محاولات الغزو الأوروبى المتجددة فظلت صامدة تحرس شواطئ البحر الأبيض والأمة العربية فى نفس الوقت الذى تدافعت القوى الأوروبية التى استعادت الأندلس إلى مهاجمة الساحل الغربى لأفريقيا والتوغل فيها وذلك وفق خطة عرفت من بعد أنها تهدف إلى تطويق العالم الإسلامى كمقدمة للسيطرة عليه واحتلاله . وبذلك تكون حركة « الاستعمار الحديث » قد بدأت من نقطة سيطرة الدولة العثمانية على (القسطنطينية) قلعة الدولة الرومانية الشرقية وسقوط آخر معاقل الإسلام فى الأندلس (قرطبة) فى أيدي الفرنجة عام . فقد اندفعت

أوروبا على أثر ذلك في عملية غزو جديدة للعالم الإسلامي ، تعارف الكتاب من بعد على إطلاق كلمة (الاستعمار) عليها ، وهي حلقة جديدة ومرحلة متصلة بالحروب الصليبية القديمة ، وآية ذلك أن اللورد اللنبي بعد أن دخلت القوات البريطانية إلى القدس سنة ١٩١٨ قال كلمته الموحية بهذا المعنى « الآن انتهت الحروب الصليبية » . وقد حفظت النصوص والوثائق مضامين رسمية تثبت كيف أن خطة الاستيلاء على العالم الإسلامي كانت أمراً متصلاً لم تتوقف أوروبا والغرب عن التفكير فيه والسعى له والعمل لتحقيقه خلال هذه المرحلة الطويلة التي تزيد على سبعة قرون ، وكان هذا هو الخلفية الطبيعية للتصريح الخطير الذي ألقى به اللورد اللنبي محاولاً أن يؤكد أن هزيمة الحروب الصليبية وإجلائها من العالم الإسلامي لم يكن هو نهاية الجولة في ذلك العمل الدائب الذي استمر قروناً طويلة منذ خرجت القوات البرتغالية والأاسبانية للسيطرة على سواحل أفريقيا إلى أن تم ذلك اليوم . وكأنا قد استطاعت أوروبا المسيحية أخيراً أن تهزم القوى الإسلامية وأن تستعيد (بيت المقدس) إلى نفوذها من جديد ، وإذا كانت أوروبا المسيحية قد استعادت بيت المقدس بالسيطرة على العالم الإسلامي فإن الصهيونية العالمية كانت تدفع هذا العمل بقوة في سبيل نقل هذا النفوذ إليها كما تحقق ذلك عام ١٩٦٧ بسيطرة الصهيونية العالمية وإسرائيل على (بيت المقدس) بديلاً للاستعمار الغربي . وفي هذا تقول الكاتبة اليهودية (بربارة توخمان) في كتابها « التوراة والسياف » .. وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس ١٩١٨ فنجح حيث كان (ريكاردس قلب الأسد) قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إسرائيل الآن قد أصبحت حقيقة واقعة ، وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد ، أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الأصل الأساس الذي يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة وإن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد قد استعادوا موطنهم وإلى حد ما بفعل الدين الذي أعطوه للأمين . وتحاول هذه النصوص أن تكشف المطامع الخفية المتصارعة بين قوى الاستعمار الغربي ، وقوى الاستعمار الصهيوني التي يمثل أعنى صور هذا الاستعمار وكأنا كانت هذه القوى المختلفة قد اتخذت من الروابط التي تربط الأديان الثلاثة بالقدس مدخلاً إلى العالم الإسلامي ورأس جسر للغزو والسيطرة عليه ومن عجب أن ثلاثة أرباع الجنود الذين فتحوا الطريق للبريطانيين إلى القدس كانوا من أبناء الإسلام وقائدهم الأمير فيصل بن الحسين . ويمكن القول بأن الغزو الغربي للعالم الإسلامي قد تم خلال مرحلتين : (١) المرحلة الأولى : مرحلة تطويق العالم الإسلامي وهذه هي المرحلة

التي بدأت قبل نهاية القرن الخامس عشر وأبطلها هنري الملاح وفاسكودي جاما وخلفائهم . وقد وصفها المؤرخ كيرك : بأنهم « كانوا يهدفون إلى السيطرة على الشاطئ الأفريقي من المحيط الأطلسي .ولين وجهتهم نحو الجنوب ، في محاولة الالتفاف حول ديار الإسلام وحصرها من الوجهتين الحربية والتجارية مع انتزاع تجارة الذهب وغيره من حاصلات أفريقيا الغربية من يد المسلمين ، ثم الاتصال مما وراء الصحراء الكبرى جنوباً بنجاشي أثيوبيا (برستر جون) والاشتراك معهم في مهاجمة المسلمين من الجنوب » . وقد هاجمت هذه القوات ثغور العالم الإسلامي التي لم تكن متأهبة لمقاومة الأساطيل الأوروبية ولكنها قاومت طويلاً وسقط منها الشهداء ، ولم تقبل بالتسليم إلا بعد أن فقدت كل ما كانت تملك من قوى وعناد . وقد استطاع فاسكودي جاما أن يصل عام ١٤٨٨ إلى رأس الرجاء ثم اتجه إلى الهند وكان أحمد ابن ماجد هو قائد سفنه إلى ثغور الهند . ومن ثم تحولت التجارة إلى رأس الرجاء الصالح بعد أن كانت تمر بالبحر الأبيض المتوسط واستطاعت البرتغال أن تستولى على مسقط وهرمز والبحرين عام ١٥١٥ وأن تصل إلى فاليقوط (كلكتا) أعظم ثغور الهند . ولم يلبث الفرنسيون والإنجليز أن إن ورتثوا البرتغاليين وأزاحوهم وسيطروا على هذه المناطق وبلغت هولندا جزر الملايو فاقسمتها مع بريطانيا (جاوه وسومطره في يد هولندا والملايو في يد بريطانيا) كما سيطرت بريطانيا على الهند : درة التاج البريطاني لأزمان طويلة ومصدر كل الخطط التي سيطرت بها على مصر والعراق وغيرها وعلى قناة السويس باعتبارها تاميناً لطريق الهند ، وكان ذلك في منتصف القرن السادس عشر . وفي نفس الوقت كانت روسيا قد بدأت تحقق طامع بطرس الأكبر في الاستيلاء على أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي حيث استولت على قازان واسترخان في منتصف القرن السادس عشر حيث بدأ التوسع الروسي في الأراضي الإسلامية ثم امتد حتى وصل الروس إلى القوقاز وسهول تركستان ثم توالى حركة استيلائها في خط واحد مع فرنسا وإنجلترا . كانت كبرى الدول الإسلامية في هذه الفترة هي : (١) العثمانية في الأناضول والعالم العربي والبلقان . (٢) الفارسية في إيران . (٣) المغولية في الهند . وكان الصراع قائماً بين العثمانية والفارسية وقد استغلته بريطانيا والغرب إلى أبعد حد ، وحيث أيدت فارس في صراعها مع الدولة العثمانية ومن ثم فتحت فارس أبوابها للنفوذ الأجنبي مبكرة واتخذت من ذلك ركيزة لحماية درة التاج . وفي هذه الفترة : عصر تطبيق الإسلام والسيطرة الأوروبية : تركزت انكلترا في الهند والملايو ، وهولندا في أندونيسيا ، وروسيا في آسيا الوسطى . وفرنسا في البحر المتوسط .

(المرحلة الثانية : مرحلة تقسيم العالم الإسلامي)

بدأت بالحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ وانتهت بهدنة الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ حيث تمت توزيع الأجزاء الباقية من البلاد العربية والتابعة للدولة العثمانية بين فرنسا وإنجلترا وهى العراق والشام بأجزائه وإصدار وعد بلفور الذى أعطى للصهيونية العالمية حق إقامة دولة فى فلسطين : وقد تمت عملية التقسيم هذه خلال مائة وعشرين عاماً تحركت فيها الأحداث فى طريق إتمام سيطرة النفوذ الغربى على العالم الإسلامى كله ، بالاحتلال العسكرى أو المعاهدات ، وكانت هذه هى المرحلة التنفيذية للمرحلة الأولى : مرحلة تطويق العالم الإسلامى التى بدأت منذ انتهت آخر خيط لتحرير أوروبا (البرتغال) من النفوذ الإسلامى وفى أعقاب الحروب الصليبية التى انهزمت فى المشرق وانتهت بقيام دولة إسلام شامخة هى الدولة العثمانية التى استولت على القسطنطينية عام ١٤٥٣ بينما استطاعت الحروب الصليبية فى المغرب أن تحقق إجلاء المسلمين والدولة العربية عن الأندلس . وقد ترابطت هذه الحركة منذ قيام هنرى الملاح بحملته على العالم الإسلامى بادئاً عملية التطويق عام ١٤٥٠ تقريباً حتى دخل اللورد اللبى اللورد اللبى إلى القدس عام ١٩١٨ وأعلن فى عبارة قصيرة « انتهاء الحروب الصليبية » . بدأت هذه المرحلة ، انكلترا فى الهند ، وروسيا فى آسيا الوسطى ، وهولندا فى أندونيسيا ، وفرنسا فى البحر المتوسط . وقد تحقق فى هذه المرحلة خطوات هامة فى دعم عملية تقسيم العالم الإسلامى أولاً : عام ١٨٣٠ - استيلاء فرنسا على الجزائر وهزيمة الأمير عبد القادر وقواته بعد أربعة عشر عاماً من المقاومة . ثانياً : عام ١٨٥٧ - القضاء على ثورة المسلمين فى الهند . ثالثاً : عام ١٨٥٩ - القضاء على ثورة الأمير شامل واستيلاء روسيا على القوقاز . رابعاً : عام ١٨٦٩ - افتتاح قناة السويس وسيطرة الدول الأوروبية على عنق الزجاجة فى مصر فى أدق موقع بين آسيا وأفريقيا وأوروبا . خامساً : عام ١٨٦٠ - تدخل الدول الأوروبية فى لبنان واشتعال الثورة بين المارون والدروز وخلق كيان خاص تباداً منه حركة الغزو الفكرى بالبعثات التبشيرية إلى العالم الإسلامى كافة . سادساً : عام ١٨٣٨ - ن نارين وتحطيم القوة المصرية الجديدة المخوفة الثاء . سابعاً : عام ١٨١٨ - تحطيم القوة الوهابية الصاعدة فى الجزيرة العربية ثامناً : عام ١٨٦٧ - قيام الحركة الصهيونية وإطلاق وعد بلفور ١٩١٧ . تاسعاً : عام ١٩١٨ - إسقاط الدولة العثمانية . عاشراً : عام ١٩٢٤ - إلغاء الخلافة الإسلامية . ويمكن تقديم الحقائق التالية فى إيجاز : أولاً : إن الاستعمار هو الجولة الصليبية الثانية فى مواجهة عالم الإسلام .

ثانياً : إن انجلترا هي صاحبة الدور الأكبر من جولة الاستعمار حتى الحرب العالمية الثانية .
ثالثاً : كانت أوروبا هي القارة التي واجهت العالم الإسلامي منذ عام ١٥٠٠ إلى الآن حين تحول هذا النفوذ بعد الحرب العالمية الثانية إلى الولايات المتحدة . رابعاً : بدأ تطويق العالم الإسلامي عام ١٥٠٠ وبدأ الغزو بالحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ . خامساً : كانت الأمة العربية موضع التركيز الشديد والعنيف لأنها حاملة لواء الإسلام واللغة العربية . سادساً : كان إسقاط الدولة العثمانية باعتبارها عروة وحدة العالم الإسلامي هو الهدف الأول وإسقاط الخلافة هو الهدف الأكبر . سابعاً : برزت الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ وبدأت صراعها مع السلطان عبد الحميد الذي عارضها حتى أسقطته عام ١٩٠٩ ثم أسقطت الدولة العثمانية عام ١٩١٨ .
ثامناً : بسقوط الدولة العثمانية (رابطة العقد بين العرب والترك) سقطت كلمة العالم الإسلامي وبدأت كلمة القوميات ، فظهرت القومية الهندية في مواجهة المسلمين في الهند ، والقومية الطورانية في مواجهة العرب والقومية اليهودية بالإضافة إلى تحديات الإقليمية والقبلية والطائفية. تاسعاً : برزت القوميات الإيرانية والتركية والأندونيسية والباكستانية. وقد حاول الاستعمار أن يوقع بينها من ناحية وبين الأمة العربية من ناحية أخرى عاشرًا : الاستعمار قضية كلية ، والسيطرة الصهيونية على فلسطين واجهة لقوة استعمارية جديدة. هي الصهيونية العالمية وقد تركزت في قلب العالم الإسلامي (فلسطين). حيث بدأت عام ١٨٩٧. وعد بلفور ١٩١٧ قيام إسرائيل ١٩٤٨ سقوط القدس ١٩٦٧ . وبعد سقوط القدس في يد الصهيونية العالمية هو أكبر حدث في العصر الحديث بعد إلغاء الخلافة : ومن الناحية الأخرى يمكن القول بأن قوة اليقظة الإسلامية العربية قد حققت نتائج إيجابية هي : ١- قيام اليقظة الإسلامية العربية بالحركات الإسلامية لتصحيح العقيدة وقيادة حركة مقاومة الاستعمار .
٢- قيام دولتين إسلاميتين كبيرتين : أندونيسيا والباكستان ٣- ظهور الحركة الثورية العربية كمنطلق للنهضة وبرزت الثورات المختلفة في أنحاء العالم الإسلامي . ٤- قيام الجامعة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٤ ٥- بروز عدد من المجاهدين والقادة الذين حملوا لواء اليقظة والنهضة في أنحاء العالم الإسلامي . ٦- بدأت مرحلة التصنيع والقوة الصناعية والتكنولوجيا في العالم الإسلامي . ٧- مقاومة الغزو الصهيوني والاستعماري . ٨- كشف شبهات التغريب والغزو الثقافي المتسلط على الفكر الإسلامي . ٩- بدأ التقارب والالتقاء بين المذاهب الإسلامية وفي مقدمتها : (السنة والشيعة) . ١٠- التقاء الدوائر : العربية والافريقية والآسيوية

في مواجهة الاستعمار .مواجهة الاستعمار .

تاريخ الاحتلال الغربي للعالم الاسلامى

(١)الاحتلال الفرنسى :

١٨٤٧	الجزائر ، حيث بدأ الغزو عام (١٨٣٠)
١٨٨١	تونس
١٨٨٢	السنغال
١٨٨٢	مدغشقر
١٩١١	المغرب

(٢)الاحتلال الايطالى:

١٩١١	ليبيا
١٨٨٧	الصومال وأرتيريا

(٣) الاحتلال الأسباني :

١٩١٤	(الريف) لم يتم احتلاله إلا عام ١٩٢٦ بعد تسليم عبد الكريم .
------	--

(٤) الاحتلال الروسى :

١٥٨١	سيبيريا
١٦٥٤	دولة استراخان
١٦٧٠	أراضى مسلمى أورال أورال
١٨٦٤	جزيرة القريم بالبحر الأسود
١٨٦٤	بلاد القوقاز (شامل) بعد وقوعه أسيراً عام ١٨٥٩
١٨٥٩	احتلال طشقند
١٨٨٢	إمارتى بخارى وجنوة
١٨٨٤	الاستيلاء على التركستان

(٥) الاحتلال الهولندى :

١٦٢١	جزيرة نجاوه
١٨٧٤	جزيرة سومطرا

وهما تعرفان الآن باسم أندونيسيا

(٦) الاحتلال البريطاني :

١٧٥٧	البنغال :
١٨٤٩	البنجاب :
١٨٥١	نيجريا
١٨٨٢	مصر
١٨٩٨	السودان
١٩١٩	العراق
١٩١٠	الأردن (وفلسطين)
١٨٧٠	زنڭبار
١٨٧٨	جزيرة قبرص

(٢) حاول الاستعمار الغربى أن يعزز موقف الغزو العسكرى الذى اجتاحت به العالم الإسلامى بنظرية فكرية تهدف إلى أن تعطى الاستعمار مفهوماً فلسفياً قوامه أن الأوربيين باعتبارهم أكثر تقدماً من الأمم المستعمرة فإن الحضارة تكلل إليهم أمانة إنسانية هى تمدن هذه الأمم ، ولذلك فمن حق الاستعمار أن يسيطر عليها وأن يعدها للتقدم ، واتصل بهذا المنطق ذلك القول بأن الجنس الأبيض هو صاحب الحضارة وأن الأجناس الملونة هى أبناء الأمم الواقعة تحت نفوذ الاستعمار وقد تعددت نظريات الاستعمار التى تحاول تبرير سيطرتها وكان غلاة دعاة الاستعمار يحاولون تصوير العلاقة بين البلاد المستعمرة وبين المستعمرين على نحو يمحو شخصية هذه الأمم وينكر حقها فى أرضها فى محاولة للقول بأن هذه الأجناس محرومة من أى قابلية للتقدم ، فمن حق الجنس الأبيض السيادة عليها واستخدامها لخدمة البشرية ، وأن الأراضى ليست ملكاً لمن يسكنها بل هى للبشرية جمعاء ، فإذا كانت مسكونة لشعب غير راق يكون من حق الشعوب الراقية بل من واجبها أن تستولى عليها وتستعمرها لمصلحة البشرية . غير أن هذه النظريات لم تلق تقبلاً علمياً وثبت كذبها وتضليلها وتكشف أنها لم تكن أكثر من محاولة لتبرير الأعمال البربرية التى قام الاستعمار فى السيطرة على البلاد التى تم إحتلالها والمظالم القاسية التى كانت تصل إلى درجة الإباداة بالجملة ، حيث ثبت خلال هذه الفترة الطويلة أن الدولة المستعمرة لم تكن تعمل على تأهيل أهل البلاد للحضارة أو التقدم بل كانت تعمل على تجميدهم فى حالة من الفقر والجهل

لا يمكنهم من التحرر. وقد تصارعت الدول الأوروبية فيما بينها على مناطق النفوذ ولكنها لم تلبث أن اتفقت على اقتسام هذه المناطق وعقدت المعاهدات التي تطلق أيدي بعضها البعض في أقطار في مقابل أقطار ، فعقد عدد من الاتفاقات الودية بين فرنسا وإنجلترا وروسيا . وقد عرف الباحثون الاستعمار بأنه قيام دولة بفرض حكمها ونفوذها أو سيطرتها السياسية والاقتصادية خارج حدودها على شعب أو دولة أجنبية على غير رضا أهلها وقد اندفع الاستعمار أساساً من أوروبا إلى أفريقيا وآسيا باسم الارتياح والاستكشاف والتجارة فأقام الأسبان والبرتغاليون امبراطوريات تجارية ثم خلفهم البرتغاليون والفرنسيون فشيّدوا امبراطوريات استيطان وكان للكشوف العلمية وبناء البواخر الضخمة والحاجة إلى الخامات وإنشاء الأسواق للتجارة من العوامل الهامة في توسع نطاق الاستعمار وسيطرته وعمله في القضاء على مقومات الأمم المستعبدة لإدامة استعمارهم ونفوذهم ، واستمرار احتكار حاصلات المستعمرات واستغلال مواردها الطبيعية والسيطرة على المواقع الاستراتيجية وقد ارتبط الاستعمار العسكري بالاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي وإذا كان الاستعمار قد بدأ باسم التجارة والتبشير فانه لم يلبث أن تحول إلى الفتح والغزو والحكم وانتزاع الأراضي من أصحابها ، وإقامة حكومات بديلاً عن الشركات . وقد أقام الاستعمار في العالم الاسلامي دعائه على أساليب مختلفة كان أخطرها توطيد الأوربيين فيها عن طريق التجارة كما فعل في الجزائر التي أوفد لها نصف مليون فرنسي أوروبي ، وكذلك أوفد إلى البلاد العربية مئات الألوف من الأوربيين وأغلبهم من اليهود . وكما أقام الاستعمار القلاع والمعاقل الحربية التي تؤمن بقاءه وتحفظ له السيطرة على البر والبحر وتمكنه من الحصول على الموارد الأولية والحاصلات والزراعية بأبخص الأثمان ، فقد أقام المؤسسات الاقتصادية والبنوك لتوظيف ذهب أوروبا الذي طفحت به خزائن بنوكها في أواخر القرن الماضي وفتح الأسواق لمصنوعاتها ومنتجاتها وخاصة الاستهلاكية والترفيهية ثم عمد الاستعمار إلى إقراض الأمراء والحكومات للسيطرة عليها وتكبلها بالنفوذ الغربي ، وإياع ذوى اليسار في الديون للاستيلاء على أملاكهم وتصفية القوى الوطنية وتحويل مختلف الأراضي والتجارات والأموال إلى البنوك الأجنبية وإقراض الفلاح بالربا الفاحش وتجنيد المرابين والصيارف واصحاب الخمارات في مختلف القرى لسلب الأهالي ، وبالجملّة فان الاستعمار كان يخفي في أعماق خطه العمل على سلب كل موارد البلاد الاسلامية وإرسالها إلى أوروبا والغرب ، رغبة في افتقار هذه البلاد وإيقاعها فريسة

الجوع والاستبداد لادامة السيطرة عليها ، كما عمدت القوى الاستعمارية إلى إحكام السيطرة بإنشاء الموانئ وحفر القنوات التي تمكنها من القبض على ناصية الاستيراد والتصدير ، كشق قناة السويس والاستيلاء على البواخر كجبل طارق وباب المندب وغيرها . توحدت إذن خطط الدول المستعمرة وان اختلفت الأساليب وجمعها هدف واحد هو السيطرة وإخضاع المسلمين للنفوذ الغربى والولاء ومن هنا نشأت فكرة «وحدة الحضارة» ورسالة الرجل الأبيض فى محاولة لإخضاع الفكر الإسلامى والثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية والأندونيسية لنفوذ الفكر الغربى والقضاء على مقومات الاسلام والقرآن واللغة العربية وذلك بقيام مؤسسات خاصة لإثارة الشبهات وتدمير الحقوق الداخلية كمؤسسة التبشير العالمية . ويمكن القول ببناءً على الحقائق الواقعة أن الأوربي لم يفد إلى الشرق كمدن بل كمتعمر وأن أخوف ما يخافه هو الانبعاث واليقظة عن طريق الاسلام ومن هنا تأتى محاولته للسيطرة على التعليم والثقافة والتربية

(٣) لا ريب أن الخطط التى تقوم بها الدول المستعمرة بالنسبة لعالم الإسلام واحدة الهدف مختلفة الأساليب يجمعها مفهوم واحد هو السيطرة وإخضاع المسلمين لنفوذهم وحضارتهم وفكرهم وخلق جو من الولاء لها . وقد تحقق من الخطط المختلفة التى تكشف أن هناك تنسيقا بين الاستعمار والمستعمرين ، وهناك خططاً متفق عليها للتفاهم والتقسيم كالاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا ١٩٠٤ واتفاق سايكس بيكو ١٩١٦ والاتفاق بين انجلترا وهولندا فى أرخبيل الملايو . والدعوة التى يبرر بها الاستعمار اقتحامه واحتلاله للعالم الإسلامى إنما هى دعوى براءة خداعة ، إذ أطلق عليها «حق تحضير الأمم المتخلفة» ورسالة الرجل الأبيض إلى العالم الأسود والأصفر ، شريطة أن يتم هذا التحضير بإخضاع هذه الشعوب لوحدة الحضارة الغربية ، وهى تقضى « على قيم الأمم ومقدساتها ، وتحل محلها مفاهيم الحضارة الغربية والهدف من ذلك إنما هو أن تنتهى مقاومة هذه الأمم للنفوذ الاستعمارى ليحل بدلا منها خضوع واندماج وصدقة وتقدير للاستعمار بحسبانه عمل تمدينى مع الاعتراض على أى مفهوم للاستقلال أو الذاتية أو التحرر من النفوذ . وقد درس الاستعمار وقدر ورأى أن خير وسيلة لإخضاع المسلمين هو تغيير عقليتهم والقضاء على ثقافتهم وتراثهم ، ولما كانت عقلية العالم الإسلامى وثقافته مرتبطة بالاسلام واللغة العربية فقد ركز عليها ، ولما كانت وسيلة التغيير إنما تكمن فى التعليم فقد حرص على غزو تعليمى وثقافى ضخم واسع النطاق ،

وذلك عن طريق إرسالياته ومعا هذه الأجنبية ، فاستطاع تخريج أجيال جديدة وفق مفاهيمه وأتاح لهذه الأجيال السيطرة والقيادة والزعامة والحكم في أغلب العالم الاسلامى ، كما أطلق حركة التبشير لتحكم تنفيذ هذه الخطة وفرض على الدولة المحتلة أنظمة تعليمية قوامها تحقيق هذا الهدف . ومن هنا جاء ما وصف بأنه محاربة للاسلام واللغة العربية أن هذا الجانب الثقافى والفكرى من الاستعمار وما يتصل به من شؤون التبشير والتعليم والتربية لم يحظ بأى اهتمام فى دراسات الباحثين عن الاستعمار الذين أولوا اهتمامهم للجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية وحدها . وقد مضت حرب الاستعمار للاسلام لا حوارة فيها باعتبارها العامل الدافع إلى القوة والجهاد والمقاومة ، وكانت هذه الحرب بأساليب مختلفة (أولاً) نقض مفاهيم الاسلام وتحريفها وخلق دعوات تحمل لواء الاسلام وتتنكر لأهم مقوماته وهو «الجهاد» الذى هو ذروة سنام الاسلام ، حيث الغته الغاء أو قللت من أهميته أو عملت على تفسيره تفسيراً خاطئاً . (ثانياً) الطعن على الاسلام والحملة على مقوماته واتهامه بأنه مصدر تأخر المسلمين وضعفهم . أما اللغة العربية فقد استهدفت الحملة عليها إيقاف نموها ، حيث يجرى نموها بنمو الاسلام نفسه والعمل على تغليب اللغات الأجنبية عليها والدعوة إلى العامية لاحتلالها محل العربية والتنادى بإحلال الحروف اللاتينية بديلة للحروف العربية فقد كانت اللغة ولا تزال هى ضمير الفكر نفسه ، وما تزال اللغة الفصحى هى مدخل الفهم إلى القرآن الكريم ، وفى القضاء عليها محاولة للاغراب والبعد بمستوى الفهم عن القرآن والحيلولة دون الارتباط به وقد كانت حركة التبشير هى أكبر الأعمال الأساسية لتحقيق هذه الغاية ، فهى القوة المتحركة فى جيش الاستعمار لغزو العقول والقلوب فى مختلف الجبهات وإثارة الشبهات فى مجالات المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة وكانت حركة الاستشراق هى المصنع الذى يعد «أدوات» العمل : الشبهات والطعون والشكوك والاتهامات التى يقدمها العلماء الذين يعملون تابعين لوزارات الاستعمار فى الدول المختلفة ، يقدمونها إلى حقل التبشير لنشرها والإذاعة بها فلما فضحت خطط التبشير ، تخفى التبشير وراء التعليم والصحافة والثقافة ، وإن كان لا يزال ظاهراً ومتحركاً على جبهات كثيرة من العالم الاسلامى وخاصة فى قلب أفريقيا وأرخبيل الملايو . وقد كشف التبشير عن هدفه الذى لم يكن أساساً تحويل المسلمين إلى أديان أخرى بعد أن تأكدت استحالة ذلك للدعاة الذين اقتحموا الأزهر ، ووزعوا نشراتهم داخله ، وعقدوا مؤتمراتهم فى قلاع الاسلام والوطنية مثل بيت أحمد عرابى

في باب اللوق أو في لكنهو معقل الاسلام وندوة العلماء ودار العلوم في الهند ، ولكن الهدف هو إخراج المسلمين من قيم دينهم ومفاهيمه أساساً وبذلك يصبحون عجيبة طيبة للتشكل وفق مفاهيمهم . ولذلك فإن حركة التبشير أساساً هي حركة استعمارية تهدف إلى خدمة النفوذ الأجنبي وتأكيد ودعم بقائه . ولم يقف مخطط الاستعمار عند الغزو الفكري والثقافي عن طريق حركة التبشير الذي ركزت على المدارس والجامعات والتعليم . بل إنه دفع قوى أخرى خطيرة لتكون ركائز له في الداخل: من أهم هذه القوى حركة «الماسونية» مقدمة «الصهيونية» ورببيتها التي مهدت لها الطريق ، و«البهائية» التي حملت لواء الدعوة إلى هدم الأديان بتوحيدها . وكذلك استغل الاستعمار أوجه الخلاف الفرعية بين المسلمين فحاول تعميقها وحرص على الابقاء عليها خلال فترة حكمه الطويل ، كما أبقى على الأقليات وأغرق بعضها بالبعوض الآخر . وحرص على تجميد الطوائف والقبائل حتى لا تنصهر في المجتمعات الواسعة ، وأوجد بينها وبين الأكثريات خصومات وأحقاداً ، مستغلاً ذلك كله لتأكيد بقائه . فالاستعمار هو الذي عمق أسباب الصراع بين تركيا وفارس وغذى الخلاف بين السنة والشيعة فوسع شقه الخلاف بينهم . ولم تنفصل المشكلة الطائفية في أى من المراحل عن الاستعمار الذي خلقها وغذاها واتخذ منها أداة سياسية يدعم بها وجوده ، فقد احتضن الاستعمار الأقليات وعمل فيهم على خلق الشعور بكيان خاص ، له انفصال وتميز بحيث لا يلتقي في مجال الوحدة الكبرى كما فتح الباب للتبشير والاساليات . كما أكد الاستعمار في مختلف أنحاء العالم الاسلامي عوامل التفرقة العنصرية والجنسية واستغل في سبيل تثبيت ركائزه كل الوسائل وفي مقدمتها «الامتيازات الأجنبية» التي منحت الأجانب في الأقطار الاسلامية مراكز خاصة ونفوذاً متميزاً بحيث لا يخضعون لقوانين البلاد وتظل مؤسساتهم في حصانة كاملة دون التفتيش أو الرقابة أو التحقيق معها بما يتيح لها أن تنصرف على النحو الذي تراه دون أن تستطيع الحكومات إيقافها أو محاكمتها وقاوم الاستعمار كلمة الاسلام والجامعة الاسلامية والوحدة الاسلامية وشن عليها جميعها حرباً عنيفة ، ووصفها بغير ما كانت على الحقيقة ، وركز حملته على «السلطان عبد الحميد» الذي قاد حركة المقاومة ضد زحف النفوذ الاستعماري حين دعا لمسلمين خارج الدولة العثمانية إلى الالتفاف حول راية الخلافة الاسلامية في حركة جامعة لمواجهة الغزو الزاحف ، ومن هنا كانت تلك الصورة السيئة التي رسمها عملاء الاستعمار للسلطان عبد الحميد وما وصف به وما نشر عنه من أعمال

كشفت الأيام من بعد أن ليس لها نصيب من الحقيقة فقد تضافرت قوى النفوذ الاستعماري وقوى الصهيونية على تدمير هذه الحركة واسقاط السلطان عبد الحميد الذي كان موقفه الصامد حائلا دون تمزق العالم الاسلامي واستيلاء الدول الغربية عليه واحتلاله ، فضلا عن موقفه المشرف من هدف الصهيونية باستيلاء على فلسطين ، بالغ القوة والصمود ، مما حمل المحافل الماسونية في سالونيك وجلها من البرونمة (اليهود الذين أسلموا تقية) السيطرة على جمعية الاتحاد والترقي ودفعها إلى هدفين : (١) إسقاط النظام الذي يحمل لواء الجامعة الاسلامية . (٢) إيقاع الخلاف الدموي بين عنصرى الدولة العثمانية : الأتراك والعرب . وقد تحقق ذلك عام ١٩٠٨ بتولى الاتحاديين للحكم وحمل لواء الدعوة الطورانية ومحاولة تتريك العرب وتمزيق الدولة ، وفي المرحلة الثانية ١٩١٨ بهزيمة تركيا والغاء الخلافة الاسلامية . وتقسيم الأجزاء العربية بين فرنسا وانجلترا وصدور وعد بلفور باعطاء اليهود الحق في إنشاء دولة صهيونية في فلسطين كما ألح الاستعمار على القبائل البدوية وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات حتى لا تسود الوحدة الشاملة : وحال دون دفع الوحدات الصحراوية إلى التمدن لتظل الأمم مزقة بين طبقات مختلفة وقوى متفاوته . وهناك حقيقة هامة لا سبيل إلى تجاهلها هي .. أن الاستعمار ركز على الأمة العربية أكثر مما ركز على أى جزء آخر من العالم الاسلامي وجعل لمصر في مخطط الاستعمار والتبشير والتغريب قدحاً معلى ، باعتبارها قلب العالم الاسلامي ومركز القيادة من الأمة العربية ، فصحف مصر هي التي كانت تحمل الأفكار والدعوات المختلفة ، وعملاء الاستعمار الذين يكتبون باللغة العربية في المقطم والأهرام والهلل والمقتطف والجامعة وغيرها من صحف اللبنانيين المتأمرين كانت تحمل لواء مخطط التغريب كاملا ، هذه الصحف التي عاشت وامتد بها العمر ، بينما سقطت الصحف الوطنية واحدة بعد أخرى ثم كان لظهور دعائم التغريب والشعبوية في مصر : الأسماء التي لمعت وتصدرت للشهرة أثرها البعيد المدى : طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى . وقد صور «لوثروب ستوارد» مدى خطر النفوذ الأجنبي في العالم الاسلامي بأصدق عبارة حين قال «إن سيطرة الغرب الحديثة على الشرق لا مثيل لها في التاريخ من حيث الفظاعة والخطورة المدى والمجال ، فما كان لليونان ورومية من قبل السيطرة المحدودة على بعض من العالم لا يعد بالاضافة إلى سيطرة الغرب اليوم شيئا مذكوراً .

(٤) انجلترا والعالم الاسلامي :

كانت بريطانيا أشد الدول الأوروبية المستعمرة خطراً على العالم الاسلامي نفسه ، وأن تكن وسائلها أقل حماقة من فرنسا وإيطاليا ، وكان أخطر المناطق التي استولت عليها الهند « القارة الضخمة التي كان يحكمها المسلمون فأصارتهم فيها محكومين متأخرين تعليماً وثقافة وثروة ومصر (قلب العالم الاسلامي) وتقاسمت مع روسيا السيطرة والنفوذ في إيران والاستيلاء على الخليج العربي وسلطنته وقد جندت بريطانيا مئات الألوف من الجنود في الحرب العالمية الأولى من الهند ومصر ودفعت المسلمين العرب إلى محاربة اخوتهم المسلمين الترك مغربة إياهم بإقامة دولة عربية حتى إذا تحررت تلك البلاد العربية من الأتراك احتلتها الفرنسيون والانجليز ولقد كان الاستعمار البريطاني أشد قسوة على الاسلام وعالم الاسلام وكان لانتصار انجلترا بعد الحرب العالمية الأولى - ذلك الانتصار الساحق بحسبانها كبرى دول العالم الاستعماري - أثره البعيد المدى في الأعمال التي تمت خلال ما بين الحربين والتي ركزت دعائم الاستعمار في نفس الوقت الذي كانت الثورات تشتعل ولا تتوقف عن الاشتعال في مختلف أجزاء العالم الاسلامي . وفي الحق أن الانجليز هم الذين قضوا على الدولة الاسلامية الكبرى ، والتي كانت تمثل القوة الصامدة للنفوذ الأجنبي وهم الذين أزالوا دولة الخلافة العثمانية وأذلوا المسلمين في كل البلاد . والاستعمار البريطاني هو الذي نظم الهيئات التبشيرية والارسلات الأجنبية وحماها في مختلف أنحاء العالم الاسلامي وأتاح لها الحرية الكافية والفرصة المواتية لتحريف عقلية الشباب المسلم سواء في الهند أو الصين أو مصر والسودان والصومال وفلسطين والعراق وسائر أرجاء آسيا وأفريقيا الاسلامية وأمدّها بالمال وساعدها كما منع المسلمين وعلمائهم من التدخل إلى جنوب السودان وحال بينهم وبين تعليم المسلمين من سكان تلك الجهات أحكام الدين وأداب المسلمين . والاستعمار البريطاني هو الذي هدم دولة المسلمين في الهند وأزاد أهلها المسلمين وعمر الذي أزال الدولة العثمانية (دولة الخلافة) واستعمر بلادها ومزقها كل ممزق وألغى الخلافة وحال بين المسلمين وبين إعادتها ، وإليه يرجع الخطر الأكبر في إقامة دولة إسرائيل في قلب العالم الاسلامي فهو الذي مكن لها ذلك وأتاح لها الفرصة لنقل مليون يهودي أقطعهم الأراغى وأمدّهم بالسلاح والعتاد وجعل منهم قوة عسكرية ذات بأس تهدد الحجاز ومصر وسوريا ولبنان والعراق وسائر بلاد العرب ثم كان للاستعمار البريطاني وللدول الكبرى لا أثر الأكبر في إقامة دولة إسرائيل وتشييد مليوناً من العرب ، ثم ما كان من التوسع الخطير

الذى حقته الصهيونية باحتلال القدس. والاستعمار البريطانى هو الذى أيد الاستعمار الهولندى على تركيز مقامه فى أندونيسيا سنوات طوال وعلى عودته إليها بعد خروجه منها كما عرف الاستعمار البريطانى بفرض المعاهدات ذات المواد الغامضة ، وفى مقدمتها معاهداته مع السلاطين فى جنوب الجزيرة العربية التى تنص على أنها تنتهى عندما (يشيب الغراب ويبعد التراب) .

(٥) لقد اندفع الاستعمار بأقصى وسائل القمع والتدمير للقضاء على كيان العالم الاسلامى ، ولم يحقق وجوده فى مكان ما إلا بالتآمر والكيد. وقد كان يظن أن فلسفته وأساليبه قادرة على أن تحقق له الأمن وتحقق للشعوب المستعمرة الاستسلام ولكن العالم الاسلامى قاوم بحق وآتى بثقله فى مواجهة الغزو والاستعمار وهو لا يملك من الأسلحة ما يجعله كفاء المقاومة ، ولكنه كان يقاتل بكل ما يملك حتى باحتشاد الأجساد ، هذه المقاومة اذهلت الاستعمار ، الذى عرف أن مقومات هذه الأمة وروح إيمانها المستمدة من إيمانها بالله والاسلام والقرآن هى التى تعطىها ذلك الصمود العجيب فى وجه الغزو والمقاومة الرائعة ، غير أن الاستعمار استمر يعمل على قمع هذه الحركات بأساليب بالغة العنف إلى منتهاه ، دون أن يتراجع عن أهدافه وأن غير وسائله مرحلة بعد مرحلة محاولا خلق جو من التهدة ، وذلك بالتخفى وراء أقنعة غامضة كالانتداب والوصاية مدعياً أنه إنما يدير شئون هذه الشعوب حتى يعدها لحكم نفسها . غير أنه فى طريق تحقيق سيطرته بأساليب مختلفة منها تجزئة البلاد إلى دول ودويلات وإيقاظ الثغرات الطائفية والدينية وإيقاع الطوائف بعضها فى البعض الآخر وإثارة روح الفتنة والخلاف بينها وتأييد طائفة على طائفة ، وإحياء القبليات ودعمها وتعميقها . وكان أخطر أعماله فى هذا الصدد خلق محاور بين المسلمين والمسيحيين ، وبين السنة والشيعة ، وبين العرب والبربر ، مع الدعوة إلى إحياء النزعات القديمة كالفرعونية والبابلية والآشورية والفينيقية ، وإنشاء مؤسسات خطيرة للعمل ضد القوى الوطنية بإثارة الدعوات الهدامة والدعوات العلمانية التخريبية والاحادية ، وقد اعتمد الاستعمار فى ذلك كله على «الرساليات والبعثات التبشيرية» التى ركزت دعائمها فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى وأخذت تسيطر على أسباب التعليم ومناهج التربية والثقافة ، وكانت - ولا تزال - للتبشير مخططات بعيدة المدى فى غزو الفكر الاسلامى والثقافات العربية والتركية والفارسية

والهندية والملاوية وغيرها. وكان أخطر ما عמד إليه الاستعمار في سبيل تأكيد وجوده هو إقامة جسر بشري يمزق وحدة الأمة العربية ويضع أسفينا خطيراً في قلب العالم الإسلامي ، ذلك هو غرس إسرائيل ومن ورائها الحركة الصهيونية العالمية التي هي وليدة الاستعمار نفسه ، وأقوى ثماره وأشدها خطراً . وكانت بريطانيا في عام ١٩٠٧ قد أخذت تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل التي تؤدي إلى تدعيم بقاء الاستعمار وتقضى على كل مقاومة ضده ، وقد انتهت طائفة من الاستعماريين إلى وضع مشروع عرف باسم « كامبل » يرى أن أخطر مناطق الاستعمار في العالم وأشدها تعرضاً للثورة والانتفاض هي منطقة « العالم الإسلامي » وقلبها « الأمة العربية » ولذلك فإن الوسيلة المثلى في نظر الاستعمار للحيلولة دون تماسكها وتلاق آجزائها في وحدة هو خلق أسفين يمزق قلبها وذلك بإقامة جسم غريب في المنطقة الواقعة شرق قناة السويس ، ولما كان الاستعمار الغربي يضع مخططات الحروب الصليبية أمامه فإنه قد اتخذ من فلسطين ومنطقة القدس بالذات نقطة ارتكاز لإثارة الخلافات بين الأديان الثلاثة فسيطر على فلسطين عام ١٩١٨ في ظل مؤامرة خطيرة تهدف إلى خلق هذا الكيان الغريب وإقامة هذا الجسم البشري من اليهود . وبذلك نفذ الاستعمار خطة تهدف إلى تثبيت وجوده في العالم الإسلامي كله بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني لما لها من الموقع الحربي والأهمية الروحية لجميع الشعوب مما يجعل السيطرة عليها أمراً بعيد المدى في التطورات التي وقعت فيما بعد ، والتي حققت هدف الاستعمار في إدخال عنصر جديد من السكان ، وإقامة استعمار استيطاني يوغر صدور العرب ، وقد امتد هذا وبلغ مداه حين انسحبت بريطانيا من فلسطين وتركت للصهيونية القوة التي تمكنها من السيطرة على النحو الذي تحقق من بعد حتى استطاعت إسرائيل عام ١٩٦٧ في السيطرة على فلسطين جميعها ووضع يدها على بيت المقدس . وقد بلغ الاستعمار حين وضع هذا المخطط موضع التنفيذ ، إلى تأكيد دعائم نفوذه ووضع يده على قلب العالم الإسلامي وبذلك بلغ الاستعمار مراحل السيطرة التي بدأها بتطويق عالم الإسلام ، ثم الاستيلاء عليه ثم تأكيد الوجود الاستعماري على النحو الذي يتيح للاستعمار أن يقبل الجلاء العسكري والسياسي عن هذه المناطق بعد أن تأكد وجوده فيها بنفوذ ثقافي داخلي قائم على تخريج أجيال لها ولاء لوجوده وبقائه . غير أن العالم الإسلامي لم يتوقف منذ اليوم الأول لحركة الغزو الاستعماري عن العمل فعمل في دائرتين : (١) الدائرة الإسلامية الوطنية التي ارتبط فيها الجهاد بالقاعدة الإسلامية وهي الدائرة التي أجهدت الاستعمار فعمل

على تصنيفيتها والقضاء عليها . (٢) الدائرة الوطنية الخالصة وهى الدائرة التى حاول الاستعمار أن يجعل منها بديلا للمقاومة العسكرية ، والخصومة الكاملة وأن يحولها عن العمل الإيجابي إلى الصراع السياسى وأن يقيمها داخل فكره وتعاليمه (وفى مصر ظهر أمثال لطفى السيد وسعد زغلول بديلا لأحمد عرابى ومصطفى كامل) وأمثال هؤلاء الزعماء مهما بلغ أمر وطنيتهم فإنهم يتعاملون مع الاستعمار من داخل دائرة الولاء والافتناع بأنه لا سبيل إلى تحقيق أى قدر من التحرر إلا بالتفاهم مع الاستعمار نفسه . وهذه هى المرحلة التى واجهها العالم الإسلامى كله فى مرحلة ما بين الحربين . أما الدائرة الإسلامية فقد كان لها دورها الخطير الذى أزعج الاستعمار وأدال منه وقد قاد الثورة العسكرية على النفوذ الاستعمارى :- عبد القادر الجزائرى الذى قاوم احتلال فرنسا للجزائر ستة عشر عاماً (١٨٣٠ - ١٨٤٦)

- الشيخ شامل الذى قاوم نفوذ روسيا واحتلالها للقوقاز والقرم والتركستان . قام الشيخ شامل عام ١٨٠٨ بحركة فى مقاومة الغزو الروسى للقوقاز والقرم والتركستان وظل يكافح ويناضل على رأس جيوشه وتابعيه البواسل المجاهدين الذين تجمعوا تحت لوائه من مختلف القبائل والديار الإسلامية خلال تسعة وثلاثين عاماً متواصلة ، وكبد الروس خلالها مئات الألوف من القتلى وكما كبدهم إنفاق الملايين الوفيرة من الأموال ، وكانت مقاومته ترمى إلى تحرير أمة تبلغ ٤٠ مليون نسمة من نير الاستعمار الروسى الزاحف .

- محمد أحمد المهدي قاوم نفوذ بريطانيا فى السودان .
- أحمد عرابى قاوم نفوذ بريطانيا فى مصر .
- عبد الكريم الخطاى قاوم نفوذ فرنسا فى الريف المغربى .
- المسلمون فى الهند الذين ثاروا عام ١٨٥٧ فى مقاومة للنفوذ البريطانى .
- ثورة المسلمين فى أندونيسيا فى مواجهة الاستعمار الهولندى .
- السيد أحمد الشريف السنوسى وعمر المختار فى مقاومة الاستعمار الإيطالى لبرقة .
- ثورة يعقوب فى التركستان .

وعيب هذه الجهود أنها كانت متفرقة غير موحدة بينما كان الاستعمار الغربى موحداً فى مواجهتها مما عجل بالقضاء على هذه الحركات أو إجهاضها قبل أن تحقق غرضها . وحين توقف الجهاد العسكرى لم يتوقف المسلمون عن مقاومة الاستعمار فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى ، فى مختلف المجالات ، فى مجال التعليم والثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد

وعملوا على معارضة خطط الغزو المختلفة ، ولم يستسلموا أو يتقبلوا بالوجود الاستعماري ، وبرزت هذه المعارضة في دعوات المعلمين المصلحين ، وفي مختلف الجماعات والهيئات الإسلامية والطرق الصوفية وفي أعمال كثير من المفكرين التي حملت لواء الدعوة إلى تصحيح المفاهيم وتخليص الفكر الإسلامي والثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية من شوائب البدع والخرافات . وقد انتظم المصلحون والمفكرون في مختلف أجزاء العالم الإسلامي . ١ - جمال الدين في إيران والهند ومصر وتركيا . ٢ - المهدي في السودان . ٣ - السنوسي في ليبيا . ٤ - محمد عبده في مصر . ٥ - الألوسي في العراق . ٦ - حسين الجسر وطاهر الجزائري والقاسمي والكواكبي في الشام . ٧ - الدهلوي وأحمد خان وإقبال في الهند الإسلامية . ٨ - أبو شعيب الدكالي والعلوي العربي في المغرب . ٩ - ابن باديس في الجزائر . ١٠ - خير الدين والظاهر بن عاشور في تونس . ١١ - إسماعيل عصبر نسكي في القرم . وكان هؤلاء المصلحين الأثر العميق والمدى البعيد في يقظة الفكر الإسلامي وخلق روح من الثقة والحيوية والقدرة على مواجهة الغزو الاستعماري في مختلف مجالاته السياسية والفكرية على نحو كشف عن جوهر الإسلام وإيجابيته التي تؤكد أنه هو الأساس الأصيل لكل نهضة في العالم الإسلامي ، كما كشف هذا الصمود عن مدى عمق الأثر الإسلامي في النفس الإسلامية والمزاج الإسلامي من حيث ظن النفوذ الاستعماري أن المسلمين سوف يستسلمون للقيم والمفاهيم الغربية وأنهم سينصهرون في بوتقة الفكر الغربي ومفاهيم الاستعمار وفلسفته . وظلت مقاومة الغزو الغربي مستمرة في صمود عالم الإسلام كله ، كرد فعل لمخططات الاستعمار التي عملت على (١) إعمال الإبادة بالقتل والسجن والقضاء على القيادات الفكرية والسياسية القوية القادرة على العمل . (٢) التبشير والتغريب وإثارة الشبهات وقتل مقومات الإسلام العالمية . (٣) حرمان عالم الإسلام من علامات القوة التكنيكية والصناعية وعوامل الثقة بالنفس : وإذا كانت هذه الحركات قد أخذت طابعاً إسلامياً عاماً أم طابعاً عربياً أو وطنياً أو قومياً فإنها كانت جميعها تنبعث من مفهوم إسلامي أصيل ، وإذا كان الغرب قد حول المسلمين عن مفهوم الوحدة ، في محاولتين لتغلب جانب الإقليميات الضيقة والقوميات فإن الاستعمار لم يلبث أن انزعج عندما وجدت حركة الوحدة العربية الذي حاول أن يشجعها أول الأمر ويجعلها بديلاً للجماعة الإسلامية في خلال مرحلة ما بين الحربين . (٤) ركز الاستعمار في مرحلة ما بين الحربين على توطيد نفوذه عن طريق إقامة ركائز ثابتة حتى إذا اضطرت الحركات الوطنية إلى إخراج

قواته العسكرية أو نفوذه السياسى كان له من هذه الركائز عاملاً فعالاً قادراً على تأكيد وجوده . ولذلك عول كثيراً على حركة التبشير وأعطاها أقصى ما يستطيع من التأييد وكان جل اهتمامها بمعاهد التعليم وبرامج التربية وذلك عن طريق مدارس الإرساليات ومدارس الاستعمار وبعض المدارس الحكومية . وفى نفس الوقت دفع مخططاته إلى القمة بإعلان الظهير البربرى فى المغرب الذى يفصل البربر عن العرب ويعزلهم ثقافياً وقضائياً وتعليمياً ويردهم إلى منظمات خاصة تستمد قوانينها وأنظمتها من الأعراف القديمة . وكانت حركات التجنيس أيضاً التى نفذها الاستعمار فى تونس محاولة أخرى لإخراج المسلمين من جنسيتهم الوطنية إلى الجنسية الفرنسية . وكانت الصهيونية خلال فترة ما بين الحربين هى الخطر النائم بين أعين المسلمين ومسامعهم ، بحماية النفوذ الاستعمارى ، ومن الناحية الأخرى كانت الحركات الهدامة تتجمع وتتركز فى دعوات وأحزاب وكان أبرزها البهائية التى أولتها بعض الصحف المصرية اهتماماً كبيراً ورحبت بها وأشادت بمفهومها الجامع بين الأديان جميعاً والهادم للأديان جميعاً . وكذلك ظهرت دعوات تحاول أن تفسر الإسلام تفسيراً جزئياً ، كالفاديائية التى ألغت الجهاد من مفهوم الإسلام أو مؤلفات تدعو إلى فصل الإسلام عن المجتمع كدعوة على عبد الرازق . وفى نفس الوقت علت أصوات دعوات ابتعثت ما قبل الإسلام من حضارات كالفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان والأشورية فى العراق والبربرية فى المغرب مع الدعوة إلى عاميات اللغة ومحاولة جعلها تواجه العربية وتنفصل عنها . كما حملت الدعوة إلى القومية الضيقة ، دعوة أخرى إلى إعلاء الماضى الوثنى السابق للإسلام وإبرازه وتأكيد ، كما حدث فى الهند وأندونيسيا وإيران . وكانت الدعوة الطورانية فى تركيا المسلمة دولة الخلافة والامبراطورية العثمانية من أبرز هذه الحركات التى أعادت أمجاد جنكيز خان . وحاولت أن تصور الأتراك وكأنهم مصدر الحضارات وأساس المدنية وأول التاريخ . وقد حاولت هذه الدعوات أن تصبغ الأبطال والأعلام بصبغة الأقطار والأوطان كالفردوسى إيرانيا والفارابى تركيا . وكانت حركة أنقرة وانقلاب مصطفى كمال فى تركيا تحولاً خطيراً فى مجال التغريب وقدوة بارزة ظلت تؤثر فى مجريات الفكر العربى سنوات طويلة وتفتح لدعاة التغريب والشعبوية أبواباً من الإغراء فى محاولة دفع الأمة العربية إلى أن تقبل خطوة ماثلة ، وكان هدف هذه الحركات جميعاً هو : « محو الذاتية الماثل فى وجود الأمة بالقضاء على مقوماتها وشخصياتها من لغة وأدب ودين ، جرياً وراء تنفيذ خطة الاستعمار التى ترمى إلى

إزالة سلطان المسلمين من هذه الأرض ». كان سلاح إعلاء النزعات الجنسية والعرقية والإقليمية وإحياء القوميات الضيقة ، وإذكاء روح العنصرية والانكفاء على الماضي القديم للأمم التي جمعها الإسلام ووحدها فكرياً وثقافياً وسياسياً هو أخطر سلاح تعامل به الاستعمار مع المسلمين فقد كان المسلمون قد تجمعوا منذ قرون طويلة بالإسلام أمة واحدة وفكراً واحداً . ولما كان الاستعمار يحصل من محاولة التمزيق والتقسيم والتفرقة على ركيزة هامة لإقامة نفوذه ، فقد صبغ هذه المحاولة بصبغة لها طابع علمي فلسفي ، فأقام الحواجز من جديد بين أجزاء العالم الإسلامي بالعمل على إعلاء مفاهيم الدم والجنس والإقليم والأرض وابتعث المذاهب القديمة ، هذه المفاهيم التي انطوت وذلك في سبيل معارضة الوحدة الإسلامية الذي قامت أساساً على أساس وحدة العقل والفكر والشعور . وليس عيباً أن يتخذ المسلمون سلاح الوطنية أو القومية سبيلاً إلى مقاومة النفوذ الاستعماري ، ولكن الخطر أن يجرى هذا التحرك خارج إطار الإيمان بالوحدة الفكرية الإسلامية التي أقامها القرآن . فلقد اتخذ المسلمون في خلال حركة البقطة ومقاومة النفوذ الاستعماري ، ثلاث دعوات متداخلة ومتواترة : هي دعوات الوطنية والأمة والفكر . فالدعوة الوطنية كانت دعوة طبيعية إزاء احتلال الاستعمار للأوطان ومحاولة تصوير هذه الأوطان بأنها ليست ذات كيان أساسي فكان لابد أن تتخذ المقاومة طابع الدعوة الوطنية بالكشف عن أمجاد الأمم وتاريخها القديم العريق . وكان لابد أن تبرز الدعوة إلى الأمة كأن يلتقي العرب في نطاق دعوة إلى وحدة الأمة العربية ، ليس في هذا من بأس ولكن الخطر هو أن تصل هذه الدعوات إلى التطرف فتتسبب جذورها وأسسها المرتبطة بوحدة الفكر الإسلامي الجامع للعالم الإسلامي . ولقد تحرك العالم الإسلامي في الحلقات الثلاث خلال هذه الفترة ، ولكن الاستعمار جمد تحركهم في دائرة واحدة وحال بينهم وبين التحرك الطبيعي بين الحلقات الثلاث . (هـ) واجه العالم الإسلامي في خلال القرنين الأخيرين أكثر من قوة من قوى الصراع على السيطرة والنفوذ العالمي وأهم هذه القوى هي فرنسا وبريطانيا وروسيا وهولندا كما واجهت الصراع بين القوى الثلاث بعد الحرب الأولى : الرأسمالية والشيوعية والصهيونية وتقف الحركة الصهيونية في صف الرأسمالية ولكنها حركة ذات أهداف خاصة تختلف في أعماقها عن الرأسمالية ذاتها وتحاول أن تحقق سيطرة عالمية متميزة . ويقف العالم الإسلامي في مواجهة القوى الثلاث التي تحتل بعض أجزائه وتؤثر في وجوده وكيانه ، وما يزال النفوذ الاقتصادي لبريطانيا وفرنسا وأمريكا قائماً في أجزاء كثيرة وكذلك بالنسبة لأفريقيا

حيث ما تزال دول أوروبية كثيرة تسيطر على بعض أجزائها . وقد كانت نهاية الحرب العالمية الثانية علامة على هانتاء الاستعمار في صورته القديمة ، التي كانت تعتمد أساساً على الاحتلال العسكري « حين كانت الدول الغربية تتذرع في تقرير شرعية الاستعمار بحق الغزو ووضع اليد . واحتلال رعايا الدولة المستمرة محل أهل البلاد الأصليين » . ثم برز نوع من الاستعمار أطلق عليه الاستعمار الجديد ، وقوامه فرض السيطرة الأجنبية من سياسية واقتصادية على دولة ما ، مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها ودون الاعتماد في تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية ، كما يطلق على هذا الأسلوب الاستعماري اسم « الامبريالية الجديدة » ويستخدم الاستعمار الجديد في تحقيق أغراضه وسائل خاصة لتحاشي المعارضة الوطنية الصريحة ، ومن تلك الوسائل الاتفاقيات الثنائية غير المتكافئة ، وتكبير الدولة النامية بشروط تخريمها من حركة التصرف والضغط عليها في صورة معونات وقروض ، وإقامة القواعد العسكرية وإثارة الاضطرابات الداخلية والانقسامات الطائفية والحزبية في الدول الحديثة الاستقلال لإضعافها وإيقاعها تحت السيطرة الأجنبية وتشجيع الأقليات البيضاء التي تتمتع بامتياز اقتصادي « وثقافي باستلاب السلطة وممارسة سياسة التمييز العنصري فضلاً عن استخدام المنظمات الدولية التي تقوم عليها الدول الكبرى بدور رئيسي في الضغط على الدول النامية وتوجيه سياستها » . هذه العملية هي ما تعرف اليوم باسم الإمبريالية الحديثة التي يقوم جوهرها على محاولة كبار الذين يتحكمون في الصناعة لتوسيع المجرى الذي ينساب إليه فائض ثروتهم عن طريق البحث عن الأسواق الأجنبية والاستثمارات الأجنبية حيث لم يعد للتركيز الرأسمالي الهائل متنفساً إلا فيما وراء البحار وعلى ضوء هذه المطامع الاستعمارية كان العالم الإسلامي ولا يزال مجال الصراع بين القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية العالمية . وقد حاول الاستعمار أن يصف نفسه بأنه رسالة المدنية والحضارة لرفع مستوى الشعوب والأمم وأن الفتوح والغزو ليس غاية بل وسيلة لإعلاء البشرية والسمو بها إلى آفاق الغزة والكرامة والحرية ، غير أن الوقائع كلها أثبتت كذب هذه الادعاءات فإن أوروبا الاستعمارية لم تكن مستعدة بأي وجه من الوجوه إلى منح البلاد المستعمرة ثمرة حضارتها دون مقابل بل إن المسلمين والعرب ما كانوا يستطيعون الاستفادة من النهضة الأوروبية دون أن ينزلوا عن رجولتهم وحریتهم ولا شك أن تحول الاستعمار العسكري والسياسي إلى الاستعمار الجديد المتمثل في الاستعمار الاقتصادي في مختلف أجزاء العالم الإسلامي والاستعمار البريطاني الذي تقوم به الصهيونية

في فلسطين وتمتد منه إلى ما حوّلها بالإضافة إلى الاستعمار الثقافي ، كل هذا يؤكد أن الاستعمار إنما يغير من جلده ، ويتحول عن أساليبه إلى أساليب أشد خفاءً ومكرًا وأكثر عمقاً ، وأبعد عن مواجهة الشعوب في نفس الوقت الذي يحتفظ فيه بخططه وأهدافه الأساسية ويجري التحول الاستعماري اليوم إلى التركيز الصهيوني في قلب العالم الإسلامي بتمزيق وحدة الأمة العربية والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي وذلك بالفصل بين قارتي أفريقيا وآسيا بحاجز بشري يحمل فلسفة تعتمد على الأساطير الدينية ويهدف إلى التوسع وإقامة امبراطورية إسرائيلية في قلب العالم الإسلامي ، وهذا هو الوجه الخطير للتحول الاستعماري باعتبار أن الحركة الصهيونية تطمح في أن تترث النظام الرأسمالي ، وتقيم الحكومة العالمية التي تمهد لها الآن بتدمير كل القيم والأنظمة والأخلاقيات وتحويل المفاهيم الإنسانية التي تحملها الأديان والحضارة إلى أسلوب من الإلحاد والإباحة والتسلط . وكأنما كان الاستعمار الغربي حين وجه كل أسلحته العلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية إلى العالم الإسلامي بقصد إذلاله وتحقيره وإشعاره بالضالة والخضوع - كما يقول كانتول سميث - إنما يمهّد لنفوذ آخر أشد عنفاً وشراسة ويفسح الطريق لقوى أشد شراً هي قوى الإلحاد والإباحة التي تعمل على سحق المقوّمات الإنسانية للمجتمعات والحضارة والأديان كوسيلة لإسقاط الشعوب والأمم في براثن نفوذ استعماري أشد خطراً يتطلع إلى السيطرة على العالم كله . ومن هنا تبرز مخططات الغزو الثقافي الذي يواجه الفكر الإسلامي والفكر العالمي كله ، لدحر مفاهيم الدين بعامه ومفاهيم الإسلام بخاصة ، والحيلولة دون قيام الوحدات القومية والتجمعات الروحية والفكرية وخلق أسباب التمزق وتخريب عوامل الإقليمية والقبلية واستيفاء صراعاتها . ومحاربة الإسلام على وجه أخص باعتباره الطاقة التي تدافع الاستعمار وتقاوم حركته وتكشف دسائسه . واللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والمصدر الأول للفكر الإسلامي والثقافة العربية وما تزال القوى الاستعمارية والطامعة في السيطرة على العالم الإسلامي تعمل على تقويض الاستقرار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وخلق جو من عدم الثقة بين المسلمين والعرب لمنع أي تكتل باسم العروبة أو باسم الإسلام وإذكاء العداوة بين الشعوب العربية وحكوماتها . وتقوم مخططات الاستعمار على محاولة إبطال مفعول الوجدان الديني والقول والخلق ، وإعلان شأن المفاهيم المادية وإطفاء مفاهيم الفكر والروح . وبعد الاستعمار مسئولاً عن أنه أتاح الفرصة للصهيونية وللدعوات الإلحادية والإباحية والفلسفات المادية المختلفة ، عندما اعتمد الاستعمار على الأقليات المختلفة

لإدخال هذه المذاهب والفلسفات إلى قلب العالم الإسلامي . ولقد أعلن لورنس براون أن تخوف الغرب من كل خطر عالمي سواء أكان الخطر اليهودي أم الخطر الأصفر أم الخطر البلشفي ليس شيئاً بالنسبة إلى ما يصفه بأنه الخطر الحقيقي الكامن في نظام الإسلام وعلى قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته بحسبانه أنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي .

(٢) التبشير

كان الاستعمار الزاحف على عالم الإسلام أن يركز على عمليتين أساسيتين :
(العمل الأول) : هو محاولة إقناع الرأي العام أن ما يقوم به الاستعمار هو عمل حضارى وإنساني يهدف إلى ترقية البشرية باعتبار أن الجنس الأبيض هو صاحب الحضارة المستول عن تمددين الأجناس الملونة . (العمل الثانى) : هو تحويل العقليّة الإسلامية عن مفاهيمها الأساسية وإثارة الشبهات حول مقومات فكرها الإسلامى وذلك كمقدمة لتذويبها فى الفكر الغربى باعتباره هو الفكر العالمى المسيطر ؛ وبذلك يفقد العالم الإسلامى قيمته الأساسية ويستسلم للاحتواء الغربى ويسقط كفريسة ذليلة فى يده . وقد كان لابد لتنفيذ ذلك من إيجاد « جهاز فكرى » له مؤسسات منشورة فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى ، هذا الجهاز هو « الإرساليات التبشيرية » التى كان لها دور عميق المدى فى خلق تيار جديد مؤمن بالفكر الغربى مدافع عنه لا يقف من الاستعمار موقف الخصومة بل موقف الولاء والتقدير ، عن طريق هذا الجيل الذى تخرج من مدارس الاستعمار ، وحمل لواء الكلمة عن طريق الصحافة والثقافة فى نفس الوقت الذى سيطر فيه الاستعمار على مناهج التعلم فى المدرسة الأجنبية والمدرسة الوطنية وفى الجامعات وفرض مفاهيمه فى محاولة للقضاء على إبراز مقومات الفكر الإسلامى وهو المقاومة للغاصب وفى سبيل إحلال مفهوم التقبل والرضى للنفوذ الاستعمارى باسم الحضارة والمدنية وباسم دعوى عريقة تقول بأن الأمم المتأخرة والملونة لابد أن تتقبل الحضارة والثقافة الغربية تقبلاً كاملاً حتى تستطيع أن تنهض وأن تصبح متحضرة وأن تكون أهلاً للتحرر من الاستعمار . ولقد أيد الاستعمار هذا النفوذ الجديد للتبشير المتمثل فى الإرساليات بمدارسها ومستشفياتها ومؤسساتها حتى أنها كلما عقدت عقداً مع أى دولة عربية أو إسلامية كانت ننص فى صلب المعاهدة على حماية هذه الإرساليات ودعمها وحتى أن بريطانيا لم تقبل إدخال العراق فى عصبة الأمم إلا بقبولها حماية هذه الإرساليات والمؤسسات .

وقد كانت حركة التبشير من أكبر الأعمال التي اعتمد عليها الاستعمار في تركيز وجوده وبقائه ، ليس فقط في خلال فترة احتلاله لهذه الأقطار ، بل لإهداد ركائز تبقى بعد جلائه عن طريق أجيال تستقطب مفاهيمه وقيمه وتزييفها حتى تصبح حقائق أساسية لا سبيل إلى إنكارها ، وذلك بموالة ترديدتها ولها فرص متاحة من النشر والإذاعة في مجالات الصحافة ومجالات التعليم بصوت عال ، فننفذ إلى القلوب والعقول وتستقر فيها . من وراء حركة التبشير تقف مؤسسة الاستنراق التي هي المصنع الذي يعد الشبهات والطعون ويقدمها للعاملين في حقل التبشير لنشرها والإذاعة بها . وهناك حقيقة يجب تقريرها أن هدف التبشير لم يكن في أساسه تحويل المسلمين إلى أديان أخرى ، فقد تأكد للدعاة منذ أول الطريق استحالة ذلك . ولكن الهدف الأكبر هو إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم ومفاهيمه أساساً وبذلك يصبحون عجيئة طيبة للتشكل وفق مفاهيم الفكر الغربي والاستعمار ولذلك فإن حركة التبشير هي أساساً حركة استعمارية لخدمة النفوذ الأجنبي وتأكيداته وتعميقه . ولقد حمى التبشير وأذاع الدعوات الهدامة التي انتشرت في العالم الإسلامي سواء ما يتصل بالإلحاد أو الإباحة أو الأحزاب المتصلة بالنفوذ الأجنبي ، مع تعميق الدعوات القديعة وابتعاثها كالفرعونية والفينيقية والبربرية وغيرها . أو تأريث الخلافات المذهبية في الإسلام أو بين الإسلام والأديان الأخرى أو بين العرب والأجناس الإسلامية الأخرى . وكذلك الدعوة إلى العروبة في مواجهة الروابط الإسلامية أو الدعوة إلى الإقليمية في مواجهة الوحدة العربية : وكانت اللغة العربية والدين بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة والتاريخ العربي الإسلامي هي أبرز أهداف الحرب التي أثارها المؤسسات التبشيرية ، وهي حرب لا هوادة فيها باعتبارها الركائز الأساسية للمسلمين والعرب فهي لا تتوقف عن انتقاص مفاهيم الإسلام وإثارة الشبهات حولها وخلق دعوات تحمل لواء الإسلام وتنكر لأهم مقوماته وهو « الجهاد » حيث تتجاوزه أو تقلل من أهميته أو تفسره تفسيراً خاطئاً ، وكذلك الطعن على اللغة العربية والحملة عليها ، بهدف إيقاف نموها وتغليب العامة عليها أو تغليب اللغات الإقليمية أو اللغات الأجنبية عليها ، حيث يعرف الاستعمار أن الفصحى تنمو بنمو الإسلام نفسه . وتتصل الحملات بالتاريخ والتراث فتشتر حولها كثيراً من الشبهات والأكاذيب ، ولقد وضع المستشرقون والمبشرون كتباً متعددة حملوا فيها على الإسلام والعرب والمسلمين حملات ضارية رموهم بكل نقيصة ، وأثاروا شبهات متعددة حول قيم الإسلام ومفاهيمه . وطعنوا على النبي محمد ، كما حملوا حملات شديدة

على القرآن والسنة النبوية وفي مقدمة هؤلاء مرجليوث وهانوتووز وعمر ولامنس وكرومر ولا فيجرى ودنلوب وكان هدف هذه الحملات العمل على تغيير العقلية الاسلامية والقضاء على مقوماتها الأساسية ، فقد أجمعت خطط المبشرين ودراساتهم على أن الهدف من التبشير هو « إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الاسلامي وإبعاد العناصر التي تمثل الاسلام عن مراكز التوجيه » وقد أشار واحد من مؤتمرات التبشير العالمية إلى أن السياسة الاستعمارية قد استطاعت أن تقضي على برامج التعليم في المدارس الابتدائية حين أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الاسلام وبذلك « أخرجت ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً » وأشار إلى هذا مدير إحدى الجامعات التابعة للرساليات التبشيرية الكبرى حين قال : « إننا نراقب سير القرآن في المدارس الاسلامية ونجد فيه الخطر الداهم ، إن القرآن وتاريخه هما الخطران العظيمان اللذان تخشاها سياسة التبشير » ويرددون دائماً أنه إن عجزت إرساليات التبشير عن زحزحة العقيدة الاسلامية في نفوس معتقديها فانها تستطيع أن تقضي لبانيتها من هدم الفكرة الاسلامية ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية فنشرها اللغات الانجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية بتحلك الاسلام بصحف أوروبا وبتمهيد السبيل لتقديم إسلامي مادي وبذلك تقضي الارساليات لبانيتها من هدم الكفرة الدينية الاسلامية .

(٢) كانت الارساليات التبشيرية هي مقدمات الاستعمار وطواله الممهدة له ، فحيث مد النفوذ الأجنبي رواقه في العالم الاسلامي كانت هذه البعثات هي القوى المتقدمة والطلائع المقدمة فمنذ أوائل القرن التاسع عشر تقريباً بدأت عملية الغزو التبشيري في ببطء وأناة مترابطة بخطوط أخرى كأجهزة عاملة لتحقيق السيطرة الاستعمارية . ولقد وجدت قوى التبشير الطريق مفتوحاً وميسراً مع العوامل التي أعدها لها النفوذ الاستعماري ، وأهمها الامتيازات الأجنبية ونفوذ القنصل وسيطرة الدول الأجنبية على كثير من الأمراء في إيران كالبشاه ناصر الدين في إيران والخبديو اسماعيل في مصر وغيرهما ممن فتح لهم الغرب باب الاستدانة . ولما كانت الدولة العثمانية هي أكبر أهداف التبشير كمقدمة لتحزيقها وتوزيعها فقد ركزت القوى الاستعمارية بحملات تبشيرية انطلقت من مختلف الدول الأوربية وبعثات من دول فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيرلندا والسويد والدنمرك والروس . وفي خارج الدولة العثمانية تركز الاستعمار في فارس وأندونيسيا (جاوه) والهند الاسلامية . ولما كان المخطط قد رسم أساساً للسيطرة فقد عمد النفوذ الاستعماري أولاً للقضاء على القوى الشابة الجديدة وفي مقدمتها

الحركة الوهابية في الجزيرة العربية والنهضة المصرية التي قادها محمد علي ، وكان أن حرض الاستعمار الدولة العثمانية على دفع إحدى القوتين للقضاء على الأخرى ، ثم تفرغ من بعد القوة الأخرى ، فكانت عملية التدخل العسكري في الشام عام ١٨٤٠ التي مزقت الوحدة التي كونها إبراهيم ، وبذلك أهلت سوريا لعملية من أخطر السيطرة الأجنبية في صراع بين النفوذين الفرنسي والبريطاني مما دفع الدولتين إلى إثارة الصراع بين الطائفتين : الموارنة والدروز وقد أخذت فرنسا جانب الموارنة وأمدتهم بالأسلحة ، وفعلت بريطانيا مثل ذلك بالنسبة للدروز ومهد ذلك للصدام الذي وقع بتحريض الدولتين عام ١٨٦٠ وكان ذلك مقدمة للخطة التي أعدتها الدول الأجنبية من اتخاذها لبنان رأس جسر لنفوذها في الشرق كله وذلك بوضع نظام يكفل للبنان نظاماً خاصاً ، وحاكماً في حماية الدول الأوروبية ، وفي ظل هذا الوضع الذي أهل لبنان لتكون منطلقاً للغزو الاستعماري سياسياً وثقافياً بدأت الارساليات التبشيرية تصل إليها وتعمل في حرية مطلقة وتتخذ منها حقلاً لكل مخططات النفوذ الأجنبي وفي مقدمته . ١ - القضاء على الرابطة الاسلامية الجامعة للمسلمين في العالم كله . ٢ - إعداد خطط الفصل والوقية بين العرب والترك . ٣ - إعداد خطط الفتن والخلاف بين المسلمين وغير المسلمين والعرب . ٤ - تمكين الصهيونية من السيطرة على فلسطين . ٥ - تخريج طبقة مثقفة تفتح أمامها وسائل الحكم والسلطان في مختلف أجزاء العالم العربي ، وكانت بيدها المدارس الأجنبية وإرساليات التبشير في مختلف صورها ، من معاهد وجامعات ، وقد احتضنت لبنان نفوذ فرنسا وأمريكا ، في نفس الوقت الذي تقدمت كل دولة من ذات المطامع إلى الدولة العثمانية معلنة نفسها حامية لطائفة معينة : فالفرنسيين لحماية الكاثوليك والبريطانيين لحماية البروتستانت والروس لحماية الأرثوذكس وهكذا بدأ الغزو الاستعماري للعالم الاسلامي باسم العلم ورصدت لذلك الميزانيات الضخمة ، وكان لهذه البعثات أثرها الهام في حل المسألة الشرقية - على النحو الذي أرادته الغرب - كما اعترف بذلك كبار السياسيين وكان لها دورها في تمزيق الوحدة السياسية التي ظلت قائمة بين الترك والعرب خمسة قرون . ففي المرحلة الأولى حملوا لواء الدعوة إلى العروبة وتدريس اللغة العربية والالحاق على الحرية ومقاومة الاستعمار كوسائل مرحلية حتى سقط السلطان عبد الحميد وتسلمت حكم الدولة العثمانية جماعة الاتحاديين ثمرة الارساليات والنفوذ الاستعماري ، وهنا تحول اتجاه هذه المؤسسات والجامعات من الدعوة إلى العروبة وحماية اللغة العربية إلى اتخاذ اللغات الأجنبية أساساً للتدريس مع الحملة على الوحدة العربية واللغة العربية وتغليب العامية والحروف اللاتينية

عليها وطبع التعليم طبعاً علمانياً خالصاً . ومن الحق أن يقال إن النفوذ الاستعماري قد اختار في الدولة العثمانية ثلاث مناطق من أخطر المراكز الأساسية لعمله - الأولى : (لبنان) - والثانية (مصر) - والثالثة (سالونيك) في تركيا ، وقد قامت كل منها بدور ضخم ، أما لبنان فقد غطت منطقة الشام جميعاً والعراق أما مصر فقد كانت تمثل القيادة الفكرية للعالم العربي كله . ولذلك فقد جاء التركيز عليها في مجالات التعليم والثقافة والصحافة عاملاً أساسياً في إعداد خطط النفوذ الاستعماري في العالم العربي بل الاسلامي كله ، أما سالونيك فقد كانت مقر المخطط التبشيري والاستعماري الذي خلق القوة التي صارعت الخلافة والدولة العثمانية وقضت عليهما نهائياً . وقد اعتبر المبشرون عام ١٩٠٨ من الأعوام الحاسمة في حركة التبشير في العالم الاسلامي كله وإن الانقلاب الذي قاده الاتحاديون الذي أنهى حكم السلطان عبد الحميد هو عمل بعيد الأثر في توسيع حركة التبشير في الدولة العثمانية كلها فقد أصبح تجول المبشرين في البلاد العثمانية والعربية والفارسية غير ممنوع ، وكانت السلطة السياسية على أكثر المسلمين قد انتقلت من يد الخلافة الاسلامية إلى يد انجلترا وفرنسا وروسيا وهولنده ، كما أصبح بيع كتب التبشير مباحاً بسبب حرية النشر التي أعطاهها الدستور العثماني . وقد عقدت الهيئات التبشيرية عدداً من المؤتمرات منذ عام ١٩٠٦ عندما عقد المؤتمر التبشيري الأول بمنزل أحمد عرابي في باب اللوق في القاهرة (تحديداً واستفزازاً) . ثم عقدت مؤتمرات في أدنبرة عام ١٩١١ وبيروت ١٩١١ ولكنو بالهند ١٩١٣ ، وفي القدس وبرمانا (لبنان) وقسنطينة في الجزائر وحلوان في مصر عام ١٩١٤ وفي القدس ١٩٢٨ وفي تونس عام ١٩٣٢ وفي القدس عام ١٩٣٥ . وقد شهد هذه المؤتمرات عديد من كبار الساسة وكثير من المستشرقين والكتاب المبشرين وبلغ عدد الهيئات التي اشتركت في كل مؤتمر أكثر من مائة من أربعين دولة . وكان التركيز على فلسطين واضحاً في عقد مؤتمرات الارساليات التبشيرية بها وتنافسها مع قوى الاستعمار والصهيونية وهو ما أطلق عليه « إعداد الفريسة للالتهام » وهو ما تحقق بعد ذلك . وكانت هذه المؤتمرات تحاول أن تكشف الطريق للهيئات التبشيرية مرحلة بعد مرحلة ، حتى أنهم أطلقوا على حملتهم « فتح العالم الاسلامي » في وجه الثقافة الغربية بحسابه أصبح عالماً ممزقاً مغلوباً على أمره تسيطر عليه حكومات الانتداب أو حكومات لها ولاية للنفوذ الاستعماري وفي ظل النفوذ الفرنسي والبريطاني والهولندي لأغلب أجزاء العالم الاسلامي . وقد أولت هذه المؤتمرات دراسات واسعة لعملها في المجالات الثلاث

١- المدرسة : ٢- المستشفى : ٣- الصحيفة والكتاب . وكانت دائماً تعد أساليبها بما يحقق الغاية وفق ما تسفر عنه المرحلة السابقة وكانت هذه المؤتمرات تذكر دائماً بما في أيديها من قوى : (أولاً) معاهدة فرساي التي نصت في المادة ٤٣٨ على جواز التبشير في سورية . (ثانياً) الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية ومصر (ثالثاً) الوضع الخاص الذي فرضه النفوذ الأجنبي على لبنان منذ عام ١٨٦٠ وقد وصلت هذه المؤتمرات إلى خطط محددة أهمها أن التعليم هو أنجح الخطط في تحقيق الأهداف ، وذلك بوضع الشباب المسلم العربي تحت تأثير التعليم (الغربي المسيحي) وأن يشمل هذا التأثير أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة أوطانهم . كما عمدت هذه المؤتمرات إلى دعم المخططات الفرعية وفي مقدمتها دعوات الفرعونية في مصر والبربرية في المغرب والبحر المتوسط في سوريا والفينيقية في لبنان ، وتنشيط دعوات القاديانية والبهاية والانتفاع بنشاط المحافل الماسونية والسيطرة على الصحف والأندية والجمعيات . غير أن أكبر خطوة للتبشير في العصر الحديث إنما تتمثل في عقد معاهدة لثران التي عقدتها الحكومة الإيطالية مع الفاتيكان . والمعروف أن خطوات التبشير في العالم الاسلامي قد تلاحقت منذ مطلع القرن الثامن عشر غير أن خطواتها الضخمة قد تمت في فترة ما بين الحربين ، هذه الفترة التي يطلق عليها فترة «إنضاج» الثمار التي سيكون لها الصدارة في مجالات القيادة السياسية والثقافية في العالم الاسلامي كله ، ولذلك فقد حرص الاستعمار أن يبقى في هذه المرحلة حارساً لهذه المؤسسات ومدعماً لها حتى تتم مهمتها وتركز أقدامها بحيث يصبح من المستحيل بعد ذلك إجلاءها عن قواعدها . أما معاهدة تاليران التي عقدت بين الفاتيكان والدولة الإيطالية فقد حققت أن تستولى الفاتيكان بمقتضاها من الحكومة الإيطالية على (٧٥٠ مليون ليرة إيطالية) كتعويض عن حقوقها المالية التي توقفت منذ عام ١٨٧١ عندما وقع الخلاف بينهما . وكذلك على ربح قدره خمسة في المائة لقرض إسمى قدره ثلاثة مليارات ليرة تصدره الحكومة الإيطالية . (اقرأ التفاصيل في كتابنا : مخططات التبشير) وقد نشرت تصريحات أثر ذلك أعلنت أن القسم الأكبر من هذه الأموال ستصرف في تقوية البعثات التبشيرية في المشرق وأفريقيا . وتوقع الكثيرون أنه لن يمضي وقت طويل حتى تبدأ غزوة جديدة للتبشير في العالم الاسلامي ، وقد حدث ذلك فعلاً سنوات ١٩٣٢ و ١٩٣٣ في مصر عندما هزتها حركة تبشيرية ضخمة كان لها أثرها البعيد المدى في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية . وقد بلغ من أهمية هذه المعاهدة أن وصفها الأمير شكيب أرسلان

بأنها من أعظم الحوادث التاريخية في هذا العصر . وقد استتبع ذلك أن أعلن الفاتيكان عن إنشاء معهد خاص لدراسة الفقه الاسلامي والعقيدة الاسلامية وذلك حتى يمكن المبشرين من مهاجمة الاسلام في بلاده . وقد ركز التبشير تركيزاً كبيراً على مصر بعد انتهاء الحرب الاولى سنة ١٩١٨ لأمريين : (الأول) أن مصر هي مركز الثقل في العالم العربي كله وكل ما يثار فيها من تيارات إنما يكون عاملاً عاماً للتأثير على مختلف الأجزاء . (الثاني) إن المرحلة الاولى في مصر قبل الحرب عن طريق ثمار الارشاليات التبشيرية الاولى قد آتت أكلها عن طريق الصحافة والتي أبرزت ألمع نجومها من الصحفيين الغربي النزعة خريجي هذه الكليات من زيدان إلى صروف إلى فرج أنطون إلى سر كيس إلى شبل شميل بالإضافة إلى الصحفيين الذين عملوا في فرنسا وبريطانيا . ولذلك فقد اجتاحت في أوائل الثلاثينات مصر والسودان حملة تبشيرية ضخمة عن طريق بعض المعاهد الكبرى للارشاليات وبعض مستشفياتها ، ولم تلبث الحركات العنيفة أن كشفت عن أحداث خطيرة تمثلت في إغراء بعض الشباب والفتيات المسلمين عن طريق التنويم المغناطيسي على ترك دينهم وفي خلال هذه المعركة اندفع المبشر «زويمر» فاقترح الجامع الأزهر ووزع منشوراته بها وتآلفت على أثر ذلك جمعية الدفاع عن الاسلام من صفوة العلماء والكتاب ، وأهدت النصح إلى المصريين بسحب أبنائهم من المعاهد التبشيرية ودعت إلى انشاء معاهد ومدارس لفقراء المسلمين . وقد رافقت هذه الحركة في مصر والسودان حركات مماثلة في تونس والجزائر والمغرب أهمها حركة الظهير البربري في المغرب وحركة التجنيس في تونس وحركة الادماج في الجزائر . وقد اهتمت الحركة في هذا بتقارير اللورد كرومر عن التبشير ، الذي وجه أنظار المؤسسات التبشيرية إلى العمل في جنوب السودان حيث الميدان خصيب وبكر ، وقد نفذت الحكومة السودانية الخطة بدقة فأوجدت فاصلاً بين الشمال والجنوب وأطلقت على تلك الأجزاء «المناطق المقفلة» وحالت بين المسلمين الشماليين وبين الجنوب . كما استقدم لهذه المناطق كثير من المبشرين وجرت محاولات تجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية ، وفي المغرب صدر الظهير البربري عام ١٩٣٠ الذي استهدف إخراج القبائل البربرية المسلمة من حظيرة الشريعة الاسلامية وإلغاء العيول التي تعلم باللغة العربية في مناطق القبائل ، والعمل على فصل البربر المسلمين عن العرب ووضع أنظمة خاصة بهم في القضاء والتعليم مستمدة من قوانينهم العرفية القديمة . وفي مصر وعديد من بلاد الشرق اقتحم دعاة (البهائية) المجال وبشروا علناً وكتبوا في الصحف وأقاموا

محافلهم وكذلك اندفع دعاة القاديانية في الهند الاسلامية وغيرها . وفي قلب أفريقيا تدفقت مختلف البعثات التبشيرية الكاثوليكية واليسوعية والبروتستانتية : من السويد وانجلترا وألمانيا ، وكانت خطة (ولفنجستون) هي دليل العمل قال «إن نهاية الاكتشاف الجغرافي هي بداية العمل التبشيري» . وفي الهند ركز النفوذ الاستعماري البريطاني على الهند وأفصح للبعثات التبشيرية فيها منطلقاً واسعاً ، فقد وفد المبشرون إلى الهند قبل وصول بريطانيا وفي ظل النفوذ البريطاني المتزايد أنشأ المبشرون في مختلف بلاد الهند المدارس والكتليات والمستشفيات وأسسوا مراكز التبشير وترجموا التوراة إلى معظم لغات الهند ووزعوا منها الملايين من النسخ . ونفذت البعثات التبشيرية منذ وقت مبكر إلى فارس والأناضول والاسنة التي صارت منذ ١٨٤٦ مركزاً عاماً آمناً لأعمال المبشرين ، وفي الملايو توزعت البعثات التبشيرية وشغلت مختلف الأنحاء وأولت هذه البعثات اهتمامها للساحل الشرق من الجزيرة وإلى جاوه وسومطرا وفي الصين بدأت بعثات التبشير عام ١٨١٣ حيث انتشر المبشرون والأطباء التابعون لهم في مختلف المدن . وأولت حركة التبشير (الجزيرة العربية) اهتمامها الواسع جرياً على ما قاله ولیم جيفورد بالكراف : متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب حينئذ نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه .

ولذلك فقد ركز التبشير على الجزيرة العربية وطمع في الوصول إلى مختلف أجزائها وقد استغل وجوده في البحرين وفي عدن لهذا العمل ، كما وصلت بعثاته إلى البصرة والشيخ عثمان واتخذ المبشرون من أطراف جزيرة العرب مراكز تمهد لهم سبيل التوغل داخل الجزيرة . كما أذاعت بعثات التبشير نداءً حاراً عام ١٩٢٧ إلى مراكزها في أوروبا تناشدها لإرسال مبشرين إلى بلاد العرب حيث تشتد الحاجة إلى مائة مبشر . ومنذ وقت بعيد عمد التبشير إلى العمل في المملكة الفارسية (إيران) وكان التعليم التبشيري هو أبرز هذه المعالم فقد أنشأت الارساليات مدارسها عام ١٨٨٢ في مختلف مدن إيران (طهران ، ميناء بهلوى ، كرماشاء ، تبريز ، همدان) وقد تم لهم شراء أراضى شاسعة خارج مدينة طهران حيث جرى العمل على إنشاء كلية ضخمة افتتحت عام ١٩٢٨ . وفي العراق تنافست بعثات التبشير الكاثوليكية والبروتستانتية منذ وقت بعيد ، واستغلت هذه البعثات جماعات النساطرة للايقاع بينهم وبين المسلمين والعرب وإيجاد فتن وملاحم دموية على نفس النسق الذي اتخذه النفوذ الاستعماري في لبنان بين الدروز والموارنة . وفي أندونيسيا غزا التبشير الجزر الآلف وأعانته

حكومة هولندا المسيطرة على مقدرات البلاد وأفسخت مجال الارساليات ، وأعمال التبشير الأخرى عن طريق المستشفيات والانقضااض على الطلاب والشبان وقد واجه المسلمون أعمال المبشرين في مختلف أنحاء العالم الاسلامى بالكشف عن مخططاته وإقامة الجمعيات الوطنية وإنشاء المدارس الأهلية والرد على الشبهات في مجتمعاتهم وصحفهم بالرغم من نفوذ الاستعمار الغاصب المؤيد للتبشير وقد أشار إلى ذلك الدكتور سنوك هرجريجة حين قال : لا أعتقد أبداً أن الاسلام يسقط أمام النصرانية لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الغربى المسيحى وهو يرى أن النصرانية شئ مضى وأن تدينه بها هو خطوة إلى الوراء ، زد على ذلك أن الاسلام يربح تابعين له من الوثنيين ، فالذى يصير مسلماً لا يطلب منه شئ كثير ، إذ لا يوجد تقديس ولا طقوس دينية ولا تعليم طويل ، فكل ما يطلب منه أن يعترف بالله ، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعى ولكنه إذا تنصر فإنه يبيع دون غيره ويظل المرسل الدينى غريباً متنجساً عنه . . . وغاية القول في مخططات التبشير أنها بعد أن انكشفت أوراقها في أوائل الأربعينات قد حاولت أن تغير جلدتها ، وأن تتحول عن أساليبها الأولى إلى أساليب جديدة أشد خفاءً ومكرًا وربما لم تعد مظاهرها تبدو على السطح ، وهذا مما يؤكد خطورة العمل التشرى الذى تحول الآن إلى أيدي عدد من أبناء البلاد الاسلامية من أتباعه وتلاميذه ، ويمكن أن يقال أن أخطر تحول في طريق التبشير إنما أدى إلى دعم حركة التغريب وحركة الشعوبية معاً . أما وجود الخطر التشرى فهو قائم ، وأما عمله فهو مستمر لم يتوقف ، وطالما يطمع الاستعمار في البقاء الطويل فإن عليه أن يقضى على عوامل القوة والمقاومة في العالم الاسلامى ، ولما كان المسلمون والعرب يستمدون عوامل قوتهم ومقاومتهم من أسس فكرهم الاسلامى العربى فإنه يعمل دوماً لتحريف هذه الأسس وإثارة الشبهات حول هذه القم والمفاهيم والحقيقة التى يجب أن تكون ماثلة في كل عقل ونفس ، هى أن النفوذ الاستعمارى الذى ما تزال مصالحه قاعة في العالم الاسلامى والأمة العربية إنما يريد استبقاء هذا النفوذ عن طريق تغريب الثقافة العربية والفكر الاسلامى وسلخ مقوماتها وإضفاء مقومات الفكر الغربى والثقافة الغربية عليهما بحيث ينتزع من هذه الأمة مقدراتها النفسية والعقلية على مقاومته أو معارضته أو التخلف منه وإحلال روح من التقبل له والتشبع به والصدقة معه والدفاع عنه بل والإعجاب به ، هذه الروح تحمل في طياتها أيضاً الغض من شأن التراث الاسلامى واللغة العربية الاسلامية والشرعية وإثارة الشبهات والاهامات حولها جميعها وهذا هو الذى تقوم به المعثات التبشيرية به وإن غيرت جلدتها .

(٣) الصهيونية

تمثل الصهيونية بدءاً جديداً للاستعمار والغزو الغربى المتطلع إلى السيطرة والنفوذ فى العالم الاسلامى ، وهى بمخططاتها تمثل كياناً مستقلاً من كيانات القوى الغازية ، وهى بتعاونها مع القوى الاستعمارية متباعدة منها أصلاً تشكل اتحاداً مع النفوذ الاستعماري الغربى . والصهيونية حركة يهودية قام بها أصحابها فى مواجهة التحديات والأخطار التى واجهت اليهود فى أوروبا والاضطهاد الذى واجههم فى أجزاء كثيرة منها وكان تطلع هذه الحركة إلى إيجاد وطن قوى فى أى بقعة من بقاع العالم للإقامة فيه والهجرة إليه . وقد وجدت هذه الحركة تقبلاً من النفوذ الاستعماري نفسه ، من ناحية لتكون عاملاً معاوناً بخلق استعمار استيطاني ، ومن ناحية أخرى كان متقبلاً من الغربيين للتخلص من النفوذ اليهودى باخراجه من أوروبا . وكان الاستعمار الانجليزى قد فكر وقدر فى محاولة إقرار وجوده فى العالم الاسلامى حين قرر عام ١٩٠٧ إلى أن إيجاد حاجز بشرى بين أفريقيا وآسيا من شأنه أن يحول دون وحده هذا العالم وتجمعه ، وقد تلقت الصهيونية هذا القرار وطمعت فى أن تحقق وجودها بالحصول على أرض فلسطين لتكون مقراً للدولة الصهيونية . وقد عمدت بريطانيا فى تبنى مخطط وطن قوى فى فلسطين تمهيداً لإقامة دولة صهيونية إلى تحقيق عدة مزايا كان أهمها تغطية قناة السويس من الناحية الشرقية وحمايتها ضد حركات التحرر العربية ، فضلاً عن كسب النفوذ اليهودى فى العالم كله ، غير أن الصهيونية لم تلبث حين تقرر الاتفاق بينها وبين الاستعمار على تحقيق مخطط السيطرة على فلسطين أن أعلنت فلسفة مستدة من الأساطير تتمثل فى العودة إلى فلسطين ويتصل ذلك بوجود اليهود فى فلسطين قبل ثلاثة عشر يوماً وحاولت الصهيونية أن تجعل من دخول اللورد النبي إلى فلسطين ١٩١٨ وسيطرة الاستعمار على القدس مقدمة لسيطرتهم عليها وحاولت أن تجعل من بعض النصوص القديمة وسيلة لكسب المسيحية إلى صفها . وعمدت الصهيونية إلى وضع مخطط واسع فى سبيل إكساب وجودهم فى فلسطين حقاً تاريخياً وذلك بالتزوير فى كتابات التاريخ وضع الموسوعات والكتب باللغات المختلفة وكذلك القصص المسرحية والسينمائية التى تحاول فرض نظريات جديدة قوامها القول بأن إسرائيل هو الشعب المختار الذى واجه الاضطهاد على مدى التاريخ وأن عظماء الفكر فى العالم وكبار المكتشفين والباحثين فى مختلف العلوم كانوا من اليهود وإعلاء شأن الجنس اليهودى والدعوة إلى السامية واعتبار كل من يقف فى وجه حركتهم هو من

أعداء الشامية وقد استطاعت الصهيونية بوسائلها المختلفة وأساليبها الممتدة وسيطرتها على الأسواق المالية والتجارية وأجهزة الإعلام في مختلف أنحاء العالم من ترديد هذه الدعاوى وفرضها على الفكر العربي وتزييف جذور هذا الفكر نفسه بالهجوم على المسيحية . وكانت الحركة الماسونية قد سبقت الحركة اليهودية في سبيل تحقيق هدف عريض تسعى له اليهودية العالمية وهو حكم العالم والسيطرة عليه وإقامة الامبراطورية الصهيونية كوريثة للحضارة الغربية والأنظمة الرأسمالية على السواء وقد تكشف هذه المخططات من خلال ما تسرب إلى العالم الاسلامي من نصوص التلمود وما كشفت عنه بروتوكولات حكماء صهيون ويوميات هرتزل وعديد من الكتابات التي سمحت للصهيونية بإذاعتها بعد الحرب العالمية الثانية وحاولت بها أن تكشف عن مخططاتها الخفية التي كانت سرية ومحاطة بقدر كبير من الكتمان . وظهر عدد من المفكرين الصهيونيين أمثال أميل لدوفيج الذي حمل لواء مهاجمة البطولة وتعريتها وإثبات أن جميع الابطال العالميين كانوا منحرفين وفرويد ودور كايم الذين حملوا لواء العمل على تدمير الشخصية الانسانية فعمد فرويد إلى علم النفس محاولا إثبات أن الجنس واللذة والغريزة هي مصدر كل تصرفات الفرد وأعلن دور كايم عن أن نظام الأسرة ليس من الأنظمة الطبيعية وأن الأديان خرجت من الأرض ولم تنزل من السماء وتولى كثيرون غير هؤلاء دعم المخططات التي استهدفت القضاء على مقومات الدين والأخلاق والمثل العليا في البشرية كلها تحقيقاً للمخطط الذي كشفت عنه بروتوكولات صهيون بالسيطرة على العالم بعد تدمير مقوماته . وتتصل بهذا حملات نيتشه وكير كجارد ورينان على المسيحية ورميها بأبشع الاتهامات ودعوات الوجودية والانحلال والعبث واللامعقول وغيرها من الدعوات التي تغمر البشرية الآن وتدفعها إلى أن تقع فريسة سائغة في أيدي القوى الصهيونية العالمية وقد كشفت كتابات كثيرة عن أبعاد المخطط الصهيوني في محاربة المسيحية والاسلام واخضاع الشعوب المختلفة في العالم وقد تكشف في السنوات الأخيرة الصلة الوثيقة بين النظريات التي حملت الطابع العلمى سنوات طويلة وبين التراث اليهودي الصهيوني ، بما يؤكد أن هذه النظريات وخاصة (التحليل النفسي) قد استقت من نفس المنبع الذي استقت منه الحركة الصهيونية طاقتها وتوجيهها وأن الحركتين سارتا معاً لكي تصلا آخر الأمر إلى غاية واحدة : هي الالتقاء بشعب الله المختار في أرض الميعاد وفي يقيني أن الكشف سيؤدى إلى مثل هذا بالنسبة للوجودية وغيرها من الدعوات . وقد قال الدكتور صبرى بجرجس : إن التحليل

النفسي الذي ابتدعه فرويد مع ظهور الحركة الصهيونية منذ سبعين سنة لم يكن علماً مجرداً كما زعم ، ولكنه وثيق الصلة في جوانبه المرضية والحضارية معاً بالتفكير اليهودي الصهيوني للذي ظهر في التراث منذ عهد التوراة وما بعدها . وإنه من أجل ذلك سخرت الصهيونية اليهودية أجهزتها الإعلامية والدعائية لنشر مفاهيمه والدعوة له في أوسع نطاق مستطاع حتى أصبحت الفرويدية من أقوى العوامل أثراً في التوجيه الفكري والخلق لعالم الغرب ، وقد ثبت أن فرويد كان يهودياً حقاً وعضواً عاملاً في بعض المنظمات وصديقاً شخصياً لهرتزل ، وأن العلاقة العضوية والمصلحية والمصيرية بين اليهودية والصهيونية والاستعمار الإمبريالي من ناحية وبينها وبين التحليل النفسي الفرويدي من ناحية أخرى قد جعلت من الحركات الثلاث ثالوثاً قوامه العنصرية وروح الاستعلاء ووسيلة الإفساد وهدفه الاستغلال ويشكل تحدياً يواجه البشرية ومستقبلها .

(٢) الصهيونية واجهة المطامع اليهودية العالمية

في عام ١٨٩٧ أجمع المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا برئاسة دكتور تيودور هرتزل مؤلف كتاب « الدولة اليهودية » وبذلك انتقلت الحركة اليهودية العالمية إلى مرحلتها الثانية وقد اتجهت الحركة الصهيونية إلى العمل الفوري من أجل تحقيق هدفها فركزت على العمل في الدولة العثمانية عن طريق المحافل الماسونية التي كانت بؤرتها « مدينة سالونيك » حيث توجد جالية (الدومة) المعروفة من اليهود الذين هاجروا من الأندلس بعد الاضطهاد وأعلنوا إسلامهم وأقاموا في هذا الموقع الخطير . ومن خلال المحافل الماسونية تأسس حزب الاتحاد والترقي الذي سيطر عليه اليهود وحولوه إلى هدفهم الراي إلى تنكيس الدولة العثمانية وتمزيقها وإيقاع الخلاف الدموي بين عنصريها العرب والترك . ومن ناحية أخرى فقد توجه الصهيوينيون مرتين إلى السلطان عبد الحميد بمشروع قوامه السماح لهم بالإقامة في فلسطين في مقابل دعم الدولة مالياً بقرض قدره خمسون مليوناً من الجنيهات وقد رفض السلطان هذا العرض صراحة حين قال : « انصحوا الدكتور هرتزل بالآ يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ، آني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا مزقت امبراطوريتي فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن

لا يبدأ هذا التمزيق في جثثنا فإنني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة». كان هذا العرض في الأغلب حوالى عام ١٩٠٢ مقدمة لإسقاط الخليفة عام ١٩٠٩ بعد انقلاب الاتحاديين عام ١٩٠٨ ، هذا الانقلاب الذى همل له المسلمون جميعاً ظناً منهم أنه فاتحة التحرر بالدستور الذى أعلن في أوائل حكم الاتحاديين . ويكنى في الكشف عن هذه الصفحة أن ننشر ما نقلته مجلة المشرق اليسوعية عام ١٨٩٥ عن مجلة الكلمة عن علاقة اليهود بدستور المملكة العثمانية كاشفاً عن نفوذ اليهود في تركيا منذ إعلان الدستور ، قالت نقلاً عن مجلة الكلمة . « إن الدستور العثماني ككل دستور آخر خطته يد الماسونية (يقصد دستور الثورة الفرنسية « حرية . إخاء . مساواة » قد منح اليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود في تركيا أن أخذوا يظهررون لدى الملأ ماذا يعنون بهذه المساواة ، فقبل كل شئ انسلوا إلى أعلى الوظائف في المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر أن مديري دفة جمعية تركيا الفتاة (المنبثقة عن حزب الاتحاد والترقي) هم يهود ، أما الحاخام باشى أو رئيس الحاخامات في الأستانة ففي يوم الاحتفال بمرور سنة على إعلان الدستور في المملكة العثمانية أخذ من شدة فرحه بالحرية الدستورية وعظم تعصبه للنصرانية أخذ يدوس برجليه أوراقاً منتزعة من الكتاب المقدس ، وبوجه الإجمال فإن إعلان الدستور في تركيا قد ملأ قلوب بنى إسرائيل أجمعين فرحاً عظيماً بهذا المقدار حتى أنهم أصبحوا كالسكارى لا هم لهم إلا الانتقام في السر والجهر من أخوتهم النصارى ، فأخذوا بواسطة أعوانهم لدى الباب العالي ينشرون كامن البغض بين الأتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية في المملكة العثمانية وكلما رأوا نيران هذا البغض بين الطرفين تكاد أن تخدم أوارها بادروا وزادوها وقوداً : ومما يؤيد لنا هذه الحقيقة هو أن جريدة التيمس الإنجليزية إحدى الجرائد المشهورة بمالائهم لليهود واليهودية ، رأت من واجبها أن تذكر اليهود بالدور الذى كانوا يلعبونه دوماً في تهيج الإسلام ضد النصارى وباشتراكهم مع الأولين في ذبح الآخرين ، وكفى مذابح سوريا ومذابح الأستانة ، ولا سيما مذابح أدنة ونواحيها ، وتذكرهم - أى جريدة التيمس - بما استفادته اليهود من وراء هذه المذابح الأخيرة وهو أن أراضي الذين ذبحوا أو هربوا من الأرض قد استملكها أحد اليهود المسيحيين جارييل وأسكنها يهوداً من روسيا وأشارت الجريدة إلى أن جمعية تركيا الفتاة التى أحست من جراء استسلامها للنفوذ الأجنبي مكروهة في أكثر أنحاء المملكة العثمانية وهذا ما جعل جريدة التيمس الإنجليزية تبادر إلى تحذير اليهود في كل مكان ولا سيما في تركيا وخامة

عواقب استعجالهم في التظاهر بأمانيتهم اليهودية « ا . ه . في هذه المرحلة تحالفت الصهيونية مع الاستعمار بفلسفة واضحة مخططة قوامها استعادة بناء هيكل سليمان . ووجد الاستعمار في المخطط الصهيوني عاملاً هاماً في طريق تحقيق وجوده وضغطه على العالم الإسلامي وذلك بإقامة احتلال استيطاني أخطر أثراً من الاحتلال العسكري والسياسي ، في بقعة من أدق بقاع العالم الإسلامي قلب الأمة العربية : فلسطين ، ولذلك فقد بدأ تحرك النفوذ الأجنبي وقوامه (فرنسا وانجلترا وروسيا) مع الحركة الصهيونية في سبيل تمزيق الوحدة الإسلامية الكبرى (العربية التركية) المثلثة في واجهة المقاومة : الدولة العثمانية . وكان الاتحاديون ثمرة المحافل الماسونية في سالونيك أخطر قوة في سبيل تحقيق هذه الغاية في الفترة منذ إسقاط عبد الحميد عام ١٩٠٩ إلى انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩٠٨ حين أمكن التمهيد الكامل لصدور وعد بلفور وبدء إقامة كيان صهيوني يهودي في قلب فلسطين . فقد بدأت الصهيونية في حملتها مع الدول العثمانية إلى الإغراء فالتآمر ثم استغلت قوة داخلية تركية أساسية لهدم الدولة ، بعد أن أزاحت السلطان عبد الحميد الذي استطاعت الصهيونية العالمية بالاشتراك مع الاستعمار أن ترميه بكل نقيضة في محاولة إظهاره للمسلمين في أبشع صورة ، بعد أن استطاع خلال أربعين عاماً أن يشغل أوروبا بمشاكلها الخاصة وأن يحبط مؤامرتها وذلك برفع لواء الوحدة الإسلامية . وقد حاول سفير بلغاريا في الآستانة أن يؤلب الدول الأوروبية على عبد الحميد حين قال إنه من طراز السلطان محمد الفاتح الذي سبق له أن طرق بجيوشه أبواب أوروبا وأن عبد الحميد يهدف إلى إعادة عظمة الدولة وإعادة مجد المسلمين ، فعليكم تناسي خلافاتكم ومعرفة أي شخصية تواجهون . والمعروف في هذا الصدد أن السلطان عبد الحميد حين رفع علم الجامعة الإسلامية واستقدم جمال الدين الأفغاني إنما كان يحاول أن يتخذ خطة غاية في القوة والبراعة لولا أن عجل النفوذ الاستعماري والصهيونية بالقضاء عليه ، كانت خطته هي محاولة تعريب الخلافة وإيجاد الكيان العربي في قلب الدول الإسلامية نفسها ، وكان هذا هذا العمل من أخطر ما تنبه إليه الاتحاديون والماسونيون وخشوا أثره لو تحقق والواقع أن عبد الحميد كان بسبيل إحياء سنة السلطان سليم بتعريب الديوان وجعل اللغة العربية : اللغة الرسمية للدولة ثم السعى لتعريب الخلافة نفسها وصرفها عن الأتراك المحدثين ويرجع ذلك في نظر الكثيرين إلى أرومته العربية التي يرتبط بوشائجها عن أمة الهاشمية . والمعروف أن الدونما في مدينة سالونيك المجاورة لليونان حيث مقر المحافل الماسونية ومراكز الاتحاديين .

كانت منطلق حركة خلع عبد الحميد ، كما انطلق فيها بعد ذلك بسنوات الذين حملوا لواء إلغاء الخلافة . وكان واحد من الثلاثة الذين حملوا للخليفة وثيقة التنازل هو أحد الذين حملوا إليه وثيقة الصهيونية في القرض اليهودي نظير سباحة بدخول فلسطين وكان معنى هذا واضحاً أن الصهيونية قد استطاعت أن تزيل من طريقها أخطر عدو لها .

وكان تيودور هرتزل في كتابه «الحل الصهيوني» الصادر عام ١٨٩٥ ثم في المؤتمر الصهيوني العالمي عام ١٨٩٧ قد رأى أن تكون فلسطين أرض الدولة اليهودية ، ثم عقد المؤتمر الصهيوني مرة أخرى عام ١٩٠٨ وأصر على أن تكون فلسطين أرض الميعاد هي مقر الدولة اليهودية . فلما تحقق الانقلاب التركي انفتح باب الأمل أمام الصهيونية في فلسطين ، وقد عاونت الماسونية الاتحاديين في خلع السلطان عبد الحميد عن طريق خطة الزحف على العالم بقيادة ضابط مسلم عربي هو محمود شوكت ومعه عارف حكمه وقارصوه اليهودي وحين ولي الاتحاديون السلطان محمد رشاد كان نفوذ الاتحاديين والصهيونية والماسونية قد قرر كل شيء بالنسبة لتمزيق وحدة الأتراك والعرب عن طريق أخطر رجالهم : أحمد جمال الدين باشا . وقد أثبتت عشرات المصادر أن الماسونية كانوا يؤلفون القسم الأعظم من أفراد جمعية الاتحاد والترقي وإن كانت لهم اليد الطولى فيما أصاب الدولة ، ثم في قيادة حركة الجامعة الطورانية وتتركب العناصر العربية وأنهم أبعدوا العناصر العربية عن جمعية الاتحاد تحرزاً من كشف مخططاتهم ، وكانت أخطر أعمالهم شق الأحرار العرب لآيجاد خصومة دموية تقطع كل أمل في الالتقاء بين العنصرين ، وإرغام الدولة العثمانية على دخول الحرب إلى جانب الألمان ، فلما انهزمت تركيا بانهازم الألمان تحقق كل شيء للنفوذ الاستعماري واليهودي معاً : ١- القضاء على الدولة العثمانية . ٢- تقسيم الأجزاء العربية بين فرنسا وإنجلترا . ٣- صدور وعد بلفور بإقامة الدولة اليهودية . ٤- تحويل الدولة العثمانية إلى دولة تركية قومية علمانية معادية للإسلام واللغة العربية . ثم كان للماسونية الصهيونية بالاشتراك مع النفوذ الأجنبي ان تحقق أخطر خطوات تمزيق الوحدة الإسلامية وهي إسقاط الخلافة . فهم الذين حرضوا مصطفى كمال الذي تدل كثير من الدلائل على أنه كان من دومة سالونيك وأنه كان من أخطر رجال الماسونية والاتحاديين ، ومما يذكر في هذا الصدد أن معاهدة لوزان قد رافقها مقررات سرية كانت تحتم إسقاط الخلافة العثمانية وإلغاء وجه تركيا الإسلامي العربي (٣) ما هو الخطر الذي واجه العالم الإسلامي ويواجه نتيجة للحركة

الصهيونية وإنشاء إسرائيل في فلسطين قلب الوطن العربي: الواقع أن الصهيونية كانت تحدياً جديداً للعالم الاسلامي أصبح مع مرور الأيام أشد خطراً من الاستعمار نفسه ، بعد أن قطع المسلمون مراحل طويلة في مقاومة الاستعمار نفسه والادالة منه وتحقيق جانب من الانتصار عليه وهو إنهاء الاحتلال العسكري من أغلب أجزاء العالم الاسلامي وإن بقي الاستعمار الاقتصادي والثقافي مسيطراً ولكنه في طريق المواجهة والمقاومة . أما الاحتلال الصهيوني لفلسطين فقد أخذ صورة أكثر عنقاً من الاستعمار نفسه ، فهو استعمار استيطان من نوع أشد خطورة ، ففي بعض مناطق العالم الاسلامي عمد الاستعمار إلى تنفيذ الاستعمار الاستيطاني وذلك باستقدام مجموعات من الأجانب للإقامة في الأوطان المستعمرة (كما فعل الاستعمار الفرنسي في الجزائر) ولكن الاستعمار الصهيوني يختلف عن ذلك ويتميز بأنه كان أشد ضراوة لأنه طرد الشعب الأصيل ليحل هو محله . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن الصهيونية عمدت إلى الإعلان عن مخطط واسع لبناء امبراطورية كبرى يجرى تنفيذها من النيل إلى الفرات ، مرت في مراحل مختلفة كان في مقدمتها وعد بلفور ١٩١٧ وإنشاء الدولة الإسرائيلية عام ١٩٤٧ متعدية الحدود التي رسمها قرار التقسيم الذي رفضه العرب ثم التوسع الجديد الذي وقع ١٩٦٧ بضم القدس والضفة الغربية وصحراء سيناء وهضبة الجولان . هذا هو الخطر الذي واجه العالم الاسلامي منذ خمسين عاماً ، وإن لم تؤثر تحدياته في هذا الوطن كله إلا في السنوات الأخيرة بعد سيطرة اليهود على القدس وانتزاعها من المسلمين والعرب بعد أكثر من ألف عام عندما انتزعها الصليبيون واستردها صلاح الدين وبدو أن الخطر الصهيوني الذي كان يمثل تحدياً للأمة العربية وحدها إلى ما قبل ١٩٦٧ قد أصبح اليوم خطراً أشد ضراوة بالنسبة للعالم الاسلامي كله ، إذا ما وضعنا في اعتبارنا التوسع الاقتصادي الذي تقوم به إسرائيل في قلب أفريقيا وسيطرتها على بعض الدول الاسلامية وذلك عن طريق النفوذ الاستعماري الذي يفسح لها المجال في كل مكان وهذا هو مصدر الخطر الذي يواجهه العالم الاسلامي ، حيث ينسحب الاستعمار التقليدي اليوم من مناطق كثيرة في نفس الوقت الذي يتسع فيه نفوذ اسرائيل كبديل له أشد خطورة وأعرق أثراً ولقد كان الاستعمار يرى في إسرائيل منذ إنشائها قاعدة لاستمرار سيطرته على العالم الاسلامي ، وكانت بريطانيا وأمريكا من بعدها ترى في الصهيونية بديلاً من الاستعمار الذي انتهى عهده ، ووسيلة لاستمرار رسالتها الاستعمارية والسيطرة الاقتصادية والثقافية على أخطر أجزاء العالم الاسلامي

ولا سيما منطقة قناة السويس الاستراتيجية والقدس التي يتمثل فيها نفوذ الأديان الثلاثة الاسلام والمسيحية واليهودية. وهذا ما عبر عنه السياسي البريطاني إميرى حين قال: «إن بريطانيا قد تأكد لديها أنه لن يحصى مصالحها في الشرق الأوسط سوى إنشاء دولة صهيونية في فلسطين» غير أننا إذا ألقينا نظرة عميقة على أثر الحركة الصهيونية وقيام إسرائيل في العالم الاسلامي والأمة العربية نجد أن فلسطين كانت بؤرة الانتفاضة العربية الاسلامية . فهي في مفهوم العرب والمسلمين الحملة الصليبية التاسعة على العالم الاسلامي أو امتداد لهذه الحملات لتحقيق أهداف بعيدة المدى أهمها : أن تكون مركزاً انقراض للاستعمار على العالم العربي ، وبها يتحقق بقاء التجزئة والاقليمية وعزل الجناح الاسيوي ، وإياداة شعب فلسطين العربي والاستيلاء على أرضه وليس أدل على الترابط بين الحروب الصليبية والغزو الاستعماري الحديث ، والسيطرة على فلسطين من تصريح اللورد اللنبي الانجليزى الذى قال حين دخل القدس : اليوم انتهت الحروب الصليبية ، وقول الجنرال غورو الفرنسى حين دخل دمشق : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين - وبذلك جدد الاستعمار الرابطة بين وعد بلفور وبين الحروب الصليبية التي انتهت من ثمانمائة عام . وكان قيام إسرائيل في قلب العالم الاسلامي والوطن العربي ، مصدر صدمة خلقت يقظة عارمة حتى يمكن القول بأنها (بؤرة الانتفاضة) التي عرفها عصرنا الحديث ، وقد أرادها الاستعمار مؤامرة للقضاء على الأمة العربية وتمزيقها وتحقيق ما عجز عنه في الفترة التي بدأت منذ صراعه مع العرب ولقد حرصت بريطانيا أن تعد فلسطين لاقامة الدولة اليهودية منذ اليوم الأول لانتدابها ، ولكن العرب لم يستسلموا بالسهولة التي كانوا يتصورونها ، وقد سجل ذلك (وايزمان) في مذكراته حين قال : إن المقاومة الفلسطينية العنيفة أخرت تنفيذ البرنامج اليهودى في فلسطين إلى عام ١٩٤٨ بينما كان مقرراً أن يتحقق ذلك عام ١٩٣٤ على الأكثر» . وبالرغم من أساليب العنف والضغط وخرق القرى الكاملة فانه في خلال ثلاثين عاماً (١٩١٨-١٩٤٨) لم ينتزع من العرب إلا ٦ في المائة من مجموع الأراضي وقد قام العرب في فلسطين مقاومة فعالة باسلة طوال الفترة منذ صدور وعد بلفور حتى قيام إسرائيل بالغدر ، دون توقف ولا تردد في تقديم التضحية بالمال والدم. غير أن النفوذ الاستعماري الحريص على قيام إسرائيل في قلب العالم الاسلامي قد حقق هذا الهدف بالغدر والقوة ، والأسلحة والخبراء ، عندما أعلن مجلس الأمن قراره بتقسيم إسرائيل إلى دولتين عام ١٩٤٧ وعندما استولت إسرائيل على

على فلسطين كلها عام ١٩٤٨ . هنالك بدأت يقظة فكرية سياسية بعيدة المدى في العالم العربي كله عمدت إلى تعمق هذا الخطر ومواجهته ، حيث علت كلمة القومية العربية وجرت خطوات إلى الوحدة ، وبدأ أن المعركة مع الوجود الاسرائيلي هي معركة حياة أو موت ، غير أن الموقف قد زاد تعقيداً عندما أيد الاستعمار بكل قوته بقاء اسرائيل وعمل على دعمها وبعد أن ضعف نفوذ بريطانيا في المنطقة استطاع نفوذ الولايات المتحدة الذي حل محلها أن يقوم بدور التأييد والدعم لاسرائيل ، وما تزال فلسطين والاحتلال الاسرائيلي والحركة الصهيونية من ورائها هي أخطر تحدى يواجهه العالم الاسلامي والأمة العربية وما تزال فلسطين وبيت المقدس هي بؤرة الخطر الذي يدعو إلى التجمع والمواجهة .

(٤) الحركات الهدامة

ودعوات تغيير مفاهيم الإسلام

واجه العالم الاسلامي حركتين فكرتين : (أولى) هاتين الحركتين ، هي حركة اليقظة التي حمل لواءها دعاة التوحيد والسنوسية والمهدية وما حمل لوائه جمال الدين الأفغاني وعصبر نسكي والكواكبي وسيد أمير علي وشبلي النعماني والألوسي والمراغى واقبال ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وحركة المنار والازهر والشبان والايوان المسلمون في مصر والمحمدية في أندونيسيا وحركة العلماء وندوة العلماء في الهند الاسلامية . هذه الحركة الاسلامية الأصلية التي بدأت من نقطة «التوحيد» وعملت على بعث مفهوم الإسلام الصحيح ديناً ونظام مجتمع لا ينفصل والتي أحييت القيم الاسلامية في الاجتماع والتشريع والسياسة والاقتصاد والتربية وجددت مفهومها على النحو الذي عرفه السلف الصالح مستمدة روحها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة أصلاً ، هذه الحركة كان يمكن أن تصل إلى نتائج جد خطيرة في بناء يقظة عالم عالم الإسلام في دعوتها إلى الجامعة الاسلامية وربط الدين بالمجتمع ، وإقامة أنظمة متجددة عصرية في مختلف المجالات لها قاعدتها وجذورها المستمدة من الإسلام أساساً ، لولا أن النفوذ الاستعماري واجهها بحركة أخرى حد عنيفة وخطيرة أيدها بنفوذ السياسي والعسكري وأتاح لها من المؤسسات والأساليب والقوى ما دفعها إلى مكان الصدارة في الجامعة والمدرسة والصحافة والثقافة وساند دعائها وأنصارها بأن أسند إليهم كبريات المناصب في القيادات السياسية والفكرية والاجتماعية بينما عزل قيادات الحركة الاسلامية الأصلية ونحاهما وجملها

فى الظل حتى لا تكون ذات فعالية ، ومع ذلك فقد ظلت حركة اليقظة الاسلامىة المبعدة عن مكان الصدارة من النفوذ الاستعمارى أشد قوة بشعبتها وقد استطاعت بصحفها المتواضعة ومنابرها القليلة أن توقف نمو حركة التغريب والشعوبىة وأن تقيد كل خطر من أخطارها وأن تهز الدنيا بصوتها فى مواجهة حركات الاستعمار التغريبىة التى قصدتها إلى القضاء على الرأى العام الاسلامى فى مثل حركات التبشير فى مصر والسودان والتجنيس فى تونس والظهير البربرى فى المغرب ودعوات الفرعونىة فى مصر والفينيقيّة فى لبنان والبربرىة فى المغرب وبالرغم من أن الاستعمار استعان بعناصر الأقليات وقوى الطائفيّة على إقصاء المسلمين عن التعليم والثقافة والقيادة وتقديم غيرهم ، فقد استطاع المسلمون أن يواجهوا حركة الغزو الثقافى والاستعمار الفكرى والتغريب والشعوبىة بقوة وأن يكشفوا حركاتها وأن يفصحوها فى كل خطوة ، وأن يحذروا منها جموع المسلمين ، وقد انكشفت خطط المستعمر إلى أسلوب جديد ودعوة جديدة وخداع جديد . أما الحركة الأخرى فكانت تمثل تحديات النفوذ الاستعمارى مجتمعة فى صورة دعوات اتصلت بالدين أو بالجنس أو بالقومية واستغلت نصوصاً قديمة انطوت صفحتها من أجل تعميق الخلافات وإثارة الشبهات وخلق أحزاب فكرىة جديدة متضاربة بل وأيقظت خلافات قديمة كانت قد ماتت فعلا وذلك حتى تحول دون التقاء العالم الإسلامى على وحدة فكر . وكان أبرز هذه الحركات الهدامة : فى مجال الشعوبىة والالحاد والاباحىة والدهرىة وأخطر هذه المؤسسات : الماسونىة وارساليات التبشير وأخطر الدعوات البهائىة ، ودعوات الاقليمىة الضيقة ، والحركات ذات الطابع الاسلامى مظهراً التى تحمل مفهوماً منحرفاً أو مضللاً كالكاديانىة ، وكانت هناك قوى طابعاً أشد قوة وخطراً تحمل لواء مثل هذه الحركات الهدامة ، كما حدث فى تركيا وأفغانستان وإيران وغيرها من بلاد العالم الإسلامى وبرزت وراء هذه الحركات أسماء دعاة وقادة أمثال : الباب والبهاء ومنها غلام أحمد وضياء كوك الب وطه حسين وسلامه موسى وأنطون سعادة . ولقد كانت أهداف مثل هذه الحركات واضحة أمام الرأى العام الاسلامى وليست فى حاجة إلى من يكشف عن مخالفتها الصريحىة لمفهوم الاسلام ومعارضتها الواضحة لخطر حركة اليقظة الاسلامىة الممتد من الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى حركة الجماعات الاسلامىة : الشبان والاخوان المسلمين فى مصر والمحمدىة فى أندونيسيا وندوة لكنوفى الهند الاسلامىة وحركة السلفىة فى المغرب وجمعيّة العلماء فى الجزائر . ولكن كان هناك ما هو متداخل المظهر يحمل الخطر فى أعماقه

وفي ظاهره يحمل اسم الإسلام مثل الدعوة القاديانية التي وإن كان امتدادها في أحمدية لاهور قد تحول تحولاً عن دعوة غلام أحمد غير أنه ما زال في حاجة إلى مزيد من الارتباط بمفهوم الإسلام ارتباطاً كاملاً . وقد حاولت دعوات الاقليمية الضيقة والدعوات القومية غير ذات المنابع والقيادات الاسلامية أن تفصل العروبة عن الاسلام ، أو تفصل قطراً من الأقطار عن باقي أجزائه العربية أو اخوته الاسلامية ، كالدعوات التي ظهرت في أوائل القرن وحملت شعاراً براق المظهر ولكنه يخفي الخطر كدعوات مصر للمصريين وسوريا للسوريين والسودان للسودانيين وتركيا للأتراك . هذه الدعوات وفي مقدمتها دعوة حزب الأمة في مصر ، الذي رسم المخطط الأساسي للقومية الضيقة إنما كانت تهدف إلى أمرين : ١ - الانفصال بمصر «جغرافياً وسياسياً» عن كيانها : العربي والاسلامى في رابطتها بالأمة العربية وفي رابطتها بدولة الخلافة والدول الاسلامية . ٢ - الانفصال بمصر فكرياً وروحياً عن كيانها الفكري الاسلامى وعن الثقافة العربية ذات الجذور الممتدة بتاريخ الإسلام واللغة العربية والفكر الاسلامى في مجالاته المختلفة : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والاعتماد على مفاهيم الفكر الغربى الخالص ذات الجذور المرتبطة بسان سيمون والحريين والليبريين منفصلة تماماً عن جذور الفكر الاسلامى في الثقافة والتربية والاجتماع . ويمثل لطفى السيد في كتاباته التي حملتها الجريدة : لسان حال حزب الأمة منذ (١٩٠٧ - ١٩١٤) مضمون هذه الفلسفة الاقليمية البالغة الضيق والتعصب والتجمد داخل المصرية والمنفصلة عن أبعادها السياسية والتاريخية واللغة والاسلام . وظهرت دعوات تحاول أن تجزئ وحدة وتكامل أرضية الفكر الاسلامى للأوطان الاسلامية ، هذه الدعوات الجزئية : التي حملت لواء التولستوية والغاندية ومن هذه دعوة الانفصال بين الربط الجذرى ، والتكامل العضوى : بين جوانب الاسلام المختلفة خدمة للفرد الاستعمارى بحجب مفهوم الجهاد في الإسلام ، أو إبراز مفهوم الاسلام فيه على نحو يختلف عن تكامل الاسلام في الجمع بين السلام والجهاد في منطق واحد ، ومن هذا ما دعا إليه أمثال عبد الرازق أو مادعا إليه غيره من الفصل بين الدين والضمير ، أو ما حوله الآخرون من إعلاء آراء السلام الذى جمع بين المسيحية وتولستوى وغاندى بحسبانه مذهباً يصلح للفكر الاسلامى ويحرره من مفهوم الإسلام المتكامل : سلاماً وجهاداً وربطاً بين الدين والمجتمع ، وبين الروح والعقل ، وبين الإخاء الإنسانى ومقاومة الغزو الاجنبى والنفوذ الاستعمارى . وقد حملت معظم هذه الدعوات لواء

العداء للإسلام في جانب من جوانبها كما حاولت في إعلاء جانب له ، وتعطيل جانب آخر ولقد كانت البهائية والقاديانية من أخطر هذه الدعوات ، ولقد تلقفها النفوذ الاستعماري الذي دفعها أساساً وأوجد لها كياناً هاماً ، وأذاع بها وخلق لها أنصاراً حتى أن الاستاذ العقاد أضاف حركة البهائية والقاديانية إلى دعوات الإصلاح الإسلامي والتجديد فيه وضمها إلى الوهابية والسنوسية وحركات جمال الدين ومحمد عبده وأحمد محمد المهدي ، بينما غفل عن مخاطر هاتين الدعوتين ، ومن الحق أن يقال إن هذه الدعوات كانت تعمل لتغريب الإسلام أو لتمسيحه ونقض الجانب الكفاحي له ، وإعلاء جانب السلام والرحمة على نحو يجعلها الإسلام نفسه ، وكان هذا العمل لحساب النفوذ الأجنبي والاستعمار الذي يعرف أن الإسلام يغذي في المؤمنين به الإيمان بالدفاع عن أوطانهم وحرياتهم وأعراضهم حتى يموتوا شهداء في سبيلها ، وهو الخطر الذي يواجهه النفوذ الأجنبي والذي يحول دون توسيد الاستعمار وتحويله إلى مودة وصداقة وموالة من جانب العالم الإسلامي . كانت هذه الدعوات وفي مقدمتها : البهائية وهي ترمي إلى توحيد الأديان والقاديانية التي تنقض الجانب الكفاحي في الإسلام ، إنما تهدف جميعاً إلى محاولة تغيير مفاهيم الإسلام والقضاء على فريضة أساسية في الإسلام هي : الجهاد والكفاح ضد المستعمر ونزع الجانب الأعلى الذي يتميز به عن الإسلام عن غيره من الأديان فالإسلام دين ونظام مجتمع ، كما تدعو إلى تمسيح الإسلام وإعطائه طابع من الموادة بحيث يجعله يتقبل النفوذ الاستعماري ويرضى به كأنما هو قدر مقدور وإذا كان غاندي أو تولستوي قد حمل لواء هذه الدعوة فإنما كان ذلك في مواجهة تحديات تختلف عن الخطر الاستعماري الجارف الذي اكتسح عالم الإسلام كما تتعارض أصلاً مع مقومات الإسلام الذي يحمل دوماً في جوهر مفاهيمه عنصر المقاومة والجهاد للغزاة والمغيرين والمحتلين والمستعمرين ، والحيلولة دون انصهار المسلمين في غيرهم أو القضاء على شخصيتهم الأساسية الجامعة بين الروح والقلب والدين والعلم والدنيا والآخرة وقوامها التوحيد الخالص . ومن هنا كانت دعوة التجديد أو العلمانية أو تحرير الفكر إنما تحاول أن ترى هذا المفهوم بأنه تعصب ، وكان مفهوم تسامحها وتحررها إنما يهدف إلى تقبل الاستعمار الغربي تقبل الرضى والإعجاب والتقدير والموالة ، ومما لا نفوذ الأجنبي ، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتغيير أصل جذري في مفهوم الإسلام وهو إلغاء «باب الجهاد» ولذلك

فقد كانت الدعوة إلى التماس مفهوم الإسلام الأصيل المستمد من القرآن هي عامل المقاومة الأكبر للنفوذ الأجنبي والتغريب .

١ - البهائية

ظهرت البهائية في إيران والقاديانية في الهند . أما البهائية فتجمعت فيها جوامع الباطنية والحلول والاتحاد وآراء الشيعة الغالبة وفلسفات الوثنية واليهودية والمسيحية وأساطيرها ومزيج من آثار التنجيم والتأويلات ، وقد برزت في ثوبين : ثوب البابية ثم ثوب البهائية الذى استوت إليه . ظهر ميرزا على محمد (الباب) عام ١٨٤٢ . وقتل الباب عام ١٨٥٠ بعد أن ثار فتنة كبرى وثورة عامة في زنجان ومازندران وتبريز من أعمال فارس ولم يترك الباب منهجاً اصلاحياً وإنما ترك كتاباً عرض فيه لبعض نظريات العقائد وقضايا الباطنية : وفرائض البابية ركعتان في الصباح والكعبة عندهم في مسجد شيراز ، وصوم شهر آخر من نزول الشمس ببرج الحوت . ثم انقسمت البابية إلى رجلين من خلفائه : صبح أزل وعرف أتباعه باسم الأزلية وميرزا حسين الملقب بالبهاء ، ومات بهاء الله عام ١٨٩٢ مخلفاً في زعامته عباس البهاء الذى تبناه الاستعمار البريطانى وأتاح له الفرصة لإذاعة آرائه منذ سنة ١٩١١ في كل مكان وأقام في القدس فترة ثم زار مصر وزار أمريكا وأوروبا ومات في نوفمبر سنة ١٩٢١ وخطب في كثير من الكنائس والمعاهد العلمية ودعا إلى توحيد العالم البشرى وترك العصبيات المذهبية والعنصرية والسياسية وبين أن مطالب الرسل واحدة وقد منحت الحكومة البريطانية لقب « سير » شكراً له على ما أبداه من الكرم والإكرام للجنود البريطانية خلال الحرب وقد احتفل بدفنه السير هربرت صمويل المدرب السامى البريطانى لفلسطين (اليهودى الأصل) ويمكن أن يقال إن هذه الدعوة في بلادها ربما كانت لها بواعثها وأهدافها التى قصد إلى تشجيعها النفوذ الإستعمارى في إيران ، أو ما يتصل بالعقائد والدعوات السارية في بلاد الفرس ولكن براعة النفوذ الإستعمارى كانت قادرة على الإعلان بها وإذاعتها والاستفادة بها في مختلف أنحاء العالم الإسلامى لإثارة الشكوك في النفوس . وقد حملت الصحف المصرية - في هذه الفترة - لواء التبشير به فتحدثت عنه طويلاً ، واهتمت به اهتماماً كبيراً وأطالت عرض مذهبه ودعوته (المجلة الجديدة والهلل والعصور) واستمرت الأهرام زمناً طويلاً تكتب عن هيكل البهائيين في نيويورك ومصر وترجمت عدداً من المؤلفات المختلفة عنه .

وحملت الصحف تفاصيل كاملة عن مبادئ المذهب البهائي ودعت الناس إليه بحسبانه آخر الأديان وأسلمها وأبعدها عن خلافات الأديان واضطهادها . وكشفت الصحف وكتابتها عن موالاته وأمل في أن تجتاح الإسلام وتغري أهله بالدخول فيها وقال سلامة موسى إن هذا الدين أي البهائية يختلف عن المسيحية واليهودية حيث لم يقتل أحداً من مخالفيه لأن مبادئه تدعو قبل كل شيء إلى السلام قال : ونحن نحسب أن يلقي هذا الدين تأييداً في مصر حتى ينتشر بين الطبقات التي لا تجد من الأديان السائدة أو من الآداب والعلوم ما يقنع نفوسها ، وفي الدعوة إلى البهائية كبت للتعصب ودعوة إلى آخاء البشر وإن البهائية تنزل على حاجة العصر الحاضر الذي يكره تعدد الأديان وما يجلب من مخالفة بعضها البعض من تحيزات وتعصب (المجلة الجديدة فبراير ١٩٣٠) . وكذلك كتب اسماعيل مظهر في مجلته «العصور» عن البابية والبهائية وعباس أفندي ثم فصل مبادئ المذهب البهائي ، وكتب في ذلك عباس العقاد وعمر عنایت والدكتور صروف ورددوا إدعاءات البهائية في القول بوحدة العالم الإنساني وأن أساس الأديان واحد ، وأنها جماع المسيحية واليهودية والإسلام وتوحيد لغات العالم ومساواة الرجل بالمرأة ونبذ العصبية وأنها محاولة لاتحاد الشرق والغرب والأديان والأجناس وزوال الحروب » وقد أعلنت مجلة المقتطف ١٩٠٠ عن أول كتاب عن البهائية (الدرر البهية) وقالت فيه بإنكار كون القرآن معجزاً ببلاغته وصاحته وفيه تأويل آيات القرآن على ما ينطبق على بدعتهم ولم تتوقف دعاة اليقظة الإسلامية عن مواجهة هذه الحملة التي كانت تهدف أساساً إلى مهاجمة الإسلام وانتهاز فرصة كل دعوة أو حادث لمعاونة إذاعة شبهات الانتقاص من الإسلام ولم تفلح كل وسائل الدعاية الواسعة في أكبر الصحف وبأكبر الأقلام في كسب واحد من المسلمين لهذه الدعوة ، ولم يحقق التهليل الكبير شيئاً بل ماتت الدعوة البهائية في مصر كما كانت في مختلف العالم الإسلامي وانكشفت أهدافها من بعد ، حين ظهر أنها إحدى فروع الحركة الصهيونية وأنها من روافدها وامتداداتها . ولم يكن يعرف خلال هذه الفترة منذ ودع سير هيربرت صمويل مؤسس الدولة الصهيونية في فلسطين جئان عباس البهاء تلك العلاقة بين البهائية والصهيونية والماسونية حتى انكشفت في السنوات الأخيرة حين اجتمع المؤتمر العالمي البهائية في إسرائيل (١٩٦٨) بعد وفاة عباس البهاء بخمسين عاماً . وتكشفت تلك العلاقة في إن البهائية التي تدعى العمل على إزالة جميع الأديان : اليهودية والمسيحية

والإسلام لم تكن في الحق تهدف إلا لمواجهة الإسلام وحده . ولقد كان يعرف ذلك كثير من الذين أولوا هذه الدعوة اهتمامهم ويقصدون إليه ، فليس الإسلام الحق هو الذى فرق بين الأجناس أو أثار الحروب بين الأمم ، أو الذى أخرج وحدة الجنس البشرى وليس الإسلام هو الدين الذى بدأ برفضه أصحاب العقول والأرواح والذين يتلمسون المفاهيم الصحيحة عن طريق العلم أو العقل أو التجربة . ولقد اندلعت الدعوة إلى البهائية في العالم الإسلامى ومصر بالذات في نفس الوقت الذى كانت الصهيونية تركز قواعدها في فلسطين ، وحيث كانت الحركة التبشيرية في العالم الإسلامى تؤكد وجودها . وقد كشف عن ذلك بعض كتاب هذه الفترة فقد وصف المرحوم (محمد محمود بدير) البهائية بأنها أشد خطراً من المبشرين . وقال إن أساليبهم تختلف عن أساليب المبشرين وتفوقهم ولهم في إباحيتهم الأخلاقية أكبر مبرر لهم ، وقال : إن الذين يمدون المبشرين بالأموال يمدون البهائيين ، وانه إذا كان ثم فارق بين الحركتين فإنهما يلتقيان عند نقطة أساسية مرجوة هي إخراج المسلم من عقيدة الإسلام ، ثم قال إن هذا المخطط في بلاد الشرق وخاصة مصر إنما يمثل مؤامرة واسعة النطاق محكمة الأطراف على الإسلام وتعاليمه ولم تتوقف الدعوة إلى البهائية بل ظلت تتجدد سنوات بعد سنوات ، وفي كل مرة تجد من كتاب المسلمين ما يكشف عن جوهرها يقول العلامة فريد وجدى : إن دعوة البهائية إلى اتحاد الأديان قد سبق إليها الإسلام وأسسها على أقوى الأصول فقرر إن أصل الأديان واحد ، فوحدة الدين هي الأساس الذى يقوم عليه الإسلام ، وأن طموح البهائيين لأن تكون ديناً عاماً يقضى بالعجب ، لأنها ليست بدين سماوى ، وليس فيها من الأصول والمبادئ ، مما يلفت العقول إليها بعد أن بالغت في عرض نفسها على الأمم فضلاً عن أن البشرية ليست في حاجة إلى دين جديد بعد الإسلام فإنه استكمل شرائط الدين العام وأين هي من الإسلام الذى تبنى أمماً قوية ومدنيات فاضلة في خلال عصور متعاقبة ولا يزال على مثل حيويته الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم برناردشو أن مبادئ الإسلام توشك أن تعم العالم أجمع ، ويقوم الإسلام على أصلية ضمنت لها التعميم والخلود تلك هي : موافقته للفطرة واعتماده على العقل والعلم ، فأين البهائية من هذا الموقف العلمى الحق ، وهى تقوم على أصلين أحدهما عتيق غامض ، قال به أفراد من مجبى السبح في الخيالات ، وهى تصوير ذات الله بصور المخلوقين ، وثانيهما وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها في مجال فسيح للظنون والأوهام والخيال « إن كل تجديد في مجالات النظم

الاجتماعية والتطورات الفعلية وكل نجاح يصبه دين أو نظام يكون مناسباً للقدر الذي يحمله الناس من الوفاء للحاجات المناسبة للأمم والشعوب ، تدعى البهائية أنها أنت بجديد من الأصول لم يدر في خلد المصلحين قبلها كاتحاد الأديان وترك العصبيات واتحاد الأجناس والسلام العام ومساواة المرأة بالرجل « أما ما سموه باتحاد الأديان فقد سبق إليه الاسلام وأسس على أقوى الأصول وأحاطه بأحكم الدلائل ، فقرر أن أصل الأديان كلها واحد ، وأن الخلافات التي بينها ما حدثت إلا لسبب ما أدخله قاداتها من الأوهام . فالاسلام يفرض على أهله القول بوحدة الدين فرضاً ويأمرهم بالاعتقاد بجميع الرسل من غير تفریق . أما السيد محب الدين الخطيب فقد عرض للبهائية من الناحية التاريخية : فأشار إلى هدفهم الأساسي في محاربة اللغة المشتركة في العالم الاسلامي ، وذلك حين أعلن البهائيون انسلاخهم من الإسلام واشتد بهم الحرص على محاربته من كل ناحية ومنها لغة الإسلام العالمية وهي لغة القرآن العربية فكان عن عناصر دعوتهم استنكار عالمية اللغة العربية المشتركة - لغة الصلاة والعلوم الإسلامية في العالم الإسلامي فتامروا على قطع الصلة بين المسلمين وتراثهم العلمي الذي تعاون أعلام المسلمين على تكوينه ، لذلك قام البهاء بالدعوة إلى إيجاد لغة أخرى تكون لغة الأمم فأخذ يدعو إلى اختراع لغة صناعية جديدة وأضاف إلى ذلك أن البهائية تنكر المعجزات المحمدية واعجاز القرآن .

(٢) القاديانية

أما الدعوة القاديانية التي ظهرت في الهند فقد ارتبطت بالدعوات التي عمد النفوذ الاستعماري البريطاني إلى أضفائها على تفسير القرآن والتي ارتبطت بهدف أساسي هو تحريف مفهوم الإسلام فيما يتعلق بجهاد المحتلين والمستعمرين والغاصبين وهو ما حاوله « أحمد خان » في تفسيره المشهور عنه للقرآن ، أما غلام أحمد القادياني فقد كان صريحاً واضحاً حين أعلن أنه ربيب بريطانيا ووليها والمؤمن بوجودها ، وأن دين الإسلام لم يكن دين جهاد بل دين سلام . وقد كان غلام أحمد موظفاً عند الإنجليز ويشيد في خطبه وكتبه بذكرهم ، وما يروى عنه قوله : أن الواقعة في جانب الله أهن من الواقعة في جانب الإنجليز . أعلن رسالته إلى العالم عام ١٨٨٩ . وهو في الخمسين من العمر ، وأدعى أنه نبي ومجدد ومهدي ومسيح وأدعى أنه المهدي المنتظر المنتظر الذي يترقبه المسلمون جميعاً ودعا إلى جهاد سلمي لا جهاد تراق فيه

الدماء مع تأكيد الولاء للحكومة البريطانية . ومن ذلك قوله : « إن مهمة المهدي هو الدعوة إلى السلام ، أما الجهاد فيجب ألا يقوم على امتشاق الحسام بل على وسائل سلمية » وبذلك أسقط فريضة الجهاديين من الفرائض الاسلامية وحجب إلى أتباعه المسالمة والتسامح ونهاهم عن التعصب . وقد أمنت الحكومة جانب هذه الحركة وأيدتها في الوقت الذي كانت تحارب فيه كل دعوة صادقة . وأتاحت الفرصة له في نشر مؤلفاته وإصدار عدد من المجلات وخاصة مجلة الأديان باللغة الإنجليزية وتضم الدعوة القاديانية ملامح من البهائية : فهي تقوم على التوفيق بين الأمم ومن كلام غلام أحمد ما يشبه القول بالحلول فهو يتلبس بروح السيد المسيح وروح كرشنا رب الخير عند البراهمة . وفي مذهبه إنكار صريح لصلب عيسى ورفعته إلى السماء . كما أدعى أنه يوحى إليه وأنكر نبوة محمد ، مع إعلان الولاء للمملكة فكتوريا وإعلان إبطال الجهاد ، وقال أن محاربة الإنجليز حرام في دينه ، وقال عن الدولة البريطانية بالنص في كتابه (الهدى والتبصرة لمن يرى) ص ٢٦ ج ١ : « ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصائحها ودواعي خيرها من قديم ، وكان والدي غلام القادياني من نصحاء الدولة البريطانية وكان أبي قد أمدها - أي الدولة البريطانية - بخمسين فارساً بخيولهم مدداً منه في أيام المفسدة (أي أيام ثورة المسلمين في الهند على الاستعمار) : ولا شك أن هذه النصوص وحدها كفيلاً بأن تكشف عن دوافع الحركة وأن الاستعمار البريطاني قد قصد بها إلى تغيير مفاهيم الإسلام أساساً ، وأنه اختار لها من أوفى لبريطانيا حتى اعتبر ثورة المسلمين عليها ، هذه الثورة التي تعد من مفاخر المقاومة الاسلامية والجهاد الشريف اعتبرها : « مفسدة » . ومن الحق أن يقال أن ظهور القادياني قد أحيط بالشبهات ولقي من تشجيع الحكام البريطانيين ان لم يكن بايعازهم أصلاً ما لم يكن مألوفاً منهم من معاملته ، ثم جاءت فتواه بقبول الحكم الأجنبي وتفسير الجهاد على هوى بريطانيا مرجحاً عند الكثيرين لتلك الشبهات ، وقد تعهد القادانيون بالدعاية للحكومة البريطانية وانهزت بريطانيا الفرصة فساعدتهم على الدعوة لإلغاء الجهاد وتفريق كلمة المسلمين . وقد هاجم المسلمون المصلحون الهنود هذه الدعوة الهدامة وقال العلامة محمد عبد العليم الصديقي : أن عقيدة هذه النحلة الضارة فاسدة ، وهي التي أضرت بالإسلام والمسلمين ، كما هاجمها المصلحون في كل مكان وكشفوا عن زيفها ومن ذلك ما يقوله العلامة فريدونجدي : لقد جرت سنة الله أن يرسل إلى الناس رسلاً لهدايتهم إلى الطريق

الحق فصحت رسالة واحد منهم انقلابات اجتماعية خطيرة وحوادث تطويرية كبيرة ، تجاوبت باصداء حركاتها في أرجاء الأرض ، فابن ما يدعيه غلام أحمد ، لقد مضت على دعوته ستون سنة فلم يتبعها إلا أفراد من السذج ، لقد تجشمت جهداً لكي يثبت أنه نبي فاصطدم بالنص القرآني الدال على أن النبي محمد خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده ، وأتى في هذا الباب بما لا يعقل من ضروب التأويل والتحريف . ولقد أولى الكتاب الأجانب من المشرقيين والمشتريين اهتماماً كبيراً بالدعوتين البهائية والقاديانية وعدوهما من حركات اليقظة الإسلامية وأدمجهما مع الوهابية والسنوسية وحركة جمال الدين الأفغاني حتى يفسدوا بذلك مفهوم حركة اليقظة ويعكروا مجراها الثرى النقى بآراء هذين الدعيين اللذين يحملان مفاهيم خارجة في أساسها عن المقومات الأصيلة للدعوة الإسلامية . فادعاء كل من الداعين بالنبوة لأنفسهما يقطع بأن هاتين الحركتين وأمثالهما إنما تندمج في الحركات الهدامة التي يتصل نسبها بحركات الباطنية والمجوسية والمزدكية وغيرها من الحركات التي قام بها الغلاة والخارجون على الإسلام ، ولا يمكن في تقدير النصفين أن تضاف هاتين الحركتين إلى حركات اليقظة والإصلاح الإسلامي الذي يجب أن تقوم أساساً على التوحيد والاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعيداً عن الحلول والاتحاد ووحدة الوجود أو القول ببطلان الشريعة الظاهرة والأخذ بالحقبة الباطنة . وقد أشار العلامة أبو الكلام إزاد في كتابه التذكرة إلى ذلك الأمر فقال : ان غلام القادياني لم يدع يوماً من الأيام أنه نبي ورسول بل أتباعه وأنصاره هم الذين استغلوا اسمه وأضافوا إليه أقوالاً غريبة وأسسوا جماعة تبشيرية ، لكي يحصلوا على مركز بين أواسط الناس وإن الاستعمار استغل دعوة القادياني واشترى هذه الطائفة لأغراضه السياسية وتشكيك أبناء المسلمين في القيم الإسلامية . وقال : إن موالاة القاديانيين للإنجليز كانت مبنية على تشييت القيم الإسلامية وقال الدكتور محمد اسماعيل الندوى : ان القاديانية دعوة سلبية رجعية أساسها المنامات والالهامات والخرافات .» ويمكن القول بأن أبرز ما دعا إليه القادياني وركز عليه هو رفض المفهوم الإسلامي الصريح بأن الجهاد فرض مقدس لمقاومة المستعمر من مبادئ الإسلام ومن أهم فرائضه وإعلان تعاونه مع الحكومة البريطانية وعدم تأييده لاي محاولة لتعويض أركان السيطرة البريطانية في الهند باسم الإسلام (راجع كتاب المسألة القاديانية : للمودودي) . ويرى بعض المؤرخين : إن القاديانية ظهرت في الوقت الذي انتهت فيه الخلافة ، وتحرق المسلمون إلى إعادتها ،

وإن الحركة القاديانية كانت محاولة بريطانية ، وقد دافع نهر عن القاديانية . وكتب إقبال رسالة طويلة جعلها بمثابة دعوى مقامة على القاديانية ، وكانت المهمة الرئيسية أن القاديانيين لا يرون مكة وظنهم الروحي ولكنهم يتجهون بدلا منها إلى قاديان ، وهذا يتعارض مع روح الإسلامى الدولى . ومن الحق أن يقال إن الحركة القاديانية قد تحولت من بعد وانصهرت في حركة الأحمدية ، التى يؤخذ عليها بعض الأخطاء . وكان أبرز عوامل التحول هو : المولى محمد على اللاهورى (١٩١٤ - ١٩٥١) الذى انفصل عن القاديانيين عام ١٩١٤م وأنشأ «لاهور» ما يسمى بالدعوة الأحمدية في «لاهور» وهى حركة لا تقبل بادعاءات القاديانيين وتنكر قولهم بالنبوة . وتقول فرقة لاهور هذه أن غلام أحمد كان لا يزيد كثيراً عن مجدد للإسلام وتنفر مما تقوله الفرقة الأخرى «فرقة قاديان» من تكفير أهل السنة . وقد اتسمت الحركة الأحمدية بنشاط موفور في سبيل التبشير بالإسلام على نحو بارع واسع وصل إلى أقصى الأطراف وركز على أوروبا وقلب إفريقيا وطبع ونشر العديد من دراسات التعريف بالإسلام باللغة الإنجليزية فاستطاعت أن تكسب إلى الإسلام كثيراً من الاتباع . وكان لهم دورهم في الكشف عن طبائع الأديان الأخرى والدعوات المعادية للإسلام والكتب المنسوبة إليها ، آخذين بمبدأ الشيخ خوجا بخش القائل باستعمال الأسلحة التى صاغتها أيدي الغرب وقد وضع الأحمدية كتباً كثيرة كما قدم محمد على اللاهورى ترجمة كاملة لمعانى القرآن وأبرز أعمال الأحمدية هى حركة التبشير التى انتشرت على نطاق واسع في الصين وأوروبا وجزر الملايو وجاوه وإفريقيا . ويعترف جميع الباحثين للأحمدية بالخدمة التى أدوها ويؤدونها وهى الدفاع عن الإسلام في مواجهة الدعوات المعارضة له وقد عرف لها النشاط الجهم الذى تبذله بعثاتها في بلاد الغرب للدعوة إلى الإسلام ، حيث تصدر الحركة الأحمدية اللاهورية صحفاً في لندن ومن أبرز دعائها الأستاذ خوجه كمال الدين وقد دافع كثير من نصفي كتاب المسلمين الهنود أمثال محمد اسماعيل الندوى عن السيد أحمد خان الذى نسب إليه رأيته في إيقاف الجهاد ضد الانجليز كمقدمة لحركة غلام القادياني ، فقال أن مسألة أحمد خان للإنجليز كانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم وهو يشبه في ذلك الشيخ محمد عبده في مصر ، أما موالاة القاديانيين للإنجليز فكانت مبنية على تشتيت القيم الإسلامية

(٣) الماسونية

وكانت الماسونية من الدعوات الخطيرة التى أثبتت في أنحاء العالم الإسلامى منذ وطد

النفوذ الاستعماري أقدمه في هذه المنطقة ، وقد ظلت سنوات طويلة تخدع الناس بأنها حركة خير وإحسان ومعاونة تحمل الطابع الإنساني الخالص حتى تكشف مخططاتها في أوائل هذا القرن على أنها أداة النفوذ اليهودي الطامع في السيطرة وفتح الطريق أمام مطامعه ثم تكشف بعد ذلك بقليل أنها مقدمة الصهيونية وطلبتها ، ثم عرف من بعد أنها لم تنطفيء بعد بظهور الصهيونية ولكنها مضت ولها مخطط خاص وعمل كبير . فالماسونية طليعة التحرك اليهودي الواسع الذي أنشأ عدداً من المؤسسات لتحقيق أغراضه منها الخفي كالماسونية والظاهر - بعد أن مهدت له الطريق كالصهيونية والمعروف أن الصهيونية واجهة تخفي وراءها مطامع اليهودية أعطيت طابع العنف والجرأة بينما أعطت واجهة الماسونية السابقة لها طابع الخفاء والغموض ، وكلها تلتقي مع دعوات أخرى ربما كان مظهرها مختلف كل الاختلاف في سبيل فرض نفوذ اليهودية العالمية ، من خلال ايدلوجية تحاول أن تستمد مفاهيمها من التلمود وتقوم على إحياء شعب إسرائيل ولغته ودينه وإعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى . في هذه المرحلة الأولى للحركة اليهودية كانت الماسونية هي الطليعة أو القوة الكاشفة حيث كان ذلك قبل الثورة الفرنسية بأكثر من ستين عاماً والتي كانت الثورة الفرنسية نفسها أكبر ثمارها وأبعدها أثراً ، والتي حققت مساواة اليهود بالمسيحيين في أوروبا ، ومكنت لهم الخروج من الجيتو والمشاركة في الحياة العامة والقدرة السريعة على تسم أرقى المناصب السياسية والاقتصادية والسيطرة في وقت قصير على مقدرات أوروبا واخضاعها فكرياً ودينياً واجتماعياً لنفوذ التلمود كـمقدمة للسيطرة العامة وإقامة الامبراطورية والحكومة العالمية على النحو الذي صورته بروتوكولات صهيون ، لذلك فقد كانت صيحة (الثورة الفرنسية) : حرية - إخاء - مساواة . إنما تعني أساساً مساواة اليهود بالعناصر الأخرى وقد تمت خطوة الثورة الفرنسية عن طريق عمل متصل قامت به المحافل الماسونية في فرنسا وأحاء أوروبا المختلفة وحقت بالغدر والقتل إزالة كل من وقف في طريقها . وقد استهدفت الدعوة الماسونية منذ اليوم الأول هدفاً محدداً يتمثل في رمزها «البناءون الأحرار» وقد كثر التساؤل عن هذا البناء الذي يحاولون تشييده وهو الذي يظهر واضحاً من خلال الأنظمة والتشكيلات الماسونية : ويعني بناء هيكل سليمان في القدس . وقد استطاع كثير من المؤرخين الذين تعمقوا الأحداث أن يكشفوا العلاقة الوثيقة بين الماسونية وبين الثورة الفرنسية ، وفي مقدمتهم المسيو توترو الذي نشر مذكراته التاريخية عام ١٩١٢ والذي أكد في صراحة بأن الثورة

الفرنسية كان ضابط أزمته في أيدي الماسونية وأنهم هم الذين دبروا كل فصولها ولعبوا كافة أدوارها وما كان قبل لويس السادس عشر سوى تنفيذ لأحد مآربهم التي كانوا قد اتفقوا عليها في المحافل الماسونية « يقول المؤرخ نموترو : وبعد أن ملأ الماسون فرنسا دماء وفظائع أخذوا يعممون الثورة في كل أنحاء أوروبا بواسطة جيوش الجمهورية فبالماسونية تنفخ روح الثورة حينما تحل فكم ثلث من عروش وكم قلبت من دول وكم عارضت من ملوك ، ومنها الفوضويون وأهل النهلست . وقد أشار المؤرخ هرماغروير : أن الماسونية حركة تكونت في لندن عاصمة الانجليز عام ١٩١٧ ثم وضعت الدستور الماسوني ، وقد انحاز لها ملوك انجلترا الذين وجدوا في الماسونية مساعداً قوياً على تنكيس الدول الكاثوليكية ، وقد أحصى الاحصائيون في مدة مائة عام عدد الملوك والرؤساء الذين قتلوا بمساعي الصهيونية فاذا هو ينيف على الثلاثين ومن إنجلترا تسربت الماسونية إلى سائر أنحاء أوروبا ولم تزل تقوى وتشتد بكل الوسائل التي في وسعها حتى إنفجر بركانها بالثورة الفرنسية ثم تبعها الثورة الأوربية العامة وكان لها أثرها في البرتغال والدولة التركية. وأشار الأب لويس شيخو إلى الماسونية عام ١٩١٢ في مجلته المشرق كان قد مر عليها مائتي عام بأن لها ما يزيد على ثلاثة وعشرين ألف محفل وأعضاؤها مليون . وقد أشار جرحى زيدان وشاهين مكاريوس مؤرخا الماسونية وأبرز دعايتها في العالم العربي ، إلى أن الماسونية دخلت بيروت عام ١٨٦٢ وتجددت عام ١٨٨٨ وفي عام ١٨٦٩ تأسس في بيروت محفل آخر لغته العربية وأن الذين اشتركوا في هذه المحافل كانوا من الروم والبروتستانت واليهود وبعض أفراد من الكاثوليك والموارنة والمسيكين والأرمن ، وكان للماسونية في بيروت جريدة المشير وكانت رسالتها على حداثتهم: تعاون كل المذاهب والأديان إلا المذهب الكاثوليكي .» ثم تعددت المحافل في فلسطين ودمشق وحمص وحلب وانطاكية وأدنة وقد خدع بعض المسلمين خلال فترة نضال النفوذ الأجنبي الأولى فظنوها وسيلة للتحرر من ظلم المستبدين ولكنهم لم يلبثوا أن اكتشفوا أنهم خدعوا ، وعرفوا دخائنها وفي مقدمة هؤلاء محمد عبده كما أخبر عن نفسه راجع (مجلة المنار السنة ٦ ص ١٩٦ والسنة ٨ ص ٤٠١) كما كشف حقيقتها السيد جمال الدين الأفغاني خلال إقامته في مصر والأمير عبد القادر الجزائري خلال إقامته في دمشق ، وقد كتب كثير من يقظة المفكرين العرب والمسلمين عن أخطار الماسونية وكشفوا عن دخائنها وفي مقدمتهم [الأب لويس شيخو اليسوعي] في كتابه : السر المصون في شيعة الفرمايون (مجلة المشرق م

م ١١ و ١٢) ومحمد بن عز الدين العاملي في كتابه : كشف الظنون عن حال الفرمسون .
وكان في مقدمة دعائها يوسف الحاج صاحب مجلة الوقائع الماسونية . في لبنان وشاهين
مكاروريوس ونعوم شقير وعزيز ميرهم وقد أجمع الذين اتصلوا بالماسونية عن قرب وحذروا
أهلهم من دخولها أن مبادئ الماسونية عموماً مرجعها إلى ذلك صروح كل مذهب ونقض
كل نظام . ٢- وقد كان للماسونية دوراً بعيد المدى في تفويض الدولة العثمانية ويمكن أن
تعزى أكثر الأحداث الخطيرة التي قامت على التآمر والصراع بين الطبقات والعناصر إلى
عمل الماسون وقد ارتبطت الماسونية بحركة جمعية الاتحاد والترقي وكانت عاملاً هاماً مع
مخطط الاستعمار الأكبر على تمزيق الدول الإسلامية الكبرى والسيطرة عليها . فقد أجمع
المؤرخون وتكشفت الحقائق في الفترة الأخيرة عن أن الماسونية كان لها اليد الطولى في إسقاط
الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة وخلع السلطان عبد الحميد ، وأن دعوتها الأساسية كانت تهدف
إلى بناء هيكل سليمان في مدينة القدس على أنقاض المسجد الأقصى وهو هدف خطير لم يكن
من السهل الإذاعة به ، ولكن جميع مخططات الماسونية كانت تصل في النهاية إلى هيكل
سليمان كرمز أكبر ، وهذا الهدف الذي حملت لواءه الماسونية ما زال هو أكبر أهداف
الصهيونية منذ ظهورها إلى الآن وللماسونية يرجع الأثر الأكبر في إذاعة صورة كريمة للسلطان
عبد الحميد الذي يمثل أقوى مراحل المقاومة للنفوذ الصهيوني وموقفه من الصهيونية المشرف
الواضح ما زال يحمل طابع الشرف والكرامة لهذا الرجل الذي أحيط بصورة خطيرة
من الاتهام . فقد وقف موقف المدافع عن القدس ، ورفع لواء الوحدة الإسلامية في وجه
النفوذ الأجنبي الخطير في جبهاته المختلفة . ورفض أن يمنح اليهود شبراً واحداً من أرض
فلسطين بالرغم من العرض الضخم الذي تقدموا به إليه في وقت كانت الدولة في أشد
حالات العجز المالي والالاس . وقد كان الحديث وما زال عن الماسونية غامضاً ، ويحاول
البعض الفصل بين الماسونية والصهيونية ، وبين الصهيونية واليهودية وما يذكر
أن اليهودى واكتشت من كبار دعاة اليهود سئل عام ١٩٢٧ : ما هي الماسونية فأجاب :
الماسونيون الأحرار هم أولئك الذين يبنون المملكة اليهودية العالمية والواقع أن أهداف
الماسونية معروفة للمسلمين منذ وقت بعيد وقد تبينوا هدفها في أوائل هذا القرن وقد أشار
رشيد رضا إلى الماسونية في عديد من دراساته في المنار فقال إنها تأسست لأجل هدم الحكومة
الدينية البابوية ، وأن الواضعون لأساسها الأول هم اليهود وغرضهم إعادة ملك سليمان

إلى شعبهم في القدس وإعادة هيكله إلى ما وضع له في المسجد الأقصى ، وأنهم هدموا الحكومات المسيحية في أوربة غربياً وشرقياً والحكومة الإسلامية التركية والقيصرية الروسية ، ثم ظهرت بعد ذلك جمعتهم الصهيونية تستغل خدمتهم للانجليز في الحرب بالتوصل إلى إقامة حكومة دينية يهودية في فلسطين ويقول : أن الجمعية الصهيونية تكونت في أوربا خلافاً لما يزعمون من قدمها لمقاومة إستبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات والقسيسين وجعلوا رموزها وإشارتها قريبة من رموز المسيحية . وبعد فقد تعددت تيارات الدعوات والأخطار الوافدة إلينا من خارج العالم الإسلامي . من الحادية وعلمانية وقومية عنصرية ووطنية مجردة وإقليمية ضيقة ، ووثنية ، وما تزال هذه الدعوات تغير جلدتها وتتشكل في صور جديدة وتحت عناوين جديدة وبأفلام جديدة ولكنها في مضمونها واحدة وأهدافها ما تزال واحدة وهي القضاء على وحدة الفكر الإسلامي والحيلولة دون التقاء الأجناس والعناصر المختلفة ذات الثقافة الواحدة وما تزال هذه الدعوات والتيارات البالغة الخبث والمكر تتخفى وراء أسماء براقة ومصطلحات لامعة وشعارات مغرية ، تقوم على فلسفات مدروسة ولكنها في أعماقها لا تستهدف إلا القضاء على كيان العالم الإسلامي وقيمه ومفاهيمه ودفعه إلى بوتقة العالمية لصهره فيها صهراً كاملاً ومن الدعوات التي ظهرت في العالم الإسلامي وأفسح لها النفوذ الاستعماري وجوداً وأحاطها بالعوامل المختلفة لتبقى إلى حين خادعه مضللة ١- محاولة تغيير مفاهيم الإسلام والقضاء على قيم الجهاد والكفاح ضد المستعمر ولقد كان الجهاد الإسلامي دائماً هو الوسيلة الفعالة في إخراج المحتلين وفرض العين عندما تدخل بلاد المسلمين الغزاة وبذلك استهدفت هذه الدعوات حماية المحتلين وترسيخ أموالهم ، وتفريغ الإسلام من مضمونه الأصيل باعطائه طابع السلام الذي لا يقوم على الحق ، وفي هذا الاتجاه استغلت المفاهيم المسيحية دعوات غاندى وتولستوى . وقد برز ذلك واضحاً في البهائية والقاديانية . فقد حاولت البهائية الدعوة إلى إلغاء حكم الميراث تحت ستار المساواة بين الرجل والمرأة بغية خلخلة التشريع الإسلامي كله ٢- محاولة تغيير مفاهيم الإسلام من حيث ترابط الإسلام بالمجتمع ونظامه الأخلاقي وأثر ذلك في التربية والسياسة والاقتصاد ، وذلك بتشجيع الادعاء الباطل بأن الإسلام دين روحاني . وقد برز ذلك واضحاً في دعوة الكمالين وكتابات على عبد الرزاق . ٣- محاولة الدعوة إلى نقل الحضارة الغربية مع الثقافة جملة واحدة ، مع تجاهل الفارق بين الثقافة التي هي بطبيعتها

ذاتية قومية ، والحضارة التي هي عالمية وإنسانية ومن حق جميع الأمم . وقد برز ذلك واضحاً في دعوة طه حسين في مصر وأحمد أغايف في تركيا . ٤- تمزيق وحدة المسلمين الفكرية والاجتماعية والروحية وذلك بإذاعة وتعميق دعوات الأقلية والمتوسطة وفصل العروبة عن الاسلام وإيقاع الخلاف بينهما ومحاولة خلق ما يسمى بالاسلام الهندي والاسلام التركي . ٥ - تدمير المؤسسات الاسلامية وهدم مقومات الاتحاد والترابط باحياء الخلافات بين الأجناس الاسلامية وتعميقها ، وقد كان للماسونية اليد الطولى في هدم الخلافة الاسلامية وفصل العرب عن الترك وخلع السلطان عبد الحميد وإسقاط الدولة العثمانية ، والماسونية تستهدف أساساً القضاء على الأديان في سبيل إبراز نفوذها ، وأن الصلة الوثيقة بين الصهيونية واليهودية العالمية وبين الماسونية لا تخفى على باحث مدقق لتتلاقى المصطلحات والرموز . كما أن الصلة الأكيدة بين الماسونية والصهيونية واضحة جلية في الهدف والطابع والتخطيط . ٦ - محاولة الفصل بين الأمة العربية والعالم الإسلامي . فقد أيد النفوذ الاستعماري في العالم العربي دعوات قوية في مجالين مختلفين كلاهما يخرج عن مفهوم الترابط بين العرب والاسلام . الأولى : قومية ضيقة إقليمية تحاول أن تخلط بين مفهوم الوطن الأمة والثانية : قومية علمانية تحاول أن تفصل بين العروبة والاسلام . . الثالثة : قومية علمانية تخاصم القوميات المجاورة التي ترتبط معها بأسس من الفكر والثقافة . وقد ظهرت الدعوة الأولى في مصر وسورية فحاولت أن تدعو إلى مصر للمصريين أو سورية للسوريين متجاهلة رابطين لا سبيل إلى انفصال المصريين أو السوريين عنهما : هي الرابطة العربية بالأمة والرابطة الاسلامية بالفكرة . وقد سقطت كلتا الدعوتين ، وإن ظل الاستعمار يغذيهما كقوى عاملة في خدمته وقد غذى النفوذ الاستعماري هذه الدعوات لنحول دون نمو الدعوة التلقائية التي قامت إلى الوحدة العربية المفتوحة على العالم الإسلامي والتي لا تحمل طابع « العنصرية » الكارهة لغير العرب أو المناهضة لهم في محاولة للسير ضد التيار الطبيعي لالتقاء العناصر والأجناس التي جمعتها ثقافة واحدة وفكر واحد ودين واحد . غير أن مصر لم تلبث أن صححت مفهومها وحملت لواء الدعوة إلى الوحدة العربية ذات المضمون المرتبط بالقيم والمقدرات الملتقى مع الدوائر الافريقية والآسيوية جميعاً . وما يزال مفهومهما ينمو في أنحاء الامة العربية كلها ليكون المنطق الطبيعي في مواجهة الدعوات الهدامة والغامضة والسؤال : هل استنفذت تلك الفرق أغراضها ؟ الجواب : أن لا ، فإن هذه الفرق ما تزال تعمل في الضوء تارة وفي الخفاء

تارة أخرى وما تزال أفريقيا حقلاً واسعاً لتحرك هذه الفرق والدعوات وبعد : فقد أوفى البحث عن الاستعمار والعالم الإسلامي إلى غايته في مجالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية يبقى أن نعرض للتيارين الآخرين الذين واجههما العالم الإسلامي وهما : الغزوة الصهيونية والغزوة الماركسية إلى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى ثم تستعرض تحديات القرن الرابع عشر كله ومطالع القرن الجديد .

المصادر والمراجع (التى لم ترد فى صلب البحث)

- حاضِر العالم الإسلامى : لوثر وب ستوارد ترجمة عجاج نوهض تعليق الأمير شكيب أرسلان .
- الإسلام فى التاريخ الحديث : ولفرد كانتول سميث .
- الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى (موسوعة : الدكتور أحمد شلبى .
- العالم الإسلامى والاستعمار : أنور الجندى .
- الإسلام وحركة التاريخ : أنور الجندى .
- وجهة العالم الإسلامى : مالك بن نبي .
- الاتجاهات الحديثة فى الإسلام : محمد بهجت الاثرى .
- وجهة الإسلام : نجب وجماعة من المستشرقين .
- الشرق الإسلامى : د. حسين مؤنس .
- التيارات القومية والمدنية فى تركيا المعاصرة : أحمد السعيد سليمان .
- أضواء على ميادين الفلسفة والدين : صلاح الدين السلجوقى (الأفغان) .
- الحياة الأدبية فى أندونيسيا : محمد فؤاد فخر الدين ؟
- الدعوة الإسلامية فى الهند : سليمان النبوى (الهند) .
- تقارير السيد عبد العزيز الثعالبى عن المسلمين فى الهند (جريدة البلاغ) .
- الإسلام : الصراط المستقيم : مجموعة من الباحثين (الدكتور دراز وآخرين)
- النقد الذاتى : علال الفاسى
- الأمة العربية فى معركة الذات : محمد المبارك .
- أبحاث مفرقة للدكتور جمال حمدان .

- الإسلام على مفترق الطرق : محمد آسد (كيوبولد فابس) .
- المسلمون والعرب : روم لاندو .
- ليل الاستعمار : فرحات عباس .
- إرادة القتال في الجهاد الإسلامي : اللواء محمود شيت خطاب
- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية : محمد عوض محمد .
- صفحات من تاريخ الاستعمار : سليمان حزين .
- لحظة العالم الإسلامي : ف . فرنو - ترجمة بهيج شعبان .
- الإسلام : رسالة بقلم هاتو تو ورد محمد عبده وفريد وجدي .
- حضارة الاسلام في دراسة توينبي للتاريخ : فؤاد محمد شبل .
- الخطر الصهيوني : محمد خليفة التونسي .
- الإسلام والتجديد في مصر : تشارلس ادمز .
- سقوط الغرب : شبنجلر .
- بين الديانات والحضارة : طه مدور .
- في التاريخ الإسلامي الحديث : محمد ضياء الدين الرئيس .
- الغارة على العالم الإسلامي : السيد محب الدين الخطيب .
- الفكر الإسلامي الحديث : دكتور محمد البهي .
- التبشير والاستعمار : عمر فروخ ومصطفى الخالدي :

الرسالة الثانية

العالم الإسلامي والغزو الصهيونية

بالرغم من مئات الكتب التي صدرت عن اليهودية العالمية وعلاقتها بالصهيونية والماسونية والماركسية وأثر ذلك في قيام إسرائيل وما يتصل بالرابطة بين اليهودية والشيوعية وبين اليهودية والمسيحية ومحاولات تهويد المسيحية ثم السيطرة على الفكر الغربي المعاصر واحتوائه فإن دراسة ما ، لم تبدأ من نقطة أساسية هي « مخططات الفكر التلمودي اليهودي نفسه ومحاولاته في غزو الفكر الإنساني عامة والفكر الإسلامي على وجه الخصوص » وأثر هذه المخططات على حركة التغريب والغزو الثقافي الغربية المتصلة بالتبشير المسيحي والاستشراق (بشطريه الكنسي والسياسي) وما يتصل بالمذاهب الغربية الحديثة في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والنفوس والأخلاق والتربية . ومن هنا ، فقد وجب التصدي لهذا العمل الذي يعد بمثابة المنطلق الحقيقي والمفتاح الصحيح لفهم هذه الحركة الضخمة التي تعمل على احتواء البشرية في عقيلتها وفكرها وثقافتها وعقائدها وفرض الفكر التلمودي عليها . ولا ريب أن اليهودية العالمية منذ استطاعت أن تمتلك إرادتها بالسيطرة على مجالات الثقافة والصحافة والفكر ودوائر المعارف الغربية ، قد عمدت إلى إبتعاث تراثها التلمودي القديم في محاولة لتقديمه للبشرية في صورة علمية حديثة وعلى شكل نظريات وأيدلوجيات ومذاهب وضعت في دقة وبراعة بحيث أمكن أن تبدو في صورة محايدة فترة طويلة من الزمن قبل أن ينكشف زيفها وهدفها المسموم ومصدرها التلمودي المادى الوثني القديم . ومن ناحية أخرى فهي قد عمدت إلى تقديم خطتها على أنها ليست من عمل اليهودية المعاصرة (بمطامعها وأحقادها) وإنما على أنها عمل متصل بالكتب المقدسة القديمة التي هي موضع تقدير المجتمع الغربي المسيحي المتدين ، وكان ذلك حين حاولوا الربط بين العهد القديم والعهد الجديد في كتاب واحد ، أو بين التوراة والإنجيل في مجلد جامع منذ ذلك الوقت البعيد ، الذي يمتد إلى عصر ما قبل الثورة الفرنسية والذي كان موضع القداسة لدى طائفة البروتستانت في انجلترا وفي الولايات المتحدة وأجزاء أخرى من أوروبا ، وما يتصل بذلك من فرض ذلك على المناهج التعليمية في تلك البلاد بحيث تتلقى الأجيال الجديدة هذه الفكرة

على أنها عقيدة : فكرة ميراث اليهود وحدهم لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام عن طريق ابنه إسحق وحجب ابنه الأكبر إسماعيل وما يتصل بهجرة إبراهيم وإسماعيل إلى الجزيرة العربية وتجديد بناء الكعبة وما يتصل بارتباط العرب بإسماعيل وإبراهيم جيلا بعد جيل حتى ظهور الإسلام على يد النبي الخاتم : محمد بن عبد الله حفيد إبراهيم وإسماعيل والمجدد لدين إبراهيم بعد أن حرقه بنو إسرائيل . ولقد نشأت هذه الأجيال من إتباع البروتستانت على الإيمان بتلك الفكرة التي صاغها كتاب التوراة حين أعادوا كتابها خلال منقاهم في بابل وعلى يد كبيرهم [عزرا] بعد أن دمر تيطس النبطي ملكهم وأباد منهم عدداً كبيراً وحمل البقية إلى السبي البابلي ، هناك حرف اليهود التوراة وضعوا هذه الفكرة العنصرية التي تتفق مع دعوتهم الظالمة «شعب الله المختار» وأقاموها على أساس أن وعد الله لإبراهيم عليه السلام في أبنائه بإمتلاك هذه الأرض : هذا الوعد قاصر على ابنه إسحاق وذريته وحدهم ومن هنا يجيء الإدعاء التاريخي الباطل بحقهم في العودة إلى أرض الميعاد . لقد أذاعت اليهودية العالمية هذه الفرية المبذلة في كل كتب التاريخ بالإضافة إلى دراسات الأديان عموماً في دوائر المعارف العالمية وزيفوا تاريخ الكلمات المتصلة بذلك من أمثال : عرب ، فلسطين ، إبراهيم ، إسماعيل . ولقد امتد هذا العمل الضخم في مجال التعليم والثقافة جميعاً إلى الغرب كله حيث كان لهم هذا السلطان الأوسع على مجالات التأليف والنشر والثقافة والصحافة ومناهج التعليم فكان مقدمة للحركة التي حمل لواءها هرتزل بالدعوة إلى ما أسماه الدولة اليهودية كمدخل للحركة التي عرفت باسم الصهيونية غير أن ذلك الذي تم عام ١٨٩٧ حين عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا وأسفر عن كشف مخططات اليهودية العالمية وهي بروتوكولات صهيون لم يكن هو المرحلة الأولى للعمل كما يتصور الباحثون اليوم وإنما يرجع العمل الأساسي في العصر الحديث إلى ما قبل الثورة الفرنسية بإنشاء المحافل الماسونية في أوروبا ثم إنتقال هذه المحافل إلى العالم الإسلامي ، هذه المحافل التي خدعت كثير من طلاب الحرية فاتصلوا بها واشتركوا فيها ، وقد كانت الحركة الماسونية هي المقدمة الحقيقية والمنهج الأصيل لكل محاولات الإلحاد والإباحية وإنكار الأديان وحرب الأخلاق وإشاعة الفاحشة والتحلل وإن ما جاء بعد ذلك من فلسفات ومناهج وأيدولوجيات لتدمير المجتمع البشري إنما استمد أصوله من فلسفة العمل في الحركة الماسونية ، بالإضافة إلى العمل السياسي الخطير التي قامت به المحافل الماسونية من إغتيال ملوك ورؤساء وحكام

وعظماء رأّت اليهودية العالمية أنّهم حجر عثرة في سبيل تحقيق أهدافها وعن طريق الماسونية أمكن إحتواء عظماء كثيرين في ممالك كثيرة للعمل وفقاً للخطة التي استهدفها اليهودية العالمية وكان أبرز أهداف الماسونية هو إحتواء المسيحية وتدميرها من الداخل والعمل على تزييف الإسلام والسيطرة على ممالكه ومجتمعاته ويمكن القول أنّ الماسونية قد استطاعت أن تحقق ثلاث أعمال كبرى ، هذه الأعمال الثلاث الكبرى هي التي فتحت الطريق أمام الصهيونية لإقامة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي وعلى مرمى البصر الخاطف من معقل الإسلام في الجزيرة العربية : أولاً : « الثورة الفرنسية » التي أخرجت اليهود من الجيتو ، وكسرت قوانين الكنيسة التي كانت تحجزهم عن الإشتراك في الحياة الإجتماعية والسياسية ومن ثم أتاحت لهم تملك وجوه النشاط الثقافي والصحفي والإجتماعي ومن ثم السيطرة على رجال السياسة والحكم . ثانياً : إسقاط القيصرية وإقامة البولشفية في روسيا : وبذلك أصبح لليهود نظام مراجعة للرأسمالية التي كانوا هم صناعها من قبل ووضع العالم كله بين فكي الأسد . ثالثاً : إسقاط الدولة العثمانية والخلافة ، وبذلك انفتح الطريق أمام يهود العالم إلى فلسطين وإقامة الدولة اليهودية في القدس ومن هنا نجد أنّ اليهودية العالمية هي أم ثلاثة توائم : هم : الماسونية والماركسية والصهيونية . الماسونية التي فتحت الطريق أمام السيطرة العالمية والماركسية التي أقامت الصراع العالمي والصهيونية التي أقامت الدولة في قلب العالم الإسلامي ومنذ بدأت اليهودية العالمية تصنع حركتها التلمودية قبل الثورة الفرنسية على يد فولثير وروسو وديندرو والموسوعة وعصر التنوير ، بدأت السيطرة اليهودية على الفكر البشري ، الذي كان يتمثل في الفكر المسيحي الغربي الذي واجه الصراع بين العلم والدين منذ عصر النهضة ، ومن ثم كانت تحولاته إلى ديانة بشرية وإلى التطور والمذاهب المثالية كمرحلة سابقة للسيطرة التلمودية التي دفعتها دفعاً إلى الفلسفة المادية التي نتج عنها التفسير المادي للتاريخ والمدرسة الإجتماعية الفرنسية والفرويدية والوجودية إلى آخر تلك المراحل التي مر بها الفكر الغربي منذ انبثقت عنه الفلسفة الماركسية وقد اتسع نطاق هذا الفكر التلمودي حتى سيطر على جانب كبير من الفكر الغربي بعامه كما أنّه استطاع احتواء الفكر المسيحي والتأثير عليه ، ونحن نشاهد اليوم في أفق الفكر الإسلامي محاولات واسعة تستهدف طرح شبهات وسموم تلمودية إسرائيلية خطيرة وكل هذا يحتاج إلى دراسة واسعة وإلى تحليل عميق ليكشف الآثار الخفية في كل ما يطلق عليه اليوم المنهج العلمي للبحث في الإنسانيات .

قبل اشراق رسالة الإسلام في العالمين كان الفكر البشري قد وصل إلى درجة عميقة من الاضطراب والتجاوز والانحراف عندما أدخلت على المفاهيم الربانية التي جاءت بها الأديان تفسيرات وإضافات وجرت عمليات حذف وحجب لأصول أساسية من مفهوم الدين الحق ، حيث كانت قد مرت بمراحل متعددة حتى جاءت دعوة عيسى بن مريم كختم لرسول بنى إسرائيل وفي خلال هذه المرحلة الطويلة أحيطت الكتب السماوية باضطراب كثير واختلاف كبير : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً) فقد وكلت هذه الكتب إلى أهلها للحفاظ عليها فقصروا عن هذه المسؤولية فأصابتها دخائل كثيرة ثم جاء القرآن تصحيحاً . لكل المفاهيم والقيم التي أرسلها الحق تبارك وتعالى على أيدي الأنبياء السابقين من خلال رسالة السماء الممتدة من نوح والتي تركزت في إبراهيم وآل إبراهيم : (إسماعيل وإسحاق) ، دعوة خالصة إلى التوحيد ، ومنذ إبراهيم عليه السلام أطلق على هذه الدعوة اسم الحنيفية حتى جدها محمد صلى الله عليه وسلم : (ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً) جاء القرآن - وهو الكتاب الخاتم - ليفصل قصة ذلك التحريف الخطير الذي أحدثته اليهودية في رسالات الله إلى موسى وداود وعيسى عليهم السلام لإخراجها عن ضامينها وتحويلها من التوحيد والإنسانية والحنيفية إلى : «العنصرية : اليهودية الصهيونية» تريباً قائماً على البغى والتسلط والطغيان والامتنياز بمفهوم «شعب الله المختار» وللسيطرة على العالم كله وحيث يكون العالم كله مستعبداً له . ولقد كان التلمود هو « دستور » العمل للسيطرة على البشرية وإحتواء الأديان والأمم ، عن طريق إقامة تشريع يعطى يهود ذلك الإمتياز الذى يجعل من حقهم إستلاب الثروات والأمم والبلاد جميعاً وحرق وقتل أهلها واستعباد الأمم والأقوام ولقد جاء هذا الاتجاه في الفكر اليهودى أبان « السبي البابلي » حيث أعيدت كتابة التوراة ، وإعداد التلمود الذى أصبح في تقدير الحاخامات أعلى درجة من التوراة ومنذ أن أخرج اليهود من الأندلس (مع العرب) ١٤٩٢ م وقد بدأ الإعداد لبعث هذا المخطط ، يبدو ذلك في أمر تلك الجماعة التي أقامت في سالونيك وهى من مهاجرى الأندلس وقضية دخولهم في الإسلام ، وما يعجب بها من شبهات وشكوك يوحى بأنها كانت خطة دقيقة محكمة الكتمان تستهدف إقامة دعامة في قلب بلاد الخلافة الإسلامية لإحداث أمر ما فيما بعد . ولا ريب أن دوغة سالونيك كانوا من جزءاً المخطط الذى نفذته اليهودية بعد سقوط مملكة الخزر التي أصبحت من بعد جزءاً من الإمبراطورية الروسية التي اقتلع اليهود جذورها . الواقع أن مخطط اليهود في الإمبراطورية

الروسية لإسقاطها ونشأة الدعوين الصهيونية والماركسية في قلبها سنوات وسنوات كان إنتقاماً من إسقاط دولتهم «الخرز» التي حجبوها عن دوائر المعارف الغربية حتى لا يكشفوا خطتهم في إسقاط الدولة الروسية وقد ثبت أن اليهود صنعوا في هذه الفترة كلتا الدعوين ووزعوا أنفسهم عليها حتى يقسموا العالم إلى معسكرين ثمهم من الناحية الأخرى في سالونيك أخذوا يعملون في صمت وإستمرار لآمد طويل حتى استطاعوا إسقاط الدولة العثمانية أيضاً لينفتح لهم الطريق إلى فلسطين . ولقد أقام اليهود مشروعهم كله على أساس الإغتصاب والغدر والخيانة وساروا فيه ضد تيار التاريخ وضد طبيعة الأمم وضد نواويس المجتمعات والحضارات ، وما هذا الوجود القائم الآن وله بريق إلا خداع الصور والأوهام والدعاوى الباطلة فهو بناء منهار من أساسه ، ذلك لأنه لم يقم على حق مشروع ولا على حقائق ثابتة وإنما قام على وعد وهمي باطل في حقيقته وعلى أسلوب من الاغتصاب والقتل والتشريد ، إستيلاء على الأرض بالقوة وطرد أهلها منها ، وتهجير إناس من حثالات الأرض ليس لهم رابطة بها بالخداع والإغراء وإقامة مجتمع شتات ملئ بالتناقضات ، مجتمع مهدد يقوم وسط مجموعة معادية ساخطة لا يجديتقبلاً مما حوله ، ثم هو مجتمع أساسه المعونة الخارجية ولا يستطيع أن يجد قدرته بعد ربع قرن على أن يقوم بنفسه أو يكتفى بذاته ، والمعونة تأتي من حكومة كبرى ومن يهود بالوعد والوعيد والعمالة ككلب الحراسة ، ومع ذلك فإن قيام هذا المجتمع لم يحل المشكلة اليهودية فلا يزال يهود الدول المختلفة يعيشون على الولاء المزدوج ، وما زالت إسرائيل تعتمد على تأييد يهود العالم مادياً ومعنوياً ومالياً فضلاً عن وجودها في منطقة تتزايد فيها الثورة ضد قوى الغرب وثقافة الغرب وتنصب الثورة على الجار الوافد ، ليس لها أى سند قانوني غير قرار التقسيم ، هذا القرار الذي صدر بخدعة الأعداء المذهبيين ، لقد افترض هرتسل أن قوة الغرب ستسود العالم وأن جميع الكيانات السياسية ستدخل في المستقبل إلى العالم الحديث تحت وصاية الغرب وكأنها إمتدادات له من الناحية الثقافية والاجتماعية إلا أنه بعد إنقضاء القرن الماضي بدأت تظهر دلائل على أن الغرب لن يسود العالم بالضرورة ، ثم تعرض الغرب لتقلبات وتشنجات متزايدة عاقت موجة سيادته السياسية والثقافية وقد تميزت الحلقة الأخيرة من القرن العشرين - كما يقول تويني - بتراجع الغرب عن الرغبة في إعادة تشكيل العالم في صورة يكون هو قائدها وتراجع في تواضع إلى البحث عن التكيف مع أوضاع العالم الاخرى . ولقد تكشفت أكاذيب الصيونية في كل مجال ،

في الفكر والسياسة والإجتماع والاقتصاد ، ولم تستطيع الماركسية الشيوعية أن توازرها في السيطرة على العالم وتكشف للدول الكبرى تلك المؤامرة التي ترمى إلى ضرب أحد المعسكرين بالآخر قبات يتحاماها كل منهما كما تكشف من قبل فساد نظرية ماركس في تحريض عمال الغرب الذين استطاعت الرأسمالية أن ترفع مستواهم وتؤمن حياتهم وفشلت نبوءة الثورة في الغرب . واستطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن تعرى تلك الخدع التي حاولت الصهيونية أن تطويها وانكشف سرها حين فضح مخططاتها في بروتوكولات صهيونية وجاءت عشرات الوثائق مدعمة لها مؤكدة لمخططاتها الرهيبة . ولم يتعلم اليهود من تجارب التاريخ وحاولوا إقامة حركتهم الجديدة على نفس الاسس المعارضة للتاريخ ولطبائع الأشياء ولنواميس الامم والحضارات فانقلبوا من فشل إلى فشل ، ولم يستطيعوا أن يحققوا تقدماً يذكر ، وسوف تصرهم سنن الكون بالهزيمة الماحقة كما ضربوا على يد تيطس والرومان ، وفي الخزر ، وقد كتبت عليهم الذلة والشتات والتمزق والهزيمة جزاء معارضتهم لنواميس المجتمعات والحضارات أيما حلوا ، لأنهم لم يرفعوا لله عهداً ولم يحفظوا لأصحاب الفصل إليهم بدأ ولم يحسن إليهم أحد كما أحسن لهم المسلمون في الجزيرة وفي الأندلس وفي الدولة العثمانية ولم يسيثوا هم إلى أحد كما أسأوا إلى المسلمين ، عدواناً وظلماً وفساداً . لقد أقام اليهود دعواهم على الخداع وادعوا أن لهم دوراً في الحضارة العالمية وكل الدلائل تؤكد أنهم كانوا عيالا على حضارات الامم وثقافاتها حتى في عقيدتهم التي كتبوها في المنى وبدلوا بها عقيدة السوء ، كانوا قد نقلوها من الشعوب البدائية . ولم يستطيعوا أن يثبتوا باى دليل أن لهم دوراً في الحضارة الإنسانية ، فهم حاقدون على المسيحيين لأن لهم حضارة باذخة في الغرب وحاقدون على المسلمين لأن لهم وجوداً ضخماً قوياً في الشرق ، وقد كتب عليهم الشتات والذلة لأنهم عاشوا على وهم إقامة إمبراطورية الربا ومن أجل الربا قدموا للناس كل أنواع الفساد والانحلال وبغوا في بيع المال واحترفوا المرباة وأذلوا أعناق الناس بهذا العمل المهين ، وصدق فيهم بول أوسكار لينين حين قال « نحن اليهود لسنا إلا مفسدى العالم ومحركى الفتن فيه وجلاديه » وما تزال خطتهم هي إبادة البشر من غير اليهود ، وتدمير القيم وإفساد الشباب والنساء ، وإذاعة الفسق والترف وهم أداة الفتن والجاسوسية والحرب والتخريب وهم حملة المذاهب الهدامة

والمنحرفة والمادية والإباحية والإلحاد والتحلل . وقد خططت حركاتهم الحديثة :
الماسونية والصهيونية والمادية على قاعدة : هدم الدين والأخلاق بهدف تقويض
الحضارة ومحو العقائد وإسقاط الدول والإمبراطوريات والقضاء على الأمم . وأبرز ما تحمله
تعليمات اليهود : نصوص تفيض وحشية وعنصرية وحقداً على العالم كله وقد غذيت
العقول بهذه الأحقاد على مدى الأجيال فاصبحت قوام النفسية اليهودية وعدة التركيب
الاجتماعي ، وقد استطاعت الصهيونية التلمودية السيطرة على الحضارة الغربية والفكر الغربي
أن تطبعه بطابع الجشع والطمع والحقْد وإنشاء منهج التلمود الجشع الذي يستهدف إقامة
إمبراطورية الربا يقول الدكتور إيدر رئيس اللجنة الصهيونية : إن هدف الصهيونية
هو إبادة العرب جميعاً ، ويقول موسى ديان : لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا
إلى يشرب وإلى بابل ، وقال نورمان بيوش : في وسع اليهود الامتداد إلى جميع البلاد التي
وعدوا بها في التوراة من البحر الأبيض حتى الفرات . ولا ريب أن هذه كلها عبارات الوهم
التلمودي المضلل الذي لا يمثل حقيقة ولا يجري مع أصل أصيل من عقيدة أو شريعة واليهود
القاعون الآن بالدعوة إلى الصهيونية ليسوا هم يهود التوراة وإنما هم من جنس خزري آري
وأَنهم يستهدفون مطعماً ولا يلتمسون حقاً . وإن كل أساليبهم من الخداع قد أصبحت
واضحة الآن وأن تاريخهم في التآمر مكشوف اليوم أمام العالمين وقد تبين أَنهم كانوا
وراء المؤامرات والأفكار الهدامة والدعوات الضالة . وهم حملة راية النهلية : التي تقوم
على إنكار جميع المعتقدات الأديان والقواعد الاجتماعية والخلقية . ولقد عرف المسلمون
والعرب اليوم الطريق الصحيح إلى المواجهة مع الصهيونية بعد أن سقطت كل محاولاتها لحصر
التعامل في فلسطين دائرة قومية أو عربية ففلسطين ملك المسلمين جميعاً وعرفوا أَن الصهيونية
لم تنجح في إقامة إسرائيل إلا لضعف العرب وسيطرة الاطماع المادية والشخصية عليهم
وانقسام حكاهم وساستهم وانقسام عرى الوحدة بينهم وأن تجربة الحروب الصليبية
الصليبية ما تزال قائمة أمام المسلمين والعرب يتعلموا منها أسلوب الوحدة والتكامل
والترابط في مواجهة الصهيونية والتأسي بأسلوب الجهاد الإسلامي فهو وحده الأسلوب الصحيح
والعلاج الناجع للمواجهة ، وإن الأسلوب الإسلامي هو وحده منطلق النصر ، ولقد اصطنعه
نور الدين وصلاح الدين فحقق لهم الخروج من الازمة ، وقوامه العودة إلى منهج الإسلام
وتطبيق شريعته ونظامه التربوي ، وإقامة فريضة الجهاد كمعلم بارز من معالم الحياة

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولقد لعب اليهود دورهم في الحيلولة بين المسلمين وبين التماس منهجهم ودعاهم الماركسيون إلى بيع تراثهم في سبيل الانتصار على إسرائيل ، وكان هذا يعنى أن يصبح المسلمون منصهرون في إطار التلمودية الماسونية الصهيونية التي غزت الغرب وسيطرت عليه . ولا ريب أن المؤامرة (الاستعمارية - الصهيونية - الماركسية) تحاول أن تعمل جاهدة لفصل المسلمين عن الإسلام ، وبذلك يفتح الطريق أمام سيطرة المذاهب الوافدة التي تجعل الأمة الإسلامية أمة منهارة أمام الغزو الأُمى ، ولكن المسلمون يعلمون أن الإسلام ليس دين عبادة وليس ديمقراطياً ولا اشتراكياً ولا رأسمالياً وأنه وبين عقيدة سماوية متكاملة في نظام دولة شاملة للنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية وأنه منظم العلاقات بين الإنسان وخالقه وبين الإنسان ومجتمعه دون أن يحول ذلك الإنسان إلى فردية متعالية أو جماعية مفرقة وأن المسلمين يؤمنون بانه لا سبيل إلى عودة فلسطين إلا بالجهاد تحت راية الإسلام وبمقاتلين مؤمنين برهم ودينهم ، لا يحاربون من أجل شيوعية ولا رأسمالية ولا قومية بل في سبيل الله لاستعادة أراضى المسلمين وانطلاقاً لتبليغ رسالة الحق إلى العالمين :

أولاً : مصادر الفكر اليهودى التلمودى

(١)

(التوراة والتلمود)

المصدران الأساسيان للفكر اليهودى : هما التوراة والتلمود .

وتجمع المصادر على أن اليهود أعادوا كتابة التوراة على النحو الذى هو قائم الان فى منى بابل بين ٥٨٦ ، ٥٣٨ قبل الميلاد حيث « تفجرت العنصرية عن الحقد والكراهية للعالم وانبعثت منها الصهيونية بمعنى التطلع السياسى الدينى للعودة إلى أرض الميعاد وتأسيس دولة داود فيها جغرافياً وسياسياً ومادياً ، لقد أعاد اليهود كتابة التوراة على النحو الذى رسموه فى منهجهم وأخلاقيهم وجعلوها منطلقاً لهذا الهدف معارضاً أساساً للتوراة الموحى بها ، على أساس تنزيه بنى إسرائيل من العيوب ، وجعلوا وجهة نظر اليهود فى الإنسانية كلها قائمة على أساس : العنصرية ، بحيث تأخذ موقف العداء لكل من يختلف

مع اليهود . وكل ما ذكرته التوراة من تخريب وقتل واستئصال للسكان من فلسطين فهو كذب من وجهة الحقائق التاريخية وهو انعكاس للروح العنصرية المتعالية في العصور المتلاحقة . ويسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة . أو شعب الله المختار . وقد حرفت التوراة عقيدة بنى إسرائيل في الإله يهوه حيث تقول أن يهوه قطع وعداً لإبراهيم بتفضيل الشعب اليهودى على جميع الأجناس . كذلك فإن الديانة العنصرية تنكر البعث والآخرة ، وهى قد زيفت موقف بنى إسرائيل بالنسبة لإبراهيم وأبنائه ، وبالنسبة لميراث إبراهيم حتى يستأثر به إسحق وحده دون أخوه الأكبر إسماعيل ، ويتركز هذا الزيف في دعواهم بإعطاء إبراهيم لإسحق كل ما كان له ، أما بنو السراى اللواتى كانت لإبراهيم (والمقصود هنا ابنه الأول إسماعيل وذريته) فقد أعطاهم عطايا وصرفهم عن إسحق ومن ذلك قولهم : « تسكنوا أنتم فيهم إلا الكنعانيون ، الميراث الأبدى لكم وليس للكنعانيين ، ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته » . ويؤكد هذا المعنى ول ديورانت حيث يقرر أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد وأن اسم الكاهن عزرا مرتبط بتدوين التوراة . ويؤكد المؤرخون : أنه في المنفى في بابل بعد عام ٥٨٦ تحول الدين العبرى إلى الدين اليهودى . أصبح الآله : إله شعب الله المختار وهو يتدخل لا لحماية شعبه فحسب ، بل لإذلال وإخضاع شعوب العالم لشعبه المختار والاستمرار في إستعبادهم على مر العصور . وتقول المصادر الحديثة للدراسات لخاصة بالتوراة أن التوراة الموسوية كانت قد فُقدت من المجتمع اليهودى لعدة قرون بحيث صار من المحتمل أن يكون نصها الذى كتبه عزرا (عزيز عند العرب) مختلفاً جداً عما أنزل على موسى فبين الرجلين ما يقرب من ألف سنة من الزمان بل أن الأغلب أن العبريون بعد موسى لم يحتفظوا من ذكره بشيء ، فأضاعوا الرجل وأضاعوا موارثه بحيث مرت أجيال لا يذكره منهم أحد ولا يعرفون حتى مكان قبره ، هذا فضلاً عن أن اللغة العبرية لموسى تختلف عن نصوص العهد القديم العبرى الذى كتبه عزرا . ولا ريب أن هذه (التوراة) تختلف اختلافاً بيناً عن التوراة المنزلة التى ذكرها القرآن والتى هى محتويات الألواح التى كتب الله تبارك وتعالى فيها الشريعة وأن التوراة الموجودة الآن ضمن الكتاب المقدس ليست المذكورة في القرآن بحال ، وإن كانت تحتوى على نبذ منها بالخطا والتعريف والتبديل . وفي الأرض تورأتان أو ثلاثة ذكرت التواريخ فيها مختلفة من آدم إلى المسيح وقد يكون

الفرق بين اثنتين منهما ألف سنة . وأشار الدكتور محمد وصفي في كتابه (الارتباط الزمني) إلى أن التوراة التي أنزلت على موسى فقدت منذ حريق بختنصر الهيكل بعد حرق أورشليم وسبي اليهود إلى بابل . ويقرر الدكتور هربري لوى اليهودى صاحب كتاب (أديان العالم الكبرى) : أن هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لا سند لها في اليهودية بالذات وأبرز تجاوزاتها أنها لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب حيث لا يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت ولا يرد فيها شيء عن الخلود . ويعتقدون أن الجنة على الأرض وأن كل ثواب وعقاب هو في الدنيا . وأن الجنة الأرضية خاصة بهم دون شعوب الأرض . وفي سفر الجامعة « ليس للإنسان مزية على البهيم لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى التراب وإلى التراب يعود وقد حول اليهود الوصايا الإلهية للإنسانية إلى وصايا لليهود أنفسهم أما الجويم (أى جميع الامم الأخرى) فلا وأن قانون (لا تقتل - لا تزن - لا تسرق) هو خاص باليهود وحدهم . ويلاحظ الباحثون أن رائحة الوثنية الخالصة واضحة في العقيدة الجديدة (الهيكل - التسابوت - الطقوس) . ويشير الدكتور هربري لوى اليهودى إلى أن اليهودية ليست بحاجة إلى عقيدة إيمان لأن مجال اليهودية - في تقديره ليس فيما وراء هذا العالم ، وأنها تعمل لهذا العالم وحده بغض النظر عن العالم الآتى . ويقول ول ديوارنت أن اليهودية استوعبت أساطير بابل وسومر وأساطير الجزيرة العربية والفكر الفارسي وأن هذه الأساطير كانت معيناً غزيراً لاسفار العهد القديم . وأن القصص الشعبي في مصر والهند وفارس واليونان ، قد تداخل فيها تماماً وأن عقيدة المخلص المنتظر موجودة في الديانة الفارسية . ويقول نولدكه في كتاب (اللغات السامية) : جمعت التوراة بعد موسى بسبعمئة عام واستغرق تأليفها وجمعها زمناً متطاولاً جداً تعرضت حياله للزيادة والنقص . وأنه من العسير أن نجد جملة متكاملة في التوراة مما جاء عن موسى لأن التوراة لم تدون في عهده ولا في الجيل الذى تلاه . وتقول دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان « تورا » بالحرف : أن العلم العصرى ولا سيما النقد الالمسانى قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى وإنما كتبها أحبار لم يذكروا أسمهم عليها ، ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل . ويشير الاستاذ فيشر في كتابه عن تاريخ أوروبا في العصر الحديث إلى الأسفار القديمة ويقول أنها غدت منذ عام ١٨٦٤ تقريباً موضع الفحص الدقيق والامتحان الشديد وغدت

التوراة كتاباً عادياً لا سفرًا مقدسًا له مكانته الخاصة . ويقول أنيس فريحة : هناك شبه إجماع أن أقدم كاتب ظهر في يهوذا في القسم الجنوبي من فلسطين في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد وحاول أن يكتب قصة الخليفة والخطيئة الاولى والطوفان ، وقصة موسى وإخراج بني إسرائيل من مصر ودخولهم أرض كنعان ، ثم جاء بعده كاتب ديني آخر كان يسكن شمال فلسطين ويسمى بالكاتب الألوهيمي ، ثم كاتب آخر من يهوذا يدون تاريخ العبران استعان بالمصدرين اليهودي والألوهيمي ، وفي القرن السابع قبل الميلاد قام كاتب آخر يعرف بكاتب سفر التثنية ثم قام كاتب يعرف بالكاتب الكهنوتي الذي يمثل مدرسة الكهنة التي نشأت بعد خراب الهيكل عام ٥٨٦ ق . م . وتشير الأبحاث إلى أن القسيس الفرنسي (رتشارد سيمون) وضع عام ١٦٧٨ مؤلفاً مبتكراً في نقد التوراة عنوانه : (تاريخ انتقادي للعهد القديم) أشار إلى أن العهد القديم كما هو متداول معروف يعتمد على مخطوطات ترجع إلى القرون الوسطى وأن كثيراً منها ذات مصدر مجهول أو مشكوك فيه وأن النساخ من الرهبان قد أدخلوا فيها كثيراً من الأخطاء والتحريفات . وأشار الباحثون إلى أن النتائج التي حققتها العلوم الحديثة . والعلوم الطبيعية قد أثبتت خطأ وزيف كل ما أوردته التوراة من معلومات عن عمر الأرض وفلك الشمس والجنس البشري وأصل الإنسان وأن التوراة في نظر هؤلاء الباحثين لم تعد أكثر من أثر أدبي وليس من كلام الله المنزل . (٢) وفي العصر الحديث جرت مراجعات ودراسات واسعة حول التوراة التي عمدت الصهيونية إلى ضمها إلى الإنجيل وطبها تحت اسم الكتاب المقدس وترجمتها وتوزيعها في جميع أنحاء العالم وقد أشارت الإحصائيات إلى أن الكتاب المقدس قد نقل إلى ٤١٢ لغة غير اللغات الاوربية . وقد أشار محرر المقتطف في أغسطس عام ١٩٢٤ إلى عدم جدية معرفة أول من كتب لتوراة ولا الزمن الذي كتبت فيه ، ويشير أنيس فريحة (م ٤ مجلة الأبحاث) إلى أن التوراة لم تعد كتاب علم وتشريع ويقول جورج طعمة : أنه جرى نقد واسع لنصوص الكتاب المقدس من أجل معرفة كتابها وأزمته ووضع مختلف أقسامها أدى هذا النقد إلى اكتشاف فوارق في الأسلوب وتناقض في الروايات عن الحادث الواحد وتباين في الأوامر التي يفرض أنها من مصدر واحد مما جعل القول بان كل كلمة وكل نقطة من النصوص المقدسة هي وحي إلهي حرفي أمراً بالغ الخطورة وكان الناس يعتقدون جيلاً بعد جيل أن الكتب الخمسة الاولى من التوراة (تكوين ،

خروج، لاويين، عدد، تثنية) كتبها كلها النبي موسى مع أن مثل هذا القول لا يرد في التوراة ذاتها، ولكن حين طبقت مقاييس البحث العلمي التي استعملت في دراسة وثائق القرون الوسطى ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمر خلاف ذلك. وأشار أنيس فريجة إلى ما أصاب التوراة من تغيير وتحريف، وقال إن هناك أغلاطاً مصدرها السهو والكسل والملل أو ضعف النظر، وإذا كان الناسخ غير أمين في عمله عندما تعرض كلمة لا يستطيع قراءتها فإنه يعتمد إلى تغيير الكلمة أو تحويل النص بكامله ليستقيم المعنى. ويشير جرجى زيدان إلى أن أقدم ترجمة للتوراة إلى اللغة العربية هي ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي المتوفى عام ١٩٤٣م وكان إسرائيلياً من الطائفة الربانية وفي العصر الحديث ترجمتان للتوراة قام بالاولى منها المرسلين الأمريكيين، والاخرى الاباء اليسوعيين وبينهما فارق، فإن الترجمة الأمريكية حرفية محصنة، أما الترجمة اليسوعية، فتقوم على المعاني مع تجاوز الأصل العبراني. ويقول الدكتور أحمد شلبي: إن اليهود أرتدوا بعد سليمان إلى عبادة الاوثان وعبادة آلهة الأقوام المجاورين وبنوا مذبحاً للأصنام في فناء بيت المقدس ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها وكانت مملكة يهوذا وثنية تماماً وأن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة. ومن ذلك كله يتبين أن التوراة الحالية زائفة: وأنها كتبت وفق أهواء اليهود ومطامعهم ورسمت طريقتهم في الحياة إلى آخر الدهر، وأبرز أهداف الفكر اليهودي التلمودي كما رسمته هو: (١) الامتياز الخاص: هم يهود وكل العالم جويم أو أمميون، إعلاء العنصر والجنس، هم السادة الممتازون وكل البشر دونهم في المزايا العقلية والجسمية، كل الدنيا لهم وكل من غيرهم خدم، يحل لهم أخذ الربا من الامميين وقتلهم، وكل ما يملك الامميون من حقهم أخذه، ويعنى هذا التعصب، والتفرد بالجنس، والعنصرية. ومن هذا المعنى نبعت تعاليم التلمود وبروتوكولات صهيون التي تهدف إلى السيطرة على العالم كله. (٢) مفهومهم لله مفهوم زائف فالله يهوه كما وصفته التوراة متوحش شرير شغوف بالخراف والفساد وإراقة الدماء فهو رب الجنود. (٣) إنكارهم البعث والجزاء والحساب والحنة والنار وهذه أخطر مفاهيمهم التي تقوم على اعتبار أن الدنيا هي كل شيء وأن السعى لها هو وحده العمل، فعلى الإنسان أن يسارع إلى التقاط كل لذة وإنكار خلود النفس

وإنكار مداخله العناية الإلهية في أعمال البشر . (٤) تبريرهم الغدر والكذب والوقية كوسيلة للنجاح « الغاية تبرر الوسطة » . وترجع هذا الآراء في الأغلب إلى التأثير الشديد بالفلسفة اليونانية التي استطاعت أن تحتوى الديانة الموسوية وتسيطر عليها ، ويشير المقتطف (فبراير ١٩٠٨) إلى هذا المعنى فيقول أنه عندما سادت الفلسفة اليونانية عدل اليهود إلى كتبهم المقدسة فشرحوها وأسهبوا في تفسير غوامضها مدخلين إليها شيئاً من الآراء الفلسفية اليونانية التي كانت زاهية في زمن الاسكندرية وقال : إن إحدى فرق اليهود (الفريسيين) يقبلون كل العقائد والمبادئ والطقوس التي كر عليها الدهر وصارت مقدسة بحكم الزمن وشرعت تدعى القداسة والمصدر الإلهي وخاصة تعاليم الكلدان والفرس . ويقول دكتور محمد غلاب في كتابه (الفلسفة الشرقية) إن التأثير الفارسي والتأثير الأغريقي واضحا في الفكر اليهودي وأن التأثير الأغريقي شديد الأهمية ، لأن قسماً كبيراً من اليهود ألتقى مع الاغريق في مدينة الإسكندرية . وقد تغلغت الآراء الأغريقية في عقائد اليهود الدينية ومذاهبهم الفلسفية ونظرياتهم الأخلاقية والاجتماعية ويقول لورد ماكولي : لطالما إذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديماً في دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال . وهناك مصادر كبيرة تشير إلى إدخال اليهود السحر والتنجيم والأساطير الغريبة في كتب العبادة (الكابالا) اليهودية فهم ينكرون كل ما هو روحى ومعنوى في الحياة مع الانحراف الكامل إلى المادية الخالصة وإنكار الحياة الآخرة ، وقد عرفوا بصناعة التنجيم والسحر وإرسال الغموض على يوم الحشر والدينونة فضلاً عن الاتانية وحب الثراء . مع روح الغلو والتحدى والخيلاء . وبذلك يمكن القول بأن مصادر الفكر اليهودي هي : الفكر البابلي القديم والفكر اليوناني الهليني معاً . ٢- أما التلمود فهو عبارة عن الوصايا التي كتبها الأحبار وهي تضم (المشنا) وحواشي المشنا (الجمارا) ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود ، وهناك تلمود بابل وتلمود أورشليم وهم يضعونه في منزلة التوراة ، ويجعله بعضهم أسمى من التوراة وقد جمع بعد المسيح بمائة وخمسين سنة . وقيل بدأ في كتابة التعاليم الشفوية عام ١٦٦ م وأن التلمود الأخير ألف ابتداءً من القرن السادس الميلادي ، ويعتقد اليهود أن العهد القديم (أى التاموس المكتوب) ناقص ومبهم في كثير من المواضع . ولا يكون اليهودي عندهم مؤمناً إيماناً كاملاً إلا إذا

صدق بالتلمود ويقول التلمود : إن الامميون هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار فإذا نفق منهم حماراً ركبنا منهم حماراً . وتقوم فلسفة التلمود على العمل على إذلال البشرية وتسخيرها لليهود ونسف جميع المذنيات والحضارات وإزالة الأديان السماوية من على وجه الأرض لتحل محلها الفلسفة الحاكمة على البشرية وليقوم على أنقاضها ملك إسرائيل ويرد الباحثون وضع المشنا وهي متن التلمود ثم الجمارة وهي شرح المشنا إلى الأثر الذي أحدثه الرومان عندما أحرق الامبراطور الروماني تيتوس أورشليم عام ٧٠ ومثل باليهود تمثيلاً شنيعاً . وذلك على أثر ثورتهم على الرومان ثم لما ثاروا مرة أخرى في عهد الامبراطور أورليانوس . ١٣٥ م عندما دمرت أورشليم تدميراً تاماً وحرثت أرض المدينة حرثاً . فقد أعمل أورليانوس السيف وفرق شملهم وشتت جمعهم إلى أنحاء الأرض ، في هذه الظروف وفي ظل هذا التحدي الخطير وضع التلمود ، شبهة بما فعلوا في المذبحة الأولى عندما استولى بختنصر على ملك الكلدان عام ٥٨٦ ق.م. ونفاهم إلى بابل حيث عاشوا في الأسر خمسين عاماً وحرفوا التوراة على النحو الذي ذكرنا . وتشير الأبحاث إلى أن أول مع جمع هذه التفسيرات « المشنا » هو الحاخام بوخاس ومشنا معناها الشريعة وهي بالإضافة إلى الجمار كونت التلمود والتلمود أقوال الحاخامات وله نفس مكانة التوراة وهو في الجملة مجموعة التعاليم التي قدمها أجداد اليهود شرحاً للتوراة واستنباطاً من أصولها . وأول من ترجم التلمود إلى اللغة العربية الدكتور شمعون مويال : عام ١٩٠٥ وأشارت إلى ذلك مجلة الهلال حيث ذكر محررها أن التلمود نسختان : أحدهما البابلية والأخرى الأورشليمية والفرق بينهما في الشرح وفي المتن وكلاهما في اللغة العبرانية المولدة أو الآرامية وهي مزيج من العبرانية والكلدانية . وقد طبعت النسخة البابلية من التلمود عام ١٥٢٠ في البندقية كاملة في ١٢ مجلداً ضخماً أما النسخة الأورشليمية فقد طبعت مرتين في بومبرج ١٥٢٢ وفي كراكو عام ١٦٠٩ وقد أشار جرجي زيدان إلى أن التلمود قاسى على الأجيال المظلمة بأوروبا اضطهاداً شديداً فذهب فريسة النار مراراً حتى اطمأن وظهر من مطبعة بومبرج في عهد الإصلاح (القرن السادس عشر) بعد أن أحيا معالم العبرانية في ذلك القرن العالم فون رولشليين ولكن التلمود لم يترجم كله إلى لغة من اللغات الأخرى إلا مؤخراً ، إلى الانجليزية عام ١٨٨٥ ونشر جزء منه بالفرنسية وقد كان للتشيت الذي وقع باليهود بعد مذبحة الرومان عام ١٣٥ م أثره في بناء هذا الفكر الذي قام على أساس التآمر عن البشرية كلها من أجل السيطرة عليها وهو الخط الذي سارت فيه اليهودية فيما بعد

«إلى الآن . ويعتبر أرنولد توينبي : « اليهودية » ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها قضية متحجرة من حضارة بائدة انقرضت كل مظاهرها ، ويقول : ولما فقدت اليهودية صفتها ككلولة استثار هذا التحدى لبيتدعوا لأمتهم طرازاً من الكيان الطائفي استعاضوا داخل نظامه عند فقدان دولتهم وبلادهم بالاحتفاظ بذاتهم في صورة (تشتت) (وانتشار) بين ظهرائي أغلبية أجنبية وفي ظل حكم أجنبي » . وقد أشار كثير من الباحثين إلى ذلك الاحتواء الخطير الذى وقعت فيه تعاليم الدين الذى أنزل على موسى عليه السلام مرتين الأولى في اتصاله بالفكر البابلي ، ثم بالفكر اليونانى ويعد فيلسوفهم فيلون هو الذى وفق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية . وفسر التوراة تفسيراً يوفق بين تعاليمها وتعاليم اليونان وفسر العقائد الدينية اليونانية فجعلها مستخرجة من التوراة وفي نفس الوقت ادعى بعض الحاخامات أن الفلسفة اليونانية مقتبسة من عقائد يهودية وأن فيلسوفاً يهودياً يسمى (توراة أرسطوبول) قد ادعى مطابقة أفكار بعض فيلسوفى اليونان أمثال أفلاطون وسقراط مطابقة تماماً لقواعد اليهودية وأوامرها وإن حاخام اليهود وفيلسوفهم المشهور (فيلون) يقول : إن النظريات اليونانية هى نفس ما جاء في دين اليهود تماماً ، وإن الفلسفة العلمانية التى سادت مدينة الغرب وغذت الحركات المعادية للقومية والدين والتاريخ هما من (اليهود) أى من اليهود وشريعة التوراة وإن الحاخامات كانوا يضعون خيوطهم لجر المدينة الغربية النصرانية نحو اليهودية » .

ولا ريب أن هذه النقطة بالذات منطلق الاحتواء اليهودى للفكر الغربى الحديث كله كما سنرى من بعد ويقول سامى النشار ، وعباس الشربيني في كتابهما الفكر اليهودى وتأثيره بالفلسفة الإسلامية : أن اليهود لم يكونوا أصحاب فكر فلسفى وأن ما يبدو في التوراة من مظاهر الفكر الفلسفى إنما هو ما نقلوه من بابل أيام السبي أو ما خرجوا به من مصر أو اقتبسوه من مدرسة الإسكندرية ثم عاشوا في البيئة الإسلامية وبخاصة في الأندلس عالة على الفكر الإسلامى حتى بلغت بهم الجرأة أن اختلسوا كتب الغزالي ونقلوها إلى العبرية ووضعوا عليها أسمائهم . ولما هاجر اليهود من أسبانيا إلى فرنسا وبلجيكا وهولندا نقلوا معهم التراث الفلسفى الإسلامى (وهو التراث الذى عاش به اليهود في أوروبا) . ويؤكد كثير من الباحثين أن الفكر الإسلامى له أبعد الأثر على الفكر اليهودى : « وأن اليهود ليس لهم تاريخ فكرى أو أصالة عقلية أو فلسفية وأن الفكر الإسلامى قد ألهم في مختلف نزعاته الفكر اليهودى ولون في المجتمع الإسلامى كل الاتجاهات إلى عاناها المسلمون ، وأن اليهود كانوا دائماً ذيولاً

لكل مجتمع عاشوا فيه وإمعات لكل جبل انتمو إليه ولم يكن لهم أبداً الروح الخلاق الذى ينشئ ويبدع . وقد شرح كتاب الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية كل فكرة وردتها إلى أصحابها وبين ما لليهود فيها من أثر. ويقول بعض الباحثين: بأن « أثر التفكير الأفلاطونى على العقلية اليهودية بدأ فى الترجمة اليونانية للتوراة ، المعروفة بالترجمة السبعينية. إذ حدثت فيها تغييرات فى النص الأصيل متعلقة بالمذاهب الدينية والكونية فى التوراة والواقع. أن المذهب الأفلاطونى هو أقرب المذاهب الأغريقية إلى العقائد اليهودية » . وأشار جيمس فريزر فى كتابه عن الخرافة : حين تحدث عن قصص التوراة فقال : أن أهم القصص التى يتخذ منها الإسرائيليون عقيدة يستترون وراءها ، قد جاءتهم من أوهام الإنسان البدائى. الذى تمثله القبائل السائبة على وجهها فى مجاهل أفريقيا وآسيا وغيرها من القارات . وقال أن الرجل البروتستانتى المتدين عندما نظر فى أساطير التوراة رآها صورة دارجة من أساطير الشعوب البدائية التى كانت ترتاع أمام الطبيعة وتتوهم القصص وتحكى لنوادير وتكرر فى أساطيرها ما كان معروفاً فى أماكن مختلفة من العالم القديم السابق على التوراة . وقال : لقد شهد كثيرون بأن العقيدة التى يتستر وراءها اليهود هى شريعة الغاب التى تقوم على تدمير المدن والقرى وحرق المساكن وقتل الأطفال والشيوخ وقد أجمعت المصادر على أن بنى إسرائيل لم يستمروا على عبادة الله الواحد الذى دعا إليه الأنبياء واتجهوا إلى التجسيم والتعدد . يقول ول ديورانت : يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه على الصورة التى كانوا هم عليه وجعلوا منه إلهاً : الإله يهوه ، فيهوه ليس خالقاً لهم بل مخلوق لهم ، وفى يهوه صفاتهم الحربية : التدمير والسرقة ويهوه قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعب بل إله بنى إسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآلهة الآخرين . كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى ومن خلال هذا المفهوم كانت أعمق المعانى فى نفوس بنى إسرائيل المادية والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة . ويقول كارل ماركس فى كتابه (المسألة اليهودية) إن المال هو إله إسرائيل المطاع ، أمامه لا ينبغي لأى إله أن يعيش . ولقد أصبح إله اليهود إلهاً للناس جميعاً وهذا انتصار لليهود . ويؤكد الباحثون إن القول باختصاص شعب من الشعوب إله خاص لهم وحدهم هى فكرة وثنية وقد ظل اليهود متعلقين بهذه الفكرة ويجعلونها أساساً من أسس أيديولوجيتهم التلمودية ، وهذا أبرز مظاهر عنصرية اليهودية وقد عمد اليهود إلى إحياء الأديان الوثنية القديمة التى أخذوا منها هذه الفكرة وهى أديان الهنود.

والمجوس القائمة على تعدد إنكار البعث . وقد تحدث جوستاف لوبون في كتابه عن اليهود والحضارة الذى أصدره عام ١٨٨٩ فأكد أن اليهود لم يكن لهم علوم أو فنون ولا حق لهم فى الأرض التى يحاولون احتلالها وهم غرباء عنها وكل تقاليدهم وعاداتهم ودياناتهم مستعارة ومقتبسة ومسروقة من الدول المجاورة لهم وقال أن آية القول بأنهم وحوش وقساة ما نجد فى التوراة من أنواع الوحشية والبدائية . وفى سفر يشوع يقال لهم : أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وإمرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف واحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار . بينما نجد العرب كانوا ينفذون وصية أبى بكر : لا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا إمرأة ولا تدبحوا شاة ولا بقرة ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه . ويناقش الكتاب الكثير من الآراء والنظريات التى يدعيها اليهود لأنفسهم ويبطلها العقل بوثائق التاريخ وبما كتبوه هم أنفسهم .

(٢) رحلة الشتات

أبرز المواقف فى حياة اليهودية التلمودية هى : (أولاً) ضربة « السبي البابلى » التى قتلت ونفت وسحقت اليهود ثلاث مرات بقيادة بختنصر الكلدانى عام (٥٧٦ ق.م) وفى هذه الغزوة حرق اليهود التوراة . (ثانياً) ضربة « التدمير الرومانى » التى قتلت ونفت وسحقت اليهود بقيادة تيطس الرومانى (عام ٨٠ م وعام ١٣٥ م) وفى الغزوة وضعت (المشاة - الجمارة) التلمود وكان هذا آخر العهد بوجودهم فى فلسطين وبدأ رحلة الشتات . لقد هاجر اليهود بعد تخريب القدس إلى العراق وفارس والهند والصين والحبشة وفى كل هذه البلاد حاولوا أن يؤسسوا دولة أو مجتمعاً فباءت محاولتهم بالفشل . وكانوا فى خلال الضربتين قد زيفوا رسالة السماء وصنعوا أيلوجية عنصرية طامعة تستهدف إمتلاك العالم كله واتخاذ فلسطين منطلقاً لها . وفيما بين الضربتين كان فيلون عام ٢٠ أو ٣٠ قبل الميلاد استمداداً من التوراة المحرفة قد وضع مبدأه الدينى الفلسفى الذى قال : أن العنصر اليهودى يجب أن يستوطن الأرض المقدسة : أرض الميعاد والزحف منها إلى العالم والسيطرة عليه . وفى ضوء هذه الغاية صيغت العناصر الجوهرية للكتب المقدسة عند اليهود ثم وضع التلمود محققاً للخطوات التى تلت تصور هذه المطامع بعد إعادة كتابة التوراة وكان ما صوره فيلون هو حجر الأساس للفكرة الصهيونية والواقع أنه بين السبي البابلى والتدمير اليونانى لم يتوقف الغزو والتدمير

حتى بدأ عصر الشتات الذى استمر منذ عام ٨٠ ميلادية حتى اليوم وقد كان لهذا العصر تحدياته التى شكلت هذه الفلسفة اليهودية التلمودية الصهيونية ، وقد انقسم هذا العهد إلى مراحل وإلى خطط وكشف عن أن اليهودية يهوديتان هى: يهودية التوراة ويهودية التلمود . وأن يهودية التوراة يتمثل فى هذه الجماعات التى هاجرت من المشرق وتدفقت على أوروبا وأن يهودية التلمود هى تلك الجماعات التى نشأت فى بولونيا وحوض نهر الرين وهم يهود أوروبا الاشكنازيون الذين ليسوا من نسل إسرائيل والذين يمثلون الآن تسعة أعشار يهود العالم أما يهود التوراة فيطلق عليهم اسم السيفارديون وليهود التوراة فى أوروبا رحلة طويلة بدأت فى عصر الدولة الرومانية ثم تجددت بعد سقوط القدس حيث تشتتوا فى إنجلترا وفرنسا وألمانيا ثم أزيلوا عنها بعد ذلك فاعتصموا بالدولة فى الأندلس حتى خرج العرب منها ١٤٩٢ م فلجأوا إلى الدولة العثمانية فى سالونيك حيث كانت مؤامرتهم الخطيرة فى إسقاط الخلافة والوصول إلى القدس . وأما يهود التلمود فقد أقاموا فى دولة الخزر التى عاشت أربعة قرون ثم أسقطها المخطط العام الذى ظل مقاوماً للوجود اليهودى فى كل مكان فى الغرب . لقد عاش اليهود خلال هذه الفترة منذ عام ٨٠ ميلادية فى أوروبا فى مرحلتين خطيرتين : الأولى هى مرحلة الاضطهاد المسيحى المستمر الذى واجه اليهود باعتبارهم عنصراً هداماً يحمل لواء الربا والفساد الخلقى وقد قاومت الكنيسة وجودهم وفرضت عليهم العزلة وحرمت اتصالهم بالمجتمع المسيحى وظلوا بين خروج وعودة فى فرنسا وإنجلترا وألمانيا حتى استطاعوا أن يتغلبوا على هذه العقبات بالدعوة إلى التنوير : هذه الحركة الضخمة التى حملت النقض لكل قيم الدين والأخلاق تحت لواء الماسونية التى استطاعت أن تحقق أول وأكبر ثمارها بالثورة الفرنسية التى تلتها ثورات متعددة فى أنحاء أوروبا وكان هذا هو بداية الاحتواء اليهودى التلمودى الصهيونى للغرب المسيحى (٢) كان دور اليهودية التلمودية فى الإمبراطورية الرومانية خطيراً ، فقد تدفقت جموعهم إلى الغرب واختلطوا بالرومانيين وأهالى أوروبا وكان عملهم هو الربا وتجارة الرقيق « وتاجروا بأعراضهم وأعراض غيرهم فى سوق الرقيق والفجور حباً للمال وجمع المال فأصبح لهم نفوذ خطير فى هذه الإمبراطورية حتى تمكنوا من السيطرة على قيادتها ودفعوها إلى الدمار والانهار عن طريق الفساد الأخلاقى . يقول فونك دوخبال فى موسوعة اليهودية : أن اليهود كان لهم نفوذ خطير فى الإمبراطورية الرومانية وقد سيطروا فى عصر جوستينيان وكان لهم أثر فعال فى سوق الإمبراطورية إلى الفساد والانحلال . وقد

رضيت عنهم الامبراطورية في جميع أنحاء أوروبا وكانت تجارة الرقيق مصدر رزقهم ، وقد اعتنق بعض الرومانيين اليهودية حباً في جمع الأموال عن هذا الطريق : طريق تجارة الرقيق وشجعهم اليهود على مزاولتها . وتشير الأبحاث التاريخية المختلفة إلى أن سبب سقوط الامبراطورية الرومانية راجع إلى السير في الفجور خلف خطوات اليهود في إفساد الامبراطورية كان من أهم الدوافع لهذا السقوط وهذا التدهور ويقول فرنك لي بريتون مؤلف كتاب الصهيونية والشيوعية : بدأ التجار من اليهود والصناع يظهرون على المسرح الروماني بكثرة بعد القرن الثاني للميلاد وأخذ مركزهم في العالم يزداد أهمية . وكانت تجارة الرقيق مصدر معيشة اليهود الرومانيين . وقد شن (سنيكا) حملات عنيفة في كتاباته على روماني عهده لمحاكمتهم اليهود وردجيون في كتابه (انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها) : رد سقوط روما إلى نفوذ اليهود وقال أن بوبيا زوجة نيرون الذي أحرق روما كانت يهودية مرتدة (٣) ومن الأمبراطورية الرومانية إلى أوروبا كلها : لقد امتد نفوذ اليهود الشتات إلى كل أجزاء أوروبا وخاصة انجلترا وفرنسا وألمانيا ولهم في كل وطن من هذه الأوطان ثلاث مراحل مرحلة الهجرة إليها ثم مرحلة الخروج منها مطرودين ثم مرحلة العودة ، وفي انجلترا هاجر اليهود إليها عام ١١٩٠ في عهد الغزو النورماني وعملوا في مجال الربا وتدفقت عليهم الأموال ثم طردوا عام ١٢٩٠ ثم عادوا مرة أخرى عام ١٨٥٨ حيث حصلوا على جميع الحقوق البرلمانية وأصبح لهم مجال في تسلم الوظائف الكبرى وقد عين أول يهودي محافظاً لمدينة لندن ١٨٣٨ وبارون يهودي عضو في البرلمان ١٨٤٧ وكان روتشلد أول يهودي في مجلس اللوردات ١٨٨٦ ثم جاء هريبرت صمويل عام ١٩٠٩ وكما استوطن اليهود سائر أقطار الامبراطورية الرومانية فإنهم استوطنوا سائر مستعمرات بريطانيا منذ ١٨٣١ وكان لهم دور خطير في الاحتلال البريطاني لمصر وحفر قناة السويس وديونها وبيع أسهمها الأخيرة وفي فرنسا سيطر اليهود على الاقتصاد وعملوا في مجال القروض بالربا الفاحش ومجال الرقيق الأبيض ثم طردوا عام ١٣٠٦ ثم سمح لهم بالعودة مرة أخرى وفي مختلف بلاد أوروبا واجه اليهود حالة التملك ثم الطرد ويشير المؤرخون إلى أن أوروبا منذ ١٢٠٠ إلى ١٦٥٠ قد تخلصت من اليهود بعد أن أعدم منهم الملك جون في بريطانيا الكثير بعد سرقة ذهب الدولة وصادر الملك إدوار الأول أموالهم بعد أن مارسوا الربا الفاحش على نطاق واسع لغير اليهود . وعندما بدأت محاكم التفتيش أعمالها الإرهابية وقضت على اليهود كجماعة دينية توجهوا

إلى أسبانيا الإسلامية ليلوذوا بالفرار من وجه الاضطهادات وعاشوا بين المسلمين ، ثم هاجروا بعد انتهاء الحكم الإسلامي ١٤٩٢ قاصدين إلى الدولة العثمانية وبلاد البلقان والأناضول . وقد غاد اليهود إلى أوروبا مرة أخرى عام ١٦٥٠ حيث أخذوا في إعلان عصر التنوير بديلاً لعصر النهضة الذي لم يشاركوا فيه ، وكمقدمة للتآمر على أوروبا كلها وتمزيق وحدتها المسيحية والفكرية بإعداد عدة الثورة الفرنسية ممثلة في جماعة الموسوعة الذين هم في الحقيقة جماعة الماسونية الذي مهدوا لهذه الثورة التي قلبت الموازين وأخرجت اليهود من جميع القيود التي فرضتها عليهم الكنيسة المسيحية ولم يكن دورهم هذا متحرراً من مخططهم الربوي ومن تجارة الرقيق ولكنه كان مدعماً له بفلسفة وأبولوجية كاملة ظلت تسيطر على الفكر الغربي حتى كادت تحتويه . يقول : فرنك بريتون : خلال العصور الوسطى التي امتدت من ٥٠٠ إلى ١٣٠٠ بعد الميلاد كان التاجر اليهودي يسيطر على أوروبا بأسرها. وقد شملت هذه السيطرة الإشراف على طرق التجارة الشرقية المؤدية إلى بلدان المشرق ، ولم تتنفس أوروبا الصعداء إلا حيناً طرد اليهود من أوروبا في القرن السابع لعصر النهضة مباشرة . والمعروف أن الكنيسة قد سيطرت تماماً على المجتمع اليهودي وعزلته عزلاً تاماً عن المجتمع المسيحي وأن كتاب أوروبا أشاروا إلى هذا الخطر المائل في (الراي اليهودي) الحاقده على المجتمع وعمليات الانتقام السافرة التي وقعت بهم نتيجة إفسادهم الحياة الاجتماعية . وكان أخطر مقررات الكنيسة هي عزله في الجيتو . وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد أصدرت ١٢١٥ م في مجمع لاترين الرابع مجموعة من القيود الضخمة التي استهدفت كبح احتكارهم التجاري ومنها تحديد إقامتهم في أحيائهم الخاصة وتحريم استخدام النصارى أو التزوج منهم أو الاشتغال بأكثر من نوع من أنواع التجارة وكانت الكنيسة قبل ذلك قد سنت قوانين كثيرة في العصور الوسطى تحرم على اليهود الزواج من النصارى . ومنذ قرر مجمع لاترين الرابع هذه القرارات الصارمة ضعف شأنهم وظهرت اليهودية الأوروبية ، وكان لتنبه أوروبا لخطرهم الجسيم وعوامل إفسادهم مدعاة لطردهم من الدول الأوروبية دولة بعد دولة ولما استقروا في الأندلس الإسلامية منذ تلك الفترة جرى طردهم بعد سقوط الحكم الإسلامي ١٤٩٢ فما أن أهلت عام ١٥٠٠ كما يقول (فرانك لي بريتون) حتى كانت أوروبا الغربية بأسرها باستثناء شمالي إيطاليا وأجزاء من ألمانيا والممتلكات البابوية قد تخلصت من الغزوة اليهودية وعاشت أوروبا فترة من الزمن حرة من اليهود الذين لم يعودوا إليها بكثرة إلا عام ١٦٥٠ في هذه الفترة كان السواد

الأعظم من الشعب اليهودى موجود بالشرق فى الإمبراطورية التركية .ويقول : أن الفترة التى تميزت بطرد اليهود ١٣٠٠ - ١٦٥٠ تتميز أيضاً بأنها عصر النهضة التى بزغت شمسها على أوربا بعد ذهاب اليهود وأن عصر الانبعاث لم يبرز فى الحضارة الأوربية إلا بعد أن انتزعت الأمم الأوربية السيطرة التجارية من الجيتو . (٤) لابد لفهم فلسفة الشتات من التفرقة التامة بين يهود التوراة ويهود التلمود : يهود الشتات الذين انطلقوا فى القرن الأول الميلادى إلى أوربا وإلى أجزاء مختلفة أخرى من العالم أما يهود التلمود فهم اليهود الذين نشأوا فى بيئات أخرى فى الغرب لا صلة لهم بالنسب بيهود بنى إسرائيل . فاليهودى العربى الحديث كما يقول فرنك لى بريتون : لا يؤمن حقيقة بالتوراة بل بالتلمود وهو لا يتكلم العبرية بل اليهودية الدارجة وهو ليس من نسل إسرائيل بل من حثالة شرق البحر المتوسط . وقد صور ذلك جولز فى مؤلفه خلاصة التاريخ ج ٣ « أن الفكرة اليهودية كانت ولا تزال مزيجاً غريباً من التسامح الدينى والقومية والعنصرية العنيفة فقد بحث اليهود عن مخلص خاص ؛ مسيح ليصلح بنى البشر بإعادة أمجاد داود وسليمان الخرافية وجعل العالم فى النهاية تحت تأثير اليهود . كانت الديانة اليهودية حقاً الحمى السياسى المتبقى لدى الكثير من الشعوب المشتتة وجلها سامية . ومما لا شك فيه أن تقاليد اليهود المالية والتجارية ليست تراث فينيقي ومن الآثار التى خلفها الآراميون فى بابل . جراء هذا الامتزاج نشطت الجماعات اليهودية وازدهرت فى كل مدينة من مدن الإمبراطورية وامتد نشاطها إلى أقصى الشرق وبقيت على اتصال بعضها ببعض بواسطة التوراة وبواسطة منظمة دينية وتربوية لعلها « الماسونية » فالقسم الأكبر من اليهود لم ينحدر مطلقاً من سكان المنطقة اليهودية فى فلسطين ولم يخرج منها على الإطلاق ومن هؤلاء اليهود : [يهود التلمود : الخزر] الذين شيدوا فى جنوب روسيا إمبراطورية دامت أربعة قرون . وقد تسرب إليها عبد ضخم من يهود بيزنطة . يقول فرنك لى بريتون : إن كلمة خزرى وكلمة يهودى يستعملان مترادفين فى الموسوعات وفى القرن العاشر تحطمت إمبراطورية الخزر واستوطن عدد كبير منهم البلاد التى أطلق عليها من بعد (بولونيا) وتوجه آخرون إلى غربى أوربا وأسبانيا ولقد كان لليهود نفوذ ضخم فى بولونيا استمر حتى عام ١٢٠٠ م حيث كانوا يتولون سك النقود وقد أحرزت روسيا بسبب تقسيم ولونيا أكبر نسبة من يهود العالم فاتصل تاريخها بالقضية اليهودية اتصالاً مستعصياً ، وكان اليهود فى النهاية سبب انهيار الإمبراطورية الروسية ، وقد دعت بولونيا المطردون فى غربى أوربا إلى الإقامة

بأعداد ضخمة داخل حدودها في القرون ١٣ ، ١٤ ، ١٥ والحكومة الروسية لم تسمح بمثل ذلك وأقفلت حدودها دونهم . وقد فرضت الحكومة القيصرية لحماية اقتصاد روسيا وثقافتها قراراً عام ١٧٩١ يسمح لليهود بالإقامة في روسيا الكبرى ولكن في أماكن معينة محددة وقد بلغ عدد اليهود الذين يقيمون ضمن هذه الأحياء عام ١٨٩٧ - ٩٣٩٩ في المائة من مجموع سكان روسيا اليهود وتعتبر هذه الأحياء عاملاً من أكبر عوامل التطور الحديث فقد تجمع في هذه البقعة الموحدة المتلاصقة القسم الأكبر من اليهود وبقوا زهاء قرن وديع قرن من الزمان في بيئة مشتركة نشأ فيها يهودى القرن العشرين الذين يتكلمون اللغة اليهودية الدارجة (يديه) ومنها كذلك ولدت النخلتان الكبيرتان : الصهيونية والشيوعية . ولقد حرص اليهود على الحى المستقل (كاهال) وحافظوا عليه داخل إطار المجتمع المسيحى العام ، وحمل اليهود الذين طردوا من أوروبا هذه العادة إلى بولونيا وصار (الكاهال) مؤسسة موطن الأركان في بولونيا فلما انتقل اليهود إلى حكم روسيا أقاموا في الكاهال هذه المنظمات المستقلة . وقد امتدت الأحياء الخاصة من القرم إلى بحر البلطيق (من القرم على البحر الأسود إلى بحر البلطيق على الشام) وقد بلغوا حتى عام ١٨٨١ من الأزدهار والنجاح ما يفوق حد التصور فقد حل اليهود على الاقتصاد الروسى مثل أرجال الجراد التى تسطوا على حقل ذرة حديث الغرس وقد امتدت الأحياء اليهودية في سلسلة من شبه جزيرة القرم إلى بحر البلطيق في مساحة من الأرض تعادل نصف مساحة أوروبا الغربية . وقد بلغ عدد الذين أقاموا فيها عام ١٩١٧ سبعة ملايين يهودى يضمون زهاء نصف سكان العالم اليهودى . في هذه المستعمرة ازدهرت « الفلسفتان التوأمان » : الشيوعية والصهيونية وكلتا الحركتين نمتا من الكرة اليهودى للحضارة المسيحية : مضطهدة الشعب المختار وكلتاها انتشرت حيث هاجر اليهود وكانت الأحياء هى المستودع الذى تدفقت منه قوى الشيوعية العالمية ونصف عدد اليهود الموجودين في العالم يقيم اليوم في الولايات المتحدة - وجميعهم باستثناء عدد ضئيل منهم أما من هذه المستعمرة أو سلالة الذين هاجروا منها ، وفي عام ١٨٤٤ اكتسب القيصر نقولا الأول « عداوة اليهود » بإلغاء نظام الأحياء اليهودية (الكاهال) كما حرم ارتداء اللباس اليهودى التقليدى ، وأجبرهم على لبس ما ينسجم مع التقاليد الروسية . وكانت تلك محاولة لتمثيل اليهود بالحياة الروسية . وكانت نتيجة مشروع الهضم الذى اعتمدته الحكومة القيصرية أن أصبح اليهود في روسيا أفضل عنصر من حيث التعليم وقد أفضى ذلك في النهاية إلى تحطيم

حكومة القيصرية ومنذ عام ١٨٨٠ (عهد اسكندر الثاني) أصبحوا سادة في المهن المختلفة ثم جرت محاولات اعتقال القيصر اسكندر الثالث حتى قبل عام ١٨٨١ وقد كانت السياسة الروسية حتى عام ١٨٨١ موجهة باستمرار إلى (ترويس) اليهودى تمهيداً لاعتباره مواطناً كاملاً وتمشياً مع هذه السياسة اتبع نظام التعليم الإجبارى لليهود ، وحتى عام ١٨٨٢ استطاع اليهود أن يرسخوا أقدامهم فى الاقتصادى الروسى بحيث أشرفت روسيا على الإفلاس عندما حاولت زحزتهم عن مكانتهم . فى هذا الجو بدأت الحركتان التوأمان : الماركسية والصهيونية تتحكما بجمهرة اليهود الروس وتسيطر ان عليهما . حكمتا «الصهيونية والماركسية» أول ما أعلننا يهود ألمان : ودخلت الصهيونية (هرتزل) روسيا عام ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الأكبر كارل ماركس حفيد أحد الحاخامين وكان لابد فى النهاية لكل يهودى روسى أن يلتحق بإحدى هاتين الحركتين « ولا ريب أن هذه الخطة تكشف عن أشياء كثيرة (١) تكشف عن أن اليهود يحطمون كل من يحاول أن يصهرهم فى المجتمع العام . ويفضلون أن يبتقوا بذاتيتهم الخاصة حتى يحققوا هدفهم الخطير ، وأنهم يدمرون عوامل تميز المجتمعات بعقيدة خاصة حتى يستطيعوا السيطرة عليها . (٢) إنهم دمروا الامبراطورية الرومانية إنتقاماً لتدمير معقلهم فى فلسطين ودمروا الامبراطورية الروسية إنتقاماً لتدمير دولة الخزر . (٤) كشف حقائق البحث العلمى أن يهود أوروبا ليسوا من ذرية بنى إسرائيل وأنهم يمثلون تسعة أعشار يهود العالم وأغلبهم من منطقة بولونيا وحوض نهر الراين : وهم الاشكناز ، ولغتهم (يديش) وهم كانوا يعيشون فى الخزر ، وهم من سلالة جرمانية أوربية محضة ابتدأت تتكاثر منذ القرن الثالث الميلادى ، اعتنق أجدادهم قبل الميلاد بأكثر من قرنين الدين اليهودى الموسوى . وهؤلاء غير الذين هربوا من الشرق إلى جنوب أوروبا وشمال أفريقيا . وقد بحث علماء الأجناس (ريبلى - لامبروزو - رينان) . وتتبعوا هذه القضية : فقال لامبروزو : أن يهود العالم الجديد أدنى إلى الجنس الأرى منهم إلى الجنس السائى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم إليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صنوف البشر منهم الفلاشا (سكان الحبشة) والألمان والتامل (اليهود السود من الهند) ومنهم الخزر (من الجنس التركى) . وأشاروا أنه لا يعقل أن يكون اليهود

الموجودون الآن في العالم وعددهم ١٦ مليوناً هم سلالة الخمسين ألف الذين شردوا من عهد أوريانوس والمعروف أن شعب الخزر لم يسكن فلسطين ، ولا الجماعات العبرانية جميعاً ذهب إلى هناك وقال الأستاذين ريلي وتيار : أن اليهود في ألمانيا يشبهون الألمان شبهاً واضحاً وأن اليهود السلاف لا يختلفون عن مواطنيهم السلافين وكذلك قرر علماء الأجناس : أن بعض الصفات التي يزعم اليهود أنها خاصة بهم كالأنف البارز قد لوحظ أنه ليس شائعاً بين جميع الجماعات اليهودية ويقول : أن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ليس له نظير وأن الزعم بأن اليهود جنس نقي حديث خرافة . وبعد عام ١٨٩٧ بدأت مرحلة جديدة في حركة الشتات اليهودي وهي مرحلة دخول الفلسفة التلمودية الصهيونية اليهودية مرحلتها الخطرة : وذلك بتحقيق خططهم الرامية إلى السيطرة على المجتمع الغربي المسيحي بالثورة الفرنسية التي هي أول ثمار التلمودية الماسونية « وهي تتمثل في الخروج من الجيتو للسيطرة على الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في أوروبا كلها بعد أن رفضت أوروبا التسلط القائم على الربا وتجارة الرقيق الأبيض وكان على اليهودية والصهيونية التلمودية أن تدمر هذا المجتمع فكرياً لتخرجه من طابع التدين والخلق حتى يمكن لها أن يستوعبه تماماً وكانت هذه الحركة بمثابة الانتقام من الكنيسة وتحطيم القيود والأغلال التي وضعتها للحيولة دون تشتتهم في المجتمعات وتأثيرهم فيها وفرض الأيدلوجية التلمودية عليها . وقد كان من نتائج ذلك المخطط : الذي أطلق عليه « عصر التنوير » بعد عصر النهضة الذي لم يشارك فيه اليهود الذين كانوا مبعدين إذ ذاك - من نتاجه قيام الماسونية الكونية التي نجحت في إقامة الثورة الفرنسية كمقدمة للسيطرة على أوروبا ثم الاتجاه إلى إسقاط الدولة العثمانية عن طريق يهود سالونيك الذين أظهروا الاسلام وأطلق عليهم اسم الدوغة ، ثم إقامة النظام الشيوعي في روسيا القيصرية التي دمرت دولة الخزر . لقد عاد اليهود إلى أوروبا ١٦٥٠ للتحضير لما تحقق عام ١٨٩٧ وليس من ريب أن اليهودية فرضت التلمودية نفسها على المسيحية الغربية منذ وقت باكر عن طريق التفسيرات التي قدمها بولس اليهودي الأصل لتدميرها من الداخل ثم كان الصراع بين اليهودية والمسيحية بعد ذلك حتى استطاعت اليهودية والتلمودية أن تحدث الثغرة الضخمة في الجدار العريض (٥) ويصور أرنولد توينبي هذا اللقاء فيقول : كانت اليهودية في الشكل الذي اصطدمت به مع المسيحية الغربية ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبناها فضلة متحجرة من حضارة بادت وانقضت كل مظاهرها فلقد كانت دولة يهودا الإقليمية

السريانية وعنها انبثقت اليهودية - واحدة من الطوائف العبرانية الفينيقية الآرامية ، الفلسطينية ولكن فيما فقدت الطوائف الأخرى شقيقات طائفة يهوذا كيانها كما فقدت كذلك هويتها كدولة بفعل المصائب القائمة التي توالى على المجتمع السورى نتيجة لمصادماته المتوالية مع جارية البابلى والهلينى ، فان هذا اتخذى نفسه الذى واجه اليهود قد استشارهم ليلدعوا لأنفسهم طرازاً جديداً من الكيان الطائفى وفى داخل نطاق هذا الطريق الجديد استعاضوا عن فقدان « دولتهم وبلادهم بالاحتفاظ بذاتيتهم فى صورة « تشتيت » بين ظهرائى أغلبية أجنبية وفى ظل حكم أجنبى ويقول أن اليهود استطاعوا أن يقدموا للمجتمع الغربى بأدنى حد من الخبرة التجارية والتنظيم . ولكن المسيحيين طمحو إلى أن يحلوا محل اليهود عن طريق اتقانهم الفنون اليهودية المربحة ومن ثم بذل المسيحيون جهوداً جبارة فى هذا الميدان الاقتصادى الذى كان احتكاراً لليهود . ومن ثم فإن ظهور طبقة من المسيحيين أهل لانجاز جميع الأعمال التى تخصص فيها اليهود ، صاحبه تطلع إلى طرد اليهود ويتمثل شعور المجتمع الغربى لليهود فى مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) التى رمز فيها إلى المسيحى الساذج أنطونيو الذى وقع فى براثن اليهودى الماكر شيلوك حتى افترض منه متعهداً بوفاء الدين برطل من لحمه بعد أن عجز عن وفاء الدين نقداً . وأشار توينبى إلى أن اليهود كانوا موضع الكراهية فى المجتمع الغربى بقدر ما كانوا طائفة لا غنى عنها للمجتمع . وقال إن مرحلة طرد اليهود من إنجلترا كانت فى القرن الثالث عشر وفى أسبانيا فى القرن الخامس عشر ، وفى بولنده ، والمجر فى القرن العشرين ، ثم بعد أن توطدت المسيحية الغربية على الفنون الاقتصادية إلى درجة لم يعد تخشى معه عواقب الاستسلام للمنافسة اليهودية عادت فسمحت بالإفادة من القدرة الاقتصادية عند اليهود لخدمة الاقتصاد القومى المسيحى ولذلك أجازت الدول بعد ذلك لليهود البقاء والاستقرار . ولا ريب أن المؤرخ توينبى فى هذا التصور لم يحالفه حظ الإحاطة الشاملة بالخطر التلمودى على بلاد الغرب على التحول الذى أحاط به غيره من الباحثين فإنه تجاهل تماماً آثار الخطر الذى كان لليهود فى أوروبا قبل أن يطردوا والمخطط الذى طبقوه لعودة امتلاك إرادتهم فى القبض عنق الغرب مرة أخرى بصورة ماكرة فى ظاهرها وإن كانت أشد عنفاً وأهم بعد أن عادوا قد سيطروا سيطرة تامة على الاقتصاد الغربى وأن المجتمع الغربى وفكره قد دخل دائرة الاحتواء اليهودى بشدة وكل ما فى الامر أن اليهودية التلمودية فى مرحلتها التى بدأت عام ١٦٥٠ كانت قد غيرت

أساليب العنف التي كانت موضع المعاقبة واصطنعت أساليب جديدة امتلكت بها إرادة السيطرة على الملوك والرؤساء وأعضاء المجالس النيابية والقضائية جميعاً عن طريق المؤسسة الخطيرة الماسونية وكان هذا هو عصر التنوير الذي يفاخر بها الغرب المسيحي من غير أن يعرف مدى الخطر الذي طوق به التلموذيون عنقه . لكن المؤرخ توينبي يشير في بحثه عن اليهود والغرب إشارات ذات بال عن مدى ما كان للحركة البروتستانتية من أثر في تحطيم جبهة الكنيسة الكاثوليكية الموحدة المعادية لليهود ، وهذا يعني بصراحة لم يصل إليها توينبي أن البروتستانتية قد أصبحت سواء في إنجلترا أو هولندا أو الولايات المتحدة عش الصهيونية مع أن صاحب الدعوة إليها (لوتر) قد حمل على اليهودية حملة جبارة في كتابه المشهور : « أكاذيب اليهود » . ويقول توينبي : أنه مصداقاً لهذا الاتجاه فإن إنجلترا وهولندا إبان القرن ١٧ ترحبان باللاجئين من اليهود باعتبارهم ضحايا الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء عدوة هذين البلدين البروتستانتين . ويقول : وقد ترتب على ذلك أن شارك اليهود بصفة عامة « ثمرات روح التسامح » المطرد النمو في البلاد الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء . والمعروف أن اليهود خرجوا من الجيتو بخطة الثورة الفرنسية التي حضروا لها طويلاً ثم غيروا بها وجه أوروبا حتى أصبح لهم النفوذ الواسع والسلطان الكبير على جميع المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية في أوروبا .

ثانيا : حركة التلمودية الصهيونية على المحاور الثلاث

تحركت التلمودية الصهيونية على ثلاث جبهات شملت العالم المعمور كله : (١) الحركة الأولى في اتجاه المسيحية والغرب وذلك عن طريق الماسونية وحصيلتها الثورة الفرنسية . (٢) الحركة الثانية في اتجاه الارثوذكسية وروسيا وذلك عن طريق الماركية وثمرتها الثورة الشيوعية . (٣) الحركة الثالثة في اتجاه الدولة العثمانية والعالم الإسلامي وذلك عن طريق الماسونية وثمرتها الصهيونية .

(١)

أوروبا المسيحية : من الماسونية الى الثورة الفرنسية

كان على اليهودية التلمودية أن تغير من أسلوبها الذي كان مصلر طردها من كل

مكان حلت فيه في أوروبا جزأً. وفقاً على ذلك الدور الذي كانت تقوم به : [المراهي]
الذي يسلب الثروات وتاجر الرقيق الأبيض الذي يفسد أخلاق المجتمعات . وكانت
الكنيسة قد فرضت على اليهود حياة في أحياء خاصة وزياً خاصاً وحرمت عليهم الاتصال
بالمجتمع المسيحي أو المصاهرة إليه ووقف منهم الملوك والحكام موقف الإزدراء والاحتقار
والقتل أحياناً عندما يعجزون عن تسديد قروضهم . وقد ارتبطت اليهودية التلمودية
بالربا والبغاء معاً وارتبطت صورة اليهودي بشخصية المراهي عبر التاريخ وهي الصورة
التي خلدها شكسبير في شخصية شيلوك في مسرحية تاجر البندقية أو يهودى البندقية .
ويرى كثير من علماء الاجتماع أن اشتغال اليهود بالزبا جزء من طبيعتهم الأثرية ونزوعهم
الابدى نحو امتصاص دم الأخرين وكان اليهود يعملون في التجارة فلما اشتغل بها المسيحيون
اعتزل اليهود التجارة وحولوا ممتلكاتهم إلى أموال سائلة وركزوا على العمل في مجال تحويل
العملة وإقراضها . وقد كان هذا العمل مصدر احتقار وامتهان شديدين لهم في المجتمع
الغربي المسيحي . وكان القانون الروماني ومن بعده القانون المسيحي قد اعتبر أن مسألة الإقراض والإقراض
مسائل شخصية بحتة ؛ ثم استطاع الربويون اليهود أن ينقلوا عملية الربا إلى صكوك يمكن أن
والاقتراض) مسائل تخرج من نطاق الدائن والمدين إلى ثالث نظير ربح ما . وقد كانت المسيحية تحرم
الربا على المسيحية ؛ أما اليهودية التلمودية فهي لا تحرمه إلا بين اليهود أنفسهم ؛ على كان
من عوامل عصر التنوير والضغط التلمودي اليهودي على قوانين الغرب أن سمحت الكنيسة
في القرن الخامس عشر بالربا . وكان اليهود يتقاضون فوائد باهظة تراوحت من ٣٣ر٥
إلى ٣٣ في المائة مقدرين تعرضهم لخسارة أموالهم وفقدان حياتهم . وقد كانوا عرضة
لاستيلاء الملوك والاباطرة على مقدراتهم . وكان بعض الملوك والامراء يعطون المراهي اليهودي
حق جمع الضرائب من الفلاحين مما زاد كره المجتمعات لهم . وكانت الجماهير تفسر
بؤسها بأنه نتيجة الاستغلال اليهودي ، ومن هنا كان اعتماد المراهيين على الملوك والامراء
لحمايتهم من غضب الجماهير وفتكها . ثم نشأت طبقة من أثرياء اليهود تخصصوا
في خدمة الملوك والاباطرة ، واتخاذهم حماية لهم في حركتهم في البلاد التي احتلتها هذه
الدول كما فعلوا في فرنسا وإنجلترا والبلاد التي احتلتها هاتين الدولتين . وعندما ضيق
على اليهود في قلب أوروبا انتقلت جماعات منهم إلى شرق أوروبا في دورة جديدة عبر

أراضى القياصرة الروس وبولندا . ثم كانت التجربة فى النهاية قد وجهت اليهودية التلمودية إلى اختيار طريق جديد : هو طريق إنشاء المحافل الماسونية واستقطاب المفكرين والمتقنين وكبار القوم فيها وتشكيلهم فكرياً جديداً قوامه الإلحاد والإباحية والخروج عن المسيحية والدين والخلق عامة . حتى إذا استطاعت هذه القوة أن تدمر المجتمع الاوربى وتمزقه حطمت معه كل القوانين والقيود التى حالت دون سيطرتهم على المجتمعات ومن ثم أمكنهم الخروج من عزلتهم إلى حيث النفوذ والسلطان الذى يضمن لليهودى : شرعية الربا وتحويله إلى نظام عالمى مع تبرير تجارة الرقيق الأبيض وفرضه على المجتمع البشرى كله . ومن ثم فقد كانت الماسونية التى صنعت الثورة الفرنسية هى المدرسة الفكرية التلمودية التى حولت مفاهيم المجتمع الغربى المسيحى إلى [أيولوجية التلمود] هذه المدرسة التى أنشأت ذلك الرعيل الاول الذى حارب المسيحية حرباً عناناً : فولتير وديدرو وروسو . كان الخروج عن المسيحية هو الهدف ، وهو المدخل إلى اليهودية ، التلمودية ، تحت اسم الفكر الحر ، وفى ظل ما أطلق عليه عصر التنوير بعد عصر النهضة . وقد حملت رياح التنوير من خلال المحافل الماسونية الدعوة إلى إشاعة الإباحة والرذيلة فى العالم ، وفتح باب الزنا والربا على مصراعيه مع فلسفة تبرر الزنا وتقول عنه أنه غير محظور إذا تسامح الرجل بإمرأته لغيره . ويشير المعجم الفلسفى لفولتير إلى مثل هذه السموم وكذلك موسوعة ديدرو وتقول هذه المصادر أن الزنا ليس محرماً وأنه شريعة الطبيعة وأنه لو بقى البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات بينهم . ولقد سجل التاريخ أن الملك لويس السادس رأى فى سجنه مؤلفات فولتير وروسو فقال : هذان الرجلان قوضا دعائم فرنسا ، والمعروف أن التراث الوثنى والإباحى البشرى كله الذى عرفته الفلسفات الفارسية والهندية والرومانية والإغريقية والبابلية قد صهره اليهود فى كيان واحد ومنهج واحد هو الماسونية التى أعلنت كذباً أن الأديان هى التى أوجدت الحروب والصراع والقتال . وأن الاسرة ليست من طبيعة المجتمع ، وأن عرى الجسم حرية له وصحة وسعادة وأن الوطن خيال باطل وكذب محض ، وأن الرايات الوطنية هى آية الاستبداد والظلم فيجب أن تلقى فى المزابل وأن الجندية والعسكرية نظامان فاسدان وأن على الابناء أن ينبذوا السلطة الوالدية . وأن معرفة الجميل ليست واجباً لازماً على البنين لوالديهم ، وليست السلطة الابوية بمر دائم أو لازم ، وأنه من الضرورى

تحرير المرأة ونزعها من قيود الدين والأسرة إلى المحافل والمزاقص والاجتماعات المختلطة .
ولقد كانوا يسألون أعضاء الماسونية عن موقف أحدهم إذا وجد في فراش زوجته رجلاً ،
فكان إذا أظهر الامتناع أو الاعتراض ردوه ولم يقبلوه . ويشير مؤلف كتاب الماسونية
وأسرارها : إلى أن الماسونية تعتبر كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها آلة
صماء بلا نفس عاقلة ، ويقول : إن غاية الماسونية القصوى أن تسوق البشر إلى فك كل قيد
يضبط شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبذوا كل دين ، فيعيشوا عيش الحيوانات غير
الناطقة ، وينقادوا إلى أوامر زعماء الماسونية إنقياداً أعمى . وهكذا كان مفهوم التنوير :
رفع سلطة الدين المتمثل في الكنيسة ووصاياها الاخلاقية وخلق روح التسامح بمفهوم الذلة
والمهانة . يقول كانت : حركة التنوير هي الإفراج عن الإنسان من الوصاية هي فرضها على
نفسه ، والوصاية هي عدم جرأة الإنسان في استعمال قواه الطبيعية بدون استئذان الغير
أما الوصاية الدينية فهي أرذل الوصايات وأشدّها ضرراً » . وقد سرت هذه النزعة الأباحية
الإلحادية في الفكر الاوربي وظهرت طائفة من أتباع الماسونية وهم تلاميذ اليهودية
التلمودية وأطلقوا على أنفسهم اسم العقلانيون المتحررون من نير الكنيسة وتعاليمها وهكذا
أخذ اليهود يدمرون المجتمع المسيحي المؤمن الاخلاقي . وكانت وصية موسى مندلسن (المفكر
اليهودي الاول) كخطة للعمل : الاتجاه إلى القومية دون النظر في أمر الدين ، وأن على
المواطن الاوربي أن يصرف النظر عن الدين وأن يتمتع بحرية الفكر وكان هذا
في الواقع هو منطلق اليهود لتدمير قيود الدين والكنيسة لينفتح أمامهم الطريق عن
عن طريق القوميات والوطنيات . وقد ذهبوا في ذلك من بعد مذهباً قضى على وحدة أوروبا
المسيحية وأقام بدلا منها القوميات المتصارعة التي حققت لهم سيطرة أكبر على مجالات
الثقافة والسياسة والاجتماع . ولا عجب في أن هذه الخطة كانت هدف الثورة الفرنسية التي
قررت جمعيتها الوطنية في ١٧-٩-١٧٧١ اعتبار اليهود المقيمين في فرنسا مواطنين لهم
كل حقوق المواطنين وعليهم جميع واجباتهم وقالت وثيقة حقوق الإنسان : « إن الإنسان
خلق حراً ومتساوياً مع الناس جميعاً في الحقوق ، وبذلك انكسرت قيود المسيحية والكنيسة
وتدافع اليهود إلى عضوية البرلمانات في هولندا وإيطاليا وبروسيا بعد فرنسا حتى قيل أنه
في عام ١٨٧٠ لم يبق في أوروبا كلها يهودي واحد غير محرر . (٢) يقول محرر المقتطف :
إن الماسونية بدعة يهودية لأغراض خاصة باليهودي فهي واسطة وغاية ابتدعت بدعاً فائق

وصبغت بصبغة سرية لكي تستهوى الناس لان الناس بطبيعة نفوسهم يبتغون أن يعرفوا الاسرار فدخل فيها الخاصة والعامة حتى الملوك والحكام ، ومنذ ظهرت الماسونية ما رأينا منها عملا عظيما بل رأينا جميع الثورات والحروب الاخيرة في القرن الحاضر قامت بدسائس ماسونية وكان أبطال هذه الدسائس ماسونيين منذ حرب السبعين الالمانية الفرنسية إلى الإنقلاب العثماني إلى الحرب الكبرى السابقة إلى ثورة الانقلاب الروسى ونشوء الشيوعية إلى المسألة الفلسطينية إلى الحرب العظمى الأخيرة ، كل ذلك بدسائس يهودية ماسونية الغرض منها إنشاء دولة صهيونية تنمو إلى أن تسيطر على جميع العالم وأخيراً ظهرت الصهيونية ممتطية الماسونية ، ولولا هذا الغرض لما كان لها وجود وكان مخترعوها مهرة شطاراً فجعلوها بشكل يعم كل العالم لكي يكون كل الناس خدامها وهم لا يدرون فأدخلوا فيها الحكام والساسة العظام وكل من كان ذا نفوذ : دخلوها بطلاء الحرية والاخاء والمساواة وهى كلمات تفر وتستهوى وأدعوا أن عرضها إنسانى بحث وبهذه الخدعة استهوا كبار الناس وطوهم فيها وما أدرك الناس أنها الخدمة الصهيونية إلا لما ظهر الكتاب السرى الذى يشتمل على البروتوكولات التى وضعها الثلاثمائة شيخ من شيوخ إسرائيل فى أواخر القرن الماضى وفيه يصرحون بالصهيونية وباستخدام الماسونية لها وعلى الرغم من إنكارهم لها وإدعائهم أن البروتوكولات مزيفة ومدسوسة عليهم فقد برح الخفاء وظهرت الحقيقة وهى أن الحركة الصهيونية قديمة جداً وغرضها تحيين الفرصة لإنشاء دولة فلسطين وقد أثبتوا أن الماسونية لهذا الغرض ونجحوا . ثم قرروا الفكرة الشيطانية وهى أن يستخدموا جميع الأمم والناس لغرضهم هذا من غير أن يدروا ، ولما نجحت الماسونية بعض النجاح أو كله جعلوها ثلاث فرق : (١) الماسونية الرمزية : مباحة ينتظم فيها الناس على اختلاف جنسياتهم وأديانهم . (٢) الماسونية الملوكية : وهى منفصلة عن تلك وفى الوقت نفسه مرتبطة بها ارتباطاً لا يفهمه إلا الراسخون بالعلم الماسونى وهذه ماسونية تصدر تعليمات أو أوامر تنفذها الماسونية الاولى من غير أن تدرى مصدر هذه الاوامر ومآلها . ، (٣) الماسونية الكونية : وهى أكثر سرية من الاخرى وهى تملى الإرادة العليا ولا يدخلها إلا نفر قليل وربما لم يعرف بها غير أعضائها وتستخدم الماسونيين الآخرين لنشر الفوضى فى العالم على قاعدة فرق تسد ليستطيع اليهود بواسطتها أن يعودوا إلى صهيون ، وفى نظام كاتم للأنفاس غاية فى الإدلال والقسوة يتشكل أتباع الماسونية بالإرهاب

والخوف ، على فلسفة غاية في الخروج عن كل قيم الأخلاق والدين . إن الفلسفة الماسونية كما وصفها دهاقين اليهودية التلمودية تركز على أساس نفس جميع المذنبات والحضارات — إزالة الأديان السامية لتحل محلها الفلسفة الحاكمة على البشر أو لتقيم على أنقاضها ملك إسرائيل . ولذلك فإن هدف الماسونية الاصيل هو تحطيم العقيدة الدينية بدعوى أنه لا فرق بين دين ودين ولا عقيدة وعقيدة . وبذلك تتحطم الدعائم الاعتقادية في نفس صاحبها ما دام قد اعتقد أنه لا فرق بين دين ودين آخر ، حتى ولو كان في نظره باطلا فليس هناك ما يسدعو إلى الاعتزاز بدينه أو التمسك به ثم تنشئ الماسونية في نفوس أتباعها عقيدة باطلة هي جماع المجوسية والبرهمية والزرادشتية وعبادة الحيوانات .

يقول جرجي زيدان : قد ثبت بالشواهد المتعددة ، أن أولئك الفلاسفة كقولتير وروسو وديدرو ودالميرت وفردريك الثاني ملك بروسه كانوا كلهم من أشياع الماسونية يعدون في محافلهم تلك الأسلحة القتالة التي حاربوا بها الدين من أكاذيب وتشنيعات ، وإذا راجعنا عبارات قادة الماسونية لوجدنا خطتهم واضحة صريحة : (١) كل شيء مادي . فالله والعالم ليسا إلا شيئاً واحداً وجميع الديانات هي خيالية غير ثابتة اخترعها ذوو المطامع . (٢) العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد ورفض كل عقيدة تقوم على أساس الوحي . (٣) السطو على فكرة الوحداية أو تشويهها بالتفسير كقول بـن الطبيعة هي الله . (٤) إنكار وجود الخالق وتأييد قدم العالم . (٥) تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح في أنسابهم . (٦) الدعوة إلى الإنسانية والعالمية وإلغاء القوميات والحياة العائلية والأديان . (٧) الدعوة إلى الحروب بين الأمم كمقدمة لإنهاكها وتدميرها . وهكذا نحن نجد في فلسفة الماسونية أصول جميع المذاهب المادية والإباحية التي تشكلت من بعد في أيديولوجيات ومذاهب ودعوات فقد حملت الماسونية لواء دعوات وحدة الوجود وأساطير الأولين والشيوصوفية والروحية الحديثة والبهائية . يقول أحد الباحثين : إن أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الماسونية طوال القرن الماضي هي المذاهب الحرة التي تعتبر من نتاج الفكر البشري ، كذلك فإن الأفكار التي تصدر عن الدين الحق فهي تتعرض للنقد اللاذع والعداء المر والأراجيف من قبل الماسون . إن الماركسية والاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسيها كارل وانجلز هما ماسوني الدرجة الحادية والثلاثين ومن منشي المحفل

الإنجليزى ، وفى إطار الماسونية مضت حركة التنوير وظهر فلاسفة التنوير الذين جعلوا دعوتهم الاعتماد على العقل ولم يقبلوا إلا سلطانه وهم دعاة الدين الوضعى ، وذلك بعد أن أزالوا مفهوم الدين الحقيقى من الغرب لفرض مفهومهم البديل . فهم قد ورثوا الحضارة الغربية وتسلموها ولم يكونوا قد شاركوا فيها أساساً ، إذ فرضوا أنفسهم على الفكر الغربى وسيطروا عليه سيطرة كاملة ثم أباحوه للادينية واللااخلاقية والإباحية وفق مناهج فلسفية ذات طابع علمى براق . كان هدف الماسونية من ذلك تحطيم أوروبا وعقيدتها لتجعلها مؤهلة للاحتواء داخل الفكر التلمودى الصهيونى لتحقيق هدفها فى السيطرة ، لقد استغلوا كل الفلسفات والآراء وحولوها إلى غايتهم . تحت اسم الفكر الحر والتبرير العقلى وكان فلاسفة الموسوعة هم مقدمة الثورة الفرنسية : ديدرو ، دالمير ، مونتسكيو ، روسو ، والقاموس . الفلسفى فولتير . وبرزت فكرة الدين الوضعى أى الدين القائم بالعقل بعقائده وطقوسه ومؤسسته . وكان التركيز على التحرر من سلطان المسيحية بالعمل على التحرر من سلطان الكنيسة ، وكان كل العاملين فى هذا المخطط الفلسفى من خدام اليهودية التلمودية التى تشكّلوا فكرياً فى محافل الماسونية ومنهم فولباخ الذى أنكر وجود الله وخلود الروح وحولوا نظرية دارون عن أصل الاجناس والتطور البيولوجى إلى نظرية اجتماعية عامة لهدم القيم الاساسية والدينية . وقد أشارت البروتوكولات إلى مهمة الماسونية فى تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بالفكر المسموم ، بالمذاهب الحرة التى تدعو إلى تحرير اليناى من توجيه الآباء ، والسيطرة على الشباب فى أولى مراحلهم . وقد كانت صيحتهم « دعوا الكهول وتفرغوا للشباب ، بل تفرغوا حتى للأطفال » وقولهم : « لا بد من تربية الاطفال بعيداً عن الدين » ، ولقد أشارت الابحاث إلى أن الماسونية تستعين بالفرق والاندية الرياضية والجمعيات الموسيقية لاستدامة نفوذها فى أوساط الشباب ، وأن هذه الجمعيات هى المرتع الخصيب للتأثير على الشباب عقلياً وجسمياً والهدف هو محاربة كل شئ اسمه الاخلاق .

(٢) الثورة الفرنسية

تقول دائرة المعارف الماسونية : « أنه منذ القرن السادس عشر والبناعون الأحرار فى مقدمة القائمين بحركات اجتماعية سلمية كانت أو عنيفة قلبت الأوضاع القديمة وأقامت الاليس للديمقراطية .

الحديثة وكانت الثورة الفرنسية في مقدمة الحركات الإصلاحية القومية العنيفة « وتضيف دائرة المعارف الماسونية إلى اعترافها قولها : « قال لامرتين : إن اعتقادي ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التي تأسست عليها الثورات الكبرى عام ١٧٨٩ وعام ١٨٣٠ وعام ١٧٤٨ وقال المؤرخ السياسي الاقتصادي لويس ريلان بأن الماسونية كانت معملاً للثورة وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعة الانسكلوبيديّة فقد مكنت الماسونية نحو نصف قرن تعدد محافلها أفكار الشعب الفرنسي للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة في الامر فالماسونية قد اتخذت لها شعاراً كلمات ثلاث : « حرية . أخاء . مساواة » اتخذتها قبل أن تتخذها « الثورة الفرنسية » شعاراً . ويشير الباحثون إلى أن الماسونية حققت أول نجاح لها في الثورة الفرنسية ففتحت لليهود مكان المساواة مع الاجناس الاخرى فقد أسست لاجل هدم الحكومة الدينية البابوية أولاً وبالذات ثم هدم كل حكومة دينية وإقامة حكومة لا دينية مقامها بحيث تكون الجمعية رابطة أدبية وصلة تعارف وتعاون بين أهلها المؤلفين من أهل الملل المختلفة دون أن يعرف الدين يزدهيمهم هذا الشعار الجميل أن الهدف هو سيطرة اليهود على جميع هذه الملل وإدارة الاعمال لهم وفق خطتهم وطريقهم وبذلك استطاع اليهود أن يهدموا عن طريق الماسونية الحكومات المسيحية الدينية في أوروبا وكذلك الحكومتين التركية والروسية . دخلت الماسونية إنجلترا عام ١٧١٧ وفرنسا ١٧٢١ أدخلها إليها الإنجليز فتغيرت أحوالها وقد اعترف اليهود بأن الثورة لفرنسية هي وليدة الماسونية ، وأعلنوا أنهم صانعوا الثورة الفرنسية ، ويقول لويس شيخو : ما كانت الثورة الفرنسية غير لهيب تلك النار الآكلة الى أخرجوها في أنحاء أوروبا حتى انتهت أقاصى البلاد ، وأبلغ قولهم : « ينبغي أن يشق آخر ملك بامعاء آخر قسيس » . ولقد كان واضحاً منذ اليوم الاول أن الهدف هو إعادة ملك سليمان والسيطرة على القدس ، يقول موسى هيمى جايم في كتابه [روما والقدس] الذي نشر عام ١٨٦٢ « إن ما علينا عمله اليوم لإعادة تأسيس وطن اليهود القومي أن نحفظ دائماً بالأمل الذي بدأ في الثورة الفرنسية في بعثنا السياسي وأن نوقظ الأمل كلما نام فإذا مكنتنا الحوادث التي تنأهب للوقوع في الشرق من البدء عملياً في إعادة إنشاء دولة يهودية فإن الخطوة الثانية ستكون إنشاء مستعمرات في أرض الاجداد . ولقد كانت الثورة التي بدأت في فرنسا منطلقاً لأوروبا كلها ، وقد سار الشعب الفرنسي في الطريق الذي رسمته له اليهودية التلمودية ، فقد يسر اليهود

للفرنسيين الانغماس في حياة الشرف والفجور ، وزينوا باريس لتكون مدينة النور والازياء والخمر ، والملاهي ، والدعارة ، والانحلال والإباحية والوجودية وهي التي كانت تسمى ابنة الكنيسة الكاثوليكية ، وفي أقل من نصف قرن حول اليهود فرنسا إلى ماخور كبير يؤمه جميع طالبي المتعة الحرام من مختلف بقاع الأرض . يقول ألبير سوبول في كتابه (تاريخ الثورة الفرنسية ودوافعها) : أحلت الثورة بمنطق الأحداث تدريجياً ، دولة علمانية منفصلة عن الكنيسة محل دولة الحق الإلهي ووحدة العرش والمذبح ، وفي ١٣ نيسان عام ١٧٩٠ رفضت الدولة المحافظة على الكاثوليكية كدين الدولة معتبرة أنها لم تستطيع ولن تستطيع أن يكون لها أية سلطة تمارسها على الضائير وعلى آراء الدينية ، وسرعان ما استطاعت قوى اليهودية التلمودية المتحكمة في مجريات الأحداث من إلغاء التعليم الذي كانت تشرف عليه الكنيسة وفتح الباب واسعاً أمام التعليم العلماني وتقدمت علمنة الدولة تقدماً حاسماً كما يقول المؤلف : بعد (١٠ اب ١٧٩٢) ثم أزال الت الجمعية التشريعية : الجمعيات الدينية المختصة بالتعليم والخدمة العامة معتبرة أن دولة حرة حقاً لا يمكن أن تتحمل أية جمعيات ذات صبغة اعتبارية ووضعت أملاك المستشفيات والمعاهد والجامعات برسم البيع . وصدر قرار بمنع لبس الثوب الديني باستثناء خدام العبادة أثناء ممارسة وظائفهم وفي أيلول ١٧٩٢ أعلنت الجمعية التشريعية : الأحوال الشخصية وأقرت الطلاق معتبرة أن الزواج ليس سوى عقد مدني وقد أدى فصل الكنيسة عن الدولة إلى مضاعفات الحرب الأهلية وإزالة المسيحية رغم التوكيد الرسمي على حرية العبادة فقد استمرت الكنائس مغلقة وقد أدى تخلف الممارسة الدينية إلى تقدم الإلحاد واستمرت الكنيسة والثورة عبدتين وغير متفقتين في الميدان . ولما جاء بونابرت فهم الدين وسيلة للخضوع الاجتماعي والكنيسة أداة للحكم ولذلك رفض أن ينص على أن الكاثوليكية في مرتبة دين الدولة ولو أنه اعترف بها دين أكثرية الفرنسيين فقد أخضع الكنيسة للدولة خضوعاً ضيقاً بواسطة القوانين العضوية وزال فصل عن الدولة مدة قرن ، ولكن الدولة استمرت علمانية وقد كان نتيجة لذلك كما يقول المؤلف أن تغير موقف الأكليروس : الذي كان يضم من ٢٠ إلى ٢٥ ألف راهب وحوالي ٤٠ ألف راهبة (٦٢٥ ديراً للبنات) ، عرفت انحطاطاً أخلاقياً عميقاً وفوضى هائلة ، فقد كان الأساقفة يشكون من سلوك هؤلاء الرهبان السافل الخليع . ثم لم يلبث أكثر الرهبان أن أصبحوا من المجازين للأفكار الجديدة يقرأون الفلسفة ، ويقول المؤلف : أن الأكليروس

العلماني نفسه وقع في أزمة حقيقية فالدعوة الدينية لم تعد تعتمد - كما في الماضي - على أساس الإيمان وحده فقد زعزعت الدعاية الفلسفية منذ زمن طويل ». وتقول السيدة فستا ويسترفي كتابها باللغة الانجليزية بعنوان (لويس السادس عشر وماري انطوانيت) إن المساعي الخفية التي قامت بها الجمعيات السرية وراء الستار كانت كالأسياب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عاملا خطيراً في نشوب الثورة الفرنسية . وإن الثورة الفرنسية ترجع إلى جهود الجمعيات الماسونية ومحافل البناء الجبر ، وإن هذه الهيئات السرية لعبت من وراء الستار دوراً عظيماً لإضرام نارها . وتشير أبحاث متعددة عن دور الماسونية في إيفاد نيران الثورة الفرنسية ، وتقول أنه حين قامت الثورة كان المحفل الماسوني الأكبر هو مركز تجمع قادة الثورة وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية في ذلك المحفل . كما تشير إلى أن أوروبا كلها تتأهب لتخطو خطواتها فقد كان حكام الدول الأوروبية وقادتها بما في ذلك روسيا وبولندا عندما قامت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ يتبادلون أنظمة التعليم العلماني وأفكار الإصلاح التي روج لها اليهود وقد قام اليهود بتمويل الثورة وأنها « حين اندلعت كان وجهها يهودياً تلمودياً إذ لم يعرف التاريخ كالغوغاء الذين نظموا أو تأمروا وثاروا ضد كل طبقة من الناس وكانت غاياتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك إلى النبلاء ورجال الدين وطمس القوانين وتغيير العملة وعلم البلاد والتقويم الرسمي » ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وخيرها بل قام بها أجنب يستترون وراء قوة غريبة ترمي إلى هدم كل شيء في فرنسا .. ولم يكن أولئك الأجنب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بخلق فراغ كبير بين الاسر الحاكمة وبين الشعب ثم بأثقال كاهل البلاد بالديون اليهودية ليظهر الملك الحاكم أمام شعبه مبذراً أنانياً ظالماً ، وسرعان ما شرع اليهود يزيفون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بصورة العمل التاريخي الذي خدم الإنسانية وأعطى وثيقة حقوق الإنسان . وهي فرية يهودية انطلت على هلايين البشر الذين انخدعوا بالتاريخ المزيف الذي كتبه اليهود وعملائهم نقول : وهو نفس ما فعلوا بالقيصرية الروسية وبالسultan عبد الحميد وهي الثورات التي نجح اليهود في تأجيجها والحصول على مكاسبها الضخمة التي غيرت وجه التاريخ المعاصر كله وما تزال الثورة الفرنسية حتى اليوم تخدع الكثيرين ويحتفل بها الفرنسيون وهم يتحركون في إطار الماسونية التلمودية الصهيونية . ويقول أحد المؤرخين : إن الثورة الفرنسية غدت في حقيقتها من أسباب شقاء العالم وإزلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التي

خططت للثورة ومولتها ونفذتها وجنبت أرباحها ، ويكفى أن نذكر الحقيقة المرة وهي أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية الماسونية عام ١٧٩٨ وقد تحولت تدريجياً إلى مزرعة يهودية بما لها وثقافتها وعلمها وسياساتها واقتصادها . كما غدت فرنسا بفضل التسامح المخل الذي فرضته الثورة بؤرة فساد توزع الرذيلة والقسوة والفجور على العالم بأسره ، كما تولى اليهود عملية تحويلها إلى مأخور للترفيه عن الأثرياء والأفاقين والمغامرين الذين يرحلون إلى فرنسا للاستمتاع بالفن اليهودي الفرنسي والمدنية اليهودية المدمرة وقد أضحى اليهود بعد الثورة : هم القوة الحقيقية التي ترهب الشعب الفرنسي تحت الستار المزيف وحين انتهت السلطة العليا في فرنسا إلى نابليون انتهز اليهود الفرصة وأخذوا في الاتصال به والإيحاء إليه عن طريق مستشاريه من اليهود وخاصة رجال الدين فيهم ، يقول ليني أبو عسل في كتابه الذي نشره عن طريق اليهود في مصر : « وقد أدرك نابليون بفرط ذكائه ما يمكن أن تنتجه أذهان اليهود وكان يعلم أن إنقاذهم وإعادة نشاطهم في ميدان السياسة ومناحي الثقافة وطن أجدادهم وفي جزء من الأقاليم المصرية لا يقتصر أمرهما على أن يكون حادثاً تاريخياً وإنسانياً فحسب ، بل يجب أن يكون من الوسائل الفعالة لتحقيق ما لنابليون من المقاصد الكبيرة والمرامي البعيدة في الشرق وقد تأهب نابليون لهذا الأمر بأن ضم إليه اليهود والذين كان يجب أن يفعلوا ما يطابق الحالة الجديدة التي سيشعر في اتخاذها ولكي يتمكن من احتلال فلسطين من أقصاها وإحاطة جيوشه بسياج من الأمن والطمأنينة » . وقد أصدر نابليون نداءه ووعوده لليهود باقطاعهم أرض مصر وفلسطين لكن أحداً منهم لم يستجيب له لأنه سرعان ما انسحب من عكا عائداً إلى بلاده . ولقد استفحل أمر اليهود بعد نجاحهم في الثورة الفرنسية مما شجعهم على التمدادى في خلق الفتن وتدريب المؤامرات وتحريك الثورات وتنفيذ الاغتيالات السياسية . ولقد كانوا دائماً في الحروب والثورات يقسمون أنفسهم على جانبي المعركة ومع طرفيها ليتمكنوا من ابتزاز أموال الطرفين المتحاربين . ففي حرب نابليون مع بريطانيا كان أغنياء اليهود يقدمون القروض للإنجليز والفرنسيين معاً . وفي معركة (واترلو) لعب روتشيلد لندن لعبة يهودية قذرة بأن دبر مع روتشيلد باريس طريقة سرية لنقل أخبار المعركة واستطاع روتشيلد لندن أن يعلم من أخيه في فرنسا رجحان كفة الإنجليز في المعركة فما كان منه إلا أن ذهب إلى (البورصة) متجهماً الوجه فظن الإنجليز أن المعركة خاسرة وأقبلوا على بيع الأسهم الأسهم فهبطت أسعارها في دقائق ليجد من عملاء روتشيلد يشترونها بأثمان زهيدة ثم تصل أنباء

المركة الرسمية إلى لندن بعد ساعات من شراء الأسهم من المساهمين وفي صباح اليوم التالي يكون خبر النصر قد انتشر في البلاد وتفتح البورصة أبوابها لتعود الأسهم إلى الارتفاع من جديد ليصبح روتشيلد لندن عشرة ملايين دولار في أقل من ٢٤ ساعة . ولقد عرف ضحايا تابليون في أيامه الأخيرة وقبل سقوطه مدى نجاح اليهود في خداعه والغدر به حتى قال عنهم : لقد عذمت على تحسين أحوال اليهود غير أنني لا أريد زيادة منهم في مملكتي . لقد عملت بالفعل كل ما يثبت إزدراءي لأحقّ شعب على وجه الأرض . ويقول عزيز ميرهم : إن الثورة الفرنسية مع صنع الماسونية وإذا عدت كبار رجال الثورة وجدتهم من الماسون أمثال : ميرابو - بريسو - كاميل ديمولان - دانتون - كوند رسيه بل أن محرري الولايات المتحدة من الماسون : لافيت ووشنطون والماسون هم الذين حرروا العالم من سلطان البابوية وفرقوا بين السلطة المدنية والسلطة الدينية وفي التاريخ الإيطالي ماسونيين شهيرين : ماتسيني وجاريلباري . هم أساس الوحدة الإيطالية وكذلك الأمر بالنسبة لتركيا فقد تالت دستورها بفضل عمل محافظها الماسونية . (٦) من خطط الماسونية الواضحة : قولها أن الأفعى اليهودية تتغلغل في قلوب الامم التي تقاومها بواسطة الماسونية وهي تتم تطويق الأرض حين تصل إلى فلسطين . ومن خططها قولها : أن تمجيد العنصر اليهودي يجب أن يكون أهم واجبات الماسوني . وقد أشار البروتوكول الرابع إلى الماسونية عندما قال : من ذا الذي يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ، هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن : المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم يعمل في غفلة كفنّاع لأغراضنا ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة (الماسونية) في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا لا تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً . وتقول الماسونية : علينا أن نسمح بالانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ونضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة وتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على الأخلاق والدين وإثارة الفتن والحروب . وتقول بربارة تورخمان في كتابها (التوراة والسيف) : أن المؤسسين الأصليين للوطن القوي اليهودي وبالتالي لإسرائيل في فلسطين هم الماسونيون وفي علاقة الماسونية باليهودية التلصودية . يقول قيندل في كتابه (اليهودية والماسونية) : اليهودية كقوة قاعدة ينبغي أن تتخضع الماسونية لها . ويقول دكتور إسحق وايزمان في كتابه إسرائيل وأمريكا : أن الماسونية مؤسسة يهودية . وتقول الصحيفة اليهودية (لافريتا إسرائيليب) العدد ٥ ص ٧٤ : « إن روح الحركة الماسونية هي الروح

اليهودية في أعمق معتقداتها الأساسية . أنها أفكارها ولغتها وتسير على نفس تنظيماتها وأن الآمال التي تنير طريق الماسونية وتسند حركتها هي نفس الآمال التي تساعد وتنير طريق إسرائيل وتوحيج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المصلى الرائع الذي ستكون أورشليم (القدس) رمزه وقلبه النابض . وقد سئل اليهودي راكشت : ما هي الماسونية فاجاب : الماسونيون الاحراز هم الذين يبنون المملكة اليهودية العالمية . وأشارت كتابات متعددة إلى أن عدداً كبيراً من حكام وزعماء العالم الحاليين يعتبرون من عظام الحركة الماسونية . وفي بحث ضاف للاب لويس شيجو عن الماسونية كتبه عام ١٩٠٩ : يقول لو أردنا تتبع كل الامور التي جرت في أوروبا عموماً وفي فرنسا خصوصاً منذ مائة وعشرين سنة ما وجدنا حادثاً واحداً من الحوادث السياسية إلا وكان للماسون فيه يد مشئومة وسهم فائز ، وأن الماسونية هيكل عظيم كهيكل رومه القديمة (البانثيون) يحفل بجميع الآلهة مرحباً بهم لانه يتألف من مجموعهم كلهم إلا إله واحد فيكون إله الماسون مجموع آلهة الصين والهند وهمج أفريقيا وبرابرة أرقبانية وقد أختار الماسون لله اسماً لا تجد له ذكراً في الاسماء الحسنى العديدة التي وردت في الكتب المنزلة «مهندس الكون» كانه تعالى لم يخلق الكائنات من العدم وإنما هو مهندساً فقط . ويورد ما كتبه أحد أعيان الماسونية عام ١٨٨٢ : الكونت دي كوجتس : لقد تأكدت وعرفت حق المعرفة أن المساة العظيمة التي ابتدأت عامين ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ (يقصد الثورة الفرنسية) مع قتل الملك (يريد لويس السادس عشر) والفظائع التي رافقته إنما كانت نتيجة أعمال المحافل الماسونية وعاصرت سيول الدماء بعد ذلك في كل أنحاء فرنسا حتى صارت أرضها أشبه بمستنقع دم وقد صرح رئيس الماسونية الالمانية في خطاب تلاه عام ١٧٩٤ قال : هنيئاً لفرنسا لسبقها بقية الامم عن طريق الثورات وقال إن جماعتنا الماسونية قد أضرمت في الشعوب الأوروبية نار الفتنة فهيئات أن تخبوا لظاها قبل أجيال متعددة وقال الاب لويس شيخو : أن هدف الماسونية هو شل عرش الدين وتقويض أساسه ونفي معتقداته ومعاده أربابه وتبديد شمل نظامه الالهي وأن كل ما كتبه الفلاسفة « وركايم وغيره يوجد في تعاليم الماسون وقد قال دلامار : أن الماسونية بنشرها أسباب الفساد والخلاعة قد أضرت بفرنسا أكثر من حرب السبعين . وأشار عبدالله النل إلى أن جمعية بناي برث (أبناء العهد) كانت مع الماسونية العالمية وراء الثورة الفرنسية في الاجتماع الذي عقد عام ١٧٨٩ لوضع الدستور الجديد كان هناك ثلاثمائة عضو ماسوني أغلبهم من جمعية بناي برث اليهودية وفي اجتماع اليهود بمؤتمر

نال عام ١٨٩٧ صرح رئيس الوفد الأميرى لبنائى بيرث بقوله أن الهدف هو : يقول تخريب المدنية المسيحية والإسراع فى نشر الفوضى . وقد كان لهذه الجمعية أصبعاً فى إشعال الحرب العالمية الأولى بتعاونها مع الماسونية والصهيونية ورجال المال من آل روتشيلد وكذلك فى إشعال الحرب العالمية الثانية . وقال وزير خارجية بريطانيا (دالاس) عام ١٩٥٦ : إن مدينة الغرب قامت فى أساسها على العقيدة اليهودية فى الطبيعة الروحية للإنسان ولذا يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدينة التى معقلها إسرائيل ، والمعروف أن البروتستانت يؤمنون بخرافات التوراة (العهد القديم) ويجعلونها أساساً لسياسة بلادهم نحو فلسطين .

(٣) الماسونية والمسيحية

استهدفت المخططات التلمودية اليهودية محاصرة المسيحية واحتوائها والسيطرة عليها كخطوة أولى فى سبيل تحقيق هدفها فى السيطرة على البشرية وقد كانت خطتها التى حملتها « الماسونية » ونفذتها هى : - الانتقام من الكنيسة الكاثوليكية التى فرضت عليها قوانينها وحبستها فى الجيتو ، وحرضت على اليهود من كل البلاد الغربية والتنديد بهم من خلال الخلاف القديم الذى بدأ بعد بعثه عيسى عليه السلام وهو خلاف عميق الجذور ، وكان للقديس بولس اليهودى الاصل دوره فى خطة احتواء المسيحية وإخراجها عن رسالتها الحقبة التى جاءت بها وتبديل الناموس وإدخال مفاهيم : الصلب والخطيئة والتثليث إليها وقد كان اليهود ينتظرون المسيح المخلص الذى يخلصهم من العبودية بعد تشتتهم ويعيد إليهم ملكهم الدنيوى ، فلما ظهر يسوع أو عيسى فى صورة قديس وحاول تخليصهم روحياً وخلقياً من شرورهم ولم يظهر فى صورة ملك يعيد إليهم سلطانهم الدنيوى أنكروه واضطهدوه وحتى الآن وهم ينتظرون المسيح المخلص فى صورة ملك من نسل داود يخلصهم من الاستعباد والتشتت ولذلك فإن محاولة تدوين التلمود جاءت بعد الخطة الرومانية لإبادتهم عام ٨٠ ميلادية وبعد ظهور المسيحية نفسها وهى إصرار على خطة تفسير العهد القديم الذى يحقق مطامع الشعب المختار فى السيطرة على العالم . ولقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تعرف هدف الماسونية ولذلك فإنها كانت تنبذ كل فرد مسيحى يثبت لديها اشتراكه فى عضوية المحافل الماسونية فيسقط عنه الإيمان المسيحى وذلك على أساس أن الماسونية عقيدة صهيونية يهودية الغرض

منها محاربة الأديان وتطويع المعتقدات الأخرى للسيطرة اليهودية كما أشار الباحثون المسيحيون. والمؤرخون إلى هدف الظاهرة الخطرة في محاولة اليهود للسيطرة على العقليّة المسيحية وأطلقوا عليها ظاهرة تهويد المسيحية خاصة فيما يتعلق بطبيعة القضية الفلسطينية من الناحية الدينية. وما تزال اليهودية منذ ظهور المسيحية وهى فى حرب معها ، وقد وجهت الماسونية هدفها لخدمة التلمودية وحرب المسيحية وكان الفلاسفة الأحرار جميعاً كما أطلق عليهم محاربون للكنيسة. على امتداد التاريخ الأوربي كله ومنذ إنشاء المحفل الماسونى فى بريطانيا عام ١٧١٧ والماسونية تحارب التعليم الدينى وتسهم فى تأسيس مدارس علمانية بهدف القضاء على نفوذ الكنيسة ، وقد صدرت أول نشرة بابوية ضد الماسونية عام ١٧٣٨ وفى عام ١٨٥٦ بعد أن أصبح الماسون فى مركز القوة وتولى كثير منهم الوزارات والمناصب العليا أصدروا نشرة صريحة أعلنوا فيها موقفهم من الأديان ومما جاء فيها . « نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا ولن نرتاح إلا بعد إقفال جميع المعابد وإذا سمعنا لمسيحى أو مسلم به الدخول فى أحد هياكلنا فإنما ذلك قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أضراليه ». وقد فهم رجال المسيحية الماسونية على حقيقتها ، وظلوا طيلة القرنين الماضيين فى حرب لها وكشف لأساليبها باعتبارها خطراً على الأديان كلها وعلى المسيحية بالذات ولكن المسيحية فى العصر الحاضر لم تلبث أن غيرت موقفها ولقد كشفت بروتوكولات صهيون عن هدف الماسونية كمؤسسة لليهودية التلمودية ، هذا الهدف الذى يرمى إلى تحطيم الديانة المسيحية تحطيماً كاملاً ، والقضاء على الحضارة المسيحية الأوروبية وتقول البروتوكولات : لقد خدعنا الجيل الناشئ وجعلناه فاسداً متعفنأ بما علمناه من مبادئ ونظريات يجب أن نحطم كل عنان الإيمان . وتكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمارة ملحدين . يجب أن نكتسح كل الأديان والعقائد الأخرى وإن كان هذا يؤدى إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الخالق . واليوم تسود « حرية العقيدة » فى كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً . ولقد كشفت كتابات رجال الماسونية فولتير ورسو ورينان عن رأيهم فى السيد المسيح وعباراتهم عنه قاسية ولثيمة . ويتحدث أميل الخورى حرب عن « مؤامرة اليهود على المسيحية » داعياً إلى التمييز بين الموسوية واليهودية . وأشار إلى أن معركة ضارية قامت بين اليهودية حيث وجهت اليهودية والمسيحية غنايتها إلى القدح والذم وتلطيخ المسيحية بأقبح الصور وأنها أخذت تحارب المسيحية بالمذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تخدم الروح

المسيحية والمبادئ القومية وتقويض أركان الدول المسيحية فتحقق اليهودية غرضها بصورة غير مباشرة دون أن تصطدم بها وجهاً لوجه وقد نجحت اليهودية بهذه الخطة إلى حد بعيد . وقال : أن هناك مئات من المجلدات كتبها اليهود تطعن بالمسيح والمسيحية والقديسين والكنيسة والأسرار . وقال أن معالم هذه السياسة أخذت تظهر في أواخر القرن ١٨ مع انتشار الروح الثورية في فرنسا وبعد أن انتقلت الجمعيات السرية الخاضعة لنفوذهم من العمل وراء الستار إلى العمل في وضوح النهار وإن جوجنود وموسو تحدثوا عن تهويد الشعوب المسيحية ومنها كتاب « المسألة الماسونية والمؤامرة اليهودية على العالم المسيحي » الذي كتبه : كوبان الباناسلي (باريس ١٠٩٩) وكذلك كتاب (الكنيسة الرومانية أمام الثورة) الذي كتبه كربتتولى عام ١٨٦٣ . ويقول إلس : إن الكتاب الذين يجرى في عروقهم دم يهودى كانوا في طليعة الداعين إلى المذاهب المنافية للدين والآداب . وفي الثورة الفرنسية لعب اليهود دوراً بارزاً بالنظر لقلّة عددهم وكانوا ممن نظموا نهب الكنائس وقد عمل اليهود إبتداءً من الثورة الفرنسية حتى نهاية القرن التاسع عشر (خلال مائة سنة) على نشر المبادئ الهدامة وإشعال الثورات . ويقول إميل خورى : أنه يجب الكشف عن الفارق البعيد بين الموسوية وبين اليهودية التي تقوم معتقداتها على غير الدين المنزل على موسى عليه السلام والتي تقوم على أن اليهود هم شعب الله المختار وإن الله أعطاهم أرض الميعاد ووعدهم بملكوته العالم ، وإن قاعدة هذا الملك هي أرض الميعاد ولن تتم النبؤات إلا بعد أن يستتب الأمر لليهود على الأرض واليهودية بهذا المفهوم في نظر المسيحيين ديانة فاسدة مقطوعة الصلة بعهد الرب وقال . إن بنى إسرائيل تمردوا على إرادة الرب وخالفوا وصاياه . وإن شعب الله المختار لا يكتفى بإقامة ملكه على أرض الميعاد بل ينبغي السيطرة المطلقة على العالم أجمع وقد شتتهم بين سائر الشعوب لكي يكفروا عن ذنوبهم ويعودون إلى أرض الميعاد بعد ذلك ولكن اليهود حرفوا هذا المعنى في تعاليم التلمود التي وضعوها والتي لخصوا مطامعهم في - الأرض كل الأرض ميراث لبنى إسرائيل . - إن كل شريعة غير شريعة بنى إسرائيل فاسدة . - إن كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم فهي مغتصبة . - إن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . هذه من وجهة نظر المسيحية في اليهودية التلمودية أما اليهودية فهي تنظر إلى المسيحية نظرة أشد عنفاً تتمثل في وصف كارل ماركس للمسيحية حين قال : (إنها ديانة الكلاب الدليّة الضائعة) وقول شارسكى : نحن نكره المسيحية والمسيحيين وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعهده شر أعدائنا .

إنهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة وهذا يخالف مبادئنا والحب المسيحي عقبة في سبيل تقدم الثورة . (٤) ولكن إذا كان هذا رأى المسيحية الكاثوليكية والارثوذكسية لليهودية التلمودية ، فإن البروتستانتية تختلف عن ذلك وتؤمن بالاسطورة اليهودية في الشعب المختار . وقد استطاع اليهود احتوائهم وتوجيههم إلى هذا عن طريق نشر (الكتاب المقدس) جامعاً للعهد القديم والعهد الجديد وما يتصل بتدريس هذه المعاني في مختلف معاهد البلاد التي تدين بالبروتستانتية وقد استطاع اليهود بتفسيراتهم المضللة التي قدموها إلى الغرب المسيحي تحويل هذه الاسطورة إلى حقيقة « ومع أن المسيحية كانت منذ بدايتها دحضاً صريحاً لكل آمال اليهود » قائلة : (هوذا بيتكم يترك لكم خراباً) فإننا نجد أن المسيحية قد تحولت منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أكبر مساند عنيد لتحقيق آمال اليهود ومطامعهم ، خضع البروتستانت أولاً ثم ها نحن نرى أن الكاثوليكية قد خضعت في السنوات الأخيرة حين أعلنت تبرئة اليهود من دم المسيح وسمحت للمسيحيين بالانضمام إلى محافل الماسونية . وقد كان مبشرو المسيحية يعارضون التفسير اليهودي للعودة إلى فلسطين ، ويكشفون عن أن العهد الجديد (أى الإنجيل) لا يؤيد ما جاء في التوراة (العهد القديم) وأن هذا الذي يدعيه اليهود مخالف لروح الإنجيل وناشئ عن سوء التصرف في تفسير مقاصد الله (جيمس ألن) في كتابه (الأدلة السنية في تفسير الاسفار الالهية) وكانت هذه وجهة نظر الكنيسة المسيحية والبرتستانتية في الولايات المتحدة « هذا التفسير المسيحي الاصل المعاكس للاهواء اليهودية الصهيونية بالكفر كان هو الخطر السائد في القرن الماضي عند كل الفئات المسيحية ما عدا فئة ضئيلة كانت مأخوذة بتفسير اليهود أنفسهم للتوراة وكان اليهود قد أخذوا منذ القرن السادس عشر على حمل المسيحيين على تبني تفاسيرهم لتلك النبوءات والاعتراف بحقهم في الرجوع إلى أرض الميعاد . ثم جاء القسم هيكلم الجرمانى عام ١٨٨٢ وكان صديقاً لهرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ووضع كتاباً سماه (إرجاع اليهود إلى فلسطين حسب أقوال الانبياء) وكان بعض اليهود في روسيا وبولونيا أسسوا (جماعة أجباء صهيون) وجمعوا أكبر عدد ممكن من اليهود حول فكرة « الرجوع إلى فلسطين » للتخلص من مذابح روسيا وبولونيا في القرن التاسع عشر وبعد تأسيس الحركة الصهيونية وعقد مؤتمرها عام ١٨٩٧ أخذ تيار التفاسير اليهودية لهذه النبوءات يتسرب بكثرة إلى عقول المسيحيين وبدأ الدهاء اليهودي والصهيوني يتملق المسيحية ويدس لها السم في الدسم فاتجه أكثر المسيحيين إلى الاخذ بالتفاسير

اليهودية وكانها هي التفاسير المسيحية الاصلية وكان إرجاع اليهود إلى أرض فلسطين أمر محتوم من الله وكانه هو ما وجدت المسيحية من أجله . فلما أخذت الصهيونية في ضوء هذا تطالب بارض فلسطين لارجاع اليهود إليها استجاب لها المجتمع المسيحي في الغرب وهكذا استطاع عشرون مليون يهودي أن يحصلوا على تاييد ألف مليون مسيحي ماخوذين بالتفاسير الاسطورية التي ضللتهم بها الصهيونية خلال ثمانين عاماً إلى درجة أن هذه الاساطير تحولت إلى حقائق تبيح القتل والتشريد لابناء فلسطين . وهذا هو جانب من خطة احتواء المسيحية أو تهويد المسيحية وقد خطت الفاتيكان خطوة واسعة في سبيل الاستجابة لليهودية التلمودية عندما أعلنت أنها لا ترى مانعاً للكنائس الأوروبية من أن ينتسب أعضائها للمحافل الماسونية . وقد أصدر الاساقفة الكاثوليك في روما بياناً واضحاً بالسماح للكاثوليك وبالإلتزام لهذه الديانة اليهودية ولا ريب أن هذه الإتجاه يؤكد الإنحراف الذي تتجه إليه الكنيسة المعاصرة ويجيء دليلاً قاطعاً على مدى سيطرة النفوذ الصهيوني داخل الكنيسة والذي أخذ يهدد العقلية المسيحية ويحتويها . وقد كانت الكنيسة تفهم أن الماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على الاديان : وقد ظلت الكنيسة تقاوم الماسونية خلال القرنين الماضيين في حرب متصلة لاتتوقف وتعمل الفاتيكان الآن في سعي حثيث لتبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح أو صلبه (ذلك أن المسيح لم يصلب ولم يقتل ولكن رفعه الله إليه) وقد أعلنت الكنيسة الفرنسية تأييدها لآمال اليهود ، من قبل ذلك خضعت المسيحية لليهودية التلمودية وهكذا تكون اليهودية التلمودية قد نجحت في استيعاب الفكر الغربي المسيحي واحتوائه لتصدر عن اقناع بان اليهود هم الشعب المختار .

(٢) روسيا الأرثوذكسية والثورة الشيوعية

انطلقت اليهودية التلمودية إلى العالم في ثلاث محاور : أوروبا الغربية المسيحية للانتقام من الكنيسة الكاثوليكية التي حرمتها السيطرة طويلاً على المجتمع الأوروبي وجزءاً عمليات التنكيل الواسعة التي حاضرتها وأبادتها واضطرتها إلى الهجرة : هذه الهجرة التي كانت إلى الاندلس في حماية المسلمين حتى خرجوا منها إلى شمال أوروبا وإلى تركيا ثم كانت لليهود مع القيصرية الروسية وروسيا الأرثوذكسية موقف آخر وقضية كبرى . ثم كان موقفها مع العالم الإسلامي ودولة الخلافة العثمانية وإقامة دولة إسرائيل في فلسطين . في الأولى كانت

الثورة الفرنسية وفي الثانية كانت الثورة الشيوعية وفي الثالثة كان تدمير الدولة العثمانية والسيطرة على فلسطين ، هذا الدور الذي ما زال قائماً ومستعمراً مع العرب والمسلمين أما في محور روسيا بولندا فإن الامر قديم منذ كانت دولة الخزر اليهودية (٨٦٥-١٠١٦ م) . يقول الأستاذ محمد عبدالله النجار : جاءت القبائل الخزرية من الشرق مروراً في المضيق القائم بين جبال الإورال والبحر واستقرت بين نهري الدون وال فولجا وامتدت حتى نهر الدينبر في الشمال من جبال القفقاس واستولت على القريم فانشأت مملكة واسعة عظيمة السطوة والبطش يحكمها خان أو خاقان وأخذت تتسع بالغزوات فشملت أوكرانيا واستولت على البلدان المجاورة حتى البحر الاسود حيث تقوم الان جمهوريات تركمان وأريكستان أذربيجان وجورجيا وأرمينيا وأوكرانيا وما جاورها من أقاليم . وكان يقوم بين هذه المملكة وبين مملكة الروم البيزنطية نزاع متواصل بينا يشتد عليها الروس من الشمال والغرب ، وقد تحول هذا الشعب من الوثنية إلى اليهودية في أبان صراعة مع جيرانه المسلمين والمسيحيين ومنذ القرن العاشر اشتد الروس في الشمال والبيزنطيون من الجنوب في مهاجمة هؤلاء الخزر اليهود حتى انهارت دولتهم في القرن الثاني عشر حوالى عام ١٠١٦ م وقد أقام الروس بعد سيطرتهم على الخزر مستعمرات لهم في مختلف جوانب تلك البلاد بعد أن كانوا قد انتزعوا من الخزر مدينة (كييف) التجارية الكبرى فتفرق ملايين اليهود من الخزر (أو خزاريا) كما كانوا يسمونها ، وقد تشتتوا جماعات في أرجاء روسيا وما جاورها من الاقاليم الغربية (بولندا - أوكرانيا - لتوانيا) وغيرها ، وزاد انتشارها غرباً على أثر غزوات جنكيزخان بين سنتي ١١٦٢-١٢٢٧ وقد وصف بطرس الاكبر قيصر روسيا اليهود بانهم : أشرار غشاشون وقد هاجر كثير من هؤلاء الخزر إلى ألمانيا واختلطوا فيها بالنذر القليل من بنى إسرائيل الذين جاءوها من الجنوب . وقد أثبت المؤرخ اسحق لنفنسن أن يهود روسيا هم سلالة الخزر لا كما كان الناس يظنون خطأً انهم جاءوا إليها من ألمانيا بل العكس هو الواقع وقد عطف القيصر نقولا الاول عليهم تمهيداً لإزالة العزلة وفتح لهم مئآت المدارس الخاصة فقاوم متعصبو اليهود بزعامة موسى هس هذه الدعوة وخوفاً من أن تقرب هذه المدارس بين اليهود والكنيسة واتخذوا أسلوب الاغتيال الملهينسى لإيقاف هذه الاذابة فاغتالوا القيصر المسالم المحرر اسكندر الثانى مما اثار عليهم النقمة وأدى إلى هجرة جماعات يهودية إلى غرب أوروبا وأمريكا وكان عدد هؤلاء « يهود الخزر » في روسيا سنة ١٩١٣ حوالى سبعة ملايين (الموسوعة اليهودية) فإذا

أضفنا إلى هذا الرقم عدد اليهود الذين كانوا قد رحلوا منها قبل ذلك إلى غرب أوروبا وأمريكا عرفنا أن مجموع اليهود اليوم يبلغ حوالى خمسة عشر مليوناً حسب إحصاءاتهم أدر كنا أن معظم يهود العالم هم من سلالة الخزر لا من بنى إسرائيل وقد جاء فى كتاب (الستار بخول أمريكا) : أن دم ابراهيم واسحق ويعقوب لا يجرى فى عروق الكثرة التى أتت من شرق أوروبا . ذلك الدم قد يكون أكثر فى عرب فلسطين الذين شردهم هؤلاء اليهود الخزيون . وقد ولدت الصهيونية فى روسيا عام ١٨٨١ على أثر اغتيال القيصر اسكندر الثانى وفرار كثيرين من اليهود من غضب الروس حاملين على هادى دولتهم الخزرية حقداً شبيهاً بحقد الفرس على العرب الذين قضوا على دولة الالكاسرة ، ولكن الفرس تعايشوا مع العرب وأسهموا فى بناء الدولة العباسية ، وفى ٦ نوفمبر عام ١٨٨٤ لأول مرة فى تاريخ الصهيونية اجتمع ممثلو اليهود من بلدان عديدة فى كانتوتش حيث دبر الخزر مكيدة ضد القومية الروسية تولاهما فيما بعد « تروتسكى » واسمه الاصلى (دافيد برونشتاين) وتضافر معه اليهود فى نشر الشيوعية لا إيماناً بهم فإنها لم تؤثر فى وميتهم الصهيونية بل لإضعاف القومية الروسية (انتقاماً من المسيحيين فيها بإفسادهم دينياً وقومياً) ثم سيطر اليهود على البلدان الشيوعية جميعها فى أوائل عهد الثورة الشيوعية (رومانيا - المجر - بولندا - أوكرانيا) وفى روسيا كانت جماعتهم ٥٥٦ منهم ٤٥٧ يهودياً : ولا ريب أن قضية الخزر خليفة ضخمة للثورة الشيوعية فى روسيا التى قام بها اليهود ومن أجل هذا ألغى اليهود ذكر (مادة الخزر) فى دوائر المعارف الغربية . ويقول هـ . ج ولز فى كتابه (خلاصة التاريخ) : إن كلمة خزرى تساوى كلمة يهودى فى كل كتب التاريخ والموسوعات اليهودية ويستعملان مترادفين وقال إن اليهود شيدوا إمبراطورية فى جنوب روسيا فى القرن التاسع للميلاد وفى القرن العاشر تحطمت إمبراطوريتهم واستوطن عدد كبير من هؤلاء الخزر اليهود فى البلاد التى أصبحت من بعد بولونيا وتوجه آخرون إلى غربى أوروبا وآسيا حيث امتزجوا بالتكتل اليهودى ثم قسمت روسيا عام ١٧٩٣ بين بروسيا وروسيا وهكذا ورثت روسيا قضية يهودية تم نموها ، وقد حافظوا على حبهم الخاص (كاهال) داخل إطار المجتمع المسيحى العام وانتشرت الاحياء اليهودية فى سلسلة من شبه جزيرة القرم إلى بحر البلطيق على تخوم من الارض تعادل نصف مساحة أوروبا الغربية وبلغ عدد الذين أقاموا فيها عام ١٩١٧ (سبعة ملايين يهودى) يضمون زهاء نصف سكان العالم باليهود وفى هذه المستعمرة ازدهرت الفلسفتان التوأمان : الشيوعية والصهيونية ، وكلتا الحركتين

نمتا من الكره اليهودى للحضارة المسيحية مضطهدة الشعب المختار وكلتاها انتشر حيث هاجر اليهود وكانت الاحياء اليهودية هى المستودع الذى تدفقت منه قوى الشيوعية العالمية . وقد دخلت الصهيونية روسيا عام ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية وكان لابد لكل يهودى أن يلتحق باحدى هاتين الحركتين لقد كانت « الماسونية » هى الإطار الواسع الذى ضم الثورات الثلاث على الكنيسة الكاثوليكية بالثورة الفرنسية وعلى القيصرية الروسية بالثورة البلشفية وعلى الدولة العثمانية بالانقلاب التركى ، وقد جاء فى كتاب المؤامرة اليهودية إشارة إلى الدور الذى قامت به « الماسونية » فى تدمير الامبراطورية القيصرية الروسية : حيث قال المؤلف : « إن زعماء اليهود قد عقدوا مؤتمراً قرر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين « خراب روسيا القيصرية بإنفاق مليار وتضحية مليون يهودى لإثارة الثورة فى روسيا ، هؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم : (اسحق مونيمر ، شيشو ، لىنى ، رون ، شيف) ومن أجل ذلك فإن الثورة البلشفية كان يطلق عليها فى أول الامر « الثورة اليهودية » وكان يطلق على بروتوكولات صهيون « الإنجيل البلشفى » وقد عزى إلى اليهودية التلمودية كثيراً من الانتقاضات الاجتماعية التى اجتاحت البلاد الأوروبية ، كذلك فقد برر الامان هزيمتهم بانها طعنة نجلاء قام بها اليهود والمشترون فى المؤامرة اليهودية العالمية . والمعروف أن الهجرة إلى فلسطين ارتبطت بالاضطهاد الدينى الذى واجهه اليهود بعد تدبيرهم مؤامرة قتل القيصر الذى حاول أن يصهرهم فى المجتمع الروسى وأن هذه الهجرة امتدت من عام ١٨٨٢ (تاريخ مقتل القيصر) إلى ١٩٤٠ فى موجات متتالية من روسيا ورومانيا وبولندا والنمسا وقد أرجع المؤرخون هذه الهجرة إلى قوانين مايو عام ١٨٨١ التى حرمت على اليهود الانتقال خارج منطقة الاستيطان اليهودية فى روسيا ، وهى نقطة التحول الخطيرة التى دفعت اليهود إلى قتل القيصر ، والتى بدأ معها التكتيف الخطير فى فلسطين الذى واجهه السلطان عبد الحميد بالحد منه حتى عام عزله عام ١٩٠٨ حيث سمح الاتحاديون حكام الدولة العثمانية بعد ذلك باطلاق الهجرة حتى أمكن أن يتجمع فى فلسطين عشية الحرب العالمية الأولى حوالى ٩٠ ألفاً ثم توالى الموجات بعد ذلك وكان أغلب المهاجرين إلى فلسطين من الخزر الروسى الذين قادوا النظام فى إسرائيل من بعد والذين كانوا نواة التآمر على الدولة الروسية وإسقاطها من قبل وهكذا نجد أن خطة اليهود كانت دوماً السيطرة على المجتمعات التى يعيشون منها مع الاحتفاظ لانفسهم بالاستقلال الذاتى ضد احتوائهم أو أذابتهم فى هذه المجتمعات ولم يكن عملهم فى

هذه المجتمعات سوى القيام بدور التاجر والمرابي والوسيط والخمار وبائع الرقيق الابيض .
وقد تكررت التجربة في مجتمع غرب أوروبا وفي مجتمع الامبراطورية القيصرية الروسية
وبولندا وفي مجتمع ألمانيا وفي كل مجتمع من هذه المجتمعات جرت المحاولات لاذابتهم في
السكان وتعليمهم واحتوائهم ، وكان رد الفعل هو الهجرة مع العمل على تدمير هذا
المجتمع فقد هاجروا في القرن الثاني عشر إلى أوروبا الغربية ثم هاجروا منها إلى روسيا وبولندا
ثم هاجروا منها إلى ألمانيا ثم هاجروا إلى فلسطين وأمريكا وأضرموا الانتقام لغرب أوروبا
بالثورة الفرنسية ولروسيا بالثورة البلشفية وللدولة الألمانية بالحرب العالمية وكانت النتيجة هي
السيطرة التامة الآن في غرب أوروبا وألمانيا من خلال النظام التلمودي وفي روسيا من خلال الشيوعية .
(٢) يقول فرنك ل . بريثون في كتابه الصهيونية والشيوعية : تختلف الصهيونية عن
الشيوعية ظاهراً في ثلاثة أمور : أولهما : التسمية ففي الصهيونية تخصص وفي الشيوعية تعميم
يختار المرء بينا بحسب مزاجه والثاني : مركز النشاط ، فمركز نشاط الصهيونية ما أصطلح
على تسميته بالغرب وتنزعه أمريكا (واشنطن) ومركز نشاط الشيوعية « الشرق » وتنزعه
روسيا (موسكو) . الثالث : الأسلوب في العمل ، فالصهيونية تتاجر بالمال تدعمه الدعاية
عند اللزوم . والشيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال لدى الاقتضاء . وأما الحقيقة الراهنة فهي
أن الصهيونية والشيوعية صنوان مبعثهما واحد وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد ، والفئة
التي تقوم عليهما من وراء الستار واحدة وما اختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه
النجاح في السعي إلى الغاية الواحدة حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معاً
للسيطرة على العالم . ويؤيد هذا الرأي كتاب ومفكرون وباحثون من الغرب منهم : هنري
فوردد والمليونير الأمريكي المشهور صاحب كتاب (اليهودي العالمي) الذي صدر عام ١٩٢١
وكان من أسبق من كشفوا للأمريكيين وللعالم أن الشيوعية من صنع الصهيونية . قال مؤلف
اليهودي العالمي : أن البلشفية الروسية والشيوعية تظهران وجود العنصر الغالب فيهما . وقد
انبعثت البلشفية الروسية من الجانب الشرق من نيويورك حيث تقوت بالتشجيع الديني
والاخلاق والمالي من القادة اليهود . فلقد كان تروتسكي (بردتشتاين) يهودياً من الجانب
الشرقي من نيويورك ، وقد تركزت القوى التي دعمت كل ما يمثله في مجلس الطائفة اليهودية
(الكهילה) وفي اللجنة اليهودية الأمريكية وقد اهتمت الهيئتان بالعمل الذي يندب نفسه
بالقيام به وهو قلب حكومة مستقرة الاوضاع كانت إحدى حليفتا الولايات المتحدة في

الحرب الكونية الاولى وقد ساند الذهب اليهودى فى أمريكا البلشفية الروسية فى تحقيق أهدافها . ولقد كان من الضرورى لكى نصل حلقات التاريخ بين إسقاط الروس لدولة الخزر ، وبين إسقاط اليهود للقيصرية الروسية أن نتوقف عند ظهور الماركسية فى أوربا عام ١٨٤٨ حين أعلن ماركس وانجلز اليهوديان البيان الشيوعى المعروف ثم ألف ماركس كتابه « رأس المال » ودعا إلى ما أسماه « الاشتراكية العلمية » ودعا إلى إضرام الثورة وإلى إثارة روح الصراع بين الطبقات كوسيلة لهدم المجتمع الرأسمالى وإقامة المجتمع الشيوعى وقد أقام ماركس نظريته على أساس التفسير المادى للتاريخ . وقد ظن ماركس أن خطته يمكن أن تتحقق فى الدول لرأسمالية الكبرى : بريطانيا ، فرنسا ، ألمانيا ، ولكنه منذ عام ١٨٤٨ إلى عام ١٩١٨ وهو تاريخ قيام الثورة البلشفية فإن أوربا لم تستجب لدعوته بل أن الامر كان على عكس ما ظن ماركس فإن الرأسمالية عدلت طريقها وأمنت العمال وأفسحت لهم فى أرباح المصانع ورفعت من شأنهم وبذلك عجزت المؤامرة اليهودية الشيوعية عن تحقيق هدفها خلال سبعين عاماً كاملة ، ثم كانت التجربة فى القيصريّة الروسية على نحو آخر مختلف تمام الاختلاف عن الخطة التى رسمها ماركس وانجلز . ولقد ركز اليهود على الماركسية كأسلوب لاقتلاع القيصريّة الروسية انتقاماً منها وعملاً على تمزيق العالم إلى نظريتين متصارعتين : هما : الرأسمالية والشيوعية . وقد أكد هذا المعنى كتاب غربيون كثيرون منهم من ذكرنا ومنهم روبرت وليمز فى كتابه اليهود فى أمريكا الذى قال « أن الصهيونية شقيقة الشيوعية وأمها » . ولقد تبدو الشيوعية وكأنها عدوة للصهيونية ولكن ذلك مخطط مرحلى فهما توأمان ولدتها اليهودية التلمودية . ويقول الأستاذ حامد مطاوع : أن الشيوعية ما هى إلا أفكار صهيونية من قبل كارل ماركس بوقت طويل وأن كل ما فعله أنه جمع تلك الافكار وجعل لها ثلاث قواعد فى وقت إنهار الحضارة الأربية وزعم أنه يعيد بناءها ولكن بأسلوب روائى فهو إمعان فى التخريب فقواعد الشيوعية الثلاث : (١) محاربة الاديان وتفريغ الإنسان من كل عقيدة دينية واستبدالها بتعاليم وشعارات النظرية الشيوعية وهى فى تركيبها اشتراكية متمرحة . (٢) الإنسلاخ من كل انتماء وطنى ليظل الفرد عضو التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والالوان والاقنعة المختلفة التى تنبع من أصل واحد وتلتقى فى ملتقى واحد (٣) مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوى الذين لا يعملون وإلغاء الامر الإلهى فالله سبحانه قد فضل الناس بعضهم على بعض درجات والتفضيل له عناصر هى العلم والعمل

والتقوى . (٣) طرد اليهود من أوروبا في القرن الذي سبق عصر النهضة مباشرة بعد أن ظلوا مسيطرين عليها في الفترة من عام ٥٠٠ إلى عام ١٣٠٠ ، وقع هذا التحول بعد قرارات مجمع لاترين الرابع ١٢١٥ الذي قيد وجود اليهود في المجتمع المسيحي هناك فاتجهوا إلى شرق أوروبا وما أن أهدأت ١٥٠٠ حتى كانت أوروبا بأسرها باستثناء شمالي إيطاليا وأجزاء من ألمانيا قد تخلصت من اليهود ولم يعودوا إلا عام ١٦٥٠ وكان وجودهم في الشرق في الامبراطورية البولونية والتركية . وكانت دولة الخزر اليهودية قد تحطمت في القرن العاشر أصبحت من بعد تسمى بولونيا حيث أصبح لليهود نفوذ ضخم وصل إلى حد سيطرتهم على سك العملة وفي عام ١٧٩٣ قسمت بولونيا بين بروسيا (ألمانيا) وروسيا وورثت روسيا ميراث اليهود الأكبر حيث أحرزت أكبر نسبة من يهود العالم ، وأصبح اليهود (الخزر) المقيمين في بولونيا داخل روسيا من ذلك التاريخ ، ومع تصاعد سيطرة اليهود على عالم المال الروسى فرفضت القيصرية قيوداً لحماية الاقتصاد فصدرت قرارات ١٧٩١ التي عارضها اليهود ، وكانوا ١٨٨١ قد بلغوا حداً عالياً من الازدهار والنجاح وكان على الحكومة القيصرية (اسكندر الثانى) أن تواجه الموقف فاستهدفت بعملها هذا عداء اليهود فجرت ثلاث محاولات لاغتيال القيصر ١٨٦٦ ، ١٨٧٩ ، وفي ١٨٨١ نجحت المؤامرة ، ثم عمت حوادث الشعب المعادية لليهود مختلف أرجاء الامبراطورية فطرد كثير من اليهود وتقول الدراسات (فرنك بريتون) وآخرون أنه في فترة لا تتعدى ٩٢ سنة حتى ١٨٨٢ استطاع اليهود وهم لا يمثلون إلا ٢٪ في المائة من السكان أن يرسخوا أقدامهم في الاقتصاد الروسى بحيث أشرفت الدولة على الإفلاس عندما حاولت أن تزحزهم عن مكانهم ، وفي هذا الجو بدأت الحركتان التوأمان الماركسية والصهيونية تتحكما بجمهرة اليهود الروس وتسيطران عليها فجرت ثورة ١٩٠٥ الماركسية ثم ثورة ١٩١٧ حيث سيطرت الشيوعية ودمرت القيصرية في نفس الوقت الذى انطلقت فيه الصهيونية إلى أرض فلسطين في هجرة استيطانية هي مقدمة لقيام الكيان الصهيونى وقد شهد الكثيرون بذلك الارتباط العضوى بين الحركتين وبالمصدر الواحد القائم خلفهما وكيف أن تعاليم ماركس وفردريك أنجلترا ولينين وستالين لا تختلف في كثير أو قليل عن تعليمات بروتوكولات حكماء صهيون بل أن الالفاظ والعبارات والمفاهيم التي صيغت بها كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة ولعل من أعجب ضروب التشابه في الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيون الاوائل جميعاً منحلدون من أصل يهودى فضلاً عن التشابه الصارخ

بينهما كحركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله والتشابه في وسائلهما وغاياتهما ومفاهيمهما وأخلاقيتهما والتشابه بينهما في ميدان التطبيق العملي « تشابه الفلسفيات : الصهيونية والشيوعية تشابها كاملا في نظرتهما إلى الاخلاق ، فالاخلاق ، عندهما ليست ما اصطلح عليه الشرفاء من مفاهيم تجدد المثل الاخلاقية العليا ومبادئ الفضيلة وكرامة الإنسان التي ينبغي أن تصان دائما إنما الاخلاق عندهما تتمثل في شيء واحد هو القوة وتحقيق أهدافهما بشئ الوسائل مهما انحرفت هذه الوسائل عن جادة الصواب والمثل الاخلاقية ومبادئ الفضيلة . ثم تنادى الفلسفات الصهيونية والشيوعية بأن الغاية تبرر الوسيلة ، فبكل شيء مباح ما دام يؤدي إلى نصرته الشيوعية أو الصهيونية والتشابه في نظريتهما إلى أساليب الحكم : من التوسل بالسلطة الاستبدادية التي لأحد لها في العنف والظلم . وتشابه الفلسفتان في نظريتهما إلى القانون فهو عندهما ليس أداة من أدوات نشر العدالة وإنما مجرد تغيير قانوني زائف عن الدكتاتورية والظلم والاستبداد والقمع والإرهاب والكبت ويرى كلاهما أن العالم يجب أن يكون كالسائمة وأن يكون كقطع الشطرنج يحركها اللاعبون هنا وهناك وتنادى كلاهما يجعل الصحافة مجرد أداة من أدوات الخداع والتضليل ، وهما يتفقان في النظرة إلى الحرية ، والحرية لا تعني ما اصطلح عليه الناس وإنما تعني : السلطة الحاكمة هي وحدها التي يحق لها أن تستمتع بالحرية ، وضرورة احتكار الحياة الاقتصادية وتسخير كل القوى الاقتصادية لتحقيق أهداف الصهيونية أو الشيوعية وتنادى الشيوعية والصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية ، والصهيونية تطالب بالقضاء على كل الأديان غير اليهودية وتعمل على نشر الإلحاد وكلاهما تدعو إلى الثورة العالمية بغية إخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية أو الشيوعية . (٤) وقد أجاب فورد في كتابه « اليهودي العالمي » على سؤال خطير وهو : لماذا تؤيد اليهودية وهي تجسيد الرأسمالية الحركة البلشفية التي تمثل العدو الأكبر للرأسمالية فقال : أن رأس المال غير اليهودي هو الذي يتعرض وحده لهجوم البلشفية ، فإن اليهودي الذي أقدم على عبادة العجل الذهبي يود أن يظل على أحسن الصلات مع اليهودي الشرقي (اليهودي المنغولي) الذي يحاول تحطيم أنظمة المجتمع القائمة . المفيد جداً عند ما تنشب ثورة في باريس فعلا أن توفر الجماهير الثائرة التي تعمل في الحريق وإشعال التيران حماية بيوت آل روتشيلد كما وقع أبان الثورة الفرنسية . وقال :

الشيوعية في كل مكان في العالم وليس في روسيا وحدها حركة يهودية ولعل مثال فلسطين

أكثر وضوحاً وجلاءً ، وليس ثمة مكان ظهر فيه الاتحاد على هذا الشكل من القوة بين اليهودى الثورى واليهودى الرأسمالى كفلسطين ، ولقد كانت كل مدينة أمريكية كبيرة ممثلة فى أول حكومة بلشفية فى روسيا ولكن ما زالت هناك حكومة تنتظر فى أمريكا لتقدم خدماتها عند الحاجة » . وقد أشار الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار فى كتابه (الشيوعية وليدة الصهيونية) إلى أن هذه الظاهرة ، ظاهرة : إن الثورة الفرنسية لم تتعرض لممتلكات اليهود فقال : إن الثورات الشيوعية التى حدثت فى روسيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا لم تتعرض للرأسمال اليهودى فيها بأى أذى بل كانت بيوت المال اليهودية تحمى من قبل الثائرين الشيوعيين لئلا يتعرض لها غيرهم من الغوغاء لها . كما كان الرأسماليون أحراراً محروسين فى معتقلاتهم والثورات محتدمة تأكل الأخضر واليابس ، قال كاجانوفتش : اليهود الاثرياء فى موسكو لم تتعرض لهم الثورة البلشفية إلا بالإجلال بل رفعت مكانتهم إلى أعلى قمة فى الاتحاد السوفيتى . والثورة الشيوعية الصينية استصفت كل أصحاب السلطة وأرباب المال فى الصين ولكنها لم تتعرض لرؤوس الاموال اليهود من أمثال إسرائيل انشتاين وميخائيل شابيرو وديفيد كروك ، وفرانك كو ، وسوفى ريتنبرج الذين أكرمتهم الثورة . هذا وأمثاله مما وقع فى كل الاقطار التى إلتهمتها الشيوعية أثر ثورة جامحة برهان على أن الشيوعية فى كل مكان هى من صنع اليهود . وقد تنبه لهذه الحقيقة أمثال روبرت ولیمز الذى قال : الصهيونية صنو الشيوعية ومرضعتها وحاميها وكلتاها تقصد إلى إضرار ثورة عالمية والشيوعية التى وضع تعاليمها يهودى عريق هو كارل ماركس ونفذت فى روسيا بفضل اليهودية هى من نتاج العقل اليهودى ، والصحف الشيوعية تحارب كل حركة معادية للصهيونية بحجة أنها حركة « لا سامية » كأنما عدم كره اليهود دين عالمى يفرض إحترامه على كل الناس . وإذا كانت الصهيونية التى يعد موسى هيس منشئ فكرتها وسابق كل من أتوا بعده فى مرحلتها العملية لبتودور هرتزل فإن أمام الشيوعية كارل ماركس نفسه قد تتلمذ على يد الصهيونى الاول هيس وقد جذبتة إليه آروؤه فى الاشتراكية وتأثر به وأفاد منه وجعله أحد أئمتة فى مذهبه الهدام وهرتزل نفسه قد تأثر بموسى هيس وكتاب الدولة اليهودية لهرتزل الذى دعا فيه صراحة إلى قيامها بفلسطين مسبوق بكتاب « روما - أورشلیم لموسى هيس وكتاب أمثال دانيال دروندا وجورج اليوت قد تأثرا بكتاب موسى هيس فقطبا الصهيونية والشيوعية تجمعهما اليهودية اللثيمة . وموسى هيس يهودى متعصب معروف بتطرفه ، وكارل ماركس

يهودى صميم ابن حاخام يهودى ومارده والده عن اليهودية وصبوءه إلى المسيحية ليس إلا نفاقاً عرف به اليهود فى جميع مراحل التاريخ ، وما كان صبوء الدكارل ماركس إلى المسيحية ناجماً عن اعتقاده فى صحتها ولا فى اعتقاده فى بطلان اليهودية ولكن المصلحة حملته إلى إثبات المسيحية على اليهودية التى كان اتباعها منظوراً إليهم بعين السخط والحقد والمقت لما طبعوا عليه من صفات اللؤم والخسة والغدر والطمع وكل الصفات القبيحة . فالخروج على اليهودية والدخول إلى المسيحية كانا من أجل الحصول على مغنم دنيوية ما كان ليتاح له الظفر بها لو بقى على دينه فتركه ليجر إلى نفسه المغنم ويبعد عن نفسه المضار .

(٥) وهكذا تؤكد كل الدراسات والابحاث التاريخية والعلمية إن الشيوعية تنظم يهودى : بالمال والانفس وإن أعظم زعماء الشيوعية الذين قاموا بالثورة يهود شديداً التعصب لليهودية وأن اليهود أنشأوا الخلايا فى روسيا منذ وقت مبكر كمقدمة لثورة عام ١٩٠٥ التى كانت تمهيداً لثورة ١٩١٧ وقد أكد لينين هذا حين قال بعد قيام الحكم الشيوعى فى روسيا « لولا التجربة النهائية لسنة ١٩٠٥ لكان فوز ثورة أكتوبر محالاً . » وقد بدأت مجلة اسكرا (الشعلة) فى سويسرا توقد بنيران الثورة هادفة إلى تدمير عنصرية وإقامة الدولة الشيوعية منذ عام ١٩٠٠ وقد تولى مجلس إدارتها سبعة من أقطاب الشيوعيين وهم : لينين ، بينانون ، يوتريسوف ، تروتسكى ، مارتون ، أكسلرود ، تسازولتش وهؤلاء السبعة يهود أما سكرتيرة المجلس فيهودية متعصبة هى كروبسا كايا وهى زوجة لينين . كما تأسس فى روسيا خلال هذه الفترة أخطر منظمة يهودية يتولاها إرهابيون من غلاة اليهود . وكانت مهمتها القيام بالاغتيالات وقد ذهب ضحيتها بعض ذوى الاسماء البارزة فى روسيا . ومنذ ثورة ١٩٠٥ والحركة فى يد اليهود هم ممولوها والدعاة لها . وكانت ثورة فبراير عام ١٩١٧ انفجاراً شديداً أعقبه سقوط القيصر وتألقت بعد ذلك أول حكومة مؤقتة لحماية الثورة برئاسة اليهودى كيرنسكى ثم أعلنت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ ، وعندما تم تشكيل الحكومة كان أكبر رجالها هم اليهود : - أوليانوف الملقب بلينين . - برونستين الملقب بتروتسكى - بنشامكس الملقب ستوكولوف - زينو مفيف الملقب وازنفلد - كامنيف الملقب فورتنبرج . والمجلس الشيوعى العام كان قوامه ٥٤٧ عضواً منهم ٤٤٧ من اليهود الغلاة المتعصبين . واللجنة المركزية ٣٨٨ منهم ٣٧١ يهودياً والمعروف أن البارون هيرش اليهودى هو الذى كون الفرق العسكرية اليهودية ومول كل المستعمرات اليهودية فى فلسطين ومول ثورة اليهود فى روسيا

وَأَنَّ اليهودى المليونير يعقوب شيف فى أمريكا وضع مخطط الثورة البلشفية وأمدّها بالمال والسلاح ومروّن الثوار فى الاراضى الامريكىة على الاغتيالات والقتال . ورب آلاف الشباب اليهودى وزودهم بجوازات سفر أمريكية وأرسلهم إلى روسيا وهؤلاء هم الذين أناروا الفلاحين العمال ضد الحكومة الروسية . وكذلك فإن الثورات التى قامت فى بولندا وألمانيا دبرها اليهود وهم الذين تولوا قيادتها ورئاسة الحكومة فيها وكذلك الامر فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا : وقد كشفت الثورة الشيوعية فى روسيا منذ اليوم الأول بشعبها اليهودى وموقفها من الصهيونية فى صراحة عجيبة تؤكد العلاقة العضوية بين الشيوعية والصهيونية والهدف الذى ترمى إليه اليهودية العالمية فى السيطرة ماركسياً وصهيونياً على العالم كله . فمنذ تولى الشيوعيون السلطة فى روسيا بعد الانقلاب الشيوعى (٨ أكتوبر ١٩١٧) هاجمت الشيوعية جميع الاديان وخاصة الإسلام وغضت الطرف عن الديانة اليهودية كلية . وقد كان ذلك موضع دهشة المراقبين الذين تساءلوا هل هناك علاقة بين الشيوعية واليهودية . وقد أجاب عن ذلك الزعيم الشيوعى (لينين) مفسر الماركسية ومقننها والذى أطلق على برنامجه كمرحلة جديدة « الماركسية اللينينية » أجاب لينين على ذلك بما يضع أمام المؤرخين والباحثين إضافة جديدة تؤكد العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية . وكان المظنون أَنَّ الشيوعية والصهيونية حركتان توأمان تتحكمان بجمهرة اليهود الروس وتسيطران عليهما ، وقد أعلن الصهيونية زعيمها (تيودور هرتزل) ودخلت إلى روسيا حوالى ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الاكبر (كارل ماركس) وكارل ماركس يهودى اسمه (كاي مردخاي) ولكنه غير دينه واتبع المسيحية ليستطع أن يهاجمها بجرية . يقول لينين « أَنَّ حجر الزاوية فى رأى كارل ماركس وانجلز فى الدين هو قولهما الماثور (أَنَّ الدين أفيون الشعوب) لقد كان رأى الماركسية فى الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع أنواع المؤسسات الدينية ، أنها ضدى للرجعية والبرجوازية ، لا هدف للاديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير وتبرير تصرفات الملوك التى يتخذها الرأسماليون نحو الطبقات الكادحة . أما (الخرافات اليهودية) وإن كانت لا تختلف عن باقى الاديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم فإن اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون فى الاقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون إسرائيليتهم كمجموعة كاملة ومتحدة فإن الدين أمر ضرورى لهم فلم يجمع بنى إسرائيل غير الدين ، والمحافظة على الدين اليهودى أمر ضرورى

لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم . ويعلق الدكتور محمد عزت نصر الله الذى نشر هذه الوثيقة فى كتاب الثورة العربية « على ذلك فيقول : إن هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثنائه من مخطط محاربة الاديان يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم ابتداءً من فلسطين العربية المسلمة فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود فإن الاجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة ، وذلك بخلاف الاجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى . وقد تابع ستالين هذا الاتجاه وعمقه ونمائه حين أعلن « أن دولة السوفيت الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين ، فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة ، فى حين أن الدين يناهض المادة ، والدين والشيوعية مثلهما مثل الماء والنار فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان وإحدهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية أبداً فكل دين من الاديان هو والمادة على طرفى نقيض » . ومن هنا فقد أجاز القانون الشيوعى تعليم الدين إلى النشء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢١ سنة) ونص على أن تعليم الدين للاطفال قبل سن الرشد جريمة يعاقب عليها ، هذا هو معنى الحرية الدينية فى الاتحاد السوفيتى ، وهذه الحرية لا يسمح بها إلا فى الظروف التى يجيزها مبدأ الانتهازية السياسية للشيوعية . فقد جاء فى كتاب التعليقات على القانون الجنائى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية فى الطبعة الثانية بموسكو سنة ١٩٤٦ . ص ١٦٧ ، ١٦٨ ما يلى : « إن كل تعليم مدرسى أو كنسى أو مسجدى دينى للقصر ، دون سن الواحدة والعشرين أى سن البلوغ يعد تعدياً وخيانة على حرية الغير المكفولة بنصوص الدستور السوفياتى ويعاقب الآباء والأمهات والمعلمون بالعقاب الجنائى » والعقاب الجنائى فى الاتحاد السوفيتى هو النفى أو السجن أو الإعدام يقول الدكتور محمد عزت نصرالله : إن سياسة التربية الشيوعية تفرض على الإنسان أن يتزجرع ويكبر ويشب فى بيئة ملحدة وثقافة تستهزئ بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكتب السماوية إلى أن يبلغ سن الرشد السوفياتى (٢١ سنة) ثم بعد ذلك يسمح له بممارسة الحرية الدينية ولكن بقيود رهية تصل إلى درجة خطيرة من التعجيز الذى يستحيل معها ممارسة الشعائر الدينية وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور جيل مسيحى لا يؤمن بالله . ولا يؤمن بدين ما باستثناء الدين اليهودى إذ يسمح لليهود فقط كما قال لينين : بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لأن الدين اليهودى أمر ضرورى

لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم) وهكذا برز لينين الحماية الشيوعية للدين اليهودى ويقول : أن لينين يعترف باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفياتية فى بداية حكمها عام ١٩١٧ إلى إصدار جملة قرارات كلها التأمين الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين ، وإذا سألنا ما هى حقوق اليهود فالجواب هو - ماركسيا وصهيونياً - تنفيذ مرامى وأهداف الأيدلوجية اليهودية القائمة على فكرة الشعب المختار والدافعة بالتالى للإعتبارات : أولاً : أن الأرض وما فيها ميراث لبني إسرائيل تلزمهم مشيئة الرب بأن يستولوا عليها . ثانياً : ان كل شريعة غير شريعة بني إسرائيل فاسدة . ثالثاً : ان كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هى مغتصبة . رابعاً : أن كل شعب حر ، غير شعبهم قابض على ذروة من السلطة هو غاضب . خامساً : أن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . وهكذا يكشف ما أوردناه عن العلاقة الجذرية بين اليهودية كأهم والشيوعية والصهيونية كأبناء لها . بل أننا لنجد ما هو أشد عنفاً من ذلك وأشد قسوة حين يرى ماركس أن الحل اليهودى الصهيونى هو الماركسية وحدها . ويرى موردخاى (أن حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس) وذلك بتطبيق ما أسماه « التحويل الاشتراكى للعالم بأسره » وإذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية ، ذلك - فى تقديره - أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاختبار القائل بأن اليهود هم « شعب الله المختار » وبما أن الماركسية حركة تهدف لإخضاع المجتمع البشرى إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية فى العالم ، يرى اليهود أنهم أصلح البشر بصفة كونهم « شعب الله المختار » لإحتلال مركز القيادة الطليعية التى هى الاسم العصرى لعقيدة « الشعب المختار » من اليهودية ، ولقد استطاع المكر اليهودى أن يؤسس الحركة الماركسية لتم السيطرة على العالم بالتحويل الاشتراكى وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مخادعة العالم (وخاصة الولايات المتحدة وأوروبا الغربية) بأن الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وأنها تعمل لصالح الاستعمار الغربى وخدمة استراتيجيته الدولية العامة وبذلك تتمكن من احراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومى اليهودى ثم الالتفاف - بعد تحقيق ذلك - للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية العالمية بالسيطرة (ماركسياً وصهيونياً) على العالم كله وهكذا يتحقق التصور اليهودى للعقيدة اليهودية ، وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتى - قاعدة العمل الماركسى - والصهيونية سوى « تكتيك مرحلى » تتطلبه خطة السيطرة اليهودية فى الوقت

الراهن . ويقول الدكتور محمد عزت نصر الله : طبيعى أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامى واضعاف الشعوب الإسلامية . » . هذا هو المخطط اليهودى (الصهيونى الماركسى) المشترك كما استخلصه الباحثون من كتابات الصهيونيين أنفسهم . وهو المفتاح الحقيقى لكل تحركات السياسة الدولية فى العصر الحديث وقد ينتبه له كثيرون فى مقدمتهم عباس العقاد ومحمد خليفة التونسى فى مقدمته لكتاب بروتوكولات صهيون وكان أول من ترجمها إلى العربية ، وقد جاء بعد ذلك فرانك بريتون وهو مفكر غربى كاشفاً لهذه العلاقة الغامضة التى ترتبط أساساً بالماسونية وقد كشف هذا الجانب الكولونيل عبد الله التل فى كتبه العديدة ومنها « جذور البلاء » و « الأفعى اليهودية فى معازل الإسلام » كما كشف هذا مؤلف كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » ومؤلف كتاب « الحكومة الخفية » . وهى كتب متداولة فى السوق العربية ولكن قادة الرأى لم يكونوا قادرين على تبين هذا الاتجاه حتى كشفه المرحوم جلالة الملك فيصل حين قال : « إن الشيوعية وليدة الصهيونية » . وهناك دراسة موسعة لهذا البيان للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار تتناول جذور هذه القضية وإذا نظرنا فى ضوء هذه المفاتيح إلى الحقائق الراهنة وجدنا إن دعاة الشيوعية فى مصر فى مطلع هذا العصر كانوا يهوداً : (هنرى كوريل ، ورؤل كوريل ، وريمون أجيون) وكان هؤلاء وغيرهم يمولون الحركات الشيوعية بالمال وقيل بالجنس أيضاً وقد تعاقدوا مع الدكتور طه حسين على إصدار مجلة الكاتب المصرى وكان الدكتور طه حسين قد أعلن تأييده لمفهوم اليهودية التامودية باكراً حين أنكر وجود ابراهيم واسماعيل وكذب القرآن والتوراة ولم يكن يعرف فى هذا الوقت الباكر إن ذلك كان تمهيداً لتحقيق أهداف الصهيونية (٦) ويتساءل فرانك بريتون : هل الشيوعية ضد الصهيونية ؟ ويقول : بقى هناك اتهام يجب إزالته وهو فيما قد يتطرق إلى الذهن من كون اليهود كلهم شيوعيون والحقيقة أن ليس كل اليهود شيوعيين فإن الشيوعية والصهيونية تسربتا إلى الإحياء اليهودية المحصورة فى روسيا كحركتين متنافستين منذ ١٨٨٠ فلما تسلم البولشفيك الحكم عام ١٩١٧ حاولوا فرض فكرتهم الخاصة على سائر السكان اليهود فهم مع إنهم يهود ارتأوا أن يحتفظ اليهود بقوميتهم ضمن الشيوعية ولكن مع تحوير هذه القومية لتنسجم مع الشيوعية وتستقر فيها ، فعلموا ذلك لأنهم اعتقدوا أن فكرة الصهيونية المندمجة فى الاستعمار البريطانى لا يمكن تصفيتها . أما الصهيونيون وهم الأشد تشبهاً بالفكرة الدينية المتزمتة فرفضوا هذا الرأى بتاتاً ، وكانت

النتيجة أن الشيوعيين أنشأوا دائرة خاصة بمعالجة الصهيونية وجربوا أن يستميلوا النشء اليهود بأن جرموا تدريس الصهيونية لمن دون العشرين منهم . والتنافس بين الشيوعية والصهيونية مستمر حتى يومنا هذا فرغم تقييد السماح بهجرة الألوف من اليهود من روسيا وملحقاتها إلى الدولة اليهودية منذ قامت فإن السلطات الروسية قلما تسمح للشبان من اليهود بالهجرة كون اليهودى شيوعياً أو صهيونياً أو كليهما معاً - وكثير منهم كذلك - لا ينبغي كونه يهودياً وليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هى القومية اليهودية التى لا تفتأ تناوئى سائر العالم غير اليهودى . (٧) وإذا ذهبنا نستقصى العلاقة بين الشيوعية والصهيونية وصلنا إلى مجموعة كبيرة من الحقائق وأولى هذه الحقائق إن العقلية اليهودية صاحبة المذاهب الرأسمالية هى صاحبة الصهيونية والشيوعية . ويقول كودمين : إن اسم تروتسكى (زعيم الشيوعية) واسم روتشيلد (زعيم الصهيونية) يمثلان التوجهات العقلية اليهودية تروسكى علم على الشيوعية والسوفييت ، وروتشيلد على الرأسمالية والغرب الليبرالى أن لينين زعيم الشيوعية الأكبر كان من مخططى الصهيونية ومن واضعى بروتوكولات حكماء صهيون وأنه حضر مؤتمر الحكماء فى سويسرا وأن الثورة الدولية ليست من طبقة البروليتاريا بل هى من طبقة اليهود وأن أول رئيس فى دولة روسيا زعيمه اليسار العالمى كان اليهودى (كلينيف) وتلاه الإرهابى اليهودى (مضرولوف) وبعهما اليهودى (زيتوفيف) وقال أن الذين يحكمون روسيا الآن ليسوا من الروس ولكن حفنة من اليهود الإرهابيين العالميين ، وأن الشعب الروسى بهم يعيش فى فقر وحرمان فى حين يقتنى قادة الكرملين السيارات الأمريكية الفارهة ويعيشون عيشة القياصرة . والسؤال هو : هل نفذ اليهود ذلك الحلم الزائف : ان التمييز على أشده فى هذه الدول فهناك طبقة قياصرة الكرملين الذين يعيشون عيشة الملوك وطبقة أعضاء الحزب المميزون فى جميع أنحاء الدولة ثم طبقة الشعب الذى يعيش ليأكل فلا حريات مساواة بل معتقلات تضم آلاف فى سيبيريا وكل ما حصل عليه أفراد الشعب أنهم أصبحوا تروساً فى آلة الإنتاج العام فلا كيان للفرد وإنما عليه أن يكذب ويخدع ويغش ويتجسس لمصالح الحزب الشيوعية . (٨) يقول الأستاذ عبد السلام العمرى : أن حقيقة الماركسية لا يجب فصلها عن كونها فكرة يهودية قصد من وراءها (كارل موردخاى - ماركس) واليهودية لعالمية السيطرة على العالم عن طريق عقيدة فكرية هدامة تحارب الدين والاخلاق والقيم تحت راية العلم والموضوعية والاحتمية والتاريخية . وأن اليهود بذلك كانوا مدين أن

(الردة) عن الدين كانت لقرون طويلة ردة قصيرة لا يلبث المرتدون فيها أن يعودوا لاعتناق ما كانوا يدينون به من قبل بعد إشباع نزواتهم ورغباتهم وكان لابد من نظريات وأفكار ومبادئ تربط عقول الناس وتغرقهم في ردتهم مبتعدين عن الدين بحجة أن العلم هو الذى قرر ذلك بصورة لا رجوع عنها ولا شك فيها والتخطيط اليهودى يرسم أهدافه عن طريق مفكرين ورجال بارزين حملوا دعوى الافكار والنظريات العلمية ليحققوا أهداف اليهود ، وهكذا كان ماركس وفرويد ودوركايم وسارتر جنوداً بارزين في هذا الميدان . أن ارتباط التخطيط اليهودى بالماركسية إذن هو الذى يعطينا الجواب الشافى لماهية السبب الذى قاد تصور ماركس لدعوى افتراض بدء الشيوعية في أوروبا الغربية وبريطانيا كما تقدم لنا التعليل النكافى للإعتقاد بتحول التخطيط اليهودى ناحية روسيا لتطبيق ما رسموه لها وللعالم من خطة تدميرية . وحقائق التاريخ تثبت أن اليهود سيطروا على بريطانيا لفترة زمنية طويلة ، عاد اليهود إلى بريطانيا باعتبارهم أصحاب المال والنساء في حركة كرومويل الذى ظهر عام ١٦٤٧ وقاد ثورة ضد الملك شارل الاول وخلعه عن العرش وأعلن قيام الحكم الجمهورى وقد أصدر عام ١٦٥٧ أمراً بعودة جميع اليهود المطرودين إلى بريطانيا ومنحهم جميع الحقوق المدنية ، كما انتقم كروويل لليهود من الأسرة الملكية بصورة رهيبة لطخت المعتقد القائل بتدرج السياسة الإنجليزية وتحضر الحياة فيها وأصدر كرومويل قانوناً منع بموجبه العمل يوم السبت وأرغم المسيحيين على قراءة التوراة طيلة أيام الاحد وألغى الطقوس الدينية المسيحية ودام حكمه حتى عام ١٦٦٠ م. أن رجعة اليهود إلى الجزر البريطانية وسيطرتهم المحكمة من جديد على مختلف الحقوق الاقتصادية الدينية والسياسية يتساوى تماماً مع ظهور الافكار الماركسية اليهودية التى كانت بصورة بديهية تشير إلى توقع أن يكون المنطلق الاول للشيوعية إنما هى دولة بريطانيا بالذات قبل غيرها. هكذا إذن ليست وسائل الإنتاج المتغيرة ولا أساليب الإنتاج المتبدلة هى التى حسمت ضرورة قيام الشيوعية في بريطانيا وإنما هى السيطرة اليهودية المحكمة على بلاد الانجليز هى التى دفعت ماركس لما أشار إليه في كتاباته في هذا الشأن . ومع ذلك يتبادر سؤال هام في هذا المجال . ما هو الدافع إذن لتغيير المخطط اليهودى والاتجاه نحو روسيا ، واتخاذها المنطلق الاول لقيام الشيوعية في العالم قبل غيرها . ومع صعوبة الجواب القاطع عن الدافع الباعث لتعيين المخطط اليهودى إلا أن دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية تقدم لنا دليلاً هاماً لذلك الدافع . فتغير الظروف المحيطة التى تطورت بعد إعلان

ماركس لافكاره وما صاحبها من إجتماع الزعماء اليهود في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ لمدارسه كيفية السيطرة اليهودية على العالم أدى إلى القرار الحاسم بضرورة توجيه ثقلهم نحو روسيا بعد أن يتقنوا بعدم الحاجة لقيام دولة شيوعية في بريطانيا ما داموا يطبقون عليها تماماً بما لديهم من وسائل وأساليب محكمة . وقد كان لابد من قيام ثورة شيوعية في روسيا لاسباب :

أولاً : الجهل والفقر المطبقان على سكانها مما لا يمكن استثماره لصالح الحركة الثورية .

ثانياً : وجود كنيسة مسيحية لها نفوذ بين طائفة ضخمة من المسيحيين في العالم وتحطيمها ولابد أن ذلك يسهل إمكانية تقريب الهدف اليهودي في التحقيق بصورة أسرع وأكثر فاعلية .

ثالثاً : موقعها الجغرافي ومساحتها الهائلة وعدد سكانها الكبير ومصادرها المعدنية والزراعية الضخمة مما شكل عوامل أساسية لدور عالمي كبير متوقع في السياسة الدولية . ويقول : أن تكشف ارتباط الاصابع اليهودية ودورها في الافكار الماركسية هو الذي أراح ستار (العملية) التي حاول اليهود جهدهم إخفاءها على كتابات ماركس وأتباعه طيلة عشرات السنين . ونقول ونفس الامر كان بالنسبة لكتابات فرويد كما سنبين من بعد . (٩) ونصل من هذا كله إلى ما أطلق عليه « الثورة العالمية » وهي نتاج المؤامرات اليهودية عن طريق الصهيونية والشيوعية . ويصور الأستاذ محمد عبد الله عنان أبعاد الثورة العالمية فيقول : أما اليوم وقد حطمت البلشفية دولة القياصرة ودست تعاليم ماركس إلى كثير من نواحي الحياة الروسية وغدت الاشتراكية والشيوعية قوتين سياسيتين عظيمتين . إن كل أساليب التقويض والهدم التي تهدد بالفناء كل المجتمعات والنظم الحاضرة تجتمع في الدعوة إلى الثورة العالمية ، فالفلسفة والدولة الشيوعية والاشتراكية واللاحكومة وغيرها من الدعوات والمصادر الثورية كلها قوات هائلة تعمل لغاية واحدة . إن الثورة الفرنسية التي هي وثبة من أعظم وثبات الهدم في العصر الحديث ترجع إلى نشاط هذه القوات الخفية ومهارتها في استغلال سخط الجماعات أكثر مما يرجع إلى الاسباب والحوادث المادية التي ينسب إليها انفجارها عادة . وقد كانت الثورة الفرنسية ثورة عالمية في معنى من المعاني . ذلك أنها قصدت بالهدم والتجديد كل النظم القديمة من أساسها وقصدت إلى تغيير الحياة العامة من جميع مظاهرها . وقد قطعت الثورة الفرنسية مرحلة كبيرة في هدم المجتمع نظم الإقطاع وحطمت الملكية وأقامت النظم الجمهورية وسحقت سلطان الكنيسة وقررت ضروباً شتى من الحريات السياسية الاجتماعية وكانت مبعث الوحي لطائفة كبيرة

من الثورات السياسية والاجتماعية التي اضطرت بها معظم الدول الأوروبية في القرن الماضي . هذه الروح الهدامة تجلت بأشكال رائعة في الثورة الروسية الاخيرة ، فقد حمل سيل البلشفية كل ما صادره من تعاليم ونظم وأمعن البلاشفة في الهدم والتدمير فأبادوا معالم المجتمع القديم بأسرها ، ودكوا كل مظاهر الحياة العامة فقط ، بل قصدوا فوق ذلك إلى تغيير عقلية الافراد وإلى استبدال التعاليم والتقاليد الاخلاقية بتعاليم وتقاليد جديدة وقد فار البلاشفة في هذه الناحية أيما فوز ، وإن أخفقوا في تطبيق النظم الاقتصادية الشيوعية فشادوا في بضعة أعوام مجتمعا غريباً في تفكيره أباحياً في اعتباراته وتقديراته ثورياً في عقليته وغاياته ، وهذا المجتمع هو الذي يبرز اليوم إلى الطليعة رافعاً لواء الثورة العالمية : فهل تكون البلشفية والثورة العالمية اسمين لمسمى واحد ؟ إن عبارة (الثورة العالمية) كثيراً ما تجرى على لسان أقطاب موسكو وزعماء البلشفية بل قلما تسمع لاحدهم حديثاً أو تقرأ مقالا لا يخلو من الإشارة إلى الثورة العالمية وثورة الكتلة العامة وغيرهما ، وما زلنا نذكر آخر تصريح لنسينوفينف رئيس الدولة الشيوعية : فاه به في مؤتمر الدولية الاخير إذ قال : « إن بؤادر العجز والاضطراب تجتاح العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وأن في الاضطرابات التي تعصف اليوم بالصين والهند وسوريا وفلسطين ومصر وتونس ومراكش للدليل على أن الجماعات المهيضة تقطع مرحلة جديدة في سبيل إضرام نار الثورة العالمية واستخلاص الأكثرية الهائلة لحرياتها من قبضة الاقلية الطاغية . غير أن ما يقوله رئيس الدولية أو غيره من زعماء البلشفية ، وما يقوله على الشخص (لينين) في كتبه عن ثوره الكتلة العامة لا يعنى أن الجمعية السرية التي تقبض على مصائر روسيا تعمل دون وحى يلقى إليها من وراء ستار وتسير في جهودها الهدامة مستقلة دون توجيه ، فما هو المصدر الخفى الذي يغذى جهود البلشفية ؟ وما هي غاياته الاخيرة التي يدفع الحركات الثورية المختلفة إلى رعايتها والعمل على تحقيقها ؟ إن البناء الحر والمالية الدولية والجامعة الجرمانية كلها قوات حقيقية لا مرية في وجودها تؤثر في شؤون العالم أيما تأثير وفي وسعنا أن نعين منها أسماء الزعماء وطرق العمل ومراكز الوحي والإرشاد ولكننا لا نستطيع أن نفعل بالمثل في مسألة الثورة العالمية ومع ذلك ، فالثورة العالمية ، حقيقة يشعر العالم بوجودها وبغالب جهودها . إن ثورة الكتلة العالمية وتحريرها من نير البرجوازية وتحطيم النظم الرأسمالية وإضرابها من العبارات الشيوعية كلها ستار

لغاية واحدة ، هى غاية هدم شاملة ، فتحطيم المجتمع الرأسمالى معناه تحطيم المدنية الحاضرة وكل ما احتوت من أديان وتعاليم وتقاليده وهدم المدنية غاية عملت لها جميع القوات الخفية والجمعيات السرية خلال القرون ، ولكن الحرص على تنفيذ هذه الغاية والدقة فى تنظيم القوى التى تعمل لتحقيقها ، واستعداد المجتمع الحاضر لتلقى تعاليمها كأنها ظواهر جديدة لم تظهر من قبل بمثل ما تظهر به اليوم من جلاء ووضوح ، ذلك لأن عقلية المجتمع الحاضر قد تأثرت بمؤثرات جديدة عميقة ، وقد بعثت البأساء الطاحنة آلام الحياة ومصاعب العيش فى كثير من البيئات روحاً من اليأس والنقمة لم تعرفها من قبل . وهذه الروح هى التى يستغلها دعاة الثورة العالمية وهى التى مهدت السبل لروسيا القيصرية لفوز البلشفية وتمهد اليوم سبلا شتى لنشاط الدعوة الشيوعية . إذن فالدعوات الشيوعية والاشتراكية والملاحكومية نواح من نواحى الثورة العالمية تعمل كلها من سبل مختلفة إلى نفس الغاية . ويقولون : إن الثورة العالمية والخطر اليهودى أسان لمسمى واحد وإن دعاة الثورة العالمية هم دعاة السيادة اليهودية العالمية وأن الفكرة اليهودية القديمة فى سحق المدنية الحاضرة هى التى تجثم وراء الثورة العالمية . فإما كون اليهودية تقصد بالهدم والمحو كل النظم الحاضرة وتقصد بالاختصاص إلى هدم التعاليم الدينية والأخلاقية نصرانية كانت أو إسلامية فأمر لا ريب فيه . ولكن ليس ثمة ما يؤيد أن اليهودية تختفى وراء البلشفية والشيوعية والاشتراكية وما إليها من دعوات الهدم وكل ما هنالك أن اليهودية تعمل لنفس الغاية والظاهر أن اليهودية ما هى إلا إحدى القوى التى تعمل للهدم إلى جانب الحركات الأخرى وأنها تدين بنفس التعاليم الحرة الهادمة ، وأن هذه القوى ترعى جميعها مثلاً واحدة هى الجماعة بينها وهى التى توجه نشاطها وتوحد بين غاياتها وإذا كان من المستحيل أن نعين ذلك المصدر والمصادر الخفية التى تغذى دعوة الثورة العالمية بالنصح والإرشاد وتمدها بالدعاة والأموال فقد لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن البلشفية هى أقوى وأمنع عناصر الثورة العالمية وأنها هى التى تبرز إلى الطليعة بالقول والفعل وأنها واسطة الوحي فى تغذية العناصر الأخرى التى تحرض على تحقيق غاية موحدة شاملة هى هدم المجتمع الحاضر من الأساس واستبداله بمجتمع يقوم على مبادئ الشيوع والإباحة وتحقيق أعظم ما يستطيع من مثل ماركس ولينين . وإذا كان هذا ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله عنان عام ١٩٢٦ فقد تكشف فى خلال الخمسين سنة التى تلت ذلك وحتى اليوم حقائق كثيره لم تكن واضحة

إذ ذاك وإن كان في دراسة هذه يعتبر متقدماً تقدماً كبيراً نحو فهم علاقات الشيوعية والصهيونية باليهودية العالمية . وعلى الذين يرددون كالبغاوات اسم « الثورة العالمية » أن يعرفوا أبعاد هذا التخدير ومداه .

(٣)

العالم الإسلامي والصهيونية

كانت الحركة الأولى في اتجاه أوروبا الغربية : عالم المسيحية الكاثوليكية والحركة الثانية : اتجاه روسيا وعالم المسيحية الأرثوذكسية ، أما الحركة الثالثة فكانت في مواجهة العالم الإسلامي من أجل الهدف الأكبر الذي قامت من أجله خطة التلمودية : الوصول إلى أرض الميعاد . ولما كانت دولة الخلافة العثمانية هي العقبة التي وقفت في وجه الاطماع الصهيونية فقد تقرر إزالتها وفتح الطريق إلى القدس التي يملكها المسلمون منذ الفتح الإسلامي والتي ظلت في حمايتهم أربعة عشر قرناً كاملة ، لم تنتزع منهم إلا فترة أولى سنوات الحملة الصليبية ثم استعادها صلاح الدين . وعندما أوقد النفوذ الاستعماري والصهيوني الخلاف بين المسلمين : عرباً وتركياً وأوقع بينهم إنما كان يتطلع إلى الإستيلاء على القدس لتسليمها إلى يهود وأن هذه المناورة التي تمت كلها بخطوطها التي رسمها لورنس واللنبي وغيرهم إنما كانت تستهدف تمزيق الوحدة الإسلامية العربية والتركية للسيطرة على فلسطين وتقديمها هدية لليهودية التلمودية ووليدتها الصهيونية . ولا ريب أن الوصول إلى فلسطين هو بمثابة المرحلة الثالثة في برنامج السيطرة العالمية الذي أضمرته بروتوكولات صهيون التي تكشف أمرها عشية المؤتمر الصهيوني الأول في بازل (بال) عام ١٨٩٧ والتي تستهدف إلى إقامة حكومة عالمية تسيطر من النيل إلى الفرات وتستوعب المجتمع الإسلامي كله وتعد العدة لهذه السيطرة ببرنامج غزو فكري وعقائدي ونفسي يستهدف تدمير المجتمعات الإسلامية والعلمية جميعاً من أجل تحقيق السيطرة العالمية التلمودية . والصهيونية هي الواجهة السياسية لأهداف الأيدولوجية التلمودية اليهودية ، وهي ثمرة عمل الماسونية سنوات طويلة وهي التجسيد الواقع للمخططات اليهودية ومنطلقها السيطرة على أرض فلسطين وإقامة دولة إسرائيل . وهي بمثابة تحقيق النبوة الزائفة التي رددتها التوراة التي كتبها عزرا وخطط لها التلمود وتعتبر الحركة التلمودية *

اليهودية خادمة لها فتكون هي بدورها نواة الدولة العالمية اليهودية . ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لابد لليهودية العالمية من السيطرة على الدولة العثمانية التي تقع فلسطين في نطاقها . ومن أجل هذا بدأت المحاولات لإقناع السلطان عبد الحميد بالسماح لليهود بالإقامة في فلسطين في مقابل أن تقوم اليهودية العالمية بتحقيق عدد من المشروعات والخدمات منها تسديد ديون الدولة وإقامة عديد من المشروعات التجارية والاقتصادية . وقد رفض السلطات عبد الحميد عروض اليهود رفضاً باتاً فكان أن اتجه اليهود إلى تمزيق الدولة العثمانية عن طريق إثارة الثغرات العنصرية وإيقاع الفريقين المسلمين اللذين يشكلان الدولة : [الترك والعرب] في صراع شديد انتهى بانضمام تركيا إلى ألمانيا وانضمام العرب إلى (فرنسا - إنجلترا) وبذلك تمزقت تركيا بعد نهاية الحرب وقسمت ممتلكاتها العربية بين فرنسا وإنجلترا وأقيم نظام الانتداب البريطاني في فلسطين مع إعلان وعد بلفور الذي مهد لتسليم فلسطين لليهود وقد تم هذا خلال (١٩١٨ - ١٩٤٨) حيث قامت دولة إسرائيل وشرد العرب من أهل فلسطين ثم أمكن لإسرائيل أن تسيطر على بيت المقدس عام ١٩٦٧ . وبذلك حققت الصهيونية العالمية هدفها الأول من انبعاثها كحركة سياسية في العصر الحديث وإقامة الوطن القومي اليهودي وتهجير الآلاف من اليهود الذين هاجروا من روسيا ورومانيا وبولندا منذ عام ١٨٨٢ على أثر مقتل القيصر وقد توالى هذه الهجرات واتسع نطاقها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام حكومة الاتحاديين في تركيا وهي الحكومة التي ناوت خطة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السلطان عبد الحميد والتي تكونت أساساً في محافل الماسونية اليهودية في سالونيك ، والتي فتحت الهجرة إلى فلسطين واسعاً حتى تجمع في فلسطين قبيل الحرب العالمية الأولى ٩٠ ألفاً ثم توالى الموجات بعد ذلك في ظل الصراع بين اليهود وألمانيا النازية منذ عام ١٩٤٤ . ولم يكن موقف ألمانيا النازية من اليهود هو العامل الأساسي في الهجرة ولكن الهجرة كانت بدأت قبل ذلك بوقت طويل من روسيا ورومانيا وبولندا أثر المذابح التي دبرت ضد اليهود في روسيا بعد اغتيالهم القيصر ، وحينما استولى النازيون على الحكم في ألمانيا وقعت مصادمات اضطرت اليهود إلى الهجرة من ألمانيا هرباً من الاعتقالات التي لم يتجاوز عدد الذين قبض عليهم فيها وعذبوا أو قتلوا بضع آلاف وليس كما يدعى اليهود أنهم بضع ملايين . وثبتت الوقائع أن الصهيونية استهدفت من إثارة هذه الازمة النازية تحقيق

عدة نتائج خطيرة تحت ستار دعوى التعذيب والاضطهاد . فقد استطاعت الصهيونية أن تحقق مكاسب اقتصادية كبرى وأن ترحل عدداً أكبر من اليهود ، وقد عقدت بين ألمانيا النازية والمستوطنين الصهيونيين في فلسطين اتفاقية صرحت بمقتضاها لليهود بالهجرة وتم الاتفاق على طرق الإفراج عن أموالهم وذلك مقابل كسر الصهيونية للحصار الإقتصادي الذى فرضه اليهود على البضائع الألمانية وقد فتحت ألمانيا لليهود امتياز احتكار البضائع الألمانية المصدرة إلى فلسطين وبلغ ما حولته ألمانيا ما قيمته ١٤٠ مليون مارك مما أنعش اقتصاديات المستوطن اليهودى . وكان هذا من أكبر دعائم الاساس الإقتصادي للاستيطان اليهودى في فلسطين . وكان تهجير « اليهود » هو الأرض المشتركة الايدولوجية بين الصهيونية والنازية فكانت وزارة الاقتصاد الألماني تدعم الهجرة ، ثم الهجرة غير الشرعية بعد أن توقفت الاولى ، وهذا الذى نقوله تقرره مصادر كثيرة منها موسوعة المصطلحات الصهيونية وغيرها بما يكذب الادعاءات الباطلة التى مازالت الصهيونية العالمية ترددها عن مذبحه النازية وعن ما أسموه « عقدة الذنب » التى استولت بها على مئات من الملايين المارك الألماني .

(٢) الواقع أنه ليست أزمة القيصريّة الروسية هى المنطلق الحقيقى للهجرة إلى فلسطين وليست الأزمة النازية هى التى وسعت أفق الهجرة إلى فلسطين وما هذه كلها إلا مقتضيات ومبررات أريد بها خلق تحديات وخلق واقع يبرر العمل المرسوم المرتب المخطط من قبل ولقد كان فى الإمكان حل قضية الهجرة اليهودية من روسيا عام ١٨٨٢ ومن ألمانيا عام بوسائل أخرى وإلى مناطق أخرى ، ولكن الفكرة التلمودية التى أيقظت دعوى العودة إلى أرض الميعاد قد تلاقت مع مخططات الاستعمار الغربى والروسى فى الاطباق على موضع القلب من أرض المسلمين ووجودهم الجغرافى فى جولة جديدة شبيهة بالجولة التى قامت بها أوروبا المسيحية من خلال الحروب الصليبية ، وقد كانت الجولة الاولى تحمل اسم استخلاص قبر المسيح أما هذه المرة فهى استخلاص أرض الميعاد . إن الهدف هو أن تضع الصهيونية العالمية يدها على أدق نقطة وأخطر موقع فى عالم الإسلام كله بحيث تستطيع أن ترث الإمبراطوريات الرأسمالية وأن تكون قادرة بالسيطرة على المواقع الاستراتيجية والجغرافية فى ملتقى القارات الثلاث وأن يتاح لها السيطرة على مقدرات هذه المنطقة الغنية بالبترول والمنجنيز والفوسفات وكل أدوات الصناعة حتى يمكن لليهودية التلمودية

أن تضمن امتلاك مصادر الثروة العالمية التي تحتوى كل موارث الأمم وعقائدها ومعطياتها . ويبدو هذا واضحاً من عشرات التصريحات والكتابات التي تنم عن أن الايدلوجية الصهيونية تخطط لإمبراطورية في هذه المنطقة تتولى إسرائيل مركز النقل فيها وعندما نرى واحداً منهم مثل (غازار وايزمن) : أنه لا عطف ولا رثاء حتى ننتهى بالحضارة العربية التي بنى على أنقاضها حضارتنا ، عندما نرى ذلك نعرف الغاية البعيدة من الاستيطان اليهودي على أرض فلسطين ، ونتبين مدى ما تهدف إليه « المؤامرة اليهودية العالمية » التي تطمح في الاستيلاء على العالم وإنشاء حكومة عالمية يكون مركزها القدس وأنها تلتمس من أجل ذلك أساليب الغزو الفكرى الخطير الذى يستهدف تخريب الاخلاق وإفساد النفوس . على النحو الذى كشفت عنه بروتوكولات صهيون ، ومهما قالت الصهيونية وأيدتها الماركسية والشيوعية - ونحن نعرف نسبهما - أن هذه البروتوكولات باطلة فإننا نجد في قسماتها ملامح ذلك المخطط بل إننا نجد أن كثيراً مما أشارت إليه قد تم تطبيقه وتنفيذه . وتذكر البروتوكولات أن حاخامات اليهود وقادتهم قد عقدوا مؤتمراً سرياً يهدف إلى وضع خطة محكمة بالتعاون مع الماسونيين الاحرار (ليبراليين أو شيوعيين) لإقامة وحدة عالمية مقرها القدس ، وأن ذلك المخطط يتم عن طريق تفويض دعائم الأسرة وصلات القرابة وهدم الاخلاق والإيقاع باللؤلؤ الأوربية وتخريب المؤسسات المسيحية وتدمير العواصم الاوربية وإفساد أخلاق العالم المسيحى الاوروبى . وأنه في المرحلة الاولى يسيطر اليهود على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام حتى لا يتسرب للرأى العام إلا ما يريده اليهود . كما أنها ترى أنه يجب على اليهود أن يحاولوا السيطرة على الدول الاستعمارية وتسخيرها حسب أهوائها (وهذا قد تم فعلاً) وأنه لا بد من تمزيق العالم إلى معسكرين متنازعين (وقد تم هذا فعلاً) وأنه لا بد من إثارة موجة عارمة من موجات تدمير الاخلاق والحملة على الاديان وإثارة روح الإلحاد والإباحية والكشف والعري والفساد الخلقى (وهذه الموجة في أبنائها الآن) . وقد دعت البروتوكولات إلى السيطرة على الفلسفات والاديان وأشارت إلى أثرها في بعض المناهج والايدلوجيات حين قالت : (إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل وأن الاثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحاً ولكن ينبغي أن يدرس أثرها على أخلاق الأمم والجماعات) كذلك فقد كشفت الصهيونية العالمية في السنوات الاخيرة عن هدفها حين أعلنت أنها

أوقدت الحرب العالمية الثانية لكي تحقق لروسيا مكان الصدارة والمساواة بالغرب الرأسمالي ، وأن الحرب العالمية الثالثة ستكون هي الحرب التي تحقق سيطرة اليهودية التلمودية على العالم . وقد أشار إلى هذا المعنى الحاخام عمانويل إيفانوفيتش عام ١٩٥٤ في تصريح له في بودابست حين قال إن اليهودية العالمية تعمل على إثارة روح الحرب بين أمريكا وروسيا حتى يضعف الخصمان وتتضعف قواهما ثم تتم السيطرة اليهودية على العالم ويفرض الشعب الإسرائيلي سلطانه وينشر العقيدة الإسرائيلية . ومن هنا نعرف أبعاد الخطة الصهيونية التي هي مرحلة من مراحل المؤامرة اليهودية التلمودية والتي تهدف إلى جواز السيطرة على « الأرض - المقدرات - الثروة » إلى تحطيم المعتقدات الإسلامية والمسيحية وسحق القيم الروحية والمعنوية وإثارة الشكوك حول المعتقدات وإدخال الإسرائيليات والسموم التي صنعها مفكرى اليهود إلى الفكر البشرى لاحتوائه وتدمير الأصول الاصيلة من الفكر الرباني الذي جاء به رسالات السماء . ومن هنا كان لابد من دراسة الايدلوجية التلمودية أساساً دون التوقف عند الجوانب السياسية وحدها ، على النحو الذى يفعله الباحثون ، من حيث التركيز على الصورة الظاهرة التي قد تخدع كثيراً . والواقع أن هذه الصورة الظاهرة ليست في الحقيقة إلا وسيلة للتعرف على أبعاد المخاطرة الصهيونية والمؤامرة اليهودية التلمودية التي تحاول تغيير العقلية البشرية القائمة فعلا واحتوائها كاملا للسيطرة عليها كمقدمة لتحقيق السيطرة اليهودية العالمية . والواقع أن « إسرائيل » ليست هي كل الحركة الصهيونية وما هي إلا واجهة للايدلوجية التلمودية الضخمة : يقول الدكتور أيدر رئيس اللجنة الصهيونية « أهداف الصهيونية هي إبادة العرب جميعاً » ويقول « موسى ديان » : « لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا إلى يشرب وإلى بابل ، ويقول نورمان نيتوتش اليهود الإنجليزى : في وسع اليهود الامتداد إلى جميع البلاد التي وعدوا بها في التوراة من البحر المتوسط حتى الفرات ومن لبنان إلى النيل فهذه هي البلاد التي أعطيت لشعب الله المختار . وليس أدل على ما كان يبيته اليهود من وراء الاستعمار البريطاني بعد دخول القدس عام ١٩١٧ من قول بربارة توخمان اليهودية في كتاب (التوراة والسيوف) : وهكذا دخل الجنرال اللبني إلى القدس ١٩١٨ فنجح حيث كان ريتشارد قلب الاسد قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة إسرائيل إلى الان قد أصبحت حقيقة واقعة وكذلك لم يكن بإمكان النبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد

أى لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الاصل الاساس الذى يحمل النصرى على التعلق بالارض المقدسة وأنه من غريب التهجم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم وإلى حد ما ، بفعل الدين الذى أعطوه للآيين . (٣) كان دور اليهودية التلمودية بعيد الخطر في التأثير على العالم الإسلامى منذ نهاية الحروب الصليبية . فمنذ اتصلت أسباب الماسون بالدولة البريطانية فقد امتدت علاقة الربا والاقتصاد وتأثيرات اليهودية العالمية في مختلف المناطق التى امتد إليها نفوذ بريطانيا. يقول المرحوم الدكتور محمود صالح رائد الدراسات الإسلامية التى كشفت عن نفوذ اليهودية ومحاذيرها منذ الثلاثينات : مع تقدم الصناعات والاكتشافات في إنجلترا أول بلد ظهر ببقوته الصناعية في العالم كثر عدد المهاجرين اليهود فتكونت منهم الشركات التجارية والسماسرة والتجار وأصحاب البنوك . وأول هذه الشركات : شركة الهند الشرقية الى نافست البرتغال وهولندا وانتصرت عليهم . فقد وضعت أقدامها في الهند وخليج فارس ثم تضاعفت جهودها للقضاء على الصناعات المشهورة في الهند كالنسيج والصننى وست لذلك قوانين حرمت صناعة القطن الهندى ثم شجعت واحتكرت بيعه لبريطانيا فقط . ظهر في هذه الفترة كثير من رجال الاقتصاد وأولهم اليهودى آدم سميث فمن هذه اللحظة واليهود يسودون الهند ثم احتلت بريطانيا مالطة وقناة السويس وخليج فارس وعدن وجزائر سيشيل وسنغافورة وسواحل الهند وجبل طارق ورأس الرجاء الصالح . وذرزائلى اليهودى رئيس الوزراء البريطانية عام ١٨٦٥ هو الذى أعلن الهند درة التاج البريطانى تحت حكم الملكة فيكتوريا . وقد اشترى قناة السويس بمساعدة (روتشيلد) بعد أن سبق المزابين اليهود (ابنهايم) وغيره من التجار حين أقرضوا الخديوى اماعيل ١٢٦ مليون جنيه انتهت بوضع المراقبة الأجنبية على مصر وتعيين وزيرين أجنبيين في الحكومة المصرية . وقد غلرت السياسة اليهودية بسكان جزيرة العرب فقسمت بلادهم وجعلت فلسطين وطناً قومياً حسب إدارة الوزير الإنجليزى بلفور . وقد أكثر اليهود والماسون من تأسيس المعاهد اللادينية والجمعيات التى تعمل دائماً على نشر الدعوة حتى أن اليهود في العالم هم الذين يتحكمون في العمل السينمائي وكتابة الروايات ونشر المودة حسب ما يرونه لائقاً . ويسيطرون على أقلام هوليوود التى تعتبر أقوى عامل للتأثير الاجتماعى والاقتصادى العالمى وقد تسترت الصهيونية تحت لباس الماسونية ، وأول اتجاهات الماسونية هي محاربة الديانات بالدعوة إلى حرية الفكر والدعوة إلى الجمهوريات والحكم الديمقراطى وبذلك يستطيع اليهود أن يكونوا

رؤساء الجمهوريات ، وبعد أن كانت المسيحية سياسة بابوية أصبحت كل أمة مستقلة داخلياً في سياستها وقد اشتعلت الماسونية دائماً بالقرب من القصور الملكية ، وداخلها وعينت بالتدخل في وزارات الحربية والخارجية ووجهت سياسة الأمم حسب ما تراه وأظهرت قوتها منذ أربعمئة عام في إنجلترا وقد أسس الثورة الفرنسية جماعة الماسون وهم يعقوبيون الذين يطفح بذكرهم التاريخ الفرنسى ، ولم يستطع نابليون التخلص من سلطة اليهود الإنجليز ، لأن حربه كانت ددوية كما كانت اقتصادية بمناجزه إنجلترا تجارياً ، لقد انطفأ نجم نابليون على أيدي فرنسيين كانوا يعملون لحساب الأمم الأجنبية منهم وزير خارجيته : تاليران . ومن أشهر الثورات بعد الثورة الفرنسية : ثورة عام ١٧٣٠ و ١٨٤٨ في فرنسا وعام ١٨٤٨ في فرنسا وألمانيا وعام ١٨٦٠ في إيطاليا وقد تزعم هذه الثورات : كارل ماركس اليهودى الشيوعى ولاسل الاشتراكى اليهودى ولو قرأنا برنامج الثورة الإيطالية لوجدناه حرفياً كبرنامج روسيا الشيوعية عام ١٩١٧ ولكى يضمن اليهود السلطة طالبوا بحق الانتخاب لجميع السكان فوافق الأوروبيون على هذه الفكرة وأصبح يبحث عن يدفع مالا أكثر ويقوم بدعاية أكبر وبهذه التطورات جميعاً ساد اليهود البرلمانات والوزارات وأنشأوا الصحف والمجلات للدعاية والإعلان وجاءت الحرب العظمى بأمر اليهود بعد أن انتزعت من الملكورؤساء الجمهوريات سلطة إعلان الحرب وتعيين الوزراء مما قاد ١٥ مليوناً إلى المذبحة البشرية بين المسيحيين والمسلمين ١٩١٤ - ١٩١٨ . وقد قام بها اليهودترويجاً لأموالهم وصناعاتهم كما قالت جريدة أكسيوس فرانسييس بتاريخ ١٦-٣-١٩٣٨ نقلاً عن مجلة انجليزية . وكتبت مجلة جويش وورلد اليهودية في ١٦ يناير ١٩١٩ : قامت الدولة اليهودية بعمل هذه الحرب العالمية لا من أجل اختزان الذهب وجمع مبالغ طائلة من الأرباح فقط ولكن عملتها لتستطيع القيام بحرب ضروس لا تبقى ولا تذر ، فاليهودية العالمية هى التى أشعلت الحرب ووضع ويلسون شروطالصلح كما أملت عليها اليهودية الدولية « أه(٤) كانت الماسونية في العالم الإسلامى هى الإطار الراسع الذى تحركت فيه اليهودية التلمودية فأفرزت الصهيونية وقد أدخلها اليهود في الدولة العثمانية ونشروها في كل أجزاء البلاد العربية وخاصة الشام ومصر وكان قادتها هم الدوغة وهم اليهود الذين هاجروا من الأندلس عام ١٤٩٢ واستوطنوا سالونيك وأعلنوا إسلامهم تقية ومن خلال مراكزهم إلى أقاموها في الدولة العثمانية استطاعوا السيطرة على حركة الاتحاد والترقى (تركيا الفتاة) وأفسحوا لها في محافلهم التى كانت بعيدة عن رقابة الدولة (الدوغة ٥٠ ألف

يهودى ولم خمس محافل ظهرت الاتحاد والترقى) كذلك فقد استطاعوا احتوائهم بحيث جعلوا دعوتهم القومية موجهة ضد الإسلام والوحدة الإسلامية ودولة الخلافة فكانوا هم أعوان الصهيونية في هدم الدولة العثمانية وتمزيق الرابطة بين العرب والترك وإيقاد نار الخصومة بينهما وقد استطاعت اليهودية التلمودية عن طريق الماسونية إسقاط السلطان عبد الحميد وتمزيق الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة . وقد أشار صاحب المنار إلى أن بعض المسلمين خدعوا بالماسونية أيام الاستبداد وظنوها الوسيلة التي ينجون بها من ظلم المستبدين وجورهم ولكن كثيراً منهم بعد أن اختبروا الماسونية وعرفوا دخيلتها انفضوا عنها وهكذا فعل الشيخ محمد عبده كما أخبر عن نفسه . وجعلها قبله الشيخ جمال الدين وعرفنا بعض نخبة القوم من مسلمين ودروز كانوا بعد دخولهم في الماسونية يحذرون أصحابهم ويشيرون على كل من طلب رأيهم منها أن يبعدوا عنها طاعتهم معلنين انخداعهم بها (المنار م ٨ ص ٤٠١) . ويشير جرجى زيدان صراحة في رده على سؤال : أجمعيه الاتحاد والترقى ماسونية ؟ إلى أن الماسونية مولت الاتحاديين في مؤامرة قلب حكومة السلطان عبد الحميد وإن الماسونية سعت أولاً في جمع كلمتهم لما كان هؤلاء الضباط « في حاجة إلى المال والدرهم لتنفيذ ما قصده من قلب الهيئة الحاكمة فكان الماسون وكثير منهم من اليهود المثيرين يعدونهم بامدادهم بالأموال » ثم يقول : فلما تم الانقلاب الدستوري رفعت الماسونية رأسها وعزت الفوز إلى مساعيها وصورت جمعية الاتحاد والترقى كجمعية ماسونية محضة وكان أعضاؤها إذا ساروا في عواصم أوروبا يبحثون عن المحافل الماسونية ، ويسلمون على رؤسائها . وهكذا نجد أن الماسونية التي تشكلت في أحضان الدوثة : الخمسون ألفاً من اليهود الذين عاشوا منذ عام ١٤٩٧ في سالونيك والذين أعلنوا إسلامهم في وقت باكر استعداداً لهذه الخطة وقصد احتضنوا حركة الاتحاد والترقى وحولوها في الاتجاه الذي خططوا له والذي تم على مراحل على الوجه الآتي : أولاً : السيطرة على الحكومة وإسقاط السلطان عبد الحميد الذي رفض قبول اليهود في فلسطين ولم يرحبه الوعد أو الوعيد عن خطته وإقامة الحكومة الاتحادية التي أفسحت لليهود الدخول في فلسطين والإقامة فيها وشراء الأراضي . ثانياً : إيقاع الصراع والخصومة بين عنصرى الدولة العثمانية تمهيداً لتدميرها وإدخالها في الحرب العالمية دون حاجتها إلى ذلك حتى يمكن تمزيقها والاتفاق مع العرب لمولاة البريطانيين في سبيل إقامة دولة لهم ثم الوقعة بين العرب والترك وإدخالهما في حرب وقتال وتعليق اليهود للعرب على المشانق

في محاولة للفصل بينهما : ثالثاً : إثارة روح العرق والعنصر في الأتراك تحت اسم الطورانية ومحاولتهم تتركب العرب وتغيير لغتهم وثقافتهم بما يدفع العرب إلى الدعوة القومية العربية واحتواء الدعويين بمفاهيم غريبة . رابعاً : خداع العرب بعد الوعد لهم بالدولة وتمزيقهم إلى احتلالين فرنسي لسوريا وبريطانيا للعراق وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني وإعلان وعد بلفور لليهود بإقامة الوطن القومي : وهكذا تحققت للماسونية الخطة التي استطاعت بها إقامة الصهيونية على أرض فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل على مرحلتين : (الأولى) : بعد الحرب العالمية الأولى بإدخال أعداد ضخمة من المهاجرين وإقامة الكيان الصهيوني بها . (الثانية) : بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بإعلان دولة إسرائيل وإجلاء العرب الفلسطينيين عنها . ثم توالى الخطوات حتى استطاعت إسرائيل أن تسيطر على القدس عام ١٩٦٨ وتلك هي ذروة هذا المخطط الصهيوني الذي بدأ عام ١٨٩٧ في بال بانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول وإعلان هرتزل قيام الدولة اليهودية قال هرتزل : إذا ما أردت تلخيص معنى مؤتمر بال وهو ما لن أفعله علناً فإنني أقول : في بال أقيمت الدولة اليهودية ، وإذا ما قلت هذا القول اليوم بصوت مسموع فسأقابل بالسخرية في العالم ولكن من المحتمل بعد خمسة أعوام وبالتأكيد بعد خمسين عاماً سيرى الدولة كل إنسان . ولما توفي هرتزل في يوليو ١٩٠٤ خلفه : ماكس نوردو ، وديفيد ولفسون ، وأوتو وأربورج ثم ظهر حايم وايزمان في لندن وبه دخل العمل الصهيوني في مرحلة التنفيذ حين أقام الوكالة اليهودية التي عملت على (١) تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتعزيزها . (٢) تلبية الاحتياجات الدينية لليهود . (٣) تطوير اللغة العبرية والثقافة العبرية . وكان أبرز العاملين في هذه المرحلة : وايزمان ، بن جوريين ، ناحوم جولدمان وتشمل خطة اليهودية العالمية في هذه المرحلة في عناصر أربع متداخلة : (ماسونية - صهيونية - لا سامية - شيوعية) للسيطرة على العالم والمعروف أن وعد بلفور لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين صدر عام ١٩١٦ وإن الإنقلاب الشيوعي تنفذ عام ١٩١٧ وبذلك تحققت مقومات المؤامرة اليهودية التلمودية في السيطرة على الغرب وتمزيق وحدته السياسية وإقامة الصراع بين الرأسمالية والشيوعية ثم بدأ الصراع مع العالم الإسلامي . ودور الماسونية في بناء الصهيونية واضح : تقول الصحيفة اليهودية (لأقاربنا إسرائيل) العدد ٥ ص ٧٤ : « إن روح الحركة الماسونية هي الروح اليهودية في أعظم معتقداتها الأساسية : إنها أفكارها ولغتها وتسير على نفس تنظيماتها وإن

الامال التي تساعد وتنير طريق الماسونية وتسند حركتها هي نفس الآمال التي تساعد وتنير طريق إسرائيل وتتويج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المصلح الرائع الذي ستكون أورشليم (القدس) رمزه وقلبه النابض وفي البروتوكولات إشارة إلى المحفل الماسوني المنتشر في أنحاء العالم والذي يعمل « في غفلة كفناح لأغراضنا » وكذلك قول بربارة توخمان في كتابه اليهودية والسيف : (إن المؤسسين الأصليين للوطن القومي اليهودي وبالتالي لإسرائيل في فلسطين هم الماسونيين » . (٥) منذ أصدر هرتسل كتابه (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٥ بدأت خطة محاصرة العالم الإسلامي والدولة العثمانية . وقد سجل هرتزل في مذكراته التي بدأها في أيار عام ١٨٩٥ واستمر يكتبها إلى أيار عام ١٩٠٤ الذي توفي فيه ذلك الجهد الضخم الذي بذله في سبيل إحتواء الدولة العثمانية ، وقد مهد لذلك بالمخططات التي سبقته إلى تحقيق هدف الحركة الصهيونية وهو أن تصبح اليهودية التلمودية مرتكزة على الأرض واللغة وذلك بالاستيلاء على أرض فلسطين بالقوة وطرد أهلها وقتلهم وإبادتهم على النحو الذي فعله الأوربيون في الاستيلاء على أرض أمريكا وإبادة الهنود الحمر . ولقد تعددت محاولات الاستيلاء على أي أرض سواء في بريطانيا أو جزر الهند الشرقية أو أمريكا الجنوبية أو على نهر نياجرا أو الأرجنتين ومن هذا الاستعراض تبين أن فلسطين حتى منتصف القرن التاسع عشر لم تكن المطلب الوحيد لإقامة الوطن القومي لليهود فقد - كانوا نتيجة الاضطهاد وخاصة الاضطهاد الروسي الذي بدأ عام ١٨٨٢ وهاجر من جرائه مليونين ونصف يهودي من روسيا - كانوا يحلمون بأي مكان يجتمعون فيه . ويبدو ان خطة إحتلال فلسطين كانت فكرة في نفوس الدعاة الدينيين أمثال شبتاي لبي الذي دعا إلى ذلك عام ١٦٢٦ ، وان هذه الفكرة صادفت هوى في نفوس الاستعماريين الذين وجدوا فيها حلاً لمشكلتين في وقت واحد : (الأولى) : إخراج اليهود من أوروبا والتخلص نهائياً من التحدى اليهودي في المجتمعين الغربي والشيوعي معاً . (الثانية) : إيجاد كلب الحراسة الذي تستطيع الدول الغربية الاستعمارية أن تتخذه وسيلة لضرب حركات التحرر واليقظة في العالم الإسلامي . ويرى الماركسيون : « إن الدعوة إلى إنشاء « دولة يهودية » لم تبدأ في صفوف اليهود وإنما بدأت بين المفكرين والزعماء وأصحاب المصالح الاستعمارية في الشرق ومما له دلالة إن من أوائل الداعين لعودة اليهود إلى فلسطين لتأسيس وطن قومي لليهود هم : نابليون بونابرت ممثل المطامع الاستعمارية الفرنسية في الشرق ، كما أن الفكرة كانت مطروحة بين المفكرين الاستعماريين في إنجلترا

وأوروبا عامة ، ولقد كانت الدعوة لذلك غريبة على الجماهير اليهودية على المفكرين اليهود لأنهم كانوا إما متدينين تنتظرون مقدم « الماشيخ المخلص » ليعود بهم ليؤسس هو الدولة دون أى تدخل بشرى ، أو علمانيين يدافعون عن الاندماج . قد طرح هيس الصهيونى الفكرة فى منتصف القرن ١٩ فى كتابه ذى الطابع الواضح ، (روما والقدس) وعالج بنسكر الفكرة ذاتها فى كتابه (الانعتاق الذاتى) ثم تعرض هرتزل لنفس الموضوع فى كتابه : (الدولة اليهودية) وقد واجهت الفكرة معارضة من اليهود الاصلاحيين واليهود الأرثوذكس ولم يكتب للفكرة التحقيق إلا حينما تبنت الدول الامبريالية الحركة الصهيونية وفرضت التجمع الاستيطاني الصهيونى على الواقع العربى . وأشار هرتزل إلى قبرص وإلى شرق أفريقيا أو الأرجنتين وأشار ليون بنسكر إلى وطن قوى لليهود فى أى مكان تخلصاً من الإضطهاد الأوروبى لليهود ، وفى لقاء هرتزل وتشمبر لين رئيس وزراء بريطانيا عرض الأخير أن تجمعهم الحكومة البريطانية فى أوغندا أو نيروبي . ويقول هرتزل فى يومياته : لم نقل فى بادئ الأمر أن فلسطين هى البلد الذى يجب أن تقوم فيه الدولة الصهيونية . وتقول أنه بعد تأسيس الدولة الصهيونية وعقد عدد من المؤتمرات السنوية كان لا يزال يرحب بإنشاء الدولة اليهودية فى أى مكان وإن لم يكن ذلك المكان فلسطين حتى ولو كان شرق أفريقيا . وقد أشارت مذكرات هرتزل إلى لقاءاته المتعددة مع الملوك والحكام من أجل الدولة اليهودية وخاصة غليوم الثانى امبراطور ألمانيا والبابا وعدد من حكام أوروبا . ولقائه الخطير الحاسم مع السلطان عبد الحميد ويتمثل فى يوميات هرتزل « أسلوب الفكر الصهيونى المراوغ باستمرار فى سبيل الأغراض والأهداف » . والمعروف أنه بعد إنعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال عام ١٨٩٨ والذى وضع مقرراته بإنشاء الوطن اليهودى والذى تكشفته بعده « بروتوكولات صهيون » بدأ هرتزل جولته فى العمل لاحتواء السلطان عبد الحميد عن طريق الترغيب ثم الإرهاب وقد كان موقف السلطان عبد الحميد واضحاً صريحاً : « بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة فى هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فإنى لست مستعداً لأن اتخلى من شبر واحد من هذه البلاد ليذهب إلى الغير ، فالبلاد ليست ملكى بل هى ملك شعبى روى تراها بدمائهم فلتحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب » وعرف اليهود أن طريق السلطان محفوف بالخطر ، إذن فليزول السلطان وليفتح الطرق أتباعهم الاتحاديون ، وقد كشف السلطان عن تامر الاتحاديين مع الصهيونية فى خطابه إلى شيخ الطريقة الشاذلية : « محمود

أبو الشامات » : حين قال : إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى . أننى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة بإسم جون تورك وتهديدهم اضطرت وأجبرت على ترك الخلافة . أن هؤلاء الاتحاديين قد أصرروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأراضى المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم ، فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء . وبعد جوانب القطعى انفقوا على خلعى وأبلغونى أنهم سيعيدوننى إلى (أسلانيك) فقبلت هذا التكليف الأخير وحمدت المولى وأحمدته أنى أقبل أن ألتطخ الدولة الثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة : فلسطين (٢٢ أيلول ١٣٢٩) . وكان إسقاط عبد الحميد ١٩٠٩ هو التمهيد لإلغاء الخلافة عام ١٩٢٤ . وكان الذى أبلغ السلطان قرار الخلع (قرة صو) عضو حزب الاتحاد والترقى : اليهودى الأصل . كان موقف السلطان الأخير ١٩٠٢ وكان عزل السلطان ١٩٠٨ حيث تمكن اليهود من تأليب الدول الاستعمارية على الدولة العثمانية ، وإثارة السموم والدسائس حول السلطان ورميه بمختلف الاتهامات يقول مؤلف كتاب الماسونية الحرة الذى صدر فى باكستان عام ١٩٧٢ . Fres Masonyey a chitital elday . إن المتآمرين اليهود فى الدولة العثمانية (١٢٩٩ - ١٩٢٠) كانوا يتلقون مساعدات فعالة من قبل الماسونيين الأحرار كما ثبت من عدة مصادر أخرى أنهم قد تغلغلوا فى صفوف الجيش التركى وأغروا العناصر المتمردة فى معسكرات مقدونيا وهنا أصبح من الأسير لهم أن يتآمروا مع بعضهم البعض وأن يتصلوا بالماسونيين الأحرار : ويقول برنارد لويس فى كتابه (ظهور تركيا الحديثة) أكسفورد عام ١٩٦٥ لقد كانت المحافل الماسونية أكبر من مجرد غطاء لإجتماعات الشباب الأتراك فى نوفمبر عام ١٩١١ قام أبو ضياء توفيق لأول مرة بربط المحافل الماسونية بالمطامع اليهودية ، وقد كان من قبل كثيراً ما يعرب عن اهتمامه بالصهيونية وكشف المؤلف كيف تواطئت اليهودية الماسونية سرّاً للقضاء على السلطان عبد الحميد لأنه كان شديداً العداء لليهود وأنه رفض السماح لهم بالاستقرار فى فلسطين فأخذوا يعملون على إعادة مراد تبعاً لصلاته السابقة بالماسونية . ويقول إن الماسونية والصهيونية هما وجهان لعملة واحدة فالموضوع الذى يدور حول الماسونية هو التاريخ اليهودى وأن جميع طقوسها مشتقة من التراث

اليهودى . ويعتبر الهيكل وتاريخه وبناءه وهندسته وتدميره وإعادة بناءه وتدميره للمرة الثانية والتطلع إلى بناءه من جديد كل ذلك يمثل الفكرة الأساسية ومركز كافة المراسم والطقوس الماسونية . ويقول طه الولى : كانت غاية اليهود إزاحة السلطان عبد الحميد من طريقهم الموصل إلى فلسطين ، ولذلك تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين وأوعزوا إليهم بالخروج إلى الشوارع والمناداة بتطبيق الشريعة المحمدية وهو ما يسمى يومئذ بحركة الارتجاع قاصدين من وراء ذلك إحراج السلطان ودفع الاتحاديين إلى الثورة عليه والتخلص نهائياً منه تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه فيما بعد ، وقد واثت هذه الحركة الارتجاعية أملها بالنصر لليهود . فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدماً نحو يلدز طالباً إزاحة العرش من تحت سيده الذى رفض النزول عند مغريات اليهود لتحقيق مطامعهم » . ومنذ سقط السلطان عبد الحميد فقد فتحت فلسطين أبوابها للهجرة اليهودية وجرذ المخطط فى طريقه إلى غايته عن طريق خلفاء هرتزل أما لورنس فقد تولى تمزيق الوحدة بين العرب والترك حرّض على إقتتال المسلمين فى الجزيرة العربية حيث أعلن العرب الثورة على الترك فلما خرجوا من القدس دخلها اللورد اللنبي ولما خرجوا من دمشق دخلها الجنرال غرو أما بالنسبة للدولة العثمانية التى دخلت الحرب العالمية الأولى بلا مسوغ فقد فرضت عليها الهزيمة والتقسيم وقيام النظام التركى الذى صنّى الإسلام تماماً وكان أتانورك ورجاله هم الوجه الآخر للاتحاديين : أعوانهم وخلفائهم « وفى انقلاب مصطفى كمال أتانورك وهو من اليهود الدوثة جرت المجازر للمسلمين وسلمت البلدان الإسلامية التى كانت تابعة للدولة العثمانية إلى المستعمرين الصليبيين بتحريض من اليهود ومؤامرتهم » . وعندما أصدرت الحكومة البريطانية عهداً بإنشاء الوطن القومى اليهودى (وعد بلفور) فى ٢ من نوفمبر ١٩١٧ كانت القوات البريطانية بقيادة اللورد اللنبي فى طريقها إلى بيت المقدس ، وفى التاسع من ديسمبر من ذلك التاريخ استولى الإنجليز على بيت المقدس ووقف اللورد اللنبي يقول : الآن انتهت الحروب الصليبية . ولم يكن هذا فى حد ذاته إلا تطبيقاً للمشروع الذى وضعه كامبل بثرمان وزير خارجية بريطانيا عام ١٩٠٧ عندما دعا مجموعة من العلماء والمؤرخين للبحث عن أسلوب يطيل عمر الاستعمار البريطانى فأشار العلماء بإقامة حاجز بشرى يفصل آسيا عن أفريقيا ويعزل مصر عن بقية الدول العربية شرق سيناء ، وكان هذا هو مشروع البريطانى بالمرستون أيام محمد على وحربه مع الدولة العثمانية : وكان الحاجز هو تجمع اليهود فى فلسطين وإقامة وطن قومى لهم فيها بحماية بريطانيا ورعايتها

وقد بعث اللورد اللنبي عام ١٩١٨ إلى لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني بعد احتلال القدس يقول : « أن بريطانيا تحكم الآن في الشرق الأوسط ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود في وقت واحد ، وإني أقترح منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم باعتبارهم الشعب الذي سيكون المخلص الموالي في المستقبل وسوف يكون حجر الزاوية في الشرق الأوسط وبناء على توصيات كامبل بترمان كانت بريطانيا مقتنعة تماماً بأن وجود دولة يهودية في فلسطين يمكن أن يؤدي دوراً في حماية المصالح البريطانية في المنطقة العربية وطرق مواصلاتها إلى الهند . (٦) كشف وايزمان في مذكراته اختلاف وجهات النظر بينه وبين هرتزل : وقال أنه كان يرى هرتزل رجلاً ساذجاً » أما أنا فكانت اعتبر الحركة الصهيونية عملية ارتقاء حيوية يجب أن تنمو كما تنمو (الغرسة) علينا أن نراقبها ونعني بها إلى أن تصل درجة النضوج ولم أكن أؤمن بأن الأمور يمكن أن تسير بسرعة . كان الصهيوني الروس يتسككون بما قاله حكماء اليهود : [إن الذي لا يمكن للذكاء أن يفعله فإن الزمن (أي العمل والسعي) سيعمله] ولم يكن هرتزل من الشعب لذلك لم يدرك القوى الكامنة الموجودة فيه ، وبالفعل فشل هرتزل في خطته المبنية على الأغنياء والطبقة العليا فقد كان هرتزل يعتمد على الأغنياء وأصحاب النفوذ وأصحاب البنوك والممولين اليهود وبني آماله على الامبراطور و... ووزراء الخارجية ، أما نحن فلم يكن لنا إيمان أو ثقة بتلك الطبقات ، اعتمد هرتزل على المساعي الدبلوماسية لإعطاء فلسطين لليهود ، وحاول الحصول على اعتراف دولي بالفكرة (فكرة هجرة يهودية واسعة) ، ولم يتم شيء من نتيجة مساعي هرتزل الذي كان يحاول أن تستعاض عن أراضي فلسطين بأراضي يوغندا » الخ . وهكذا كشف وايزمان عن خطته التي تختلف عن خطة هرتزل والتي تقوم على الاتصال الوثيق بين الاستعمار واليهودية العالمية : محاولة « تسليم فلسطين لليهود بدون سكان » عن طريق الرشاوى والتحايل على القانون والدعايات المضللة والتهريب والمؤامرات السرية والعلنية وأفطع طرق التعذيب والوحشية وعمليات الإبادة بالجملة ويعتقد وايزمان أن الحركة الصهيونية في حقيقتها وجوهرها نشأت في روسيا وأن يهود روسيا يمثلون العمود الفقري للكيان اليهودي في فلسطين منذ قيام الحركة » . وقد تواتر عن الباعث الأعظم الذي حقق حلم الصهيونية فيما رواه لويد جورج رئيس الوزراء البريطانية الأسبق في مذكراته عن الدور الذي قام به « وايزمان » في خدمة بريطانيا أبان الحرب العظمى . يقول : « إن مادة الآسيتون التي تستخدم في صنع الذخائر الحربية كانت تستخرج من خشب الأشجار »

وكان استخراجها بكميات كافية يحتاج إلى مقادير هائلة من الخشب وليس في إنجلترا غابات كثيرة تفي بهذه الحاجة ، فكانت تستورد بقية ما يلزمها من أمريكا ، ولكن الأسعار ارتفعت إلى درجة باهظة. وصار المتعهدون الأمريكيون يبيعون الكمية الواحدة من الأسيتون مرتين لفريقين ، ويطلبون الثمن مقدماً ، ولا ينجزون تعهداتهم أحياناً ، ثم تبين أن كمية الكحول المستخرج من الخشب لصنع الأسيتون لن تكفي مطالب الجيش المتزايدة سنة ١٩١٦ فتخرج الموقف وأخيراً أهتدى لويد جورج وكان يومئذ رئيس لجنة الذخائر إلى أستاذ بارع في الكيمياء وضع مواهبه تحت تصرف بريطانيا ، وإن كان قد ولد على شاطئ نهر الفستولا وهو الدكتور وايزمان الذي أصبح بعد ذلك مشهوراً ، وكان وايزمان مقتنعاً بأن أمل الصهيونية رهين بانتصار الحلفاء فاستطاع بعد بضعة أسابيع أن يستخرج المادة المطلوبة من عناصر أخرى غير الخشب مثل الحبوب على العموم والذرة على الخصوص وبذلك حل لبريطانيا أعوص مشكل غانته في أثناء الحرب ورفض الدكتور وايزمان لنفسه كل جزاء وود لو تصنع بريطانيا شيئاً في سبيل الوطن القومي اليهودي ، ولما تولى لويد جورج رئاسة الوزراء خاطب بلفور بأن بريطانيا تريد أن تجتذب إلى صفها اليهود في الدول المجاورة وكانوا ميالين إلى ألمانيا لسخطهم على روسيا . وكان لذلك أثره على وعد بلفور . كان الثمن هو وعد بلفور : إعطاء مالا يملك شيئاً لمن لا يستحق يقول أرنولد توينبي في هذا : كيفما فسر وعد بلفور عام ١٩١٧ وكيفما كان معنى الوطن القومي لليهود والحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، فإننا أخذنا على أنفسنا أن ننتزع شيئاً لم يكن لنا ثم نعطيه نعطيه للغير ، لقد وعدنا بحقوق من نوع ما في بلاد العرب الفلسطينية ، لفريق ثالث ، لقد دعمنا وعد بلفور في وثيقة في نفس الوقت رضينا أن يكون هذا الإنتداب من صنف (أ) وهو نوع الإنتداب الذي يلزم القوة المنتدبة أن تعطي الاستقلال لسكان البلاد المنتدب عليها . المما يكونون ناضجين سياسياً لذلك الاستقلال ، وبما أن ٩٠ بالمائة من سكان فلسطين غربي الأردن ، في ذلك التاريخ كانوا عرباً (وفي شرق الأردن نسبة العرب أعلى) فقد كان التعهد ضمناً أنه -هما كان معنى وعد بلفور فإن فلسطين لابد أن تصبح دولة مستقلة بأغلبية ساحقة عربية من السكان وكان لابد أن نجلو عن فلسطين كما حدث في مصر ، ولكننا تركنا فلسطين في ظروف جلبت على العرب نكبة قومية كانت أعظم من أشد ما كانوا يخافون ، إن مسئولية المأساة التي حاقت بالفلسطينيين العرب تنقسمها وألمانيا والولايات المتحدة ، إن

هتلر وقع في أيدي الصهيونية حينما جرد نفسه لإبادة اليهود في أوروبا فأصبح الصهيونيون قادرون على أن يوجهوا نحو فلسطين ضغطاً يهودياً عظيماً ليجدوا ملجأً هناك ففقدت بريطانيا سيطرتها على الحالة في فلسطين وكان هذا الخطأ برمته خطأ بريطانيا نفسها . (٧) إن أبرز معلم يكشف عن موقف الرأسمالية والشيوعية من الصهيونية يتمثل في الاعتراف الفوري الخطير من أمريكا وروسيا بإسرائيل بمجرد إعلانها وبعد إعداد مؤامرة تمريرها من الأمم المتحدة المتحدة بمشروع التقسيم الذي لم ينفذ . لقد اعترفت الدولتان بإسرائيل وكشفت عن موقفهما من الصهيونية وما يزال هذا التأييد منهما قائماً ، لقد جاء الدور على أمريكا بعد أن قامت بريطانيا بالمرحلة الأولى تماماً ولما تحول الموقف بعد الحرب العالمية الثانية نقلت الصهيونية نشاطها إلى أمريكا واعتصمت بنفوذها الخطير . ثم كان موقف روسيا الشيوعية في دعم إسرائيل والتنسيق مع أمريكا من أجل حماية الصهيونية بما يمكن القول معه أن هناك تحالف واضح بين الديمقراطية الغربية والشيوعية الروسية والصهيونية التلمودية على تمزيق الدول الإسلامية واستدامة هذا الخطر ماثلاً في قلبها وعلى مرمى القذيفة من الكعبة البيت الحرام فالاستعمار والشيوعية يريان في الصهيونية خطة للسيطرة وفي إسرائيل قاعدة لإدامة السيطرة ولا يمنع هذا من القول بأن الصهيونية هي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية التي تسعى إلى تدمير العالم والتحكم في مصائره . حيث لا يوجد سياسي واحد غربي أو شيوعي يعارض الصهيونية وأهدافها التي ترمي إلى تأسيس امبراطورية يهودية كبرى في قلب البلاد العربية والعالم الإسلامي ، وما يراه السياسيون الاستعماريون هو ما تراه اليهودية العالمية من أن الاستيلاء على فلسطين يحقق قاعدة الانطلاق للاستعمار اليهودي حيث تصبح اليهودية التلمودية مركزة على الاستيطان في قلب العالم الإسلامي بين القارات وعلى طريق المواصلات العالمية وبين مواقع الطاقة والخامات والأسواق العالمية . وبذلك يبدو مدى هذا الخطر الذي أقام هذا الاستعمار الاستيطاني بديلاً للاستعمار العسكري ومتعاوناً معه في السيطرة الاقتصادية واتخاذ الأيدلوجيات الفسكرية والثقافية منطلقاً لدعم هذه السيطرة وتأكيدها . ولقد قامت الصهيونية بزرع إسرائيل في قلب العالم الإسلامي بغير حق تملكه أو يملكه الاستعمار نفسه . يقول مؤلف كتاب « التحدي الصهيوني » : أنه عندما منحت بريطانيا اليهود وعد بلفور لم تكن تملك أي حق ذلك ولكنها منحتهم رغبة في الحصول على معونة اليهود أثناء الحرب في ميدانين : كجوايس في صفوف الأعداء وكقوة ضاغطة على الولايات المتحدة كي تدخل الحرب في جانب بريطانيا وقد

تحقق لبريطانيا المهدفان . كانت بريطانيا تأمل أن تقدم للدولة اليهودية مزيداً من الحماية لطريق بريطانيا إلى مستعمراتها عبر قناة السويس ولمصالحها في الشرق العربي . وفي سنة ١٩٢٢ عهدت عصبة الأمم لانجلترا بالانتداب على فلسطين ولكنها أكدت على بريطانيا بأن فكرة إقامة دولة يهودية فيها يجب أن تستعيد تماماً كما فرض صك الانتداب على بريطانيا ، وعين «صمويل هور» أول مندوب سام لفلسطين ومنذ عام ١٩٣٩ نشطت الولايات المتحدة في دعم الصهيونية العالمية بسبب ضغط الأوساط اليهودية البالغة فيها ، وكانت الولايات المتحدة ترى بدورها في قيام دولة يهودية في فلسطين قاعدة عسكرية لحماية نفوذها المكتسب في المنطقة وقاعدة ضد الاتحاد السوفيتي ورأس جسر لتوسعها في منطقة الشرق الأوسط . ويقول جون بيبى في كتابه الستار الحديدي حول أمريكا سنة ١٩٥٠ إن الرؤساء الأمريكيين ومعاونيهم ينحنون أمام الصهيونية كما ينحني المؤمن أمام قبر مقدس وقد بلغت الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة درجة من السلطان والطموح تجعل أمريكا مهددة بأخطار متصلة وبحرب عالمية ثالثة . ويرى الباحثون أن إسرائيل هي امتداد لأوروبا في قلب الوطن العربي وأنها بمثابة كلب الحراسة الذي يحمي مصالح الاستعمار وأنها ليست لها وجود حقيقي ، فهي تعتمد في تمويلها على المعونات الخارجية والأسلحة الخارجية ، ولم تستطع حتى الآن وبعد أكثر من ثلاثين عاماً أن تعتمد على مواردها الخاصة وأنها تجمع بين كيان عنصري قائم على فلسفة خاصة وبين إنها مشروع استيطاني أوروبي يستمد وجوده من الاستعمار العالمي وهو امتداد له يعتمد على التوسع المتصل في البلاد العربية ويستهدف بالمطامع السيطرة على البترول وعلى مقدرات الأمم الإسلامية والعربية وإنها محاطة بالدول العربية التي لن يقبل التعامل معها أو السماح لها بالبقاء أو النمو الطبيعي لأنها كيان غريب في محيط لا يتقبلها ولا يعترف بها ولا يزال اعتماد الصهيونية على فكرة الوعد الزائف الذي كتبه متعصبوا التوراة من مروجات التلمودية السياسي . يقول (أوتو وأوبورج) : إن الحق التاريخي الذي يستند عليه إمتلاكنا لفلسطين قبل أثنى سنة لا مفعول له وحده في حد ذاته بنظر الدول الكبرى بل يتوجب علينا إيجاد صيغة عصرية لذلك الحق كي تضاف إليه ، هذه الصيغة يقوم على أن تظهر إن لم يكن شرعياً أو حقوقياً فبحكم الواقع الفعلي بأن فلسطين تخضع لنفوذنا الاقتصادي وإن جميع ما أحرزته البلاد من تقدم يرجع في الأصل إلى مبادرتنا وقوة وسائلنا الاقتصادية وفعاليتها ولم يتم إلا بفضلها . وجملة القول أن الحركة الصهيونية هي حركة تلمودية

يهودية طبيعية للسيطرة على العالم الإسلامى بوصفه مسلماً أولاً وبوصفه ملتقى القارات وبه الطاقة والثروة وكل ما تريد يهودية الربا في السيطرة عليه ، وإن الظروف السياسية التي وجدت والتي صنعت صنعاً قد وانت على تحقيق الهدف في ظل ضعف العرب والمسلمين وسقوطهم تحت سلطان الاستعمار الغربى أكثر من قرنين من الزمان ، أما التفسير الماركسى والتفسير الغربى لها فذلك ما لا تؤكده وقائع الأحداث ولا الحلقات التاريخية للحركة التلمودية اليهودية وهدفها في السيطرة على العالم وخطواتها في أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية من قبل وليست الصهيونية إلا الصيغة الحديثة والعصرية للمطامع اليهودية في إقامة الدولة العالمية مستخدمة كل الوسائل والأساليب سواء منها الدينية والأسطورية أو العلمية والعصرية لتحقيق هدف التوسع والسيطرة والأدالة من الإسلام وأهله ولقد يبدو ذلك واضحاً في الحديث عن إطلاق اسم «خيبر» على معركة عام ١٩٦٧ وما يتصل بالمحادثات التي جرت مع جلالة الملك عبد العزيز عن طريق روزفلت بشأن الأراضي القديمة التي أخرجهم منها المسلمون من الجزيرة العربية . وما يتصل بالإسلام والمسلمين والقرآن ، ولذلك فإن مخطط الأيدلوجية التلمودية كله يتركز في الغزو الثقافى وإحلال يهودية تلمودية محل المفاهيم القرآنية والإسلامية .

ثالثاً

المخططات اليهودية الهدامة

في مواجهة الأديان والحضارة والتاريخ

لما كان هدف التلمودية الصهيونية هي السيطرة العالمية عن طريق إمتلاك مقدرات الشعوب والأمم فقد كان الربا هو مدخلها الأول ، وكان هدم القيم الدينية والأخلاقية هو الأسلوب الوحيد للسيطرة عن طريق تدمير معنويات الإنسان وسلب إرادته وإعلاء غرائزه وشهواته ومطامعه حتى يكون عاملاً أساسياً في مخطط الهدم : ولقد سار هذا المخطط في محاور ثلاث : أولاً : هدم الأديان لإعلاء اليهودية التلمودية . ثانياً : تزييف التاريخ للإدعاء بوعده في فلسطين . ثالثاً : تدمير الإنسان عن طريق الأخلاق (فرويد) والمال (ماركس) والأسرة (دوركايم) . . . رابعاً : فرض المادية على الفكر البشرى . وقد لعبت اليهودية دور التاجر والمزبى والوسيط والخمار والقواد على مدى التاريخ وتلك هي مهمتهم الأساسية التي جردوا

أنفسهم لها في سبيل السيطرة على الذهب والتعامل الاقتصادي ، وذلك مطمحهم الأكبر وتكاد تكون مخططاتهم ومشروعاتهم كلها موجهة لخدمة هذا الهدف . لما كان [الربا] هو المدخل الطبيعي لهذا المخطط كله فقد كان التركيز شديداً على فتح الباب أمام إغراء الربا بالاستدانة والإسراف وكان لا بد من تبرير هذه المقاهيم وإغراء الأمم والشعوب بها حتى تندفع إليها وقد استطاعت اليهودية التلمودية فعلاً محاصرة المجتمع الغربي والسيطرة عليه ونقله من مفاهيم المسيحية التي تحرم الربا والحرب والفساد إلى الإندفاع شوطاً بعيداً في السيطرة الاستعمارية والإبادة وقتل الأبرياء والسيطرة على مقدرات الأمم على ذلك النحو الذي عرفه تاريخ العلاقات بين الغرب وعالم الإسلام في القرنين الماضيين . وكانت التلمودية هي التي أفسدت تفسيرات الدين والفكر « وهودت » الحضارة الغربية من حيث الحروب والاستعمار والربا وكان هذا هو عمل التلمودية الدائب في نشر مفاهيمها وأيدلوجيتها وبشها في الفكر والمجتمع وتحويلها إلى مذاهب وأيدلوجيات والسيطرة برجالها ودعاتها وأتباعها على قيادات الأمم . وقد كشفت كتابات التلمودية والصهيونية منذ وقت باكر أن « الأيدلوجية الصهيونية » تخطط لامبراطورية تتولى إسرائيل فيها مركز الثقل ، وذلك سعى إسرائيل إلى السيطرة على الشرق العربي وقد سار المخطط طويلاً حتى حقق قيام إسرائيل في قلب العالم الإسلامي ملتصقاً تفكيك هذه القوة إلى كيانات إقليمية أو قومية حيث تلتقى الصهيونية مع الاستعمار الشيوعية في غرض موحد ولقد كان واضحاً للمسلمين هدف الصهيونية من زرع إسرائيل في قلب العالم الإسلامي وهو تدمير الحضارة الإسلامية جرياً وراء هدف معروف صوره بون جوربون حين قال : لقد قاومت اليهودية الحضارة اليونانية ، والأمبراطورية الرومانية والمسيحية أخيراً الإسلام . « لقد صنع اليهود نهجاً خاصاً هم سادته ورسموا منهجهم الديني على أساسه ثم جعلوه منهجاً عالمياً وحاولوا أن يدخلوا فيه المسيحية وأهلها كما وحاولوا ذلك بالنسبة للمسلمين أيضاً . وقد جمع هذا النهج كل ما حملته الفكر البشري من وثنية والحاد وتعدد واحتقار للأخلاق وأنكار للبعث والجزاء والحساب لكي يشيدوا منهج عبادة المال والتكالب على الحياة وإقرار الربا وجعله نظاماً مشروعاً للعالم كله وبذلك سيطر اليهود على الفكر البشري كله وكان لهم دورهم في تحريف الأديان . وبنزول القرآن بالإسلام عرفت الإنسانية أن هناك منهجين منفصلين : منهج القرآن الذي تبناه الإسلام والمنهج البشري الذي احتضنته التلمودية اليهودية الصهيونية وعملت في سبيله عن طريق المنظمات المختلفة : الماسونية والصهيونية وغيرها . ولا ريب أن الأيدلوجية التلمودية هي فكرة وفلسفة ومنهج

حياة معارض تمام المعارضة للفكر الرباني ولمنهج الإسلام . إن الفكر اليهودي التلمودي كله قد صيغ في أسلوب نظريات ذات طابع علمي خادع براق وطرح في أفق الفكر البشري كله في محاولة لإحتوائه والسيطرة عليه وجندت له قوى كبيرة في الصحافة والجامعات ودوائر المعارف ، وكان علينا نحن المسلمين أن نواجه هذا الفكر . نظراً لفقدان الحصانة المانعة من الإحتواء في مجال المدرسة والصحافة والثقافة ونظراً لما تعجز عنه مناهج التربية والتعليم في أغلب أنحاء العالم فقد استطاعت هذه المفاهيم أن تجد مجاًلاً للتنقل لإتصالها بأهواء النفس ولتبريرها مداخل الرغبات والغرائز .

أولاً : هدم الأديان

منذ أن حرفت يهود توراتهم في أبان سبي بابل فقد كان لهم موقفهم من الأديان المنزلة جميعاً وخاصة المسيحية والإسلام . بل إن موقفهم من المسيحية قديم قدم نزول رسالة السيد المسيح نفسه فقد كان اليهود ينتظرون مسيحاً يعيد لهم مملكة داود وسليمان ، وكذلك كان موقفهم من النبي محمد ﷺ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فقد كانوا يظنون أنه من نسل إسرائيل وكانوا يستفتحون به قبل بعثه على خصومهم فلما عرفوا أنه من نسل اسماعيل حرفوا صفته في التوراة وكذبوه وتآلبوا عليه كما تآلبوا من قبل على عيسى عليه السلام ، وما زالت دعواهم أن دينهم هو الدين الوحيد وهم لذلك يعملون على تحريف المسيحية وتحريف الإسلام . وما موقفهم من الإسلام والقرآن ومحاولة إلتقاط أشياء وكلمات من القرآن وردّها إلى اليهودية هو من قبل معارضة الدينين الكبيرين اللذين جاءا بعد الرسالة التي أنزلت على موسى عليه السلام . وتحريف التوراة ثابت وأكد اعترف به عشرات من الباحثين الغربيين وقد استهدف إنكار ما أنزل على عيسى ومحمد عليهما السلام كما استهدف تحويل الرسالة السماوية التي أنزلت على بنى إسرائيل إلى عنصرية تفرض لهم وجوداً خاصاً متميزاً عن العالمين ، كما ترمى إلى تحريف وعد الله لإبراهيم عليه السلام وذريته في آبائهم اسماعيل واسحق إلى وعد خاص لبنى إسرائيل وحدهم . ومن هذا المنطلق كانت حملتهم على الدين بعامة فهم الذين حملوا لواء محاربة الأديان وتصويرها بأن البشرية لم تعد في حاجة إليها وأنها كانت مرحلة في تاريخ البشرية انتهت . واليهود هم الذين يوجهون إلى الأديان أقصى الاتهامات وينسبون إليها الحروب والمصادمات بين الشعوب ، وهم الذين

حملوا لواء الدعوة إلى القوميات والعنصرية والدماء والاعراق ليحطموا وحدة الفكر القائمة على أساس الدين وقد حمل اليهود لواء الفكر البشري الزائف كله والمعارض للدين الحق وللأخلاق فهم دعاة السحر والتنجيم والأساطير والخرافات وهم المنكرون للبعث والنشور . وقد أشار سير جيمس فريزر في كتابه عن الخرافة : إن أهم القصص التي يتخذ منها الإسرائيليون عقيدة يستترون وراءها قد جاءتهم من أوهام الإنسان البدائي الذي تمثله القبائل السائبة على وجهها في مجاهل أفريقيا وآسيا وغيرها من القارات وأن أساطير التوراة هي صورة دارجة من أساطير الشعوب البدائية التي كانت ترتاع أمام الطبعة وتتهم القصص وتحكى النوادر وتكرر في أساطيرها ما كان معروفاً في أماكن مختلفة من العالم القديم السابق على لتوراة » وقد شهد كثيرون بأن العقيدة التي يتستر وراءها اليهود هي شريعة الغاب التي تقوم على تدمير المدن والقرى وحرق المساكن وقتل الأطفال والشيوخ وأنهم يبيحون الربا للنسبة للجويم (أى غير اليهود) وهم الذين جعلوه شريعة الاقتصاد الحديث وحملوا لواءه على طول القرون . وقد أكدت عشرات المصادر أن الربا كان صناعة اليهود منذ انصرفوا عن رسالة موسى ، وأنهم قد أشربوا العجل الذهبي ، وهم يرون أنه لا جناح عليهم في امتصاص دماء الأميين من غير اليهود (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) وقد أقاموا الرأسمالية الغربية على أساس الربا كما أقاموا علماء الاقتصاد الحديث على أساس الربا والذي يمتد أضعافاً مضاعفة ، وليس لدى اليهود كتب تعود لعهد موسى ، وكل ما لديهم الآن يعود لعصر (عزرا) وما بعده وبين هذا وبين موسى أحد عشر قرناً ، ومفهومهم الإله يختلف عن مفهوم الدين الحق فهم يرون الإله خاصاً بهم وحدهم وأن لهم إلهاً خاصاً هو إله الحرب أو إله الجنود وهو الإله الذي يدعون أنه أباح لهم كل شيء وكل أرض وكل الناس وجعلهم شعباً مختاراً هو سيد الشعوب وكل الشعوب عبيد له ، وقد زيف القرآن هذا المفهوم الذي قامت عليه التلمودية الصهيونية . يؤكد كثير من الباحثين أن اليهودية التي كونها اليهود تحريفاً عن الديانة الماسونية هي مزيج من وثنية قديمة ومن فكر بابل ومن فلسفة يونانية ، خليط مضطرب من العقائد . وقد بدأ هذا التحريف بعد موسى ثم جاء أنبياء بنى إسرائيل جيلاً بعد جيل جاهدين تخليص الدين الماسوى المنزل من الدخول وإرجاعه سيرته الأولى غير أنهم عجزوا وكان آخر أنبياء بنى إسرائيل المسيح عيسى بن مريم الذى حاربه اليهود حرباً عواناً وألبوا عليه ودبروا مؤامرة لقتله لولا أن رفعه الله عليه وقتل شبيهه وتؤكد

الدراسات أن السامريين خططوا تعاليم التوراة بأفكار وثنية جاءوا بها من البلاد التي سباهم الملوك الأعداء إليها وأشد ما تأثرت به اليهود تأثرها بالتفكير البابلي القديم . وأبرز ما أخذت الديانة اليهودية من الوثنية : عقيدة التشبيه : قولها بمشابهة الإله للإنسان . وعقيدة الجبر التي تقول بأن الإنسان ليس له اختيار مطلق فهو مجبور، وعقيدة الدهرية وهي تقوم على إنكار البعث والحساب والجزاء وعقيدة الرجعة وقد انتقلت هذه الشبهات إلى الفكر الإسلامي في فترات مختلفة واعتنقها بعض النحل والمذاهب . وهكذا نجد أن مفهوم اليهودية المائل الآن مخالف تمام المخالفة للمقررات رسمها الدين الموسوي الموحى به من عند الله ، وخاصة في أمر : (١) الإله الخاص باليهود . (٢) الشعب المختار المتميز الذي وعد بالسيطرة العالمية على الأمميين . (٣) إنكار البعث والجزاء والحساب والجنة والنار . وهذه هي أبرز مفاهيم اليهودية بعد تحريفها . وقد سجل اللورد ما كولي موقف اليهود من الأديان فقال : لطالما أذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديماً في دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال وقد أخذ الفكر اليهودي ، من أساطير بابل وأساطير الجزيرة العربية والقصص الشعبي في مصر والهند والفرس واليونان والفكر المصري القديم وقد أخذوا عقيدة المخلص المنتظر في الديانة الفارسية . وتدور فلسفة العقيدة اليهودية التي استحلتها اليهود حول الامتياز الخاص الذي يمكنهم من السيطرة على كل مقدرات العالم : هم يهود شعب الله المختار والعالم كله (جويم أو أمميون) هم السادة المتنازون يحل لهم الربا وكل ما يملكون من حقهم أخذه ولا بأس بالغر والوقية إذا كانت هي طريق النجاح وقد دعا دزرائيلي الانجليز أن يتخذوها قاعدة ذهبية لسياستهم مع الشعوب ولا سيما في المستعمرات . ومن أجل السيطرة يكون استحلال الربا والتحريض عليه بإشاعة الفسق والفجور وإنكار البعث الذي من شأنه أن يشكل في الناس مفهوم الخوف من حساب الله . ومفهومهم في إنكار البعث يقوم على اعتبار أن الحياة الدنيا كل شيء وأن السعي لها هو وحده وأن كل ثواب وعقاب هو في الدنيا العمل فعلى الإنسان أن يسارع إلى التقاط كل لذة . وأن الجنة على الأرض . وقال دكتور هربرت لوى اليهودي : مجال اليهودية ليس فيها وراء هذا العالم . أي عالم الروح أي العالم الآتي : وهذا هو الفارق بينها وبين المسيحية التي تجعل من العالم الآخر وما وراء هذا العالم مجالها . ويرى اليهود أن المسيحيين داخلون في زمرة الجويم بل هم المستهدفون بكل صنوف الحقد والاضغان ، يقول

جون كوبج سكوت ليس هناك إلا مخرج من مظلم هذا التناحر الحار البارد ، الظاهر والخفي بين الصهيونية والمسيحية ، هذا المخرج سوف يتقرر في ليل طويل مظلم مليء باليأس والقنوط .

(٢) وقد كان اليهود أداة تخريب للأديان ، دخل شاعول المسيحية وأحدثا بها أحداثا خطيرة فنقلها من ديانة خاصة ببنى إسرائيل إلى ديانة عالمية ، ونقلها من التوحيد إلى التثليث وقال بألوهية المسيح واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر . وقد وصف بأنه استهدف غاية اليهود في الدخول إلى المسيحية ليحاربها من الداخل بسلاح الهدم والتدمير متعاوناً في ذلك مع أبناء دين اليهود في سبيل القضاء عليها . وفي الإسلام دخلت جماعة في مقدمتهم عبدالله بن سبأ استهدفوا التقاط أخبار المسلمين والتعرف إلى خططهم ، وإثارة الإسرائيليات والشبهات والشكوك لاضعاف إيمان المسلمين وثقتهم بالإسلام وخلق روح الجدل وقد نبه الإسلام إلى هذا : [ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم] . وهذا هو الخط الذي سارت عليه التلمودية منذ قديم وما زالت تسير عليه ، ومن دعوات الهدم التي حملها اليهود دعوة عبدالله بن ميمون بن ديسان وولده وكانا يعملان في بث مبادئهما السرية في الإلحاد والهدم والباطنية بتحريض وتعضيد من الدعاة اليهود (راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٩) . وقد أشار مؤلف كتاب اليهود والجمعيات السرية إلى أنه لما هاجر اليهود من فلسطين إلى أوروبا حملوا معهم بذور الدهاء للعمل في الخفاء ويقرر علماء الغرب أن حركات الهدم التي اجتاحت أوروبا واشتعلت بها مدى قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر للجهود السرية التي يقال أن اليهود يبذلونها منذ ظهور النصرانية والإسلام في سبيل هدمهما انتقاماً لدينهم . وقد أشار الكثيرون إلى قصة يهوذا الأسخريوطى الذى كان من بين حوارى السيد المسيح وعمل جاسوساً لليهود وساوهم على تسليمه نظير ثلاثين من الفضة وقصة عبدالله بن سبا ليست في حاجة إلى مزيد فقد كان يهودياً أدعى الإسلام وانتهاز فرصة ما وجه لسياسة عثمان من النقد في بعض التصرفات فأشعل الفتنة وأنزل بالعالم الإسلامى ناراً ظلت متججعة مئات السنين . فهو الذى طرح في أفق الفكر الإسلامى مذاهب الرجعة والوضعية ووضع أحاديث يدعم بها رأيه كما أشاع نظرية الحق الإلهى . ويعتقد بعض الباحثين أن عدداً من الكرادلة في الفاتيكان ينحدر من أصل يهودى تدفعهم الأغراض اليهودية إلى تحقيق أهداف الصهيونية وإلهم يرجع عدد من القرارات الحاسمة في مقدمتها قرار تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح . والنسب من دسائس اليهود الذى تتغير به الأشهر الحرم

يأشهر غيرها فيكون في كل أربع وعشرين سنة تسعة أشهر توقيفا لأشهر القمر بسنوات الشمس وكان يتولى ذلك النسيء من كنانة المعروفين بالقلامس وآخرهم أبو ثامة جناده بن عوف بن معاوية بن قلع الكناني وأول من بدأ هذه البدعة فيهم ابن فقيم بن عدى بن عامر أخذه عن اليهود قبل الإسلام بقريب من مائتي سنة فأعاد الإسلام هذه السنة إلى ما كانت عليه قبل التأثير اليهودي . ويشير الباحثون إلى أن محاولة اليهود لإحتواء الإسلام بدأت منذ وقت باكر بادعاء بعض اليهود اعتناق الإسلام ومحاولتهم إحداث الفتن بين المسلمين وإفساد عقيدتهم ، ومن أول ذلك : وضع الأحاديث وكان لعبد الله بن سبا دوره في هذا وفي الفتنة على عهد عثمان فقد وضع تعاليمه لهدم الإسلام وألف جمعية سرية لبث تعاليمه . ومن أعماله تأليب أهل مصر على عثمان وفي الفكر الباطني والمذاهب الضالة المستورة بالشييع من هذه المفاهيم الكثير . وقد جرى إتصال الخبر بأن (الاعتزال) كان له صلة باليهود ثم كانت الدوغة في تركيا والعمل على هدم الخلافة الإسلامية وزعيمهم شبتاي الذي ادعى عام ١٦٤٨ أنه المسيح الذي ينتظره اليهود وقد اتجه الدوغة إلى تحطيم الخلافة العثمانية في تركيا بعد فشلهم في حمل السلطان عبد الحميد على موالة هدفهم . وقد كان أحد الثلاثة الذين أبلغوا السلطان عبد الحميد عزله النائب اليهودي (قرة صو) نائب سالنيك وهو نفس النائب الذي أوفده اليهود لمقابلة السلطان . وكان اليهود الدوغة هم الداعون إلى الدعوة الطورانية في تركيا للتخلص من الإسلام واللغة العربية وفصم عرى الروابط بين الترك والعرب

(٢) تزيف التاريخ

من أجل أن تحقق التلمودية الصهيونية هدفها كان عليها أن تزيف التاريخ من جهات كثيرة : أولا : دعوها بإنكار حتى آل ابراهيم من الوعد الإلهي وقصره على بني إسرائيل . وإنكار رحلة ابراهيم وإسماعيل إلى الحجاز وبناء الكعبة . ثانياً : تزيف دور الابراهيمية الحنيفية في الأرض العربية الممتدة من العراق إلى مصر وإلى أفريقيا ونسبة هذا الدور إلى جد أعلى هو سام وذلك ما أطلق عليه الجنس السامي واللغة السامية وغير ذلك . ثالثاً : تزيف تاريخ السلطان عبد الحميد ووصفه بالسلطان الأحمر والحاكم المستبد وتأليب القوى المختلفة عليه .

(٢) أعادت اليهودية كتابة التوراة في منى بابل وحرفت حقائق التاريخ :

١ - لم تذكر ذهاب إبراهيم إلى الحجاز وصمتت صمتاً شديداً عن كل ما يتصل بعلاقة إبراهيم واسماعيل بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة . والهدف الذى هدف إليه كهان اليهود أن يخرجوا أبناء اسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم من ربه وقصره على بنى إسرائيل . دون بنى اسماعيل ومن هنا كانت دعواهم بالقول بأنهم شعب الله المختار وكان اليهود ينفسون على العرب إن صار لهم بيت محرم منذ أيام إبراهيم بينما لم يصبح لهم هيكل في بيت المقدس إلا في أيام سليمان بن داود ولم يقف أمر اليهود عند حرمان أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم من ربه فادعوا أن الذبيح هو إسحق وليس اسماعيل مع أن التقاليد كانت تقضى بتقديم الإبن البكر قرباناً لله . وقد كشف القرآن عن هذه الحقيقة وربط بين إبراهيم عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم على أساس أن إبراهيم هو صاحب الإمامة الكبرى في الدين ومنه تفرغت الأديان السماوية الثلاث المنزلة : الدين الذى أنزل على موسى والدين الذى أنزل على عيسى والدين الذى أنزل على محمد . ويرجع التاريخ عهد إبراهيم إلى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد وقد هاجر إبراهيم بإيئه اسماعيل وزوجته هاجر إذعاناً لأمر الله واستجابة له إلى جزيرة العرب حيث ترك اسماعيل وهاجر في مكة وكان البيت مرتفعاً من الأرض تأتيه السيول ثم عاد بعد أن كبر ابنه اسماعيل وأقاماً معاً القواعد من البيت وكان اسماعيل قد شب وأصهر إلى جزمهم وقد انتشر أبناء اسماعيل الإثني عشر في المنطقة الممتدة ما بين الشام ومصر وأعلنت ألواح الطين التى كتبت بالخط المسارى والتى وجدت في أطلال بابل ونيوى وبلاد ما بين النهرين أن بنى اسماعيل كانوا حقيقة واقعة وقد صار أبناؤه الإثني عشر قبائل قوية تناوىء بابل وأشور ومصر والأغريق والرومان . كذلك زيف اليهود دور « الحنيفية الإبراهيمية » كله من إبراهيم إلى محمد ووقفوا موقفاً مضللاً من الهجرات المتوالية التى امتدت منذ ١٧٥٠ قبل الميلاد إلى ظهور الإسلام ٦٥٠ ميلادية (أى خلال قرنين ونصف قرن تقريباً) . وهى الهجرات التى أنشأت حضارات بابل والعموريين والكنعانيين وسينا فقد نسبوا ذلك كله إلى جد أعلى حتى لا يثبت الفضل لأهله العرب ، والمعروف أن الهجرات التى تمت منذ جاء إبراهيم واسماعيل إلى الحجاز قد قذفت بموجات متوالية من العرب أهل الجزيرة إلى مختلف أجزاء المنطقة العربية الممتدة ما بين النهرين إلى الشام إلى مصر إلى المغرب وأن هذه الموجات العربية هى التى وسدت للإسلام الهجرة الكبرى وهى التى استقبلت الفتوح

الإسلامية وقد كانت حضارات هذه الأمم الصادرة من الجزيرة العربية عربية ، وقد اكتشفت هذه الحضارات وأثبتت الأحافيز والكشوف الأثرية أنها عربية خالصة ولكن اليهود التلموديون في سبيل الغرض من قدر العرب والإسلام قد نسبوها إلى جد ليس هناك مصدر لإثباته إلا التوراة التي أشارت إلى (سام وحام ويافت) نسبوها إلى سام حتى يطمسوا أمجاد الحنيفية الإبراهيمية الممتدة من إبراهيم إلى محمد والتي حرفها اليهود حين حولوا دين موسى إلى عنصرية شعب الله المختار ، وقد أطلق العالم الألماني الذي كان على ولاء للصهيونية الحديثة (سلويتشر) اسم السامية على هذه النهضة كلها حتى لا تنسب إلى إبراهيم واسماعيل أو إلى الحنيفية الإبراهيمية . والمعروف أن الإسلام كان ختام الرسالات وأنه ارتبط بالحنيفية السمحاء التي دعا إليها إبراهيم فكان مجدداً لها ومكملاً : (وأوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً) وكان بذلك مصححاً للرسالات التي انحرفت عن طريقها ، فكان القرآن مصدقاً لما بين يديه من كتب ورسالات ومهمينا عليه ، وكان ناسخاً لكل الأديان : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفوافهم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وقد أشار القرآن إلى أبوة إبراهيم للعرب (ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) كما أشار القرآن إلى أبوة إبراهيم للأنبياء الذين جاءوا من بعده (ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، واسماعيل وإلشع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين) . ويتبين من هذا النص القرآني أن إبراهيم هو جد اليهود والنصارى والمسلمين . ويؤكد الباحثون أن دين موسى ودين عيسى لم يستطع القائمون عليه أن يواصلوا رسالته على النحو الذي أراده الله تبارك وتعالى فالعبرانيون جعلوا من أنفسهم طائفة قائمة بذاتها متميزة وأعلوا شأن العصبية والعنصرية بإدعاء أنهم شعب الله المختار . أما المسيحية فإنها مالت إلى الانحصار في الذات فجاء الإسلام ليحقق رسالة التوحيد الحق لله تبارك وتعالى ، وهكذا بدأت الرسالة الحنيفية بالعرب وانتهت بهم ، وإن كانت قد انحرفت في منتصف الطريق فإن الإسلام أعادها مرة أخرى إلى الجادة « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » . يقول الدكتور الفاروق : أن القول بوحداية القيم هو نفسه القول بوحداية الله ، وهو أمر تفرد به العرب دون سواهم ، وهو مدرك عربي صحيح طرأ على الوعي العربي مصطحباً جاتبه الأخلاقي . ولب هذه الرسالة أن

الله موجود وأنه واحد ، أما وجوده فمعناه عند العقل العربى وجود القيم وجوداً مستقلاً عن الإنسان ووجوده ، أعنى أنها ليست من صنع الإنسان يصنعها كما تقتضى ظروف عيشة . ومعناه كذلك أن حياته على هذه الأرض لم تكن عبثاً أما كون الله واحد فمعناه أن القيم تحمل «معياراً واحداً» لا يتأثر باختلاف الزمان والمكان فالمعيار واحد لكل إنسان انى كان وحيثما كان فليس لكل مجموعة من الناس معيارها الخلق ومعيارها الذى يعيش به الحق ، بل الخير بالنسبة لكل البشر والحق حق بالنسبة للناس أجمعين فالقول بوجود الله وبوحدانيته إذن هو فى صميم الاعتراف بموضوعية القيم وتخليصها من قيود « النسبية » التى تفر اختلاف المعايير باختلاف الظروف . فالإنسان أمام الله هو الإنسان ، لا اختلاف بين فرد وفرد إذا ما قيس الافراد بمقياس الاخلاق الذى هو مقياس القيم . . وهنا نجد الامر واضحاً تماماً فى تزيف اليهودية التلمودية لمفهوم التوحيد ولمفهوم ثبات الاخلاق ولمفهوم استقلال القيم ونجد أن الفلسفة التلمودية المطروحة الآن فى العالم العربى كله ترمى إلى نسبة الاخلاق وتدعى أن القيم ليس لها معياراً واحداً وأنها مختلفة باختلاف الزمان والمكان.(٣) أما تزيف تاريخ السلطان عبد الحميد فقد كان من أكبر أهداف الصهيونية : ذلك لان هذا الرجل هو الذى حمل لواء الجامعة الإسلامية التى تجمع المسلمين تحت لواء واحد فى مواجهة الزحف الاستعمارى وإلى خارج نطاق الدولة العثمانية فقد كانت هذه الصيحة من أخطر ما واجهه الاستعمار والصهيونية الزاحفة التى كانت تطمع فى السيطرة على فلسطين وقد وقف منها موقفاً حاسماً كريماً مشرفاً وكان يعلم أبعاد الدور الخطير الذى تقوم به الدوغة اليهود المتمسكين فى سالونيك) لحساب الصهيونية العالمية ويعرف مدى ما تدبر مخططات الماسونية واحتوائها لجماعة الاتحاد والترقى . ولقد كان لموقفه مع هرتزل الذى عرض عليه عرضاً سخياً قوامه خمسون مليوناً من الجنيهات لخزانة الدولة وإقامة مشروعات تجارية لإنعاش الاقتصاد العثمانى وغير ذلك فى مقابل السماح لليهود فى الإقامة فى فلسطين وكيف كان رده حاسماً فى مواجهة ذلك كله ، وكان مما قاله السلطان : (لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد لأنها ليست لى بل لشعبى ولقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإزاحة الدماء وبذغذوها بعدد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن يسمح لاحد باغتصابها منا . الإمبراطورية التركية ليست لى وإنما للشعب ، لا أستطيع أبداً أن أعطى أحد أى جزء منها . ليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا ما قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود

على فلسطين بدون مقابل . إننا لن نقسم إلا جثثنا ولن أقبل بتسريح أجسادنا لاي غرض كان . فكان على اليهود العمل على إسقاط الخليفة وتدمير الخلافة وتحطيم الدولة العثمانية من أجل تحقيق مطلبهم ثم كانت تلك الحملة الضارية على السلطان عبد الحميد الذى عرفتها كتب التاريخ الحديث . واتهامه بالتسلط والتعصب والعنف فى سبيل تبرير إسقاطه على النحو الذى حدث بالنسبة له

(٣) تدمير الانسان

استهدفت التلمودية الصهيونية الأخلاق وهى التى نشرت فى الفكر البشرى فكرة الانتهازية ودعت إلى التنكر للأخلاق الفاضلة وقالت أنها خير وسيلة للنجاح السياسى وأن السياسة لا تتفق مع الأخلاق ودعت القادة إلى اللجوء إلى الحيلة والنفاق فى السياسة . وأعلنت إزديادها للأمانة والصدق وعمدت إلى استغلال الضعف الإنسانى فى إخضاع الناس لمبادئها الهدامة واستغلال مواطن الضعف فى الإنسان أمام إغراء المال والجنس واللذات ودعت إلى عدم التورع فى نشر الأفكار الهدامة المنافية للأخلاق لأنها الوسيلة إلى السيطرة على الناس وإذلالهم ونادت بالحرص على استخدام الإذلاء لكى تظل قبضتها ممسكة عليهم فى كل وقت وعمدت إلى نشر الأفكار غير الأخلاقية القائمة على الغش والخداع والغدر ودعت فى كل ما نسب إليها من مصادر (التوراة والتلمود والبروتوكولات) إلى إفساد أخلاق المجتمعات بغية خلق أوضاع اجتماعية تدفع أعداءها للوقوع فى براثنها . كما عمدت إلى نشر حب المال حباً جنونياً حتى يسهل عليها شراء الذمم بالذهب والمال الوفير .

(٢) نادى التلمودية الصهيونية بالقضاء على حكم الأسرة والقضاء على روابط الولاء بين أفراد الأسرة الواحدة ، والتضحية بالأفراد من أجل السلطة كما دعت إلى الاستبداد والخداع والتضليل وتشكيك العقول واستخدام التعليم والثقافة والصحافة فى تنشئة أجيال جديدة لا تؤمن بالفضائل والمثل الأخلاقية العليا . ودعت إلى نشر الإلحاد باعتباره الوسيلة التى تؤدى للقضاء على الأديان الأخرى ، والمناداة باستخدام حرية العقيدة فى سبيل القضاء على العقائد غير اليهودية والعمل على انتقاص رجال الدين والحط من قدر القيم فى نظر الشعوب وقد جمعت مخططات التلمودية الصهيونية لواء دعوات : وحدة الوجود وأساطير الأولين والشيوعية والبهاية والروحانية الحديثة . ودعت إلى تعبئة البطولة التاريخية للأمم وتجريدها

من عظمتها وتتبع العورات الصغيرة والنقائص لهدم إعجاب الأمم بأبطالها ، كما دعت إلى هدم ثبات الدين وثبات الأخلاق وثبات الأسرة وسيطرة التلمودية الصهيونية على صناعة السينما في هوليوود وفي العالم كله ووجهتها نحو تثبيت مفاهيم معينة أبرزها الجريمة والجنس والعنصرية وهدم الأسرة وتحقير الآباء . وكذلك كانت سيطرتهم على المسرح والقصة في دعوة صارخة إلى الانحلال الخلقى والإجرام المعقد من وراء ستار وقد اتخذوا من الصحافة أداتهم الأساسية وفق خطتهم التي أعلنوها والتي تقول : « علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كما نريد » . والهدف هو تدمير المجتمع البشرى قبل السيطرة عليه وأهم تركيزهم موجه إلى الشباب والأجيال الجديدة بل لقد أمتد في السنوات الأخيرة إلى الطفولة بتقديم برامج مسموعة تهدم نفسية الشباب وعقليته وتدميرهم تدميراً خطيراً وقد كشفوا عن خطتهم حين قالوا : لقد خدعنا الجيل الناشئ وجعلناه فاسداً منتفعاً بما علمناه لهم من مبادئ ونظريات ، يجب أن نحطم كل عنان الإيمان وتكون النتيجة المؤكدة لهذا هي أن يكتسح الإلحاد والانحلال كل الأديان والعقائد الأخرى ، واليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً . (البروتوكولات) . وعن طريق سيطرة اليهود على الصحافة ودور النشر ، وعلى البنوك والشركات وتسلطهم على اقتصاديات الدول الكبرى كانت لهم مقدرتهم الفائقة على السيطرة على مذاهب العلم والفلسفة والفن والمسرح والسينما والمدرسة ونظم التعليم . يقول جوزيف وست : تصادف في كل التعبيرات الفكرية الكبرى تقريباً عملاً يهودياً سواء كان ظاهراً واضحاً أو خفياً سرياً وعلى هذا فإن التاريخ اليهودي يمتد بامتداد التاريخ العالمى بجميع مجالاته حيث تغلغل فيه بالآلاف الدساتير . وفي عديد من مواقع بروتوكولات صهيون يؤيدها زعماء الفكر الصهيوني تؤيد ذلك التركيز الشديد على تدمير الإنسان : « إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا - نحن نضع خطتنا - ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقى وما هو غير أخلاقى وما هو خير وما هو شر بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد . « إن موازين المجتمع وتقاليد القديمة ستتهار سرياً لأننا على الدوام نفقدها توازنها كي تسقط بسرعة . « وحيناً نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض لن نسمح بقيام أى دين غيرها ديننا وسنكون قد خططنا كل الأديان الأخرى . ويفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأئمية » . هذه الروح الشريرة التي تسيطر

على المخططات التلمودية الصهيونية للكشف بوضوح عن الرغبة المحمومة في القضاء على دعوات الأخلاق وموازين الخير والمثل والمذنبات في العالم إرضاء لاستعلائهم وفسادهم وتمشياً مع اتجاهاتهم المادية في الحياة . ولا ريب أن مذاهب دارون وماركس وفرويد ودور كايم كلها تستهدف تحقيق هذه الغايات وتحول البشرية من الدين والأخلاق والقيم المعنوية إلى المادية الخالصة .

(٤) فرض المادية على الفكر البشرى

صنع الغربيون حضاراتهم في أوائل النهضة وأطلقوا على القرن الخامس عشر عصر النهضة (الرينسانس) ثم عاد اليهود من منفاهم فسيطروا على هذه النهضة وحولوها إلى الوجهة التي يريدونها وأطلقوا على القرن السادس عشر وما بعده عصر التنوير ولم يكن التنوير التلمودي الصهيوني إلا فرض المادية على الفكر البشرى وتحطيم الدين والأخلاق وصولاً إلى الهدف الأكبر وهو السيطرة على الحياة الاجتماعية في الغرب كله وإقصاء المسيحية والكنيسة عن النفوذ وإسقاط القوانين والمقررات التي تحول بين اليهود وبين السيطرة على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وقد أطلق عصر التنوير على الدور الذي قامت به الماسونية في تحويل الفكر الغربي إلى المادية وهدم كل ما يتصل بالدين وتحريزه من كل قيود المسيحية والكنيسة وإنشاء المدارس العلمانية والقوانين العلمانية وفي هذا المجال ظهر كثيرون من رجال الماسون : فولتير ، وديدرو ، وروسو ثم أوجست كونت ورينان وعشرات آخرون . وقد كشف كثير من الباحثين هذه الحقيقة فأشاروا إلى أن (التنوير) لا يقصد به إلا أبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله قالوا : إن التنوير هو إخضاع الدين للعقل وأشاروا إلى أنه بالتنوير بدأ عهد الحس ، وإن قيام المذهب الوضعي إنما يستهدف معارضة الكنيسة ومن التغطية باسم العلم وهو بمثابة معارضة الميتافيزيقا (وما وراء الطبيعة) وقد أنكر المذهب الوضعي دين الكنيسة وأعلن عما أسماه (دين الإنسانية الكبرى) . وقال كانت : التنوير هو الإفراج عن الإنسان من الوصايا التي قرضها هو على نفسه ، والوصاية هي عدم جرأة الإنسان على استعمال قواه الطبيعية بدون استعمال الغير ، وقال أن الوصاية الدينية هي أرذل الوصايات وأشدها ضرراً . وكان هذا هو بداية السيطرة التلمودية الصهيونية على الفكر الغربي المسيحي ونقله إلى مجال المادية حيث ارتفعت الدعوات بأنه لا حاجة للعقل الإنساني بأن يرجح إلى

الوحي أو المعرفة الماورائية لإدارة حياته وشئون الدنيا . وقال العقلائيون أنه إذا ارتفع الدين فلا فارق بين البشر وأن كل ما اصطنع من قرقة بينهم يجب أن تزول سريعاً وهكذا مهدت المادية لليهود في اقتحام المجتمع المسيحي ثم السيطرة عليه . وكان ذلك هو التمهيد للثورة الفرنسية التي خطمت كل القيود حيث سيطر اليهود على مقدرات الدول الغربية كلها من بعد : وهكذا كانت أولى خطوات الأيدلوجية التلمودية اليهودية هي إحتواء الفكر المسيحي الغربي باعتباره الفكر العالمي في ذلك الوقت ولذلك جاءت حركة التنوير التي هي ماسونية صهيونية تلمودية صميعة لدحر القيمة الأساسية للفكر العربي المسيحي وضربه في جوانبه القوية حتى يسقط بصريعاً مثخناً بالجرأح مستسلماً لمخطط التلمودية وكانت التلمودية هي التي أنشأت الدين الوضعي Religion Positive الذي يقيم سلطان الحس والذي يتصل بالقيم الثلاث البدائل للثالث المسيحي : الحق : نقد العقل النظري . الخير : نقد العقل العملي . الجمال : نقد ملكة الحكم . وقد استخدمت هذه المدرسة المادية كل ما استطاعت وكان التركيز على نظرية دارون وجرى إخراجها من مجالها البيولوجي إلى المجال الاجتماعي حيث أنشأ « سبنسر » نظرية التطور الاجتماعي ، التي نماها كانت ثم دور كايم حيث فرضت مفهوم الخروج من دين الله جملة بالمحجوم على الغيبات والقول بنسبية الأخلاق وفصل الدين عن المجتمع والدولة . والهدف حجب مفهوم الدين والأخلاق عن الأسرة والمجتمع . وهذا كله في مجموعة يرى الحياة الاجتماعية والبشرية . وقد سيطر المذهب المادي على الفكر الغربي كله وأصبح اليوم هو أساس للفكر الغربي الليبرالي والفكر الماركسي جميعاً وأصبح التفسير المادي للتاريخ مفهوماً شاملاً معترفاً به وأصبحت هناك معارضة شاملة للروحانية والمعنوية والمثالية وأصبح التفسير المادي للسلوك والحياة والمجتمعات والتاريخ هو الأساس . بل إن المادية أعلنت أن العقل صفة طارئة لبعض حالات المادة وأن العقل يولد من المادة فهو مدين لها وأصبح الفكر الغربي في قمة ماديته يؤمن بأن البداء الجنسي والبداء الخاص بالطعام هما اللذان يجعلان البشرية وكما تجعد المادية وجود الخالق وتنكر الروح والجزاء ولقد كان لهذا كله أثره البعيد في التربية والأخلاق والمجتمع والاقتصاد حيث علت كلمات الحرية وانتحلل والإباحة والربا والدعوة إلى السعادة والتمتع بالحياة والانطلاق بدعوى أنه لا توجد حياة بعد هذه الحياة .

(٥) التآمر على البشرية

عمدت التلمودية الصهيونية منذ أن خططت لهدفها البعيد في التآمر على البشرية: يقول أحد المؤرخين أن من يدرس التاريخ الإنساني دراسة استقصاء وتثبت يجد خلف كل ثورة أو مؤامرة دموية أثراً يهودياً أو ينداً يهودية فقد كان اليهود وراء الحروب الصليبية ووراء الثورة الفرنسية ووراء الثورة الروسية ووراء النظريات المادية والماركسية والرأسمالية والاستعمار وفي محيط التاريخ الإسلامي نجد ابن سبا وابن ديصان والمناوية وابن ميمون القنداح وحمدان قرمط وبابك وحسن الصباح والحشاشين كل يتصل بنسب إلى اليهودية التلمودية ولقدييات واضحاً مما أعلنه اليهود أنفسهم من مخططاتهم الثلاث الكبرى : الثورة الفرنسية والثورة الروسية وإسقاط الخلافة والدولة العثمانية : ولقد هدموا في الطريق إلى تحقيق غايتهم في الوصول إلى فلسطين لينطلقوا منها للسيطرة على العالم كله كثيراً من الدول والتيجان والعروش وحطموا كثيراً من قوى المقاومة . وتكاد تكون الحرب العالمية الأولى والثانية من مخططات توسيع الطريق إلى احتلال السيطرة العالمية وقد أعلن أحد رجال حكومتهم الخفية أنهم يهدون للحرب الثالثة للقضاء على كل نفوذ وامتلاك السيطرة العالمية ولم يتحقق لهم ذلك إلا عن طريق الدس والمكر والخداع والتآمر وشراء الذمم واستعمال سلاح المرأة والمال والاغراء والترهيب والتسلط والسيطرة المالية والاقتصادية على مقدرات الأمم ، وكان سلاحهم القوى : الغزو الفكري والسيطرة على القيم وتحويل المجتمعات من طابع الدين والأخلاق إلى طوابع التحلل والإلحاد والإباحة وأدواتهم في ذلك هي دعوات القومية والعنصرية والفكر الماركسي والوجودية والفرويدية والمادية والصراع الطبقي والطوابع الإباحية المتصلة بالعرى والفساد والأغاني والفن والمسرح الذي هو عندهم بديل دور العبادة وإذا كانت الماسونية هي مدخلهم إلى العالم كله . إلى الأديان والأمم والتقاليد حتى قال جورج زيدان في كتابه تاريخ الماسونية - العام (أن الماسونية كانت مصدراً لكثير من التعاليم التي أصبحت من أقوى دعائم التمدن الغربي الحديث) فإن الاشتراكية والماركسية والشيوعية هي أكبر مفصح عن خططهم وأقوى دعامة لتدمير العالم والسيطرة عليه . ولقد كان مدخل المؤامرة التلمودية الصهيونية إلى العالم الإسلامي ، ركيزتهم التي غموها وأعدوها في قلب الدولة العثمانية « الدوغمة » التي أقامت محافل الماسونية وأحوت رجال الاتحاد والترقي وجميعه تركياً الفتاة وأخرجت فيهم طبقة مصطبى

كمال أتاتورك بعد الحرب لتدمير الإسلام في تركيا العثمانية دولة الخلافة . ولقد لعبت التلمودية الصهيونية دورها بجدارة في استخدام كل ماهو مطروح في أفق الفكر البشري من مذاهب متناقضة ، وبين الرأسمالية والشيوعية وبين الفرد والجماعة ، وبين الإلحاد والروحية الحديثة وهم الدعاة إلى الوطنية المتطرفة والعالمية ، وهم دعاة التسامح الديني والتعصب فهم يستخدمون المذاهب المتناقضة لخدمة مصالحهم ما دامت تؤدي إلى احتلال العالم والقضاء على أخلاقه ونظمه وأديانه وقوميته ومن مصلحة التلمودية الصهيونية التصادم بين الديمقراطية والشيوعية ، في حرب عالمية ثالثة لتحطيم القوميتين معاً وبذلك نزول العوائق أمام سيادة اليهود العالمية ودور التلمودية الصهيونية في التجسس دور خطير فقد عملوا لكل الدول في مختلف الجهات المتعارضة مع الفرنسيين والإنجليز أبان خلافهم ومع الرأسمالية والشيوعية في الوقت الحاضر ، وبذلك تمكنوا من الحصول على أسرار الدول والجماعات ليخدموا بها مصالحهم ويتمكنون بها من تدمير مصالح غيرهم وقد اتخذوا الدخول في الأديان سبيلهم إلى ذلك فدخلت جماعات منهم في المسيحية قديماً ودخلت منذ أكثر من مائة سنة جماعات في الإسلام وانصهرت فيها تقية لتؤدي دوراً ما في وقت معين . وقد عرفوا بأنهم وراء كل منظمات الاغتيال والتآمر ، وقد قتلوا كل من وقف في طريقهم ، في روسيا أو في المشرق (اللورد موين والكونت برنادوت) . ولما كان لليهود منذ قديم الزمان عناية عظيمة بالتجسس فقد أنشأوا مصالح خاصة لهذا الغرض وقيل أن سر الأثراء المالى لهم هو السبق إلى المعلومات الصحيحة ومن يراجع تاريخ الثروات التي جمعتها بعض الأسر اليهودية المشهورة يجد أن منشأها هو الحصول على معلومات سياسية أو حربية والانتفاع منها قبل انتشارها بين الجماهير . وفي سبيل تحقيق الهدف كانت جميع الأنظمة الغربية : الملوك لا يحكمون ولا يرأسون الجيوش أبان القتال ، والفصل بين الدين والدولة والأنظمة الديمقراطية التي تسمى باسم سلطة الشعب وتغذى بالرشوة في سبيل الوصول إلى كراسي الحكم ، وفي مختلف القوانين التي تحكم المجتمعات لليهود أصبح في وضعها أو تعديلها أو تفسيرها ونشرها وهي قد وضعت بواسطتهم أو بواسطة أتباعهم في المحافل الماسونية أما لمصلحة رؤس الأموال أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير أو الترويج لنزعة من النزعات التي يرتاح لها فريق ويسخط لها فريق ، والنظام الديمقراطي ، والقانون الغربي ، ونظام الاقتصاد ، ونظام التعليم قائم على تبادل المنفعة سواء أوافق هذا التبادل القيمة الخلقية أم خالفها والحق عندهم

هو الذى يمشى مع القانون ولا تعاقب عليه المحاكم ، وهذا كله يختلف مع مفهوم الدين المنزل ومع مفهوم الإسلام. وقد كشفت الأبحاث فى خلفية مؤامرة الثورة الفرنسية التى ما زالت تخضع للنفوذ الصهيونى حتى الآن ليردد دائماً أنها هى مصدر الحرية للعالم كله فى العصر الحاضر بينما قامت هذه الثورة على مخطط صهيونى حقق لليهود السيطرة على المجتمع الغربى وكسر قيود الكنيسة التى حصرت اليهود فى أحياء خاصة وجعلت تعاملهم مع المجتمع المسيحى على نحو خاص وكانت مقدمة لتدمير وحدة الغرب المسيحى بعد السيطرة على البروتستانتية التى أقنعتها الصهيونية بما زيفه الأخبار من وعد بالعودة إلى فلسطين عن طريق سيطرة الصهيونية التلمودية على مناهج الجامعات والمدارس فى مختلف البلاد الخاضعة للمذهب البروتستانى وخاصة انجلترا وأمريكا . وقد حذر الرئيس الأمريكى بنيامين فرانكلين شعب الولايات المتحدة عام ١٧٨٩ فقال : هنالك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة ذلك هو الخطر اليهودى. نعم حينما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمته الشعب ويزعزعون الخلق التجارى الشريف . أنهم لا يندمجون بالشعب ، لقد كونوا حكومة داخل الحكومة وحين يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً كما حدث للبرتغال وأسبانيا وإذا لم يستثن اليهود من الهجرة بموجب الدستور فى أقل من مائة سنة سوف يتدفقون على البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لإقامتها دماً وحياتنا وأموالنا ، إن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال . والنمر لا يستطيع أن يغير لونه واليهود خطر على هذه البلاد وإذا سمع لهم بالدخول فسوف يخربون دستورنا ومنشئنا . وهذا الذى توقعه فرانكلين قد وقع فقد احتوى اليهود هذا المجتمع الجديد وسيطروا عليه ، وهى سيطرة تمت فى أوروبا كلها أولاً ، وكان اليهود قد سيطروا على فرنسا أولاً ثم على بريطانيا ثم أمريكا فى سبيل تحقيق مخططهم وأهدافهم .

(٢) إن أثر التلمودية الصهيونية واضح فى مخطط الثورة الفرنسية وتعترف دائرة المعارف الماسونية أنه منذ القرن السادس عشر والبنائون الأحرار (أى الماسون) فى مقدمة القائمين بحركات سلمية كانت أو عنيفة قلبت الأوضاع القديمة ووضعت الأسس للديمقراطية الحديثة وكانت الثورة الفرنسية فى خدمة هذه الحركات الإصلاحية القوية العنيفة وتضيف دائرة المعارف الماسونية إلى اعترافها قول لا مارتين : « إن اعتقادى ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التى تأسست عليها الثورات الكبرى سنوات ١٧٨٩ ، ١٨٤٨ . وقال المؤرخ

السياسى الاقتصادى لويس ريلان : بأن الماسونية كانت معملاً للثورة وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعة الأنسكلوبيديا وحقاً قال فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسى للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة فى الأمر فالماسونية قد اتخذت لها شعاراً كلمات ثلاث : (حرية ، مساواة ، أخاء) واتخذتها قبل أن تتخذها الثورة الفرنسية شعاراً . أما تمويل الثورة فتعترف دائرة المعارف اليهودية : إنه كان وزراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها . « وحين اندلعت نيران الثورة الفرنسية كان وجهها يهودياً ثورانياً تلمودياً إذ لم يعرف التاريخ كالغوغاء الذين نظموا وتآمروا وثاروا ضد كل طبقة من الناس ، وكانت غايتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك إلى النبلاء ورجال الدين وطمس القوانين وتغيير العملة وعلم البلاد والتقويم الرسمى ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وخيرها بل قام بها أجانب . (حاشية : كل هذه الحركات التى تولها اليهود قام بها أجانب ومثال ذلك الانقلاب العثمانى والدعوة إلى الطورانية والثورة العزبية بقيادة الشريف حسين) : هؤلاء الأجانب يستترون وراء قوة سرية ترمى إلى هدم كل شئ فى فرنسا ولم يكن أولئك الأجانب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بنخلق فراغ كبير بين الأسر الحاكمة وبين الشعب ثم بإثقال كاهل البلاد بالديون اليهودية تظهر بما يظر الملك الحاكم أمام شعبه مبذراً أنانياً ظالماً ، وسرعان ما شرع اليهود يزيفون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بذلك العمل التاريخى الذى خدم الإنسانية وأعطى وثيقة حقوق الإنسان وهى فرية إنطلقت على ملايين البشر ، فالثورة الفرنسية فى حقيقتها من أسباب شقاء العالم وإذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التى خططت لها ومولتها ونفذتها وجنت أرباحها . وهكذا كانت الثورة الفرنسية مقدمة لفتح الطريق أمام اليهود للمساواة مع الأجناس الأخرى وللسيطرة على مقدرات الشعوب والأمم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وهدم الحكومات الأوروبية فى روسيا وفى تركيا . ولقد أسلمت الثورة الفرنسية الشيوعية مقاليدها ، واستطاعت الصهيونية أن تنشئ الشيوعية وتسيطر بها على جزء ضخم من العالم المسيحى ثم تضرب الغرب الرأسمالى بالشرق الشيوعى لحصر العالم بين القوتين دافعين الأمم التابعة للغرب بالضغط إلى الإرتواء فى أحضان الشيوعية .

(٦) السيطرة الاقتصادية

يعد « الربا » المدخل الحقيقي للسيطرة التلمودية الصهيونية على العالمين الرأسمالي والشيوعي ويعد الذهب الذي يحتكره اليهود أقوى الأسلحة لإثارة الرأى العام وإفساد المجتمعات والقضاء على الضائكر والأديان والقوميات ونظام الأسر ، وعن طريق المال يسيطر اليهود على الأعلام والفكر وفى عديد من أنحاء الغرب (أوروبا وأمريكا) يملك اليهود البيوت التجارية والأسواق ، ولهم نفوذ قوى ومؤثر على الصحافة والتليفزيون ويوجد فى العالم حسب آخر إحصاء ٩٥٤ جريدة ومجلة خاضعة للنفوذ الصهيونى وفى بريطانيا وحدها ٦٩ جريدة خاضعة للصهيونية . ودعاة المذهب الرأسمالى وعلى رأسهم (آدم سميث) يهود ودعاة الماركسية الشيوعية وعلى رأسهم (ماركس) يهود . واليهود هم الذين أقرضوا الخديو إسماعيل ١٢٥ مليوناً من الجنيهات لم يصل إليه منها سوى أربعة وخمسين مليوناً فقط ، وقد قبضوا ٦٥ فى المائة منها أرباحاً وسمسرة . والماليون اليهود هم الذين ارتهنوا الأراضي المصرية وملكو الجمارك والضرائب واشتروا ممتلكات إسماعيل وأساهم لا تزال مسجلة فى أحياء القاهرة : (سوارس ، موصيرى ، شملا ، بلانش- ، شيكوريل ، قطاوى ، كوهين ، لفي) . وفى العالم كان أبرز اليهود المسيطرين اقتصادياً هم : (فروهلنج ، جوش ، أونيهاييم ، روتشيلد) ويشير المؤرخون إلى أنه منذ عام ١٨٦٣ استغل اليهود اضطرابات الحالة الداخلية فى مصر بعد حروب محمد على فاستولوا على اقتصاديات البلاد وما حدث فى مصر ، وقع فى كل مكان وصل إليه الاستعمار الغربى فقد كانوا أداته فى السيطرة على البلاد المستعمرة فى أفريقيا وآسيا . وفى الغرب كان اليهود هم مصاصوا الدماء ، سيطروا على التجارة والمال ثم استطاعت القوى المسيحية انتزاعها منهم فتوقف اليهود عند مسائل الإقراض بالربا فكانوا موضع كراهية الشعوب واحتقارهم . يقول أرنولد توينبي : لقد بذل المسيحيون فى الغرب جهوداً جبارة فى الميدان الاقتصادى الذى كان حكرًا لليهود وتكشف مسرحية شكسبير « تاجر البندقية » عن ذلك التسلط اليهودى فى قضاء الربا . ووفاء الديون والمعروف أن اليهود حولوا عملهم الربوى إلى نظام مصرفى له قوانينه واعتراف الدول به واختفوا وراء الأسهم والسندات حتى ينقلوا أنفسهم من عمليات القتل والسطو والإبادة التى كانوا يتعرضون لها . وقد أشار اليهود فى كل وثائقهم إلى سيطرتهم على الذهب فى العالم وقيامهم بامتلاك مصادر الاقتصاد والمال . وهم أنفسهم أصحاب القوة الزائمية والسيطرة الاقتصادية

الذين صنعوا الماركسية والاشتراكية ، التي تبدو ظاهراً معارضة للرأسمالية . إن الباحث المتخصص يجد أن المحاولات لمقاومة النظام الرأسمالى بدأت منذ وقت بعيد وإن صوراً مختلفة من الاشتراكية ظهرت في أوروبا على أيدي جماعات تستهدف تخفيف ضغط الرأسمالية سواء في مجال العمل أم في مجال الفكر المسيحي الغربي نفسه ، ومن ذلك فكرة « الفابية » التي كان يدين بها برناردشو ، هنالك تقدم اليهود ليضعوا منهجاً اشتراكياً يضرب كل هذه القوى ويدمرها وينشئ ذلك الطريق الجديد لتقسيم العالم توطئة لتدميره ومقدمة لتحقيق هدفهم في السيطرة عليه . ذلك أن الدعوة الماركسية قصدت أساساً هدم الدين نفسه ولم تكن قاصرة على معالجة مشكلة عدالة التوزيع . والدين هنا هو المسيحية بهدف خلق روح الإلحاد والمادية والإباحة أساساً كمصدر لنظام وحياة ومجتمع ودولة . وهذا أول مكاسب اليهودية : هدم المسيحية وإدامة السيطرة على مقدرات الأمم ، كذلك فإن قيام نظام ماركسي يعنى وضع جميع مقدرات الأمة في يد المجموعة الحاكمة وإخراجه من أيدي عشرات الأغنياء والموسرين شريطة أن يكونوا من غير اليهود . ومعنى هذا أن هذه النخبة تستطيع أن تفعل عن طريق تحقيق الهدف اليهودي أكثر مما يفعل الرأسماليون أنفسهم كذلك فإن النظام الماركسي نفسه يحل في العالم روح الشر والقتل والإبادة ويحقق هدفه عن طريق الثورة التي تقتل وتحطم وليس عن طريق التطور والتدرج والإقناع ومن ثم ظهرت مفاهيم لإحداث الانقلابات والثورات فكانت في أغلبها نتاجاً يهودياً للمودياً يستهدف تحقيق الغاية التي يقصد إليها أصحاب امبراطورية الربا . كذلك فإن احتضان اليهود التلمودية للماركسية هو طريقها إلى خلق أجواء من العنف من شأنها أن تصير الحياة الاجتماعية شقاءً مطلقاً فهي تحرم الناس من ثرات عملهم وتقدمها لقمة سائغة للقوى المسيطرة ثم تفرض على الناس رهبة كاملة فلا تدع لهم حرية الكلمة ، ثم هي بعد ذلك تقتل قوى الإبداع والابتكار نتيجة إحساس الإنسان الممتاز بأن أى عمل يقوم به لا يحقق له أى تفوق شخصي ، كذلك فإن هذا النظام الاقتصادي الذي هو تفسير شامل للحياة والمجتمع يعمل على دفع المجتمع إلى هدم الأسرة وإلى التحلل وإلى إنكار العلاقة بين الله والإنسان تماماً وهذا كله من أكبر أهداف التلمودية ، ومن هنا فإن اليهودية تكون قد صنعت لها مجتمعاً يحقق كل أهدافها في السيطرة على العالم ، وتضغط به في مواجهة المجتمع الرأسمالى الذي هي صانعة أيضاً والمسيطرة عليه . ومن هنا لا نجد البشرية فكاً من أن تكون بين حجر الرحي ، منتمية إلى أحد المعسكرين ، ثم هي تجعل

من الأمم الصغيرة أحجار شطرنج تضغط عليها الرأسمالية فتندفع إلى الشيوعية ولما كانت-
الأيديولوجية الماركسية الشيوعية فكرة قلقة فهي غير ثابتة وفي حاجة إلى تعديلات دائمة ،
ومن ثم فهي تنفق الملايين في سبيل الدعوة والاعلام ، وهذه الملايين تفقدها الجماعة البشرية
نفسها لأنها تنهب في سبيل الشيطان ، ولا يمكن لعقل صحيح أن يصدق أن الماركسية أو
الاشتراكية قد صنعت لكي تحرر البشرية من قسوة الرأسمالية والاستعمار فذلك مجرد قول
يقال لخداع بعض الناس ، أما الحقيقة فإن الاشتراكية الماركسية قد صنعت لتديق البشرية
أهوالاً جديدة أشد قسوة من أهوال الرأسمالية والاستعمار ، وان هناك الامال المعلقة على أن
تسيطر الصهيونية على الرأسمالية وبذلك يسقط العالم في يد القوتين اللتين هما من صنع
التلمودية : الصهيونية والشيوعية اللذين هما وجهان لعملة واحدة . وإذا نظرنا إلى قادة السياسة
الاقتصادية في العالم وجدنا اليهود يحتلون أغلب هذه المناصب فقد كان من أبرز من رسم
سياسة الحزب الديمقراطي للولايات المتحدة اليهودي (ورجانتو) ومن أبرز من يرسم سياسة
الحزب الجمهوري للولايات المتحدة اليهودي (فرنكفوتر) وباروخ اليهودي هو الذي وضع
نصوص معاهدة فرساي عام ١٩١٩ وأصبح مستشار روزفلت رئيس الجمهورية عام ١٩٣٥ .
وبالجملة فإن اليهود هم قادة السياسة والاقتصاد في العالم .

رابعاً : إحتواء الفكر الغربي

(١) ميراث الركام البشري

تشكل الفكر الغربي من مصادر ثلاث : (١) الفلسفة اليونانية . (٢) القانون الروماني .
(٣) اللاهوت المسيحي . ولا ريب أن المسيحية التي عبرت من الشرق إلى أوروبا كانت عاملاً
هاماً وخطيراً في تطعيم الفكر الغربي بطوابع الإيمان والرحمة والأخلاق ، وذات أثر كبير في
القضاء على روح الوثنية وعبادة القيصر والعنف والقسوة التي عرف بها الرومان ، والإباحية
المدمرة التي قضت على الأمبراطورية الرومانية . ولقد كان للإسلام أثره الواضح فيما بعد
المسيحية في تعديل كثير من جوانب النفس الغربية والعقل الغربي ، وتحويل المجتمع الغربي
من طوابع الرهبانية واعتزال الحياة والعكوف في الأديرة إلى الانطلاق في مجال العمل
والإنشاء وكان للمنهج العلمي التجريبي الإسلامي الذي أنشأه المسلمون ووصل إلى درجة عالية
من القوة في جامعات الأندلس من حيث النتائج التي حققتها في مجال الكيمياء والطب والطبيعية

والرياضيات والفلك ، كل هذا أطلق الروح الغربية من أسار الرهبانية وقيود النسك وكان للأدب العربي الإسلامي آثاره البعيدة في ظهور طوابع جديدة من الحنان والحب والرحمة بدأها شعراء التروبادور ثم امتدت من أسبانيا وفرنسا إلى مختلف مقاطعات أوروبا وأقطارها . ولا ريب كان لانطلاقه المجتمع الغربي بفضل الإسلام - من روح النسك والزهادة والرهبانية التي ابتدعوها وما كتبها عليهم دين الله ، أبعد الأثر في تألق عصر النهضة الذي تشكل على أثر دخول العلوم التجريبية والدراسات الإنسانية الإسلامية بعد أن افتتح المسلمون قارة أوروبا وأقاموا في الأندلس ثمانية قرون وتركوا بصماتهم حية نابضة في كل مكان في الغرب ، وخاصة في قواميس اللغات فضلاً من مواقع الاستيطان والإقامة . ولقد كان هذا الاتجاه الذي سار فيه الفكر الغربي قمين بأن يهديه إلى الإسلام بعد أن جاء عصر العلم ولم تسعفه التفسيرات الغربية للمسيحية ، غير أن محاولة عصر التنوير التي قامت بها التلمودية اليهودية قد دفعت الفكر الغربي إلى « منحى » جديد كان مقدمة لاحتوائه والسيطرة عليه . ولا ريب أن سيطرة النفوذ الاستعماري الغربي على العالم الإسلامي ونقله إلى المسلمين نظرياته ومفاهيمه وقيمه كان من أخطر المعارك التي خاضها الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والغزو الثقافي والاحتواء . فقد واجه الفكر الإسلامي : ليس الفكر الغربي وحده الذي شكلته المسيحية ولكنه واجه ذلك العنصر الجديد الخطير الذي سيطر على الغرب واحتوى مجتمعه وفكره ، ذلك هو عنصر التلمودية الوثنية الإباحية التي جددت مفاهيم الفلسفات القديمة التي جاء الإسلام هادماً لها ومحطماً لقواعدها سواء الفلسفة اليونانية الهلينية الوثنية أم الفلسفة الغنوصية الشرقية بتعددتها وإباحياتها أو ما تشكل عنها من الأفلاطونية الحديثة أو الثيوصوفية أو البهائية والوجودية والماركسية والفرويدية . وإذا كان الفكر الغربي الذي فقد هويته منذ وقت بعيد على النحو الذي مكن للوثنية اليونانية والتلمودية اليهودية من السيطرة ، قد خضع خضوعاً شديداً لهذا فإن الفكر الإسلامي الذي واجهته هذه الحملات الشديدة من التبشير والغزو الثقافي والتغريب - وهو على غير استعداد لها ، لم يستسلم ولم يخضع ، ولكنه استطاع أن يقاوم ويدافع عن نفسه مستمداً من رصيده الضخم وجذوره الثابتة في التربية وأصاله فكره الواضح الهويّة الصريح الغاية الكامل الوسيلة والاداة للدفاع عن نفسه إبان المحن والغزوات وزلازل الاحتواء وإذا كنا لنا أن نعرض لاحتواء التلمودية الصهيونية اليهودية للفكر الغربي فإنما نحاول أن نواجه هذا الخطر المزدوج الذي يواجهه الفكر الإسلامي ويحاول أن يلقى في أفقه هذه

الشبهات الضخمة ، وهذا الركام الشديد : ركام الفكر البشرى القديم السابق للإسلام والمتجدد دائماً على أيدي التلمودية اليهودية لإفساد المجتمعات البشرية لقد ورث اليهود ركام الفكر البشرى كله ، وعاشوا حماته ودعائه ومجددوه في كل عصر ، ولقد استطاعوا في العصر الحديث أن يضعوا هذا الركام القائم على الوثنية والإباحية والمادية - في نظريات حديثة لها طوابع علمية براقة خداعة فسيطروا على مذاهب الفلسفة المادية ، ومذاهب الروحية والبهائية وجماعات الهيئز ومخازن الأزياء والزينة والمسارح والسينا والسيطرة على التراث اليوناني الوثني والتراث الشرق الأسطوري ثم كان لليهودية التلمودية السيطرة على مناهج العلوم الإنسانية : النفس والأخلاق والاجتماع والتدخل في علوم الأنثروبولوجيا واللغات وإثارة نكرة الجنس والعنصرية وغيرها من أجل إعلاء اليهودية وبعثها السيطرة بها على جميع الأديان وهكذا حرصت التلمودية على السيطرة على كل ميراث الركام البشرى كله ودفعه إلى هدم كل القيم الدينية والأخلاقية والحلول محلها والمتتبع لحركة التلمودية في العالم يدرك أن الصهيونية لا تخلق حركة اجتماعية على إطلاقها ولا قدرة على خلقها ولكنها لا تكاد ترى حركة إلا سارعت إلى استغلالها واحتواءها وتوجيهها إلى الوجهة التي تخدم مصالحها . إن أخطر ما تحاول التلمودية اليهودية والصهيونية هدمه هو القيم فهي تحاول أن تفرغ المجتمعات من القوة ، والحيوية ، والرجولة ومفاهيم الجهاد والمقاومة بغية تدمير الشخصية الإنسانية باسم تحريرها ، وفرض مناهج جديدة لإنهاكها ، وتحطيم معنوياتها وحصانيتها فتصبح غير قادرة على مواجهة خطر الغزو والسيطرة الخارجية . ولقد حاولت التلمودية الصهيونية أن تروج مجموعة من المفاهيم الهدامة في الغرب ثم صدرتها إلى العالم برمتها على أساس نقل الفكر الإنساني كله من مجال الأديان والخلق ، وطريق الإيمان بالله والتوحيد والإيمان بالبعث والجزاء إلى الإلحاد والإباحية والوثنية والمادية وهي محاولة بدأت منذ وقت بعيد ، منذ اليوم الذي وصف بأنه عصر التنوير بعد عصر النهضة في أوروبا وهو العصر الذي بدأت تفرض فيه الماسونية فلسفتها ثم تنقلها على أفلام طائفة من الفلاسفة والأدباء الذين كونتهم المحافل الماسونية وكان أبرزهم رجال الموسوعة كمقدمة للثورة الفرنسية

(٢) التلمودية والدعوات الهدامة

لما كان هدف الأيدولوجية التلمودية [إقامة امبراطورية الربا العالمية] فقد رسم اليهود

أهدافهم بدقة حيث أجروا مخططاً كاملاً للسيطرة على العالم أو الانتقام من الأميين وجعلوا من الدعوات الهدامة سبيلهم إلى تحقيق غايتهم . وكان ذلك طبيعياً فإنه ما دام المثل الأعلى التلمودى هو الربا والسيطرة على الإنسان فلا بد من تدمير الأديان والأخلاق لأنها هى قوى المعارضة الحقيقية للشر والظلم والسيطرة والحقد والجشع ومن هنا كان تركيز التلمودية اليهودية على تفكيك الأخلاق وتسهيل سبل الشهوات وتزيين ذلك للناس بفلسفة مبررة وبوسائل متجددة فى العرض والصياغة ومن هنا فقد سيطر اليهود على الصحافة والسينما والجامعات فأصبحت فى أيديهم كل وسائل التأثير العقلى والإقناع النفسى عن طريق الكلمة المكتوبة والكلمة المسموعة والصورة المرئية فأشطره الصور المتحركة فى أيدي اليهود والرقص ومسابقات الجمال والمودات والأزياء وكتب الجنس والصور العارية وقد نشروا فى العالم كله مجلات متخصصة للدعوة إلى عبادة الجسد ونشر المجون والفسق ونشر القصص المثيرة عن الأسرار والفضائح والجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى . كل هذا يهدف إلى هدم الدين والحضارة والأخلاق . وقد وصف مكسيم جوركى أمة اليهود بأنها سيف ذهبي مشهر على رأس أوروبا (مهد المسيحية) . ومن هذا فإن اليهود حملوا كل الفلسفات الهدامة القديمة إلى العصر الحديث وابتعثوها وفق فهم محدد لهدم مقومات الأمم الدينية والأخلاقية وقد حملوا هذه النظريات ونقيضها وعمل بعضهم مع الأصل والآخر من النقيض لتوسيع رقعة المساواة ودفع الأقطار إلى الصراع حتى يحى الوطيس ، وهم يلتقطون كل شئ ويتمشون مع كل الاتجاهات لترويج كل النزعات مادية وروحية ثم احتواءها بعد ذلك . ويرى المؤرخون أن التلمودية الصهيونية مهدت لإستيعاب الرأى العام المسيحى ابتداءً من ظهور الكثرة وأنها استخدمت أسلحتها الدعائية فى أعقاب حركة الإصلاح الدينى ووقفت وراء النظريات العلمية لتحويلها من هدفها الطبيعى إلى الغايات التلمودية وأبرز مظاهر هذه الاتجاه ما أريد بنظرية « دارون » التى كانت قاصرة على العلوم البيولوجية لجعلها نظرية اجتماعية عامة تطبق على المجتمعات وتحمل لواء الدعوة إلى التطور المطلق وإنكار الثوابت ثم كانوا من وراء نظرية التحليل النفسى فأختاروا فرويد لأنه علل الاستجابة البشرية بالجنس وحطموا غيره من العلماء الذين جروا فى طريق العلم الصحيح ، وذلك لإشاعة مفهوم الجنس وفرضه على الآداب والفنون والمجتمعات وخلق هذه الأجواء من الإباحية والفساد وفرويد منهم وهم الذين قدموا دور كايم وروجو لنظريته القائلة بأن نظام الأسرة مصطنع وإن الدين نبت من الأرض .

وكانت التلمودية والصهيونية قد أعدت ماركس وهو ينادى بأن لقمة العيش هي مصدر حركة التاريخ وإلغاء الحكومة في المجتمع العالمي ووراء نيتشه وهو ينادى بسياسة القوة واللارحمة وقد أشارت برتوكولات صهيون إلى هذا صراحة فقالت « لاحظوا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه نحن الذين رتبناه من قبل ». ويلاحظ أن هدف هذه السيطرة على الفكر والثقافة والفن هو هدم الأديان وقد كان للتلمودية أثرها في المدرسة الاجتماعية (دور كايم ولبني بريل) والشيوعية (ماركس) والوجودية (سارتر) ومذهب التطور (سبنسر وكانت) والسريالية وعلم الأديان والمقارن ، وعلم الاقتصاد السياسي ونشر التوراة والبهاثة والفرويدية والأزياء والقوميات وفلسفة الأجناس ، ودعوة العالمية متوسلين بهذا كله إلى نشر الإلحاد ونسف الإيمان من النفوس وقد وجدوا في كل بيئة من يروج لأرائهم الهدامة بين الناس تحت اسم العلم والفن ، على ما في هذه الآراء من زيف وما وراء هذه النظريات من سوء النية وكانت دعوة الفكر الحر مصدراً هاماً لتشكيك الناس في الديانات والحط من كرامة رجال الأديان . ويقول الباحثون أن التلمودية الصهيونية قد فجرت ثلاثة قنابل في العصر الحديث . الأولى : أطلقها كارل ماركس أبو الشيوعية حين أعلن للناس أنهم حقراء جائعون ضائعون مأجورون وكان البترول الذي يعتمد عليه ماركس - كما يقول الكتاب - هو الحق والحسد والكسل . والثانية : أطلقها فرويد : الذي أعلن أن في أعماق الناس وحش كاسر هو الغريزة الجنسية والذي قال أنه ليس في النفس إلا الجنس والقنبلة الثالثة : هي القنبلة الذرية التي فجرها أنشتين . وبذلك انفجرت ثلاث قنابل : معركة الخبز ، ومعركة الجنس ، وقنبلة الخوف . يقول الأستاذ محمد خليفة التونسي مترجم البروتوكولات : حيثما ظهر مبدأ أو دين أو مذهب علمي أو فلسفي يهب اليهود ليكونوا من وراءه يتصرفوا معه بما ينفعهم .

(٢) وقد أفلحت الدعاية اليهودية في طبع كثير من العقائد والنحل بما يحقق مصلحتها ففترى روح الولاء والتلهيل لبني إسرائيل ومقدساتهم تيمن على بعض المقدسات المسيحية وما ظهر مذهب فكان يؤدي إلى أن يسهم بالأذى من قريب أو بعيد إلا قبلوه أو أولوه بما يفسده هو وينفعهم هم وما كان مؤدياً إلى خير لهم ووجوه في كل أنحاء العالم ، وكذلك لكل قلم ما دامت آثاره عن قصد أو غير قصد - تساعد على إفساد الناس ورفع شأن اليهود كما فعلوا مع نيتشه الذي هاجم المسيحية وأخلاقها وقسم الأخلاق قسمين : أخلاق سادة

كالعنف والاستخفاف بالمبادئ وأخلاق عبید كالرحمة والبر مما يتفق وروح اليهودية وتاريخها ويمهد لها في الأذهان ويجعلها سابقة عن نيتشة ، وكذلك روجو لمذهب التطور وأولوه. تأویلات ما خطرت لدارون واستخدموه في القضاء على الأديان والقوميات والفنون باعتبار أن كل شيء بدأ ناقصاً شائها يثير السخرية والاحتقار ثم تطور فلا قداسة إذن لدين ولا وطنية ولا قانون ولا فن ولا لمقدس من المقدسات وهم يعبثون بعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم مقارنة الأديان ويسخرونها لمصلحتهم وبقصد إفساد الآداب والنظم والثقافات والعقول في كل أنحاء العالم ويدسون فيها نظريات مبهرجة لا يفتن إلى زيفها إلا الموهوبون ذوو العقول المستقلة وهم من وراء كل زى من أزياء الفكر والعقيدة والملبس والسلوك ما دام ينفعهم ولا سيما إذا كان يفسد غيرهم إلى جانب ذلك . ويقول : أنه لن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها وهي أن أصعباً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترى إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان . ولعل أضخم ما أثاره اليهود في العالم كله دعوى الجنس والقوميات وإحياء العروق والدماء وكانوا من وراء ظهور نظرية العنصرية في أواخر القرن التاسع عشر وكانوا يقصدون بذلك العمل على إحياء جنسهم وعرقهم وقوميتهم ، من ناحية وتدمير الروابط القائمة على الدين وإحلال صراع القوميات محلها وإثارة العصبية والخلاف بين الأجناس مما أدى إلى كثير من المعارك والحروب وباسم الأجناس والقوميات قامت أضخم حربين في تاريخ الجنس البشري هي الحرب العالمية الأولى والثانية وقد استغلت هذه الدعوة إحياء التراث الوثني القديم قبل الإسلام . وكذلك كانت محاولات الماركسية والإشتراكية تستهدف إيقاع الصراع بين أصحاب رءوس الأموال والعاملين ودفع العمل إلى الثورة على أصحاب رءوس الأموال وانتزاع مصادر الإنتاج منهم . وكانت الدعوة إلى العلمانية تستهدف صرف المجتمعات إلى اللادينية باسم الحرية والدعوة إلى بعث الوثنيات وأفكار الغنوصية والإباحية وعمدت مختلف النظريات المادية التي قدمها اليهود: ماركس . وفرويد ، دروكايم ، سارتر على أن الإنسان ابن المصادفة وأنه لا غاية في وجوده ولا هدف لذلك فلا معنى للحياة البشرية ولا المثل العليا الإنسانية وأن الحياة تخبط ليس فيها إلا المتاع والجنس وقد زاد من تعميق هذا الرأي ما أثاروه بعد الحروب المتوالية من تخويف الناس

بالموت والقنابل الذرية ليدفعوهم دفعا إلى الفساد والفاحشة ثم يجمع اليهود ملايينهم الكثيرة. وقد صدق الدكتور أوسكار لينى حين قال : نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومجركى الفتن فيه وجلاديه . ولا ريب في أن التلمودية قد اتخذت من إغراء الناس بالشهوات وإشاعة الرزيلة والانحلال وسيلتها لاستنزاف قوى « الآميين » استنزافاً يستهدف تدمير القيم في الأمم والدول ، مع إبقاء الجماعة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثير بالتعاليم ، وقد استطاعت التلمودية بعد نضال طويل مع الفكر الغربى أن تقرر في داخله عدداً من المفاهيم منها أن هتلر ذلك الرجل الشرير الذى قتل ستة ملايين من اليهود المساكين ، أما ضحايا الإنجليز والفرنسيين والروس والألمان والطيالان من مئات الملايين فليس لهم حساب ، ولم يكن اليهود قد فقدوا إلا أنفسهم معدودة ، ولكنهم هولوا في هذا الأمر ليتخذوا منه ذريعة إلى تحقيق غايات بعيدة فقد استطاع اليهود أن يفرضوا على ألمانيا عقدة الذنب وملايين من الرويلات ، وأن يتبنوا هم ما أدعوه من قبل قتلهم في معاملاتهم مع العرب في فلسطين ، وأن ينقلوا ويمجروا مئات الألوف إلى فلسطين تحت ستار وهمى هو الاضطهاد النازى ويقول كتاب الغرب : أن اليهود استطاعوا تحويل أنظار العالم أجمع عن مأساة من أفظع ماسيه في حرب من أقسى حروبه ، وتركيزها على صراع اليهود مع هتلر رغم كل ما أحاط بتحقيقه هذا الصراع بين الصهيونية والنازية وغلف أبعاده من خفايا وأسرار لم تفسر غوامضها المريبة حتى الان ، بل وإصابة شعوب أوروبا قاطبة بعقدة ذنب لا تمحى تجاههم والتوصل إلى ضرب لم يسبق له مثيل في التاريخ كله من « الإرهاب الأخلاقى » باستخدام السلاح البتار لتهمة معاداة السامية التى باتت مردافة في الغرب لتهمة الخيانة العظمى وأكل لحوم البشر وتلك هى قبضة الصهيونية الخائفة على ضمائر كتاب الغرب ومثقفيه وعلى جيوب الناشرين مستهلفين استعباد عقول الأوروبيون وضمائرهم وطمس بصائرهم مستغلين الحصيلة الأوربية التى وصفها دستوفسكى بأنها عبودية أخلاقية للمشاعر النبيلة . ولقد صدق الباحث الغربى الذى قال : إن الفكر الصهيونى فكر مراوغ براق يحاول أن يضع أكاذيبه وأضاليه داخل مناهج علمية ولعل الذنب الأكبر الذى وضع هتلر موضع الحملات الشديدة المستمرة هو قوله في كتاب كفاحي : « ولكن قدراتهم المادية ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة إلى قذارة نفوسهم فقد اكتشفت مع الأيام إن ما من فعل يغاير الأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا لليهود يد فيها واستطعت أن أقيس مدى تأثير الشعب المختار في تسميم أفكار الشعب وتحذيره وشل حيويته . يتبعى نشاطه في

الصحف وفي ميادين الفنون والآداب والتمثيل فقد أمتد الأخطبوط اليهودى إلى هذه الميادين جميعاً وفرض سيطرته عليها ووسمها بطابعه فمعظم المؤلفين يهود مثلهم الناشرون والفنانون والفنانون وهذا التغلغل في كل ميدان من ميادين النشاط التوجيهى يشكل طاعوناً خلقياً أدهى من الطاعون الأسود وأشد فتكاً ذلّف أن تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التى تروج للأباحية المطلقة وللماركسية من صنع اليهود ، ولقد طالعى بحقائق لم تخطر لى على بال : منها الدور الذى يمثله الشعب المختار فى ترويج سوق الدعارة وفى الاتجار بالرقائق الأبيض ، وهذا الدور الذى يؤديه بمهارة « هذا الفهم الذى كشف عنه هتلر فى ألمانيا شبيه بالفهم الذى كشف عنه زعيم أمريكا وكلاهما يستمد مصدره من معرفة عميقة بالتلمذة الصهيونية وأسلوبها فى الهدم .

(٣) ماذا تريد التلمودية الصهيونية :

إن ما أوردته بروتوكولات صهيون يكشف عن هذه الخطط الهدامة تماماً : أولاً: القضاء على الإيمان بالله . ثانياً : إحتكار العمال وإفساد الرأى العام . ثالثاً : استنزاف جميع الثروات . رابعاً : إثارة الصراع بين الأمم . خامساً : خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق بواسطة الذهب الذى يملكه اليهود . سادساً : فصل الدين عن الدولة . سابعاً : تبأصيل قاعدة الربا فى الفكر والمجتمع . ثامناً : تحطيم المعتقدات الإسلامية والمسيحية وسحق القيم المعنوية : تاسعاً : إثارة الشكوك ضد كل المسلمات والعقائد . عاشراً : الدعوة إلى إشاعة الأباحية والزذيلة . حادى عشر : الحماس لكل جديد وتهديم القديم والحملة عليه . ثانى عشر : القول بأن التطور يحول دون بقاء أى شىء ثابت . ثالث عشر : القول بتغير الأخلاق بتغير البيئات والعصور رابع عشر : إطلاق الحريات من جميع القيود . خامس عشر : القول بأنه ليست هناك قيماً ثابتة . سادس عشر : الدعوة إلى صراع الأجيال وإيقاع الخلافات بين الأبناء والآباء . سابع عشر : إشاعة كلمات التعصب والرجعية والجمود . ثامن عشر : معارضة المعنويات والروحيات والغيبيات . تاسع عشر : إدخال الشبهات والإسرائيليات إلى العقائد والتاريخ . عشرون : استغلال جميع النهضات والحركات الوطنية والقومية واحتوائها . واحد وعشرون : القول بلا أخلاقية الحياة والعالم . إن محاولات الذعوات الهدامة عن طريق مناهجها بريق العلوم وأسمائها وهى تقوم فى أصولها ومقوماتها على إدخال

السوم التلمودية والزيوف والشبهات إلى الفكر البشرى كله : ١- هدم التوحيد عن طريق علم مقارنة الأديان : ٢- هدم الأخلاق والأسرة عن طريق علم الاجتماع الذى يزداد به تزيف حقيقة التاريخ بالقول بأن البشرية كانت وثنية ثم وجدت التفسير المادى للتاريخ عن طريق النظرية الماركسية العنصرية . ٣- عن طريق علم الأجناس الذى يزداد به تزيف حقيقة وحدة الجنس البشرى والقول بأن هناك أجناساً ممتازة بحكم الوراثة كاليهود مثلاً. وهكذا نجد معارضة كاملة للفطرة الإنسانية يمثلها الفكر التلمودى الصهيونى : * فرويد- عارض الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الجنس ولنفس . * دور كايم عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الجماعة والدين . * ماركس عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن التاريخ والمادة . * لينى بريل عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الأخلاق . * أميل لدوفيج عارض الفطرة الإنسانية فى مفهومه عن العظماء .

(٣) اليهود وراء العلوم والفنون

حرصت التلمودية إلى احتواء العلوم والفنون والآداب وذلك باحتواء مفاهيم الانحراف فيها والسيطرة عليها وإبراز مجموعة من صهيونى الفكر سواء أكانوا يهوداً أو مسيحيين وفرضوا آرائهم ومفاهيم على الجامعات وأذاعوا بها فى الصحف وهللوا لها وركزوا عليها وأعطوها حجماً أكبر من حجمها العلمى والحقيقى من أجل تطعيم الفكر البشرى بمفاهيم التلمود وسمومه وقد احتضنت عشرات من المفكرين فى مقدمتهم اليهود : برجسون وشبنجلر وانشتين ، واسبونزا وكارل ماركس ، ودور كايم ، وماكس نوردر وهويتمان ، توماس مان ، أندريه مروا ، وماركوز ووردينسون ولودفيج وكانت وجهة هؤلاء الكتاب : الهجوم على الحضارة الغربية المسيحية والنيل منها وتدمير مختلف القيم المسيحية والإنسانية ، ولقد أعد كثير من هؤلاء داخل المحافل الماسونية وكانت فى مقدمة الطبقة الأولى : فولتير ، وروسو ودينرو وهؤلاء هم الذين مهدوا للثورة الفرنسية والظاهرة التى يشترك فيها هؤلاء جميعاً هى عداوتهم للدين والأخلاق . وهم يرون أن فولتير هو أول من هاجم « المسيحية الغربية » ووصفها بأنها مخالفة للإنسانية وأنها سبب الاضطهاد وسفك الدماء وأنها مخالفة للعقل لأن فيها أسراراً لا يستطيع العقل أن يفهمها وعنده أن الديانات ديمقراطية فهى من خصائص الطبقات المنحلة ولا تتصل بالطبقات العليا . ويرون أن روسو هو أبو الثورة الفرنسية بكتابة العقد الاجتماعى وأنه هو

الذى دعا إلى حقوق الإنسان التى كانت الثورة الفرنسية مستمدة بالحرف مما كتبه ويقول طه حسين أن روسو هو الذى هدم سلطان الكنيسة فى فرنسا . أما ماكس نوردو فقد هاجم الحضارة الغربية باعتبارها حضارة مسيحية فى كتابه (الأكاذيب المقررة) الذى وزع على أوسع نطاق فى كل مكان وكتب عنه فى البلاد العربية المازنى والعقاد واسماعيل مظهر . وقد سفه نوردو النظم الاجتماعية وأسس الاصلاحات العمرانية السائدة فى عصره وهاجم النمسا (امبراطورية هابسبورج) التى كانت تضم بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ورومانيا وإيطاليا ، وقد تولى قيادة الحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل ، وقد أخذت القصة اليهودية حيزاً واسعاً من مشاغله الأخيرة ويعد فى نظر المؤرخين من أقوى دعاة الصهيونية . وهنرى برجسون واحد من أعلام اليهود فى الفكر الحديث وهو الذى أعلّى شأن العنصر الجرماني على سواة من العناصر الأخرى وله كتاب (ساعة التصميم) . يقول بتيان فى كتابه اليهود المعاصرون : أن (هينه) أفسد أخلاق باريس و (نوردو) حلل المبادئ والنظم التى تدعم المدينة وأظهر فسادها وتعفننها و (شبنجلر) : أنذرنا بضرب زوال الحضارة (وفرويد) خلق الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الأغريقية ومجد الغريزة .

(٢) ويقول أحد المؤرخين : أن (باروخ اسبنوزا) فى القرن السادس عشر ما جاء به قومه اليهود من الأندلس من مؤلفات ابن ميمون ، ابن عزرا ، موسى القرطبي ولما بدأ اسبنوزا عهد نشاط الفلسفة السامية جاء من الفيلسوفين اليهوديين كارل ماركس عام ١٨١٨ وماكس نوردو عام ١٨٤٩ فوضعا ختاماً لتلك المرحلة النظرية ، وقامت الشيوعية من ثمار ماركس وقامت النازية من آثار تيتشه ومن قرأ كتاب (هكذا قال زرادشت) ليتشه يستطيع أن يميز مجموعة من الآراء المثالية التى تطايرت من المحمرة الإسرائيلية فى الشرق والغرب وتديننت بها بعض الشعوب الآرية ، وكان كارل ماركس ونوردو عضوين عاملين فى الهيئة الصهيونية ومؤمراتها لحساب قوميتها الخاصة ، كان ماركس عضواً بالجمعية اليهودية بباريس أما نوردو صاحب كتاب الإنحلال فكان فى بودابست من أكبر أعوان (هرتزل) وبالنسبة للحضارة وأثر بعض اليهود فيها فإنه يجلس على قمة بعض النظريات وفرويد واضع فكرة التحليل النفسى وصاحب نظرية العقل الباطن ثم يذكر برجسون اليهودى الفرنسى أبو الفلسفة الحديثة وصاحب نظرية مقاومة المادية فى أوروبا . ويردناشو تلميذ صموئيل بيكر الفيلسوف اليهودى الإنجليز الذى نادى بإعطاء أفراد الأسرة من الأم والفتيات والعلماء حق التصرف

على هوائهم رغم إرادة الأب » . ومن كتاب اليهود صمويل بيكيت داعية الصهيونية وهو يهودى من إيرلندا عاش في باريس مع الصعاليك ودعا إلى مسرح اللامعقول وهو يحارب العادات والمفاهيم والقيم ويعمل على تحطيمها . ويقول (إلس) إن الكتاب الذين يجرى في عروقهم دم يهودى كانوا في طليعة الداعين إلى المذاهب المنافية للدين والآداب والمجتمع ، لقد تميز أكثر من واحد منهم بالأسلوب المنحط ، وفي الثورة الفرنسية لعب اليهود دوراً بارزاً بالنظر لقلّة عددهم وكانوا ممن نظموا نهب الكنائس وفي القرن الـ ١٩ ساهموا في نشر الثورة في أوروبا وهم الذين قضوا على الطابع المسيحى ، يقول دستوفسكى عام ١٨٨٠ : فاليهودى ومصرفه هما الآن سيدا الجميع وهما اللذان يهددان أوروبا والتعليم والتمدن وبالأخص الاشتراكية إذ أن اليهودى يعتقد أنه بالاشتراكية يقتلع أصول المسيحية ويلاشى تمدنها وهم عاملون على بث الدعاية الخبيثة للمبادئ المماثلة للغرائز باسم المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية بحيث تسود روح هذه المبادئ على روح الإنجيل مع كتابان هذه السياسة وعدم إذاعة خطبها » . ويشير كثير من الباحثين أن إلى الصهيونية العلمية تستعين بالإسماء الكبرى في العلوم والآداب والفنون وأنهم يذكرون ثلاثة : اينشتاين : اليهودى صاحب نظرية النسبية أوينهايمر : اليهودى أبو القنبلة الذرية . وايزمان ، اليهودى أبو القبيلة مخترع مادة الأستون . وهم يستفيدون من ضم هذه الأسماء اللامعة إلى الصهيونية : يرتزاند رسل ، فرنسو مورياك ، ألبرت شفاتيزر . وهم يغيرون أسمائهم ومعتقداتهم حسبما تشاء الظروف وحتى ينسئ الناس صفتهم الأولى : ذرائبلى يصير لوردبيكو نسفيلد . بزواتشين يصبح تروتسكى . بلومفيلدين يصبح بلوم . جولد بيزج يصبح جولدنج وفي مجال الفن . شارلى شابلى يهودى هاجر من غالسيا إلى أمريكا ، وقد عرف بإضحاك الناس وخداعهم والسخرية بهم ويصفه القاعون بأمر الإعلان عنه بأنه الفيلسوف الذى يملأ العالم ضحكاً وجميع أفلامه تزعزع العقائد وتصرف الناس عن العواطف والإحسان والرحمة وتصف إنغماسهم في الشهوات والماديات .

(٤) السموم في الآداب والفنون

كانت التلمودية الصهيونية وراء الأدب والفنون حيث تخصصت في تفرغها من الأصالة والقيم وكانت صناعتهم الغالبة هى القصة والرواية وما يتصل بها في المسرح والسينما . حيث أقاموا قاعدة الأدب الخالى من كل دين المجرّد عن اعتقاده وجود ديان يقضى بين البشر

وإنما مبناه على اعتبار الإنسان لذاته والعمل على مقتضى المنفعة والمطعم الفردى وقد عمد كتاب الصهيونية إلى توفير أسباب الفساد فى الروايات المكشوفة والصور العارية والأغاني البذئية . وكان لهم تأثيرهم الواضح فى الموسيقى - يقول هنرى فورد فى كتابه (اليهودى العالمى) : الموسيقى الشعبية الرخيصة هى احتكار اليهود وليست موسيقى الجاز إلا احتكاراً يهودياً . وليست هذه الحركات المثيرة بما فيها من قذارة والى تتسق مع النغمات التى تبعث الغرائز إلا من عمل اليهود ، ولعل من الغريب أنك حيث التفت للتحرى عن الخطوط المؤذية للنفوس التى تسرى فى المجتمع تجد جماعة من اليهود خلفها ، فوراء الفساد فى لعبة الكرة جماعة من اليهود ووراء الاستغلال المالى جماعة من اليهود ووراء الدعاية للمشروبات الروحية جماعة من اليهود والسيطرة على السياسات القومية الحزبية فى أيدى جماعة من اليهود وثمانون فى المائة من مستغلى الحروب هم من اليهود ومنظموا المعارضة الفعالة للقواعد والعادات المسيحية هم من اليهود . وفى هذا التعفن المسمى بالموسيقى الشعبية الذى يجمع بين تفاهة التفكير وبين الفجور الجنسى نرى أن اليد العاملة هى اليد اليهودية وهناك إجماع أن صناعة السينما تكاد تكون مشروعاً يهودياً بحتاً ، ومن الوسائل التى تقف خلفها التلمودية الصهيونية نجوم السينما والمسرح وفى هذا المجال تستطيع أن تقدم للعالم أفلاماً وروايات تحمل سموماً وأفكاراً تلمودية مضللة يأخذها المشاهدون وهم فى نشوة السرور والفرح دون معارضة » تقول البروتوكولات . سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب الملء الفراغ وسندعو الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات كالقن والرياضة وما إليها . وكذلك عمد كتاب اليهود إلى التأليف فى التنويم المغناطيسى والسحر وتحضير الأرواح والتنجم وكذلك رؤية الأشباح وظروف وجودها وجهودها ، يقول الأستاذ سعد الخادم « شجعت هذه الأساليب من الخرافة والأوهام على تكوين جمعيات لا حصر لها أضاع فيها الشباب والشيوخ أعمارهم فى الدجل حيث علقت آمالهم على كشف وهمية مزعومة . ويقول : لقد أوهموا الأدباء والشعراء بأن الانغماس فى الشهوات والانزواء فى شتى الانحرافات يهين نوعاً من الفكر أو يعلى البصيرة عن عالم تندمج فيه الحقيقة بالخرافة ، ويتضح فيه رغم تناقضه معان مجازية مثالفة وقد انساق الشباب الموهوبون فى أنحاء العالم وراء الفسق باحثين عن مشيرات لشهواتهم وأحاسيسهم بغية كشف عالم المتناقضات ، ولقد أضاع فى مجال العريضة أيضاً من لا حصر لهم من شبان باحثين عن شهوات رخيصة قد تثير فى آدابهم أو شعرهم تلك الأساليب

المستحدثة في التعبير التي يتميز بطابع الغرابة ويقول ؛ قامت في مجال الفن التشيكي جماعات تنادى بالفوضى والحياد بعيداً عن كافة المفاهيم القديمة للفن مع تجنب التعليم والمرانة والحدق في الأداء بل السعى وراء تعبير طليق مجرد من سائر هذه العوامل فيعبر الفنان عن انفعالاته الطارئة بالسبل التي يراها مهما كانت مثيرة للناس غريبة عنهم مفاجئة لمداركهم وقد جرت وراء هذا الركب جموع لا حصر لها من الشبان أضاعوا أعمارهم في الهذيان محاولين استنباط مثيرات تذهل على حد زعمهم تلك العقليات الجامدة التي حادت عن تقبل أى تغيير في مقاييس الفن . وجاءت النزعة السريالية وفقاً لهذه الخطة التي - وإن أحرزت السبق الفني المطلوب على يد جماعة من الصهيونيين - انحرفت بعد قليل عن أهدافهم . ويؤكد الباحثون أن اليهودية لم يكن لها فن خالص أو أدب خالص إلا ما نقلوه من العرب ، يقول الدكتور أحمد موسى أن اليهود تأثروا بالعرب في مصر وشمال أفريقيا وأسبانيا وغيرها ونقلوا عنهم وكان الفضل فيما توصلوا إليه راجعاً إلى علوم الإغريق التي اشتغل العرب بترجمتها وقال ابن ميمون في كتابه (مرشد الحائر) أن ما اقتبس اليهود من العلم والفلسفة كبصيص من النور وصل إليهم عن طريق العرب وقال العالم اليهودي مونك في كتابه (مزيج من الفلسفة العربية واليهودية) أنه يؤيد فضل العرب على اليهود ويقرر بأنه لم يكن لبني إسرائيل فيلسوف سوى ابن ميمون . ونقول أن ابن ميمون كتب باللغة العربية وعاش الفلسفة الإسلامية

(٥) إعلاء الجنس

وفي علم النفس كانت التلمودية الصهيونية من وراء مفهوم فرويد الذي أرجع كل الميول والاداب والدين والخلق والفن والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية كي يبطل قداستها ويسلب الإنسان الإيمان بسموها ما دامت راجعة إلى أدنى ما يرى في نفسه من غرائز وبهذا تنحط في نظرة صلاته ومجتمعه والكون وما وراءه . ومن يقرأ فرويد يدرك تماماً أن ينفذ مخططاً يهودياً جباراً أراد أن يصم الجنس البشرى بأنه جنس متحلل ينطوى على أسوأ النوايا وأخس الرغبات وقد حمل مذهبه الناس إلى التشكك في كل فضيلة وكل عاطفة رقيقة ولا ريب أن الخضارة بهذا قد وصلت إلى مرحلة الحيرة وعندما ينهك الفكر يكون الوقت قد أزف لكي يتقدم اليهود للاستيلاء على العالم . وقد أثبت كثير من الباحثين أن جذور الفكر الفرويدي ينبعث أصلاً من التراث اليهودي الصهيوني والمتجه إلى تقويض الأسس التي تقوم

عليها حضارة الغرب والذي يعمل على تقديم هذه المفاهيم التي سيطرت على الآب والفن على نحو يغري الناس بالتحلل ويبسر لهم سبيله . وإذا كان فرويد قد بدأ بالتحليل النفسى وأدعى أن الجنس هو مصدر كل تصرفات الإنسان ، فإنه لم يلبث أن قدم نظرية متكاملة عن الحياة والتاريخ والحضارة هي تفسير جنسى للتاريخ كله . قامت على أساس المفهوم المادى واستهدفت هدم الدين والأخلاق من حيث رأيهِ أن الإنسان حيوان جنسى وأنه لا أصالة في الحياة البشرية وإنما هي إنعكاس لشيء مادى وحيوانى وقد هاجم فرويد : الدين والتدين عموماً في كتابه (مستقبل وهم) ويقول مؤلف كتاب (اليهودى طبقاً للتلمود) أن فرويد كان متشعباً بالروح الصهيونية وقد إضلع بمهمة القضاء على المسيحية (موضوعياً وعملياً) كما اضطلعت اليهودية الصهيونية منذ ألقى سنة بمهمة القضاء عليها أيديولوجياً وعملياً وينشر المؤلف أن فرويد انضم وهو في التاسعة والثلاثين من عمره إلى جمعية بناء برث اليهودية وواظب على حضور إجتماعاتها على مدى عدة سنين وألقى فيها أولى محاضراته عن تفسير الأحلام وهي جمعية في أهدافها المعلنة أنها جمعية خيرية لا تهتم بالمناقشات الدينية والسياسية وقد احتوت الحركة الصهيونية هذه الجمعية فيما بعد ويقول المؤلف : كان فرويد يعرف (هرتزل) أول رئيس للحركة الصهيونية معرفة شخصية ويوليه الاحترام وقد أرسل إليه أحد كتبه مع عبارة إهداء شخصية إليه ويرجع المؤلف أنه كتاب تفسير الأحلام الذى ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٠٠ وقد كشف الدكتور صبرى جرجس في كتابه (التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى) عن أن مفاهيم التحليل النفسى كانت أداة لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية وقال أن التراث الصهيونى يتألف من ثلاث مصادر ١- التوراة : وهي وثيقة سياسية عنصرية استخدمت العقيدة الدينية لتحقيق مخططاتها السياسى العنصرى . ٢- التلمود : وهو تفسير المؤامرة في إطار الفكرة السياسية العنصرية التى بدأتها . ٣- نوع جديد من التراث لم يدون ولم ينشر لا بين اليهود أنفسهم ولا على الناس ، وإنما نقل خلفاً عن سلفاً في تلقين شخصى محوط بطابع السرية ومن هنا نعلم أن الوجود اليهودى كله فكرياً ووجدانياً واجتماعياً وحضارياً يرتبط من جميع الوجود بمجموعة التعاليم والتقاليد والتفسيرات والتوجيهات والمحرمات التى يتكون منها ما يعرف باسم « التراث اليهودى الصهيونى » الملحن عنه والخفى . وحيث أن الوجود اليهودى يستمد مباشرة من التراث الدينى اليهودى الصهيونى فإن تلك الموجودات (بما فيها فرويد بطبيعة الحال) إنما تسلك طريقها وفقاً للتراث الدينى اليهودى الصهيونى .

ولما كان التحليل النفسى نتاجاً لأحد هذه (الموجودات اليهودية) الذى هو فرويد ، كان من المحتم أن يكون التحليل النفسى فكراً يهودياً صهيونياً . ويقول الدكتور جرجس : هل كان من الميسور لفرويد ، وهو يخطط للإنسان شخصية ويرسم له طريق حياته أن يتحرر من يهوديته ومن أثر التراث اليهودى والصهيونى الذى كان سائداً على نحو قوى فى البيئة التى نشأ وعاش فيها ، أنه ما كان مستطيعاً طبقاً لنظرية الوجود اليهودى ويقول الدكتور صبرى جرجس : إن اليهودية استطاعت إيجاد نقط التقاء أيديولوجية بينها وبين القوة الدينية النامية فى عالم الغرب : قوة المسيحية البروتستانية حتى ليتمكن القول أنها مضت فى احتوائها الى حد غير قليل ويتضح ذلك من اقتناع البروتستانية بأن التوراة هى المنبع الروحى للمسيحية وأن نقطة الالتقاء الأساسية هى اضطهاد الكاثوليكية . ويقول : احتضنت المسيحية البروتستانية اليهودية بجامع المشاركة فى الاضطهاد الكاثوليكي ومن هنا كانت بريطانيا فى عهد أوليفر كروميل أول بلد أتاح لليهودية فرصة السيطرة على أقداره . ويقول : أن التوراة لا تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التى صيغت فى نسق أسطورى حافل بالإثارة مجاف للعقل والمنطق غاص بالتناقضات مشبع بالسخرى مفعم بمشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء وهى تعكس تفكيراً بشرياً محضاً من اللون الذى كان سائداً فى الشرق الأدنى القديم فى ذلك الحين ومرادف لأمثاله من الأساطير والطقوس والاتجاهات الفكرية والعقائدية المميزة لحضارات ذلك العصر ، كل ذلك فى إطار سمات نفسية تغذيها نزعات الجشع والغرور والاستعلاء وبحكمها دافع العرق والعنصرية والعدوان الذى لا يهدأ حتى مع الدم المراق .

(٦) هدم المجتمع

فإذا ذهبنا ندرس الأيولوجية اليهودية التلمودية فى محال المجتمع وجدنا أخطر مقرراتها . فالدعوة إلى هدم الأسرة والأخلاق والدين دعوة تلمودية صهيونية والدعوة إلى الإبادة من صميم ماخططت له بروتوكولات حكاء صهيون لفرض السيطرة على العالم ، باستخدام كل الوسائل وإشاعة الأدب المريض القذر : يقول البرتوكول ١٣ : سننشر بين الشعوب أدباً مريضاً قذراً تغنى له النفوس ويساعد على هدم الأسرة وتدمير جميع المقومات الأخلاقية للمجتمعات المعادية لنا وسنستمر فى الترويج لهذا الأدب وتشجيعه حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمنا . ومن هذا الأدب المريض القذر تنطلق الدعوة إلى الإبادة المطلقة لهدم الأسرة وتدمير الأخلاق

في المجتمع . ولا ريب أن هدم الأسرة وتدمير أخلاق المجتمع هما هدم لمناعة الأمة للمقاومة وقدرة الدولة على رد التحدى . أنهم يجدون في هذا التهديم الاجتماعى قوة فاعلة أكثر من التهديم الأيدولوجى الذى يرجون له في الحركات الفلسفية والاقتصادية والعلمية التى يطلقونها بثوقيت معين . أن اصبعا من الأصابع اليهودية وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان . خلق فرويد الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الأغريق ومجد الغريزة بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجل والمرأة أن يفعلا بجسدهما ما شاءا ، وبرر توماس مان عشق الذكور في قصة (الموت في البندقية) ووصف مرضى الصدر بأنهم حيوانات متعانقة تتخذ من يأس الشفاء عذراً للتسافد فمصحات الجبال مواخير للمرضى تحت مراقبة الأطباء الذين لا يملكون منهم . وتنادى التلمودية الصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية وجعل الولاء مقصوراً على السلطة الحاكمة التى تملك كل شيء بما في ذلك عقول الناس وضمايرهم ، وأن النظام الأمثل للأسرة هو النظام المفكك الذى يجعل الأسرة أفراداً متفرقين يرتابون في بعضهم البعض وتدعو التلمودية الصهيونية إلى الزواج العقيم لاستنزاف قوة الأمة ، قال دالمار: أن الماسونية بنشرها أسباب الفساد والخلاعة قد أضرت بفرنسا أكثر من الحرب السبعينية فحسرت عدداً وافراً من الرجال ، وأن التعليم اللاديني يفسد قلوب الشباب ويعرض لأخطار الرزيلة فضلاً عن المضاربات والمقاومة وألعاب البورصة . ويعد أميل دور كايم من أخطر العاملين في حقن الهدم الاجتماعى . يقول دور كايم : الأخلاق ليست قيمة ذاتية ولا ثابتة وإنما تأخذ صورتها من المجتمع الذى توجد فيه ، وأن الدين والزواج والأسرة ليست نزعات فطرية في الإنسان وقد ركز دور كايم على نقي القداسة عن الدين والأخلاق وشكك في قيمتها وخلاصة مذهب دور كايم أن الفرد لا قيمة له ولا معنى وأن القيم كلها للمجتمع يقول دور كايم: أن الجريمة ظاهرة سوية أما الزواج فهو ليس من الفطرة. ويرى العقاد أن دور كايم هو رسول الماركسية في ميدان العلم الاجتماعى تكفل بنقل آراء كارل ماركس من مباحث الاقتصاد والسياسة إلى مباحث الاجتماع والأخلاق وخلاصة مذهبه أن الفرد لا قيمة له ولا معنى للحرية الفردية وأن القيم كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والقيم الروحية وكلها عبث لا قيمة مالم يكن في نطاق من نظم الاجتماع .

(٧) الفلسفة المادية

يرى كثير من الباحثين أن الفلسفة كان في مستطاعها أن تشق طريقها حتى تصل إلى العلم من ناحية وإلى الدين من ناحية أخرى ولكن تداخلات التلمودية اليهودية منذ اسبنوزا قد حالت دون ذلك وحولت دفة الفلسفة إلى المادية والإلحاد وأنه كان من أهم آثار إنشاء المذهب الإنساني العمل على سلخ الفلسفة عن الدين والعمل على إقامة فلسفة خصيمة للدين فقد صاحبت ظهور ما أطلق عليه الدين الطبيعي موجة التشكيك في أصول الأخلاق ومبادئ المعرفة وإذاعة الإلحاد . وإنكار ما وراء الطبيعة والتمسك بالتجربة والمحسوس . وقد تشكلت المذاهب المادية لتضرب الدين والمسيحية والمثالية التي كانت ذات ارتباط ما بالدين والمسيحية ، وترى المذاهب المادية إن الوجود الأصلي للأشياء هو المادة وتعارض المادية مفهوم المثالية الذي يعترف بوجود العقل والروح وترى الفلسفة المادية إن العقل متولد من المادة ، والعالم في رأي الفلسفة المادية مكون من عنصر واحد هو المادة وحسب وليس في الكون عنصراً آخر غيرها . ولا تؤمن الفلسفة المادية بالدين وهي ترى أنه نظام من وضع البشر ولا تؤمن بوجود الخالق ولا الحياة الأخرى وترى أن الموت ما هو إلا تغيير يطرأ على المادة فيحولها من حالة إلى أخرى . والمادية تنكر الغائية وترى أن الكون آلة كبيرة جاءت عن طريق المصادفة وستبقى دائمة على العمل من دون هدف تسعى إليه . وليس المذهب المادى جديداً فقد كان معروفاً في العصر اليوناني ولم يزد اليهود عن أنهم جدوده ، واستغلوه في تدمير الفكر الغربي الغربي المسيحي ، والهدف الأكبر هو هدم الدين . ولذلك فإن الثلاثة اليهود الكبار كانوا يستهدفون هدم الدين يقول ماركس : الدين أفيون الشعوب . ويقول فرويد : إن الدين ناشئ عن الكبت ويقول دوركايم : إن الدين ليس فطرة . وقد استغلت التلمودية الصهيونية علم مقارنات الأديان لعرض مفهوم الزائف ومحاولة إحتواء مفهوم التوحيد والسيطرة عليه بمفاهيم الإله القبلي والتعدد . وأخطر مفاهيم التلمودية هو إنكار البعث فليس في تعاليمهم ولا شريعتهم ذكر الروح ولا اعتراف بحياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود وهم يؤمنون بالإله يهوه وهو إله خاص بهم وحدهم دون البشر ، وهكذا تطنى النظرية المادية على عقيدتهم طغياناً كبيراً ولذلك فهم يحاولون أن ينفثوا في الثقافات العالمية أنه لا حياة بعد الموت وأن على الناس أن يستمتعوا باللذات في حياة ليس بعدها جزاء ، ويقولون أن ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب وهم يطالبون بالحرية الدينية ويعنون بها التحرر من الأديان حتى

لا يكون هنا يهودى ومسيحى ومسلم وإنما «مواطن عالمى» ولكن اليهود أنفسهم من أشد الناس تعصباً لدينهم فهو دين مغلق عليهم يتوارثونه وحدهم . ومن هنا كانت دعوتهم إلى العالمية : تعنى إنهم يطالبون بتحطيم كل ما هو قوى فلا يجد اليهود أنفسهم قومية ضئيلة أمام قوميات هائلة وهم فى نفس الوقت أشد الناس تعصباً للصهيونية أى القومية اليهودية ويرون أن كل يهودى فى أى مكان هو صهيونى . وهم يخشون من الأديان لأنها تجعلهم الدرجة الثانية بعد أصحاب البلاد سواء أكانوا مسيحيين فى الغرب أو مسلمين فى الشرق . ومن هنا قولهم المضلل بأن الدين فقد مركزه ودعوتهم إلى إبعاد الدين دفعاً للحروب وقد استطاعوا فى الغرب بمحاولاتهم المتكررة أن يسقطوا قيمة الدين فى نظر الأوروبيين ، واستطاعوا أن يوجهوا إلى المسيحية شبهات كثيرة منها أنها لا تبنى بحاجة النفس الإنسانية ولا تحقق غاياتها وأنها تحرم الإنسان الكثير من اللذات حين تدعو إلى الزهد ولكن التلمودية لاتستطيع أن تجد لذلك كله مجالاً فى محيط الإسلام .

(٨) الحضارة : وهل لهم دور فيها

لقد شغل الباحثون أنفسهم بدراسة موقف اليهود من الحضارة : وهل كان لهم دور فيها وتكاد تجمع هذه الأبحاث أن دور اليهود فى الحضارات كان متصلاً بانهارها لأنبيائها . وأنهم لم يقوموا على بناء حضارة ما وإنهم هدموا كثيراً من الحضارات التى خضعت لمفاهيمهم الهدامة ولأسلوبهم فى إقامة الربا أساساً للاقتصاد وفى أخلاقياتهم التى تدعو إلى الوحشية والبداية وإهلاك الحرث والنسل . ولقد أشار جيون وتوينبى إلى دور اليهود فى هدم الحضارة الرومانية حين أثاروا الفساد فى المجتمع الرومانى مما عجل بانهار الحضارة أما فى الحضارة الأوربية الحديثة التى قامت أساساً فى عصر النهضة وهم مطرودون من أوروبا ، فإنهم ما لبثوا أن عادوا فى القرن السادس عشر حتى أعلنوا المادية إنطلاقاً إلى التحلل والأباحية التى سادت المجتمع الغربى من بعد ثم سيطرت عليه سيطرة تامة حتى اليوم . وتجمع المراجع المختلفة للدراسات الحضارة عن أن اليهود لم تكن لهم علوم أو فنون ولم يكن لهم حق فى الأرض التى يحتلونها ولم يخلفوا وراءهم آثاراً حضارية ما وأنهم كانوا يستولون على ميراث الأئمة وينسبوه إلى أنفسهم كما فعلوا حين نقلوا تراث البابليين واليونان القدامى وسيطروا على الفكر الغربى الحديث وحولوه وجهتهم التلمودية . ولقد عاش اليهود حياة التشريد والنفى منتقلين من مكان إلى مكان لم يقر لهم قرار فكيف يمكن أن تقوم لهم حضارة أو تكون فنون وآداب وهم فى

كل أرض عزباء ولذلك فقد كانت تقاليدهم وعاداتهم ودياناتهم مستعارة ومقتبسة ومسروقة من الدول المجاورة كما أشار إلى ذلك جوستاف لوبون في كتابه عن اليهود والحضارة الذى صدر عام ١٨٨٩ الذى ناقش الكثير من الآراء والنظريات التى أدعى اليهود لأنفسهم فى مجال الحضارة وأبطلها بوثائق التاريخ وما كتبوه عن أنفسهم . ويركز جوستاف لوبون على طابع القسوة العنيف الذى عرف عن اليهود ، فى صراعاتهم مع الأمم وكيف إن من شأن هذا الطابع أن يببّد الحضارات ويهدمها ولا يكون عاملاً فى بناءها يقول : « إقرأ التوراة تجد فيها جميع أنواع الوحشية والندائية وفى سفر يوشع يقال لهم : أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وإمرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار بينما نجد العرب كانوا ينفذون وصية أبى بكر « لا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا تعفروا نخلاً ولا تحرقوه » .

ولقد كشف كتاب الغرب عن دور اليهود فى تهديم الحضارات والأمم وتاريخهم فى البشرية هو تاريخ التهديم والإبادة : يقول فينسكى فى تاريخ الوطن القوي لليهود : أنهم يبحثون عن وطن منذ الخليقة إلى الآن فحاولوا الاستقرار فى العراق وأراضى الكلدانيين وفى اليمن وفى سهول روسيا وتركيا واليونان وبولندا وانكلترا وكل بلد تظله السماء ولكنهم دائماً فى قلق وحيرة لا يشعرون بالهدوء لقد طلبوا الوطن فى أرض كنعان فأهلكوا الحرث والنسل وأبادوا الشعب تقريباً ثم نزحوا إلى أورشليم فهدموها وأغاروا على قبرص وذبحوا فى يوم وليلة مائتى ألف نفس حتى صبغوا البحر الأبيض بالدماء ويقول بلاكيهم فى كتابه الحضارة واليهود : لا الذكاء والمكر ولا الجمال والنفوذ بقادرة متفرقة أو مجتمعة على أن تعيد مجد اليهود الذى فقدوه بأطماعهم وأثرهم واستغلالهم للبشرية على مدى الأجيال والقرون ويقول برنزويك . إن سبب كراهية الإنسانية لبنى إسرائيل كراهية لا يوجد مثيل لها بين شعوب الأرض واعتقاد الطائفة أنها شعب الله المختار وأنها ملح الأرض فانتفخت أدمغتها وظنت أن أمم الله مسخرة لخدمتها . وأشار بيتان فى كتابه اليهود المعاصرون إلى مؤامرات اليهود فى سبيل هدم الحضارة ، وفى مقدمة ذلك قضية دريفوس الذى تجسس وهرب أسرار الحرب والجيش ، ثم كان موقف اليهود فى إنقاذه فقد دفع روتشيلد أكثر من مليون جنيه كما دفعوا عشرة ملايين روبل ذهب لإنقاذ يوحروف اليهودى الروسى الذى اتهم فى أوديسا بأنه ذبح صبياً ليلة العيد ليخلط دمه بفطير الفصح .

(٢) أما دورهم في الآداب فقد حددت هدفه المدمر مؤلفات ماكس نوردو وفرويد وكلها تدعو إلى التحلل الأخلاقي وخاصة فرويد الذى دعا إلى الإباحية الحديثة ودعوه توماس مان إلى عشق الذكور . وكان للربا آثاره البعيدة وأخطاره القاسية فقد أشار كلمان دوبلوكس في كتابه حرب اليهود والعالم : لقد دلت التجارب الاقتصادية والاجتماعية على أن البلاد التى ازدهر فيها الربا فقدت التعاطف والتراحم من بينها وحلت القسوة فيها محل الحنان والعدل حتى أن الفقير ليموت جوعاً ولا يجد من يسعفه رمية . وهكذا نرى أن الحضارة الأوروبية قد صبغت باللون النفسى اليهودية ففشّت فيها الأطماع المادية حتى صاروا لا هم لهم إلا جمع المال . وفى سبيل إقامة امبراطورية الربا عمد اليهود إلى تهديم الحضارة بتفكيك الأخلاق وتسهيل سبل الشهوات فى المصايف وملاعب القمار والملاهى وصنع أشرطة الصور المتحركة للشهوات والحث على الجرائم واللذات البهيمية واختراع أنواع الرقص الخليع بأنواعه وإعداد المغانى والغوانى والقيان والقنانى للراغبين وابتداع مسابقات الجمال والاتجار بها واختيار ملكات المحاسن فى الشرق والغرب وعبادة المادة فى كل شئ ونشر صحف المجون والفسوق مثل جادبية الجنسين . وما لا تجوز تلاوته إلا بين عاشقين وهم أصحاب الكتب المحظورة والصحف الفاسقة الكاشفة القناع عن أسرار الجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى وما هى إلا تحريض خفى لإقراؤها بطريقة الإيحاء التى يجيد اليهود توجيهها نحو الجماعات والأفراد بفضل شيخ الطريقة المضللة : فرويد وقصص الفسوق التى حذق تأليفها أمثال موريس ديكوبرا ، وجوزيف كيسيل ، وأندرية مروا وعشرات أمثالهم وقد رددت كتابات الأوربيين هذه الظاهرة الواضحة : ظاهرة خلو تاريخ اليهود من بناء أى حضارة فهم لم يساهموا قط بظهور الحضارة الأوروبية أو تطورها وإنما استغلوا دور الانحلال الذى تمر به وقاموا بالسيطرة عليها وتوجيهها لخدمة أغراضهم هذا إلى أن النازية كانت أول من نبه إلى دور اليهود فى سرقة واقتناص الحضارة الأوروبية ، فقد برهنت النازية العالم أجمع على أن اليهود دخلوا هذه الحضارة من باب المال والربا والانحلال الخلقى وليس عن طريق الجهود الخلافة وباندحار الحركة النازية عاد اليهود بسرعة أكثر وقوة أشد إلى متابعة عملية سرقة الحضارة الأوروبية والسيطرة عليها بواسطة نفوذهم المتشعب فى أوروبا وأمريكا والمذموم بالتعصب المستمد من النكبات والثورات وساعدتهم الظروف على ذلك عندما انتقل مركز الثقل فى العالم فى عقب الحرب العالمية الثانية من أوروبا إلى أمريكا ولا شك

أن اليهود قد ساهموا في هذا الانتقال بعد أن استجابت لهم الرأسمالية الأمريكية بسرعة ما كانوا يحملون بها . وتشير الأبحاث إلى ما يسمونه (عملية تبادل منافع بين الحضارة الأوروبية واليهود) فالحضارة الأوروبية تستخدم اليهود ودولة إسرائيل كأداة عدوان وتحطيم ضد الشعوب الناهضة كما كانت تفعل ذلك كل حضارة في دور انحلالها الباطني . واليهود يستخدمون الحضارة الأوروبية بأنظمتها واختراعاتها ومنتجاتها لتحقيق أغراضهم الخاصة ، ومن ثم فقد استطاعوا التغلغل إلى جميع مراكز هذه الحضارة وإثبات وجودهم في كل مظاهرها والسيطرة على كثير من أجهزتها ولذلك فإن كل كفاح موجه إلى إسرائيل هو موجه أيضاً إلى الاستعمار الأوربي والأمريكي فالاستعمار واليهود وإسرائيل قوة واحدة تهاجم معاً وتدافع معاً . ومن هذا كله نرى فساد النظرية التي تطرحها الصهيونية والتي تقول بأن لليهود فضل على الحضارة الإنسانية . ذلك أن اليهود لم يلعبوا دوراً إيجابياً في بناء الحضارة وإنما استغلوا معطيائها التي وصلت إليها وحاولوا توجيهها لمصلحتهم ولتحقيق هدفهم وأنهم عندما ظهروا على مسرح التاريخ عام ١٢٠٠ قبل الميلاد كرعاة رحل كانت الأمبراطورية الفرعونية قد شيدت مئات المعابد والأهرام والسدود وأبدعت علم الفن المعماري وعلوم الفلك وأن المملكة العبرية الموحدة على يد داود ظلت مملكة صغيرة تتنازعها الأمبراطوريات المختلفة المجاورة لها . ولا توجد أى مساهمة حقيقية من جانب اليهود القدامى في ثراث العالم القديم وأن الأقليات اليهودية في شرق أوروبا التي تبنت الصهيونية كانت أكثر القطاعات البشرية تخلفاً في أوروبا وينظر اليهود في حقد بالغ إلى امتلاك المسلمين والعرب لموارد بشرية عظيمة وموقع استراتيجي باهر ويحاولون في دأب ومثابرة تدمير هذا الوجود ، وهم من وراء الغاية المدمرة التي أحاطت مشعل الحضارة من نور يهدى إلى نار تحرق وتاريخهم وأفكارهم ودعوتهم وخطتهم أكبر شاهد على ذلك ولا ريب أن فكرتهم عن الحضارة المستقبلية التي تراث الحضارة الغربية المسيحية هي فكرة مسموعة ذلك أنهم يرون أن الحضارة الغربية في طريقها إلى التفسخ لكي تقوم بدلا منها حضارة يهودية أكثر إمعاناً في المادية وتاريخ الحضارات يؤكد بطلان هذه المظاهرة فإن الحضارة الغربية المسيحية اليوم حضارة محتواة من الصهيونية التلمودية وسيكون ذلك نهاية الدور الغربي وبدء دور آخر جديد لن يكون اقتصاد الربا من أهدافه ولا ريب أن هناك أكثر من نذير قوى يقول أن : أسلوب الحضارة العالمية الحديثة مهدد بالانحيار مادياً ومنوياً ومهدد بالإفلاس الأخلاقي الساحق ، بالرغم من توسع المعرفة واتساع نطاق العلوم

والتقدم المذهل في الصناعة والثراء العريض والقوة الهائلة في هذه الحضارة ذلك أن هذا التقدم كله لم يحقق قيام المجتمع الرباني ولم يشجع اتجاه النفس البشرية إلى الخير والتقوى ولم يوقف سبيل الفساد والخطايا التي تدمر حياة الإنسان . وقد جاء ذلك نتيجة الدور الذي قامت به الصهيونية التلمودية بالسيطرة على الفكر الغربي المسيحي وتحويله إلى نطاق الفكر المادي الوثني الإباحي الذي عرفته الحضارة الرومانية في مرحلة فسادها وانهيارها . فقد أعادت الصهيونية العالمية بسلطانها العالمية على الفكر الغربي إحياء ما كان الفكر الغربي نفسه قد رفضه أولاً أعادت إحياء (بيرون وفضائحه) وأعادت نشر مذكراته الفاضحة وإحياء (أوسكار وايلد) ومذكراته بعد أن حوكم واهين وسجن وأعادت إحياء قصة ليدي شترلي بعد أن هوجمت عندما ظهرت أول مرة وقد أصبح اليوم معقولا ومباحاً كل ما كان في نظر الأدب الغربي انحلالاً نفسياً واخلالاً في السابق فقد استطاعت التلمودية الصهيونية بعثة اليوم وتجديده على أنه قمة من قمم الفن والأدب الرفيع وهذا مؤشر خطير يؤكد التحول المدمر الذي وصل إليه المجتمع الغربي في ظل المادية الإباحية التي فرضتها مفاهيم فرويد وماركس وسارتر وكلها تتصل بسبب إلى الأيدلوجية التلمودية التي تستهدف تدمير العالم . وجملة القول: أن اليهود عاشوا حياتهم على مدى التاريخ بين السبي والشتات والاضطهاد وأنهم أقاموا دائماً في الجيتو الخاص حتى أخرجتهم الثورة الفرنسية

خامساً

المخططات الصهيونية التلمودية في غزو الفكر الإسلامي

(١) التاريخ القديم

جدد اليهود الأبحاث في التاريخ القديم والأديان والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) واللغات وحاولوا أن يزيّفوا ويبدّلوا ويغيروا ، يلتمسون ما يستطيعون التماسه من القرائن والمعارضات والتناقضات بفكر مسبق يستهدف إثبات أن لهم حقاً في فلسطين وأن لهم تاريخاً متصلاً وأثراً في الفكر الإنساني ودوراً في الحضارة . يحاولون ذلك من خلال إعادة كتابة تاريخ البشرية وتاريخ الأديان وتاريخ اللغات في معارضة واضحة للتاريخ الإنساني الصحيح وتشويه للفكر الإسلامي ومحاولة لهدم الحقائق التي كشف عنها القرآن الكريم إزاء ما زيفته التوراة المكتوبة بأيدي الأخبار في بابل إبان السبي البابلي أو ما قرره زعمائهم في خطط التلمود بعد

زعمائهم في خطط التلمود بعد تدمير الهيكل عام ٧٠ ميلادية بدأت هذه المحاولات بنشر التوراة متصلة بالإنجيل على ما بينهما من تناقض واختلاف وذلك لحمل المسيحيين على تبني دعواهم الباطلة في الوعد الإلهي لإبراهيم الذي يحاولون قصره على اسحق وأبناء إسرائيل وحجب اسماعيل أبي العرب والمسلمين وابن إبراهيم الأكبر ثم محاولة إيجاد تاريخ لهم في فلسطين في حين أنه لم يكن لهم وجود قائم أو مستمر في فلسطين والحقائق التاريخية الصحيحة تدمغ اليهود بأنه لم يكن لهم وجود قائم أو مستمر في فلسطين وأن العرب أقدم منهم في استيطان فلسطين وأن الفترة التي قضاها العرب في فلسطين قبل وبعد الفتح الإسلامي هي أطول كثيراً من تاريخ اليهود فيها وأن الإسلام قد ألقى إليه ميراث النبوة كله وأن الحق تبارك وتعالى أورث محمداً صلى الله عليه وسلم الأرض المقدسة وجعلها لأُمَّته إلى يوم الدين وأن عمر بن الخطاب أجلى فلول اليهود من فدك وتبء ووادي القرى . وأن الثابت تاريخياً أن العبريين الذين عبروا نهر الأردن إلى فلسطين بين ١٤٠٠ و ١٢٠٠ قبل الميلاد لم يحكموا فلسطين إلا مدة ١١٣ عاماً خلال تاريخها كله الذي يمتد أكثر من أربعين قرناً وقد استولى العبريين على السلطة في فلسطين من عام ١٠٥٠ إلى عام ٩٣٧ ق. م ثم زال حكمهم نهائياً وأن الآشوريين قضوا على مملكة إسرائيل في الشمال بعد خمسة عشر سنة من قيامها وقضى (نبوخذ نصر) على المملكة الثانية عام ٥٨٦ ق م ثم قامت دولة عبرية بالغة الصغر عاشت حوالى القرن حتى الغزو الروماني عام ٦٣ قبل الميلاد وفي العام السابعين بعد الميلاد أخذت جماعة من اليهود تقوم ببعض الفتن فسحقهم تيتوس الروماني قال جورج ايبير في كتابه (السراب الصهيوني) : لم يكن اليهود أول من احتل فلسطين ولم يقطنوها قط وحدهم وأن فلسطين اجتذبت إليها كثيراً من الغزاة منذ فجر التاريخ بسبب كثرة خيراتها وموقفها الاستراتيجي إذ أنها أحد الجسور الرئيسية التي تصل بين أوروبا وآسيا ، كذلك فقد أثبتت الوقائع التاريخية أن اليهود لم يجتمعوا كلهم قط في فلسطين فقد كانوا موزعين في بلدان كثيرة من العالم كما هم اليوم وهم لم يحكموا فلسطين كلها في يوم من الأيام والفترة التي أقاموا فيها مملكة كانت فترة قصيرة جداً (مملكة داود وسليمان) ولم يشكلوا أكثرية في فلسطين وليسوا هم سكانها الأصليين وإنما كان وضعهم الطارئ فيها دائماً وضع المحتلين وهو شبهه بوضعهم اليوم وأن اليهود الذين قدموا ويقدمون إلى فلسطين في السنوات الأخيرة مهاجرين من أوروبا الشرقية وروسيا لا يمتنون إلى اليهودية بصله . يقول دانيال بلس المؤرخ الكاثوليكي لفجر المسيحية : كانت

هناك ملايين من اليهود تعيش خارج الأرض المقدسة وهذه حقيقة كان يعرفها كل من عاصر المسيح . كذلك فقد أثبتت الحقائق التاريخية في مواجهة أباطيل الصهيونية بتزييف التاريخ أن اليهودية ليست دما وليس يهود اليوم هم أبناء أولئك الذين سكنوا فلسطين فترة قصيرة من الزمن فاليهود اليوم قسمان : اليهود الشرقيين الذين يعرفون باسم (السفرديين) وهم يتناقضون تناقضاً صارخاً مع اليهود الآخرين في امزجتهم وتقاليدهم . والقسم الثاني من اليهود : هم الغربيون المشهودون وإلهم تنسب الغالبية العظمى من الصهيونيين . وقد أثبت (ماسنيون وريسلي) أن الغربيين المتهودين يختلفون عن اليهود الشرقيين حتى في سماتهم الجسدية ولا صلة لهم إطلاقاً بقداى العبريين فهم قوم تهودوا في فترات من التاريخ الوسطى خاصة وهم يعرفون باسم الاشكنازيين ويتكلمون لغة تسمى (البدش) وهي إحدى اللهجات الألمانية العامة المحشوة بكلمات عبرية محرفة على الأغلب .

(٢) وهناك تلك الحقيقة التي يحاول اليهود إخفاها للمراوغة وللإدعاء بأنهم يهودى بنى إسرائيل وتلك هي وتلك هي أصل يهود أوروبا ولذلك فهم يحولون بين ورود مادة (الخرز) في معظم دوائر المعارف العالمية حتى لا ينكشف أن هناك شعباً يهود قبل المسيح بقرنين أو ثلاثة في الحوض الشمالى لنهر الرين بأوروبا ثم تفرع هذا الشعب الذى اعتنق اليهودية إلى جماعات متعددة ، استوطنت بولندا ووسط أوروبا وروسيا الغربية وقد تضخم عدد هؤلاء القوم حتى صار تسعة أعشار العالم اليهودى وقد لقب علماء الأجناس البشرية هذا الشعب اليهودى باسم (الاشكنازم) ومن هؤلاء جاء أصحاب الدعوة الصهيونية إلى فلسطين مهاجرين بعد مقتل قيصر روسيا ومعنى هذا أن تسعة أعشار يهود العالم هم من سلالة غير سلالة يعقوب . (الذى هو إسرائيل) وأن هؤلاء اليهود الذين يتصدرون الدعوة إلى الصهيونية من سلالة جرمانية سلافية أوروبية محضة بدأت تتكاثر منذ القرن الثالث الميلادى . ويقول لامبروزو : أن يهود العالم الجديد أدنى إلى الجنس الارى منهم إلى الجنس السامى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم إليهم في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف البشر منهم الفلاشا سكان الحبشة والألمان والشامل اليهود السود من الهند ومنهم الخزر من الحبشى التركي . وقد أيد هذا القول (ريبلى وريتان) . ومعنى هذا أن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ليس له نظير وأن الزعم بأن اليهود جنس نقي حديث خرافة . وجملة القول أن اليهود القدامى بحركة الصهيونية ليسوا من بنى إسرائيل وإنما من هم

جنس خزرى آرى وأنهم دخلوا فى صراع مع المسيحية الأرثوذكسية فى روسيا وبولندا وأنهم قتلوا وشتتوا بعد اغتيال القيصر .

(٣) إن التوراة التى يثير اليهود حولها ضجة كبرى ويحاولوا أن يجعلوها مصدراً من مصادر التاريخ هى كتاب بشرى كتبه أحبار اليهود بأيديهم فى متفاهم البابلى وليس لها أى قيمة علمية أو تاريخية وليس فيها أى نفحة من نفحات الروح أو الإيمان أو الخير فهى تصور اتجاهات عنيفة قاسية مستعلية على البشرية ، يريد أن يسيطر ويدمر ويقتل ، وترسم طريقاً عنصرياً يحجب حقائق التاريخ الأصيل وينكر صحاح الأمور ومن أبرز وجوه بطلانها إنها لا تعترف باسماعيل أبى العرب ولا تعترف من أبناء ابراهيم إلا باسحق ويعقوب وأنها تقوم على العنصرية . وأنها تجعل العلاقة بين الأنبياء وبين الله تبارك وتعالى علاقة صراع قائمة على عدم الثقة وقد أشار كثير من الباحثين إلى التشابه بين التوراة وبين أساطير اليونان ومن المقارنة بين قصة بدء الخلق كما وردت فى التوراة وبين الأساطير السومرية وبين ملحمة الوجود البابلية لا نجد اختلافاً جوهرياً ، هذا فضلاً عن التباين بل التعارض الذى اشتمل عليه سفر التكوين فى وصف بدء الخليقة حيث تتكرر إزدواجية الروايات التى توهم بأنها استقيت من نصين متقابلين إحداهما إسرائيلى المصدر والاخر يهودى (نسبة إلى مملكة يهوذا فى الجنوب) . ومن هذا التباين بين وجهات نظر مختلفة مثبتة هنا وهناك لم يسع الخبراء آخر الأمر إلى إلا أن يقطعوا بأن النصوص التوراتية إنما تعود إلى توليفات مستقاة من أربع مصادر رئيسية على الأقل . غير عدد من روافد وفروع ربما امتد بعضها إلى ماثورات لم تكن تمت إلى بنى إسرائيل أو إلى بنى يهوذا أصلاً إلا أنها صارت بمرور الزمن شائعة مشتركة بين شعوب المنطقة جميعاً . وقال الباحثون أنه منذ أن أخصعت التوراة للنقد فى القرن السادس عشر كآى كتاب بدأ فريق من العلماء المسيحيين فى دراسة التوراة دراسة نقدية وخرجوا من دراساتهم ببعض نتائج أهمها أن التوراة لم تكن من عمل موسى وإنما كتبت بعده بقرون طويلة . وأن الاختلافات الجوهرية بين المسيحيين واليهود فيما يتعلق بكثير من النصوص الواردة فى هذه الأسفار وأن نظرة المسيحيين إلى العهد القديم تختلف بين الكاثوليك والبروتستانت الذين يضيفون إليها سبعة أسفار لا يعترف بها الآخرون وأن بين البروتستانت واليهود توافقاً فى بعض المضامين وأن عقيدة التوحيد التى تقدمها التوراة قائمة على ركائز من وثنيات موهلة فى القدم حين كانت الأقوام تتمثل الرب أحياناً فى صورة مزدوجة متراوحة بين خير وبشر

وهكذا نجد أن كل ما أورده اليهود في توراه استقوه من ينابيع عديدة وحضارات مختلفة وبالإضافة إلى هذا التزييف نجد أن التوراة صممت إزاء كثير من الحقائق التي أوردها القرآن فالتوراة لم تذكر عبارة البعث التي ذكاها القرآن ولم تفصل خلق آدم . وتصور التوراة خطيئة آدم تصويراً بشرياً صرفاً والفكرة عن الإله في التوراة لا تختلف عن فكرة البابليين عن الإلهة الذين يمشون على الأرض ويخشون من منافسة البشر في سلطانهم وقد نقل اليهود عن السومريين خرافة أن الله تبارك وتعالى يستريح في اليوم السابع بعد أن خلق السموات والأرض دون أن يفطنوا إلى الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه التعب (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) . وأشارت التوراة إلى أن حواء هي التي أغرت آدم على الأكل من الشجرة ولكن القرآن دمج هذا الوهم حين أشار بأن الشيطان هو الذي أغرى آدم . كذلك فإن اسم حواء لم يرد في القرآن كذلك فإن قصة سفر التكوين في التوراة ما هي إلا بمثابة أسطورة سورية قديمة وجدت في ملحمة (أونو ما أيليش) وأن قصة الطوفان منقولة عن الأساطير السومرية . وقد أوردت الصحف (جريدة العلم المغربية ٦ يونيو ١٩٧٢) أن الحكومة الأردنية تسلمت مخطوطات أثرية ذكر أنها لا تتفق تماماً مع ما ورد في التوراة حول تاريخ منطقة غور الأردن في القرن السابع قبل الميلاد ويؤكد ذلك تزييف اليهود للتوراة الأصلية وكانت بعثة هولندية قد عثرت على هذه المخطوطات في أبريل عام ١٩٦٧ وقامت بإجراء الدراسات والبحوث عليها في هولندا طوال السنوات الخمس الماضية وقد قام رئيس المنطقة الهولندية للأبحاث في لاهاي بتسليم المخطوطات إلى وزير السياسة والاثار الأردني الذي صرح بقوله أن المكتشفات تقوم لأول مرة بتصحيح أخطاء التاريخ التي كانت تاتي على لسان الصهيونية . والمعروف أن الصهيونية تتخذ من التوراة وسيلة لخداغ الغربيين زعماء وشعوباً في محاولة اكتسابهم إلى جانبها في معركتها مع العرب باسم الدين وقد زينوا لهم أن توراة هي أم الإنجيل ومصدر إلهامه فأطلقوا على التوراة (العهد القديم) وعلى الإنجيل (العهد الجديد) وأوهموا مسيحي الغرب أن إيمانهم يظل أبتر ما لم يؤمنوا بكل ما جاء في العهد القديم وقد أدرجوا التوراة في المناهج الدراسية في دول الغرب على أنها مادة تاريخية تدرس كما تدرس آثار هيرودت وغيره من المؤرخين ولم يصبح عسيراً على اليهود بعد ذلك أن يدخلوا في روع الرأي العام الغربي أن فلسطين يهودية وأن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية ما دام كل مواطن يدرس في طفولته في مدارس حكومية نصوص التوراة بكل ما فيها وقد استطاعوا

التأثير على البروتستانت في هذا الصدد . وما يزال التوراة تغذى الأساطير والخرافات التي تنمى الغرور والأنانية والحقد في الوجدان اليهودي ، ليس ضد العرب فحسب بل ضد الأسرة البشرية جميعاً . وبالرغم مما كشفه الفكر الغربي من زيف التوراة فإن جزءاً كبيراً منه ما زال مخدوعاً بها وبالرغم من استنارة عصر العلم والدليل والبرهان فإن الفكر الغربي ما زال خاضعاً لاساطير بدائية ساذجة لفقها شراذم اليهود في بداوتهم الأولى لاغراض وأطماع خاصة وما زال العلم الذي يحلل ويدقق غير قادر على أن يفضح هذه الأكاذيب . ولقد قال جوستاف لوبون قبل مائة عام « الملاحظ من الأسفار الإسرائيلية وترتيبها ميل ظاهر إلى استخراج نظرية من انتظام الحوادث غابتها إثبات شيء » ، هذه الأسفار جميعاً إذا رصفت بصيغة الجزم بدأ حسن النية فيها هزيباً . وتكاد تجمع المصادر الغربية العلمية على أن اليهود أعادوا كتابة التوراة في المنفى بعد أن تفجرت العنصرية عن الحقد والكراهية للعالم وانبعثت منها الصهيونية بمعنى التطلع السياسي الديني إلى العودة إلى أرض الميعاد وأنهم أعادوا كتابة التوراة على النحو الذي رسموه في منهجهم وأخلاقيهم وجعلوها منطلقاً لهذا الهدف معارضاً أساساً للتوراة الموحى بها : فالوجهة هي تنزيه بني إسرائيل من العيوب والغاية هي العنصرية : واتخاذ موقف العداء مع كل من اختلف مع اليهود ويشير الباحثون إلى الأثر اليوناني الأفلاطوني على العقلية اليهودية في الترجمة اليونانية للتوراة المعروفة بالترجمة البسعينية وقد حاول فيلون التوفيق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية بل أن حاخامات اليهود قاموا بتفسير الفلسفة اليونانية وأدعوا أنها قطعة متكاملة من الشريعة اليهودية . وبالجمله فإن علماء التاريخ شكوا في مصداقية التوراة ودعا بعضهم إلى تمحيص الحقائق في ضوء القوانين العلمية .

(٣) ماموقف الإسلام من هذا التاريخ القديم الذي حاول اليهود إعادة صياغته على نحو جديد مختلف مع الوقائع الصحيحة لإتخاذه وسيلة للدفاع عن دعوتهم الصهيونية ؟ أولاً : يقرر الإسلام أن اليهودية خرجت عن أصولها وغرقت في الوثنيات القديمة فشكلت منها فكاراً يستهدف غاية اليهود الباطلة في السيطرة المادية ونشر الإباحية والفساد وأن اليهودية قد إنحرفت إلى المادية الطاغية وأصبحت مفاهيمها قائمة على الربا والإباحية وفلسفات التحلل والكشف ودعوات الدهرية وإنكار الآخرة والحساب وإنكار ثبات الأخلاق . ثانياً : كشف الإسلام عن فساد دعوى اليهود في الإمتياز الخاص الذي أدعوه لأنفسهم بإعلاء العنصر والجنس والقول بأنهم يتميزون على البشر ، وقد أثبتت الأبحاث العلمية فساد هذا الإدعاء . ثالثاً : كشف

الإسلام فساد مفهومهم للالوهية وأنهم قد غيروا المفهوم الرباني الذي أنزل إليهم عن الله رب العالمين وأدعوا إلهاً خاصاً لهم هو الإله يهوه وهو كما وصفته التوراة متوحش شرير شغوف بالفساد وإراقة الدماء (يهوه رب الجنود) . ويعد إنكار البعث من أخطر مفاهيمهم ويقوم على اعتبار أن الدنيا هي كل شيء وأن السعي لها هو وحده العمل . رابعاً : كشف الإسلام خطأ مفهومهم عن جواز اتخاذ الوسائل الشريرة في سبيل تحقيق الغايات العليا كالكذب والغدر والوقعة واعتبارها طريق النجاح وكذلك دعواهم بتطور الأخلاق . والإسلام يؤمن بثبات الأخلاق والتماس أخلاق الخير والبر والصدق سبيلاً إلى تحقيق الغايات العليا وإنها هي وحدها سبيل النجاح الحق . خامساً : كشف الإسلام عن تزيف اليهود للصلة بين التوراة والأديان التي جاءت بعدها وخاصة ما يتصل ببعثه النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء وصفه في التوراة وقد حرف اليهود هذا النص لكي يجعلوا من اليهودية ديناً نهائياً وأنكر عليهم الإسلام دعوى الجبر التي يدينون بها ودعوى التشبيه وما يعتقدونه عن الرجعة فإن فإن كل هذه المفاهيم ليست من دين الله الحق . وكذلك كشف الإسلام خطأهم بالنسبة للأنبياء وقرر عصمة الأنبياء وسلامة مواقفهم وبعدهم عن الشر والفاحشة أثبت القرآن الكرامة لموسى وداود وسليمان ولوط وغيرهم من الأنبياء الذين وصفهم اليهود بما لا يليق بعصمة الأنبياء . كذلك أكد الإسلام وجود موسى وعيسى اللذين تحاول بعض كتابات اليهود التشكيك في وجودهما . كما قرر أنهما نبيان مرسلان ومن عباد الله وخلقته كذلك صحيح القرآن فكرتهم عن النبوة التي صورتها التوراة المكتوبة على أنها كذب وغش وزنا وفجور وفقس . خامساً : قرر القرآن أن التوراة المتداولة قد أصابها التحريف والتعديل والنسيان والإخفاء فهي ليست التوراة الإلهية الأصلية ذات التعاليم المقدسة والشريعة الربانية . (فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرقون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به) . وآية تحريفها أنها لا تشير إلى الروح ولا إلى الروحانية أو البعث لليوم الآخر أى إشارة كذلك خلت من الإيمان بالغيبات مما يدور في الحياة الأخرى ، كما جسدت الإله سبحانه وتطاولت على مقام الأنبياء . فقد صورت الذات الإلهية في صورة بشرية ضعيفة والحقت بها صفات الجهل والغفلة والضعف . كذلك قرر اليهود أن لهم إلهاً خاصاً وللشعوب الأخرى آلهة أخرى . وأنهم أولاد الله وأحباؤه كما اتخذت التوراة المحرفة : أحبار اليهود ورهبانهم آلهة تعبد أو تشارك في العبادة واتهمت التوراة سيدنا إبراهيم بالكذب وألصقت به أخس الصفات وأقبح الفعل .

أما القرآن فقد وصف إبراهيم بأنه بلغ المرتبة الثالثة في الصدق وأنه وصل إلى درجة الصديقين . سادساً : أكاذيب نفاها القرآن وكذبها : فقد اتهمت التوراة الموضوعة لوطاً وسليمان وداود بالباطل وادعت الشريعة في أسفار اليهود تقوم على التفرقة العنصرية وتجعل اليهود هو الشعب المختار وتنظر إلى ما عداه على أنه أقل في الدرجة وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) وقد ادعوا أن اخذ الربا مباح لهم قبل غير الإسرائيليين وكذلك غزو الشعوب الأفريقية بحد السيف وقد دمع القرآن اليهود في آيات تقترب من الألف وكشف زيفهم في التاريخ والعقيدة وفضح مؤامرتهم وعرى نفسياتهم وأبان تنكرهم للدعوى الإلهية وحجاجهم ولجاجهم وما قاموا به من تحريف وزيف وحجب للحقائق وألباسهم الحق ثوب الباطل واستثنى منهم قلة قليلة من اليهود الذين آمنوا برسالة النبي محمد . (دكتور محمد بن الشريف)

(٢) تاريخ الإسلام

كانت علاقة اليهود بالمسلمين سلسلة من التآمر والبغى فقبل تآمر اليهود على الدولة الإسلامية التي حمتهم من بطش الرومان والغرب المسيحي تآمروا على الدعوة الإسلامية والنبي وأنكروا وصفه في التوراة وتحالفوا مع أعدائه من المشركين في مختلف المواقع ، حتى اضطروا النبي إلى إجلالهم عن المدينة وكانت آخر كلماته صلى الله عليه وسلم تدعو إلى إخراج اليهود من جزيرة العرب وقد أخرجهم عمر بن الخطاب من فدك وتيماء ووادي القرى وأقطعهم أرضاً قريباً من الكوفة وكان اليهود قد هاجروا بعد تدمير أورشليم حيث قتل منهم عدد كبير عام ٧٠ ميلادية ، إلى أرض العرب للاحتباء بها حيث لم يتوقفوا عن الدس والتفرقة بين أحياء العرب وخاصة في المدينة بين الأوس والخزرج وعندما هاجر النبي إلى المدينة كان بها ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع في داخل المدينة وبنو قريظة وبنو النضير في ضواحيها الجنوبية وعندما أحس المسلمون بتآمر بني قينقاع الشرقية ، حاصروهم وأكروهم على الهجرة إلى حدود الشام وفي معركة أحد لم ينفذ بنو النضير شروط المعاهدة المعقودة بينهم وبين النبي بالدفاع عن مدينتهم إزاء كل غاز فضلاً عن اكتشاف مؤامرة دبرتها يهود لاغتيال محمد . وقد بعث الرسول إليهم من يطلب إليهم الخروج من يشرب لنقضهم العهد فلما امتنعوا حاصروهم المسلمون عشرون ليلة اضطروا بعدها إلى التروح من يشرب بعد أن آمنهم الرسول على دمائهم ولكن حي بن أخطب زعيم اليهود قصد إلى مكة يحرض قريش على حرب محمد وقال

إن بنو قريظة أقاموا بالمدينة مكرًا بحمد حتى تأتى قريش فيأتروا معها وصرحوا بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد ونجحت مؤامرة اليهود الذين ألجأوا عرب الجزيرة على المسلمين وسارت جيوش الأحزاب تحاصر المسلمين في المدينة في غزوة الخندق كان مفتاح النصر في المعركة بيد بنى قريظة إذ أن منازلهم وحصونهم في موقع ممتاز بين جيوش المسلمين والأحزاب فسعى حيي بن أخطب لنقض المعاهدة بين بنى قريظة والمسلمين وفي اليوم الذى انسحبت جيوش الأحزاب من المدينة وفك الحصار عنها أمر النبي بمحاصرة منازل بنى قريظة واستمر الحصار قرابة شهر اضطر بعده بنو قريظة إلى قبول التحكيم في تقرير مصيرهم فاخترأوا حكيم زعيم الأوس : سعد بن معاذ وحكم سعد بقتل الرجال وسبي النساء ومصادرة الأموال وكان حيي بن أخطب صاحب فكرة الأحزاب قد انضم إلى بنى قريظة ولما قدم للقتل وجه كلامه إلى النبي قائلا : « أما والله ما لمت نفسى على عداوتك » ونزلت في أمر حصار المدينة وبنى قريظة سورة الأحزاب وفيها الآية الكريمة : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطوها وكان الله على كل شيء قديراً). وقد كشف القرآن أمر بنى إسرائيل واستحقاقهم لسلب الملك العظيم الذى أعطاهم الله إياه وتدمير المجتمع الإسرائيلى نتيجة أشياء كثيرة منها ضعفهم عن حمل لواء الجهاد وتراخيهم في القتال وتحريفهم آيات الله وأكلهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل من أجل ذلك أسقط الله سيادتهم على البشرية لانحرافهم وأقام أمة أخرى بديلا عنهم تحمل رسالته الحققة : وهم المسلمون : [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] ولما انتهت المعارك بانتصار المسلمين وثبات الإسلام حيث دانت له الجزيرة العربية كلها بدأت مؤامرتهم بالكيد والدس وتزييف الحقائق بما أطلق عليه الإسرائيلىات وبالاغتيال والقتل فكانوا وراء مقتل عمر وعثمان وعلى ومؤامرة الخلاف بين الصحابة التى قادها عبدالله بن سبأ وكان له فيها دوراً خطيراً حاول اليهود في التاريخ الحديث إنكاره حيث حرضوا أمثال طه حسين وغيره على الإدعاء بأن عبدالله بن سبأ شخصية خيالية وهمية أو أنه على الأقل لا يمكن أن يكون له هذا الأثر الضخم في الفتنة الذى تصورها كتب التاريخ وحاولوا التهوين من شأنه كما جاء في كتاب الفتنة الكبرى وكان لهم دور خطير في التأمر خلال حكم الأمويين والعباسيين ثم اتسع هذا الدور في العصر الحديث . وقد حاول اليهود تزييف الرابطة الصحيحة بين دين إبراهيم ودين محمد وذلك بإنكار فرع اسماعيل وبناء الكعبة والتركيز على اسحق وابنة يعقوب كورثة لإمامة

إبراهيم بعد أن حرفوا مفاهيم الرسالة التي كانت إليهم والكتاب الذي است حفظوا عليه .
واتخذوا من توجه المسلمين إلى بيت المقدس وعودتهم بأمرهم إلى الصلاة نحو البيت الحرام سبيلاً للقدس .
والتأمر حتى أنهم أثاروا ذلك في السنوات الأخيرة حين اقتحم المبشر زويمير الأزهر الشريف
ووزع منشورات زائفة مسمومة تحت عنوان (عودوا إلى قبلة بيت المقدس) . ولقد رغب
النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغ المدينة أن يسالم يهود المدينة وعقد معهم عقداً وأدعهم فيه
واتفق معهم على المسالمة وعلى التناصر ضد من يهاجم المدينة أو يقتحمها غير أن اليهود
تغلبت عليهم عنصريتهم وتآمرهم وآثروا الشبهات حول الإسلام والقرآن والنبي وحاولوا
الوقية بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والأنصار فضلاً عن التأمر على
النبي ومحاولة اغتياله وقد انتهى ذلك بإجلاء بني قينقاع بعد غزوة أحد وإجلاء بني قريظة
بعد غزوة الخندق وكانت آخر كلمات النبي قبل اختياره الرفيق الأعلى قوله : (لا يجتمع
في جزيرة العرب دينان) وكذلك عمد اليهود إلى إثارة الشبهات والتشكيك لإضعاف إيمان
المسلمين وثقتهم بالإسلام [ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند
أنفسهم] واليهود هم الذين نظموا مقاومة الإسلام منذ ظهوره وحشدوا الدعاة لإفساد تعاليمه
وكانوا حلفاء القرامطة والباطنية والغلاة من الشيعة . وقد ترك عبد الله بن سبأ في الفكر الإسلامي
بصمات اليهودية التلمودية بدعوته إلى الوصاية والرجعة ونظرية الحق الإلهي ومن دعائهم عبد
الله بن ميمون الذي قاد أخطر الحركات الهدامة التي عرفها الإسلام . وقد تسترت اليهودية
وراء النزعات المعادية للإسلام وأدعى بعض اليهود اعتناق الإسلام لأحداث الفتن بين
المسلمين وإفساد عقيدتهم وقد وضع كثير منهم في العصر الأول الأحاديث فضلاً عن أنهم
نشروا الأساطير اليهودية بين العرب والمسلمين . ولقد عاش اليهود في كنف الدولة الإسلامية
في الكوفة وغيرها بعد أن أن أجلاهم عمر عن المدينة . ثم عاشوا في كنف الدولة العثمانية
بعد أن طردتهم النصارى من الأندلس وبعد سقوط الحكم الإسلامي وكانوا في كل مكان
كل مكان يتآمرون على الدولة الإسلامية وكانت أقوى جزرات تأمرهم حركة الدعوة
التي عملت في داخل الدولة العثمانية وكان لها دورها الخطير في إسقاط السلطان عبد الحميد
 وإزالة الخلافة وفتح الطريق للصهيونية إلى فلسطين عن طريق التعاون مع الاتحاديين ثم
تآمروا على المسلمين لمصلحة بريطانيا فكانوا عوناً للاستعمار البريطاني ينقلون إليه أخبار
الجيش العثمانية ومراكزها وتحركاتها وكانوا عوناً له في الحرب العالمية الأولى على المسلمين .

في بلاد العرب وفلسطين . حتى استطاعوا أن يحصلوا على وعد بلفور . يقول أحد المؤرخين : وجدت اليهودية أنه ليس من الحكمة أن تستمر في صراعها مع الغرب المسيحي لأن ذلك يبدد طاقتها ولا يعود عليها بأية فائدة ولهذا أخذ اليهود يعملون للتحالف مع الغرب المسيحي لاستغلاله في تحقيق أهدافهم وألقى اليهود في روع الغربيين أن هناك عدواً مشتركاً لليهود والنصارى : ألا وهو الإسلام فإن لم يتحالف الاثنان على صده فإنه سوف يزحف على الحضارة الغربية ويقضي عليها وقد اجتمعوا كما يقول دزرائيلي في القضاء على النصرانية والإسلام ولن يستطيعوا ذلك إلا بمساعدة وتعاون المسيحيين والمسلمين الذين غطت بصائرهم الماسونية اليهودية .

تمزيق الوحدة الإسلامية

لم يكن في مقدور الصهيونية العالمية السيطرة على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل إلا بالسيطرة على الدولة العثمانية . وكان هرتزل هو الذي تصدى لمواجهة السلطان والحوار معه ثم انتهى هذا الحوار إلى الرفض مما دفع اليهود إلى وضع السلطان في مكان الاتهام والحملة الشديدة والتآمر لإسقاطه (راجع كتابنا : الإسلام والغرب والعروبة والإسلام) فقد جرت المؤامرة منذ عام ١٨٩٧ وسقط السلطان عام ١٩٠٩ واستطاعت الصهيونية أن تجند الاتحاديين لخدمة أهدافها وهم الذين تسلموا سلطة الحكم في الدولة العثمانية بعد السلطان ومكنوا للصهيونية بالهجرة على فلسطين وبدأت مرحلة السيطرة عليها وكان أحد الثلاثة الذين دخلوا على السلطان يحملون وثيقة التنازل (قره صو) النائب اليهودي ، وانتخب حاييم ناحوم حاخاماً أكبر عقب سقوط السلطان واستطاع أن يحصل لليهود على عدة امتيازات في البلاد التي تتألف منها السلطة العثمانية ، كما أرسلته الحكومة التركية التي تولاهم مصطفى كمال مندوباً لها إلى لاهاي وناطت به الحكومة معالجة القضية التركية ، فمهد السبيل إلى الصلح الذي أقرب فيه تركياً بالتنازل عن صيغتها الإسلامية وعن اللغة العربية والشرعية الإسلامية . وكان العمل لانسقاط الدولة العثمانية وإزالة الخلافة العثمانية من الأعمال المشتركة بين الصهيونية العالمية والاستعمار وكان هدفها هو قيام القوميات لتمزيق وحدة الإسلام . وكانت الحركة الطورانية في تركيا والتي حملت لواءها جمعية الاتحاد والترقي هو أولى التنظيمات التي استهدفت تمزيق البلاد الإسلامية إلى قوميات وتقسيمها إلى وحدات تتصارع وتكون سهلة هينة في وجه التآمر الاستعماري والصهيوني . ولقد سلم الاتحاديون طرابلس الغرب إلى الاستعمار الإيطالي ، كما

دخلوا الحرب العالمية دون حاجة إلى دخولها لتدمير الاقتصاد العثماني وفي انقلاب مصطفى كمال أتاتورك - خليفة الاتحاديين وشقهم الثاني - وهو من اليهود الدوغة، نصبت المجازر للمسلمين وسلمت البلدان الإسلامية التي كانت تابعة للدولة العثمانية إلى المستعمرين بتحريض من اليهود ومؤامرتهم . ولا ريب أن الانقلاب العثماني الذي وقع عام ١٩٠٨ . قد أسلم زمام تركيا لليهود الماسون الدوغة : طلعت وجاويد وجمال ونيازی وكمال ، وقد دفعوا تركيا بتوجيه (وايزمن) لخوض حرب لاناقة لهم فيها ولا جمل وقد كان اليهود يرون في السلطنة العثمانية والخلافة والإسلام شبحاً مخيفاً خطراً على مستقبلها وعندما رفض السلطان مآرب الصهيونية قرر المحفل الكوفي خلع عبد الحميد وكلف فرسان تركيا الحكماء المستترين بالإسلام على حد تعبير الدكتور الزغبی - تنفيذ القرار فنفذوه عام ١٩٠٩ . ويقول بعض المؤرخين : إن الانقلاب العثماني أمر بيئت له يهود سالونيك منذ نصف قرن حتى يتم على أيدي مسلمين كانوا يهوداً في الأصل فأسلموا لأجل هذه الغاية . ولا ريب أن خطة الدوغة في النقية بإعلان الإسلام والإقامة في سالونيك البعيدة عن الرقابة كان عملاً مرتباً مدروساً فقد قامت في سالونيك الأوكار السرية حيث نفذ المرتدون أبشع التعاليم التي تستهدف إشاعة الفرقة والاستغلال وتدريب الأتراك على الرشوة والاعتصاب وشهدت تركيا ولادة الدوغة المؤلفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام وقد حفل التاريخ الحديث بعدد منهم عمل على تحطيم الأمبراطورية العثمانية وتحويلها إلى أشلاء ممزقة . وفي خزائن وزارة الخارجية التركية عدد كبير من الوثائق التي تثبت أن الذين قادوا حملة تمزيق الأمبراطورية هم من الدوغا وهناك قوائم كاملة بالعائلات اليهودية التي تظاهرت بالإسلام لتغطي تأمرها . وجاء لورنس على خطى هرتزل في سبيل إكمال المهمة وإتمام الخطوات . كان يعمل للصهيونية العالمية داخل العمل للاستعمار البريطاني ، وراح يتخيل نفسه فارساً صليبياً بعد أن درس الحروب الصليبية وظروفها وأحوالها . وقد أعلن أن هدفه الرئيسي هو تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الأمبراطورية العثمانية والعمل على وضع العرب في دوامة الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة وغير قابلة للتماسك على حد قوله . لقد كان لورنس يعرف كيف يتنقل العرب من الوحدة الإسلامية إلى القوميات المتنافرة ليقم الحواجز بين الأجزاء العربية حتى لا يتحقق لها وحدة ولا كيان ، ومن هنا كانت دعوته إلى استبدال الخليفة بواحد من أهل البيت كالشريف حسين والمزايدة عليه والدعوة إلى خلافة عربية بديلاً عن الخلافة الإسلامية . ولقد زج لورنس بالعرب في معركة

مع الترك لحساب الاستعمار والصهيونية العالمية بعد أن أعلنت خدعة إقامة الدولة العربية بعد الحرب واستطاع بهذه الخدعة أن يمزق وحدة العرب والترك في الدولة العثمانية وأن يعلن الاقتتال بين المسلمين حتى إذا ما تحررت سوريا وفلسطين من نفوذ الأتراك سيطر عليها الانجليز والفرنسيين وأعلنوا أن الحروب الصليبية التي كانت قد جاءت منذ ثمانمائة عام قد انتهت .

(٣) الفلسفة الماسونية المسمومة

كانت الماسونية هي الواجهة الأولى التي اتحضنت حولها اليهودية التلمودية لنفث سمومها في المجتمعات والفكر وتغيير القيم والمفاهيم وقد استطاعت بها السيطرة على المجتمعات الغربية والفكر الأوربي ثم انتقلت المحاولة إلى مجال الفكر الإشتراكي والمجتمع الإسلامي بعد أن تشكلت المحافل الماسونية في البلاد الإسلامية بدعوى أنها عامل من عوامل مقاومة الاستعمار والاستبداد . وجل الذين دخلوا في هذه المحافل كانوا يستهدفون اتخاذها وسيلة لمقاومة الاستبداد الذي فرضه حكام الشرق وأمرائه ، أو النفوذ الأجنبي الذي فرضه الاستعمار ظناً منهم أن هذه الجماعة قد استطاعت أن تقضي على مظالم الناس في الغرب حين استطاعت إشعال الثورة الفرنسية والثورات الأخرى وكانت هذه هي بعض أساليب الإغراء التي حملها دعاة الماسونية إلى أهل العالم الإسلامي فخدعوهم بها ، ولم تكن قد تكشفت بعد تلك الخلفيات البعيدة المدى للمحافل الماسونية أو الثورة الفرنسية . ويمكن القول أن أول من تنبه لخطر المحافل الماسونية هو السلطان عبد الحميد ولكن أسرار هذه المحافل وخلفياتها ظلت خافية على المسلمين والعرب حتى سقوط السلطان عام ١٩٠٩ وقيام حكم الاتحاديين برئاس المحافل الماسونية الذين احتوتهم الصهيونية العالمية لخدمة أهدافها . ومن ثم بدأت تكشف قليلا قليلا تلك المخططات وعرف في هذا أن الانقلاب العثماني كان ثمرة المحافل الماسونية وإن الدوامة واجهة اليهود في تركيا قد استطاعت إحتواء جماعة الاتحاد والترقي لخدمة أهداف متبادلة يتحقق بها للاتحاديين الوصول إلى الحكم ويتحقق بها للصهيونية العالمية الوصول إلى فلسطين . ونحن في سبيل دراسة مخططات الصهيونية التلمودية حيث لاتعنيان الماسونية غير مخططاتها (وقد تناولنا تاريخها في كتابنا : الإسلام والدعوات الهدامة) نجد أن التلمودية قد استطاعت أن تطرح مفاهيم الإلحاد والمادية والمادية وسموم الهدم والتدمير والإلحاد

والاختصار للأديان في تضاعيف تلك التعليقات التي كان يتلقاها أتباع المحافل والتي كانت أساساً لنجاحهم وفوزهم في كسب عضوية المحافل أو رسومهم . ذلك أن فلسفة الماسونية قد حرصت على ابتعاث الفكر الوثني والإباحي والباطني القديم كله وإعادة صياغته من جديد على حد قول القائل : لقد نبشت الماسونية قبور أبيقور الكلبي وأحيت ما يلي من عظام مذهب الدهريين ونبذت كل تكليف ديني وغرست بذور الإباحية والإشترار وزعمت أن الآداب الإلهية عمليات خرافية كما زعمت أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني وأنكرت الألوهية ورفع رواها وخاصة (فولتير ورسو وديدرو) عقيدتهم بالتشجيع على الأنبياء وألف فولتير الكتب في تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح في أنسابهم وعيب ما جاءوا به فأخذت هذه الأباطيل في النفوس مأخذها ونالت من العقول مناها فنبذ الناس في أوروبا الديانة المسيحية ونفضوا أيدهم منها ، ثم جاء طه حسين وجورجي زيدان وسلامة موسى وغيرهم لينقلوا هذا الفكر الوثني الإباحي إلى اللغة العربية بعد أن تحول في المحافل الماسونية إلى عقائد . وابتدعت الماسونية عبارة مهندس الكون الأعظم ، لتحل محل اسم الله تبارك وتعالى بدعوى أنها توافق ذوق كل من يطلب الدخول إلى الماسونية سواء أكان مؤمناً أم مادياً أم كافراً وهي خدعة ماسونية التجاؤ إليها بينما هم في أعماقهم وفي الدرجات العليا من الماسونية ينكرون وجود الله ويفرضون ذلك على أعوانهم . إن الهدف الأساسي للتلمودية الصهيونية الذي تتولى تحقيقه المحافل الماسونية هو سيادة الانحلال الروحي والفساد الأخلاقي حيث يقول البروتوكول الثالث : إن فصلختنا تقضي بالتحلل الشعوب غير اليهودية . ومن هنا يمكن تقييم مدى الخطر الذي نفذ إلى المجتمع الإسلامي عن طريق هذه المفاهيم التي انطلقت في الصحافة والثقافة وحاولت أن تكون لها تياراً خطيراً كان بعيد الأثر في الهزائم والأخطار التي حاقت بالمسلمين والعرب في السنوات المتصلة منذ بدأت الصهيونية التلمودية تركيز على الفكر الإسلامي لاحتوائه وقد أجمع قادة الماسونية على أن الماسونية تعتبر الإنسان كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها آله صماء بلا نفس عاقلة . وإن غاية الماسونية القصوى أن تسوق البشر إلى فكرة فك كل قيد يضبط شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبذوا كل دين ويعيشوا عيش الحيوانات غير الناطقة وينقادوا إلى أوامر زعماء الماسونية انقياداً أعمى (كتاب الماسونية وأسرارها) من هنا نرى كتابات مازكس وفرويد وسارتر ودور كايم وغيرهم تستهدف تحقيق هذا الهدف لتحويل هذه الغايات التلمودية البعيدة المدى في استعباد الشعوب وتدميرها إلى نظريات في

النفس والأخلاق والأدب والاجتماع ثم جاءت تبليغة كتابنا أمثال : أمين الريحاني وفيلكس فارس وطه حسين وسلامة موسى ولويس عوض وغيرهم محققة لهذا الهدف بترجمة تلك القصص المكشوفة الفاجرة ، وإشاعة هذه الروح من التحلل في الثقافة والأدب والفكر جميعاً . تقول الفلسفة الماسونية : إن حرية الآباء لا تتفق مع مصالحنا وعاياتنا أبداً ، ولذلك يجب تربية الأطفال وفق مناخ مقدر من قبل دولتنا : والسيطرة على الشباب هي من أولى غايات الماسونية وأهدافها يقول : دعوا الكهول والشيوخ جانباً وتفرغوا للشباب بل تفرغوا حتى للأطفال فإنه لا بد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين وعندما ترى الآن كيف تصدر الكتب عن الشباب وعن الأطفال وكيف يدعون إلى كراهية الآباء والأسرة وكيف تتعالى الصيحات بأن الاجيال يجب أن تكون حرة وإن هذه الاجيال ليس لها أساتذة أو معلمين وحين نجد ازدياد الصراع بين الأبناء وآبائهم نعرف كيف استطاعت هذه الآداب أن تفسد الاجيال الجديدة . وتقول نشرة مجلة فرنسا الجديدة الماسونية : إن ذوى الغرائز السافلة أكثر عدداً من ذوى العواطف الشريفة ، كل يتطلب السلطة ويود لو كان صاحب الأمر والنهى وقليلون هم الذين يقيمون الخير العام فوق منفعتهم الشخصية . ولا يخفى أن مجموع الشعب يسير وراء الأميال المتغلية والخرافات والعادات والتقاليد والمذاهب المؤثرة في العواطف ، وما منزلة فضيلتي الصديق والاستقامة في الأمور السياسية سوى منزلة عيوب ونقائص (الغاية تبرر الوسطة) ومعنى هذا هو إفساد أخلاق المجتمع ونظم الحكم في الشعوب . ويؤكد الباحثون أن الفلاسفة الذين ظهروا في أواسط القرن ١٨ قد عمدوا وضع الفلسفة الماسونية المسمومة التي تنكر وجود الخالق والزعم بقدم العالم وعدم الحاجة إلى الأخلاق والفضائل . وإن هذه الفلسفة الماسونية قد ظهرت بعد ذلك في كل بلد على السنة بعض الكتاب ونشرتها صحفهم وذاعوا بها ومن دعواهم : الوطنية لينفسح أمامهم الطريق إلى السيطرة ويقولون أن الاخلاق خيال باطل وكذب محض وأن الرايات الوطنية هي آية الظلم والاستبداد ويقولون أن الوطنية هي العامل الذي يقف أمام غاياتنا وهم يهاجمون أيضاً نظام الجندية وشرف العسكرية . ويدعون إلى خراب الألفة البشرية ومحاربة الأسرة والهجوم على رب العائلة ، وإن الأمر الجوهري في استمالة الناس إلى جماعتهم إنما هو أفراد الرجل عن عائلته وإفساد أخلاقه والدعوة إلى الخلاعة وإفساح الطريق له حتى يقضى على نظام الزواج فتنتهدم الأسرة ، وهم يدعون إلى تسامح الرجل في أمر زوجته ويصفون الزنا بأنه شريعة الطبيعة وتقول كتاباتهم : أنه لو بقي البشر على سذاجة

طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشركات بينهم . وهكذا تصل عملية الهدم للمجتمع والأسرة والشباب إلى أبعد الغايان والفلسفة الماسونية هي التي حاولت أن تربط بين الغدد والأخلاق وتلغى إرادة الإنسان وأخلاقه وقدرته الخاصة على الاختيار بين الخير والشر وهم يجددون الفلسفة الأغريقية القائمة على عبودية الناس للناس ويجعلون من المرأة أداة للمتعة ويدعون إلى تقديس الجمال وعبادة الجسد . وينشرون هذه المعاني الفاسدة بعد أن هدمتها المسيحية وسحقها الإسلام ونشر بدلا منها الأخاء الانساني وتكريم المرأة وتقديم الأخلاقيات على المعاني الجمالية . وقد ثبت بوثائق أكيدة في بعض محافل الماسونية قولهم : إن إبليس هو رئيسهم وأنه هو قائد الإصلاح البشري وهو المطلق لحرية العقل ويقول اليهودى لمن : أشيد بذكرك يا شيطان يا ملك وليمتنا وأقرئك سلامى الطيب يا إبليس وأرفع إليك بخورى المقدس أنت الذى قهرت يهوه إله الكهنة . وقد حاولت النشرات الماسونية أن تربي أسلوب التحلل والفساد فى أتباعها ومن ذلك ما وجهته إلى أعضائها : ما رأيك فى الحب الحر أو الزواج الحر المحرر من شرائع الدين ، هل عدم التعدى على حياة الأفراد هو عندك مبدأ مقرر ، ما رأيك فى إسقاط الجنين وقتل الطفل ، ماذا تفهم بحرية الفكر ، لو أمرت بعمل ما يصاد آراءك فماذا تصنع ولا ريب أن هذه أفاق من الشر والفاحشة والحق على البشرية جد خطيرة تحاول الفلسفة الماسونية آثارها فى نفوس أتباعها . وهكذا نجد التلمودية الصهيونية قد نشرت تحت لباس الماسون أول اتجاهات الهدم للمجتمعات ومحاربة الأديان بالدعوة إلى الفكر الحر ، وبذلك أسقطت القيم الدينية والأخلاقية وفتحت الباب واسعا أمام تحقيق أمبراطورية الريا التى لا تقوم إلا بالفساد . ولقد ترجمه كثير من كتاب العرب مؤلفات أريد بها ترويح هذه المعانى وإثارة مفاهيمها فى عقول ونفوس المسلمين والعرب ومن ذلك كتاب (هكذا تكلم زرداشت) الذى ترجمه فيلكس فارس عن نيشة كما ترجم أيضاً (إعرافات دى موسى) . وقد أشار فى مقدمة كتابه أنه يود أن يقدم لشباب الشرق العربى هذه المعانى التى يرى أنها علاجاً أدبياً لداء العصر ، كذلك تجد فى كتابات أمين الريحانى تقديره البالغ لهذه المعانى وترويجاً لها ودعوة إلى تكريم فولتير الذى جاهر بحرية العبادة وطعن الأديان . يقول الدكتور متعب مناف : إن الجمعيات الماسونية عصابة دولية قصد منها إلى إماتة الشعور القوى والخلقى لدى أعضائها وإيقاعها فريسة الخوف والطلاسم حتى يبقى كل منهم مشدوداً بالجمعية وعلى إستعداد للتضحية بقيم الدين والأخلاق والخلق والقومية

في سبيل تحقيق الأهداف التي ستطلبها رغبات الطغمة الموجهة ، وقد فسروا هذه المعميات بالشكل الذي يضيع كل القيم الدينية والقومية وللتأكد من ضرب هذه القيم لابد من انتزاع كرامة الإنسان عن طريق إيقاعه تحت عامل الخوف بجو رهيب بين الهياكل العظيمة ومناظر الموت والجحيم حيث يلف العضو الجديد ويوضع في تابوت وقد استغلت التلمودية الصهيونية نوادي الروتاري والليونز في سبيل بث التعاليم الهادفة للسيطرة على العالم عن طريق حصر الجنس والمال والقوة السياسية في أيدي حفنة من اليهود وجعل هذه المنبهات القوية لبني البشر وسائل تتحكم عن طريقها الأطماع اليهودية في تغيير تركيب العالم الساي والاقتصادي والفكري بما يتفق مع المخططات اليهودية . وهكذا نرى كيف أن موجة عاصفة من التحلل الخلقي والإلحاد والإباحية والشكوك قد أَلْقِيَتْ في أفق الفكر الإسلامي ، تحت أسماء مختلفة منها الأدب الغربي ومنها مدرسة العلوم الاجتماعية ومنها مذاهب التحليل النفسي والتفسير المادي للتاريخ والوجودية وغيرها وهذه كلها ليست في حقيقتها إلا صياغة لها طابع علمي براق وكذاب للمخططات التلمودية التي نفثت سمومها تحت اسم الفلسفة الماسونية وكونت عليها أجيال وأتباع وقد وجدنا هذه التجربة ومن يكتب عنها في بلادنا حين كتب الدكتور أحمد غلوش يكشف بعض أسرار الماسونية ويقول أنها تخالف مبادئ الإسلام ويقول : كنت قد دخلتها وتركتها من زمان بعيد لما تبينت منافاتها للأصول الاجتماعية ومجافاتها لوصايا الأديان الساوية . وأن أتباع هذه الطقوس يتنافى مع جميع الأديان لأنه يتنافى مع الكرامة الإنسانية (المصور ١٤-٧-١٩٣٩) ولكن الصحف التي كانت على ولاء كامل للفكر التلمودي في الفترة وخاصة الهلال والمقتطف والمقطم والأهرام فإنها لم تترك هذا الرأي يمر هكذا دون أن تحشد له من ينقده من أتباع الماسونية الذين أشاروا إلى أن عدداً كثير من أعلام مصر كانوا من أتباع الماسونية وفي مقدمتهم كما ذكرت المصور : الخديو توفيق ، حسين فخري باشا ، سعد زغلول ، إدريس راغب ومحمد عبده ، قاسم أمين ، محمد بخيت ، جمال الدين الأفغاني ، الأمير محمد علي . أحمد ماهر ، حسن نشأت ، مكرم عبيد ، حسين صبري ، فؤاد أباطة ، علي جمال الدين ، علي عبد الرازق ، حامد الشواربي ، محمد خالد حسنين ، فارس نمر خليل مطران ، حبيب لطف الله ، فهمي ويصا ، يوسف وهبي ، وقد تأسس أول محفل في مصر ١٨٣٠ وعرف بتبعيته إلى محفل يورك في لندن ولا ريب أن هذا يعني أن للماسونية دوراً كبيراً في الاحتلال البريطاني وفي الخطط السياسية والاجتماعية التي توالى منذ ذلك الوقت .

ويمكن القول أن العالم الإسلامي قد عرف مثل هذه المحافل في هذه الفترة بالذات وبذلك نتعرف الى نفوذ الصهيونية التلمودية ومدى تأثيرها على تزييف الفكر والثقافة وإفساد الأخلاق . وأن غاية الماسونية التي هي تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بأفكار التلمود كانت واضحة في تنفيذ هذا المخطط . وهي الدعوة إلى إشاعة الإباحة والزيلة التي تعتبرها اليهود وسيلتهم الأولى لتحقيق أغراضهم ، وقد تيسر لهم ذلك بتحكّمهم في التمثيل السينائي وكتابة الروايات ونشر المودة وعن طريق الجمعيات الرياضية والفرق الموسيقية والمسارح والصور الخليفة والروايات الخارجة والإغاني البذيئة والمواخير وغيرها من المؤسسات التي تربي الناشئة عقلياً وجسمانياً وعن طريق الصحافة والثقافة وتحرير المقالات المخالفة للدين والأخلاق ونشر الأدب المكشوف والعلماني الخالي من كل دين المجرد من كل اعتقاد ويمكن القول بلا تحرج أن ما يسمونه « الفكر الحر » ما هي إلا مؤامرة تلمودية يهودية تستهدف القضاء على كل مقررات الأديان والأخلاق وأنهم هم صانعوها نهجها ودافعوا دعائها إلى العمل ولقد وجدنا هذه الدعوة تستشري في أفق الفكر الإسلامي في الثلاثينات والأربعينات وتقدم كل معاول الهدم للقيم .

(٤) الصهيونية : امبراطورية الربا

مهدت الماسونية الأرض للحركة الصهيونية : حتى مكنتها من أن تحقق انتصارات ثلاث : هي السيطرة على المسيحية الغربية وأوروبا بالثورة الفرنسية وعلى المسيحية الأرثوذكسية وروسيا بالثورة البلشفية وعلى بلاد العرب والإسلام بإسقاط الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية . وبذلك أصبحت أهداف [امبراطورية الربا] قابلة للتحقيق في تقدير مخططهم وأصبح في استطاعة اليهود أن يعلنوا أنهم قادرون على تنفيذ مخططهم الذي تضمنته بروتوكولات صهيون وفي الحرب العالمية الأولى حصل اليهود على وعد بلفور بإنشاء وطن قومي في فلسطين ، وفي الحرب العالمية الثانية قامت إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي ثم استطاعت أن تسيطر على القدس عام ١٩٦٨ . غير أن هذه الانتصارات المتوالية التي تمت في غفلة من المسلمين وقبل أن ينتبهوا إلى المحاذير التي وقعوا فيها نتيجة استسلامهم لمخططات الغزو التلمودي والتغريب الاستعماري طوال أكثر من قرن من الزمان قد صدمتهم صدمة أيقظتهم لكي يكتشفوا هذا الخطر ولكي يتحركوا إلى طريق الإصالة والتماس منابع دينهم وأسلوب فكرهم الذي

هو الطريق الوحيد الذى يستطيع أن يصل بهم إلى تدمير أمبرطورية الربا ولقد كانت معركة العاشر من رمضان علامة على ذلك الطريق . لقد أتاح وقوع بروتوكولات صهيون فى أيدي غير اليهود فرصة لكشف هذا المخطط الدموى الماكر ، وكان خليقاً بالمسلمين والعرب أن يتنبهوا ويأخذوا حذرهم ويلتسمو الطريق إلى المقاومة والمواجهة وبروتوكولات حكماء صهيون أو [الإنجيل البلشئى] كما أطلق عليه سرجى نياوس أول من نشره على العالم باللغة الروسية من سبعين عاماً هو صياغة عصرية لأحكام التلمود وضعت فى روسيا تستهدف إخضاع الشعوب وتأسيس امبراطورية صهيونية برأسها ملك ليكون امبرطوراً للعالم كله على أساس القدرة على السيطرة على الصحافة والذهب فى العالم ، ولقد تعالت صيحات اليهود بمحاولة التنصل من البروتوكولات والإدعاء بأنها زائفة وقد ساعدهم الماركسيون على ذلك ودافعوا عنهم دفاعاً شديداً كما حاولوا التفرقة بين الصهيونية واليهودية . وقد أحصيت تصريحات خطيرة فى تصوير اتجاه المخطط منها قول الحاخام تيبا موزغ : اليهودى لا يقنع بهزيمة المسيحية بل يريد تهويد أتباعها . ومهما حاول اليهود التنصل من البروتوكولات فإنها تفضحهم وتدمغهم ، فإن مجريات الأحداث كادت تجرى وفق المخططات ، وأن نصوص البروتوكولات تكشف أخلاقيات اليهود فهى واضحة الدلالة على روح البغضاء والعنصرية والتعصب الدينى والجشع للسلطة ، وأنها لا تتعارض مع أساليبهم ومطامعهم وأهوائهم على نحو يؤكد صلته بهم وصلتهم به فالمخططات تؤمى بما يريد اليهود أن يفرضوه على العالم من قدرة وسلطان على إحداث المؤامرات والانقلابات والمشاكل والثورات وأن دعواهم إلى قسمة العالم إلى معسكرين يتناحran قد تحقت فعلا . وإن ما ورد من تصريحات متعددة يدل على أن الصهيونية جادة فى العمل للسيطرة على العالم . وما يدل على سلامة نسبة البروتوكولات إليهم أن عدداً من النبوءات التى تضمنتها قد تحققت فعلا وأهمها نبوءة تدمير القيصرية الروسية ونشر الشيوعية فيها ونبوءة سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود ونبوءة عودة اليهود إلى فلسطين ونبوءة سقوط الملكيات فى أوروبا وقد زالت الملكيات من ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا ونبوءة إثارة حروب عالمية لأول مرة فى التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود وتلتقى مع البروتوكولات لتزكى مصدرها كل كتابات اليهود فى جميع العصور ، فكتابات [ماكس نوردو] وكتابه الانحلال الذى أصدره عام ١٨٩٣ وحمل حملة شعواء على الحضارة الغربية ثم كتابات : شينجلر ، وجويلز ، وبرادانيف من نفس الطراز وكتابات

هرتزل (الدولة اليهودية) ومذكراته تسير في نفس الخط والاتجاه وتفصح نفس المخطط وتكشف يوميات هرتزل الأسلوب والوسائل التي اتخذتها الصهيونية في تحقيق هدفها وكلها تقوم على الرشوة والكذب والعنف والانتهازية وكأنها هي التطبيق العملي للبروتوكولات وإن ما كتبه هرتزل قبل سبعين سنة تقريباً هو نفسه ما حدث في السنوات الأخيرة وهو نفسه ما نفذته الحركة الصهيونية ولقد كانت محاولات هرتزل كلها تتركز حول إغراء السلطان عبد الحميد وأعوانه فلما فشلت المحاولات بدأت عمليات التهديد ومحاولات الاغتيال وانتهت بالمؤامرة التي نفذت بواسطة الدوثة وحزب الاتحاد والترقي. يقول الأستاذ نجيب صالح أن مذكرات هرتزل تحكي قصة الصهيونية وكيف استغلت ضعف تركيا فأرادت أن تشتري فلسطين منها واستغلت عطف حكام أوروبا والبابا وتاجرت بهم حيث تدعو الحاجة وكيف أن فلسطين لم تكن إلا مجرد أرضية من الأراضي التي تحط عليها الآمال الصهيونية وتحمل المذكرات أ نموذج التفكير الصهيوني وأسلوبه المراوغ . ومن يوميات هرتزل يمكن استخلاص حقيقة أساسية هي أن الحركة الصهيونية تنسق مع الاستعمار دون أن تنسى هدفها العنصري وأنها استعملت في تحقيق غرضها وسائل لا أخلاقية وهي تؤكد البروتوكولات وتمضي مذكرات وايزمان زعيم الحركة الصهيونية وأول رئيس في نفس الاتجاه وتكشف النقاب عن التعاون الوثيق بين قوى الاستعمار واليهودية العالمية في محاولة تسليم فلسطين لليهود بدون سكان وقد قامت المحاولات كلها على الرشاوى والتحايل على القانون والدعايات المضللة والتهريب والمؤامرات السرية والعلنية وأفظع طرق التعذيب والوحشية وعمليات الإبادة بالجملة ولقد كان وايزمان أشد مكرراً ودهاءاً من هرتزل ويرى أن هرتزل كان رجلاً ساذجاً ويقول أما أنا فكنت أعتبر الحركة الصهيونية عملية إرتقاء حيوية يجب أن تنمو كما تنمو (الغرسة) علينا أن نراقبها ونعني بها إلى أن تصل إلى درجة النضوج . وكان الصهيونيين الروس يتمسكون بما قاله حكماء اليهود (الذي لا يمكن للذكاء أن يفعله فإن الزمن أي العمل والسعي والتنفيذ سيعمله) وإن هرتزل لم يكن من الشعب لذلك لم يدرك القوى الكامنة وإن هرتزل فشل في خطته المبنية في الاعتماد على الأغنياء وعلى الطبقة العليا وأصحاب النفوذ والبنوك والممولين . أما نحن فلم يكن لنا إيمان أو ثقة بتلك الطبقات « هكذا ونجد إن ما رسمته البروتوكولات هو ما يقوم به هرتزل ثم وايزمان ومذكرات ناحوم جولدمان تكشف عن نفس الخط : خط التآمر والغدر وفكرة جولدمان تدور حول اقناع العرب بقبول

الوطن القوي اليهودي وهذا الاقتناع كما يراه جولدمان له وسائل غريبة فصلتها البروتوكولات غير أن هذه المحاولة لا يمكن أن تمر في موازين التاريخ والبشرية وطبائع الأشياء. ذلك لأنها تقوم في أساسها على أسلوب الاغتصاب والإرهاب مما يحول بينها وبين الحياة والاستمرار . حيث يقوم الأمر على إدعاء غير صحيح في واقع التاريخ أو الكتب المنزلة ، والوصول إليه يتم بالتلفيق والباطل ، والوسيلة إليه إبادة أهل الأرض الحقيقيين لإسكان قوم مهجرين من أرض أخرى ، ثم يقوم على دعوى الوعد الذي يدعى أنه أعطى لأبناء إسرائيل قوم ليسوا من بني إسرائيل أصلاً ثم هم اليوم وبعد أكثر من ربع قرن لا يملكون القدرة على الإقامة والاستكفاء الذاتي بالرغم من أنهم اعتصبوا أجود أراضي الشام ، فما زالت أمورهم تدار عن طريق الإعانات التي يأخذونها بالتهديد من أثرياء اليهود وعلى الاتفاق مع الدول الكبرى على أداء دور كلب الحراسة للنفوذ الاستعماري ، وما تستطيع هذه التلفيقات كلها أن تقيم دولة يكتب لها البقاء : ثم إن إسرائيل تعيش داخل عالم عربي يتجاوزها نحو إلى ٢٠ أو ٣٠ مرة وأن هذه العالم في طريقه إلى إمتلاك الثروة والطاقة والتفوق البشري وأنه مع مرور الزمن لا بد أن يزيل هذا البناء الزائف المبني على الرمال (أضمن أسس بنيانه على تقوى من الله خير من أسس بنيانه على شئ جرف هار فانهار به) . يقول ناحوم جولدمان : إن إحدى التجاوزات العظمى في تاريخ الصهيونية هو أنها لم توجه الالتفات الكافي للعلاقات مع العرب حتى الصياغة اللامعة للمسألة اليهودية . أنها مشكلة [تحويل شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب] ترتبط بقدر مزعج من العمى عن رؤية المطلب العربي في فلسطين ، ففلسطين لم تكن أبداً ، أرض بلا شعب حتى في زمن هرتزل ، لقد كانت مأهولة بمئات الألوف من العرب الذين كانوا سيحققون في مجرى الأحداث المعتاد عاجلاً أو آجلاً دولة مستقلة منفردة أو وحدة في إطار عربي كبير . وهكذا تبدو الصهيونية على أيدي دعايتها وقادتها عملاً إجرامياً وغير أخلاقي ولا أساس له لا من التاريخ ولا من المنطق ولا من طبائع الأشياء وإنما هو قائم بالادعاء والتمار والغصب والسيطرة وكلها عوامل لا بد أن تتحطم بمرور الزمن وتكشف زيفها للناس وحتى بعد عدوان ١٩٦٧ فإن رأى المراقبين أن إسرائيل قد بعدت عن السلام ، وأن هذه الانتصارات العسكرية لا تجلب لها الاستقرار وأن العرب والمسلمين لا يمكن أن يقبلوا بالغزو لا يقيموا على الضيم ولن تحتويهم الخطط التي وضعت لحصرهم في حل عربي وإنما هم ينطلقون الآن إلى حل إسلامي عن طريق الجهاد . ويقف الآن الميربرجر وألفريد لينتال وجارودي

موقف المعارض لبقاء إسرائيل ولكن الحس العربى الإسلامى لا يرى فى ذلك إلا نوعاً من الخداع ومحاولة لأن يقسم اليهود أنفسهم إلى صهيونية وغير صهيونية ليخدعوا العرب ويدعواى الفصل بين اليهودية والصهيونية والواقع الذى تشهد به مختلف وثائق الصهيونية وكتاباتها الأصيلة أن الصهيونية واجهة لليهودية التلمودية ، وآية ذلك أن التوراة المكتوبة بأيدي أحبار اليهود تتضمن نفس الهدف والمخطط الذى تسعى إليه الصهيونية الحديثة وتعمل من أجله : هدف الادعاء بالسيطرة على أرض الميعاد من النيل إلى الفرات باعتبارها وعداً خاصاً لإسرائيل وليس وعداً عاماً لإبراهيم وذريته ومنهم إسماعيل والعرب والمسلمين . وأن المحاولة قد بدأت بعد الضربة التى وجهت إلى اليهود فى روسيا القيصرية على أثر مؤامرتهم وأنهم كانوا يستهدفون الحصول على أى أرض تأوى هجرتهم وأن فلسطين بالذات لم تكن فى مخططهم إلى وقت طويل وإنما كان هناك محاولة للوصول إلى أى مكان فى ظل إثارة مشاعر العالم حول نكبتهم وخداع المسيحيين البروتستانت بما ورد فى التوراة وتجنيدهم للعمل من أجلهم وإذا كانت اليهودية دين والصهيونية حزب سياسى فإن الخلاف بينهما ليس فى الأهداف والغايات وإنما فى الوسائل حتى تعطى اليهودية للصهيونية إنطلاقاً فى الحركة ويمكن القول عند تجاوزها للمخطط المرسومة أن ذلك ليس من الدين ولكنه من السياسة فالأمر كله خداع ، والخطوات كلها انتقال من حق مزعوم إلى أسلوب عجيب من المراوغة . ولقد طرحت الصهيونية بيروتوكولاتها فى أفق الفكر البشرى أسلوباً من أقسى أساليب الفساد والانتهاك للحرمان والوصولية وإنكار الخلق والرحمة وأقامت ذلك الروح من الانتهازية الذى حملت لوائه من بعد كل المذاهب المادية وفى مقدمتها الماركسية والفرويدية والوجودية ولعلنا حين نقرأ قولهم مثلاً : (كلما وجدنا أنظار الرأى العام العالمى تتجه نحو الحقيقة يجب أن نعمل على تحويله إلى اتجاه آخر ، أن واجبنا أن نشغله عن أى طريق أو تفكير جدى سليم بإثارة موضوعات لها طابعها الإباحى ولتلهيهم وتملاً فراغهم بمختلف أنواع الملاحى والمباريات الترفيحية والفنية والرياضية : شعارنا القوة والرياء وفى سبيلهما وللوصول إلى غايتنا ينبغي أن لا نحجم عن اللجوء إلى الرشوة والخداع والخيالية . علينا أن نقدم دون تردد على اغتصاب ملكية الغير) . هذا الأسلوب فى التعامل مع الناس والمجتمعات من شأنه أن يطرح فى أفق المجتمعات روحاً خطيرة من الفساد والجريمة ، يتعارض تمام المعارضة مع روح الدين الحق ومع تعاليم الإسلام التى دعت إلى الأخلاق والرحمة والتقوى والسأحة . وحيث نجد دعوة (التلموديين إلى الحط

من كرامة رجال الدين) نغجب لسريان هذا الروح في أفق المجتمع الإسلامى وحين نرى الدعوة إلى اتخاذ وسائل العنف والخديعة والمكر نأسف لسريان هذا الروح في أخلاق المسلمين وحين نرى التلمودية الصهيونية تعمل على إثارة روح الانحلال والفساد الأخلاقى نجد تقبلاً شديداً لهذه الفلسفة ونجد نتائج ذلك غاية في الخطورة على المجتمع الإسلامى . فلقد شاعت هذه المعانى التى تعمل على تقويض أركان الإيمان فى الشعوب والأمم على نحو من شأنه أن يؤدى إلى زلزلة مكان العقيدة فى النفوس وهكذا نجد أن المقررات الصهيونية فى إفساد المجتمعات الغربية قد تسربت إلى المجتمع الإسلامى مع الفلسفات والنظريات المادية التى تدرس اليوم فى كثير من معاهد الإرساليات والجامعات ، وإلى الآثار المترتبة على ما تطرحه الصحافة والكتب المترجمة من سموم وانحلال وخاصة فيما يتعلق بالقصة والرواية والمسرحية والفيلم السينمائى وما يتصل بذلك من المسارح والملاهى وعلب الليل والمخدرات والسموم والخمر واندفاع مجموعات من الشباب والفتيات فى طريق الإباحة والفساد . ولا ريب أن هذه التجاوزات التى يضطرم بها المجتمع الإسلامى كله هى من أكبر العوامل التى تؤخر تصفية الغزوة الصهيونية وتمد فى أمد الاحتلال الصهيونى الاستيطانى الذى يعتمد على تهمد المجتمعات وفسادها وتحللها وعلى المسلمين فى يقظتهم أن يعلموا أن هدف الصهيونية التلمودية هو إقامة إمبراطورية الربا التى لا تقوم إلا على الفساد والانحلال الذى يؤدى إلى الاستدانة والترف ورهن الممتلكات وبيع العقارات وتحول أملاك المسلمين فى ديارهم إلى مصارف الربا وتسديد القروض التى تتضاعف فوائدها عام بعد عام . أن هدف الصهيونية هو تهويد العالم فكرياً وإحلال مفاهيم المادية فى قلوب وعقول الناس وإعلاء حيوانية الإنسان وإذلال إنسانيته ومنع القوى الخيرة القائمة على بناء المجتمع الإنسانى . إن الربا والإباحية والتفرقة العنصرية واستغلال الشعوب هى دعوة اليهودية العالمية فى كل عصر وبيئة وهم يجددونها اليوم تحت أسماء عصرية ومذاهب أيولوجية . ويستخدمون فى سبيل ذلك ما سموه علوم الأنثربولوجيا والنفس والعلوم الاجتماعية ودعوات الانفجار السكانى وغيره لتبقى هذه المجموعة القليلة من اليهود المسيطرين على مقدرات الأمم وثروات الشعوب هم وحدهم المالكين ويبقى العالم كله بعد ذلك عبيداً لهم وخدماً ولا يزال الصراع بين هذا الفكر البشرى الوثنى الإباحى المادى وبين الفكر الربانى المصدر الإنسانى الطابع وسيظل مضطرباً حتى يتم الله نوره ويحق الحق بكلماته ويتحطم هذا الفكر ويدمر هذا الكيان ولا بد للأمة الإسلامية أن.

تصمد في مجال الامتحان وأن تقوم على المواجهة والمقاومة والمرايطة في وجه هذا الخطر .
ثابتة ذاكره الله تعالى ، ملتزمة الأصالة والمنايع الأصيلة وقد كشف الله للمسلمين سنن المجتمعات
والحضارات وكيف ينهار الفساد والظلم فلا يبقى إلا الحق والخير . إن كل دعوة باطلة زائفة
لا بد أن تسقط مهما تمكنت ووجدت من ينصرها بالباطل ولقد يطول بالباطل الزمن ويخدع الناس
البريق الخاطف ولكن الحق لا بد أن ينتصر ولقد عرض الحق تبارك على المسلمين مزائق
الأمم التي هوت وأهمها أنهم خالفوا سنن الله تبارك وتعالى في الثبات على الحق والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر والمرايطة في الثغور فليلتمس المسلمون اليوم هذا المنطلق إلى النصر .
(عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) .

سادساً : الفكر التلمودي الصهيوني

محاولات الكشف عن زيفه

(١) استكشاف أعماق المخططات

تعددت المحاولات لاستكناه أعماق الفكر التلمودي الصهيوني وظهرت مؤلفات كتبها
مفكرون لهم تجربتهم وخبرتهم تكشف زيف هذا الفكر وتشير إلى أبعاده الخفية وإلى غاياته
الخطيرة ولعل من أقدم هذه الدراسات كتاب اليهودي الدولي الذي كتبه هنري فورد ونشرته
مجلة دير تورن عام ١٩٢٠ والتي تحول قرأتها بنشرة من مائتي ألف ٣٠٠ ألف ولقد استطاع
فورد أن يحلل النفسية اليهودية ومطامعها ويكشف خفاياها قال إن شريعة اليهود تسمح
 لليهودي أن يعامل غير اليهود بقواعد تباين ما يجب أن يعامل به جاره اليهودي ، وقد
تفرقوا في الشعوب دون أن يمتزجوا بها أو يدخلوا عليهم ما ليس من خصائص جنسهم وأن
اليهود تسللوا إلى المنظمات غير اليهودية ليسيظروا من وراء ستار واستطاعت الدعاية اليهودية
أن تقنع الأمريكيين أن فلسطين هي أرض اليهود وأن اليهود أطلقوا على عدائهم الآخرين لهم
اسم (اللاسامية) أي إن العداء موجه ضدهم لأنهم ساميون . وقد جاءت صيحة فورد بعد أن
سأول اليهود تطويق الإقتصاد الأمريكي فحاول بكتابته أن يكسر الطوق ويحرر الإقتصاد
فقال أن اليهود قد توجه جهدهم للسيطرة على الصحافة والمسرح والسينما بغية توجيه الذوق
العالم والتأثير في الجماهير وقد تم لهم تكييف الرأي العام في أمريكا على الصورة التي يريدونها
فهو يملكون ٧٠ ٪ من الصناعات ويعيشون حياتهم الخاصة ويحسون بالتفوق على الشعب

الأمريكي ويسكنون منعزلين وأشار هنرى فورد إلى الدور الذى قام به اليهود فى مؤتمر الصلح. فأشار إلى أن باروخ اليهودى مساعد الرئيس ولسون فى مؤتمر الصلح كان له نفوذه حتى أن الأمور سارت بوحى اليهود الذين اجتمعوا فى باريس لغاية واحدة وهى تحقيق برنامجهم وتنفيذه وقد تمكنوا من تنفيذه كما يريدون دائماً . (وما يذكر أن باروخ لعب الدور الهام نفسه فى الحرب العالمية الثانية فقد كان اليد اليمنى للرئيس روزفلت طيلة سنوات رئاسته. وصديقاً لتشرشل) وقال أن الصهيونية اعتمدت فى دعم سلطاتها على وسيلتين هما المال. والصحافة وقد استطاعت الدعاية الصهيونية أن تقنع الأمريكيين بأن فلسطين هى أرض اليهود وأن ما يحتاجون إليه هو مساعدتهم فى العودة إليها . وقال فورد أن اليهودى هو صاحب بدعة السوق المالية (البورصة) وبدعة حاملى السند (السند يدفع لحامله) وإلى بوالص الشحن المجردة من الأسماء والشركات المحدودة . إن اليهودى هو فى الواقع صاحب رؤوس الأموال الوحيد لكنه لا يشيد بذلك فى العادة وقد ساد نفوذ اليهود على سوق الأوراق المالية فى برلين وباريس وفرانكفورت وهمبرج وإن مصرف انكلترا قد أنشئ بإشارة ومعاونة يهود هولندا الفارين الذين أخفوا أموالهم تحت اسم (حامل السند) .

(٢) ويصور وليم جاي كار فى كتابه : « أحجار على رقعة الشطرنج » الدور الخطير الذى قام به اليهود فى تخريب العالم ، فيقول أن المخطط هو تدمير جميع حكومات وأديان العالم ويتم الوصول إلى هذا عن طريق تقسيم الجوبيم (غير اليهود) إلى معسكرات متنازعة تتصارع إلى الأبد حول عدد من المشاكل التى تتولد دونما توقف مشاكل اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية ويجرم تدبير حادث فى كل مرة يكون من شأنه أن تنقض هذه المعسكرات على بعضها فيحطمون الحكومات الوطنية والمؤسسات والقواعد الدينية . ولتحقيق الهدف أشار المؤلف إلى استعمال الرشوة والمال والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشعلون المراكز الحساسة على مختلف المستويات فى جميع الحكومات وفى مختلف مجالات النشاط الإنسانى ويعد السيطرة على الصحافة وأجهزة الإعلام هدف أساسى فى تنفيذ هذا المخطط بحيث ينتهى الأمر بهم إلى حملهم إلى الاعتقاد بأن تكوين حكومة أممية واحدة هو الطرق لحل مشاكل العالم المختلفة . وقد أثارت الصهيونية التلمودية الحروب الاستعمارية لإنهاك الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية وإنهم هم الذين نظموا الثورة الفرنسية عام ١٧٧٩ . ويشير إلى أن كارل ماركس كتب البيان الشيوعى تحت إشرافه جماعة من النورانيين.

التلموديين وفي نفس الوقت كان (كارل رينز) الأستاذ بجامعة فرانكفورت يكتب النظرية المعاكسة للشيوعية تحت إشراف جماعة أخرى من النورانيين أنفسهم بحيث يكون كما ظهر في المستقبل في مقدره رؤوس المؤامرة العالمية استخدام النظرية المتعاكستين في التفريق بين الأمم والشعوب بصورة ينقسم بها الجنس البشري إلى معسكرين متناحرين ويمهد هذا للمرحلة التالية وهي تسليح كل من المعسكرين حتى يدمر بعضهما البعض ويدمران كل ما ليهما من نظم سياسية وروحية . وقد أكمل العمل الذي وضعه (كارل ماركس ، وكارل رينز) فردريك نيتشه الذي عرف باسم فلسفة نيتشه وكان هذا المذهب الأساسي الذي تفرع عنه فيما بعد المبدأ الفاشيستي ثم المبدأ النازي وهذه المذاهب الثلاثة هي التي آذنت بإشعال نيران الحربين العالميتين الأولى والثانية . وكان مخطط التلمودية الصهيونية الذي يطلق عليه المؤلف اسم (النورانيين) يهدف إلى تنظيم ثلاث حركات عالمية . هي ١- الشيوعية المشتقة من مبادئ ماركس . ٢- النازية المشتقة من نظريات نيتشه . ٣- الصهيونية السياسية . وذلك للتمهيد والإعداد لإشعال ثلاثة حروب عالمية والإعداد لإشعال نيران ثورات كبرى فاعلم من الحرب العالمية الأولى هو الإطاحة بحكم القياصرة في روسيا وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية الاتحادية وتم التمهيد لهذه الحرب بواسطة الخلافات بين الامبراطوريتين البريطانية والألمانية هذه الخلافات التي ولدها عملاء الصهيونية في تلك الدول وجاء بعد الحرب الأولى « بناء الشيوعية » كمذهب واستخدمها لنسف ما يمكن نسفه من الحكومات والدول وتدمير المعتقدات الروحية للشعوب . أما الحرب العالمية الثانية فقد مهدت لها خلال الخلافات بين الفاشيين وبين الحركة الصهيونية حتى تتمكن أخيراً من إقامة دولة إسرائيل في فلسطين كما كان من الأهداف المرسومة ، أن يستمر بناء الشيوعية العالمية وتدعيمها حتى تصل إلى مرحلة تعادل فيها قوتها مجموع قوى العالم المسيحي الغربي ويقتضى المخطط عند ذلك إيقافها عند هذا الحد حتى يبدأ العمل في تنفيذ المرحلة التالية وهي التمهيد للكارثة الكونية الثالثة والنهائية . أما الحرب العالمية الثانية فقد رسم مخططها على أساس أن تنشب نتيجة النزاع الذي يشور بين الصهيونية السياسية والعالم الإسلامي ويقضى المخطط المرسوم أن تقاد هذه الحرب وتوجه بصورة يحطم فيها الوطن العربي ومن ورائه عالم الإسلام . ويقول المؤلف أن اليهود قد أراحوا تعاليم الدين الموسوي وأحلوا محلها عديداً من المبادئ الهدامة والنظريات المادية والإلحادية التي تستهدف الأديان والشرائع السماوية وكل ذلك إرضاءً للحقد القديم على الإنسان ، هذا

الحقد الذى توارثه المرابون وكهنوت الشر منذ أزمنة سحيقة وللجشع إلى السيطرة على كافة تخيرات الجنس البشرى وتجريد الجميع مما يملكونه ثم حرمانهم من حق التملك إلى الأبد وقد تطورت هذه النظريات حتى ولدت الشيوعية وأصبحت قاعدة الهيجان العالمية ، وسلاح محفل المرابين وقوى الشر الإلحادية لتحقيق مخططهم فى السيطرة على العالم وسكانه ويشير المؤلف إلى أن الثورة الانجليزية كانت من صنع التلمودية الصهيونية ، فقد تمكنوا من شراء (كرومويل) زعيم الثورة حتى استطاعوا بعد ذلك الإطاحة بالعرش البريطانى ثم بعد ذلك تم تصفية كرومويل وسيطر المرابون العالميون على بنك إنجلترا والاقتصاد الانجليزى نتيجة لما أثارته الثورة من اضطرابات . ويتحدث بعد ذلك عن الثورة الفرنسية وكيف تم تجنيد الدوق أورليان ابن عم الملك لويس السادس عشر حتى صوت إلى جانب اعدام عمه فى البرلمان الفرنسى ثم بعد ذلك أحاطوه بالفضائح إلى أن تمت تصفيته ووضع رأسه تحت المقصلة ثم تلاه بعد ذلك غيره من أحجار الشطرنج التى حركها المرابون العالميون فكان يتم تصفية كل واحد منهم عندما ينتهى الدور المرسوم له. أو عندما يشعرون أنه عرف أكثر مما يجب فسبق دانتون إلى المقصلة ثم لحقه روبسبير بعد أن أصابته رصاصة أعجزته عن فضح المؤامرة . ويتحدث المؤلف عن الدور الذى لعبته اليد الخفية فى توصيل نابليون بونابرت إلى القمة وكيف قامت تلك القوى بتمويل حملات نابليون لتدمير الدول المحيطة لفرنسا وكيف كانت تلك القوى أيضاً تقوم بتمويل جيوش الدول الأخرى فى سبيل الإبقاء على حالة عدم الاستقرار ضماناً لاستمرار العائدات الهائلة من الأموال التى تأتي من تجارة الحروب حتى كانت نهاية نابليون التى خطط لها المرابون والتى تحكى فى ظاهرها غير أسبابها الحقيقية . ويتحدث المؤلف عن التاريخ الخفى للتغلغل اليهودى فى أمريكا وكيف استطاعوا السيطرة على الاقتصاد الأمريكى بالسيطرة على بنك إنجلترا وكيف أن أرباب المال العالمين خططوا لاغتيال الرئيس الأمريكى بنيامين فرانكلين حينما فضح أهدافهم ثم أحكموا سيطرتهم على الاقتصاد الأمريكى إلى اليوم . يقول المؤلف أنه بعد الحرب العالمية الثانية أضحت الكرة الأرضية كركعة الشطرنج عليها قطع من أناس يتخيلون أنفسهم زعماء وقادة دول كبرى وكانت اليد الخفية تحرك ستالين وتشرشل وروزفلت حتى اشتعلت الحرب وانتهت وتحطمت النازية وأنشئت إسرائيل وبدأ السباق رهيب فلم تنته الحرب بحكم الصراعات الدائرة على الأرض بقدر ما فتحت مجالات أخرى للصراع تكمن فى نهايتها الحركة الأخيرة فى لعبة الشطرنج الدولية « أ.ه. فإذا

أضفنا إلى هذا تصريح الحاخام عمانويل رايتوفيتش عام ١٩٥٤ تكتمل الصورة حيث يقول « أن هدفنا هو : ١- إشعال نيران حرب عالمية ثالثة . ٢- تحريض الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي . ٣- اعتبار زعماء الدولتين مجرمي حرب . ٤- القضاء على الأجناس غير الإسرائيلية . ٥- قبل عشرات سوف نجعل البشر عبيداً لنا وسنوجه كل مخترعات الرجل الأبيض نحو فئاته .

(٢) وينطلق (شريب سبيرييه فيتش) في كتابه : (حكومة العالم الخفية) عن إقناع كامل بوجود هيئة يهودية لها صفة عالمية قدر عدد أفرادها في أوائل القرن العشرين ثلاثمائة رجل يهودي يرأسهم أحدهم نظامهم دكتاتوري استبدادي ويعملون وفق خطة قديمة مرسومة للسيطرة على العالم فهم أشبه بحكومة خفية تحكم الشعوب بواسطة عملائها ولا تتوانى عن قتل أو تحطيم كل من يحاول الخروج عن طاعتها أو يقف في سبيل تنفيذ مخططاتها ولها من القدرة والنفوذ ما يمكنها من إيصال أى خفير إلى الزعامة وقمة المسؤولية وتحطيم أى قائد حينما تشاء وترجع هذه المحاولة في نظر المؤلف إلى أن اليهود لم يستطيعوا أن يقيموا دولة رغم محاولاتهم المتكررة التي كان تعقب كل منها تشتت جديد وتشرذم في مختلف أنحاء العالم ، وفي بابل بعد أن أغار بختنصر على مملكة يهوذا عام ٥٨٧ قبل الميلاد وساق أهلها أسرى اخترع زعمائهم فكرة الوعد ورسخوا في أذهانهم خرافة (شعب الله المختار) . ويشير المؤلف إلى علاقة الماسونية بالصهيونية التي لا يختلف عليها وهو تسلسل الصهيونية إلى الماسونية واستغلالها . وهناك كثير من الناس من يجزم بأن الماسونية بجميع محافلها تدار عن طريق التسلسل من قيادة يهودية لا يدخلها غير اليهود . وتحاول الصهيونية الإدعاء بأن اليهودية أول دين محترم أنزله الله على هذه الأرض وإن ما عداه فهي أديان باطلة . وأن هذه الأديان أوجدت الفرقة بين الشعوب وإنهم بمجهوداتهم سيحطمون الأديان ويعيدون الناس إلى دينهم هم .

(٤) وقد استطاع أرنولد توينبي ومجموعة أخرى من المفكرين أن يستكشفوا أعماق المخططات التلمودية الصهيونية على نحو قدم هذه الحقائق : أولاً : إن فكرة الصهيونية والوطن القوي اليهودي فكرة لم يختلج بها قلب يهودى شرقى ، والعملية كلها من صنع أقلية صغيرة من نسل اليهود المرتدين الذين اعتنقوا اليهودية في المرحلة الأخيرة من تاريخها الطويل وإن الحركة الصهيونية تعتمد في زعمائها ودعاتها على اليهود السلافيين المنغوليين من أهل

بولندا ودول أوروبا الوسطى والشرقية . وإن هذه الحركة تنطوى على فكرة لا تمت بصلة إلى التراث التقليدى بل تعتبر من وجهة نظر اليهود المتدينين مناقضة لهذا التراث فكما أنها فكرة رجعية فى صميمها ومحوطة بالمخاطر السياسية . ثانياً : إن اليهود الذين أغروا بالهجرة إلى فلسطين هم مجموعة من أخلاط صعاليك روسيا والنمسا والمجر وألمانيا وأسبانيا أمدتهم الجاليات بالمال لتشييد بهم بناء دولة . ثالثاً : إن الحركة الصهيونية فى ذاتها لم تكن قادرة على اغتصاب فلسطين وإنما حدثت المأساة لأن الغرب أراد أن يعوض اليهود عن المظالم التى حاقت بهم على الغربيين ولكن هذا التعويض لم يكن على حساب الغرب وإنما كان على شعب برىء لا ينتمى إلى العالم الغربى ولا يمكن تحميله ما خلق باليهود من مظالم وتعتبر جرائم الصهيونية فى حق العرب أشنع من جرائم النازية ضد اليهود . رابعاً : إن المسألة اليهودية عبر التاريخ هى وليدة الصراع بين اليهودية والمسيحية الغربية ولم يكن للعرب والمسلمين شأن فى هذا الصراع فهم لم يسهموا فى خلق المسألة اليهودية أو تفاقمها بل على العكس أتاحوا لليهود فترات من الأمن والاستقرار ولولا احتماء اليهود بالراية الإسلامية التى كانت حامية لأهل الكتاب لما بقى اليهود حتى الآن لما كان ينالهم من اضطهاد المسيحيين لهم باعتقادهم الفاسد فى نبي الله عيسى وقد كانت المسيحية ولا تزال حتى الآن فى روسيا وألمانيا والنمسا وأسبانيا بتعضيد اليهود تكن لهم أشد البغض وتعمل على قطع دابرهم ولكن الاسلام ترك لهم حرية عاشوا فى ظلها آمنين قروناً طويلة . خامساً : إن إنشاء الدولة الصهيونية فى فلسطين لم ولن يؤدى إلى حل المشكلة اليهودية بل قد أدى إلى تفاقمها فى صورة انقسام خطير فى المجتمع اليهودى العالمى ذلك أن إمكانية القضاء على مقاومة عرب فلسطين أصحاب الحق الشرعى فى البلاد معدومة تماماً لأنهم ليسوا من القلة والتخلف كالهنود الحمر أو سكان استراليا الأصليين وإنما يتمتعون بوفرة عديدة وتراث ثقافى وإنماء للعالم العربى وكلها أمور تجعل إبادتهم مستحيلة .

(٥) يرى اليهود الذين يدعون أنهم غير صهيونيون فساد الفكرة الصهيونية ومن هؤلاء : الميربرجر الذى يقول : إن الصهيونية حركة سياسية تستخدم التاريخ لأغراضها الخاصة التى تسمى فى الوقت نفسه للدين اليهودى كدعوة روحية عامة وتحصرة فى دعوة سياسية قومية ضيقة فقيم الدين اليهودى مالا نجده فى الصهيونية التى تمارس سياسة عنصرية ضد العرب مثلاً وهذه مخالفة مباشرة لتلك القيم وبالتالي فإن إقامة دولة إسرائيل بشكلها الصهيونى مخالف لصورة أرض الميعاد كما تحدثت عنها التوراة . ويرى الحاخام الميربرجر أنه ليس لإسرائيل

أى حق أخلاقى أو تاريخى بالوجود فى فلسطين ، ويرى خطأ محاولات الصهيونية فى بسط سلطانها على اليهود فى سائر أنحاء العالم ويدين محاولة المنظمة الصهيونية العالمية باستخدام اليهود الأمريكيين كآداة فى يد السياسة الخارجية الإسرائيلية . أما ألفريد لينتال فى كتابه : (إسرائيل ذلك الدولار الزائف) فيقول إن الكثير من المسيحيين الغربيين اندفع إلى تأييد الصهيونية وإسرائيل كوسيلة من وسائل مقاومة خلق وحدة عربية إسلامية وإن بعض المسيحيين تقبل « الإدعاء » بأن التوراة تطالب بعودة يهود اليوم الموجودين فى منفاهم إلى فلسطين وإن الصهيونية أصبحت قادرة على استغلال المسيحي العادى فى أمريكا والمنظمات المسيحية لأهدافها وخاصة بعد تزايد التزاوج المختلط بين المسيحيين واليهود ، فإن اليهودى عندما يتزوج مسيحية فإنه يدعم قضية إسرائيل بقوة بينما الشريك المسيحي للزواج لا يستطيع إلا أن يبدى تسامحاً كاملاً مع رفيقه

(٢) بصمات التلمودية على النظام الغربى

كشف كثير من الباحثين عن بصمات التلمودية فى النظام الغربى : هذا الأثر الممتد منذ أكثر من مائة سنة فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع . حيث استطاعت التلمودية إملاء أوضاع ومذاهب عن طريق الماسونية أولاً (علاقاتها وطقوسها وهياكلها) وآخرها فى الشيوعية ومبادئها وغاياتها ، وفى التجارة والاقتصاد والمال ، هم مخترعو البنك والكمبيالة والأسهم ونظام الفواتير . وهم مصمموا الأزياء وزينة النساء ، وهم الذين أعلنوا نظام المنفعة ، سواء وافق الفضيلة أم خالفها والحق عندهم هو الذى يمشى مع القانون ولا تعاقب المحاكم عليه : هذه المبادئ وضعها اليهود وشاع العمل بها فى الغرب وإن جميع أنظمة الغرب التى كان لليهود أصبع فى وضعها أو تغذيتها أو فى تفسيرها ونشرها قد وضعت أما لمصلحة أصحاب رؤوس الأموال أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير أو للترويج لنزعة من النزعات التى يرتاح إليها فريق ويسخط لها فريق . ويقول الدكتور سيسيل روث فى كتابه (تاريخ اليهود) : إن اليهودى انتهى بفعل الزمن إلى التخصص فى الاتجار بالمال والربا ، ذلك لأن اليهودى كان محروماً طوال القرون الوسطى من مزاوله أى مهنة أو حرفة أخرى . ويقول بازنب لينفيون مؤلف كتاب (شعب غريب) : أن اليهود يرفضون سيطرة الدين على الدولة أو الكنيسة على الدول لأن هذا معناه أن تصبح الديانة المسيحية مفروضة على أولادهم لذلك كانوا أول من

نادى بفصل الكنيسة عن الدولة في أمريكا وأنهم قد اتجهوا في أمريكا إلى السيطرة على الأعلام بإنشاء الصحف (نيويورك ورلد ، نيويورك تيمس ، واشنطن بوست) ومنهم أكبر عدد من المحامين وأكبر رؤساء المحكمة العليا من اليهود حتى اليوم وقد أفلست بعض الجاليات الأوروبية أمام الشبكة اليهودية المحكمة ، وقد زحفوا على المدارس والجامعات واحتكروا صناعة السينما والتلفزيون وهم لا يتركون هيئة إلا إندسوا فيها ، ثم يحاولون بعد أن يوجهوا كل شيء فيها إلى ناحية حاجة تنفهم ، وهم الذين مزقوا ملابس السيدات تحت شعارات مختلفة : الوجودية ، والأباحية ، الحرية العارية . وهم الذين يصدرون كل الصحف والمجلات العارية وهم الذين يسيطرون على تجارة الدعارة ويملكون ويديرون أعظم الكابريهات وهم الذين يسيطرون على تجارة النساء في أمريكا وأوروبا وهم الذين ابتدعوا ظاهرة الخفافس في أوروبا وأمريكا ، وهم الذين اخترعوا ظاهرة الهيبز ، والطبيب الذى أعاد تركيب حقن الهلوسة أستاذ جامعى يهودى هو الذى أقام مستعمرات للعرى ومحطات لتدخين الحشيش وقد اتجه اليهود بعد الحرب العالمية الثانية إلى كتابة تاريخ المسيحية وتأكيد أن الدين ليس التفسير الحر المستقل هو الذى جعل المسافة بين اليهود والمسيحية عميقة وأن هذا التعصب الدينى هو الذى جعل اليهود مسئولين عن محاولة صلب المسيح ، ولذلك جات كتب ومسرحيات وأفلام ما بعد الحرب تحول بكل قوة أن تغير هذا المعنى واتجه اليهود أيضاً إلى الفاتيكان يحاولون أن يجدوا وسيلة للعفو عن اليهود وتبرئتهم وذهب المليونير جاكوب بلادستاين لمقابلة البابا عام ١٩٤٩ وبحث مشروع العفو عن اليهود وتجددت المحاولات حتى انتهت بقرار المجمع المسكونى بالعفو عن اليهود ويقول أحد الباحثين الغربيين : إن الفصل بين الدولة والدين في الدول الغربية ساعد على إنصهار اليهود في هذه المجتمعات . لقد حلت المشكلة اليهودية في دول غرب أوروبا بتحرر الدولة عن الدين ، ولكن مع تحرر اليهود من الاضطهاد كانت اليهودية تسيطر على المجتمع بأسره وأصبحنا نواجه مشكلة تحرير المجتمع من اليهودية وأوضح ماركس أنه يستحيل تحرير المجتمع من اليهودية إلا بالقضاء على البرجوازية تلك الطبقة التى ارتبطت سيطرتها على المجتمع بسيطرة اليهودية عليه .

(٢) ويقول جاك دوماك ومارى لورا في كتابهما : (التحدى الصهيونى) إن النفسية اليهودية قوامها الحقد والقسوة على الجنس البشرى وقد اكتسب اليهود هذه النفسية من تعاليم اليهودية كما وردت في التوراة المحرفة فإن نصوص التوراة تفيض وحشية وعنصرية

ومنها استقى اليهود تركيبيهم النفسى وقد استغلت الصهيونية هذه النصوص وغذت عقول اليهود بها وهم قتلة الرب وجلادى المسيح .

(٣) ويكشف الباحثون عن محاولات الصهيونية التلمودية فى احتواء الفكر الغربى المسيحى ويمثلون لذلك بكتاب (فى قلعة ذى اللحية الزرقاء) وهو مذكرات فى إعادة تعريف الثقافة : بقلم جورج شتاينير وهو كتاب صريح تتضح فيه محاولة الصهيونية فى احتواء الحضارة الغربية وتحويل مجراها فى الاتجاه الذى تبغيه دون استخفاء أو استحياء وقد حاول المؤلف إسناد دور حضارى مختلق لليهود لجعل منهم حملة ألوية المدينة عبر التاريخ ، ويضخم شتاينير من أحداث اليهود فى معسكرات الاعتقال وقيمتها بحيث يراها تصبح محورا للفكر العالمى والمنطلق الذى يبدأ منه التمهيد لمستقبل البشرية ويدعو إلى محو الماضى البشرى الحقيقى من الذاكرة كى يهىء التربة إلى غرس صهيونى جديد ويحاول أن ينفخ فى حادثة تعذيب النازية لليهود وهى حادثة محدودة ثبت أن حجمها لا يساوى هذا التهويل الخطير الذى حاول به اليهود اتخاذها تكة للهجرة إلى فلسطين وإلى ابتزاز أموال الألمان .

(٤) وهكذا نجد أن الفكر الغربى قد تنبه إلى مخططات الصهيونية وأكاذيبها وخداعها وأن الفكر الإسلامى لا يقل كشفاً ودخساً لهذه المسلمات المسمومة التى حاولت لتلمودية فرضها وترديدتها خلال أكثر من قرن من الزمان . ولا ريب أن مؤامرة اليهودية العالمية هى أخطر مؤامرة على البشرية فى العصر الحديث وليست إلا واجهة من واجهات هذه المؤامرة قد سيطرت الصهيونية على الأعلام العالمى واستطاعت أن توجه أخبار العالم كله الوجهة التى تتفق مع أغراضهم وسيطرت التلمودية الصهيونية على الجامعات التى تصوغ العقول وتكتب التاريخ وقد تمكنت من فرض سيطرة كاملة على المناهج والدراسات بحيث نجد أن الأغلبية الساحقة من أعضاء هيئات التدريس من اليهود والمؤامرة تستهدف إحتواء العالم فالعالم فى نظرهم أحقر من أن ينتمى إلى اليهود ، فاليهودية التلمودية تحتقر العالم كله ، وقد وضعت الصهيونية خططها على أساس الاستيلاء على ثلاث : ١ - المصرف ٢ - الجامعة .

٣ - الصحيفة بالسيطرة على المال وعلى التعليم وعلى الفكر والأعلام وظنوا أن ذلك سيجعل العالم يفكر على الوجهة التى يرسمونها له . ومع ذلك فقد أخذت اليقظة تعم العالم كله ، والفكر الإسلامى الآن يقود حركة اليقظة ويكشف زيف هذه المخططات . وأن أكبر الحقائق

التي يجب أن يتمسك بها الفكر الإسلامي اليوم هي أن الدفاع عن القدس هو من شأن المسلمين جميعاً وأنها ليست قضية عربية فحسب وإنما قضية إسلامية تخص جميع المسلمين في العالم حيث تبلغ الحكومات الإسلامية اليوم ٣٢ حكومة وعليه أن ينبه إلى محاذير السطحية أو الخطأ في فهم أهداف الصهيونية التلمودية التي تعلن الحرب على الإسلام كدين وفكر وثقافة وتراث ومنهج حياة وأنها تعمل على تسميم الآبار وإثارة الشبهات لتدمر هذه القوة التي استعصت على الغارات والغزاة ولا ريب أن حرب الصهيونية التلمودية إنما تستهدف العقيدة والفكر والثقافة أساساً. ولا ريب أن الإضافة التي قدمها (وليم جاي كار) في هذا المجال هي من الوثائق ذات الأهمية الخطيرة في كشف مخططات الصهيونية وأهدافها البعيدة المدى في تنبيه المسلمين أولاً والبشرية كلها إلى ذلك والخطر والطريق الذي يسلكه إلى غاياته المسمومة وفي هذه الدراسات ما يصم كتاب الشيوعية بالخزي البالغ لدفاعهم عن اليهود والصهيونية ومحاولة تبرئتهم من البروتوكولات. وفي كتاب (الدنيا لعبة إسرائيل) مزيد من التحليل الذي قدمه الكاتب في كتابه: (أحجار على رقعة الشطرنج) وأهمها الحقائق الآتية. أولاً: كشف عن أن الشيوعية ومحتوياتها ليست إلا جزءاً من مؤامرة دولية كبرى دعاها التلموديون وهدفها القضاء على الأديان والمثل العليا. ثانياً: ما من ثورة فاسدة قامت إلا كان وراءها اليهود ولا حرب قلدة إلا هم مشعلوا نزرها وما كل مواخير والأوكار وادوات الانحلال السائدة في أكثر بقاع العالم إلا وطم ضلع رئيسي فيه بل هم كل شيء فيه. ثالثاً: إن العبقرية الجهنمية اليهودية تتجلى في مجموع ترتيبات المخطط الذي اعتمد ثلاثة تنظيمات ظاهرة التناقض يرتدى كل منها قطاعاً مختلفاً عن الآخر مغايراً بصورة أساسية للقناعتين الآخرين، بيد أنها تدور جميعها في فلك واحد هو الفلك الإلحادي وتنصب غاياتها البعيدة العميقة إلى هدف واحد هو تحقيق مؤامرة الشر الأبدي والوصول إلى إخضاع العالم بأسره لدكتاتورية شاملة مطلقة لإخلاص منها هي دكتاتورية محفل صهيون أما التنظيمان الآخران بعد الشيوعية فهما النازية والصهيونية. رابعاً: مكنت الحرب الثانية الشيوعية من التهام نصف العالم ووصولها إلى درجة من القوة تعادل فيها مجموع قوى العالم العربي. ويتناول أرنولد توينبي في كتابه: (مشكلة اليهودية العالمية) هذا المخطط الرهيب فيأخذ عليهم فساد سرد تاريخهم الذي يكتبونه من وجهة نظرهم البحتة وحدها وسيطرة فكرة شعب الله المخار على أذهان اليهود طوال السنين والأحقاب وأمام هذا يجب إعادة بحث التاريخ اليهودي على ضوء التمهيج العلمي المدعم بما تسفر عنه

الكشوف الأثرية من وقائع وبيانات ، ذلك أن اليهود حين استهوتهم الفكرة المسمومة فكرة : إنهم شعب الله المختار وقعوا في خطأ ممت وانهرف بهم احتضانهم لهذه الحقيقة إلى العقم الفكرى وأن اليهود قد أوهموا مئات الملايين من البشر - بما فيهم الكنيسة المسيحية - (وباستثناء المسلمين) أوهمهم على مدى العصور والأحقاب بأن تاريخهم مقدس . وقال المؤلف: المسيحية والإسلام هما أهم حدثين فى التاريخ ولولا ظهورهما لعاشت اليهودية فى ظل وثنية هليزية مثلما يعيش اليوم بقية الباريسيين من أتباع زاردشت فى الهند وعلى الرغم من عداء اليهودية للإسلام والمسيحية فقد أضفى ظهورهما عليها أهمية واعتباراً ولولاهما ما كانت لتحظى به بل لقيض للجماعة اليهودية أن تعيش فى ظل حجب الغموض والإبهام لا يبالى بها أحد . والواقع أن اليهودية تعتبر حقاً بقية حضارة بائدة يعتبرها الباحثون المدققون الآن مجرد جماعة متحجرة . إن الصدمات العنيفة التى أصابت النفسىة اليهودية تعتبر السبب الرئيسى فى تحول العقيدة اليهودية القديمة إلى ما أصبحت عليه بعد ذلك من تحجر وكراهية العالم لليهود بالنال . وفى طليعة تلك الصدمات ما كابدته اليهودية على أيدى نبوخذ نصر ، وانطبوخس ثم الرومان أثناء حروبهم مع اليهود خلال أعوام ٦٦ ، ٧٠ ، ١٣٥ ولهذه الحروب تأثير على تاريخ اليهودية أقوى من تأثير ظهور المسيحية وفى أثناء هذه الفترة أتم اليهود صياغة شريعة التوراة المكتوبة وتفننوا فى التعليق عليها بتعاليم كتاب (التلمود) وقال المؤلف أن اليهود بعد أن دمر نبوخذ نصر مملكتهم أخذوا يعقدون الآمال على إقامة دولة يهودية جديدة لهم ، ومن خلال سرد تاريخى سريع ابتداء بالقرن الخامس من قبل الميلاد أثبت المؤلف أن اليهود ظلوا لمدة ستائة سنة يسعون لإقامة دولة بفلسطين باستخدام القوة المجردة فكان الإخفاق حليفهم وقد أورثهم هذا الأسلوب الدمار والتشتت وقد واجه اليهود على مدار ١٤٠٠ سنة ممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادى أحداثاً ضخمة وكابدوا تعبيرات بعيدة المدى بيد أنه مهما يكن من أمر جسامة تلك التغييرات فقد سيطرت على العقلية اليهودية فكرة عن طبيعة إلههم لم تتبدل حتى الآن وهم يصورون إلههم فى صورة إنسان ويتطلب هذا الكائن الإنسانى (الإله) من أتباعه طاعة عمياء وولاءاً كاملاً وقال أرنولد توينبى : إن حرص اليهود على شيوعيتهم دعاهم إلى أن ابتكر أحبارهم فكرة الشعب المختار بعد أن بثوا فى أبناء قومهم الإيمان بأنهم شعب مختار وانطلاقاً من مفهوم هذه الفكرة صارت اليهودية منذ ظهورها حتى الآن عبادة قبلية جماعية متفردة شاذة ، وهى أفبح الأمثلة

لعبادة الذات الفانية وإن هذه الديانة تنكرت للمسيح وللإسلام كديانتين وهذا التنكر يعنى شيئاً واحداً هو تنكر اليهود لأصلهم . وقال : إن عداء اليهودية للمسيحية مصدره أن اليهود يعتقدون بأن الغفران يمنحه الرب لليهود وحدهم ، أما كره اليهود للإسلام فنابع من كون الإسلام سلبهم احتكار مبدأ الروحانية ولأنه دين عالمي من حق البشر جميعاً أن يعتنقوه وقد دفع نمو الروح القومية الحديثة في أوروبا اليهود الغربيين إلى اختراع قومية تقتصر عليهم وحدهم هي الصهيونية ومن أولى أهدافها تركيز اليهود المشتتين أو جانب منهم في دولة قومية خاصة بهم ولا تضم إلا سكاناً متجانسين من اليهود : (إسرائيل) وقد أقام معتنقوا هذه القومية الحجة على أنفسهم بأن الدرس الذي تعلموه من النازية قد جعلهم ينتقمون ظلماً وعدواناً من عرب فلسطين باضطهادهم لأنهم شعب أضعف منهم فراحوا يستصفون غالبيتهم التي جاوزت المليون ونصف بطردهم من الأرض التي شغلوها وزرعوها أجيالهم وأباؤهم من قبل ومن ثم أصبح هؤلاء العرب في حالة العدم وغدوا قوماً لاجئين وهذا الاضطهاد الصهيوني ضد العرب أثبت أن الخصائص اليهودية هي حصيلة الملابس التي صاحبت تشتت اليهود في أنحاء العالم الغربي (أوروبا) ليس إلا وأن الصهيونية بنبذها تقاليد (التشتت) اليهودي جملته لتقيم أمة جديدة على ظهر الأرض على غرار ما فعله الرواد البروتستانت المحدثون من المسيحيين الغربيين الذين أقاموا الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد جنوب إفريقيا وأستراليا وتيورييلنده وقال أن القومية اليهودية الجديدة (الصهيونية) قد نشأت لجميع تشتت اليهود وإلغاء منازلهم (الجيتوات) وجمعتها مع بعضها وذلك من أجل تكوين دولة (إسرائيل) تحفظ لليهود ذاتيتهم المميزة بطريقة جديدة مدارها أن يكون لكل صهيوني جنسيتان : إسرائيلية لتبعيته الروحية وجنسية البلد الذي يقيم فيه وترمز إلى مصلحته المادية من دولة أقطاب اليهود أن تتولى إسرائيل القبض على ناصية المال والتجارة في الشرق العربي فيحقق لهم السيطرة على العالم وذلك انطلاقاً لتحقيق فكرة الشعب المختار لتصبح حقيقة واقعة . وفي سبيل ذلك تتحالف اليوم الصهيونية مع الاستعمار العالمي ومع الإمبريالية الخاضعة لنفوذ يهود نيويورك وكان وعد بلفور المشؤم ثمرة هذا التحالف الذي تكاتف على تحقيقه عملية قوى الاستعمار البريطاني والامبريالية الأمريكية والرجعية « ا.هـ .

(٣) بين الصهيونية والمسيحية

حاولت الصهيونية منذ وقت بعيد تذليل المسيحية لأهدافها وذلك بالربط بين العهد القديم

والعهد الجديد واحتواء البروتستانتية وإخضاعها لمفاهيمها وقد حملت الصهيونية التلمودية على المسيحية وحاولت التشكيك فيها بهدف إحتوائها والسيطرة عليها من ناحية أخرى . ولقد كان هدف الصهيونية التحرر من القوانين التي فرضتها المسيحية على المجتمع اليهودي داخل المجتمع المسيحى وكانت الثورة الفرنسية والثورات الأوروبية المختلفة عاملا على إحلال القومية والوطنية محل الدين وبذلك انهارت هذه القيود وتمكن اليهود فى المجتمع الغربى كله من الانطلاق والعمل فى مختلف المجالات واستطاعوا السيطرة على الأحزاب السياسية وتوجيهها الوجهة التى تمكنهم من قيادة الأمم والدولة . وقد تمكنت الصهيونية من السيطرة على التعليم والصحافة والثقافة وأجهزة الأعلام الغربية على النحو الذى مكنهم من أن يفرضوا على العقل الغربى مفاهيمهم سواء بشأن السيطرة على فلسطين أو بشأن تدمير مقومات الإنسان الأخلاقية والدينية عن طريق الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية التى طرحوها وأعلوها وأعطوها من المذاهب المختلفة دفعة القوة والتمكين كما فعلوا بمذهب ماركس ومذهب فرويد ومذهب دوركايم ولا ريب أن أخطر ما حققته الصهيونية هى إقصاء الدين عن مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد وإحلال الخبرة والمنفعة والأهلية كأساس لجميع المعاملات والتنظيمات . ومن هنا جاء قبول اليهود على أساس كفاءتهم الشخصية وإقامة النظم السياسية على أساس الوطن لا على أساس الدين ولا ريب أن استطاعة التلمودية الصهيونية بتحقيق هذا الهدف لمن أكبر الأعمال التى حققها اليهود فى المجتمعات المسيحية بعد أن اضطهد المسيحيون اليهود أشد الاضطهاد عصوراً طويلة ولم يعترفوا بأن لهم حقوقاً مدنية ، وكانوا قد أقصوهم عن جميع العلاقات الاجتماعية وفرضوا عليهم الإقامة الجبرية فى الجيتو . كذلك فقد استطاع اليهود التلموديون أن يحرروا أنفسهم من قيد آخر وهو قيد اتهامهم بأنهم حرضوا على قتل السيد المسيح وقد استطاعوا أن يصلوا فى هذا الأمر إلى نتائج هامة وخاصة ما وصل إليه المجتمع المسكونى الثالث الذى انعقد عام ١٩٦٤ والذى أصدر وثيقة تبرئ اليهود من تهمة (قتل الرب !) وشجب أى مظهر عداوى لليهود وقد اعتبرت الأوساط اليهودية والصهيونية وثيقة عام ١٩٦٤ كسباً سياسياً من الدرجة الأولى وسلاحاً عملياً لمحاربة النزعات اللاسامية فى الأوساط المسيحية بينما أنكر اليهود المحافظون المذنبون صلاحية الكنيسة الكاثوليكية فى تبرئة اليهود بل لقد بلغ الأمر إلى أبعد من هذا حين صرح القاصد الرسول (الاب مركولى) من قبل البابا حين قال : لقد حدثت تغيرات شتى فى الوقت الأخير فى العلاقات بين اليهود والحكومة

الإنجليزية وكان من شأن هذه التغيرات أن بعثت اهتمام الدول عامة بمسألة الشعب اليهودي من جديد وبالتالي بدأ الفاتيكان يهتم بالمسألة والبابا ينظر الآن بعين الرضا والإرتياح إلى مشروعات الصهيونية في فلسطين وهو يراها مصدر بركات للسلام العالمي. ويعتقد البابا بيوس التاسع أنه يحق للصهيونيين أن يحملوا كافة الكنائس الدينية على الاهتمام بأمانهم على إني أؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية وهي أكبر كنيسة في العالم تؤيد الصهيونية وأمانها». وتقول المصادر التاريخية أن التقارب بدأ بعقد مؤتمر عام ١٩٤٧ للمسيحية واليهودية وكان قد دعا إليه فيلسوف يهودي فرنسي هو جول اسحق صاحب كتاب (عيسى وإسرائيل) محاولا تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح، كما ألف كتاباً عام ١٩٥٦ عن نشوء العداء للساميين وله كتاب (تعاليم الازدراء) حاول به إصلاح التعاليم المسيحية التي كانت تعتمد في نظره على أغلاط تاريخية وعلى جهل بالتوراة والإنجيل ومن مظاهر التنافر الإدعاء بأن عيسى لم يكن من أصل يهودي بل خليلي ومن ذلك التنافر اضطرهاد المسيحيين لليهود في مختلف حقبة التاريخ وقد حذف من أدعية الجمعية المقدسة أدعية تصف اليهود بالمكر والخداع. وقال الأسقف الألماني (بيا) إن الوقت حان للكنيسة أن تصرح أن مسؤولية قتل المسيح وتعذيبه ليست على عاتق الإسرائيليين وحدهم بل على عاتق سائر الشعوب. والمعروف أن الإسلام يكذب إدعاء قتل المسيح ويرى أن هذه محاولة لم تتم فقد رفعه الله إليه وأنه لم يقتل يقيناً. ولقد كان من محاولات التقارب الواضحة زيارة بابا روما لإسرائيل.

(٢) في نطاق البحث عن العلاقة بين الصهيونية والمسيحية لابد من التعرض لظاهرة (اللاسامية) التي ابتكرها التلموديون الصهيونيون ليحاربوا بها كل من يعارضهم. واللاسامية في أوروبا معناها كره اليهود وظهور شعور العداء ضد اليهود مرده إلى سيطرتهم على الاقتصاد، لاقتصاد وقيامهم بدور المرابي الجشع وقد ابتكرت الصهيونية كلمة السامية حتى تجعل الأرييون يشعرون بأنهم يعادون جنساً آخر، ويرى المؤرخون أن اللاسامية هي التي ولدت الصهيونية السياسية المستحدثة ويقول المؤرخون: أنه في الربع الأخير من القرن التاسع عشر نشأت حركة موجهة ضد اليهود عرفت باسم (ضد السامية) تقوم في ميدانها على أساس كره اليهود الذي يرجع إلى القرون الخالية ولكن زعماء هذه الحركة ألبسوها ثوباً عصرياً وزحوا

أنهم يقصدون بها منع الأجناس السامية من التغلب على الأوربية وإيقاف تدفق سيل الساميين من آسيا على أوروبا ونادوا بأن غايتها هى إنقاذ المدنية الأوربية من غارة الجاهلية الآسيوية ولا ريب أن اللاسامية هى ثمرة ذلك الصراع الطويل بين المسيحية واليهودية الذى طالما سالت من أجله الدماء وأزهقت الأرواح فى القرون الوسطى ، وأنه ثمرة تراث ضخم من قرارات الكنيسة وقوانين الحكومات الغربية التى كانت تعمل على محاصرة هذا الخطر المتنامى الذى أفسد المجتمعات وسيطر بالربا على مقدرات الشعوب مما أحفظ كثيراً من كتابها وزعمائها الذين سجلوا ذلك فى صفحات من نار . لقد عاش اليهود آلاف السنين فى أوروبا ومع ذلك فما برح سواد الأربيون ينظرون إليهم على أنهم أجانب ودخلاء . والسبب أن اليهود حافظوا على طبيعتهم ورفضوا الانصهار فى المجتمعات منحصرين فى الجيتو الذى ما لبث أن أصبح مركزاً للاستلاب المالى ولسيطرة الاقتصادية . وقد استطاع اليهود كسر هذه القيود جميعاً والسيطرة على كل شئ ، ومع ذلك فهم يشتهرون هذا السلاح فى وجه كل من يعلن عن فسادهم أو مطامعهم والتلمودية اليهودية فى سبيل خداع الجماعة الغربية المسيحية ابتكروا نظام البنوك ليتخلصوا من نموذج المرابى الذى كان يقتل دائماً إذا ذهب مطالباً بقرضه ، وهكذا نجد أن الصراع بين المسيحية واليهودية ما زال قائماً وقد كشف فى السنوات الأخيرة عن يقظة ووعى من جانب العرب المسيحي بالرغم من كل محاولات الخداع والتضليل التى يقوم بها اليهود فى سبيل السيطرة الصهيونية على الاعلام ولم يتوقف الأمر عند قرار تبرئة اليهود ، بل لقد أمتد لأن تعلن الكاثوليكية سماحها بالانتساب إلى محافلها الماسونية وذلك كخطوة متقدمة لفتح كل الأبواب أمام الحركة الصهيونية لتأخذ مسارها المخطط لها فى بروتوكولات صهيون ولقد عاشت الكنيسة سنوات طويلة وهى تؤكد الحظر على عدم قبول المشتركين فى المحافل الماسونية تحت راية المسيح وتعددت قرارات الحرمان لهم على توالى العصور . واليوم ينكسر هذا القيد وتسمح الكنيسة بالانتساب إلى الماسونية التى قامت فى الأساس لمعارضتها بل وللتآمر عليها .

(٤) بين الصهيونية والشيوعية

تقول أضح الأقوال : أن الصهيونية مؤاة شيومرعية والشيوعية مؤامرة يهودية ولا ريب أن «ماركس» أراد حين قدم نظرية التمرير والخداع بأنه لا صلة له بالصهيونية أو اليهودية جملة ولا ريب أن الشيوعية تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم وأن تعاليم

كارل ماركس وفردريك انجليز ولينين وستالين لا تختلف في كثير أو قليل عن تعليقات بروتوكولات حكماء صهيون بل أن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التي صيغت بها كل الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة ولعل من أعجب ضروب التشابه في الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيين الأوائل جميعاً منحدرين من أصل يهودي والتشابه في أنهما حركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله بتآكل مع التشابه في وسائلهما وغايتهما ومفاهيمهما وأخلاقياتهما والتشابه بينهما في ميدان التطبيق العملي ولعل أكبر مثل لتعانق الصهيونية والشيوعية أن بروتوكولات صيون يطلق عليها الإنجيل البلشفي وأن الثورة البلشفية كان يطلق عليها الثورة اليهودية وقد جاء في كتاب المؤامرة اليهودية : أن المحفل الأمريكي الماسوني الذي يدير الماسونية الكونية وكل أعضائه من زعماء اليهود قد عقدوا مؤتمراً قرر فيه خمسة من اليهود خراب روسيا القيصرية بانفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودي لإثارة الثورة في روسيا . ومنذ وقت بعيد كشفت حركة القطة الإسلامية هذا المخطط ونقلت إحدى صفحاتها عن مجلة فرنسية موضوعاً تحت عنوان الشيوعية دسيسة صُيونية لخراب العالم جاء منها : أن مديري دفعة أعمال الأمة اليهودية هم الذين أثاروا الحرب الكبرى ودبروها بالدسائس بغية جمع المليارات وتقسيم الممالك ثم محق مآلتها وقتل النبوغ في غيرهم وتعبيد السبيل أمام الشعب المختار كما يصف اليهود أنفسهم للاستيلاء على الكون كله . وهؤلاء الزعماء اليهود هم الذين دبروا للبلشفية بالدسائس وعهدوا لها ببذل المال وأثاروها من الشعب الروسي واستكمالاً لأعمال الحرب الجهنمية وأفناء للعناصر البشرية وتحطيم المبادئ الاقتصادية . ومما يذكر أن لينين زعيم الشيوعية الروسية والمخطط الثاني للماركسية ومنفذها في روسيا كان واحداً من مخططي الصهيونية ومن واضعي بروتوكولات حكماء صهيون وقد حضر مؤتمر الحكماء في سويسرا ، وأن الثورة الدولية كانت من طبقة اليهود وأن أول رئيس في دولة روسيا هو اليهودي كليمنيف وتلاوه الإرهابي دي سفروloff وأن الذين يحكمون روسيا الآن ليسوا من الروس ولكن حفنة من اليهود الارهابيين العالميين . ويرد المؤرخون والباحثون حذور الصلة بين اليهودية وروسيا إلى وقت مبكر ، بل إلى تشكيل الامبراطورية نفسها حيث كان اليهود جزء منها يعد سقوط دولة الخزر ، ولقد كان موقف اليهود حاسماً أعلن القيصر اسكندر الثاني عطفه الخاص على اليهود ومنحهم قدراً وافراً من الامتيازات التي تمكنهم من الاندماج في المجتمع الروسي . فقد أحسوا أن هذا الولاء سرف ينقص من ولائهم للصهيونية وأنه سيعرضهم

للذوبان في المجتمع الروسى ، وكان من نتيجة ذلك اغتيال القيصر عام ١٨٨١ ، وكان اغتيال اليهود للقيصر مقدمة للعمل على اسقاط الحكومة الروسية وسيطرة الصهيونية على روسيا وتحويلها إلى الشيوعية . وكانوا قبل ذلك قد عملوا إلى تخريب الاقتصاد الروسى ثم بدأت خطة العمل الصهيونى في تدمير المجتمع الروسى كله . وقامت أموال المرابين اليهود بالدور الكبير في هذا المجال يقول عبد السلام العمرى : أن حقيقة الماركسية لا يحب فصلها عن كونها فكرة يهودية تصدر من وراءها كارل مورداخى ماركس واليهودية العالمية للسيطرة على العالم عن عقيدة فكرية هدامة تحارب الدين والأخلاق والقيم تحت راية العلم والموضوعية والحنمية التاريخية . وأن اليهود كانوا مدركين أن (الردة) عن الدين كانت لقرون طويلة ردة قصيرة لا يلبث المرتدون فيها أن يعودوا إلى اعتناق ما كانوا يدينون به عن قبل بعد إشباع نزواتهم ورغباتهم لكان لابد من نظريات وأفكار ومبادئ تربط عقول الناس وتفرقهم في ردتهم مبتعدين عن الدين بحجة أن العلم هو الذى قرر ذلك بصورة لا رجوع عنها والتخطيط اليهودى يرسم أهدافه عن طريق مفكرين ورجال بارزين حملوا دعوى الأفكار والنظريات العلمية ليحققوا أهداف اليهود ، وهكذا كان ماركس وفرويد ودوركايم وسارتر جنوداً بارزين في هذا الميدان ، أن ارتباط التخطيط اليهودى بالماركسية أذن هو الذى يعطينا الجواب النهائى لماهية السبب الذى قاد تصور ماركسى لدعوى افتراض بدء الشيوعية في أوروبا الغربية وبريطانيا كما يقدم لنا الدليل الكافى للاعتقاد يتحول التخطيط اليهودى ناحية روسيا لتطبيق ما رسموه لها وللعالم من خطة تدميرية . وحقائق التاريخ تثبت أن اليهود سيطروا على بريطانيا لفترة زمنية طويلة . عاد اليهود إلى بريطانيا باعتبارهم أصحاب المال والنساء في حركة كرومويل الذى ظهر عام ١٩٤٧ وقاد ثورة ضد الملك شارل الأول وخلعه عن العرش وأعلن قيام الحكم الجمهورى ، وقد أصدر عام ١٩٥٧ أمراً بعودة جميع اليهود المطرودين إلى بريطانيا ومنحهم جميع الحقوق المدنية . كما انتقم كرومويل لليهود من الأسرة المالكة بصورة رهيبية وأصدر كرومويل قانوناً منع بموجبه العمل يوم السبت وأرغم المسيحيين على قراءة التوراة طيلة أيام الأحد وألغى الطقوس الدينية المسيحية ودام حكمه حتى ١٦٦٠ م . أن رجعة اليهود إلى الجزر البريطانية وسيطرتهم المحكمة من جديد على مختلف الحقوق الاقتصادية الدينية والسياسية يتساوى تماماً مع ظهور الأفكار الماركسية اليهودية التى كانت بصورة بديهيّة تشير إلى توقع أن يكون المطبق الأول للشيوعية إنما هى دولة بريطانيا بالذات قبل غيرها ،

إذن ليست هي وسائل الانتاج المتغيرة ولا أساليب الإنتاج المتبدلة هي التي حتمت ضرورة قيام الشيوعية في بريطانيا وإنما هي السيطرة اليهودية المحكمة على بلاد الانجليز هي التي دفعت ماركس لما أشار إليه في كتاباته في هذا الشأن . ومع ذلك يتبادر سؤال هام في هذا المجال : ما هو الدافع إذن لتغيير المخطط اليهودي والاتجاه نحو روسيا لتكون المنطلق الأول لقيام الشيوعية في العالم قبل غيرها ومع صعوبة الجواب القاطع الباعث لتغيير المخطط اليهودي إلا أن دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية تقدم لنا دليلاً هاماً لذلك الدافع ، فتغير الظروف المحيطة التي تطورت بعد إعلان ماركس لأفكاره وما صاحبها من اجتماع الزعماء اليهود في بازل بسويسرا ١٨٩٧ لمدارسة كيفية السيطرة اليهودية على العالم أدى إلى القرار الحاسم بضرورة توجيه ثقلهم نحو روسيا بعد أن تيقنوا بعدم الحاجة لقيام دولة شيوعية في بريطانيا ما داموا يطبقون عليها تماماً بما لديهم من وسائل وأساليب محكمة . وكان لا بد من قيام ثورة شيوعية في روسيا لأسباب : أولاً : الجهل والفقر المطبقان على سكانها مما يمكن استثمارهما لصالح الحركة الثورية . ثانياً : وجود كنيسة مسيحية لها نفوذ طائفة ضخمة من المسيحيين في العالم وتحطيمها ولا بد أن يسهل ذلك إمكانية تقريب الهدف اليهودي من التحقيق بصورة أسرع وأكثر فاعلية . ثالثاً : موقعها الجغرافي ومساحتها الهائلة وعدد سكانها الكبير ومصادرها الغنية والزراعة الضخمة مما يشكل عوامل أساسية لدور عالمي متوقع في السياسة الدولية . أن تكشف الأصابع اليهودية ودورها في الأقطار الماركسية هو الذي أزاح ستار (العلمية) التي حاول اليهود جهدهم إضفاءها على كتابات ماركس وأتباعه عشرات السنين « أ.هـ . وتكاد تجمع الوثائق التي كانت مدفونة في القديم وتسربت في السنوات الأخيرة على أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان منبعهما واحد وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد والفئة التي تقدم عليهما من وراء الستار واحدة وما اختلافهما في الظاهر سوى ترتيب مؤقت إقتضاه النجاح في السعي إلى الغاية الوحيدة حتى إذا تحققت بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم ولا عبرة بهذا الفرق الظاهر بين الشيوعية والصهيونية فكون اليهودي شيوعياً أو صهيونياً أو كليهما معاً . وكثيرون منهم كذلك لا ينفي كونه يهودياً وليست الشيوعية أو الصهيونية سوى مظهر لقومية واحدة هي القومية اليهودية التي لا تفتأ تنادى سائر العالم غير اليهودي . ويقول فرانك برايتون الذي كشف هذه الحقيقة في كتابه الصهيونية والشيوعية أن وجه الخلاف بينهما يظهر في ثلاث أمور : (الأول) التسمية : ففي الصهيونية تخصيص

وفي الشيوعية تعميم ليختار المرء بينهما بحسب مزاجه . الثاني (مراكز النشاط : مركز نشاط الصهيونية ما اصطلح على تسميته بالغرب وتزرعه أمريكا (واشنطن) ومركز نشاط الشيوعية الشرق وتزرعه روسيا (موسكو) . (الثالث) الأسلوب في العمل : الصهيونية تتاجر بالمال وتدعمه الدعاية عند اللزوم والشيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال عند الاقتضاء وإن الثورة الشيوعية قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وإن كبار زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين وفورشلوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودي أو لهم زوجات يهوديات ، وأن أهداف الصهيونية العالمية هي أهداف الماركسية أو الشيوعية اللينة كلاهما يسعى للسيطرة على العالم وتسخير اليهود لشعب الله المختار . وأن أنصار الشيوعية في العالم معظمهم من أنصار الصهيونية وأن ٩٠ في في المائة من أعضاء الحزب الشيوعي الأمريكي من غلاة الصهيونية وأن اليهود هم أول من أدخل الشيوعية بلاد الإسلام وإن روسيا السوفيتية كانت أول الدول بعد أمريكا التي اعترفت بقيام اسرئيل ولقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان الكثير من زعمائهم . والماركسية في حقيقتها ما هي إلا صيغة الصهيونية العالمية ووسيلة من وسائلها لإفساد المجتمع العالمي وبذر بذور الفتن والثورات في أرجائه وأن عداء الماركسية للإسلام مستمد من عداء اليهود له وقد خاضت الماركسية كما يقول الدكتور محمد عزت نصر الله أعنف المعارك المجردة من كل رحمة والمنافية كل المنافاة للإنسانية ضد المسلمين المقيمين بالاتحاد السوفيتي من تعذيب يشيب لهوله الولدان إلى تجويع حتى الموت ومن نفي لمئات الألوف إلى معسكرات الاعتقال بيسييريا إلى أعدام بالجملة حتى تناقص عدد المسلمين من ٤٠ مليوناً في بدء الثورة الشيوعية إلى ٢٢ مليوناً في الوقت الحاضر والمعروف أن اليهود قد ردوا لروسيا الجميل بأن سلموا إياها أسرار القنبلة الذرية التي كانت وحدها هي التي تعرف أسرارها بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد قام جوليوس روزنبرج وزوجته أثيل اليهوديين المتجنسين بالجنسية الأمريكية وهما من كبار علماء الذرة بنقل أسرارها إلى روسيا وذلك لتمكينها من أن تقف موقف الندد من الولايات المتحدة وقام علماء الذرة اليهود المتجنسين بالجنسية البريطانية بنفس الخيانة . وبالجمله وفيما يتعلق بعالم الإسلام فإن القنطرة التي عبرت عليها الشيوعية من بلادها في الشمال إلى بلادنا هي الصهيونية فقد كان مروجوا الشيوعية الأولى في البلاد العربية والإسلامية وخاصة مصر وسوريا وفلسطين من اليهود الصهيونيين

(٣) دفاع الشيوعية عن الصهيونية

حاولت الماركسية الدفاع عن الصهيونية وقد كان ذلك واضحاً في الركام الذى طرح فى أفق الفكر الإسلامى فى السنوات الخمس التى سبقت النكسة والتى تلتها ، حينما كانت الأعلام الماركسية تصب سمومها مشتركة مع الأعلام المادية والإباحية وكتاب الجنس ، كان واضحاً أن الماركسية تدافع عن الصهيونية وتحول دون كشف أبعاد مؤامرتهم ، ولم يكن ذلك غريباً فإن الماركسية والصهيونية توأمان فلا بد أن تحمى إحداهما الأخرى . وكان أبرز الجوانب التى دافعت الشيوعية فيها عن الصهيونية : أولاً : التفرقة بين اليهودية والصهيونية . ثانياً : محاولة التشكيك فى بروتوكولات صهيون والماسونية ثالثاً : التركيز على النازية . ومع كل المحاولات المضللة فقد عجزت الماركسية أن تكذب الحقائق التى أكدها التاريخ ومنطق الأحداث . تقول موسوعة المفاهيم الصهيونية التى كتبها واحد من الماركسيين تحت عنوان المؤامرة اليهودية الكبرى أو العالمية ما يلى : يتهم المعادون للسامية لليهود بأنهم يحكون مؤامرة عالمية كبرى لتخريب الأخلاق وإفساد النفوس ثم الإستيلاء على العالم وإنشاء حكومة عالمية يكون مركزها القدس وأهم إفراز لهذا التصور هو الوثيقة المزورة [بروتوكولات صهيون] ساعد على نشر هذه التصورات الباطلة عن اليهود طقوسهم الدينية المركبة كما ساهمت النزعة الانفصالية عن الدين اليهودى إلى تعميق الشكوك من جانب الاغيار . السبب المباشر هو التصورات اليهودية الخاصة بالشعب المختار والمركزية الكونية والتاريخية التى يصنعها اليهود على هذا أنفسهم إلخ .. وهكذا نجد أن الماركسية تدافع عن اليهودية التلمودية الصهيونية بأقوى مما تدافع الصهيونية عن نفسها فهى تعتبر القائلين بالمؤامرة اليهودية معادون للسامية ، مع أنهم عرب ، وهى تحاول أن تكذب هذه المؤامرة وتكذب البروتوكولات فى آن وتصرف النظر إلى طقوس دينية وغيرها فى محاولة ما كره لا تستطيع أن تنهض دليلاً صحيحاً فى مواجهة ماثبات الأدلة على المؤامرة وعلى سلامة نسبة البروتوكولات إلى الصهيونية بواقع التاريخ نفسه . كذلك فإننا نجد كتابات الماركسية تنفى فكرة العجل الذهبى عن اليهود فتقول إن الصهيونيون يستخدمون كرمز لليهود الذين يعيشون خارج الأرض المقدسة ويرفضون الهجرة إليها بسبب المستوى المادى المرتفع الذى حققوه فى المنفى ، ثم تقول الموسوعة : أما أعداء الصهيونية فيستخدمونه للإشارة إلى النزعة الوثنية التى تعتنقها الصهيونية بين اليهود والتى تتمثل فى عبادة العجل الذهبى الجديد : إسرائيل .. وهكذا يكشف الماركسيون أنفسهم فى

موقفهم من الفكر اليهودى التلمودى ويؤكدون الصلة العميقة بين الماركسية والصهيونية ومع محاولة الكتابات الماركسية إتهام وثيقة البروتوكولات فإنها لم تجد بدا من أن تشير إلى أن مخططها هو القضاء على العروش الأوربية مقدمتها عرش القيصرية الروس واتخاذ أوربا قاعدة لسلطة اليهود ونفوذهم والسيطرة على العالم بالذهب والدماء والعنف واحداث المملكة اليهودية وفرض الديانة اليهودية على العالم ومحو الأديان الأخرى وفى مقدمتها المسيحية ثم الإسلام . كذلك فقد أشارت إلى ظاهرة الصهيونيين المسيحيين : وهم فريق البروتستانت الذين يؤيدون الصهيونية نتيجة إيمانهم بالأحلام الألفية وضرورة عودة اليهود إلى فلسطين أو صهيون وتشير هذه الكتابات إلى أن أهم الصهاينة المسيحيين نابليون بونابرت ، نداءات من جانب صهاينة مسيحيين لهم مصالح تجارية : كذلك فقد أشارت الموسوعة اليهودية إلى كذب اليهود فى إدعائهم بأنهم فقدوا فى موتهم مع النازية ستة ملايين مع أن الرقم الرسمى لا يزيد بضعة آلاف وتحاول الكتابات الماركسية التفرقة بين اليهودية والصهيونية على أساس أن اليهودية دين من الأديان وأن الصهيونية فكرة سياسية والواقع أن الفكرة الصهيونية التى تقول بالعودة إلى فلسطين باعتبارها أرض الميعاد مأخوذة من المفهوم اليهودى الذى زيفه أبحار اليهود بكتابة (التوراة) فى منى بابل وليس من دين موسى الحقيقى الذى أنزله الله تبارك وتعالى ، كذلك فإن التصور اليهودى للخالق على أن إله اليهود وحدهم وليس للعالمين جميعاً هذا كله مخالف لما جاء به القرآن الذى يرى أن اليهود حرفوا الدين والتوراة من أجل إعلاء عنصريتهم وأن الدين كان منطلقاً لدعوة الإخوة البشرية وأن الله تبارك وتعالى رب العالمين . ومن هنا فإن الخلاف بين اليهودية والإسلام هو خلاف أساسى فى مفهوم العلاقة بين الأديان التى أنزلها الله على عباده وأن الانحراف بدأ أساساً فى التوراة ومنه انتقل إلى الصهيونية - يشير فؤاد محمد شبل إلى هذا المعنى حين يقول : أنها تكشف أن هذا الشعب تحول من عبادة الله الواحد الأحد إلى عبادة ذاته الفانية فلقد اعتبر السمو الروحى الذى بلغه امتيازاً خلعه الرب عليه وحده بموجب عهد أبدي يجعل فيه شعب الله المختار . وهكذا ضل اليهود وتردوا فى خطأ مميت فقد انحرف بهم احتضانهم صفة شعب الله المختار إلى العقم الفكرى فلقد بات اليهود يؤمنون بأن الله كتب لهم أن يسودوا العالم بأسره لأنهم كما يدعون منحدرين من صلب إبراهيم الذى عقد معه الرب ومع نسله بالتالى عهداً وانبئى على إيمان اليهود بأنهم وحدهم شعب الله المختار أن إستحال قيام اليهودية بدور العقيدة العالمية التى تهدى

الناس إلى سواء السبيل فكان أن تحجرت العقيدة اليهودية ولقد تغلغت فكرة شعب الله المختار في أعماق النفسية اليهودية حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الديانة اليهودية بحيث أنها تصبح والعدم سواء إن جردت منها .

(٥) الصهيونية والفكر الإسلامى

منذ وقت بعيد حرصت الصهيونية التلمودية على احتواء الفكر الإسلامى والسيطرة عليه . قد اتخذت لذلك أساليب ووسائل عديدة : (أولاً) : ما قام به صمويل زويمر منذ عام ١٩٠٦ حين اقتحم الأزهر الشريف عام ١٩٢٦ وما بعدها يكشف عن أن حركة التبشير المسيحى منذ ذلك الوقت كانت محتواه للصهيونية ، ذلك لأن إيماءات زويمر كلها تكشف هذا الاتجاه وخاصة أن منشوره الذى وزعه فى الأزهر كان تحت عنوان (لماذا لا ترجع إلى القبلة القديمة) واثارة مسألة القبلة التى اتجه إليها المسلمون فى أول هجرتهم إلى المدينة حين اتجهوا إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أذن الله لهم فى العودة إلى الكعبة وهذه مسألة يثيرها دائماً المستشرقون اليهود . كذلك ما قام به طه حسين منذ عام ١٩٢٦ فى مختلف النقاط التى تناولها تكشف عن خطة العمل التى قامت به الصهيونية التلمودية فى السيطرة على الدراسات الأدبية فى الجامعات فى البلاد العربية فى طريق إقحام المفاهيم التلمودية إلى الجامعات العربية وخاصة مجال الأدب وما حاوله طه حسين : ١ - محاولة التشكيك فى إبراهيم واسماعيل (عليهما السلام) ٢ - محاولة إنكار شخصية عبدالله بن سبأ وإنكار دوره . ٣ - محاولة إعطاء اليهود دوراً (باطلاً) فى جزيرة العرب فى مجال الأدب والفكر . ٤ - مسألة إدخال دراسة اللغات السامية التى حاول بها اليهود خداع المسلمين عن الحقيقة الإبراهيمية وحجبها تحت اسم (السامية) . ٥ - ما يتصل بإحياء التراث اليهودى والاعتماد على المصادر التى طبعتها الصهيونية مثل كتاب (أنساب الأشراف) الذى طبع فى إسرائيل وما أفاض الدكتور طه فيه من محاضراته وما كتب عنه (إسرائيل ونفتسون) عن اليهود فى جزيرة العرب والمستعمرات اليهودية فى جزيرة العرب فى محاولة إعطاء دور لها وكذلك تقديم طه حسين لكتاب ولفنسون وهو ما ورد عليه وزيفه الدكتور فؤاد حسنين وكذلك مقاله جولد زيمر فى القرآن المحكى والقرآن المدنى ٦ - ما قدمه هلال فارحى وإيزاك شمس من دراسات عن (السامية) وإحياء ذكرى موسى بن ميمون وكتابات اسماعيل أدهم أحمد فى التشكيك فى تراث إبراهيم عليه السلام . ٧ - ما كتبه عمر عنايت

في مجلة الصور وغيرها عما أسماه الحضارة اليهودية وريثة الحضارة المسيحية وما كتبه المازني والعقاد واسماعيل مظهر عن (ماكس نوردو) فيلسوف الصهيونية وخليفة هرتزل . ٨- ما كتبه إيزاك شاموس في مجلة السياسة الأسبوعية عن الأدب العربي والسلطان عبد الحميد في محاولة تشويه تاريخ هذا الرجل الذي قاوم الصهيونية وراح ضحيتها . (ثانياً) : السيطرة الصهيونية على الدراسات العربية في أمريكا . يقول الدكتور إبراهيم أبو لغد : أن الإهتمام الحقيقي بالدراسات العربية كان منبعا أصلاً ذلك الحقد الذي ورثه الإنسان الأوربي والأمريكي من تاريخه نحو الحضارة العربية الإسلامية التي أضاعت ظلمات القرون الوسطى المظلمة . فكانت محاولته هذه للتسلح بسلاح يمكنه من التقليل من أهمية هذه الحضارة وليرفع اعتمادها على الحضارات الأوربية السابقة واعتماد الإسلام على النصرانية واليهودية ظناً منه أن هذا الفهم الخاطيء سيحرم الحضارة العربية الإسلام أصولها . ومن المعروف أن المسيطرين على توجيه الثقافة الأمريكية هم أستاذة اللاهوت المقارن وهم من اليهود أو المسيحيين الذين كانوا يعملون في التبشير في بعض بلاد العالم العربي ، وقد ارتبط المبشر المسيحي الأوربي بحكوماته الاستعمارية التي أرادت السيطرة على المنطقة العربية مادياً وبعد الحرب العالمية الثانية توسعت الدراسات العربية في جامعات أمريكا ، وظهرت أهمية التخصص الأمريكي في الدراسات العربية والرعي الأول من هؤلاء المتخصصين هو من مسيحي أمريكا ويتميزون بانحيازهم الواضح للحركات الرجعية وقد كان التحاق الصهيونيين بهذه المراكز مما سمح لهم ببداية السيطرة على الدراسات العربية في جامعات أمريكا وأثر ذلك في تشكيل ذلك الحلف الحقيقي بين المتخصصين في شؤون العرب من صهيوني وغير صهيوني . وهكذا توصلت الصهيونية إلى مراكز القيادة وشكلت مراكز قومية هامة لتوجيه الأعلام الأمريكي ولتوجيه الثقافة الأمريكية فيما يتعلق بالتاريخ العربي واجتماعياته وسياسته وأصبحت هذه المراكز في جامعات أمريكا (برنستون - شيكاغو - هارفارد - كاليفرنيا) أدوات صهيونية وقواعد للتجسس الإسرائيلي ومن ذلك استعانتهم بأستاذة الجامعة العبرية ومن هنا نشأت الهيمنة الصهيونية العلمية على الدراسات العربية في أمريكا وكان لها أثرها العميق في الكتب والدراسات وهي التي عملت على تشويه التاريخ والواقع العربي فقد سيطر الصهيونيون على جمعية دراسات الشرق الأوسط في أمريكا الشمالية وكان رئيسها الأول (جوستاف فون جرونباوم) الشهير بعدائه الطويل للعرب والفلسطينيين والمسلمين وتلاه كثير من الصهيونيين مثل برنارد بايندر

من جامعة شيكاغو الذى يعمل حالياً فى الجامعة العربية ونتيجة لذلك تمكن هؤلاء من الهيمنة على مجلس العلوم الاجتماعية الذى يستمد أمواله من مؤسسة فورد . (ثالثاً) : هناك محاولات جديدة للاحتواء عن طريق المنظمات والمحافل وهناك واجهات جديدة للجاسوسية مثل منظمة بناء برث . والحركة البهائية وشهود يهوه والمشرق النوراني والروتارى وغيرها . وقد بدأت صلة الصهيونية بالبهاية منذ وقت بعيد ، إذ حرصت الصهيونية على نقل البهاية إلى فلسطين واستوطنتها عكا وحيفا وهناك استغلها الاستعمار ليمكنها من بث أفكارها المضللة توطئة لخدمته ولخدم الصهيونية التلمودية أيضاً وأخذ الصهيونيون يسخرون البهائين لمخططاتهم ويحتضنونها فى محاولة لمناهضة الإسلام وينشرون مفاهيمهم وسمومهم من وراء هذا القناع الجديد فأمَدوا (البهاء) بما جاء فى أسفارهم عن بهاء الله بعد أن لقبوه به ودفعوه إلى الزعم بأنه المراد بلقب البهاء . ويقول مؤرخ بهائى كبير : المراد ببشارات الكتب المقدسة هو ظهور بهاء الله الابن وهو معبود البهائين كما أخذت شعار الماسونية والثورة الفرنسية . (حرية - أخاء - مساواة) شعاراً لها لتتعاطف به مع الحركة الصهيونية وقد تعاونت اليهودية مع البهاية فى سبيل القضاء على الوجود العربى فى فلسطين وتدمير كل معالم العرب وحضارتهم ومقوماتهم بما مكن للصهيونية من السيطرة أخيراً على فلسطين . (رابعاً) : كشفت الوثائق فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة : أولاً : صلة اليهود العالمية بفرويد وبمنهجه فى علم النفس . ثانياً : صلة الصهيونية العالمية بالفيلسوف نيتشه ودارون وتأثيرها فى تطوير نظرياتهم ومفاهيمهم بما يحقق قيام أصول ودعائم الفلسفة المادية . ثالثاً : ما كشف عن صلة التلمودية الصهيونية بسارتر ومذاهب الوجودية والهيمنة . رابعاً : ما كشف عن الصلة بين ماركس واليهودية العالمية . خامساً : ما كشف عن الصداقة والصلة بين هرتزل وفرويد .

(٦) الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية

قامت كلتا الغزوتين على أساس باطل وفكر زائف وأسلوب مخالف للفطرة ومضاد لطبائع الأشياء ولنسن الله فى إقامة المجتمعات ولا بد لكل عمل من هذا النوع أن ينهار وينهزم ويسقط مهما راوغ وحاول استمرار البقاء . جاءت الغزوة الصليبية تحت اسم حماية قبر المسيح وجات الغزوة الصهيونية تحت اسم العودة إلى أرض الميعاد وقد استهدفت الغزوتين بيت المقدس من أرض فلسطين : الأرض التى بارك الله حولها ومفتاح الكعبة المشرفة والبيت

الحرام ومنازة العالم الإسلامي ومتنزل الرسالات السماوية ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتشابه الغزوتان في أنهما منطلق لقوى زاحفة من الغرب عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أرض فلسطين مستهدفة استخراجها من أيدي المسلمين والسيطرة عليها ، فقد جاءت الحروب الصليبية واستمرت قرنين كاملين في سبيل إقامة الإمارات الصليبية لتقتحم عالم الإسلام والسيطرة على هذه المنطقة في محاولة للإمتداد منها إلى أجزاء أخرى وقد استطاع العرب والمسلمون حصارها والإدالة منها حتى سقطت واندحرت . وتتجدد اليوم الغزوة الصهيونية على نفس المخطط والمكان والأسلوب وتحاول السيطرة على هذه الأرض المقدسة متخذة منها منطلقاً للتوسع وتتنادى أجزاء العالم الإسلامي اليوم لمواجهة الخطر وتحاول أن تتخذ في هذه المواجهة أسلوب الغرب فتفشل ثم ترى يهدى الله أنه لا سبيل لها إلا أن تلتمس نفس الأسلوب الذي أتبعه المسلمون على يدى نور الدين وصلاح الدين وهو أسلوب الإصالة والعودة إلى المنابع وتطهير المجتمعات وإلزامها شريعة الإسلام ومنهج القرآن . وقد تناول المؤرخون قصة هذا التشابه وحاولوا أن يصلوا منه إلى فهم حركة الغزو الغربى الذى يجتاح عالم الإسلام ولا يتوقف ، والذى تمثل في الحروب الصليبية ثم في الغزوة الاستعمارية ثم في الغزوة الصهيونية ورأوا في ذلك اتصالاً متعمداً وهدفاً مبيناً مقصوداً ، وفي كل مرة تتقدم هذه الجحافل من الغزاة تحت أسماء مختلفة للسيطرة على عالم الإسلام طامعة في موقعة الفريد وفي ثروته الضخمة وما يزال عالم الإسلام يتطلع إلى المواجهة والمقاومة من أجل تثبيت وجوده وتأكيد ذاتيته ولا ريب أن دراسة الحروب الصليبية من شأنه أن يكشف كثيراً من التشابه في مخططات الغز بآسم الاستعمار ثم باسم الصهيونية . وتحدث مجلة تابلت الانجليزية الكاثوليكية عن أوجه الشبه القوية بين إسرائيل ومملكة الفرنجة عقب احتلال عكا عام ١٠٩٩ ، هذه المحاولات: محاولات المسلمين التى لم تتوقف يوماً واحداً منذ وفدت فلوك الصليبية الذين جمعتهم المطامع والأهواء عن صدعها ، وهم أشبه الناس بتلك الجموع التى تدفعها الصهيونية إلى فلسطين منذ بدأ الهجرة إلى اليوم : أولئك شذاذ الآفاق الحثالة العالة ، الذين لا هم لهم إلا المغامرة . ومن شأن هؤلاء أن لا تقوم بهم دولة ولا يشكل لهم كيان ونحن حين نراجع وقائع الحملة الصليبية التى وصفت بأنها امتدت على ثمان موجات متوالية تجدها مغامرة عاصفة استخدمت فيها الأهواء العاصفة لخداع الناس تحت اسم الخطر على بيت المقدس فلما جاء الأوروبيون وجدوا كل ما حول بيت المقدس آمناً ، وجدوا المسلمين غاية في السباحة والخلق والعفو والرحمة ، فلما عادوا يحملون هذه المعاني ويشيدون بالمسلمين ضربوا

بعنف لأنهم كانوا بذلك يكذبون ما أدعته القوى التي أرسلت الغزاة بالباطل ودفعتهم ليموتوا بغير حق . وكذلك كان الشأن في الغزوة الصهيونية التي انطلقت من واقعة مضللة كاذبة ، هي واقعة الادعاء بأن النازية قتلت منهم بضعة ملايين ثم اتضح بعد ذلك أن هذه الملايين لم تكن إلا مئات قليلة ، وأن المسألة جسمت وشوهت وأعطيت هذا الحجم المضلل لتكون وسيلة إلى فتح باب الهجرة وخداع الناس وكسب عطف المضللين وحتى يستطيع شعب مشرد على مدى التاريخ بغير أرض أن ينتزع شعباً آمناً من أرضه بقوة الحديد والنار ووسائل العنف والظلم ليستولى عليها وليقيم عليها دولة ليس لها أساس لا من حقائق التاريخ ولا من واقع الكيان الاجتماعي الصحيح . وأنى لدولة مثل هذه أن تقوم وتستمر وهي باطلة في دعوتها وفي أسلوب تجمعها وفي انتزاعها الأرض من أصحابها والبقاء اعتماداً على فتات الدول والسلب . وماذا تنفع الصهيونية دراسة مجتمع الصليبيين في فلسطين وهو في حقيقته لا يشكل إلا غارة عدوانية باطلة ، خدع فيها الذين استقدموا وكسب منها أصحاب المطاعم والأهواء ومن ورائهم الصهيونية العالمية صاحبة رعوس الأموال والاتجار بالربا والأعراض . ولقد كانت الغزوة الصليبية مصدر يقظة للعالم الإسلامي ومدعاة لتكثفه واندفاعه إلى التماس الطريق الصحيح والأسلوب الأصيل للمواجهة حسبما علمنا القرآن فكان النصر الذي أزال هذا الواقع الكريه الذي قام به على الباطل والخداع . وستظل هذه التجربة حية في نفوس المسلمين والعرب تدلهم على أن كل عمل باطل لا بد أن ينهار وأن هذه الأرض لأهلها وأن كل محاولة لإزالة أهلها منها مردودة ومنهارة ولن تجدى الصهيونية دراسة تجربة الحروب الصليبية لأنها سوف تواجه نفس المصير على مدى أقرب كثيراً أو أقل من ناحية الزمن وبأسلوب أشد قوة وصرامة ، ولن تستطيع ملايين اليهود أن تحول بينها وبين الافلات من المصير المحتوم الذي هو سنة التاريخ والحضارة والأمم ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً . فالمسلمون الآن ألف مليون نسمة والعرب منهم مائتي مليون يمتلكون الثروة والطاقة والتفوق البشري وسوف لا يهزمون من قلة . ولا ريب أن الغزوة الصهيونية إنما خططت على نسق الغزوة الصليبية أو حاول دهافين الصهيونية اتخاذ نفس الخطط والأهداف ليحققوا مطامع التلمود وهي مطامع باطلة مضادة لحركة التاريخ ولطبيعة الأمور وللفطرة البشرية ولن تعود العنصرية مرة أخرى لتسيطر على العالم بعد أن هزمها الإسلام وأدال منها أربعة عشر قرناً وحطم قواعدها وقلاعها في كل مكان في الشرق والغرب وأقام بدلا منها روح الأخاء الإنساني وسوف لا تستطيع دعوة الاستعلاء بالعنصر وباسم الشعب المختار القائمة على الأساطير والخرافات البابلية والوثنية

القديمة أن تجد طريقها بعد أن تحررت البشرية باسم المنهج العلمى التجريبى الإسلامى من زيف الوثنيات والماديات والاباحيات التى تحاول الصهيونية اليوم تجديدها وبعثها من الفكر اليونانى والغنوصى القديم . ان هدف الحملة الصهيونية هو نفس هدف الحملة الصليبية المتمثل فى ذلك الحقد الشد على الوجود الإسلامى فى هذه المنطقة الممتازة من العالم استراتيجياً وجغرافياً وبشرياً ، وثروة وسلطاناً قامت بالحق ، ومن هنا تتطلع هذه القوى للسيطرة تحت أسماء مختلفة ، وهدفها هو الادالة من الإسلام : تلك القوة الحقيقية التى تملك إرادة الحياة والقوة فى مواجهة الغزو الخارجى ، وما زلت هناك مطامع تستهدف وضع هذه الثروات الضخمة فى أيدي جماعة اليهود التلموديين الطامعين إلى إقامة امبراطورية الربا ، ثم هناك موقف القوى الثلاث : الصهيونية والماركسية والاستعمارية الذى تجمع على الحيلولة بين العالم الإسلامى وبين امتلاك إرادته وموقف الخوف الدائم من نمو هذه القوة مرة أخرى لتأخذ مكانها الحق ، ومن هنا كانت كل هذه المحاولات التى تريد احتواء الفكر وتدمير المجتمع عن طريق المذاهب والفلسفات والدعوات المادية والملحدة والاباحية التى يحمل لواهاً فلاسفة اليهود : فرويد وماركس ودوركايم وسارتر . أن هناك محاولة ضخمة لتسميم عقول المسلمين والعرب بعد التحول التاريخى الذى اتجه إليه المسلمون والعرب حين التمسوا منهجهم الأصيل فى العاشر من رمضان ، هذه المحاولة تستهدف فرض تفسير زائف للتاريخ الإسلامى الحديث يحاول أن يجعل من إسرائيل « وجوداً » إقامته أوروبا والغرب وكأنه ليس وجود قائماً بذاته من وراءه مطامع الصهيونية العالمية ومخططات بروتوكولات صهيون ، ولا ريب أن المؤرخين لهذه السموم هم الماركسيون والتقدميون واليساريون ، الذين كانت الماركسية فى أيديهم ولا تزال خادمة للصهيونية العالمية وهى من صنعها أصلاً . أن الهدف هو هذه المنطقة الفريدة فى العالم : منطقة دعوة الإسلام ومقدرات المسلمين الضخمة التى تستهدف الاحتواء والسيطرة والغزو والتى سوف تظل دائماً قادرة على المقاومة ساهرة على حراسة مقدراتها مرابطة فى سبيل الحفاظ على كيانها ووجودها ، وسوف لا يضحى المسلمون والعرب بعقيدتهم وتراثهم فى سبيل ما يسمى العلم والتكنولوجيا وأنهم لقادرون على امتلاك هذه القوة وقد أخذوا بها فعلاً فلم يبق هناك ما يسمى بالصراع الحضارى ، ذلك أن الوجود الإسرائيلى هو فى طبيعته وجود غير قائم بذاته بذاته ، لا يعتمد على « أمة » صحيحة ، وليس يهود إسرائيل هم يهود التوراة وأبناء يعقوب ، وليس لدى إسرائيل ما لدى العرب من الطاقة والتفوق البشرى والقوة الاقتصادية ، وأن هذا المجتمع المهلهل المجمع من شذاذ الافاق لا يمكن أن يكون أقوى على الحياة من أهل هذه

الأرض ، فأين إذن التفوق الحضارى وأين يقوم الصراع الحضارى وإسرائيل تعيش على المساعدات الخارجية ولم تتمكن بعد ربع قرن من أن تعيش على مواردها ، أو تكون قادرة بمفردها للدفاع عن وجودها ، ذلك لأنها بطبيعتها العدوانية لا تستطيع أن تمثل مجتمعاً حقيقياً ولا وجوداً صحيحاً ، ولولا دورها الذى تقوم به فى خدمة النفوذ الأجنبى لسقطت من أول يوم ، ومن هنا فإن تلك الأكاذيب والشبهات التى يحاول دعاة التقدم والماركسية واليسار وغيرهم إذاعتها لن تؤثر شيئاً فى النفس العربية التى أخذت فى امتلاك إرادتها وعرفت طريقها الصحيح . ولقد كانت هذه المنطقة منذ تسلمها المسلمون أمانة فى أيديهم للأديان الثلاث وقد آمنت كل القوى بأصالتهم وأحقيتهم بهذا الدور وسوف تعجز الصهيونية عما عجزت عنه الحروب الصليبية من انتزاع القدس من أيدي المسلمين الحماة الأماناء . يقول المؤرخ ريفمان : أن المسلمين لم يقرروا بوجود الدولة الأجنبية الدخيلة فى أرض يعتبرونها ملكاً لهم . نعم هذا هو الحق ومن الحق أيضاً أن المسلمين انتصروا تحت اسم مدرسة التسليح الخلفى على كل الخلافات واستطاعوا أن يتجمعوا لمواجهة الخطر وكان دور الشعب الإسلامى أقوى من الحكومات يقول ريفمان : أخذ العرب يلتمسون الوجهة بمجرد إدراكهم لمغزى قيام الدولة العدو بينهم غير أن هذا التطور كان بطيئاً غاية البطء ، وبقي الصليبيون مدة طويلة وهم قادرون على مهاجمة أى من الأقطار المجاورة لهم ، واستطاع الصليبيون أن يصلوا إلى حدود مصر وضواحي دمشق وأن يتوغلوا فى حوران ، غير أن نجاح صلاح الدين فى توحيد مصر وسوريا واليمن تحت حكمه قضى على كل أمل للصليبيين فى التوسع ، وبالرغم من الأعداد القادمة من أوروبا فقد بقي الصليبيون معتمدين على العالم المسيحى فى الرجال والمال واستمروا ما بقي العالم المسيحى يمدهم وذبلوا عندما انتهى هذا الاهتمام " ونحن نجد أن مواجهة العربية الإسلامية للغزوة الإسلامية الصهيونية تسير فى طريق أكثر قوة وعمقاً بالرغم من بطئها فى المراحل الأولى فهى ستدخل بعد العاشر من رمضان فى مرحلة الحسم والاقتناع الصحيح بالطريق الاصيل للمواجهة ، المواجهة بأسلوب الإسلام ، بالعقيدة والشريعة والتربية الإسلامية والجهاد . ولن نخدعنا كتابات التلموديين وسُموم التقدميين ومراوغة الماركسيين عن أن نعرف الحقيقة ، التى بدأت يوم عمدت الصحافة التى كان يمسك بمقادتها المارونيون اللبنانيين فى مهاجمة السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والخلافة الإسلامية تمهيداً لفتح طريق الصهيونية إلى القدس . ولقد أشارت مؤرخة يهودية إلى أن دخول اللورد للنبي القدس كان بمثابة الخطوة

الأولى لتسلم اليهود إياها (دخلها النبي ١٩١٧ وتسلمها اليهود ١٩٦٧) . وهذا الجيب الحديد في لبنان هو حلقة من مخطط الصهيونية التلمودية في العالم الإسلامي يستهدف مزيداً من تمزيق وحدة العرب والمسلمين والتمكين لإسرائيل والصهيونية . ولكن انبعاث عالم الإسلام اليوم وسلامة اتجاهه إلى الأصالة يوحى بأنه قد وضع قدمه على أول الطريق الذي لا ينهزم وإن طال به زمن المقاومة ، أو امتداد المواجهة ، لأنه طريق القرآن الأصيل ، أما الطريق الذي سار فيه المسلمون والعرب من قبل سواء إلى الغرب أو إلى الشرق فهو الذي ضاعف من هزيمتهم ونكبتهم وكاد أن يفقدهم وجودهم لولا أن هداهم الله فعادوا إلى التماس أصالتهم ، ولقد كانت حركة التغريبين والشعوبيين والماركسيين والوجوديين جميعاً تستهدف القضاء على الأصالة الإسلامية تمكيناً للصهيونية التلمودية فكلهم من خدامها وعملائها وأدواتها وسوف يثبت المسلمون والعرب أمام الأحداث مستمسكين بكتاب ربهم الذي وعدهم النصر ما ثبتوا والتمسوا طريق الأصالة والله غالب على أمره ولسوف تنكشف الغزوة الصهيونية مهزومة كليله وأشد خزياً من الغزوة الصليبية .

الرسالة الثالثة

العالم الإسلامي والغزوة الشيوعية

« مدخل تاريخي »

لا يمكن فهم الشيوعية إلا بدراستها من خلال تاريخ الفكر الغربي نفسه ذلك أن الشيوعية لا يمكنهم أن تقدم نفسها للبشرية على أنها مذهب مستقل أو أيديولوجية حرة أو عقيدة خالصة ، وإنما هي ثمرة من ثمار الوضع السياسي والاقتصادي الذي قام عليه المجتمع الغربي بعد عصر النهضة بكل ينطوي عليه من مفاهيم وتحديات فهي واحدة من مراحل التطور الغربي الذي بدأ بالثورة على الكنيسة وقيام البروتستانتية ونشأة النهضة الصناعية وما اتصلت به من زخوف الاستعمار إلى قارتي آسيا وأفريقيا . وقد نشأت نتيجة تصاعد الرأسمالية الغربية وغلوها وسيطرتها تيار يرمي إلى مقاومة الاحتكارات والسيطرة الطاغية وإقرار حقوق العمال ونشأت من جراء ذلك نظريات ومذاهب حاولت أن تواجه هذه الأوضاع بأسلوب التدرج والإصلاح ، غير أن النظرية الماركسية التي تشكلت من بعد كانت تستهدف أمراً أبعد مما كانت ترمي إليه حركات دعاة الاشتراكية فقد جاءت تستهدف خطة تقوم على العنف والصراع الطبقي وإثارة العمل لإيقاد الثورة وتدمير الأنظمة القائمة . فقد كان هدف الماركسية تمزيق المجتمع الأوربي وإثارة بعضه على بعضه الآخر وإيقاد نيران الحقد واضطرام اوار الخصومة بين جنبااته

سعيًا وراء إسقاطه كلية في يد اليهودية العالمية التي كانت تخطط لهذه السيطرة منذ وقت بعيد والتي كانت تملك الذهب والمصرف وامبراطورية الربا وتتخفى وراء كل القوى الزاحفة إلى آسيا وأفريقيا وكان المرابون اليهود هم الذين يتحركون من خلف الاستعمار البريطاني والفرنسي في الهند ومصر والمغرب ومن هنا فإن للشيعوية أرضية تاريخية مزدوجة ، تربطها بالمجتمع الرأسمالي الغربى إنها ثمرة تطوره ، ثم هناك رابطتها باليهودية العالمية من حيث أنها أنها هدف من أكبر أهدافها وتحجى الثورة الروسية من مرحلة تالية للثورة الفرنسية وامتداداً لها ، فإن الثورة الفرنسية هي نقطة البدء في التحرك اليهودى إلى خارج الجيتو فقد استطاعوا تحطيم القيود التي كانت تسيطر على حركتهم والتي وضعتها الكنيسة بهدف عزلهم عن المجتمع المسيحى والحد من نفوذهم الخطير الذى كانوا يسيطرون به على الاقتصاد الأوروبى والمجتمعات الأوربية . ومن الثورة الفرنسية بدأت الخطة اليهودية التلمودية تخرج إلى النور لتسيطر على المجتمع الأوروبى والفكر الأوروبى ثم كانت الخطوة التالية التي كشفت برؤى كولات صهيون عن هدفها السيطرة على العالم ، وذلك بعد تمزيقه إلى قوتين متصارعتين فكانت النظرية الماركسية هي نواة الثورة الشيوعية الروسية . وقد استطاعت اليهودية التلمودية أن تقطع مراحل واسعة في الفترة الواقعة بين الثورة الفرنسية إلى الثورة الروسية في هدم مقررات المسيحية وتدمير الدولة المسيحية الأوربية واحتواء البروتستانتية حتى جاءت الشيوعية لتقهر الفكر التلمودى كله في مذهب متكامل فقد استطاعت الماركسية أن تستوعب سموم الفكر الماسونى التلمودى اليهودى لتظهره في نظرية خادعة تتملق عواطف الجماهير بالدعوة إلى فردوس أرضى كاذب وتستغل ما بين الطبقات من تناوت وركوب التيارات الوطنية والقومية ومهادنة الدين ومحاولة التعايش مع النظم المختلفة لمرحلة من مراحل السيطرة والتمكن . وقد اتخذت اليهودية العالمية من الشيوعية وسيلة للتغلب على العالم ووصول إلى السيطرة وتسخير المواد العالمية وفق أهوائهم وقد كون ماركس رأيه مقدماً بصدده هذه النظرية ثم أخذ يلتبس الأسانيد والمبررات لهذا رأى فقد أصدر البيان ١٨٤٨ ولم يكن قد قام بتلك الدراسات التي نشرها فيما بعد والتي صدر الجزء الأول منها ١٨٦٧ ويتبين من ذلك أن نظريته لم تكن وليدة بحث علمى بل كان البحث العلمى الذى قام به في هذا الصدد بمثابة دفاع أو تبرر لتلك النظرية التي اعتنقها مقدماً . لقد كانت النظرية يستهدف غايات واضحة : أولاً : الحق على البشر ، وقتل النبوغ ، التامر وإثارة الصراع بين الطبقات . ثانياً : معارضة الوطنية والقومية والدين

والملكية والفردية وحرية الرأي ثالثاً : العمل على تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية وجعل الولاء مقصوراً على السلطة الحاكمة نفسها . رابعاً : القضاء على كل الأديان غير اليهودية والعمل على نشر الإلحاد ثم جاءت الثورة الشيوعية الروسية كما خطط لها اليهود وبعد إمدادها بالمال والتواطؤ مع أعداء الدولة الروسية حتى استطاعوا إقامة هذا النظام الذى مزق العالم إلى قوتين متصارعتين الراسالية في مقابل الشيوعية وكتلتهما في يد اليهودية العالمية . ولقد كانت الثورة الفلسفية من تصميم اليهود وكان ما يحقق في روسيا بفضل العقلية اليهودية التى صنعت الشيوعية وكان زعيم الشيوعية وواضع أسسها الحاخام الأعظم كارل ماركس اليهودى المتعصب تعبيراً عن النفس اليهودية المليئة بالحقده على جميع طوائف البشر ورغبة فى الانتقام بها ، وكان المنفذ للدولة الشيوعية واحد من أخطر الماركسين هو « لينين » وهو واحد من أخطر واضعى بروتوكولات صهيون . ومن هنا فقد تكشف أن الشيوعية هى فكرة تدميرية يهودية لها دورها فى تنفيذ المخطط الخطير الذى يرمى إلى تحطيم الأديان وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين الأفراد والشعوب وتجلى ذلك الهدف الواضح من إقامة الدولة الشيوعية فى نفس الوقت الذى يستعلن فيه قرار وعد بنفوذ إقامة الدولة الصهيونية فى قلب فلسطين وأن تكون الخطة قائمة على القضاء على الدولة العثمانية كتمهيد لهذه الغاية أو كما يصورها أحد الباحثين بقوله : إن الأفعى اليهودية فى طريقها إلى أورشليم ، قد مرت على القسطنطينية فدمرت الخلافة الإسلامية ولم يكن هناك مفر من تدميرها قبل الوصول إلى أورشليم وإقامة دولة إسرائيل . والمتتبعون لأحوال تركيا قبل سقوط الخلافة وبعد قيام مصطفى كمال بالحكم التركى اللادىنى وانحياز تركيا إلى إسرائيل ضد العرب ، فى كل المواقف السياسية يلمسون اليد اليهودية فى توجيه سياسة تركيا وهذه نبوءة من نبوءات الأستاذ سرجى تيلوس مترجم بروتوكولات حكماء صهيون التى أطلق عليها الإنجيل البلشوى وهو أول من نشره فى العالم باللغة الروسية ويتصل بهذا مما تفصله الوقائع خلال البحث تلك الصلة الوثيقة بين ماركس وبين مخططات الصهيونية التى كان قد أعلنها « موسى هيس » صديق ماركس والذى كانت أيديولوجيته تحقيقاً للهدف المقصود بل إن المؤرخين يؤكدون بأن المسودة الأولى للبيان الشيوعى الذى أصدره ماركس كانت من وضع موسى هيس فيلسوف الصهيونية الأول وأن البيان الشيوعى الذى أصدره ماركس عام ١٨٤٨ كان بأمر من الماسونية فقد كان كارل ماركس صهيونياً ماسونياً . ثم كان تعهد لينين لليهود فى إبان نضاله لإقامة الدولة الشيوعية بالعمل على إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين . ويتصل

بهذا دور «فرويد» في المخطط فقد كان تابعاً للمنظمات الصهيونية وكان دوره مع صديقة هرتزل هو عمل خطة لتدمير العالم خلقياً واجتماعياً ومن ثم كانت نظريته في التحليل النفسى على النحو الذى عرف من بعد دعوة إلى اتخاذ الجنس مصدراً للعواطف والتصرفات الإنسانية وتبنى اليهودية التلمودية لهذا الخط حتى نص على ذلك فى بروتوكولات حكماء صهيون بأن فرويد منا . ونحن حين نضع الشيوعية فى موضعها الصحيح ونردها إلى مكانها الحقيقى من تاريخ الغرب فى العصر الحديث ومن الأهواء التى تحتاج العالم كله تحت لواء امبراطورية الربا الطامعة فى وراثة الاستعمار الغربى نكشف عن الخلفيات الحقيقية التى لا يمكن مواجهة الشيوعية إلا بفهمها والتعرف عليها .

(٢) هناك رابطة واضحة وأكيدة بين إسقاط اليهودية العالمية للامبراطورية الروسية القيصرية ، وقيام الدولة البلشفية وإسقاط دولة الخلافة الإسلامية وإقامة إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى فهذه جميعها وحدة واحدة لا تنفصل ولا تتجزأ ، وإن بدت فى ظاهر الأمر كأنها قضايا مختلفة ، فقد استطاعت قوى الأعلام الغربى والصهيونى أن تحول دون إلتقاء هذه الأجزاء ، فإذا جاء صوت من أصوات الحق ليعلن أن الصهيونية والشيوعية من منبع واحد ، وأن الشيوعية وليدة الصهيونية بدت الدهشة على وجوه الذين لا يتعمقون الأمور والواقع أن الصهيونية والشيوعية من أصل واحد وهما يتآمران على نشر الإلحاد وبلشفة العالم الإسلامى . وأن اليهود هم أول من أسس الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية . وقد أشار الباحثون إلى أن الشيوعية هى إحدى فرق الماسونية ، ويتكون من أعضاء الماسونية الملوكية الذين وصلوا إلى درجة رفيق (لينين - ستالين تروتسكى) وهذه الفرقة محفل واحد فى نيويورك لا يدخله من اليهود إلا قليل . وهدف الماسونية الحمراء هو إقامة دولة شيوعية عالمية كخطوة لإعلان الدولة اليهودية العالمية لأن إعلانها عن هدفها صراحة يؤلب عليها العالم ولكنها حاولت الدخول إلى العالم بأسلوب مغر براق . والهدف النهائى هو إعلان الدولة اليهودية العالمية وتعيين أحد من ذرية أحد أسباط إسرائيل ملكاً على العالم كله . وقد جاء فى بيان الشرق الأعظم الفرنسى والماسونى عام ١٩٠٤ أن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسها ماركس وانجلر ولقد كان محفل الماسونية الحمراء وراء الثورة الفلسفية فى روسيا - كما كان وراء الثورة الفرنسية من قبل - وأنه على أثر المذابح التى قامت بها روسيا القيصرية ضد اليهود فى نهاية القرن التاسع عشر تقرر تفويض دعائم الدولة القيصرية فى روسيا وإقامة الدولة الشيوعية مكانها .

وقد عقد حاييم وايزمان ١٩١٦ محادثات مع لينين قبل نجاح الثورة تقرر فيها فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية لإقامة وطن قومي لليهود وكان أول عمل للثورة الشيوعية في روسيا ١٩١٧ اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون وإعلان أن الحكومة السوفيتية تؤيد الحق الكامل لليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وقد تشكلت الحكومة الشيوعية الأولى من ٢٢ وزيراً منهم ١٧ وزيراً يهودياً . وقد دخلت روسيا الحرب العالمية بجانب الغرب الرأسمالي لتحقيق أطماع اليهود في فلسطين وللقضاء على ألمانيا الهتلرية ألد أعداء اليهود والتعاون بين روسيا وأمريكا ليس تعاوناً عارضاً ولكنه تعاون أصيل وجد يوم سيطرت الماسونية على القوى السياسية في كل من أمريكا وروسيا .

(٢)

يقول الدكتور محمد عزت نصر الله : لقد استولى اليهود على مقاليد الحكم في روسيا بعد الانقلاب الشيوعي في ٨ أكتوبر ١٩١٧ ومن الغريب أن الشيوعية قد هاجمت جميع الأديان (وخاصة الدين الإسلامي) . وغضت الطرف عن (الخرافات اليهودية) وقد برر لينين ذلك بقوله : أن حجر الزاوية في رأى كارل ماركس وانجلرفي الدين هو قولهما المأثور أن الدين هو (أفيون الشعوب) ولقد كان رأى ماركس على الدوام في الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع أنواع المؤسسات الدينية أنها صدى للرجعية وأن لا هدف للأديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير ، أما الخرافات اليهودية وإن كانت لا تختلف عن باقي الأديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم ، ذلك أن اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون في الأقوام المجاورة لهم وبعمرور الزمن يفقدون إسرائيلييتهم ولمحافظة إسرائيل كمجموعة كاملة و متحدة فالدين أمر ضرورى فلم يجمع بنى إسرائيل غير الدين ومحافظة الدين اليهودى أمر ضرورى لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم « إن هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثنائه من خطط محاربة الأديان يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم ابتداء من فلسطين العربية المسلمة ، فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود فإن الأجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة وذلك بخلاف الأجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى وقد نشر ستالين مقالة فى جريدة (تومسه مولكايافرافدا) فى ١٦ أيلول

١٩٤٤ جاء فيها أن دولة السوفييات الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين فالحزب الشيوعي يقف بجانب المادة في حين أن الدين يناهض المادة (يقصد المسيحية) الدين والشيوعية مثلهما مثل النار والماء فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان وإحادهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين في الديار الشيوعية أبداً فكل دين من الأديان هو المادة وعلى طرفي نقيض (ا.هـ. ولذلك أجاز القانون الأساسي الشيوعي تعليم الدين إلى النشء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢٢ سنة) ونص على أن تعلم الدين للأطفال قبل سن الرشد يعاقب عليها ، أن سياسة التربية الشيوعية تفرض على الإنسان أن يتزعرع ويكبر ويشب في بيئة ملحدة وثقافة تستهزئ بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكُتب الساوية إلى أن يبلغ سن الرشد السوفيتي (٢٢ سنة) ثم بعد ذلك يسمح له بممارسة الحرية الدينية وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور جيل ملحد لا يؤمن بالله ولا يؤمن بدين باستثناء الدين اليهودي يسمح لليهود فقط - كما قال لينين - بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لأن الدين اليهودي أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار لريشما ينالوا حقوقهم وهكذا برر لينين الحماية الشرعية للدين اليهودي . إن لينين يعترف إذن باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفيتية في بداية حكمها عام ١٩١٧ إلى إصدار جملة قرارات كان أهمها إعلان التأييد الكامل لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين . وإذا سألنا ما هي حقوق اليهود فالجواب هو (ماركسيا وصهيونياً) تنفيذ مرامي وأهداف الأيدولوجية اليهودية القائمة على فكرة الشعب المختار والدافعة بالتالى لاعتبار :

- ١- إن الأرض كل الأرض وما فيها ميراث لبني إسرائيل تلزمهم مشيئة الرب بأن يستولوا عليها .
- ٢- إن كل شريعة غير شريعة بني إسرائيل هي فاسدة .
- ٣- إن كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هي مغتصبة .
- ٤- إن كل شعب حر غير شعبهم قابض على ذروة من السلطة هو غاصب .
- ٥- إن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . وهكذا أصبح حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس - يقول كاي مردخاي (أو : كارل ماركس) أن المشكلة اليهودية لا تحل نهائياً إلا بالتحول الاشتراكي للعالم بأسره وإذابة الأديان والقوميات في بوتقة الماركسية أو الاشتراكية العلمية أو التقدمية الثورية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود هم شعب الله المختار ، وبما أن التقدمية الثورية (فكر وحركة وهدف) تعمل لإخضاع المجتمع البشرى كله إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية في العالم يرى اليهود أنهم أصلح البشر

بصفة كونهم شعب الله المختار لاحتلال مركز القيادة التي هي الاسم العصري لعقيدة شعب الله المختار اليهودية . وقد استطاع المكر اليهودي أن يؤسس الحركة الماركسية لتتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحول الاشتراكي وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مجازاة العالم (وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية) بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وأنها تعمل لصالح الاستعمار الغربي وخدمة استراتيجيته الدولية العامة وبذلك يتمكن من إحراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومي اليهودي ثم الالتفاف بعد تحقيق ذلك للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية بالسيطرة (ماركسياً وصهيونياً) على العالم كله ، وهكذا يتحقق التصور اليهودي للعقيدة اليهودية وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتي - قاعدة العمل الماركسي - والصهيونية سوى التكتيك المرحلي الذي تتطلبه خطة السيطرة اليهودية في الوقت الراهن وطبيعي أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامي وإضعاف الشعوب الإسلامية .

(٤)

بدأت الثورة الروسية في ١٩١٧-١٩٠٩ سلسلة من حركة الاعتصام والأضراب العام في المصانع هدفها هدم العنصرية وسياسة آل رومانوف وقام عام ١٩١٨ في روسيا نظام ديكتاتوري يتجاهل حقوق الأفراد ويستمد من كارل ماركس. وقد ثبت بالتجربة مدى الفارق بين الواقع التطبيقي وبين نظريات كارل ماركس ، وقد وضع لينين تفسيرات جديدة أطلق عليها الماركسية اللينينية وقد أعلن لينين منذ اليوم الأول تصريحه الخطير المشهور : أن الماركسية اللينينية لا تعترف بوجود أي قوى فوق الطبيعة ولا أي خالق ، وأنها تحرر الإنسان مرة واحدة وإلى الأبد من الخرافات والعبودية الروحية ، أن الماركسية اللينينية تنظر إلى العالم كما هو قائم دون أن تضيف إليه مخترعات الجنة والنار . ص ١٦ (ك : أسس الماركسية اللينينية . الطبعة الإنجليزية موسكو ١٩٦٤) وقد أجمعت المصادر على أن الثورة الشيوعية في روسيا قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وأن كل زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين وفورشيلوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودي أو لهم زوجات يهودات . وقد نشرت مجلة أفريكان هبירו كبرى المجلات اليهودية في أمريكا في ١٠ سبتمبر ١٩٢٠ تقول : أن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام

جديد للعالم وأن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم
ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم ويقول موسى سنه الزعيم الإسرائيلي : أن كل يهودي
يعلم في أعماق نفسه من كان أعظم وأحرص على صداقتهم : أنه الجمهورية السوفيتية ،
ويقول لا أستطيع أن أتصور يهودياً يقوم بدور العداء للاتحاد السوفيتي ومثل هذا اليهودي
غير طبعي وتشويه لكل الحقائق . ولقد كانت روسيا السوفيتية هي أولى الدول بعد أمريكا
التي اعترفت بقيام دولة إسرائيل وقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان
كثير من زعمائهم وقد رد اليهود لروسيا الجميل بأن سلموها أسرار القنبلة الذرية التي كانت
أمريكا وحدها هي التي تعرف أسرارها بعد الحرب العالمية الثانية ، هذه القنبلة التي كانت
سبباً مباشراً لإنهاء الحرب مع اليابان بعد إلقاء اثنتين منها على المدنيين اليابانيين في هروشيما
وناجازاكي ولقد عمل أثرياء اليهودية في العالم على تمويل الثورة الفلسفية ودعمها وأن
مجلس الثورة الذي حكم روسيا بعد ثورة ١٩١٧ كان مكوناً من عشرة من الأعضاء من بينهم
سبعة من اليهود وأن لينين وستالين من أصل يهودي وقد كان ستالين متزوجاً من يهودية وأن
أربعة من أعضاء مجلس السوفيت الأعلى من اليهود وأن خورشوف ومولوتوف كلاهما متزوجين
من يهوديات وإذا أردنا أن نتعرف إلى النفوذ اليهودي في الاتحاد السوفيتي فإننا نجد أن هناك
مليون يهودي منبشرين في أوساط البحث العلمي ، ويوجد ثمانية آلاف نائب يهودي في مجلس
السوفيت الأعلى والمجالس الاتحادية ، ويوجد يهود بين الوزراء وقادة المصالح والمؤسسات
الضخمة وقد هاجر خلال السنوات (١٩٧٠ - ٨٠) إلى إسرائيل عدد كبير من العلماء والخبراء في
الثقافة العسكرية والذرة والتكنولوجيا . ويقول دكتور أحمد عوف أن لينين من مخططي
الصهيونية ومن واضعي برتوكولات حكماء صهيون وأنه حضر مؤتمر الحكماء في سويسرا وأن
الثورة الدولية ليست من طبقة البرولتاريا بل من طبقة اليهود وأن أول رئيس في دولة روسيا
زعيم اليسار العالمي كان اليهودي (كليمنيف) وتلاه الإرهابي اليهودي مضرولوف وتبعهما
اليهودي زينو قييف . وقال أن الذين يحكمون الآن ليسوا هم الروس ولكنهم حفنة من اليهود
الإرهابيين العالميين والمعروف أن جولوس روزنبرج وزوجته اتبل اليهودية المتجنسين بالجنسية
الأمريكية وهما من كبار علماء الذرة قاما بنقل أسرارها إلى روسيا لتستطيع أن تقف موقف
النند من الولايات المتحدة وقد قدما إلى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى وثبتت التهمة عليهما
وتم إعدامهما في ١٩٥٣-٧-٢٠ رغم محاولات الصهيونية العالمية لتخفيف الحكم وقد قام علماء
الذرة اليهود المتجنسين بالجنسية البريطانية بنفس الخيانة .

عملت البلشفية منذ أن سيطرت وحكمت بعد حكم القياصرة على وضع قواعد للعمل الماركسي في الساحة الإسلامية والعربية فكان مؤتمراً باكو الذي أشرف عليه اليهودي الماركسي كارل راديك (يوليو - أغسطس ١٩٢٠) الذي أطلق عليه حركة التحرر الوطني للشعوب العربية الإسلامية . وقد قاد هذا المؤتمر على خدعة كبيرة : فقد وجه نداء إلى المسلمين جاء فيه (يا شعوب الشرق : إنكم تملكون أغنى بقاع العالم وأنصبتها وأوسعها ، هذه البقاع كانت مهد الإنسانية ومستودع الغذاء لبقية الشعوب الجائعة : الاستعمار والرجعية التي تفترسكم وهي السبب في تخلفكم : بريطانيا في مصر وبلاد العرب وما بين النهرين والاستعمار البريطاني في فلسطين) وقد وقع بيان باكو مجموعة من اليهود الروس والبلغاريين والفرنسيين والهولنديين تحت زعامة زينو فيف اليهودي . وقد فشل المؤتمر لأن المسلمين في روسيا قد ثاروا لما وجدوا من عنف التحدي للعقيدة الإسلامية . وكانت هذه خدعة موجهة للعالم الإسلامي . وهناك خدعة أخرى وجهت للمسلمين في المناطق الآسيوية وكان ستالين ولينين قد أصدرنا منشوراً يطمئنان فيه الشعوب الإسلامية (١٧ ديسمبر ١٩١٧) جاء فيه : أيها المسلمون : أديانكم وعاداتكم وثقافتكم ومعاهدكم العلمية والقومية مصونة من كل اعتداء ، اعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم وعن حقوق الشعوب التي تعيش في روسيا كلها ، إننا نرفع علمنا لهذا الشعوب المتعبدة في روسيا . ولم تلبث الحكومة البلشفية أن خدعت المسلمين وأغارت عليهم ، في غدر وخسة ونذالة ففي إبريل ١٩١٨ أصدر لينين أمراً بزحف الجيوش الروسية على البلدان الإسلامية دون سابق إنذار فأخذت الدبابات تحصد المدن والقرى وتفتك بالشعب الأعزل الامن دون تمييز ولم ينته عام ١٩١٨ حتى كانت جمهوريات (إيدل أورال والقوقاز والتزكستان وقد غدت تحت حكم البولشفيك المباشر كما هاجم شبه جزيرة القرم ستون ألف مقاتل شيوعي وقد قاوم المسلمون مقاومة مستميتة وفي ١٩٢٠ أتمت موسكو احتلال شبه جزيرة القرم وفي عام ١٩٢١ هجم الروس على جمهورية بخارى وشرعو في تطبيق أنظمتهم الشيوعية فالغوا الملكيات وصادروا الأموال والثروات وألغوا التعليم الديني واضطهدوا رجال الدين والزعماء والقادة وحولوا المساجد إلى دور للهو ومكاتب للمندوبين في الحزب الشيوعي وهكذا فرضت الشيوعية بقوة السلاح نفوذها على مناطق إسلامية واسعة في القوقاز وأذربيجان وتركستان وقازان وغيرهما وما زالوا يعملون على صهر هذه المناطق ولكن أهلها عملوا ما في وسعهم على

أن يقاوموا الشيوعية إويترقبون الفرص للتحرر منهم وقد خاضت الشيوعية أعنف المعارك المجردة من كل رحمة والمنافية كل المنافاة للإنسانية ضد المسلمين المقيمين بالاتحاد السوفيتي من تعذيب يشيب لوله الولدان إلى تجويع حتى الموت ، ونفي لمئات الألوف إلى معسكرات الاعتقال بسيريا إلى إعدام بالجملة حتى تناقص عدد المسلمين من ٤٥ مليوناً في بدء الثورة الشيوعية إلى ٢٢ مليوناً في الوقت الحاضر وكان عدد مساجد المسلمين في روسيا في بدء الثورة الحمراء ١٩١٧ عشرة آلاف مسجد وعدد علماء المسلمين ٢٧ ألف عالم وقد تناقص عدد العلماء حتى وصل إلى ٤٠٠ عالم وأغلقت الحكومة السوفيتية ٨ آلاف مدرسة إسلامية . وقد بلغت ضحايا الحكم الشيوعي في المسلمين حسب المصادر السوفيتية نفسها ثمانمائة ألف ما بين ١٩١٧ - ٢٧٠ ويمكن القول أن المسلمين في القوقاز والتركستان وغيرهما من الأقاليم الإسلامية في نطاق الاتحاد السوفيتي قد قاوموا طوال خمسين عاماً حفاظاً على دينهم وثقافتهم رغم الإذلال والتعذيب وقد ظل العالم الإسلامي صامداً في وجه الزحف الماركسي ٥٨ عاماً .

(٦)

تجمع المراجع التاريخية على أن اليهود استطاعوا السيطرة على المجتمع الروسي قبل قيام الثورة الروسية وهم الذين قاوموا بتدبير تلك الثورة ثم مارسوا خططهم في بناء مجتمع ما بعد الثورة وهذا يعني إمتداد السيطرة الصهيونية على الشعب الروسي وبالرغم مما منحه القيصر اسكندر الثاني اليهود من امتيازات وعطف خاص عليهم عام ١٨٥٥ فإنهم قابلوا ذلك بالعداء والكيد له فحاول زعماء المرابين اليهود اغتياله خوفاً من استمرار عطفه على الرعايا اليهود من شعبه مما يؤدي إلى شعورهم بالولاء على حساب انتقاص ولائهم للدعوة الصهيونية وخوفاً من أن يذوب هؤلاء اليهود في المجتمع الروسي فتنتهي شخصيتهم أو يندثر كيانهم لأن هدف تخطيط زعماء اليهود كان يقضي بقاء اليهود في عزله مستمرة عن باقي الشعوب ولهذا دبوا إغتيال القيصر صاحب الإحسان إليهم بعد أن أفلحوا في تدبير زيارة خاصة يقوم بها القيصر إلى إحدى الفاتنات من بنات الهوى فاغتالوه في منزلها ١٨٨١ وكان اغتيال القيصر الاسكندر الثاني بأيدي اليهود سبباً في سرعة الانطواء اليهودي في المجتمع الروسي وكان هذا هو ما أرادته زعماء المرابين اليهودي وعندئذ تحركت مؤسسة روتشلد بالاتفاق مع الإعلام المسموم للتفريق بالوحشية وبالإجراءات التعسفية التي اضطرت الحكومة الروسية إلى اتخاذها ضد اليهود الغادرين وأرسلت مؤسسة البارون روتشلد وفداً يهودياً إلى روسيا لتقديم احتجاج للقيصر الجديد

بمناسبة عودة اليهود إلى عزلتهم وبدء التضييق عليهم. وكان ذلك بمثابة تغطية على فضيحة المؤامرة التي راح ضحيتها القيصر وقد أصدر القيصر بياناً في ١٨٨١-٤-٣ جاء فيه أن الحكومة الروسية بذلت وأعطت عنايتها باليهود منذ فترة طويلة بتقصد حل مشاكلهم إلا أنها لاحظت ما فعله اليهود من أعمال وتصرفات تخريبية في مجالات الحياة وخاصة في التجارة التي احتكروها وفي شراء واستئجار العقارات ومنذ ثم بدأ يتكثرون للعمل السرى يقصد تخريب الاقتصاد وسلب مواد البلاد. وبذلك اعتبرت مؤسسة روتشلد أن صدور هذا البيان لظمة كبرى لها ومنذ ذلك الوقت بدأ خطة العمل الصهيوني في تدمير المجتمع الروسى كله . وقد افتعلوا أزمة ١٩٠٥ بين روسيا واليابان ونشطت أجهزة روسيا واليابان ونشطت أجهزة التجسس اليهودية في تعميق الخلاف بين الدولتين ونجحوا في إشاعة روح الارهاب والاعتقالات وانتقموا ممن قاموا بحركة تأمين البلاد ضد اليهود . وأصدر القيصر بياناً عن العملاء والفتنة والمؤامرة اليهودية وإلى المسئولية على عاتق زعماء المرابين اليهود باعتبارهم مسئولين مسئولية مباشرة عن كل الاعتبارات السياسية . وبدأ العداء يشتد بين اليهود والقيصر ، فاتجهوا إلى تكوين خلايا إرهابية هدفها اغتيال القصر وفي هذه المؤامرة أعدم شقيق لنين وكانت أموال المرابين اليهود تدعم الثورة الداخلية ، ، وقد نسقت الصهيونية العمل بين جبهتي الحرب (روسيا واليابان) وتولت مؤسسة روتشلد الحكومة الروسية بالقروض لتستمر في الحرب ضد اليابان وجرت تغذية حركة التذمر في الجيش القيصرى والدعوة إلى عدم كفاية القيادة القيصرية ، وتمت الخطة كلها كما رسمها المرابون اليهود مر سيت (زوتلرلد) ونشطت الدعاية الناجمة عن الهزيمة ضد القيصر وفشل حكومته . وحدثت مفاجئة لم تكن تتوقعها الصهيونية إذ قام تروتسكى بثورة مفاجئة ضد القيصر وحكومته فاضطرت الصهيونية أن ترجىء ضربتها للقيصر حتى لا يتقاسم معها تروتسكى ثمرة النصر على القيصر ، ووقفت الصهيونية مرة أخرى بجانب الحكومة وعاونتها على استرداد بطرسيرج العاصمة في ١٩٠٥-١٢-١٦ من أيدي ثوار تروتسكى . وبدأت حملة التشهير ضد القيصر وأسرته ودسوا له راسبوتين المحتال العميل وجعلوا من قصص راسبوتين مادة لإثارة الشعب بالسخط على القيصر وكان ذلك عهداً للثورة البولشفية التي قاومت في ١٧ أكتوبر ١٩١٨ في أثناء الحرب العامة كما أرادها المرابون وانتهت الحرب وروسيا بعيدة عن الاشتراك في معاهدة الصلح التي صاغ نصوصها اليهودى يعقور شف وكان بول داربورج اليهودى هو مستشار الوفد الذى اشترك في معاهدة

السلام وماركس دار بورج هو رئيس الوفد الألماني وهربرت صمويل اليهودى هو أول مندوب سائى لفلسطين ولو شبان وولف اليهودى مستشار رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) وماندل روتشلد الرئيس كلمنص وموردجيتراد اليهودى مستشار الوفد الأمريكى وتم إعداد العدة لمعاملة فرسائى ليتولى الفريق المختار من الصهيونيين لوضعها فى القالب المعد لها ، وتمت صفقة الوطن القومى لليهود وتصريح بلفور .

(٧)

ولم تلبث الشيوعية أن تسلت إلى العالم الإسلامى فى شراع خادع وعن طريق كفاح العالم الإسلامى للاستعمار الغربى والغزو الصهيونى وادعاء الاتحاد السوفيتى مناصرة حركات التحرير ومعاداتها الصهيونية والاستعمار ، وقد استطاعت روسيا الشيوعية الماركسية اللينينة أن تخفى حقيقتها وتخدع بدعواها بعض قادة المسلمين والعرب وعلت صيحة الاتحاد السوفيتى الذى ادعى كذباً وبهتاناً أنه صديق حميم للعرب وعدو لدود للاستعمار والصهيونية وقد تجاهل أو أغفل القادة عن هذه الخلفيات التاريخية الخطيرة ولم يتبينوا إلا بعد وقت طويل أن الماركسية فى أساسها دعوة صهيونية وأن كبار مؤسسيها من اليهود الذين هم أشد عداوة للإسلام وأهله . وقد نشأت الحركة الشيوعية فى العالم الإسلامى (والبلاد العربية) بتمويل اليهود وتخطيطهم ، ومن اليقين أن القنطرة التى عبرت عليها الشيوعية من بلادها فى الشمال إلى بلادنا هى الصهيونية فقد كان مروجو الشيوعية الأولى من اليهود الصهيونيين وأن الحركة الشيوعية فى مصر نشأت بتمويل الثرى الصهيونى المعروف هنرى كوريل وتوجيهاته وأنها كانت تتلقى تعليماتها من الخارج وكانت على عاطفة ولاء للوجود الصهيونى فى إسرائيل وقد كشفت من بعد أن الشيوعية فى روسيا والصهيونية فى إسرائيل قامت بتخطيط من اليهودية العالمية وتدبيرها وأن لليهود فى كل من الدولتين الكلمة العليا والشوكة النافذة . وأن العلاقة بين بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل علاقة وثيقة لأنها علاقة بين شقيقين ولدتها أم واحدة هى (الصهيونية) وهذه العلاقة يعترف بها اليهود ويفأخرون بها . ومن مؤشرات الأحداث أن الركائز الشيوعية فى البلاد العربية بدأت وأن الحزب الشيوعى شكل أولى خلاياه فى حيفا وبافا وكان من رأيه قيام دولة يهودية فى جزء من البلاد وقد حمل لواء الاستعطاف لحال الشعب اليهودى المشرد الذى عانى الاضطهاد ثم تعددت المراكز فى سوريا ومصر والعراق وغيرها وكان لها موقفها من الولاة للاستعمار ومن انحيازهم ضد حركات الاستقلال فى سوريا والجزائر

ولبنان في ولاء مع فرنسا ، وقد كان أغنياء اليهود هم مولوا هذه الخلايا والأحزاب ومنذ عام ١٩٢٠ كانت الوجهة واضحة في التخطيط والتنفيذ للشيوعية السوفياتية بمفاهيم تلمودية قائمة على الخيانة والغدر والشر والخداع والحقد الواضح للأمة الإسلامية والعروبة وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن هدف الشيوعيين العرب الأساسي هو التبعية لمخططات الاتحاد السوفيتي في المنطقة العربية والتبعية في التنفيذ لليهودية العالمية لأن الشيوعية وليدة اليهودية ولأن إقامة إسرائيل من النيل إلى الفرات هدف أساسي في الاستراتيجية الثابتة للشيوعية ترى إلى الاشتراك مع الرأسمالية الفردية في اعتصار عالم الإسلام ثروته وقوته . ولقد تبين أن جميع مؤسسي المنظمات الشيوعية في مصر والعراق وسوريا هي منظمات شيوعية روسية ومنظمات شيوعية صهيونية وأسماء معروفة (جوزيف روزنتال ، فيحدور ، ناراب ، هنري كوريل هنري كوريل صاحب بنك كوريل في مصر ، هيكمل شفادتش) وقد بلغ عدد المنظمات الشيوعية في مصر وحدها في عام ١٩٥٤ أربعة عشر منظمة وفي عام ١٩٥٦ دعا الحزب الشيوعي الإيطالي رؤساء المنظمات إلى الاتحاد فاتحدت في يناير ١٩٥٨ تحت اسم (الحزب الشيوعي المصري) . ويعزو الدارسون هذه الحركة أن ظاهرة كثرة إنشاء المنظمات الشيوعية بعد عام ١٩٤٢ أنه هو العام التي بدأت فيه الصهيونية جاهدة لاقامة دولة إسرائيل في فلسطين وقد باركت المنظمات الشيوعية قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ وكانت روسيا أول دولة اعترفت بإسرائيل ثم تبعتها أمريكا وعملت روسيا على مد الدولة الوليدة بالسلاح والعتاد والقوة البشرية بينما قامت أمريكا تمدها بالمال والتأييد الدبلوماسي وقد اتخذت هذه الحركة قراراً بقيادة هنري كوريل صاحب بنك كوريل في مصر والممول الأكبر لهذه الحركة بالدعوة إلى تقسيم فلسطين قبل قرار الأمم المتحدة يعامين ، واتحدت مع حركة ماركسية أخرى يدعمها يهودي آخر (شوارتز) ومن العجيب أن رجال هاتين الحركتين قسما زعامة فروع كثيرة في التنظيمات الرسمية التي قامت بعد عام ١٩٥٢ ويعزو الباحثين السبب في نمو البذرة الشيوعية في مصر والعراق وفلسطين والمغرب إلى أن هذه البلدان كانت مركزاً قوياً للنشاط اليهودي ، وأن قيادة الحزب الشيوعي في العراق امتدت في يد اليهود العراقيين طيلة ٢٥ عاماً ، وفي فلسطين كانت بين اليهود حتى عام التقسيم ١٩٤٨ حين انقسمت إلى الحزب الشيوعي اليهودي والحزب الشيوعي العربي ومع ذلك ظلت قيادة الحزب الشيوعي العربي بين اليهود الذين أتت بهم إسرائيل من الدولة الغربية من أمثال جوزيف بيرعز الذي لعب دوراً رئيسياً في تشكيل فروع الحزب في سوريا ولبنان

ولقد كانت الشيوعية في تقدير اليهود عاملاً هاماً في تفتيت الوحدات القومية وزرع بذور الشقاق والعداء في المجتمعات المتمايزة وقد أدركت إسرائيل أنها لتضمن بقاءها لابد من أضعاف الكراهية التي يروج بها البحر العربي وامتصاصها وتحويلها إلى حب وولاء للدولة الإسرائيلية . وفي مدى عشرين عاماً نجحت التنظيمات الشيوعية في أداء واجبها تجاه إسرائيل وبدأت الأحزاب اليسارية في العالم العربي تتجاوب لهذه الدعوى وأصبح محمود درويش هو صلة الوصل بين الحزب الشيوعي العربي الإسرائيلي وبين الأحزاب العربية اليسارية وصرح جورج حبش أكثر من مرة أنه على اتصال دائم بالحركات التقدمية في إسرائيل ومن أمثلة التعاون بين الحزب الشيوعي العربي الإسرائيلي ما وقع في عدوان ٥٦ وعدوان ١٩٦٧ وقد كان معين بسيسو (الحزب الشيوعي العربي الإسرائيلي) وزملائه طابوراً خامساً يساعد إسرائيل على الكشف عن الوطنيين وذوى الاتجاه الإسلامي في قطاع غزة لاعتقالهم . وتتشابه استراتيجية العمل الحزبي للمنظمات الشيوعية إلى حد كبير باستراتيجية الحزب السوري القومي فكلاهما يلتقي على تمزيق المنطقة العربية إلى عدة مناطق : سوريا والجزيرة العربية ووادي النيل وشمال أفريقيا والثابت تماماً من الدراسة الدقيقة أن الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي قد حققت عادة أهداف : أولاً : تقويض الاستقرار الإقتصادي والسياسي والإجتماعي . ثانياً : خلق جو من عدم الثقة بين العرب أنفسهم لمنع أي تكتل باسم العروبة أو باسم الإسلام والتركيز في الدعاية على الخطر الصهيوني . ثالثاً : إذكاء العداء بين الشوب العربية وحكومتها . رابعاً : اظهار الاتحاد السوفيتي بمظهر الحليف للعرب كذلك فان خطة تعاون فلول حزب البعث مع الأحزاب الشيوعية واضحة لا تحتاج إلى بيان وقد صدرت قرارات كثيرة تكشف عن هذا الالتقاء وكذلك هناك مواقف واضحة في هذا الاتجاه لحركة القوميين العرب. وقد أصبحت هناك عملية مزج جديدة بين فرق ستالينية ولينة وتروتسكية وخروتشوفية ، وهناك كثيرون ممن بدأوا حياتهم وطنيين انتهوا ماركسيين وظهرت أسماء جيفارا وهوشي منه ولينين وجيباب وغيرها في أفق عربي ومسلم كان أولاه أن يغترب بخالد وسعد وصلاح الدين . وكانت الروابط التي قامت بين البعث والناصرية والشيوعية هي مصدر أساسي لهذه الموجات العاصفة التي تحطمت على إطاراتها. كل مفاهيم القومية والإقليمية واليسار والماركسية والشيوعية وتبين فساد الأنظمة وعماالتها وعجزها في الوقت الطويل عن تحقيق أي شيء للعرب والإسلام وقد صاحب هذا تلك المقاومة الخطيرة التي حجبت الفكرة الإسلامية ومنعتها عن أن تكون عامل تصحيح

للأخطاء والأخطار التي تعرضت لها البلاد العربية بين نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ بل أن هذا الاضطراب كان من شد العوامل في الأزمات التي قاساها العرب في مواجهة الاستعمار والصهيونية والماركسية والتي قادتهم إلى هزيمة سقوط القدس والجولان وصحراء سيناء ومن ثم ضاع الوطن الفلسطيني صياغاً تاماً . فلقد كان من أكبر أهداف المنظمات الشيوعية التي وجدت فرصتها كاملة في هذه الفترة ضرب الإسلام وزلزلة عقيدته في نفوس أبنائه والهجوم الإلحادي الخطير الذي جرى شنه على الإسلام وعلى الأديان بصفة عامة ، وفي هذه الفترة ظهر العديد من الأبحاث والكتب والكراسات الزرقاء المليئة بالشبهات والسموم وقد تحقق بعض النجاح في تضليل عدد من أبناء العالم الإسلامي واستغلوا الظروف القائمة حيث كانت الدول الإسلامية واقعة في قبضة الاستعمار الغربي . بدعوى أنهم أعداء الاستعمار كما أدعوا من بعد أنهم أعداء الصهيونية . وقد كان للاستعمار الغربي دوره الخطير وتبعته البالغة في إفساح المجال للتسلل الشيوعي خلال الحرب العالمية الثانية عندما تآمرت دول الغرب مع الدول الشيوعية في القضاء على ألمانيا النازية وقد وصف عبد الحميد عبد الغنى هذه الفترة فقال : كانت الحركة الشيوعية نشيطة ومتفشية ولها عون كبير في الخارج فقد كان عدد من محزبيها في مصر متعاونين مع الحركة الصهيونية وكان من أهمهم بل من قادتهم إثنان من اليهود هم هنري كوريل وميل شوارتز وفي الوقت نفسه كان هناك جهاز شيوعي دولي كبير هو الكومنفورم يغذى الأحزاب والحركات الشيوعية ويمدها بالمعونة المادية والدعائية فنشطت الحركات الشيوعية فكان حزب توده الشيوعي في إيران ولم تكن الحركة الشيوعية في مصر كبيرة من ناحية أعضائها وأنصارها ثم جاءت فرصتهم الأوسع في الستينات ولكن سرعان ما انكشفت أمرهم في نكسة حزيران ١٩٦٧ . بعد أن مارسوا عدة مؤامرات للاستيلاء على مقدرات الدول التي إطمأنت لهم وارتبطت بهم ارتباطاً وثيقاً ، فقد ربط اقتصاد هذه البلاد بخطتهم الرامية إلى الاستيلاء على المواد الخام ومنافسة الغرب في إحتكاره لها في محاولة للعمل شبيهة بما فعلوا بدول شرق أوروبا التي ساعدهم موقعها الجغرافي على التحكم فيها وضرب كل محاولات التمرد على سلطانهم فيها بمنتهى العنف والقسوة . كانت محاولاتهم الخطيرة هي ربط عجلة الإنتاج في بعض البلاد العربية بعجلة الاقتصاد الشيوعي حتى يتمكنوا من إملاء شروطهم في يسر وسهولة . وقد كانت هذه الفرصة عاملاً هاماً في توسع التنظيم الشيوعي في البلاد العربية واستطاعت الصحف والمسرحيات والمؤلفات وأدوات الإعلام كلها وقد حملت الفكر الماركسي المسموم في مختلف

مفاهيمه المتعارضة مع الدين والأخلاق. أن تفرض مفهوماً اجتماعياً سياسياً واقتصادياً وتربوياً معارضاً لمفهوم الإسلام الأصيل . وكان من أخطر مظاهر هذه الحملة تلك المؤلفات التي جمعوا فيها شتى المفتريات التي سبقهم إليها الزنادقة والمستشرقون من أعداء الإسلام ولفقوا في هذه الكتب ركام الفلسفات الباطنية والوثنية والمادية والمجوسية القديمة . ولقد كان للكراسة الرمارية التي نشرت في البلاد العربية وهوجمت فيها الأديان عامه والإسلام خاصة ونخص القرآن بقدر أكبر من الهجوم ثم جاء الكتاب الذي ألفه معي الدينوف وزعم فيه مزاعم عن القرآن والإسلام وسارعت وكالة نفوسى الناطقة بلسانهم إلى نفي صدور هذا الكتاب عن طريقهم وقد استهدف نشر هذا الكتاب القيام بعملية اختبار للحس الإسلامى لدى جماهير المسلمين وضرب الإسلام في نفوس أبنائه ومحاولة إثارة موجة جديدة من الجدل والبلبله . وتعتمد هذه المؤلفات المسمومة على الإدعاء بأن الأديان خرافات وأساطير وافيون شعوب وأنها تؤيد الطبقات وتعمل لمصلحة طوائف تبرر الفسوة والإدعاء بأن رب الإسلام من آلهة العرب القدماء وينتظم هذه المؤلفات أسلوب السباب العنيف بالرغم من دعوى العلمية والمنهجية وقد تبين أن أحداً من الكتاب المدعين لم يرجع إلى أى كتب من كتب الإسلام المعتمدة وليس ثمة مصدر استقى منه معلوماته غير الأقلام الشيوعية والصليبية وقد اعتمد آراء الزنادقة أمثال بشار بن برد والراوندى وفيه بتر للنصوص وقد تبعت هذه الحملة محاولة أقلام عربية أمثال عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عباس صالح فقد حاول الشرقاوى أن يثبت أن الإسلام دين الفقراء وحدهم وأنه جاء ليحارب البرجوازية العربية وعمد أحمد عباس صالح إلى اثبات أن الإسلام يسارى النزعة لأنه دين الفقراء والبرتولوتاريا الكادحة وقد جرب محاولات كثيرة احتواء الفكر الإسلامى قام بها جارودى وردنسون بمؤلفاتهما عن الإسلام . وقد أشار كثيرون إلى هذه الظاهرة الخطيرة : ظاهرة تمكين روسيا من دخول البلاد العربية فقالوا أن انجلترا هى التى عملت على إخراج روسيا من عزلتها حين أدخلتها إلى الشرق الأوسط في الحرب العالمية الثانية وفتحت أمامها الأبواب . لقد نفذت روسيا إلى الشرق لارتباطها مع الحلفاء في الحرب الماضية واستفادت من الحرب الكبرى أن استغلت الدول المتحالفة في الدعوة لها والإشارة بمبادئها وجيشها وزعمائها وتغلغل الروس تحت هذا الستار إلى كل مكان في الشرق الأوسط ونشط وكلاء السوفييت وخرجوا عن عزلتهم وأعلنت روسيا حمايتها للكنيسة الكاثوليكية وأرسلت بعثة من عملائها إلى الأراضى الحجازية وأعلنوا أن في روسيا ثلاثين مليوناً من المسلمين

يعيشون في سلام وأمان في الوقت الذي يعلن فيه دعاة الشيوعية احتقارهم للأديان ويذيقون المسلمين في الجمهوريات السوفيتية أشد ألوان العذاب والإذلال وقد وضح من اتفاقية سرية اتفاق الشيوعية والصهيونية على العمل معاً في الشرق وكان من مصالح روسيا الوصول إلى البحر المتوسط والبحار الدافئة وقد حاربت روسيا الكاثوليكية الأرثوذكسية ورجالها ثم عادت إلى التفاهم معها على العمل لحساب الشيوعية في البلاد العربية وهكذا نجد أن هناك محاولة شيوعية خطيرة تتبنى نفس أخطار الاستشراق الغربي والصهيوني في محاولة الإجهاد على العالم الإسلامي. وهي محاولات لتجديد الحوار العقائدي في نفس الوقت الذي تظن القوى الشيوعية أنها أصبحت قادرة في السيطرة على منظمات للشباب والتنظيمات الطليعية وأنها تسوقها إلى الماركسية والنظرية المادية والإلحاد وأن جماعات كبيرة من الشباب قد أوشكت أن تسقط في المصيدة . وفي نفس الوقت كانت محاولات الشيوعية في ضرب التنظيمات الإسلامية وحركة اليقظة بل أن الشيوعيين المسئولين كانوا في لقاءاتهم مع المصريين يتحدثون عن الدين ويطلبون بالتخلي عنه وكان رجالهم في اجتماعات رسمية مشتركة يتناولون موضوع الدين من الزاوية الخطأ ويعتبرونه عقبة في سبيل التقدم وأنه يجب على المصريين حسم موقعهم من الدين كشرط للحاق بالعصر ولاستيعاب روحه يقول أحد المتصلين بتلك المحادثات « وكان مبعث دهشتي أن رجلاً مثل بونافروف يعرف المصريين جيداً ويعرف مدى تأثير الدين على حياتهم هو الذي يقول هذا الكلام وبعد أعوام طويلة من توطد الصداقة العربية السوفيتية وقال خرشوف : لقد مضى زمن القوميات في هذا العصر ليس ثمة صراع الطبقات : طبقات الأغنياء والفقراء وقد عجز السوفيت عن فهم الخطوط العامة لفكر المسلمين والعرب وأن كثيراً من وثائقهم كشفت عن معارضة تامة للمفاهيم السياسية العربية عن الوحدة العربية وقضية فلسطين ووجود الأمة العربية وقد جرت في هذه الفترة محاولات خطيرة للسيطرة على الصحافة والأعلام لادخال نظريات الشيوعية والصهيونية إلى الفكر العربي وكتب كثيرون من عملاء التقدميين في الصحف والكتب محاولين إيجاد هيئات وأنصار وأعوان وسمح الاستعمار للآراء الشيوعية الصهيونية بالنفاذ إلى المجتمع العربي منذ عقد الأربعينات لأنه كان يطمح أن تحطم الشخصية العربية وتبطل الفكر الإسلامي ويتمزق وتنسلخ أهدافه ويتحول اتجاهه .

وفي أوائل عام ١٩٦٥ - كما يرى الأستاذ لمي الطيبي أصدرت التنظيمات الشيوعية في مصر بياناً أعلنت فيه حل منظماتهم والانضمام إلى التنظيم الرسمي ، وفي المقابل تم الإفراج عن

جميع المسجونين والمعتقلين الشيوعيين وصدر العفو الشامل عن جميع العقوبات ضد الشيوعيين وفوجيء المجتمع بالقيادة السياسية تفرض الماركسيين في جميع المجالات الهامة وخاصة أمانة الدعوة والفكر والأمانة السياسية للإتحاد الاشتراكي ومعهد الدراسات الاشتراكية ورئاسة مجالس إدارات مؤسسات الكتاب والمسرح والسينما والمؤسسات الصحفية ونقابات الصحفيين والمحامين والنقابات العمالية واللجنة المركزية والبرامج الإذاعية خاصة صوت العرب والتلفزيون والسيطرة تحريرياً على أخبار اليوم ودار الهلال وروز اليوسف وصفحات الرأي والفكر في الجمهورية والمساء والأهرام فضلاً عن ثلاثة دور نشر أصبحت ملكيتها خاصة للماركسيين ومبالغ طائلة رصدتها الدولة ووضعت تحت تصرفهم بدعوى الإنفاق منها على أوجه النشاط والسياسي وغمرت الكتب والصحف والمجلات والطبوعات والأفلام الماركسية السوق على الأرصفة وقال لمعي المطيعي إن وراء هذا العرض من أعلى والسيطرة الماركسية على كثير من المجالات ولترويج لأعمال العناصر الماركسية والصمت الكامل إزاء أعمال الآخرين أحسن المثقفون الآخرون بالاختناق وبدأ الأمر كان السلطة والماركسيين كوجهي عملة واحدة . وحدثت ردود فعل في الاتحاد الاشتراكي وبين رجال الدين وفي الجمعيات الأدبية وجاءت محاولات تهدئة وكتبت روز اليوسف أن الشيوعيين قد حلو تنظمتهم وأنهم سيعملون كأفراد . وكتب محمد عودة في الجمهورية يقول أن الشيوعية ، لم تطبق بعد في الاتحاد السوفيتي فلا محل للخوف من الشيوعية وكتب أحمد بهاء الدين مقاله المشهور في المصور : (٦٠٠ شيوعي أمام ٦٠٠ ألف رجعي) وكتب محمد حسين هيكلي يناشد المجتمع أن يقبل الأوضاع الجديدة بالنسبة للشيوعيين وأن يفسح لهم مكاناً دون حساسية ، ولم يلبث الزمن أن تقدم قليلاً حتى أعلنت الجهات الرسمية بأن الشيوعيين لهم منظمات ماركسية سرية منها واحد موال للسوفيت والثاني إلى جانب الصين والثالث للتروتسكيين . ويعتبر المراقبون أن هناك علاقة وثيقة بين حرب العرب مع إسرائيل في يونيو ١٩٦٧ وقيام ما يسمى باليسار العربي بحمل كلمات براءة يسميها التقدمية وانتقال الملكية كلها للدولة خطوة خطوة وعبادة الفرد ، وقد أعلن اليسار العربي أنه يحترف الماركسية اللينينية ويأخذ بوجهه نظر لينين في التطبيق السياسي لها وهو الأخذ بنظام الحزب الواحد وهو الحزب الشيوعي وأن التطبيق الاشتراكي عند اللينين هو مبدأ المراحل في التطبيق ويؤثر اليسار العربي في حكمه أن يبتدىء في الوقت الحاضر بالغاء الملكية الفردية ويتخذ ما يسميه اقتصاد الدولة طريقاً لتدعيم حكمه فإذا اجتمع الاقتصاد القومي في يد وأمسك برقابة الحزب الواحد لأجهزة الحكم ووسائل الإعلام في اليد الأخرى ضمن

سيادته من جانب وخضوع الآخرين ومن يراجع تجربة الاتحاد السوفيتي يجد أن اقتصاد الدولة بعد مرور التجربة الاشتراكية الطويلة لم يستطع أن يبرهن على أنه أفضل من الاقتصاد الحر ولكن الإبقاء عليه كان بهدف اتخاذه وسيلة فعالة وعميقة في إخضاع أفراد المجتمع للدولة والحزب ، والمادية الماركسية تختلف في هذا عن كل الاتجاهات المادية كلها إذ تقف عند الاقتصاد وحده وتجعله الإله والخالق والرازق للأفراد والمجتمعات على السواء وتنقل عبادة الله وما له من صفات الكمال إلى الاقتصاد القومي في المجتمع وتملك الدولة الرأس المال ليس نقلاً للملكية الأفراد وحدها إليها فحسب وإنما مع ذلك أيضاً نقل لعباده الأفراد إليها ولذا فإن الدولة في النظام الماركسي هي المعبود الذي يتجه إليه الأفراد في العمل وفي الرزق والذي يجب أن يطاع ولا يعصى له أمر . إن نقل الملكية الخاصة وتحويلها إلى ملكية عامة للدولة يؤذن بتحويل معنى لعبادة الأفراد من الله جل جلاله إلى الدولة التي لها الملك كله الآن والتي هي صاحبة العمل وصاحبة العطاء في هذا النظام في الوقت نفسه والحزب السياسي الوحيد يضيق على نفسه الآن من قداسة الدولة وأعضاؤه عندئذ أشبه بالكهان في نظام السلطة الدينية على عهد الوثنية المادية الملكية التي استطاعت أن تحمل الملكيين على عبادة ما لا يزيد على عبادة الأصنام ، وكذلك فإن عدم التصريح بإنكار الله وإنكار دينه الآن ليس إلا مرحلة في تطبيق الماركسية فاحتراف اليسار العربي بالماركسية أو بالمادية التاريخية هو ترويج منه على الأقل للاتجاه المادي القائم على إنكار الله واليوم الآخر وعلى التزام تحريم ما حرم الله ورسوله في السلوك والمعاملات وهم بذلك يساوون خصائص أصحاب الشمال في القرآن . وكذلك فقد فسر اليسار التقدمية بأنها التمسك بالقيم المادية وهجر القيم الروحية والإنسانية والفكرية أو عدم الاعتداد بها وأنه لا يكون تقدماً حقاً إلا إذا عادت الإنسانية إلى معنى المادية والحيوانية إذ أن أفراد الحيوان هم وحدهم الذين لا يربطهم إلا الرباط المادي .

(٨)

لم تقف حركة اليقظة الإسلامية موقف الجمود إزاء هذا التيار الخطير بالرغم من تكبيها وتضييق السبيل عليها في مختلف مجالات الصحافة والأعلام والكتابة والكلمة المسموعة فقد عملت على كشف زيف هذه المحاولة الخطيرة وواجهت الفكر الماركسي مواجهة صريحة قوية وأبانت أبعاد المؤامرة وحلفائها ولم تقف بذلك مع الفكر الليبرالي بل أعلنت طابع الإسلام الجامع الذي يرى أن كلا التجربتين: الليبرالية والماركسية قد كشفتنا عن فسادهما

وعجزهما عن التقبل في أفق الفكر الإسلامي ، لقد كشفت حركة اليقظة عن تلك العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية وكان الملك فيصل بن عبد العزيز من أوائل المفكرين المسلمين الذين كشفوا الحقيقة ، كما أبان عن أن الشيوعية ما هي إلا أفكار صهيونية كانت موجودة من قبل كارل ماركس بوقت طويل وأن كل ما فعله ماركس هو أنه جمع هذه الأفكار وجعل لها ثلاث قواعد في وقت انهيار الحضارة الأوروبية وزعم أنه بعيد بنائها ولكن بأسلوب روائى فهو إمعان في التخريب فقواعد الشيوعية الثلاث : (أولاً) محاربة الأديان وتفريغ الإنسان من كل عقيدة دينية واستبدالها بتعاليم وشعارات النظرية الشيوعية وهي في تركيبها اشتراكية متمرحة (ثانياً) الانسلاخ من كل انتماء وطنى ليطل الفرد عضواً في التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والألوان والأقنعة المختلفة التى تنبع من أصل واحد وتصب في ملتقى واحد (ثالثاً) مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وإلغاء الأمر الإلهى فالله سبحانه قد فضل الناس بعضهم على بعض درجات وقال وإن منكم إلا وله مقام معلوم والتفضيل له عناصر هي العلم والعمل والتقوى والعدل والإحسان وما ينفع الناس فمن أراد أن يقاوم الشيوعية فعليه بغرس العقائد والتمسك بالدين والإصلاح ، أن مجابهة الشيوعية بغير هاتين الوسيلتين إنما هو تمهيد لانتشارها واستشراؤها وغزوها النظرى والجدلى والتطبيقي . وأشار الملك فيصل فيما رواه عنه الأستاذ حامد مطاوع رئيس تحرير الندوة : أن أسلوب مقاومة الشيوعية من المعسكر الليبرالى تكشف عن أبعاد خطيرة ، لقد دخلت أمريكا فيتنام من أجل مكافحة الشيوعية ولكنه كفاح بأسلوب يهودى فهو في شكله مكافحة وفي حقيقة موضوعه ومحتواه تمهيد لانتشار الشيوعية وهذا مخطط يهودى وأشار إلى كتاب ويليام ليدرار الكاتب الأمريكى الذى صدر عام ١٦٩١ وقد نصح المؤلف قومه بأن هذه المبالغ الخرافية التى تصرف على الحرب يمكن أن تصرف على تنفيذ برامج إصلاح تخدم الإنسان وتم في القطاعات المختلفة وتخلص المنطقة من الشيوعية وقال أن السياسة الأمريكية مبنية على حسابات متشعبة ليس من بينها المصلحة الأمريكية الصحيحة وإنما المصلحة العليا للصهيونية واليهود . ومنذ وقت طويل وقبل أربعين سنة كانت صحف الإخوان المسلمين قد كشفت هذه الحقائق وقد قاد المرحوم الدكتور محمود صالح حملة ضخمة على الشيوعية والصهيونية فنشر في مجلة الإخوان ١٩٣٨-٣٠٤ مقالاً ضافياً تحت عنوان (الشيوعية دسيصة صهيونية لخراب العالم) نقلها عن مجلة فرنسا القديمة قال فيه أن مدبرى

دفة الأمة اليهودية هم الذين أثاروا الحرب الكبرى ودبروها بالدسائس بغية جمع المليارات وتقسيم الممالك ثم محق ما ليها وقتل النبوع في غيرهم وهى التى فتحت الطريق أمام شعب الله المختار للاستيلاء على الكون كله . هؤلاء الزعماء اليهود هم الذين دبروا للبشفية الدسائس ومهدوا لها ببذل المال وأثاروها انتقاماً من الشعب الروسى . إن البلشفيك وجها وكلاءهم وبثوا عيونهم بدورهم على سائر الوزارات الأوربية والأمريكية وكانت خطتهم تتركز فى قولهم « يجب علينا أن نحمل غير اليهود على اتباع الخطة التى أوشكت أن تنال الظفر بواسطة التأثير على الرأى العام الذى استملناه إلينا بسلطتنا السرية الواسعة على الصحافة وجملة القول أن الشيوعية هى فى صميمها حركة صهيونية يهودية واسعة . وكتب فؤاد كرم الكاتب اللبنانى عن علاقة ماركس بالصهيونية ، وعن الدور الذى قامت به الصهيونية فى دعم لينين حتى نجح فى اغتصاب السلطة مقابل تعهده بالعمل على إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين ، وكيف أوفدت موسكو شيوعيين من اليهود إلى فلسطين حيث أنشأوا أول حزب شيوعى فى المنطقة العربية ثم طاف عدد آخر من الشيوعيين اليهود بعض العواصم العربية وشكلوا فيها أحزاباً شيوعية فى محاولة لبشفة العالم العربى والإسلامى وقال فؤاد كرم : أن الاتحاد السوفيتى الذى أوجد (إسرائيل) لا يعقل أن يتخلى عنها فالغالبية الساحقة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين قدموا من الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية وتم تدريبهم بإشراف ضباط سوفيت وقتلوا العرب بأسلحة شيوعية قدمتها إليهم تشكوسلوفاكيا ودول شيوعية أخرى وما زالت الهجرة اليهودية السوفياتية مستمرة حتى اليوم فى محاولة لدعم قوة إسرائيل البشرية ولن تعجب إذا علمت أن معظم المهاجرين - علماء ومفكرون ومحاربون - أى أن إسرائيل تستخدمهم لرفع قدرتها العسكرية . وقال أن موسكو لا توافق أبداً على التعرض لكيان دولة إسرائيل . بعد أن استدرجت العرب إلى هزيمة ١٩٦٧ لكى ترغمهم على الاعتراف يحدود دولية لإسرائيل . وأشار إلى أن الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى صدر عن الأمم المتحدة قد تنكرت له الأنظمة الشيوعية ولم تطبق أياً من موارده حتى الآن فى جميع المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية وبالنسبة إلى الحريات على اختلافها فالإنسان هناك عبد رق لا ينطق إلا بما تحشو به أجهزة الحرب الشيوعى الحاكم فمه من ترهات وأوهام وكشف فؤاد كرم عن أن الازدهار الذى حلم به ماركس ولينين لا يزال حلماً يداعب مخيلات الشيوعية وأن العقيدة الشيوعية أخفقت بعد ٥٤ سنة من التطبيق فى توفير الحد الأدنى من الضروريات حتى عجزت عن تأمين لقمة العيش لهم بعد ما أصيب الاتحاد السوفيتى بخطط خطيرة أكرهه على استجداء القمح

(الامبريالى) من أمريكا واستراليا وكندا ودول رأسمالية أخرى قامت الشيوعية لهدم أنظمتها واضطرت السلطات السوفيتية لأن تباع كميات من الماس والبلاطين والذهب والفضة المخزونة لديها بلغت قيمتها فى عام ١٩٧٢ حوالى ٨٥٠ مليون دولار لكى تسدد بها ثمن القمح الأمريكى وأشار إلى أن معدل إنتاج الحنطة فى الصين الشيوعية يتضاءل اليوم عما كان عليه قبل سبع عشر سنة نتيجة لعقم الأساليب الشيوعية مما أدى إلى استيراد كميات من القمح من الولايات المتحدة وكندا وهذا نجد أن القمح الامبريالى هو الذى أنقذ الأنظمة الشيوعية من الدمار وما زال العامل الشيوعى يتقاضى أدنى أجر فى العالم ويعيش على الكفاف ويأوى إلى أكواخ أو يتقاسم غرفة واحدة مع أكثر من عائلة . وكتب نقولا حداد فى الرسالة ١٩٤٨ مجموعة من المقالات كشف فيها كثيراً عما أسماه (اليهودية للشيوعية) قال فيها : إن على العرب أن يعلموا أن الصهيونية أخت الشيوعية بل أمها لأن اليهود الذين قبلوا الحكم للقيصرى كانوا كلهم يهودا ما عدا لينين ولما أنشأوا دولة البلشفية جحدوا الدين وطادوا الأكليروس والنصارى واليهود والمسلمين من كنائسهم وجوامعهم وصاروا يدينون بدين كارل ماركس . وبقي اليهود يتحينون تلك الفرصة لكى يملكوا روسيا بصفة كونها اشتراكية ولكن ستالين فطن لمؤامرتهم التى كانوا يدبرونها لكى يقبلوا سلطته فأباد كثيراً منهم ومن يعرفهم فلعل جروميكو فشنكى منهم ، وقال أن اليهود يتلونون كل لون يكون اليهودى رأسمالياً تارة واشتراكياً تارة واستقراطياً وديمقراطياً ونصرانياً ومسلماً وسيرى ستالين أو خلف ستالين أن الشيوعية صارت فى قبضة الصهيونية .

(٩)

كذلك فقد كشف الباحثون عن مخططات خطيرة للدعاية الشيوعية فى دول العالم الإسلامى . تقوم على استراتيجية دقيقة فى الدعاية وتتطور وتبديل بين آن وأن لامتلائم مع ظروف المجتمعات ، ولكنها تقوم فى أصولها ومضامينها على نفس المقومات التى سمها ماركس ولينين وتأخذ طريقها عن طريق الصحيفة والكتاب والمنشور والكلمة وتدور المضامين كلها حول الفردوس المزعوم أو الشيوعية . يقول الدكتور إبراهيم دسوقى أبابطة : أن السنوات العشر ١٩٧٥-١٩٦٥ قد سجلت توسعاً هائلاً فى الوسائل وتجديداً متزايداً فى المضامين حتى أغرقت أسواق العالم بنظرياتهم وبلغاً الشيوعيون فى ذلك إلى شراء ذمم أصحاب الصحف وكتابتها أو خداع القائمين عليها باستغلال ظروفهم الخاصة وقد اتسع هذا النفوذ حتى شمل الآن.

حوالى ستون فى المائة من إنتاج الكتب و٥٥ فى المائة من إنتاج المجلات وخاصة المجلات ذات الصيغة العلمية و٤٤ فى المائة من إنتاج الصحف ولا ريب أن محصلة هذه السيطرة المتزايدة على وسائل الأعلام وأجهزته تبدو فى الحصار الذى ضرب على كل فكر ورأى لا يتفق مع الخط الماركسى. والترحيب بكل رأى يحمل طابع الهدم ولو لم يكن ماركسياً لأنه يتفق والخط الماركسى العام الذى يستهدف أولاً تحطيم ما هو قائم وكل رأى يستخدم قوالب التحليل الماركسى تفسح له المجال حتى ولو لم يكن صاحبه ماركسياً لأن فيه دعاية وتقديرًا لأدوات التحليل الماركسى ، أما الأفكار التى تحاول تنفيذ النظرية الماركسية أو التى تطرح قيماً جديدة أو تولى من شأن مذاهب دينية قائمة فلا يمكن أن تجد سوى المحاربة والتضييق . وأبرز مضامين الأعلام الشيوعى فى البلاد الإسلامية : (أولاً) : الحياد المضطن بالنسبة للدين ، وقد حدث تحول ظاهرى خادع فبعد أن كانت الأديان فى الدعوة الماركسية أفيون الشعوب أصبح يقال الآن أنه لا تعارض بين الشيوعية والإسلام بدعوى أن كلاهما يسعى إلى هدف واحد ، أو الإدعاء بأن الإسلام ثورى . . (ثانياً) محاولة تحييد الدين الإسلامى بإبعاده عن دائرة المقاومة للغزو الماركسى وخاصة بعد أن انتكس هذا الغزو مؤخراً فى العديد من الأقطار الإسلامية . (ثالثاً) اتجاه الإعلام الشيوعى إلى هدم القيم الإسلامية ، حيث تلمح كتابات الشيوعية بخواء هذه القيم وعدم تلاؤمها مع روح العصر ومتطلباته . (رابعاً) التشهير بالتعاليم الإسلامية وإفراغها فى مدلولاتها الحقيقية . (خامساً) التبسيط الساذج لمشاكل العالم الثالث بطرحها فى قوالب ماركسية توحى للملاحظ العادى بسلامتها وصدقها . (سادساً) تقديم السموم الاشتراكية فى أشكال براءة تستأثر بالعواطف وتطرح الحلول فى قوالب جاهزة تفرض على العقل المادى سلطانها . وقدركب الشيوعيون كل تيار يودى إلى خدمة أغراضهم ، حتى ولو كان مصادماً لجوهرها ، فركبوا تيار القومية وأداروه لحسابهم وركبوا تيار الاشتراكية غير العلمية وسخروها لأهدافهم ، وتعاطفوا مع الأقليات الانفصالية . (سابعاً) المحاولات التى بذلها رواد الاعلام الشيوعى بقصد الحيلولة دون تعرف إنسان العالم المتخلف بحقيقة الدعوة الشيوعية وقطع الطرق وسد المنافذ حتى لا يصل إلى حقيقة التجارب الشيوعية فى بعض هذه الدول وتستهدف كل هذه المخططات تلويب الفكر الإسلامى فى بوتقة الشيوعية اليهودية مما يستدعى اليقظة والتصدى والكشف عن زيفها . وهناك محاولة خادعة ترمى إلى الحديث عما يسمونه نقط الالتقاء بين الإسلام والماركسية بدعوى أنهما محاولتين لتحقيق مثل أعلى اجتماعى وفى هذا ما فيه من التضليل والفساد من أكثر من طريق ، ذلك أنه لا سبيل إلى عقد

المقارنة بين الشيوعية والإسلام أساساً . ولا يمكن أن توصف الشيوعية بأنها تستهدف تحقيق مثل أعلى تقترب فيه من الإسلام فالخلفية الشيوعية (الماركسية اللينينية) معروفة سلفاً وقد تكشفت خطوطها الأساسية من اتصالها بعوامل الهدم وبامبراطورية الربا وبتدمير المجتمعات والسيطرة عليها . والمعروف أن هناك محاولات متعددة للخداع والتمويه تحاول استقطاب المسلمين والعرب تحت أسماء براقة وكلمات لامعة وخادعة كالتقدمية والتنمية والعصرية وغيرها والإدعاء بأن الشيوعية هي الفردوس الأرضي وقد تبين فساد التجربة كما تبين تبعية العاملين في هذا المجال تبعية لا وجه فيها للوطنية أو الإيمان بالقيم الأساسية لهذه الأمة وقد أحصى الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة : منشورات الشيوعيين في العالم كله وأشار إلى أنها تحمل المركز الأول في إنتاج الكتاب (٣٧ مليون كتاب يومياً أى ما يوازي ربع إنتاج العالم) - بما يساوي ٢٥٠٠ نسخة في الدقيقة وأن مؤلفات لينين تحتل المكان الأول . بلغ مجموع نسخها ٣٣٠ مليون نسخة صدرت بحوالي ٩٨ لغة من لغات شعوب السوفييت إلى عشرات الملايين من الترجمات باللغات الحية . وهناك بناء على هذا إقرار جامع بأن الأعلام الشيوعي أصبح قوة مؤثرة في صنع الفكر وتوجيه الحركة الثقافية في العالم ، وأن لهذا الإنتاج (بالإضافة إلى الأفلام السينمائية والإذاعات) فعالية واسعة في صناعة العقول والسيطرة عليها في مواجهة فراغ واسع في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي من كل مناعة فكرية مجردة من كل سلاح عقائدى . وقد حاول دعاة الماركسية تقديم هذه النظرية على أنها مرادف للتقدم ومقابل للتجديد وأن ما عداها من آراء ونظريات هي محاولة للرجوع إلى الماضى ، مع أن النظرية قد تمزقت وسادها الفساد وأغراها التخلف . ومن أضاليلهم القول بحتمية الحل الاشتراكي وسد المنافذ على كل حل آخر يستهدف الخروج من التخلف مع أن هناك حلولاً كثيرة للخروج من التخلف ، وهم يستهدفون من هذه الصيحات المتلاحقة تجسيد الفكر عند الماركسية وحجبه عن أبعاد الرؤية للممكنات البديلة وهم يذهبون في هذا وراء فرضيات ثبت فسادها كالجدلوية والاتجاه الواحد للتاريخ والحتمية التاريخية . وأبلغ حملاتهم موجهة إلى الإسلام باعتباره الصخرة الكبرى التي ترتد عنها رؤوسهم دون أن تنال شيئاً ، وهم يلتفون حول الدين بالقول بعدم التعارض بين الدين والماركسية أو أن الرسول كان أعظم الثوريين الاجتماعيين وكل هذه محاولات مبذلة وسيظل الإسلام قادراً على تزييف هذه المطروحات الفاسدة .

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة مجموعة من الدراسات تحاول أن تصور الدور الذي قام به الشيوعيون في مصر والبلاد العربية تصويراً زائفاً خادعاً على نحو ما كتب رفعت السعيد ، طارق العشري ، أحمد صادق سعد ، شهدى عطيه وغيرهم) . ولعل خير ما يقال رداً على هذه الإدعاءات كلها ما أعلنه القائد الشيوعي (لينين) في المؤتمر الثالث للدولة الشيوعية في موسكو وهو قوله « أن الحزب الشيوعي المصري مؤلف أساساً من الأجانب وأنه منفصل عن الطبقة العاملة المصرية وأن الأجانب الموجودين في الحزب لا يزيلون عن أهم عوامل الاستعمار ويسعون إلى تضليل العمال المصريين . (لمى المطيعي : الأخبار ١٠٤-١٩٧٦) والمعروف أن سكرتير الحزب اليهودي روزنتال كان رعية بريطانية كذلك فقد تكشف كذب الإدعاء بأن الاتحاد السوفيتي عرض على مصر أبان ثورة ١٩١٩ أن يمد سعد زغلول بالسلاح وما يقال أن سعد زغلول رفض ذلك للإيحاء بأن عروض الاتحاد السوفيتي قديمة والثابت حتى الآن أن سعد زغلول لم يرفض لسبب بسيط هو أنه لم يتلق أى عرض من السوفيت بمدحه بالسلاح أو بغير السلاح وليس هناك من سند تاريخي لهذا القول . ويؤكد لمى المطيعي : ما أجمعت عليه مصادر كثيرة صادقة من أن النشأة الحديثة للحركة الشيوعية في مصر جاءت على أيدي عدد من الأجانب واليهود : هنرى كوريل ، أرول كورنيل ما هليل شوارتز ، بول جلاكودي كومب . ووقائع الأحداث تكشف أن الشيوعيين كانوا دوماً في صف القوى المعادية لمصر والعرب وموقفهم من تأييدهم لقرار تقسيم فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة في (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) واعترافهم بإسرائيل فور اعتراف أمريكا بها يؤيد هذه الحقيقة . كذلك رفض الشيوعيون الانضمام إلى الكفاح الوطني المسلح ضد الاحتلال الانجليزي في منطقة القناة سنة ١٩٥١ ووقفوا موقف العداء أمام الحركات الوطنية والإسلامية كالحزب الوطني ومصر الفتاة والإخوان المسلمين . وقد كان الخداع دائماً والتمويه قائماً على الإنقسام تحت أهداء متعددة خادعة : الماركسيون ، واليساريون ، ، الشيوعيون ، أو تحت منظمات سرية موالية للسوفيت أو الصين أو التروتسكية . وقد استطاع الشيوعيون بالتعاون مع مراكز القوى أن يقدوا التنظيم الاشتراكي ١٩٦٠-١٩٦٦ وأن يعطوه صبغة الحزب الشيوعي الروسي وكان أخطر أعمالهم في منظمات الشباب حيث كان الموجهون السياسيون جميعاً من الشيوعيون وكانوا يلقبون بالقوة والإكراه طلبة الجامعة والفلاحين والعمال معاني كارل ماركس وأراء الفوضوى

الإشتراكي برودين والفرق بين مثالية هيجل وواقعة ماركس وانجلز . « وقد نذر الحس الشعبي من هذه المفاهيم ولكن الشيوعيون فرضوها كمسلمات فرضاً قهرياً لا رحمة فيه ولما رفض الطلاب بقبولها أدخلوا إليهم المذهب المادى الحسى بتوجيه أعلى ليكون منطلقاً إلى الماركسية. وكانت هناك دورات تدريبية فكرية في معاهد موسكو الخاصة لتخريج دعاة شيوعية في البلاد النامية (آسيا وأفريقيا) وكتب لطفى الخولى أن الشيوعية المصرية كانت حامية للحرية

(١١)

ويصور الدكتور عبد القادر حاتم تجربته العملية مع الشيوعيين في مصر خلال هذه الفترة بوصفه مسئولاً عن الأعلام فيقول : بلغ المد الماركسى عام ١٩٦٦ الحد الأقصى وكان على صبرى رجل موسكو القوى أميناً عاماً للإتحاد الإشتراكي ، وكان الشيوعيون قد عمدوا في أعقاب زيارة خروشوف للقاهرة إلى حل تنظيماتهم الحزبية وتسلبوا إلى الإتحاد الإشتراكي حتى تسلبوا إلى أجهزة الأعلام وتبوأوا مناصب حاكمة فيها كما تسلبوا إلى الصحف المصرية تسلباً وضعهم على رأس مجالس إدارتها وأن القوة التي كانت تقف وراء التغيير في أوائل الستينات وحتى نهايتها ، لم تدع مجالاً للاختيار فأما هي وشعاراتها وجماعاتها وأما الهزيمة وحتى بعد الهزيمة ١٩٦٧ ظل الأمر مرتبطاً بالاتحاد السوفيتى يستفيد من هذا الشعور فيدفع بالعناصر المؤتمرة بأمره إلى مزيد من السيطرة على أجهزة الدولة في انتظار اليوم الذى تستطيع هذه العناصر فيه القفز إلى السلطة . ويقول : المفروض أن الأعلام يقدم للمواطن المعلومات الصحيحة التي تساعد على المعرفة من جهة ومن جهة أخرى على تثبيت جذور تقاليدته وحضارته وإيمانه والعقيدة التي يعتنقها وقد تعرض الإعلام العربى الذى كان هذا الهدف أساس جهده لهجوم شديد جداً من مصادر متعددة . إلا أن أعنف هجوم تعرض الأعلام العربى له هو الهجوم الذى شنه الملحدون والشيوعيون ، فقد بدأ هؤلاء حملات رهيبة على قطاع الأعلام بالذات سعياً وراء السيطرة على أجهزة كفيلة باقناع العقول العربية وبغرض نشر العقيدة الخاصة بهم . وحدثت في حقبة محددة محاولة لتقسيم العالم العربى إلى غربى وشرقى وإلى رجعى وتقدمى إلى آخر التصنيفات التي برع الشيوعيون فيها . أما العقبة الصلبة التي كانت تعترض طريقهم إلى هدفهم فكانت تتمثل في إيمان الناس بأديانهم السماوية ولما كان مبدأهم الأساسى محاربة الأديان والعمل على محو كل أثر لها من أجهزة

الأعلام . وأن مراكز القوى أقامت وجودها في الاتصال بالمعسكر الشرقى - بشكل مريب وكانوا حريصين على منع الإذاعات الدينية العربية . ويقول : في الفترة من ١٩٦١-١٩٦٢ كان المد الإلحادى الشيوعى قد بدأ يعمق جذوره فى مصر ، ووجدت أنه لابد من إقامة محطة تخصص فى القرآن الكريم وكانت ثورتهم على كلام الله قد بلغت حداً لا يوصف ثم عملوا على إضعاف إذاعة القرآن بأن استبدلوا بموجتها القوية موجة ضعيفة ، والتقليل من برامج الدين فى الإذاعة العامة باعتبار أن الأديان وبث القيم الروحية فى الشباب قوة أساسية فى مقاومة الإلحاد ، ثم حاولوا إقفال مجلات عديدة متخصصة بالأبحاث والدراسات الدينية ثم حصلوا على تصريح من مراكز القوى بإذاعة الأفلام الشيوعية التى تحض على الصراع الطبقي ، وأقاموا تنظيماً كثيرة فى الإذاعة والتلفزيون وفى الصحافة وفى الميادين الفنية الأخرى تعتمد على المخططات المنسقة والتنظيم الدقيق والمعروف أن لينين قال عن الدعاية الماركسية أنها يجب أن تبنى أولاً على إيجاد نوع من الدعاة وثانياً على التنظيم وثالثاً على المشاغبين الذين يحركون الجماهير ويدفعون بهم إلى التظاهر أو أية أعمال إجرامية تخريبية وأساس هذه الدعاية استغلال معاناة الجماهير بمختلف الوسائل وإعداد إطارات معينة تستثمر متاعب الشعب خلال كفاحه لبناء نفسه ثم تعتمد بعد أن تتمكن من قدرتها على قيادة عمليات التخريب وطريقتهم فى العمل (فى ميادين الصحافة أو الفن أو غيره) تبدأ تنظيميته وتنتهى إحتكارية أما التسلسل الشيوعى إلى وسائل الأعلام فقد بدأ على أثر الخلاف الذى نشب بين مصر والاتحاد السوفيتى حيث دخل عدد كبير من القيادات الشيوعية السجون فى مصر وسوريا بسبب تأمرهم على الوحدة من جهة والتزامهم بمواقف غير وطنية وفى أوائل الستينات جاء خروشوف إلى القاهرة فى زيارة رسمية وكان من رأيه أن يخرج الشيوعيون من السجون وأن يلتزموا باتجاه الدولة الرسمى وخرجت القيادات الشيوعية وكان كل همهم العمل فى كل أجهزة الأعلام والثقافة فتغلغلوا فيها بدعم قوى من مراكز القوى حتى استطاعوا السيطرة التامة على هذه الأجهزة : المسرح - الإذاعة - التلفزيون - الكتاب - الصحافة - الفنون التشكيلية - الفنون الجميلة كالباليه والرقص الشعبى ، وكان الفشل حليفهم لأن الشعب كان يرفض طبيعة ممارستهم ولا سيما بعد أن ألفوا كتباً دنيئة كالكتب الجنسية والكتب اللا دينية وقد تكبدت الدولة نتيجة ذلك خسائر جسيمة فكانت الكتب تؤلف وتطبع لتودع فى المخازن وكانت المسرحيات تعرض وتحاط بدعاية كبيرة فلا يحضرها سوى عناصرهم ومع ذلك يجعلون منها مظاهرة

أدبية وفنية ضخمة . وقد عرف الناس بعد مايو ١٩٧١ التنظيمات التي كانت وراء ذلك ، كما عرفوا أن هذه التنظيمات التي أرادت لهم السيطرة على أجهزة العلم بتنفيذاً لمخططات معينة . وقد جاء تعيين الشيوعيين في مجالس إدارة الصحف بدعوى أن هؤلاء اشتراكيون وأن لا اشتراكية بلا اشتراكيين ومن جهة أخرى لا يجاهر الماركسيون بالقول : نحن نريد بنشر الفكر الشيوعي والإلحادى وإنما ينشرونه وفق مخطط مرسوم ، كان يعينون على أساس أن الاشتراكيين وحدهم هم القادرين على شرح المبادئ الاشتراكية وهم الذين ينفذون التعاليم الاشتراكية ، ولم يفلحوا في هذا المجال لأن أغلبهم أسلوباً ماركسياً معقداً يتعذر على الشعب فهمه ، بل كان الشعب يتندر بأسلوبهم الغريب في كتاباتهم ، وكانت السياسة المتبعة تفرض إعطاؤهم القلم والميكروفون وجهاز التصوير ، وكانوا يضعون السم في الدسم وبعد ذلك يعبرون عن الصورة ثم يشرحونها وفي النهاية يهدمون ويخربون ، وكانوا يركزون على الصراع الطبقي والحق على الدين باعتباره من الغيبات وأفيون الشعوب ولكي يأخذ هذا الصراع الطبقي مداه لابد أن يكون في البلاد فئتان : فئة الوطنيين الاشتراكيين وفئة الاقطاعيين والاستغلاليين . لقد رفع الاستعمار شعار فرق تسد ورفعت الشيوعية شعار الصراع الطبقي أى الصدام الدائم بين أبناء الوطن الواحد أو شعوب الأمة العربية . يقول الدكتور حاتم : بعد عودتي للأعلام ١٩٧١ اكتشفت أن عدداً كبيراً من الماركسيين العاملين في الإذاعة والتلفزيون والصحافة موجودون خارج البلاد في إحدى الدول الشيوعية ولما عادوا اخضعوا لتحقيق تبين من نتيجة أن المعاهد الاشتراكية التي أقامتها مراكز القوى هي التي أوفدتهم إلى المحاضرات وأن الدراسة التي كانوا يتلقونها كانت تتناول العقيدة الماركسية وتعاليم لينين وأسلوب مقاومة الرجعية ووسائل المقاومة وكانوا يعدون إعداداً ماركسياً لصراع طبقي داخل الدولة وبعضهم كان يندفع إلى هذه الدراسات بتأثير رؤسائهم وإرضاء لهم وربما عن غير إقتناع أما الآخرون فكانوا فعلاً في تنظيمات ماركسية . وقال : أن مراكز القوى كانت تأتي بالشباب وتنشئ لهم المعاهد المسماة اشتراكية ثم يبدأ الكلام عن العقيدة الماركسية ، حتى (الميثاق) فسر تفسيراً ماركسياً وكان التركيز الأساسي على أنه ليس في العالم سوى اشتراكية علمية واحدة هي التي تحدث ماركس عنها وعلينا أن نسير على هداها . وبعد هزيمة ١٩٦٧ أصبح الماركسيون في حالة ضياع حقيقي فاطلقوا الشعار القائل (نريد معرفة النغمة الصحيحة) قلت لهم عام ١٩٧١ أن النغمة الصحيحة هي مصر والعرب والاستعداد للمعركة واسترداد حقنا وبث الروح الوطنية الحقيقية

فى نفوس الشباب من واقع أرضه وترابه وفى سبيل بلده . وكانت اللغة العربية أحد أهداف المخطط الماركسى فقد بذل الماركسيون جهداً كبيراً لإلغاء اللغة العربية وإحلال العامية محلها على أساس أنها لغة التعبير الواقعى حتى الشعر العامودى تعرض للهجوم لمصلحة الشعر المنشور غير المفهوم ، هذا الشعر غير الواضح وغير المفهوم الذى لا غرض له غير إفساد أذواق الناس . وكانت الماركسية تسعى إلى ضرب اللغة العربية لأن اللغة هى عماد الوحدة والنظرية الماركسية تعادى الوحدة . وقال : أن التنظيمات السرية فى التلفزيون والإذاعة اشترت أقلام ١٨٠ كاتباً من كتاب البرامج فى التلفزيون وكانوا كل أسبوعين يعرضون فيلمين عن ماركس ولينين وحرب الصراع الطبقي».

(١)

فساد النظرية الماركسية

أولاً : فساد النظرية الماركسية

أطلق ماركس على نظريته إسم (الاشتراكية العلمية) لأنه اعتمد في بناء النظرية على مجموعة المفاهيم العلمية التي كانت مطروحة في أفق الفكر الغربى في هذه المرحلة التي أنشأ فيها مذهبه وقد عاش ماركس بين (١٨١٨ - ١٨٨٣) وهى الفترة التي أزهرت فيها الفلسفة المادية في أوروبا وأقامت أسسها على فرضيات العلم التجريبي التي كانت لا تزال لم ترق إلى مستوى الحقائق العملية التي لم يلبث التقدم العلمى أن جرفها وحطمها وكانت تجارب العلماء في هذه الفترة تتسم بالكراهية الشديدة للكنيسة ورجال الدين على أثر الصراع الشديد الذى وقع بين الفريقين ، وبروز بعض قوانين العلم التجريبي التي حاولت الفلسفة أن تتخذ منها أساساً لبناء قوانين للتاريخ والإجماع وللدراسات الانسانية بحسبان أن الكيان الإنشائى هو كيان مادى خالص وأن قوانين المادة صالحة للتطبيق عليه . وكان هذا أول أعمدة الأساس فى النظرية المادية التي انهارت بعد قليل حيث تبين للعلماء بوضوح أن الكيان الإنشائى هو كيان مستقل بذاته وأن قوانين التجارب المادية لا تصلح للتطبيق عليه . كذلك فإن الفرضيات التي قدمها دارون كلها بشأن العلاقة بين الإنسان والفرد لم تلبث بعد ذلك أن انهارت وثبت فسادها . كذلك فإن من أكبر الأخطار الأساسية فى نظرية ماركس أنه أقامها فى ضوء « حالة عرضية » لم تلبث أن تغيرت هى فقر العمال فى ظل بدايات التصنيع التي شهدها ماركس والتي لم تلبث أن تجاوزت كل ما وصل إليه خيال ماركس على نحو أعطى مزيداً من التآمينات والامتيازات والدرجات بحيث خالف ذلك ما كان يتطلع إليه ماركس من انقضاء العمال على أصحاب الأعمال ، كل هذا وغيره من أسس وقواعد لم تلبث أن انهارت كان له أبعد الأثر فى اهتزاز النظرية الماركسية وعجزها عن تحقيق نبوءاتها ومن هنا فقد ثبت ثبوتاً حاسماً : « أن الماركسية فلسفة مرحلة وردود فعل للرأسمالية » وكان أكبر الضربات التي وجهت إليها هى (يقين) ماركس بأن تحدث الثورة الشيوعية فى دولة متقدمة صناعياً إلى أقصى حد فكان الذى حدث أن وقعت الثورة الشيوعية فى أكثر بلاد أوروبا تحلفاً (الإتحاد السوفيتى) . ولقد كان أكبر مقاتل النظرية الماركسية هو أساسها المادى المحض الذى لم تتحقق له النظرة العميقة ذات الأبعاد الواسعة إلى عوامل أخرى مبنوية وروحية ونفسية لها أثرها فى تفسير

التاريخ وبناء المجتمعات والحضارات . ويقول الفيلسوف هكسلي : كانت الشيوعية الماركسية أكثر تنسيقاً وملائمة ولكن أساسها المادى المحض قد حد من فاعليتها فقد حاولت أن تنكر حقائق القيم الروحية وهذه القيم موجودة قائمة . لذا كان على الشيوعية أن تتقبل نتائج هذا الحظ الأيدولوجى فأقبلت فى غيظ وحنق لفتح أبواب الكنائس للجموع المتعطشة إلى الروحية التى نبذها النظام الشيوعى . وأن أخطر ما وقع فيه ماركس وانجلز هو القول بأن تاريخ المجتمع الحاضر كله هو ما إلا تاريخ النزاع بين الطبقات : فالعبيد والأحرار والداهماء ورجال الطبقة العليا والسيد والتابع والمعلم والصانع وفى الجملة كل هؤلاء وقف الواحد منهم ضد الآخرين فى حروب لا هوادة فيها « ولا ريب أن نظرية الصراع بين الطبقات ليست حقيقية تاريخية بقدر ما هى من أهواء اليهودية التلمودية ، بالإضافة إلى معارضة الدين وعداؤه والانتقاص منه وقد دفع هذا بعض الباحثين إلى القول بأن الماركسية مؤسسة على نظريات غير واقعية مخالفة لفطرة الإنسان وواقع حقائق الأشياء . يقول (بربرارا وارد) فى كتابه [خمسة أفكار تغير وجه العالم] عن الشيوعية : تمخض عنها عقل يهودى برجوازى هو كارل ماركس . بعد أن شهد المرحلة الأولى التى أعقبت الانقلاب الصناعى فى إنجلترا وما صاحبها من تضخم فى ثروات أصحاب الأعمال ومن شقاء وحرمان فى حياة العمال فسارع كارل ماركس إلى استنتاج حقيقة كبرى أقام عليها مذهبه هى أن الرقى الصناعى يستتبع حتماً شقاء العمال وتعاستهم . ونقول أنه تبين من بعد فساد هذه الحقيقة الكبرى التى هى دعامة المذهب كله . ويمكن القول بوضوح أن ماركس قد استبطن الأهداف التلمودية الصهيونية اليهودية التى كانت تسيطر على العالم وحاول أن يصنع فيها مذهباً اجتماعياً يرمى إلى إثارة العداوة والتناحر بين الطبقات والمجتمعات وخاصة وأنه قد اعتبر حتمية الجحش هو الثورة الدموية القائمة على التآمر والحقد والعداء الذى يمكن للطبقة المتآمرة الاستيلاء على السلطة . لقد كان كارل ماركس تلميذاً أصيلاً للمفاهيم التلمودية الحاكمة على البشر كلها الراغبة فى تفريغ هذا الحقد فى منهج يمكن اليهود من إقامة إمبراطورية الربا العالمية فجاءت نظرية ماركس استجابة صحيحة لكل مفاهيم التلمود التى تحتقر الأديان والبشرية وتحاول أن تفرض وجودها بالتآمر والقتل . ولذلك فقد جعلت منطلقها الصراع بين الطبقات وعلى تحريض العمال على الثورة الدموية على أصحاب رؤس الأموال . وعنده أن جرب الطبقات وعداء الطبقات هى القانون الأول من قوانين التغيير وأن دكتاتورية العمال ستسحق المجتمعات

الرأسمالية. وتقوم الصهيونية كما صورها كارل ماركس على إلغاء القيم الطبيعية التي أقامتها الفطرة الإنسانية : الملكية الخاصة ، الدين ، الأسرة ، وإلغاء الحريات الفردية ، والقضاء على الكرامة الإنسانية ، وسيادة التصفيات الدموية الرهيبة ، ولذلك فإن معارضة الفطرة لا تستطيع أن تثبت طويلاً وسرعان ما تحتاجها طبيعة الإنسان الأصيلة ، كذلك فإن القواعد التي قامت عليها الماركسية من فرضيات العلم ومن ظواهر المجتمعات والحضارات سرعان ما اجتاحتها التغيير المتصل فاحتاجت إلى الترميم والإضافة والحذف ، كذلك فإن قيام النظرية الماركسية على الميكانيكية التي تحدد قوانينها ولا تتجاوزها قد أنكرت وتجاهلت القوى الإنسانية الحية الفاعلة وكما قال رسل فإن أكبر خطأ وقع فيه ماركس هو إنكار الذكاء الإنساني كعامل من العوامل التي تسيرنا في حياتنا وأن الناس تتفاوت في هذا القدر من الذكاء . وليس أصدق في الاحتجاج بأن الزمن قد تجاوز الماركسية لأنها قامت على فروض العلم التي تغيرت من بعد ، أن أربعين عالماً شيوعياً في الاتحاد السوفيتي اجتمعوا في الستينات في شكل مجتمع علمي استهدف شرح الاسس الماركسية وقد راجع النتائج التي حققها تفتت الذرة وقرر المجتمع أنه يجب ألا يعول كثيراً على جدل المادة بعد أن تجاوز العلم وقد صدر كتاب تحت اسم (فوند منتلافه اركزم) ووصل إلى مصر وقد تم جمعه بعد توزيعه وفي الطبعة الجديدة منه رفع الفصل الخاص بعدم التركيز على جدل المادة بعد أن اعتقد الماركسيون القادة إن ذلك من شأنه أن يززع العقيدة في نفوس الأجيال الجديدة ويضرها في الصميم . وقد جاء هذا على أثر حادث خطير وقع عام ١٩٥٩ حينما تحدثت وكالات الأنباء العالمية أن رئيس معهد الكيمياء العضوية في روسيا (أوبارين) رفع تقريراً بعد ما عبر سبعة وثلاثين عاماً يبحث في أصل الحياة ومدى إمكانية إيجاد الخلية الحيوانية الأولى عن طريق تفاعل كيميائي جاء فيه : لقد تبين بما لا شك فيه أن الحياة لا يمكن أن تبدأ من الغدم وقد انهارت تماماً نظرية التفاعل الكيميائي والنوالد الذاتي التي تقول أن الإنسان لم يكن إنساناً منذ الأزل وأن الحيوانات والنباتات إنما نشأت من أصل واحد . وهذا يعني تماماً أن القواعد الأساسية التي اعتمدتها الماركسية من نظرية دارون قد سقطت والواقع أننا عندما تراجع ماركس مراجعة صحيحة ، نجد أن هناك مسبقات واضحة في فكر ماركس وهدف خفي يحاول أن يعالج الوصول إليه بدقة من خلال انتقاء بعض مواقف من التاريخ بل أن كثيراً من نقاد ماركس يرون في صراحة : أن ماركس قد كون رأيه مقدماً ثم أخذ بعد ذلك يتلمس الأسانيد والمبررات لذلك الرأي. وأن بيان ١٨٤٨

عندما صدر كان أولاً بتوجيه من فيلسوف الفكرة الصهيونية التلمودية الأول (هيس) إن لم يكن من وضعه نفسه — كذلك فإن ماركس لم يكن قد قام بتلك الدراسات التي نشرها من بعد تحت اسم (رأس المال) والتي صدر الجزء الأول منها عام ١٨٦٧ أى بعد تسعة عشر عاماً من البيان الماركسى . وبحيث يتبين بوضوح أن نظريته لم تكن وليدة بحث علمي بل كان البحث العلمي الذي قام به بهذا الصدد بمثابة دفاع أو تبرير لتلك النظرية التي اعتنقها مقدماً . ولا ريب أن هناك عدداً من القضايا التي تحتاج إلى تحليل واسع لتكشف أبعاد فساد النظرية في مقدمتها : أولاً : فكرة التفسير المادى للتاريخ وتعد فكرة التفسير المادى للتاريخ من أهم أركان المذهب الشيوعى وتؤكد النظرية الماركسية أن الإنتاج الجماعى لوسائل العيش يربط الأفراد بعلاقات جديدة ضرورية مستقلة عن إرادتهم وأن طريقة الإنتاج هي التي تحدد النشاط الاجتماعى والسياسى والعقل لحياة جماهير الناس . يقول الدكتور صلاح نامق : هنا يمكن النقص الواضح في النظرية فيفسر الوجود الإنسانى كله على أساس أحداث مادية فقط تكشف جانباً من الحقيقة وتخفى سائر جوانبها فمما لا شك فيه أن هناك قوى أخرى غير مادية تؤثر في حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية والأخلاقية ، بل لعل هذه القوى الأخيرة تأتي في المقام الأول قبل القوى المادية البحتة التي ركزت عليها نقطة التفسير المادى للتاريخ . إن للقيم الدينية والمعنوية والأخلاقية وزنها وأهميتها في المجتمع وإذا كان من الخطأ الظن بأن مجتمعا ما يمكن أن ينهض ويقوم ويتقدم على القيم الأخلاقية وحدها فمن الخطأ أيضاً الظن بأن مجتمعا يمكن أن ينهض بدونها وفي وسعنا أن يقول بأن تعاليم الأنبياء والرسل وآراء الفلاسفة والحكماء لا تعدو أن تكون نتاجاً للبيئة الاقتصادية وحدها : وإذا كان الاقتصاد وحده هو الذى يتحكم في تطور المجتمع فكيف نفسر انشار الحضارة الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها . « ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب في نظم الإنتاج أو في علاقات الإنتاج في قریش وإنما جاء ظاهرة إلهية مستقلة عن فعل البيئة ، لقد جاء الإسلام منذ البدايه مقررّاً المساواة في الأرض وضمان حد الكفاية للفرد وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع ، وجاء مبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ، جاء بكل ذلك في الجزيرة العربية في وقت لم تكن فيه ظروف الإنتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن يقول أن ما حدث كان انبثاقاً من واقع اقتصادى وقد تحدى بذلك منطق نظرية التفسير المادى للتاريخ التي تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر في نظام الإنتاج وعلاقاته وخطأ

التفسير المادى للتاريخ أنه يرجع إلى خطأ نزعة التعميم التى تميل إلى أن تتخذ من ملاحظة خاصة بحالة معينة مبدأ عاماً يطبق ويسرى على جميع الحالات . وقد تبين من الدراسة المتعمقة أن هناك عوامل مختلفة تلعب دوراً هاماً فى التاريخ فى مقدمتها المعتقدات الدينية وأثرها فى حياة الأمم والشهداء الذين ماتوا فى سبيل معتقداتهم والعواطف والشهوات والأهواء التى تسيطر على حياة الرجال وتسيطر على تاريخ الأمم ، وغريزة حب السيطرة (قال أدلر أن غريزة حب السيطرة هى التى تلعب الدور الأول فى التاريخ) ولا ريب أن تفسير الوجود الإنسانى كله على أساس الأحداث المادية فقط يكشف جانباً من الحقيقة ويخفى سائر جوانبها فمما لا شك فيه أن هناك قوى أخرى غير مادية تؤثر فى حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية والأخلاقية بل لعل هذه القوى الأخيرة تأتى فى المقام الأول قبل القوى المادية التى ركزت عليها نظرية التفسير المادى للتاريخ . ويتساءل الباحثون : هل التفسير المادى للتاريخ هو التفسير الحقيقى الذى يفرض نفسه فرضاً على الواقع العالمى . وبالطبع لا : فللقيم الدينية والمعنوية والأخلاقية وزنها وأهميتها فى المجتمع ومن الخطأ الظن بأن مجتمعاً يمكن أن ينهض بدونها . . . « وهل فى الوسع أن نقول بأن تعاليم الأنبياء والرسل وآراء الفلاسفة والحكماء لا تعدو أن تكون نتاجاً للبيئة الاقتصادية وحدها » وإذا كان الاقتصاد وحده هو الذى يتحكم فى تطور المجتمع فكيف نفسر انتشار الحضارة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها . كذلك فقد أصبح مقررأ أنه « لا يوجد سبب مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية إنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة وأن العوامل الجوهرية اليوم يمكن أن يكون عاملاً ثانوياً فى الغد . ومن هناك فإن العامل الاقتصادى بهذا لا يصلح لأن يكون إلهاً تصدر عنه كل الأشياء بينما يمكن للعامل النفسى والعقائدى أن يكون صالحاً على مدى العصور وأن يكون العامل القومى والعنصرى مؤثراً فى بعض الأحيان ونحن حين نراجع تطبيقات نظرية التفسير المادى للتاريخ مراجعة واسعة نجد أنها ليس أكثر من تسجيل لفترات الإنتكاس فى حياة الشعوب بما يستتبعه الانتكاس من صراعات على كل المستويات وقد كان موقف الماركسية من العامل الإقتصادى بالذات موقفاً منحازاً لا علمياً كما أنه قدم تحليلات لفترات انتقائية من التاريخ فى بيئة من البيئات ولكنه عجز عن تفسير التاريخ كله فى كل البيئات ، وفى الفترات الأخيرة تراجع الماركسيون فى أهمية العامل الإقتصادى وقالوا أنه ليس هو كل شيء وأنه أعطى أكثر مما يستحق ولكن هذا الاعتذار لم يؤثر فى المناهج

الماركسية التي ما تزال قائمة على اعتبار الاقتصاد مصدراً أساسياً بينما يقرر التاريخ بتطبيقاته فساد أولية هذا العامل ويؤكد أنه لم يكن لعامل من العوامل الإنسانية من أثر أقوى وأعظم من عامل الدين وكل ما عداه من الحركات المؤثرة في حركات الأمم فإنما تتفاوت في القوة بمقدار ما بينها وبين العقيدة الدينية من المشابهة في التمكن من أصالة الشعور ومواطن السريرة وهذه القوة لا تضارعها قوة العصبية ولا قوة الوطنية ولا قوة العرف ولا قوة الأخلاق ولا قوة الشرائع والقوانين وتقرر الدراسات ذات الأصالة والبعد عن الهوى باشتراك العوامل الإنسانية وتفوقها على العوامل الاقتصادية في أحداث التغيير الاجتماعي . يقول رستو في كتابه (مراحل النمو الاقتصادي) : يعتبر الإنسان وحده أكثر تعقيداً فهو لا يسعى للمصلحة الاقتصادية وحدها بل للسلطة واللهو والمغامرة وأن صافي السلوك الإنساني لا يعتبر في نظرنا سعياً وراء شيء أقصى بل موازنة بين أهداف إنسانية بديلة ومتناقضة في كثير من الأحيان أزاء مجالات الاختبار التي يرى البشر أنها مفتوحة أمامه « أ. ه. ويرى كثير من الباحثين إنه إذا كانت هناك عوامل هامة كثيرة تلعب دوراً هاماً في التاريخ فإن في مقدمتها عاملين هامين هما : المعتقدات الدينية والشهوات وحب السيطرة وليس الاقتصاد . أما بالنسبة للمعتقدات الدينية فقد كانت الحروب الدينية قديماً أكثر الحروب طولاً وهناك قصص الشهداء الذين لا تقوا المنايا والأهوال وقد احتملوا ذلك في سبيل معتقداتهم الدينية وليس تحت تأثير بواعث مادية واقتصادية . أما بالنسبة للشهوات وحب السيطرة فإن المؤرخ ه. ج. ولز : يقرر أن غريزة حب السيطرة هي التي تلعب الدور الأول في التاريخ . ويقرر الباحثون « أن فكرة العامل الاقتصادي الواحد الذي جعل منه ماركس (إلهاً) تصدر عنه الأشياء وسبباً وحيداً لتداعي من ورائه كل التغييرات التاريخية مما يسمى بالتفسير المادي للتاريخ ، هذه الفكرة قد سقطت علمياً والرأي السائد الآن في ميدان الظواهر الاجتماعية أن لا يوجد سبب واحد مستقل وفاعل ، وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر في بعضها تأثيرات متقابلة ، فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملاً ثانوياً في الغد ، والعامل الاقتصادي بهذا لا يصلح أن يكون إلهاً تصدر منه الأشياء ، (مصطفى محمود) . ومن فساد التفسير المادي للتاريخ ما ذهب إليه ماركس من أن التطور المادي في مكان ما هو وحده الذى يفرض نظام المجتمع الواجب الاتباع (وليس الفكر ولا التربية) وآية ذلك إن فكرته كفكرة مجردة ما استطاعت أن تجد لها طريقاً إلى الوجود في أى مجتمع غير المجتمعات الماركسية بل قد أصبح القول بإسقاط الفكر والتربية من

ج ر اد
فني تصوير

عملية التطور في المجتمع في الواقع المحسوس أمراً لا يستحق النظر. ثانياً: «فساد التنبؤ» ويؤكد الباحثون : أنه لا يوجد أساس علمي للاعتقاد بإمكانه التنبؤ بسير الحدث التاريخي أو بصورة التطور الاجتماعي في المستقبل، ذلك لأن سير الحدث التاريخي أو طريقة تطور المجتمع تتأثر تأثراً قوياً ينمو المعرفة الإنسانية أو بحالة العلم في المستقبل وبذلك فإنه لا يمكن التنبؤ بالصورة التي سيكون عليها المجتمع في المستقبل . هذه المحاولة الفاسدة هي ما يطلق عليها اسم (الحتمية) : ومفهوم الحتمية يعارض حرية الإرادة الإنسانية التي يقرها الإسلام ، ولقد تبين أن الحتمية لا تتفق مع إرادة التعبير ، لأنه مع الحتمية لا تكون إرادة من جانب الإنسان ، ولا يبقى له أراء تطور التاريخ إلا أن يراقب ما يحدث له وللمجتمع وللطبيعة على السواء . وحظا ماركس أنه يرى أن القانون الذي يحكم التطور الاجتماعي قانون مادي ، ولذلك فإن النبوءة التاريخية عنده تقوم على افتراض أن التاريخ يسير في خط معين معلوم ، وذلك على افتراض أن خط الحياة يسير في نحو محيوم . وقد كشفت نبوءات ماركس كلها عن أخطاء قامت على هذه الأسس المنهارة، وكان أبرزها خطأ التنبؤ بسقوط النظام الرأسمالي ، وقد تبين باستقراء التاريخ إلغاء بعد ماركس أن انبيار النظام الرأسمالي ليس وشيكاً وأن الظروف الاجتماعية لم تتطور إلى مستوى التعارض المادي بين الطبقات بل صاحبها زيادة في عدد الرأسماليين في جميع الدرجات. ومن نبوءات ماركس التي سقطت قوله أن العالم يسير في الصناعة والتجارة نحو الاحتكار بحيث يأكل القوى ضعفاء الملاك وأن هذا الاحتكار يستمر ويطرد في جميع الصناعات وينتهي ذلك إلى إلغاء الملكية الفردية ، ومن العجيب أن الشيوعية في روسيا تحاول القبول اليوم بالملكية الفردية في أشياء كثيرة ومن نبوءات ماركس الزائفة قوله: أن تاريخ البشرية عملية واحدة . ومن حتميات ماركس التي انهارت أمام الواقع و التجربة ، هزيمة قانون رأس المال أمام الإرادة الإنسانية ولم يقع ما توقع ماركس وعدلت الأمم أنظمتها فحققت لعمالها ما لم تحققه الشيوعية في بلادها . كذلك فقد حدث النظام الشيوعي في بيئة غير التي توقعها ماركس ، ولم يستطع الماركسيون تأكيد نظرية القيمة ، وكشف التطبيق عن عجزها وظهر أمثال ليرمان وغيره من الذين نادوا بأراء جديدة لدفع عجلة الاقتصاد القوي ولقد كان ماركس ثمره عصره وما كان يستطيع أن يقرر شيئاً بالنسبة للمتغيرات التي تفرضها تطورات المجتمع ولا اختلاف البيئات « لقد هبت رياح التغيير فانهارت أمامها النظرية الماركسية ولم تفلح عمليات ترميمها : ومن مزاعم ماركس

ونبوءاته أن الدولة ستزوى لا محالة، ولقد شقت النزعة القومية طريقها مخالفة لما رآه ماركس ولم تذو الدولة بل قويت وسارت النزعات القومية مثل أوروبا وضع إلى من وضع وقامت دول جديدة موحدة مثل ألمانيا وإيطاليا . وأخطأت نبوءات ماركس فلم تخرج الشيوعية في إنجلترا المتقدمة صناعياً وإنما خرجت من الصين الزراعية وروسيا المتخلفة ولم ينقسم المعسكر الرأسمالي أو ينهار أو يتناقص وإنما انقسم المعسكر الاشتراكي نفسه وتناقص وتصارع ولم تتفاهم الهوة بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال بل ضاقت . رابعاً : سقوط فكرة الحتمية : إن أبرز معالم الخطأ في النظرية المادية جملة الماركسية على الخصوص محاولة تطبيق مفاهيم العلوم المادية على الظواهر الإنسانية ، بينما تقوم الظواهر الإنسانية على عوامل معقدة ومتشابكة وعوامل غير عادية (نفسية وروحية ومعنوية) وليس من ريب في أن العنصر الإنساني والإرادة الإنسانية ذات الأهمية الأولى والكبرى في تشكيلها بل هي سبب تميزها عن الظواهر الطبيعية ، وهذا ما يجعل موضوع الدراسة في العلوم الاجتماعية شيئاً مختلفاً تمام الاختلاف عن الدراسة في العلوم الطبيعية والتجريبية . والواقع أن الباحث في دراسة الظواهر الاجتماعية لا يستطيع أن يكون محايداً أو موضوعياً لأنه يعيش تحديات نفسه وظروف مجتمعه وأوضاع عصره وبيئته وأن فكر الباحث (فيلسوفاً كان أو عالماً) هو من وراء آرائه الشخصية وميوله وأهوائه وتطلعاته ومطامعه سواء نحو نفسه أو وطنه أو بيئته أو مصلحته الطبيعية التي ينتمي إليها ، كل ذلك من شأنه أن يؤثر في رؤيته للظاهرة الاجتماعية وفي طريق فحصها وهو مؤدلا محالة إلى عجزه عن وضع أيديولوجية إنسانية ثابتة ، وقد أكد الباحثون في مجال الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية صعوبة الأخذ بفكرة السبب أو موضوعية البحث كما في العلوم الطبيعية . ولما كانت الحتمية هي فكرة غير علمية في الدراسات الإنسانية والاجتماعية فقد كشفت التجربة التطبيقية والتحول التاريخي عن فسادها وسقوطها وتبين أنها دعوى غير علمية في مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية وإنما هناك على الأكثر عوامل ترجيح وظن وتخمين واحتمالات متفاوتة : وأنه لا حتمية إلا في حركة الأفلاك والكواكب وكرات البلياردو وتروس الساعات والمادة الصرفة ، وحتى في مجال المادة الصرفة فقد ظهرت قوانين جديدة تخرج فيها حركة الالكترونات من إसार الحتمية إلى مجال الحرية والاحتمال . ولما كانت الحتمية التاريخية وحتمية الحل الاشتراكي من ألبادى إلى نادى بها ماركس فإن أهم ما يميز الاشتراكية العلمية أى الماركسية عن غيرها من أنواع الاشتراكية ، هو ما يقدمه ماركس

من الأدلة على حتمية قيام الاشتراكية الماركسية سواء كانت آمراً مرغوباً فيه أو مرغوباً عنه من البشرية ، هذه هي فكرة الحتمية أو التنبؤ التاريخي التي يقوم على أساس الاعتقاد بأن ثمة قوانين يسير التطور التاريخي وفقاً لها، على أن الأسلوب العلمي لا يقر الأخذ بمبدأ فكرة الحتمية . « ولقد وجهت يد التاريخ صفعه قوية على وجه تلك الحتمية فكذبتهما أحداثه تكذيباً » . يقول صاحب كتاب [الإسلام ومبادئ نظام الماركسية والديمقراطية الغربية] : على أن ماركس وانجلز قد أدركا فيما يبدو ما كان منهما من المغالاة والشطط في الأخذ بفكرة (الحتمية) فتراجعا عن بعض ما كان لهما من آراء في هذه الصدد ورغم أن أن فكرة الحتمية لم تقرها البحوث العلمية وقد كذبتها الأحداث التاريخية وأخذ ماركس وانجلز في التراجع عن بعض الخطى في السير في طريقها. رغم ذلك نجد بعض زعماء الشيوعية من بعدهما قد ردودها واليوم نجد أن أشد الناس مغالاة في الماركسية وحراسة لها قد تراجعوا عن كثير مما تقتضيه هذه الحتمية في مجتمعاتهم وأخذوا بكثير مما اعتبروه في نظرهم من مظاهر النظام الرأسمالي . « وفي مواجهة هذا يقرر الإسلام وجود (الإرادة البشرية) . فالمسلم يؤمن بالإرادة البشرية ويعد نفسه لأداء دوره ولا يستسلم للفرائز التي تسيطر عليه ، فالإسلام يدعوه إلى عزم الأمور ، والإسلام لا يتقبل (الجبرية) بمعنى التنازل عن حقه الطبيعي في الاختيار وهو لا يقر السلبية وعدم المجازفة والجبن وإنما يؤمن بالافتحام والعمل ومواجهة الحياة والفرد في الإسلام باعتباره القوة المحركة وأنه هو أحد العلامات الفاصلة عن طريق التقدم ومن هنا نتجت فكرة البطل الذي يصنع الأحداث أو يتحكم فيها : ولقد صنع المسلمون التاريخ ووجهوه إلى الوجهة التي أرادها الله تبارك وتعالى ولل فرد في الإسلام كرامته وحرية فكره وليس للقوى أن يتسلط على الضعيف والملكية الفردية مصانة ، وهي الدرع والسند الذي يستند إليه الفرد لمواجهة القوى المضادة ، وتنفيذها هو الشكل الخارجي للكرامة والأمان ولا يقر الإسلام إلغاء الملكية الفردية لأنه يحول الناس إلى إجراء . ولقد سبق الإسلام إلى تحقيق الأهداف الإنسانية في تأكيد الإرادة والتغيير وتحقيق السواسية والعدالة ، والعمل في إطار المنهج العلمي للإيمان وباتجاه الهدف المتكامل في حرية الفرد وحرية الجماعة ووحدة الأمة . خامساً : « الظروف المتغيرة » : نظراً لأن الماركسية لم تقم على الفطرة والنظرة الجامعة المتكاملة للإنسان (روحاً ومادة) فقد عجزت عن الحركة إزاء الظروف المتغيرة وتحولات الأحداث في العصر والبيئات ، ولقد اعتمدت النظرية أساساً على ظروف كانت

قائمة في القرن التاسع عشر ثم تغيرت كثيراً ، ذلك أن ماركس لم يكن يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا في القرن العشرين حيث تدار المصانع بعقول الكترونية وقيام نقابات العمال وقوانين العمال وقوانين التأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض وإتاحة فرص التعليم وعلاج والراحة. بل إن الانقلاب الذي حدث بعد قرن كامل من بداية عصر ماركس وانجلز كان بعيد المدى ، فقد انطلقت شرارة الانقلاب التكنولوجي المبالغ في منتصف القرن الحالى ، ذلك الانقلاب الذى لا يقاس بالانقلاب الذى أحدثته الآلة التجارية حين ظهرت لأول مرة في نهاية القرن الثامن عشر : إن ماركس قد عجز عن تصور مثل هذا التحول الذى أحدث تغييرات في جذور النظرية المادية والمفاهيم التى قام عليها العلم نفسه ، فضلاً عن أنه عجز عن تصور قدرة الرأسمالية على التطور واحتواء رغبات العمال بالمشاركة والخصص في الأسهم وفي رأس المال . كذلك كان من أخطاء ماركس البالغة إصراره على أن تكون نظريته التى هى مجموعة من الفرضيات أقامها على البيئة المحدودة والعصر المحدود - أن تكون فكراً شمولياً تحيط بكل شيء علماً ، كأنما كان يطمح أن تكون ديناً معاكساً لدين الله الحق وذلك حين جعل لها عقيدة مادية ملحدة مرتبطة بمنهج حياة تصل إلى مختلف أبعاد الحياة الاجتماعية والسياسية ويقوم على معارضة التكامل الإنساني الجامع وهو في كل معالجاته يعتمد الصراع الدموى ، والانقضاض والتآمر ، وقد تزعم الماركسية أنها ذات نزعة إنسانية بينما تعمل على خلق طبيعة جديدة من نوع حقوق متجرد من الأخلاق والقيم يعتمد على مجرد العنف وبغير رحمة كما قال لينين ، كذلك فقد كان من أشد عوامل فسادها ، صياغة النظرية في قوالب نهائية ومطلقة تفترض صلاحيتها للملاءمة كل الظروف في كل المجتمعات وترفع في شعارات مثيرة وحماسية لاجتذاب السذج والإغرار والبسطاء الذى لا يملكون مقدرة فكرية كاملة . وقد اعترف لينين بأنه فرض هذه النظرية على المجتمع السوفيتي في ظروف غير ملائمة لها ، وإن هذا كان خطأً من الناحية العلمية الاقتصادية ولكنه كان صواباً من ناحية الإثارة السياسية ، وقد تمكنت الطبقة الجديدة من السيطرة على إمكانيات المجتمع الذى أصبح تحت قيادتها بصرف النظر في قدرتها الفعلية الذاتية لقيادة المجتمع الذى استولت على سلطته السياسة باسم تطويره اقتصادياً واجتماعياً . ومن النظرة الأولى نجد أن هناك استحالة للفصل بين الماركسية والإلحاد ، ولا يمكن أن يكون الماركسى إلا ملحداً بما تقضى به النظرية نفسها . وما أعتقد أن المسلمون في حاجة إلى مثل هذه الفكرة التى لا نستطيع أن نقدم حلولاً عملية

يستفيد منها المجتمع ، وإنما تفرض سيطرتها عن طريق الصراع الدموي الذى لا يمكن أى قوة من بعد أن تضعهم موضع المسألة أو الحساب . سادساً : «التراجع والتريم» ومن شأن هينذه النظرية - لأنها بشرية ترتبط بأهواء الصهيونية الطامعة فى السيطرة على المجتمع البشرى ، الحاقدة على البشرية المختلفة - أن لا تستجيب لتطور المجتمعات ومن هنا بدأ التراجع فى النظرية الماركسية منذ وقت طويل ، منذ عهد انجلز زميل ماركس - فى إعداد النظرية فقد اضطر أن يتراجع فى آخر حياته عن دعامة أساسية من دعائم النظرية وهى العامل الاقتصادى الذى قال ماركس أنه العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة . وقد سارع انجلز لإنقاذ الماركسية فقال : بالرغم من أن العامل الاقتصادى ضرورى فإن عناصر متعددة تدخل فى عملية تكوين الأشكال الأخرى . وقد توالى التنازلات والتراجعات فيما بعد. يقول عبد الحميد صديق : إن حسن حظ البشرية أن أخطاء الماركسية تتجلى الآن أكثر فأكثر بمرور الزمن فقد رفض نظريته المادية للتاريخ حتى أشد الناس إحتراماً له البروفسور جى دى كول : الذى رفض أن يعترف بالعامل الاقتصادى على أنه العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة . ويقول : أن إدعاء ماركس بشأن الفكرة المادية فى التاريخ خاطيء إلى درجة أن انجلز شعر بضعفها وقل من حدة تعبيرها الجازم بقوله : إن الفكرة المادية عن التاريخ تقول : إن عامل التقرير فى التاريخ هو فى النهاية الإنتاج وأن الأشكال السياسية والقانونية والفلسفة والأفكار الدينية ، كل ذلك يؤثر أيضاً على مجرى الكفاح التاريخى وفى كثير من الأحيان يكون له الغلبة فى تعيين شكلها . ويقول عبد الحميد صديق : إن ماركس قام كما فعل هيجل وشنجلر - لكى يجعل نظريته تبدو مستساغة بتحريف كثير من الحقائق وتجاهل بعض الحوادث المهمة فى التاريخ التى لم تساند ما ذهب إليه ، ولأجل أن يثبت صحة نظريته استخدم الحوادث التى وقعت فى الأغوار البعيدة من الزمن مما لا يمكن التحدث عنه بشئ أكيد . وتكاد الآراء التى تناولت الماركسية بالبحث العلمى الصحيح أن تجمع على أن ماركس اعتمد فى أسس نظريته على متغيرات اقتصادية وعلمية تكشف من بعد فسادها وسقوطها وأن النظرية لم تكن وليدة بحث علمى وإنما جاء البحث تبريراً ودفاعاً عن النظرية وأنه إذا كانت النظرية منسجمة مع الظروف الاقتصادية السائدة فى القرن ١٩ فإنها لا تنسجم ولا تتفق مع الظروف الاقتصادية السائدة اليوم ، وأن مبالغة ماركس فى التركيز على التفسير الاقتصادى كان بمثابة رد فعل ضد أسلوب التفكير الذى كان سائداً

في عصر ماركس والذي كان يتجاهل العامل الاقتصادي ويرى الباحثون أن كل نظرية يخالفها الواقع تصبح عندئذ غير علمية ويجب أن تطرح في سلة المهملات. وقد بالغ ماركس في تقدير فكرة استغلال الإنسان للإنسان واستغلال أصحاب رءوس الأموال للعمال مما حملة على الدعوة إلى إلغاء الملكية الخاصة . هذه الظواهر التي شهدناها ماركس بعد منتصف القرن التاسع عشر وأقام عليها نظريته لم تلبث أن تغيرت تماماً بعد صدور التشريعات الاجتماعية التي شملت حق العمل وحق العامل في أجر مناسب ورعاية صحية ومعنوية في حالة الشيخوخة والمرض والعجز عن العمل كذلك رعاية الدولة للأرملة والطفولة .

(٢)

ثانياً : الماركسية والمجتمع

تنوجه الماركسية إلى المجتمع البشري بأكبر ضربة من ضرباتها من حيث ترى أن الأسرة هي دعامة المجتمع البرجوازي ومن هنا يجب تحطيم هذه الدعامة والقضاء عليها ، ومن هذه النقطة بدأت الدعوة إلى قيام العلاقات الجنسية الحرة مقام الزواج ، وتقرر الماركسية أن الفرد وسيلة وليس غاية وأنه ذرة تفتنى في جسم الدولة ومن شأن ذلك إلغاء حق الملكية الفردية وحق التوريث وحق ثمار الكسب وتعد رسالة انجلز عن الأسرة دعامة موقف الماركسية من المجتمع فقد حمل على الأسرة حملة شديدة وهاجمها واعتبرها مدعاة للتهالك على الإدخار والاكتناز، ولذلك أوجب القضاء على هذا النظام ليحل محله نظام الجماعية العامة ، يقول انجلز : أن الأسرة هي وضع من أوضاع المجتمع لا نضوج فيه ولا جدوى ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأثيره إلا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة وبالقدر الذي يستطيع استغلاله لتدعيم هذه المصلحة فالطفل لا يولد لأبويه بل يولد للمجتمع » . ولا ريب أن القضاء على الأسرة في النظرية الماركسية إنما يستهدف القضاء على كل دعائم القوة والحيوية ويفتح الطريق أمام المجتمع. وقد أدى هذا إلى إضمحلال عقيدة الزواج بعد أن سعت الشيوعية للقضاء على الأسرة بحجة أنها تنمى أحاسيس الأنانية الذاتية وحجب التملك وفي هذا معارضة للفطرة ولهدف الدين الحق الذي يرمى إلى حماية الأسرة وتنظيم الزوجية غير أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل ولم تستطع أن تعيش فقد صدمتها طبائع الأشياء فتراجعت الشيوعية عن ذلك كله واحدة بعد أخرى ، وأعترفت بالأسرة كما تراجعت عن الملكية الفردية . غير أن الماركسية بقيت في موقفها بالنسبة للفردية الإنسانية فهي تعارض الاعتراف بكرامة الفرد وذاتيته

وآدميته ، حيث يرى المذهب أن الدولة وقوتها المادية القاهرة هي كل شيء والفرد لا شيء أو هو مجرد آلة مسخرة بيد الدولة والفرد ، الفرد وسيلة والدولة غاية . ولا ريب أن فكرة المشاعية الجنسية التي تقرها الماركسية أمر لا تقره البشرية بطبيعتها فالحياة الأسرية عندها مقدسة ، وهي تستهدف تمزيق الروابط الأسرية والقيم العائلية ، ولا يوجد فيما نعلم مجتمع يأخذ بنظام المشاعية المطلقة في علاقات الرجال بالنساء ، وكل من تصدى لهذا من قبل أمثال أفلاطون وكامبلانلا كان من نصيب دعوتهم الاخفاق والهزيمة حيث رفضت المجتمعات هذا النوع من التقليد . وكذلك فقد أخطأ المفهوم الماركسي الذي اعتبر « الحرية » مجرد تحرير الضروريات من أسر الطبيعة بالعلم أو من قبضة المستغلين ، والغربيون والرأسماليون يطلقون حكم حرية على كل إنقلاب عن مدار الحق والخير ما دام يخدم رغباتهم ومصالحهم المادية ولو كان ذلك على حساب إظلام النفس الإنسانية وتدمير الجانب الرباني منها طالما أن الفرد لا يسبب ضرراً للآخرين وهو فهم خاطيء مصيره تدمير النفس وتدمير الآخرين وتلك هي حرية الربا والاستغلال ، ولا ريب أن الرسائل السماوية وحدها هي التي تحقق الحرية الحقيقية للناس جميعاً بتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة . بل أن مساواة المرأة في الديمقراطية والشيوعية ، هي مساواة جائزة أساسها إنهاء بناء الأسرة ونكول الرجل عن إعالة المرأة وإضطرارها إلى أن تعمل مثله لتعيش . وفي الشيوعية عملت المرأة في المصانع والمزارع أعمالاً لا تلائم إلا أقوى الرجال فهي تكتسح الثلوج من الشوارع ليلاً ، بينما أفسح الإسلام للمرأة حق العمل وحق الكسب الذي منحتها الشيوعية اليوم منذ أربع عشر قرناً ولكنه أبقي لها حق الرعاية والكفالة في إطار الأسرة ، وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة من الناحية الدينية والروحية وفي طلب العلم والثقافة وحق التملك والتصرف الاقتصادي . ومن أخطر محاولات الماركسية في ميدان المجتمع هو هدم الفردية : الفردية الواضحة المسئولة لحساب الجماعة الغامضة ومن ذلك خطأ ماركس في القول بأن الفرد نتيجة منفعة وإيسر بسبب فاعل في الحوادث التاريخية ولا ريب أن مصدر هذا هو ما فسره العلامة جوستاف لوبون حيناً قال : أن الصفة الرئيسية للإشتركية هي الحقد على جميع الأفضليات : أفضليات النبوغ والثروة والذكاء . وقد كشفت النظرية الماركسية والتجربة الشيوعية في كل مكان وصلت إليه عن إخطار كبرى : (الأولى) إهدار الكرامة البشرية وذلك بالقضاء على مفهوم فردية الإنسان وحرية الخاصة

وكرامته الذاتية وقدراته الحرة التي تمكنه من الإبداع والتقدم والطمأنينة على سلامة العيش وإلى القدرة على وضع مجتمعه في أوج الأزدهار . (الثاني) تدمير الأخوة الإنسانية وذلك بإثارة روح البغضاء والحقد بين الطبقات بما يحول دون رخاء المجتمع أو إندفاعه إلى حركته الجامعة نحو التقدم (الثالث) إذلال الإنسان وتحقيره وذلك يجعله أشبه بترس في آلة ، ليس له حق إحتلال كيانه الخاص ولا مقدراته الحرة في التفكير والعمل ، وخاصة ما يتصل بالقضاء على إنسانية الإنسان وقداسته الأسرة وحرية الفكر ولا ريب أن هذه التحديات الكبرى قد سجلت على التجربة الماركسية الشيوعية أنها ضد الفطرة وضد تيار التقدم البشري : وأن من يقرأ ما كتبه سارتر و (أندريه جيد) وهما من شاهدوا التجربة الشيوعية عن قرب يظهر له ذلك جلياً ، فقد كتب سارتر قصة (الأيدي القذرة) عن أعضاء الأحزاب الشيوعية وقال أنهم آلات مسخرة لا يملكون لأنفسهم شيئاً ، وأن الحرية لا وجود لها في الشيوعية وخاصة الحرية الفردية كما تسميها الوجودية .

(٢) الماركسية وصراع الطبقات

إن أخطر ما حاولته النظرية الماركسية هي إحلال الصراع الدموي والتمزق النفسى بين فئات الأمة الواحدة والشعب الواحد بحيث لا يقر لهذا المجتمع قرار ولا يصل إلى الطمأنينة والسلام الاجتماعى أبداً وقد وضعت هذه القاعدة الخطيرة منذ وقت مبكر وتضمنتها وثيقة البيان الشيوعى حيث قالت (إن تاريخ كل مجتمع قائم في هذا العصر هو تاريخ للصراع الطبقي) . ولما كان مبدأ (الصراع الطبقي) هو الأساس لكل شيء في مفهوم الماركسية فقد حق على تلك المجتمعات أن تتمزق وتنهار وهو مبدأ لا يقوم على تقسيم المجتمع الحاضر إلى طبقتين يتصاعدان دوماً ولا يجوز التوفيق بينهما . أو إقامة السلام لهما : هي طبقة العمال وطبقة المالكين ، بل توجب الماركسية تغذية الأواين بالحقد ليشوروا وينقضوا على الآخرين دون احترام لقانون أو لمبادئ الأخلاق أو حقوق الإنسان أو قواعد الدين كما صرح ماركس نفسه . وفكرة (الصراع الطبقي) هي وسيلة ما كره لحقن العمال بالحقد على كل من عداهم من الناس وتجنيدهم ليصبحوا أداة للثورة الهوجاء ليصبح العمال بأنفسهم الوسيلة الفعالة في القضاء على آخر أمل للعامل في أن يكون مالكاً وحرراً وطيلاً . يقول ماركس وانجلز : أن الشيوعية تؤمن بمبدأ اجتماعى واحد هو صراع الطبقات وأن صراع الطبقات يعود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة وأن هذا لن يتحقق إلا بإشعال نار الثورة والإنقلاب الشامل المبدى . ويقول لينين : إن رسالتنا أن نشير

الطبقة العاملة وتملاً قلوبها بالحقد والغيط حتى تستطيع هدم المجتمع ، ويقول ستالين : لن
لن تنور الطبقة العاملة إلا إذا ملأنا صدورنا بالحقد والمقت أعلى لطبقات الأخرى وليس
معنى هذا كله الامصادرة السلام وتهديد «ومن هنا يتكشف أمر تلك الأكاذوبة الكبرى التي
تخدع الماركسية الشيوعية بها الناس في كل مكان عن السلام العالمي ، ومن مفتريات الشيوعية
قولها أنها تعمل للسلام العالمي وتاريخ الشيوعية يثبت عكس ذلك من خلال مذهب قائم
على إثارة القلائل والفتن والحروب فهم المخربون الهدامون ولعله لو قيل حقاً فإنهم العاملون
على تهديد السلام العالمي وأمن الشعوب . وقد أقام ماركس حتمية الصراع الطبقي في ظل
الملكية الفردية لوسائل الإنتاج الحديثة في ضوء ثورة الشعوب في أوروبا على الملكية الإقطاعية.
وقد وجزم بعد ذلك في نبوءاته وفرضياته وجبرياته المنهارة بتوفير أسباب ثورة العمال على
البرجوازية في إنجلترا حيث رجح ماركس أن يتخذ منها مركزاً لقيادته ولما راقبه الأحداث
فيها عن قرب ، ولكن ماركس نفسه لم يمت حتى شاهد فشل نظريته العلمية هذه إذ لم يحدث
الصراع الطبقي لافي إنجلترا ولا في أمريكا حيث جزم بحتميته فيهما وقد كان من أكبر الأدلة.
على بطلان النظرية إنها لم تستطيع أن تلقى قبولا في البلاد الحرة ، تلك البلاد التي جزم
ماركس بأنها وحدها التي تهيأت فيها أسباب الثورة وبالرغم من صراحته بأن روسيا كدولة
متخلفة لا تصلح لبث دعوته فإنها هي التي أمكن تأمر القوى اليهودية ، والماركسية على
أحداث الانقلاب فيها عقب الحرب الأولى وفي الصين عقب الحرب الثانية . (٢) وتعد
نظرية الصراع بين الطبقات بالإضافة إلى إلغاء الملكية الخاصة ونظرية المادية التاريخية في
مقدمة الخصائص التي تميز مذهب ماركس عن المذاهب الاشتراكية الأخرى ، ويرى ماركس
أن التغيرات التاريخية التي تطرأ على الجماعات الإنسانية إنما تحدث نتيجة للصراع الطبقي
وبسبب انتصار طبقة إجتماعية معينة على غيرها من الطبقات. ويقول المراجعون للفكر الماركسي
أن فكرة الطبقة تعبير غامض فما هي الطبقة ، حيث يرى ماركس أمامه إلا طبقتين :
واحدة تملك وسائل إنتاج الثروة والأخرى طبقة العمل الإجرا . ولقد كان هذا المفهوم
قاصراً على عصره وببئته التي عاش فيها (إنجلترا) حيث كانت هناك طبقتين ، ودرائلي
كان يقول أن ثمة في إنجلترا أمتين مختلفتين ، فالنظرية هنا محدودة حيث لم يستطع التعرف
على المجتمعات الأخرى ، وتبين سذاجة التنبؤ حينما أشار إلى انقراض الطبقة الوسطى
فالملاحظ أن الطبقات الوسطى لم تأخذ في الانقراض أو الاندماج في طبقة العمال كما تنبأ

ماركس ، كما نجد أن أثر الملكية أخذ بتلاشي ككمقياس أو كأساس لتحديد المركز الاجتماعي للفرد وأن أساس تقييم الطبقات لم يكن دائماً اقتصادياً وأن ذلك الأساس كان أحياناً سياسياً وتارة دينياً وتارة عسكرياً . ففي الشعوب التي يسيطر عليها النشاط السياسي نجد أن الطبقة العليا تكون لأصحاب النفوذ والسلطات في شئون الحكم والادارة وفي بعض المجتمعات الدينية يختلف الأمر وفي المجتمعات التي تغلب عنها الحياة العسكرية تسو طبقه أرستقراطية السيف كذلك فقد كشف الباحثون عن خطأ فكرة الصراع الدائم من واقع التاريخ البشري نفسه . وتبين أن ما ذكره ماركس غير صحيح من أن التاريخ قد شهد دائماً صراعاً بين الطبقات العليا الحاكمة والمالكة لوسائل الإنتاج من ناحية وبين الطبقة موضع الاستغلال . وتبين وقائع التاريخ : أن الطبقة العاملة منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد استطاعت في الدول الرأسمالية المتقدمة أن تنال الكثير من الحقوق الاجتماعية والسياسية دون أن تقوم بحركات عنيفة ثورية وإنما نالتها بموافقة الطبقة العليا الحاكمة ذاتها فقد سارت حركة التطور في اتجاه غير الذي تنبأ به ماركس عندما إتجهت الدول إلى تحقيق أكبر قدر من المساواة بين هاتين الطبقتين فعمدت التشريعات الحديثة إلى التضييق من حقوق الملكية شيئاً فشيئاً كما وجدناها من الناحية الأخرى تكفل الكثير من ضروب الخدمات الاجتماعية للطبقة العاملة . كما وجدنا أن الطبقة العاملة لم يزد بؤسها حدة أو فقرها شدة كما تنبأ ماركس (في ظل النظام الرأسمالي) بل نجد عن العكس أن مستوى معيشتها أخذ في الارتفاع اضطراداً أو كما أفضى إلى تحسين فرصة التعليم المتاحة لأفراد تلك الطبقة العاملة بحيث أصبح نظام تعليمهم قريباً من نظام الطبقة الوسطى وإنه نظراً لما حدث من تطور لم يتوقعه ماركس أصبح من الميسور تسوية ما ينشأ من نزاع أو من صراع بطريقة سلمية . وهذا ما حدث بعضه بوجه خاص في العصر الحديث في بعض البلدان الغربية حيث قام بعض كبار الرأسماليين بإشراك العمال في نصيب من أرباح مشروعاتهم . ويقول الباحثون : أنه إذا كانت ظاهرة الصراع بين الطبقات أكثر صور الصراع التي لفتت نظر ماركس إلا أنه قد فاته أن التاريخ قد عرف من قبل ومن بعد صور أخرى من صور الصراع يفوق بعضها الصورة التي ذكرها التاريخ من حيث آثارها وتأثيرها في تطور التاريخ ومن هذه الصور : الصراع بين جميع طبقات الشعب في بلد من بلاد ضد جميع الطبقات في بلد آخر . يقول بودان : في كتابه (الوجيز في تاريخ المذاهب الاقتصادية) أن ماركس قد غالى في إبراز الصراع الطبقي داخل

الأمة الواحدة وبذلك أهمل العوامل التي تلتف من حدة هذا الصراع وعلى رأسها اندماج أفراد الطبقات المتصارعة في إنسانية واحدة . كذلك فقد فات ماركس : أن يشير إلى ما كان معروفاً من أمر الصراع بل الحروب بين مختلف القبائل قبل أن تنشأ القوميات . كذلك فإن الجزيرة العربية قبل الإسلام لم تعرف صراع الطبقات . كذلك فقد فات ماركس أن يشير إلى أهم ضروب الصراع بل الحروب التي عرفها التاريخ قديماً وهي الحروب التي قامت بإسم المعتقدات الدينية . والصراعات التي قامت داخل الطبقة الرأسمالية نفسها والصراع بين رجال الصناعات وأصحاب الأملاك . وهكذا يتبين فساد نظرية ماركس التي تقول أن الصراع بين الطبقات هو المحرك الأول لركب البشرية والعامل الأساسي في تطور المجتمع وتقدمه، وإنما الحقيقة أن الصراع بين الطبقات هو هدف الماركسية في تدمير المجتمعات . ولذلك فإنه مصدر تدميرها في النهاية . قال سدن وهو أحد مشاهير الكتاب الماركسيين : إذا تطرق الشك إلى نظرية صراع الطبقات فبان فسادها فإن صرح النظرية الماركسية ينهار من أساسه . والحقيقة أن من يراجع الأسلوب الذي اتخذ ماركس في التركيز على هذه الظاهرة الكاذبة الملفقة يعرف الهدف الذي يرمى إليه والخلفية التي يصدر عنها وهي تغذية الحقد في نفوس الكثير من أفراد الطبقة العاملة والعمل على تمزيق روابط الأمة الواحدة . وإذا كانت هذه المحاولة قد وجدت مجالا للإنفجار في المجتمعات الغربية فإنها لا تجد مثل هذا الأثر في المجتمعات الإسلامية ذلك لأن الإسلام قرر لصالح الفقير والأجير من الأحكام في مجال التعاون والزكاة والتكامل والتعاطف والرحمة شيئاً كثيراً من شأنه أن يخلق الالتقاء بين الطبقات والفئات بحيث لا تدع مجالا لخلق البغضاء والحقد أو النزاع والصراع .

(٣) الماركسية والدين

تقرر النظرية الماركسية أنه ليس في الكون خالق بل الكون مادة وعبرة ماركس في هذا الصدد واضحة صريحة (لا وجود لله والحياة مادية بحتة) وعندهم أن الأديان مخدر للعقول يجب التحرر منه وإنقاذ البشرية من شره فالدين هو أفيون الشعوب يخدرها ويقضى عليها وأن رسالة الشيوعية هي القضاء على الدين والداعين إليه وأن الدعامة الأساسية هي (الإلحاد - إنكار البعث - طبع الجانب الإجتماعي والاقتصادي والسياسي بالمادية - تحطيم المعايير الخلقية والقيم الروحية) والإلحاد في الشيوعية من سياسة الدولة وهو الحاد إلزامي ،

على أساس أن ضعف الدين هو منطلق استعلاء النزعة المادية. وعندهم أن الدين ليس إلا تفسيراً خاطئاً للظواهر الاجتماعية وهم يعللون إنتشار الدين كذياً بالظروف المادية التي عاش فيها الإنسان الأول وأن جهل الإنسان بظواهر الطبيعة هو الذي جعله يلتمس قوة عليا يسعى إلى كسب عطفها أما بعد تجارب العلم فإن البشرية لم تعد في حاجة إلى الدين وبذلك فإن الدين هو أفيون الفقراء وقد أعلن لينين في صراحة تامة : « إن الماركسية هي المادية ومن ثم فإنها معادية للدين » ومن فلسفة الشيوعية أنه لا حقيقة سوى المادة وإن الإنسان وأعماله مادة ومن هنا فإن الشيوعية الماركسية ترى أن الحرب ضد الدين من أبرز أعمال الثقافة . وتقرر الماركسية أن الدعامة الأساسية في المذهب هي اللادينية المطلقة وبث الاعتقاد بأن ليس لهذا الكون خالق بل هذا الكون مادة في مادة . يقول كارل ماركس لوجود الله والحياة مادة يبحث ويرى في الأديان جميعاً محذراً للقول يحب التحرر منه ، وإنقاذ الإنسان من شروره فكل دين عندهم هو أفيون الشعوب . فالدعامة الأساسية في الشيوعية : هي الإلحاد وإنكار وجود الخالق وإنكار البعث والحساب ويقررون أن ضعف الوازع الديني من شأنه أن يؤدي إلى طغيان النزعة المادية في كل نواحي الحياة. ويؤكد الباحثون أن معارضة الشيوعية للدين تأتي من عدة عوامل هامة : أولها : أن الشيوعية قد جاءت بوصفها عقيدة أو ديناً يحل محل الأديان القديمة ويحتقرها ويناهضها بالدعوة إلى الإلحاد والمادية التي تنكر الله تبارك وتعالى ورسالات السماء وقد شن الشيوعيون على الأديان حرباً عناناً لا هوادة فيها واعتبروا الشيوعية ديناً ولنين وستالين أنبياء بدلا من موسى وعيسى وكتاب رأس المال كتابهم المقدس البديل عن التوراة والإنجيل كذلك فإن نظرة الشيوعية الماركسية إلى الدين مادية في كليتها فهي ترفض الروح والمعنويات والغيبات ورسالة السماء . ويقول أرنولد توينبي : أن الشيوعية دين بكل تأكيد وهي دين خالض وقديم رغم المظهر الأبدلوجي الجديد ، إنها كالثقومية شكل من أشكال عبادة الإنسان لنفسه على طريقة جمع المتكلم . إنها آخر تنوع لعبادة الآلهة روما والآله قيصر في الأمبراطورية الرومانية وعبادته المالك الإله في قصر الفرعون ويقول أرنولد توينبي أن الحرب بين الغرب والشيوعية هي صراع روحي بين دينين متنافسين يشخلفان في قصة حيوية هامة . إن الغربيين يقاتلون اليوم من أجل مفهومهم للدولة القومية ولعبادة القوة البشرية الجماعية الممسدة في شكل أمه ، وهذه هي إحدى ديانات المجتمعات الغربية المعاصرة ولكن اللؤلؤة التي لا تثنى عند الغربي المعاصر ليست قوة أمته بل قداسة الشخصية بحد ذاتها « ولا زيب أن مفهوم الشيوعية للدين في حد ذاته يكشف عن أنه هو العدو الأول لمنهجهم ،

ولذلك فهم يتحامونه بقوة ويضربونه بعنف ويجعلون من الشيوعية عقيدة ونظاماً يكاد يكون محل الدين ومن هنا فإن قبولها لأي دين مستحيل والجمع بينها وبين أى دين من أكبر المستحيلات . ذلك أن الماركسية عند المتأمنين بها هي دين له سلطان عليهم وله أحكامه ومبادئه الموجهة لأرائهم وأعمالهم وأن أى خروج على مقررات هذا المذهب هو خروج على ناموس الجماعة التي تتمذهب به وتعمل في ظله ومن هنا فإن الإسلام دين والماركسية دين ومن المستحيل الجمع بينهما إذ أن لكل نظرتيه إلى الوجود وتفسيره لظواهره وسلوكه الذي يعجرى مع هذه النظرة . ولا ريب تختلف الشيوعية مع الإسلام في أمور ثلاثة : نظام الأسرة ، والأخلاق والمواثيق ، فالشيوعية تنكر أن تكون للأسرة قداسة أو أن لها كياناً خاصاً له استقلاله وكذلك تنكر الولاء العائلي لأنه يحول دون تحقيق أهداف الماركسية ، كذلك فإن الماركسية تخالف الإسلام خاصة والدين الحق بصفة عامة في أخطر الأمور وأعلاها وهو الألوهية وقدرة الخالق وإرادته العليا في أمر الحياة والناس والكون ومن هنا ينكشف إلحاد النظرية الماركسية التي ترد حركات التاريخ كلها إلى الأسباب الاقتصادية وترى أن الاقتصاد هو الذي يملئ على التاريخ حركته ويسيره حيث شاء فلا مجال هناك للاعتراف بإله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم ، وليس الدين عندهم إلا تفسير خاطئ للظواهر الاجتماعية وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البائدة ولونا من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به بعض الناس ولا شك أن ماركس يركز في فهمه للدين وفي رفضه إياه على الأديان التي عرفها وعاشها هو وأهله (اليهودية والمسيحية) ولا ريب في أنه يصدر عنها حين يقول : إن الدين أفيون الشعوب وأنه وسيلة للاخضاع الروحي ، فوجهة نظر ماركس في الدين مستمدة من مفهومه للمسيحية وتاريخها وصراع اليهود معها في أوروبا ويصدر عن قرارة الحقد الذي يمتلئ به قلبه تجاه المجتمع الغربي المسيحي الذي استطاع أن يكون هذه الحضارة الضخمة أما الإسلام فإنه لم يعرفه وقد اختلف رأى الماركسيين الذين عرفوه عن رأى ماركس كما ترى في كتابات (جارودي) . ويتحدث ماركس عن المسيحية على النحو الذي عرفها به من تفسيرات الرهبان والأجبار في الغرب وهو ما ليس صحيحاً بالنسبة للدين المنزل الذي جاء به عيسى عليه السلام (مصداقاً لما بين يديه من التوراة) (ورسولاً إلى بني إسرائيل) (ومبشراً برسول من بعده إسمه أحمد) يقول : أن المسيحية تفرض الجبن واحتقار النفس وإذلالها وتجند الخضوع والخسة وكل صفات الكلب الطريد وأن أصحاب المصالح قد

استغلوا المسيحية كلما وجدوا لهم مصلحة في استغلالها فجعلوها دين الدولة بعد قرنين ونصف من ظهورها وجاء البرجوازيون في ألمانيا فابتدعوا البروتستانتية ولم يستفيدوا منها لضعفهم فاستفاد منها الملوك المطلقون وأنها رفعت عنهم سلطان الكنيسة ، والدين جملة هو الغذاء الخادع للضعفاء لأنه يدعوهم إلى احتمال المظالم ولا يزيلها) ذلك رأى ماركس في الدين بعامه الذى أقام عليه نظريته وهو محصور فى حدود عصره وحدود بيئته . ولو أن ماركس اطلع على الإسلام وأراد للبشرية الخير لحطم نظريته ولكن ماركس كان يعمل فى إطار الحركة التلمودية الربوية الطامحة للسيطرة على العالم عن طريق الشيوعية الماركسية والصهيونية معاً ومن هذه كانت الخطة كما كشفت عنها من بعد بروتوكولات صهيون هى هدم الأوهية والدين ومناعة الأخلاق ونظام الأسرة والزواج . وهى بهذا تهاجم العقيدة والنظام الاجتماعى معاً وتقدم مفهوماً مادياً خالصاً للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والحضارة ، يستمد مفاهيمه من ركاز الفكر البشرى المقديم الذى عرفته الوثنيات المختلفة ، فى الشرق والغرب ويقدم تصوراً مادياً أباحياً ملحداً فى أمر الحياة والكون والإنسان يرى أن وحده العالم فى ماديته وخاصة مادية الحركة القائمة على التناقض فلا يحتاج الكون إلى قوة خارجية ولا يحتاج إلى خالق مسير مدبر . أما الإسلام فيرى أن وحدة العالم فى الإسلام النفس له وأن خاصيته المحركة لأجزائه تتمثل فى خضوعه لله فالكون بدون مدبر خالق لا يمكن أن يتصوره عاقل فإله تبارك وتعالى هو الخالق المسير والمدبر لشئون الكون وتقوم الماركسية على الصراع وتجعل من الزوجين (سنة الله فى خلقه) نقيضين متضاربين ، بينما يرى إسلام فى حركة الزوجين تلاقياً وتكاملاً . وتقوم الماركسية على أن الدين هو نتيجة الضياع الذى يعانيه الإنسان وأنه هو المخدر والأفيون الذى يستغل به الشعوب وفى الإسلام أن الدين هو الذى يلد الإنسان من جديد ويخلق السكينة والأمن ويبنى القوة والإرادة والوعى ويحفز على العمل . والأيدلوجية الماركسية ليست فى حقيقتها إلا مدخلاً وتديباً لهدف تدمير نظام المجتمعات القائمة وإبدالها بنظام جديد ، يقوم على إعدادها لإلتهام التلمودية اليهودية العالمية وامبراطورية الربا ولذلك فإنه يقوم على الأهواء والظروف والفرضيات وبتجاوزه المفاهيم العلمية فى كل يوم ، فليست هناك اشتراكية واحدة ولكن هناك اشتراكيات وتستهدف الاشتراكية تصفية الملكية الفردية وتسليم الجماعة الديكتاتورية البديلة كل شئ وتجريد الشعوب من كل ما تملك ويقوم هذا التغيير على بحر من الدماء وعلى الصراع الدموى ، وبه يكون الإنسان عبداً لمنهج بشرى حيث

تقوم عبودية الإنسان للإنسان وإذا كانت الرأسمالية نظام بشرى ملئ بالتغزات والأخطاء فإنه ليس بديلاً للإشراكية ، ولكنهما معاً قطاعان فاسدان لأنهما ولدا المنهج البشرى الذى يخرج عن حكم ما أنزل الله . ولقد تجاوزهما التاريخ بعد أن ظهر فسادهما وأصبح يتطلع الآن إلى منهج الله . وليست الماركسية هى أول نظام سياسى واقتصادى واجتماعى يتحدى العقيدة الدينية ويتهمها بأنها عائق فى وجه الإصلاح ، فقد ظهرت نظم كثيرة تطورت إلى نظم أخرى ثم اندثرت وداستها أقدام الأصالة والفطرة وبقيت العقيدة كامنة فى قرارة السلوك الإنسانى تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة فى خضم القلق والثورات والحروب وتلهم الناس أسباب الطمأنينة والثقة بالعدالة الإلهية والاستقرار النفسى والاجتماعى . وقد تبين أن الاشتراكية كالرأسمالية نظم سياسية واقتصادية أما الدين الحق فإنه عقيدة وإيمان فوق أنه دستور للنشاط الإنسانى ولذلك فإنه لا وجه للمقارنة بينهما ولا ريب أن الخلط بينهما قصور فى فهم العقيدة والإسلام الذى واجه فلسفات وعقائد كثيرة طوال أربعة عشر قرناً وصمد لها وخطمها وكشف زيفها لا ريب قادر على أن يواجه الفلسفة المادية : ماركسية وشيوعية وماسونية وفرويدية ووجودية جميعاً ، ولابد أن ينتصر عليها ، ولقد بان عوار هذه النظريات والأيدولوجيات بعد فترة قصيرة من إعلانها حيث عجزت عن الاستجابة لأشواق النفس الإنسانية ومطامحها فى الأمن والسلام الاجتماعى وسكينة النفس . ومن هنا تسقط كل دعاوى القائلين باللقاء بين الإسلام والإشراكية أو الإسلام والديمقراطية أو الإسلام والوجودية ، فالماركسية والتدين نقيضان ، والماركسيون الحقيقيون يعلمون هذا ولكن بعضهم اتخذ من الدعوة للتوفيق بين الماركسية والدين أسلوباً لغزو المجتمعات التى ترفض الإلحاد بقوة وهو مجرد أسلوب من أساليب الدعاية لا يركز على أساس من الماركسية أو الدين فكل منهما يرفض الآخر رفضاً قاطعاً وما يقال عن تطوير الماركسية لا يتناول جوهر المذهب وموقفه من الوجود والمجتمع والتاريخ وهو جوهر إلحادى صريح .

(٢) يقول الدكتور على عبد الواحد وافي : : إن الشيوعية مذهب كامل متكامل فلها رأى نظرى فى فهم الكون والمجتمع والطبقات وما وراء الطبيعة ولها رأى عملى فيما ينبغى أن تكون عليه الحياة الفردية والحياة الاجتماعية فى جميع ما يشتملان عليه من فروع وأوضاع وهما كذلك مذهب متكامل بمعنى أن نظمها ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً ويكمل بعضها بعضاً

ولا يكون الفرد شيوعياً إلا إذا اعتنق ما تقرره الشيوعية من مذاهب ونظريات ويخطئ من يظن أن الشيوعية مذهب مقصور على شئون الاقتصاد وتنظيم الطبقات . ذلك أن أوضاعه الاقتصادية تقتضى أوضاعاً عقائدية واجتماعية خاصة تتسق معها وتسايرها فيما تنجبه إليه . وهى فى وضعها السابق متعارضة تعارضاً جذرياً مع الإسلام بمفهومة الصحيح ، ولا يبدو هذا التعارض فى شئون العقيدة والألوهية وما وراء الطبيعة فتحسب ، بل يبدو كذلك فى كثير من نظم الاجتماع فالشيوعية لا تقر الملكية الفردية ، ولا يمكن للفرد فى فهمه للملكية الفردية وفى موقفه حيالها أن يكون شيوعياً ومسلماً فى آن واحد . ويصور الدكتور أحمد شلبي موقف الماركسية من الدين فيقول : « إن ماركس حين يتحدث عن الدين يتصور أن الفرد يشتغل عن حقيقة ذاته حين يعتقد فى الله وفى الديانات المختلفة وأنه إذا أزيلت مثل هذه العوامل استطاع الفرد أن يعود إلى الحياة الإنسانية الحقة ويرى ماركس أن الدين يضعف حماسة العمال فى الثورة ضد البرجوازيين لأن الدين فى اعتقاده يرسم لمعتنقيه سعادة خالية فى عالم آخر فيخفف من أثر الظلم الواقع عليهم فى الدنيا ويقلل حماسهم ضد ظالمهم ولذلك حمل ماركس ضد الدين وقال بأنه أفيون يخدر الشعوب لتسهيل سرقته ووصل ماركس إلى قمة الإلحاد حيناً أعلن : لا إله والحياة مادة . وهكذا نجد أن لينين عندما حقق النصر لحركته فى روسيا ووضع النظريات الماركسية مع موضع التنفيذ كان من أبرزها ما اهتم به (عدم الاعتراف بالأديان وعدم السماح لها بالظهور وإلغاء المجمع المقدس) وربما يقال أن ذلك جاء لأن البابا ولأن الكنيسة الروسية أيدت المظالم التى كان يشن منها الشعب الروسى قبل الثورة وهذا صحيح ولكن كلام ماركس وأعمال لينين اتجهت ضد الأديان بوجه عام لا ضد طبقة انحرفت عن الدين أو ساعدت الباطل ويتحتم أن نذكر أن كارل ماركس ينحدر من أسرة يهودية عانت الاضطهاد الدينى فتحول إلى المسيحية بدون اعتقاد حقيقى ، ولذلك لم يكن له دين يحرس عليه ، وربما أمكن القول أنه كان يكره الأديان والمتدينين واتخذ الاقتصاد وسيلة لمحاربة الأديان ، وتلك هى طبيعة اليهود فى كراهيتها لكل الأديان ما عدا اليهودية واتخاذ الوسائل للهجوم على هذه الأديان والنيل منها . وهكذا نجد أن ماركس مع الأسف كان ضيق الأفق الفكرى وأنه لم يكن بين يديه أبعاد المجتمعات أو الفكر الدينى الحقيقى ، ووقائع التاريخ الصحيحة ، وهو يضع نظريته كعالم ، أو أنه إنما كان يستهدف وضع نظريته بفكرة مسبقة ، ولذلك فإن « اتباع الظن وما تهوى الأنفس » مزق نظريته بعد سنوات قليلة

وأحاطها إلى ركام حتى جاء من الماركسيين من يضرب أعنى قواعدها وهو قوله الدين أفيون الشعوب حيناً قال جارودى فى دراسته للحضارة الإسلامية . « وهكذا لم يكن الدين (أى الإسلام) أفيوناً يشل المناضلين بل كان بالعكس حافزاً يلهمهم القتال والبطولة ، وكان أحد دوافع الحركة الوطنية وحين يعنى الماركسى بموضوع الدين فى الظروف التاريخية المحدودة ويعرف كيف يرى أنه ليس فحسب وسيلة للتعبير عن العالم بل هو كذلك وسيلة للمحضور فى هذا العالم . وأن المتأمل فى الدور الذى يلعبه الدين وبخاصة الدين الإسلامى فى حركات التحرر الوطنى يقود غير المؤمنين فى الواقع إلى إعادة التفكير بروح العصر فى مشكلة طبيعة الدين ودوره فى عصرنا ونقطة الانطلاق فى هذا التفكير هى أن الصيغة المشهورة (الدين أفيون الشعوب) والتي كثيراً ما يزعم البعض أنها خلاصة المفهوم الماركسى عن الدين لا يمكن تفسيرها بأنها تعريف للدين . لقد كانت هذه الصيغة ملخص خبرة واقعية فى مرحلة تاريخية محدودة ومجال جغرافى محدد ومن ثم فإن القصة القائلة إن الدين فى كل الأزمنة وكل الأمكنة يصرف الإنسان عن النضال وعن العمل تتناقض تناقضاً صارماً مع الواقع التاريخى وتزودنا حركات التحرير للشعوب المقهورة فى عصرنا بشواهد تؤكد : إن الظاهرة الدينية لا يمكن دراستها فى ذاتها وبمعزل عن الظروف التاريخية فى كل بلد وعصر فلقد لعبت الحركات الدينية (يقصد فى عالم الإسلام) دوراً تحريراً ضد الاستعمار وأن الارهاصات الأولى للنضال الوطنى كانت باسم الله قبل أن تكون باسم الوطن ولقد كان الالتئام إلى الإسلام فى الجزائر فى القرن التاسع عشر بمثابة احتجاج ضد السيطرة الاستعمارية وذلك بالرغم من طبيعتها المثالية والإصلاحية التى تربط بين التحرير والتعليم على أن الإسلام بعيد كل البعد عن قيادة الإنسان بالضرورة إلى القدرية واللامبالاة بالحياة بل فى إمكانه أن يكون خميرة للعقل والنضال » . (الأهرام ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩) .

الماركسية والأخلاق

(٢)

لا ريب أن موقف الماركسية من الدين يستتبعه موقفها من الأخلاق فهى تدعو إلى « لا أخلاقية المجتمعات » وتؤمن بالانتهازية سبيلاً لفرض مواقفها وأهدافها وقد أنكر المذهب الشيوعى كل التراث الخلقى الذى توارثته الإنسانية منذ أقدم العصور وأنكر جميع التعاليم الخلقية التى أوصت بها الأديان ولانجلز موقف صريح واضح فى هذا الشأن حيث يقول « نحن نرفض أن نذعن لأية عقيدة خلقية باعتبارها قانوناً خلقياً خالداً وغير قابل للتبديل والتغيير ، ونرفض أن نعتبر بأن هناك مبادئ خلقية أبدية تتجاوز عصور التاريخ وتتجاوز كل اختلاف بين الشعوب وعلى العكس من ذلك نقرر أن جميع التعاليم الخلقية القديمة إنما هى عند تحليلها ليست إلا نتائج اصططنه المستوى الاقتصادى الذى بلغه المجتمع فى عصر معين ولما كان المجتمع الإنسانى إلى اليوم لا يزال يخوض غمار حرب الطبقات فالأخلاق التى يعترف بها المجتمع ليست إلا النظام الخلقى الذى تعز به طبقة معينة نظاماً كان طوراً يبرر طغيان الطبقة الحاكمة ويدود عن مصالحها أو يبرر طغيان الطبقة التى كانت مغلوبة على أمرها حتى وصلت إلى الحكم ولا يمكن وجود نظام أخلاقى وإنسانى شامل إلا بعد أن تنتهى حرب الطبقات » . ولا ريب أن هذه العبارات تكشف بوضوح أن الأخلاقيات تعوق الهدف الذى ترمى إليه الماركسية التى تجعل من أساسها الأول : صراع الطبقات أو الصراع الدموى للطبقات ولذلك فإن لينين الذى طبق الماركسة حين أقام النظام الشيوعى فى روسيا يؤكد هذا الاتجاه حين يقول : « نبذنا الأخلاق والنظم الخلقية ، على الوضع الذى تدعو إليه البرجوازية باعتبار أن هذه النظم الخلقية تتضمنها أوامر إلهية أو منسوبة إلى أوامر إلهية . نحن نرفض كل نظم خلقية مشتقة من مصادر غير بشرية وغير طبقية ويدعو لينين إلى العنف الذى لا يقيده قانون » . ويرى أن نظامهم الخلقى هو النظام الذى ترسمه مصالح الكفاح الطبقي وأخلاقهم هى التى تمليها مصالح هذه الحرب الطبقيّة « وأن النظام الخلقى الشيوعى ليس إلا أداة تسخرها لنيل النصر فى هذه الحرب فالأخلاق عندنا هى كل ما يؤدى إلى هدم هذا المجتمع » . ويقول ماركس فى الأعلام الشيوعى : إن القانون والأخلاق والدين ليست فى نظرنا إلا أوهاماً برجوازية ويدعو ماركس صراحة فى إعلانه « إن الغاية تبرر الوسيلة

فكل وسيلة يستعين بها العمال على هذا الهدم فهي وسيلة محمودة ومشروعة ويقول : إن النظام الخلقى فى كل مجتمع هو ديانتة وقوانينه ليس إلا جزءاً من بناء زائل أقامته ظروف الإنتاج ويعكس مصالح الطبقة السائدة . ويرى هارولد لسكرى : إن أخلاق الماركسية هي الأخلاق التى تميزت بالوحشية والكذب والخيانة والخداع وتشويه الوقائع . ولا ريب - كما يقول دكتور صلاح نامق : أن الفكر الماركسى يرى أن الأخلاق والدين خدعة برجوازية. تستر وراءها المجتمعات من أجل مطامعها ويؤكد قول لينين : إننا معشر الشيوعيين لا نستمد قواعد الأخلاق والسلوك الاجتماعى من أوامر الله لأننا نخرج على جميع الأخلاق والاداب التى يعتمدها المجتمع البشرى ونرى أنها خداع وتضليل وبذلك يكشف الفكر الماركسى عن تهالكه على النواحي المادية كأنها الغاية المثلى من هذا الوجود وهذا ما يضيق ظلالا باهتة على النظم الشيوعية وبعدها عن كل ما ترنو إليه البشرية من أهداف ومثل عليا . وكل تصريحات لينين وانجلز وماركس بأنهم يرفضون كل ما يقرره الدين من خلق يعنى أن الفلسفة الماركسية اللينينية لا تؤمن بالأديان أو الرسل أو الأنبياء لأن الدين عندهم بقايا من النظم الاستغلاية. ولوناً من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به كل الناس ومن ثم فمن أوجب الواجبات فى رأى لينين نبذ الدين والتحلل من قيوده . وهنا يمكن التساؤل : إذا كانت الأديان فى الفكر الماركسى لا وجود لها فكيف يقال أن الدول الشيوعية تخدم حرية العقيدة وتكفل للمؤمن حق ممارسة الشعائر الدينية . ولا ريب أن من أكبر أخطاء الماركسية الشيوعية إرجاع الدين والأخلاق والفكر إلى انعكاسات الأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقية حيث تنكر الماركسية جميع العواطف البشرية والمثل العليا والقيم والأخلاق والمعاني الروحية والجوانب الإنسانية . ولقد حاولت الماركسية أن تتنكر لثبات القيم الأخلاقية العليا التى جاء بها الدين وأعلنت دعوى نسبتها وتغيرها مع اختلاف العصور أو الهياث وذلك ما يتعارض تماماً مع الفطرة وواقع التاريخ ، ذلك أن القيم الأخلاقية العليا ثابتة ثبات فطرة الإنسان وكيانه ووجوده. وأن تغير الهياث والعصور لا يغير منها فلا يمكن أن يكون العدل ظلماً أو الحق باطلاً أو الفضيلة رذيلة أو الرذيلة فضيلة، فقد أعطى الإنسان الفطرة التى تميز بها الخير والشر والعدل والظلم والتقوى والفجور وستظل هذه القيم قائمة ما دامت الحياة الدنيا بمجتمعاتها وحضارتها كذلك فإن الإنسان أعطى الإرادة الحرة والالتزام الأخلاقى وهما موضع مسؤوليته وحسابه وجزائه . وأعطى مسؤوليته فى هذه الحياة كما يستخلف الله فى الأرض وعليه أن يقيم المجتمع

الرياني وهذه القواعد الأصيلة في بناء الإنسان والمجتمع تحاول الشيوعية الماركسية أن تدمرها وتمحوها وتقيم بدلا منها أخلاقيات انتهازية ومبعثرة لأنها تهدف من وراء دعوتها إلى تنازع الطبقات ودموية التنازع والتخلص من كل قيم الحق والعدل والرحمة والفضيلة. والمجتمعات البشرية لابد أن تتحرك في إطار الأخلاقيات الثابتة العليا وليست هذه الأخلاقيات خاضعة لظروف المجتمعات ومعتقداتها . وبالجملية فإن الفكر الماركسي يرى أن الدين والأخلاق خدعة للمجتمعات وأن المادية هي نور الطريق . ولا ريب أن منطلق الماركسية هو المادية أساساً والمادية الجدلية التي تقوم على صراع الطبقات وهي بديل الروح عند هيجل وهي منكورة الألوهية وهي التي تعجز عن أن تجعل للمعنويات والأديان والغيبيات والوحي مكاناً في بناء الأفراد والمجتمعات ولا تجعل للمسائل حلولاً بالصراع الدموي وهي التي تصرف الناس عن الأمن والسلام وسكينة القلب صرفاً حتى يظلوا في نار متأججة لا يقر لها قرار وقد اعترف جارودي أكبر فلاسفة الماركسية في العصر الحديث بإلحاد الماركسية وقال إنها وآرثه التراث الإلحادي القديم الذي نشأ مع طفولة الفكر الإنساني ويقول أنها تستهدف إعادة البشرية بعد أن بلغت مرحلة الرشد بالرسالة الجامعة الإسلام مرة أخرى إلى الوثنية والمادية والإباحية القديمة الجاهلية وقال جارودي أن ماركس تبني شعار بروميثيوس : أنا ضد كل الالهة وقال جارودي : : إن ما يميز الإلحاد الماركسي البحت هو أنه على خلاف سابقه لم يكتف باعتماد الدين خديعة فحسب أو مجرد وهم ولده الجهل . بل تولد عن قوله : أن الأديان انعكاس لشقاء الإنسان وضعفه . وقد أغرق ماركس البشرية في شقاء الانسحاب من التدين وبرر لها الظلم والصراع الدموي وحجب عنها نور البصيرة وطمأنينة القلب وأذاقها الذل والهوان .

(٤)

الماركسية والعلم

إن تعريفات الماركسية في مفهوم الإنسان والعالم والمصير هي شيء غريب بعيد عن قواعد العلم وبعيد عن الفلسفة المثالية التي تبدأ بنقطة بدء صحيحة هي وجود الله (تبارك وتعالى) وجوداً مجرداً . وقد تبين أن تعريفات الماركسية التي قامت على فروض العلم في القرن التاسع عشر إذا عرضت اليوم على معطيات العلم الحديث تبين أنها في واد والحقائق العلمية في واد

آخر وانكشف عجزها عن إعطاء التصورات الكاملة الشاملة للوجود والحياة . وقد نشأت الماركسية في القرن التاسع عشر ظل التعريف السطحي للمادة بأنها كل ما تقع عليه الحواس ، وقد تقدم العلم من بعد وتوالى الاكتشافات العلمية وتجاوزت ما يقع عليه الحس إلى عالم الذرة ، ومن ثم أعادوا صياغة التعريف بأن المادة هي الموجود الموضوعى خارج الذهن « وهم يقفون حائرين اليوم بعد أن أفلتت جميع التعريفات من أيديهم وفقدت المسلمات النظرية حقيقتها أمام الممارسة العملية من جانب والتقدم العلمى من جانب آخر . وقد فتح تفجير الذرة الباب أمام تعريفات جديدة للمادة ، ومحاولات أعمق في مهمتها ، قال أرسطو الد بآن المادة صورة من صور الطاقة فحسب ، وقال لبيون : إن المادة صور مختلفة من الطاقة . وقال أدنجتون : إن المادة مركبة من بروتونات وألكترونات ، أى شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء . وقال هوايتهد : إن مفهوم الكتلة في طريقه إلى فقدان امتيازه الواحد الدائم في النهاية فالكتلة الان اسم لكمية من الطاقة في علاقاتها ببعض آثارها الديناميكية . وقال لبيون : إن عناصر الذرات التي تنحل تفنى تماماً ، فهي تفقد كل صفة للمادة بما فيها ذلك الثقل الذى هو أكثر صفاتها الأساسية . ذلك أن الميزان يعجز عن وزنها ولا شئ يستطيع أن يعيدها إلى حالة المادة فقد اختفت في عظمة الأثير والحرارة والكهرباء والضوء يمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها في المادة ولكن ما هو الأثير : لا أحد يعرف . يقول لورد سالسبورى أنه ليس اما على الفعل يتموج ، والأثير خرافة ابتدعت لإخفاء جهل المثقف للعلم الحديث فهو غامض غموض الشبح أو الروح . ويقول الأستاذ أدنجتون أحدث حجة في هذا الموضوع « ليس الأثير نوعاً من المادة فهو لا مادى » ومعنى هذا أن شيئاً لا مادياً يحيل نفسه إلى مادة بواسطة بعض الالتواء الغامض أو دوامات ويصبح ذلك الذى لم يكن له بعد أو ثقل بإضافة أجزاء منه بعضها إلى بعض مادة متميزة ويمكن أن توزن . إن ظاهرة الكهرب والذرة قد جعلت المادة تفلت من أيدي العلماء ، وأفلتت من المادة كل شئ ثابت أو كانوا يحسبونه مضرب المثل في الثبوت . ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة ، أصبحت المادة كلها كهارب وذرات وإذا بالذرات تنفلق فتنتلق شعاعاً كشعاع النور ، وما زالت الجاذبية فرض من الفروض وما يزال الأثير فضاء أو كالفضاء ولا ريب أن هذا مآزق من أشد مآزق الماركسية .

٢ - ومن المسلمات التي قامت عليها الماركسية وثبت بطلانها افتراض أن المادة أسبق من الفكر ويرى العلماء اليوم أن الحواس هي أبطأ أدوات المعرفة ولذلك يشترك فيها الحيوان وبعض

النباتات مع الإنسان في إدراك البيئة المادية من حوله ثم لم يكن مفر من العقل كأداة أرقى في المعرفة حتى انتهت به رؤية للمادة إلى حافة الأثير عندما خرج عن كل صفة معروفة من صفات المادة ولم يبق إلا حسبة رياضية لها دلالة كبرى وهي أن الإنسان ليس من صنع المادة لأن المصنع لا يحيط بصانعه والإنسان قد أحاط بكل صورة المادة وخرج منها إلى دائرة أوسع منها هي دائرة الأثير وإذا تحولت المادة إلى حسبة رياضية يحتويها الفكر فإن ذلك يجعل المنطق القائل بأن المادة أسبق في الوجود على الفكر في مآزق علمي شديد التناقض مع معطيات العلم الجديد وفي مآزق أشد حرجاً مع مسلمات الماركسية التي قامت على أساس صحة هذا الافتراض وما ارتبط به بعد ذلك من مصالح سياسية كبرى وما أشد محنة العالم حين يقف حائراً بين دواعي السياسة وأمانة العلم ومن ثم فقد أخذوا يتراجعون خطوة وراء خطوة بعد أن خلوا عن البحث في أولية المادة والفكر ثم بعد أن تغلوا عن البحث في أولية التأثير المتبادل بينهما انتهوا إلى الوقوف عند النشاط الإنساني فنجدهم يقولون : إن النشاط المادي للإنسان نفيض الذهني غير أن هذين النقيضين يتداخلان كل في الآخر ويؤلفان وحدة ذات وجهين للحياة الاجتماعية غير قابلين للانفصال ومتفاعلين . وقد بحث مؤلفو (أسس الماركسية) العلاقة المتبادلة بين الفكر والمادة وهل الفكر مجرد إنعكاس أم يعمل بطريقة فيها تمييز وقد صرفوا النظر عن أيهما وجد أولاً : المادة أم الفكر . وقالوا : ابتدع ماركس وانجلز (الجدلية المادية) خلال صراعهما ضد النظرية الميتافيزيقية للطبيعة التي تنكر التطور غير أن الوضع قد تغير بعد مضي منتصف القرن ١٩ فقد انتشرت فكرة التطور (بفضل نظرية دارون) وفي الوقت الحالي يقوم بين الجدلية والميتافيزيقية بصفة رئيسية حول معرفة كيف تفهم التطور وليس حول ما إذا كان هناك تطور ويقول لسو : إن تنازلم عن الأصرار على أن المادة أولاً سيفقد المقدرة على الإصرار على أن المادة هي المؤثر الحاكم في عملية التطور وأن ذلك معد لمزيد من التراجع . وقد أشار الباحثون إلى أن كتاب أسس الماركسية اللينينية الذي أخرجه ٢٩ عالمًا سوفيتيًا عام ١٩٦٣ في موضوع العلاقة بين الفكر والمادة قد أتى بما ينقض المادية الجدلية من أساسها . ٣ - لما كانت المادية نظرية قديمة كانت معروفة قبل العصر الحديث تقوم على أساس أن الوجود مادي وهي تنكر الدين والأخلاق والفكر ومن شأن الإيمان بالمادة أن يتخذها وسيلة لإنكار الخالق ووجوده وإنكار المسؤولية الفردية التي هي مصدر الجزاء الأخروي ، ومن شأن هذا الاتجاه الفاسد إخضاع الفكر والحياة والفن للمادة ،

ومن شأن هذا أن يفسر التاريخ تفسيراً مادياً وأن تعزى التغيرات التي حدثت على وجه الأرض إلى الضرورات الاقتصادية والمادية ، هذه النظرية زيفها العلم وكشف عن فسادها كما زيفها الدين ، فقد تعارضت مع أصول العلم الذي يقرر الان أن هناك جانب عيني وراء مقررات الذرة والكهربائية والجاذبية وغيرها لا يستطيع العلم أن يصل إليه وليس له إلا أن يسلم به مما يؤكد أن وراء هذا العالم المادى عالم آخر أكبر وأعظم وأن مراجعات علماء التجريب ومقايستهم كلها تكشف وتؤكد أن وراء هذا العالم قوة كبرى تدبره ساعة بعد ساعة وتحفظه لحظة بعد لحظة من أن ينفرط عقدة وصدق الله العظيم حيث يقول : (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) كما تقرر حقائق العلم أن هذا الكون يتسع يوماً بعد يوم وصدق الله العظيم إذ يقول (وإنا لموسعون) وقد أعلن الطيارون - غير الماركسيين - الذين خرجوا إلى الفضاء إيمانهم بقدرة الله بل إن هناك ما يدل على أن الطيار الماركسى عندما أعلن ذلك اختصرت حياته على نحو من الأنحاء .

(٢) أن اعتماد الماركسية على المادة وأنها أصل الأشياء هو أساس قد اعتوره خلل كبير بعد تقدم كشف العلم ، بل إن الحقيقة التي بين يدي الإنسانية كلها ، أن الكشف العلمية التي توالى والتغيرات التي أصابت المنهج العلمى كمنهج معرفة ، قد أسقطت الأصول التي اعتمدت عليها الماركسية من جذورها فلقد وصل العلم إلى حقيقة هي من أمهات الحقائق : تلك هي الاعتراف بأن هذا العلم قوة غير المادة ، قوة غيبية وراء العالم الحسى . والمعروف أن مفاهيم العلم التي كانت قائمة في القرن التاسع عشر (قرن المادية المفرقة) قد تغيرت الان واضطر العلم إلى التواضع في دعاواه فغاية ما يدعيه اليوم أن يصف ويسجل ويفسر « ظواهر الأشياء » وما يزال العلم حتى الان نظريات وفروض ، بل لقد نقض العلم اليوم كل دعاوى الفلسفة المادية التي حاولت أن تقول أنها وليدة مقررات علمية بينما ليست حقائق رياضية . ولما كانت الماركسية تعتمد على المادة وترى أنها أصل الأشياء فإن هذا الجدار الأساسى قد تحطم تماماً ، فقد تعثرت نظريات العلم وفرضياته وانكشفت بانشقاق الذرة معالم جديدة تناقض الأسس التي قامت عليها النظرية الماركسية والواقع أن الشيوعية لم تقم على العلم بل قامت على نظريات فلسفية وفروض عقلية حاولت أن تستمد من مفاهيم العلم القديم أساساً ولذلك فقد وقعت الماركسية في أزمة شديدة الخطر حين حاولت تعديل منهجها وأصولها مرة بعد مرة كلما حاصرتها متغيرات العلم ولكنها عجزت مع ذلك كله عن

أن تتجاوب مع الطبيعة البشرية بل إن بعض الباحثين يؤكد أن الشيوعية لم تقم على العلم بل هي تقهر المنهج العلمى فى البحث وتسخره لتبرير أحكام مسبقة وجاهزة . ونحن نعلم أن أول خيط الفكر المادى قد التفتته التلويديّة من نظرية دارون وحاولت به أن تجعل الإنسان حيوان الأصل وأن تخرجه من فطرته النقية وأن تدفع المجتمعات إلى فكرة التطور المطلق خارج نطاق الثوابت إلى نسبة الأخلاق وإلى متغيرات كثيرة يراد بها تدمير وجوده ، ثم جاءت الماركسية لتجعله عبداً للطعام ، وجاءت الفرويدية لتجعله عبداً للجنس ولم يكن هذا كله علماً بقدر ما كان فلسفة تعتمد على بريق العلم . ولقد تبين بما لا شك فيه أن العلم لن يستطيع أن يعطى البشرية إلا تلك المعطيات المادية التى تعين على سير الحياة أما القيم العليا فلا يعطيها للناس إلا الدين الحق وأن العلماء اليوم وخاصة فى مجال الذرة والفلك والرياضيات ليقررون وجود الله تبارك وتعالى ويؤكدون أن هناك جانباً غيبياً قائم فعلاً وراء هذه المظاهر المادية ، ولا ينكر الإسلام المادة ولا ينكر العلم ولا ينكر العقل ولكن يرى أن كل هذه حلقات فى عقد كبير لا يكتمل إلا بالروح والنفس والإيمان وليس من شأن الحواس الخمس القدرة على أن ترى كل شيء وكذلك العقل . ولن يكون العالم مادياً ولا من الصدفة ، كذلك فإن الماركسية ليست علماً ولن تكون « ولو كانت علماً ثابتاً ما اختلف الأتباع وما تناقضوا وتقاتلوا ولما خرج الساليني واللينيني والمآوى والتيتوى ، وراحوا يضربون بعضهم بعضاً وأن هذه العلمية المدعاة ليست إلا قناع كاذب يلبسه الأتباع والمروجون وأن حقيقة الشيوعية علماً ولا فكراً وإنما هي « مؤامرة » طبع وحقد دفين وتاركين للبشرية كلها أن تبحث عن مبررات معقولة ولغة مقبولة تظهر بها . وليس أشد ضللاً من كلمة « الاشتراكية العلمية » وكلمة العلمية هنا خداع شديد تعنى الواقع المادى وحده ، وليست تعنى العلمية فى المنهج الذى يقوم على استخلاص النتائج من التجربة الحقيقية ، فإن المذهب قد تشكل فى ظل صيحات العلم المادى فى القرن التاسع عشر التى كانت تستل على مفاهيم المثالية والروحية والعقدية ، وتفرض أنها قادرة على تفسير الكون والحياة والمجتمعات نفسها ، وهى نظرية ثبت فشلها بعد ذلك وسقوطها وقد تبين من بعد قصور العقل قصوراً ذاتياً مالم يستهد بوقود خارجى ، وقصور العلم عن التعرف إلى حقائق الأشياء وثباته على مفهوم التعرف على ظواهر الأشياء ، كما ثبت فساد تطبيق نظرية التجربة فى مجال الدراسات الإنسانية وكل ما يتعلق بالمجتمع والنفس والأخلاق والحضارات فهذه لا تخضع للقوانين التجريبية . والواقع أن هناك خداع عريض

في إطلاق وصف الاشتراكية العلمية على مجموعة هذه التنبؤات والأفكار الظنية والمنشورات التحريضية التي تروجها الماركسية وهذا التآمر المبني لتدمير المجتمعات تحت اسم « الصراع الطبقي » أى الصراع الدموى . ويقول الدكتور مصطفى محمود : لم يكن كارل ماركس علمياً حينما انتق من التاريخ بضع مراحل ولفق منها مذهب طبقه اعتسافاً على التاريخ كله وكان حاله مثل حال اليهودى الآخر فرويد الذى أخذ من مرض المستعيا بضع حالات ولفق منها مذهباً فى الغريزة الجنسية طبقه اعتسافاً على الأصحاء والأسوياء من البشر فجعل من البشر مجموعة من القروء تلهو بأعضائها التناسلية فى جيلالية كما تصور شقيقه كارل ماركس عجلة التاريخ تحركها يد الصراع الطبقي وقد تعمد ماركس إسقاط مراحل كاملة من التحول التاريخي لأنها ناقضت مذهبه وبالجملة فنحن أمام تلفيق أطلق عليه أصحابه صفة العلم ووضعوا عليه بطاقة « الاشتراكية العلمية » زوراً بهتاناً . ويقول الأستاذ محمد الغزالي أن تقدير الشيوعية كحقيقة علمية ، كذب على العلم وعلى الاختصاص فى وقت واحد ، لأن النظريات الاجتماعية بعيدة الصلة عن الحقائق العلمية . فالحقيقة العلمية حقيقة تثبت فى معامل الكيماويين أما النظريات فإنها لا تأخذ حكم الحقائق العلمية الثابتة ومن ذلك نظرية فرويد عن الغريزة الجنسية على أساس السلوك ونظرية ماركس إن الملكية سبب بلاء البشرية والقول بأن الشيوعية هى المصير العلمى للناس أو الحقيقة التى يؤيدها العلم لإسعاد البشرية وكان الرد الطبيعى أن هناك شعوباً لا تعرف الشيوعية ولا عاشت فى ظلها وهى تحيا على مسوى من الرفاهية والرضا لا تعرفه البلاد الشيوعية وإذا وزنت الشيوعية بمدى ما أفاده الناس منها فإنها تخسر لأن الناس ما استفادوا منها فى بلادهم إلا المتاعب وفقدان الحرية ونوعاً من شظف المعيشة لا يحسدون عليه .

{ ٥ }

الماركسية والصهيونية

تكاد الأبحاث الأصلية المحررة تجمع على حقيقة واحدة : هى أن الماركسية يهودية الأصل كالصهيونية وأن الحركة الماركسية والتطبيقات الشيوعية جميعاً حملت بصمات اليهودية التلمودية فقد نشأت الحركة الشيوعية فى البلاد العربية خلال الحرب العالمية الثانية فى فترة التعاون بين بريطانيا والإتحاد السوفيتى فلم تظهر كحركة وطنية بطاردها الاستعمار

البريطاني بل تغاضى الاستعمار عن نشاطهم ، وكان اليهود أصحاب مصلحة مباشرة في هزيمة النازية وانتصار بريطانيا وكانت النسبة الهائلة من اليهود واضحة في التنظيمات الماركسية وقد حملت الحركة الشيوعية بصمات اليهود حتى أنه لما طرح قرار تقسيم فلسطين وأيده الإتحاد السوفيتي وأيدته الأحزاب الشيوعية العربية بما فيها الحزب الشيوعي الفلسطيني ولقد بدأت الماركسية أولاً في شكل أنصار السلام التي تكونت عشية الحرب العالمية الثانية لمنع الحرب عندما كان التحليل السوفيتي يرى أنها حرب استعمارية وموجهة ضد الإتحاد السوفيتي أساساً فلما مست نيرانها (الروسية المقدسة) تحولت إلى حرب تحرير ودفاع عن الديمقراطية ولقد كان موقف الماركسيين في مصر هو موقف المهادنة أو الملاينة للاستعمار وقد اكتشفت إحدى الدراسات اليسارية أن الاشتراكيين الأوائل في الفترة من الإحتلال حتى الحرب العالمية الأولى كانوا يتخذون موقف المهادنة بل ذهب بعضهم إلى حد امتداح دور الإحتلال في في مصر واعتباره تقدماً وقد دعا الأجنبي هذا التشكيل لكي يضرب به القوى الوطنية الحقيقية والقيادات الشرعية التي ترفض الاستعمار الوافد وترفع شعار الشرعية في وجه الغاصب الذي يسلط عليها اليسار بدعوى مكافحة الرجعية ودراسة تاريخ هذه المرحلة يؤكد ذلك . بل أن حقائق التاريخ تؤكد أن دعاة التيار الليبرالي ودعاة الدولة العلمانية ونظرية التطور (أصحاب المقطم والأهرام ودار الهلال وسلامة موسى وشيلي شميل كلهم) كانوا متعاونون مع الاستعمار بحجة محاربة الرجعية المصرية أو الخديوية ورجال الدين ثم كانوا من بعد أنشط رجال الاستعمار والقصر في حزب الحركة الوطنية ، نصل من هذا كله إلى حقيقة واحدة هي أن الشيوعية أفرخت في حجر اليهودية العالمية . وتقرير فرنك لي بريتون في كتابه الصهيونية والشيوعية أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان يتحكما بجمهرة اليهود الروس وقد أعلن الصهيونية زعيمها تيودور هرتزل ودخلت إلى روسيا حوالى ١٨٨٠ وكانت منافسة للماركسيين وكاهنها الأكبر كارل ماركس حفيد أحد الحاخامين ويقول بريثون : أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعضهما واحدة وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد والفئة التي يقوم عليها من وراء الستار واحدة ، وما اختلافهما الظاهري سوى ترتيب موقف اقتضاه تأمين النجاح في السعى إلى الغاية الواحدة ، حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا للسيطرة على العالم ، ولا مجال للإنتظار أن العالم اليوم ينقسم إلى شطرين وإن أحدهما يسمى الشرق تسيطر عليه الشيوعية ولكن حصافة الصهيونية حالت دون أن تظهر سيطرة الصهيونية

رسمياً على ما يسمى الغرب، ذلك لأنهم تمتالك بعد منه كما تملككت الشيوعية في الشرق فاستعوض عنها بالرأسمالية لتسيطر على الشطر الآخر حيال الشيوعية ولا يخفى أن الصهيونية قد ظهرت تحت الاسم (إسرائيل) لها سيطرة بعيدة المدى على دول الغرب جمعاء فترى هذه تسابير إرادتها على طول الخط ، وكل من الرأسمالية والشيوعية يدعى اعتناق الديمقراطية الحقبة وكل واحدة تتهم الأخرى بالتشويش على السلام العالمى وكلتهما صادقتان ومتفقتان على تشويش الأذهان . وأن اليهودية التلمودية هى نواة الشيوعية والصهيونية اللتين تناهضان المسيحية والملايين من أتباع المسيح قد أزعجوا وعذبوا ونفوا وقتلوا منذ خطر الوجش الأحمر على البسيطة عام ١٩١٧. ويقول الباحثون: أن تعاليم كارل ماركس وفردريك انجلو ولينين وستالين لا تختلف فى كثير أو قليل عن تعليقات بروتوكولات حكماء صهيون بل أن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التى صيغت بها كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة . ولعل من أعجب ضروب التشابه فى الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيين الأوائل جميعاً منحدرين من أصل يهودى ، فضلاً عن التشابه الصارخ بينهما كحركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله والتشابه فى رسائلهما وغايتهما ومفاهيمهما وأخلاقيتهما والتشابه بينهما فى ميدان التطبيق العلمى تتمسح إحدهما بالدين بينما تنكر ثانيتهما الدين ولكنها تخلع على نفسها قداسة أشبه بقداسة الدين . ويقول الأستاذ ماهر نسيم : تتشابه الفلسفتان : الصهيونية والشيوعية تشابهاً كاملاً فى نظريتهما إلى الأخلاق فالأخلاق عندهما ليست ما اصطلاح عنه الشرفاء من مفاهيم تمجد المثل الأخلاقية العليا ومبادئ الفضيلة وكرامة الإنسان التى تبغى أن تصان وإنما الأخلاق عندهما تتمثل فى شئ واحد هو القوة وتحقيق أهدافهما بشئ الوسائل مهما انحرفت هذه الوسائل عن جادة الصواب والمثل الأخلاقية ومبادئ الفضيلة ثم تنادى الفلسفتان : الصهيونية والشيوعية بأن الغاية تبرر الوسيلة فكل شئ مباح ما دام يؤدى إلى نصرته الصهيونية أو الشيوعية والتشابه فى نظريتهما إلى أساليب الحكم : والتوسل بالسلطة الاستبدادية التى لا حد لها والعنف والظلم وتتشابه الفلسفتان فى نظريتهما إلى القانون فالقانون عندهما ليس أداة من أدوات نشر العدالة وإنما مجرد تعبير قانونى زائف عن الديكتاتورية والطغيان والاستيراد والقمع والإرهاب والكبت ويرى كلاهما أن الرأى العام يجب أن يكون كالسائمة وأن يكون كقطع الشطرنج يحركها اللاعبون هنا وهناك تنادى كلاهما بجعل الصحافة مجرد أداة من أدوات الخداع والتضليل والنظرة إلى الحرية لا تعنى ما اصطلاح.

عليه الناس وإنما تعنى السلطة : السلطة الحاكمة هى وحدها التى يحق لها أن تستمع بالخبرة مع ضرورة إحتكار الحياة الاقتصادية وتسخير كل القوى الاقتصادية لتحقيق أهداف الصهيونية أو الشيوعية وتنادى الشيوعية والصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية ، وتطالب الصهيونية بالقضاء على كل الأديان غير اليهودية وتعمل على نشر الإلحاد وكلاهما تدعو إلى الثورة العالمية بغية إخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية أو الشيوعية . وتجمع الحقائق التاريخية على أن الثورة الشيوعية قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وأن كبار زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين ونورشيوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودى أولهم زوجات يهوديات وأن أهداف الماركسية الإشتراكية هى نفس أهداف الصهيونية العالمية ، أو أن الشيوعية والصهيونية كلاهما يسعى للسيطرة على العالم وتسخيره لليهود شعب الله المختار . وكان الملك فيصل غفر الله له هو أول من دوى بالحقيقة التى كانت موجودة فى بطون الكتب ولكنها كانت غائبة على كثير من زعماء البلاد العربية حين قال : إن الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة لتحقيق أهدافنا من التقدم والإستقرارية وعندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر إسمين ولكن الحقيقة أن الشيوعية وليدة الصهيونية وهدفها الأساسى هو التخريب والتحطيم . ومن القوانين القوية والأدلة القاطعة على صلة الماركسية والشيوعية الوثيقة بالصهيونية العالمية واليهود أن كارل ماركس هو نفسه الحاخام الأكبر واليهودى الذى يمثل فى حياته وفكره كل ما تنطوى عليه النفسية اليهودية من أحقاد وكرهية ورغبة فى الانتقام من البشرية كلها . وأن الثورة الشيوعية بدمويتها كانت من تصميم اليهود وتدبيرهم وأن ما تحقق فى روسيا كان من تخطيط العقلية اليهودية فى سعيها للسيطرة على العالم وقد اشترك أعيان اليهود فى تمويل هذه الثورة . وقد تبين أن أنصار الشيوعية فى العالم معظمهم من أنصار الصهيونية وتبين أن ٩٠ فى المائة من أعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى من غلاة الصهيونية وأن مجلس الثورة الذى حكم روسيا بعد قيام ١٩١٧ كان مكوناً من عشرة من الأعضاء من بينهم ستة من اليهود وأن لينين وستالين من أصل يهودى وكان ستالين متزوجاً من يهودية وأن أربعة من أعضاء مجلس السوفيت الأعلى من اليهود وأن نور شيوف ومولوتوف كلاهما كان متزوجاً من يهودية وقد كانت روسيا السوفيتية أولى الدول بعد أمريكا التى أعترفت بقيام دولة إسرائيل ولقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان الكثير من زعمائهم . ولقد أدى ترابط هذه الحقائق وتكاملها إلى أن عبر أحد الباحثين

عنها بالماركسية اليهودية وقال أنه بالمجهدات اليهودية وحدها نجحت الثورة الروسية وأنه بهذا الدعم اليهودى المكشوف للحركة البلشفية اتضح أن الماركسية ليست سوى حركة يهودية سرية يربطها ويوجهها التمويل اليهودى والقيادات اليهودية فكرياً وتنظيماً . فماركس فيلسوف الشيوعية الأول كان يهودياً . ولينين زعيم الانقلاب الشيوعى فى روسيا باسم الماركسية اللينينية كان الآخر يهودى الأصل وغيرهما كثير ، ويكفى كدليل عملى على المشاركة بين الشيوعية واليهودية العالمية فى مخطط واحد وهدف واحد : مشاركة الجميع فى الإتحاد العام للحزب الاشتراكى الديمقراطى اليهودى : حزب البند . ولا ريب أن هذه العلاقة الوطيدة والعميقة بين الماركسية واليهودية العالمية كانت الدافع الأساسى لاندفاع الشيوعية فى العالم ، لأن اليهودية كيان مغلق على نفسه لا يستطيع الانتشار والسيطرة والقيادة إلا بمفاهيم الشيوعية والعلمانية والبرالية والرأسمالية (وحرية ومساواة وأخاء) شعار الماسونية والثورة الفرنسية التى حرثت الأرض أمام تحقيق الأهداف الكبرى التلمودية وكان مقدمة للثورة الروسية ولإسقاط الخلافة الإسلامية . وهكذا تؤكد الدراسات العلمية والوقائع التاريخية الصلة الواضحة العميقة بين الشيوعية والصهيونية فإن مفهومهما يستمد من حقد على البشرية ورغبة فى الانتقام منها وقد أعلن أن الثورة الشيوعية كانت من تصميمهم وأن ما تحقق فى روسيا كان بفضل الفكر اليهودى ذى التموجات الرأسمالية والاشتراكية . ويستهدف تعاون اليهودية والشيوعية فى الوصول إلى السيطرة على العالم وتسخير المواد العالمية وفق أهوائهم ولقد تبنت أبعاد المخططات العالمية فى هذا الارتباط بين الماركسية والصهيونية فى أحضان اليهودية العالمية ما أثبتته الأستاذ محمد عبدالله عنان الذى كتب قبل خمسين عاماً (عام ١٩٢٦) يعلن عن هذه أن المخطط كشفتم عما يسمى (الثورة العالمية) فأشار إلى أن قوى كثيرة تهدد كل المجتمعات والنظم الحاضرة بالفناء تتجمع فى الدعوة إلى الثورة العالمية فالبلشفية والدولية الشيوعية والاشتراكية واللاحكومية وغيرها من الدعوات والمصادر الثورية كلها قوات هائلة تعمل لغاية واحدة . ويربط عنان هذا المخطط بالثورة الفرنسية . (التى هى وثبة من أعظم وثبات الهدم فى العصر الجديد) ترجع إلى نشاط هذه القوات الخفية ومهارتها فى استغلال سخط الجماعات أكثر مما ترجع إلى الأسباب والحوادث المادية التى ينسب انفجارها إليها عادة وقال أن العقوبيون أعظم دعاة الهدم فى الثورة الفرنسية كانوا ينتمون إلى جماعات سرية كانت تعمل فى الخفاء لسحق الملكية الفرنسية . هذه الروح الهدامة تجلت فى الثورة الروسية ، فقد أشادوا مجتمعاً غريباً

في تفكيره أبحاثاً في اعتباراته وتقديراته ، هذا المجتمع الذي يبرز اليوم رافعاً لواء الثورة العالمية ويتساءل : هل تكون البلشفية والثورة العالمية اسمين لمسمى واحد ، ذلك أن عبارة الثورة العالمية تجرى على ألسنة أقطاب موسكو وزعماء البلشفية . وأن ما يقوله رئيس الدولية وغيره من زعماء البلشفية لا يعنى أن الجمعية السرية التي تقبض الآن على مصائر روسيا تعمل دون وحى يلقى إليها من وراء أستار وتسير في جهودها الهدافة مستقلة دون توجيه ، فما هو المصدر الخفى الذى يغذى بجهوده البلشفية وما هى غايته الأخيرة التي تدفع لحركات الثورة المختلفة إلى رعايتها. أن البناء الحر والجامعة الدولية والجامعة الجرمانية كلها قوات حقيقية لا مرية في وجودها تؤثر في شؤون العالم أيما تأثير وفي وسعنا أن يعين منها أسماء الزعماء وطرق العمل ومراكز الوحي والإرشاد ومما يلفت النظر أن تختلف الدعوات الشيوعية والإشتراكية واللاحكومية (ماركس وبوكونين وبرودون) وهى جميعها تتفق في برامج الإنشاء السياسى وتتفق جميعها في غايات التعويض والهدم . إن ثورة الكتلة العاملة وتحريرها من نير البرجوازية وتحطيم النظم الرأسمالية وإضرابها من العبارات الشيوعية كلها ستار لغاية واحدة : هى غاية هدم شاملة لتحطيم المجتمع الرسمى معناه تحطيم المدنية الحاضرة وكل ما احتوت من أديان وتعاليم وتقالييد . و « هدم المدنية » : غاية عملت لها جميع القوات الخفية والجمعيات السرية خلال القرون ، ولكن الحرص على تنفيذ هذه الغاية والدقة في تنظيم القوى التي تعمل لتحقيقها واستعداد المجتمع الحاضر لتلقى تعاليمها كلها ظواهر جديدة لم تظهر من قبل بمثل ما تظهر به اليوم من جلال ووضوح ، ذلك لأن عقلية المجتمع الحاضر قد تآثرت بمؤثرات جديدة عميقة وقد بعثت البأساء الطاحنة في بنيانه روحاً من اليأس والنقمة ، هذه الروح هى التي يستغلها دعاة الثورة العالمية وهى التى مهدت السبيل في روسيا العنصرية لظهور البلشفة . ويقولون : « إن الثورة العالمية والخطر اليهودى إسمان لمسمى واحد : وأن دعاة الثورة العالمية هما دعاة السيادة اليهودية العالمية وأن الفكرة اليهودية القديمة في سحق المدنية الحاضرة هى التي تحكم وراء الثورة العالمية ، أما كون اليهودية تقصد بالهدم والمحو كل النظم الحاضرة وتقصد بالأخص إلى هدم التعاليم الدينية والأخلاق نصرانية كانت أو إسلامية فإن هذا أمر لا ريب فيه ولكن ليس ثم ما يؤيد أن اليهودية تختفى وراء البلشفية والشيوعية والاشتراكية وما إليها من دعوات الهدم ، وكل ما هنالك أن اليهودية تعمل لنفس الغاية ، والظاهر أن اليهودية ما هى إلا إحدى القوى التي تعمل للهدم إلى جانب الحركات الأخرى وأنها تدين

بنفس التعاليم الحرة الهادمة وأن هذه القوى ترعى جميعاً مثلاً واحدة هي الجامعة بينها وهي التي توجه نشاطها وتوحد بين غاياتها وإذا كان من المستحيل أن نعين ذلك المصدر أو المصادر الخفية التي تغذى دعوة الثورة العالمية بالنصح والإرشاد وتمدها بالدعاة والأموال فقد لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن البلشفية هي أقوى وأمنع عناصر الثورة العالمية وإنها هي التي تبرز إلى الطليعة بالقول والفعل وأنها واسطة الوحي في تغذية العناصر الأخرى التي تحرص جميعها على تحقيق غاية موحدة شاملة هي هدم المجتمع الحاضر من الأساس واستبداله بمجتمع يقوم على مبادئ الشيوعية والإباحية وتحقيق أعظم ما يستطيع من مثل ماركس ولينين . وبعد فيمكن أن يقال أن ما كتبه عبد الله عنان هو الخيط الأول لكشف هذه المخططات فقد كان قريباً من مصادر العلم بهذا الأمر إذ كان سلامه موسى وحسن العرابي بعد الحرب العالمية الأولى هما أول من تحدث في مصر عن الاشتراكية والفكر الماركسي وكانا قد اتصلوا باليهود الذين كانوا يديرون هذه المنظمات وفي مقدمتهم هنري كوريل غير أن هذا المفاهيم التي قدمها لم تلبث أن تكشف عن أبعاد جديدة وأعماق عريضة عندما اكتشفت بروتوكولات صهيون وغيرها ، ولقد كان لينين أحد المخططين وواضعي البروتوكولات في مؤتمر حكاء صهيون ١٩٠٢ حيث قال المؤتمر : إن آخر حصن للعالم وآخر ملجأ من العاصفة هو روسيا فلإنها ما يزال حياً وإمبراطورها المسيحي ما يزال قائماً كحاميتها المؤكد » وكان الهدف هو التخلص من هذا الإمبراطور وتدمير ذلك الحصين تأكيد لما قرره المحفل الماسوني الأمريكي في نهاية القرن التاسع عشر وهو الذي يدير الماسونية الكونية وكل أعضائه من كبار اليهود ، ومن ثم تم الاتفاق على إنفاق مليار دولار في سبيل قيام ثورة في روسيا تطيح بالإمبراطور وتبني الدولة للشيوعية غير عابئين بتضحية أعداد ضخمة من يهود روسيا . وكان ذلك إيماناً بأن الشيوعية هي جناح أيدلوجي للصهيونية العالمية وأن الثورة البلشفية في حقيقتها هي ثورة لليهود ضد القيصرية وضد المسيحية وانتقاماً من عمليات الاضطهاد التي قامت بها روسيا بعد أن قتل اليهود اسكندر الثاني . يقول على منير مراد : وما أن نجح المخطط الصهيوني بقيام الثورة الشيوعية حتى كان اليهود هم القائمين بالاغتيالات السياسية (تماماً كما حدث في الثورة الفرنسية) التي كسرت أمام اليهود باب الجيتو المغلق وأفسحت لهم الإشتراك ثم السيطرة على الحياة السياسية الغربية وهناك حقيقة واضحة أن مؤسسا الدولة الشيوعية في روسيا ليسوا من طبقة البروليتاريا التي ضللت ولكنها من طبقة اليهود المثقفين وكان أول رئيس للدولة في روسيا

هو اليهودى كلمنيف وتلاه سفردلون وبينهما زيتوفيف وكلهم يهود ومن زعمائهم تروتسكى اليهودى المتعصب وقد وضعوا فى كل مصنع ومدرسة مؤسسة قومسيرا يهودا ليطش بآى معارضة للماركسية وأدعوا أن الشيوعيين هم الشعب المختار وأنهم سادة العالم ، وبذلك خلقت الماركسية التميز على أشده بين الحاكمين والمحكومين فهناك طبقة قياصرة الكرمليين الذين يعيشون عيشة الملوك وطبقة أعضاء الحزب المميزون فى جميع أنحاء الدولة ثم طبقة الشعب الذى يعيش لياًكل فلا حريات ولا مساواة بل معتقلات تضم الالاف فى سيبيريا وكل ما حصل عليه أفراد الشعب إنهم أصبحوا تروساً فى آلة الإنتاج العام فلا كيان للفرد وإنما عليه أن يكذب ويغش ويتجسس لمصالح الحزب ومن أجل الشيوعية . ولقد كانت روسيا ثانى الدول إعترافاً بإسرائيل بعد الولايات المتحدة كما كان للأسلحة التى أرسلت إليها من تشيكوسلوفاكيا والدول الشيوعية فى أوروبا أكبر الأثر فى صمود القوات الإسرائيلية فى وجه الدول العربية التى كانت تسعى لشراء الأسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية بعد أن إمتنعت دول الغرب عن بيع السلاح لها وفى أواخر عهد ستالين قامت بعض التحركات المضادة لليهود ولكن ما انتهى عهد ستالين بوفاة حتى أزيلت تماثيله وأخفيت آثاره بل وأخرجت جثته من مقبرة العظماء ولم يكن ذلك مصادفة وإنما يرتبط بنفوذ اليهود وتغلغلهم فى الدول الشيوعية :

(٣) ويتساءل الدكتور عبد الحليم محمود (الإمام الأكبر وشيخ الأزهر) هل للشيوعية صلة بالصهيونية وهل الشيوعية وليدة الصهيونية ويقدم مجموعة من الحقائق دون تدخل فيها . منها ما سجلته دوائر القضاء المصرى ، فقد ضبطت فى بعض قضايا الشيوعية فى مصر أوراق وتقارير ومكاتبات تثبت أن النشاط الشيوعى فى مصر يدار من الخارج حيث عثر فى ١٩٥٣-١١-٣) بمسكن بعض المتهمين بالشيوعية على تقارير متعددة وصلت إليه من هنرى كوريل الإسرائيلى تحوى تعليقات للشيوعيين فى مصر ، كما عثر مع (ناعوى كائيل) الإسرائيلى التى قبض عليها فى اليوم نفسه على تقارير شيوعية وإرادة لها من الخارج والبعض من إسرائيل وقد ضبطت السلطات الإيطالية بميلانو فى أواخر سنة ١٩٥٠ خلية شيوعية يكونها بعض الإسرائيليين الذين كانوا يقيمون فى مصر ثم غادروها وأقاموا هناك وثبت من الأوراق المضبوطة إنهم يديرون بعض المنظمات الشيوعية فى مصر وأنهم على صلة بالهيئات الشيوعية فى كل من إيطاليا وفرنسا كما تبين أن لهم زملاء من الإسرائيليين يقيمون فى فرنسا ويعملون لتصيد

الشبان المصريين الذين يسافرون إليها لطلب العلم وقد اعترف أحد الأشخاص الذين قبض عليهم في إحدى القضايا الشيوعية بمصر أنه أقام بأوروبا نحو ستة أشهر متنقلاً بين النمسا وإيطاليا وفرنسا على نفقة الشيوعيين هناك وبتوصية من الإسرائيلي « هنرى كوريل » وتصدر المنظمات في مصر نشرات تتضمن مهاجمة نظام الحكم والقائمين على رأس الحكومة وهدفها تعبئة الشعور العام ضد الحكومة والعمل على قلب نظام الحكم وإقامة حكومة شيوعية تخضع لتوجيهات موسكو والصهيونية - وقد ورد هذا النص في كتاب « حقيقة الشيوعية » وهذا يعنى أن اليهود هم الذين عملوا جاهدين في نشر الشيوعية في مصر لا غربة فيه وهو تأييد لما يوقن به كثير من المفكرين . أما بالنسبة لمواثيق الصهيونيين فإن كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ينص في صراحة : « نحن الصهيونيين الذين رتبنا نجاح كارل ماركس » إن كارل ماركس يهودى أمأ وأباً من أسرة يهودية عريقة في اليهودية ولقد تزعم هذا اليهودى فريقاً من يهود ألمانيا عرفوا بالشيوعيين وبدأت بهم الشيوعية وقد تساءل لماذا رتب اليهود نجاحه . إنهم أقاموه أولاً ، ثم رتبوا نجاحه بالدعاية وبالكتب وبالصحف وبكل وسائل الدعاية والنشر : لماذا . إن الصهيونيين لم منهجهم بالنسبة للآخرين أى بالنسبة لمن يسمونهم « الأميين » وهم كل من عدا اليهود ومنهجهم متعدد الزوايا ومن كبريات هذه الزوايا إفسادهم بكل وسيلة ممكنة للمجتمعات . إن اليهود يهدفون - من بين أهدافهم - إلى إفساد الدين على المتدينين مسلمين ومسيحيين ومن وراء إفساد الدين إفساد الأخلاق لأنه إذا فسدت الأخلاق ودب التحلل في الأمم وزالت مناعتها فإنه يسهل السيطرة عليها . ومن هنا ولدت الشيوعية ، وذلك أن الشيوعية تفسد الدين على أصحاب الديانات وتفسد الأخلاق أينما حلت حلت وتهدم النظام الدينى الاقتصادى رأساً على عقب ، وأن كل من يدين بها ويعتقد أنها حق فإن إيمانه بها يتضمن لا مناص إيمانه بأن أوضاع دينه ليست صحيحة . إنه شعر أو لم يشعر ينكر دينه وينكر أخلاقه وينكر ما شرعه الدين من نظام للمجتمع . ولذلك رتب الصهيونيون نجاح كارل ماركس . لقد صنعوه كما تصنع المزيفات وساندوه كما هو الشأن في ضرورة مساندة المزيفات والمزيفات لا بقاء لها ولذلك ستزول الشيوعية الحديثة كما زالت شيوعية (مزدك) وكما زال كل مذهب منحرف . ويشير الإمام إلى ما ذكره روبرت وليامز صاحب كتاب اليهودى في أمريكا فإنه ينتهى من بحثه التعيس بقوله : إن الصهيونية ليست شقيقة الشيوعية بل هى أمها . ويسمى فرانك كريثون

الصهيونية والشيوعية فتنى اليهود ويقول ليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هي القومية اليهودية .

(٣)

فشل التجربة الماركسية اللينينية

(١)

التجربة الماركسية اللينينية

أعد ماركس « الأيدلوجية » والمنهج بالإشتراك مع انجلز ، وكتب « البيان الشيوعي » المعروف قبل أن يكتب (رأس المال) فقد كان هذا البيان بصدوره عام ١٨٤٨ علاقة على هذه الخطة التلمودية الصهيونية التي كانت نقطة انطلاق في طريق تمزيق وحدة الفكر الغربي المسيحي ووضع فلسفة التغير الاقتصادي للتاريخ والإشتراكية العلمية وتنطلق بهما ضحية الصراع الطبقي وتحريض العمال على الثورة في وجه أصحاب الأعمال والمعروف أن الجزء الأول من كتاب رأس المال جاء عام ١٨٦٧ أى بعد تسعة عشر عاماً من البيان الشيوعي الذي برر فكرة الصراع الطبقي والثورة على الرأسمالية . وقد عرف بأن النظرية كانت محاولة للجمع بين خيوط من الفلسفات الألمانية والإنجليزية والفرنسية وأن الأساس الذي اعتمد عليه ماركس قد التمس من فرضيات العلوم التجريبية في ذلك الوقت والتي لم تكن وصلت إلى درجة الحقائق العلمية وكان واضحاً أن الشيوعية هي الهدف وأن التلمودية الصهيونية هي الطريق . ولقد نمت في الأمبراطورية الروسية التجارب التي كانت إعداداً للثورة الفلسفية التي قادها لينين ، والتي أطلقت على منهجها (الماركسية اللينينية) وذلك بعد الاستيلاء على السلطة بعد وفاة ماركس بأكثر من ثلاثين عاماً . وهي التجربة التي اختلفت أشد الاختلاف بالتطبيق مع النظرية الماركسية واحتاجت إلى تعديلات كثيرة فضلاً عن أن كتابات لينين قد اختلفت فيها أتباع تروتسكي وأتباع ستالين وأتباع ماوتسى تونج . والحقيقة المعروفة أن الطبقة الشعبية قامت بإشعال نار الثورة ضد الحكم القيصري والقضاء عله بتحريض من الشيوعيين أتباع لينين وتروتسكي فلما تم لرؤساء الحزب الشيوعي ما أرادوا من سقوط عرش آل رومانوف قبض رؤساء الحزب على زمام الحكم وأزاحوا العمال والفلاحين ليقاسوا تحت سخط الحزب الشيوعي أشد ألوان المهانة والإرهاق ، وقام العمال والفلاحون بعدة

ثورات كانت تقمع بشدة ، وحاول ستالين أن يقضى على ثورات الطبقة الكادحة بألوان شتى من القتل والحبس والنفى فى مجاهل سيبيريا وخلصت الدولة لتلك الطبقة الدخيلة التى لم تكن من صفوف العمال أو الفلاحين فى الأصل . وقد ذكر دوته فى كتابه موسكو بلا نقاب : إن الذين يحكمون روسيا ليسو الروس ولكنهم حفنة من اليهود الإرهابيين العالميين . وهم الذين أعلنوا منذ اليوم الأول بأنهم يرو فى الأديان خطراً على الحضارة الإنسانية (كما قال لينين) ونحن ملحدون وأن الإيمان بالدين يعرقل تقدمنا (ستالين) وأن اليهود هم الذين قاموا بالاغتيالات السياسية إبان الثورة الشيوعية وأن مؤسسى الشيوعية ليسوا من طبقة البرولتاريا التى ضللت ولكنها من طبقة اليهود المثقفين وقد أعلن الشيوعيون أن أصل المناضل الشيوعى أن يتمرس بشئ من ضروب الخداع والغش والتضليل وأن الكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة لتحقيق الشيوعية . وقد سادت الشيوعية فى روسيا منذ عام ١٩١٧ إلى اليوم (١٩٧٧) خلال ستون عاماً فهل نجحت قط فى القضاء على الفقر ، إن الفقر ما زال متفشياً فى روسيا وقد سبقها كثير من الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة والمانيا وانجلترا فى القضاء على الفقر وبعث حركة الانتعاش الاقتصادى بين العمال وبين الجماهير . ولقد كان من أخطر خطوات التجربة الشيوعية إرتباطها بالصهيونية العالمية منذ اجتمع لينين فى بال بسويسرا عام ١٩٠٢ باسم الحزب الشيوعى بحكماء صهيون وحضر معهم المؤتمر الصهيونى وكان من المخططين وواضعى البروتوكولات . وكما قلنا فإنه فى أعقاب نجاح الثورة الروسية كان اليهود وقد وضعوا فى كل مصنع ومدرسة ومؤسسة قومسييراً يهودياً ليطش بأى معارضة للماركسية ومنذ ذلك التاريخ إنقسم الشعب إلى طبقتين متميزتين : الاولى طبقة مناصرة للكرملين وأعضاء الحزب الذين ينهبون أقوات الشعب الروسى ويعيشون عيشة القياصرة ، وطبقة الشعب الروسى الذى يعيش فى فقر وجوع وحرمان وخوف . وقد أغلق الشيوعيون على أنفسهم وأقاموا الستار الحديدى سنوات بعد سنوات وقاموا بتصفيات بعد تصفيات دون أن تستطيع التجربة كما أدعت وبعد أكثر من خمسين عاماً أن تظفر بتحقيق واحد من أهدافها أو تنبؤاتها كما أنها لم تستطيع أن تقضى على الاحتكار والاستغلال ، ولم تستطيع أن تقيم مجتمع الكفاية وعجزت عن أن تفهم قانون الوفرة الذى أثبت أن فى الأرض ثروات تكفى البشرية ولو تضاعفت عشرات المرات ولم تزد التجربة الشيوعية عن أن أفقرت الأغنياء ولم تغن الفقراء ، وما زادت عن أن أوغرت الصدور بالأحقاد وأوقعت بين الطبقات فى

صراع عنيف بينما يقيم الإسلام روح الوثام والمحبة بين الناس . نعم عجزت الشيوعية أن تنجز ما وعدت بين الطبقات العاملة بل تنكرت لها وسلبتها الحرية وحشدتها للعمل وسخرتها للإنتاج باعتبارها تروساً في آلة أو مسامير في قالب ووجدت الطبقات العاملة من المعطيات في المحيط غير الشيوعي أكثر مما وجدت في البلاد الشيوعية . وثبت كذب الإدعاء بأن مذهب الشيوعية هو الفردوس الموعود للطبقات العاملة في العالم فقد تبين أن الشيوعية إنما تريد أن تجعل من البشرية قطعاناً يقودها سوط الراعي وأن تمحو الشخصية الإنسانية وتذيبها في الدولة وتسلب الفرد حريته وتصب الادميين في قوالب ولم تجد الطبقات العاملة في البلاد الشيوعية غير اللذل والهوان والتجويع وسلب الحرية . ثم رأت أن تتراجع وتراجع فحاولت أن تتنازل عن مسألة الامتلاك الفردى وأذعنت للطبيعة الإنسانية بتشجيع الحافز المادى وسمحت بتحقيق بعض الرغبات الخاصة التي كانت ممنوعة من قبل ولكنها لم تستطيع أن تبلغ أشواق النفس البشرية . وقد تبين هزيمة التجربة في حربها للحرية الشخصية وحرية الأسرة ، كما انهزمت التجربة في الركيزة الأساسية للمذهب التي جعلت الملكية الخاصة ينبوعاً لجميع الشرور وقد ضاقت بالمجتمع الشيوعي عواقب الحرمان من هذه القوى الحية : قوة الكرامة والإنسانية في شخصية الفرد وقوة العاطفة المتأصلة في كيان الأسرة والإيمان . وثبت « المجتمع الشيوعي » فرض خيالي قوامه دعوى المدعين أنه سيأتي ذات يوم مجتمع بغير طبقات ، أما المجتمع الإسلامي فهو حقيقة قائمة تزداد كل يوم قوة وسقطت بذلك دعوى الشيوعية بوصفها دين المستقبل أو جنة المستقبل فقد كذبتها حقائق التاريخ ووقائعته الحية التي ما نزال نعيشها يوماً بعد يوم وتحللت الشيوعية من كثير من نظمها ومبادئها وخرجت عليها لأنها وجدت إنها لا تقبل التطبيق . بل إن عدداً من المفكرين الذين خدعوا بالبريق عن المذهب والتجربة عادوا فوجدوا أن كل ما هنالك سراب وقبض الريح ومن هؤلاء ريتشارد رأيت ولويس فتش وارش كوستلر : هؤلاء الكتاب الذين خدعوا ثم عادوا إلى رشدهم بعد أن عرفوا الحقائق وليس أقوى من تجربة (أندريه جيد) الذي أعلن في الثلاثينات بعظمة التجربة الشيوعية فلما سافر إلى هناك وشاهد المجتمع في واقعه لم يلبث أن اكتشف الحقيقة كاملة . قال جيد : لا يمكن أن تنحدر الأخلاق إلى الدرك الأسفل الذي تنحدر إليه الشيوعية ولا يمكن أن تصل الدناءة والخسة بالإنسانية إلى الحد الذي تصل إليه الشيوعية وإني أحذر كل الناس أن يخدعوا بالشيوعية وليدركوا بها أسوأ ما عرف تاريخ الإنسانية من مذاهب الهدم والتخريب . وحذر

الكاتب الفرنسي أندريه جيد بعد أن عاد من البلاد الشيوعية الطبقات العاملة في كل أقطار الأرض من أن تنخدع بأكاذيب الشيوعية التي قضت على إنسان الطبقة العاملة في بلادها وسلبتها كل حقوقها ، وقال لقد تبين لي أن ما ادعته الشيوعية من أنها منحت العالم حق السيادة ما هو إلا زيف وضلال كذلك ظهر لي زيف دعوى المساواة فما تزال الطبقة العالية المسيطرة التي تعيش في الأعلى تمتلك كل شيء وتنحكم في كل شيء وما تزال حريصة على بقاء المسخرين . أما حرية الفكر فهي معدومة وليس هناك من يستطيع أن يخرج على الحدود المرسومة الملقنة التي لا دخل للعقل في التفكير فيها والتي هي عبارة عن نصوص مقدسة وقد أشار كثيرون إلى فساد التجربة في مجملها وتفصيلها وأشار أحدهم إلى ما تجد هناك من تمزق ستار الحياء وتحول الناس إلى نظام القطيع ومن ذلك في دورات المياه مثلاً حيث تجد صالة واسعة جلس فيها أكثر من أربعين فرداً لقضاء حاجاتهم دون ساتر بينهم ، وفي المجتمعات يتناول الفتيان والفتيات الشراب ويرقصون حتى وقت متأخر من الليل ويقترفون بعد ذلك الرذيلة مما يقضى على دعائم الأسرة وهناك أيضاً يجهر اليهود بيهوديتهم بينما لا يجهر المسيحيون بمسيحيتهم وهذا ما يؤكد العلاقة القائمة بين الأحزاب الشيوعية في العالم وبين الصهيونية

(٢) - لقد أفاض الباحثون في دراسة نتائج تجربة التطبيق الماركسي مثلاً في الدولة الشيوعية الروسية فأشاروا إلى أن حصيلة نصف قرن مات بسببه مئات الألوف نفيًا وتشريدًا وسجنًا قد أسفر عن عدم تطبيق النظريات الاشتراكية كما أعدها كارل ماركس ولينين وأنجز لاستحالة تجاوزها مع النفس البشرية فهي نظريات علمية بحتة ، وقد أدى ذلك إلى فقدان القاعدة الشعبية لهذا النظام وخاصة من العمال والفلاحين والاقتصار على عدد من أفراد الحزب . كما تبين تزايد الهرب من الجحيم إلى الدول المجاورة ، وظهر عدم إمكان الانفراد السياسي والاقتصادي عن النظم فكان طلب العون من الدول الاخرى لإمكان استمرار قيام الدولة . فضلا عن التأخر الزراعي والصناعي والكيمائي والتدهور الاقتصادي ، وكذلك فقد تبين عدم إمكان وجود الإنسان العقائدي في الدول الاشتراكية نفسها لإختلاف التعبير والتطبيق للنظريات مما حمل تلك النظم على الاعتماد كلياً على القوات المسلحة ورجال الميليشيا وأتباع العنف الثوري لتثبيت الحكام ودعم الحكم . وكل ذلك كان من شأنه أن

أبعد الطمأنينة والسلام وهدد التقدم والمدنية وحال دون وحدة الشعب وهكذا أثبت النظام الشيوعي الماركسي فشله على مدى نصف قرن من العمل الدموي ونجد اليوم أن الماركسيين قد أهملوا أغلب النظريات الماركسية الأساسية وفي مقدمتها نظرية القيمة الملائمة مع العمل ولم تتحقق تلك النبوءات التي قالت بتناقض عدد الرأسماليين تدريجياً ، وتصاعد الطبقة البروليتارية وطلوع اليوم الذي يتكتل فيه العمال كتلة واحدة وكان ماركس وإنجلز يتوقعان اشتعال ثورة اشتراكية في أوروبا كلما توفرت أسباب إنهار اقتصادي في بلد ما لأن الانهيار الاقتصادي هو خير الظروف لإشعال الثورة الاشتراكية فلم يحدث ذلك ولا مرة واحدة ولم تجد الشيوعية طريقاً لها إلا بالقتل والدم والتآمر والتدبير في الخفاء ، حتى ولو توفرت لها الجو الحر ، فهي تلجأ إلى الغوغاء وتضطهد المثقفين وأصحاب المبادئ ولم يتحقق لهم ما أرادوا فقد أعلنوا أن الثورة الروسية هي فاتحة الثورة الاشتراكية العالمية فلم تلبث الشيوعية أن تراجعت وانحسرت وفي البلاد التي سيطرت فيها الشيوعية كالصين التي وقع الانشقاق بينها وبين السوفيت وبات ذلك ظاهرة من أخطر ظاهرات العصر . وفي أوروبا وقع الانشقاق حين أعلنت يوغسلافيا ١٩٤٨ انفصالها عن الأمة الشيوعية في روسيا ، واليوم تتجه الأحزاب الشيوعية في أوروبا إلى الانفصال عن الكرملين بل إن الأحزاب الشيوعية في مؤتمر جنيف ١٩٧٦ أعلنت انفصالها عن ركائز الماركسية الأصلية : تنازلت عن ديكتاتورية البروليتاريا ، وتنازلت عن الأمة وسمحت بالقوميات وتنازلت عن عداتها للدين . وقد كشف كثير من الباحثين بما أن التجربة الشيوعية فكراً وواقعاً في العقود الأخيرة أصبحت تعاني على الصعيد الفكري أزمة التحجر والجمود والوقوف عند وقائع معينة كما تكشف أن كلمات الفكر التقديري واليسار والثورة هي في الحقيقة تبغى الدكتاتورية والإرهاب وكبت الحريات ولأن النظرية الماركسية تعيش الآن في مهاب الرياح وإن العالم يتجاوزها كأي فكر بشري يصعد إلى قمة مجده ثم يأتي العلم والتطور ويتجاوزه ، وخاصة بعد أن أثبتت العلوم الطبيعية تناقض جدلي المادة وسقوطه واتساع الهوة بين الفكر الشيوعي والعلم . ويقول جازورين فيلسوف الماركسية : إن الواقع العملي خطأ الفكر النظري في نقاط عديدة وليست دوماً ثانوية ، ولا يمكن أن يأتي الواقع العملي مصداقاً لما جاء في الفكر النظري وأن التناقض قد زاد بين الواقع والفكر وحدث تباعد بين العمل والنظر وتحولت الماركسية من نظرية الممارسة الإنسانية إلى لاهوت عاجز ، ومن حافز للبحث والعمل إلى عائق يشل البحث ويحرب العمل . وتشير كثير

من كتابات الماركسية إلى هذا المعنى الخطير وتقول إن تطور الماركسية تفرضه أخطاؤها وتعانقها ، وتعترف هذه الكتابات بقصور الماركسية الجوهرى في مجالات العمل والنظر ويتساءلون هل يمكن أن يقال أن الماركسية علم ، أو ما يسمونه علم الثورة الاجتماعية . ويقولون إن ماركس وانجلز أقاما النظرية على مفاهيم تجاوزها البحث الان سواء في العلوم التجريبية أو علم النفس والتاريخ والاقتصاد والاجتماع والرياضيات وانها كانت نظرية جاهزة تبعاً لظروف وأوضاع غرب أوروبا وانجلترا بالذات ثم جاء لينين ليعدل ويغير ، ويقول هؤلاء الكتاب : إنهم يريدون أن يجعلوا من ماركس ولينين وانجلز آلهة ، فإذا صيروهم آلهة فقد أفقدوهم صفتهم وهويتهم كعلماء وفلاسفة . ويتساءل المراقبون للتجربة (١٩١٧ - ١٩٧٧) ماذا حققت في خلق مجتمع جديد لحكم ديكتاتورى استبدادى قام على خنق العاطفة وإنكارها ، للقضاء على الاغنياء دون إسعاد الفقراء . وإنما لخدمة طبقة جديدة . تسخير الطبقة العاملة لطبقة جديدة حاكمة ، القضاء المطلق على الحرية الشخصية وحرية الكتابة والرأى والخطابة . والاضطراب والتغيير المستمر مما يدل على عدم الاستقرار في كيان النظام نفسه ، مخالفة السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية والنفسية للأمم ، افتقار الحرية ، اتجاه الفكر كله نحو تأكيد النظرية الشيوعية . لا مجال للنقد ، ليس هناك أدب حر ، التاريخ والعلوم الطبيعية والابحاث والمسرح والسبنا موجهة توجيهاً شيعياً ، وهى وقف على أغراض الشيوعية ، وقد زيف التاريخ ونقح ليتمشى مع أغراض النظرية . وقد أثبت التطبيق العلمى من خلال التجربة الشيوعية في روسيا عدم إمكان التقيد بكل ما جاء في النظرية الماركسية وقد تمت فعلا تعديلات كثيرة وكبيرة في النظرية . واليوم يظهر على السطح تقارب بين الرأسمالية والشيوعية ، فقد تطورت أفكار الرأسمالية واقتبست معظم الأفكار الاشتراكية الأفكار الاشتراكية وتطورت أفكار الشيوعية فأخذت تلتقى مع الرأسمالية وهناك من الفلاسفة من يقيم الجسور والقناطر بينها ، كذلك فقد أعلن أن الكاثوليكية تجرى حواراً مع الماركسية ومن حيث أن الكاثوليكية لا تملك تشريعاً اجتماعياً مفصلاً في أمور الحكم والاقتصاد والاجتماع إلا ما يتصل بالتوجيه الروحى العام فقد أجرت حواراً مع الشيوعية . ويتنازع النظامين الرأسمالى والماركسى السيطرة على العالم ويتصارعان في أفق عالم الإسلام ولكن أحداً منهما لم يلق القبول في محيط المسلمين لأنه لا يستطيع أن يحقق الكفاية والأمن ولما كانت الرأسمالية والماركسية كلاهما من منبع واحد بشهادة أصحابها . يقول أحد كتاب الغرب :

إن اسم تروتسكى يعنى أقصى اليسار واسم روتشيلد يعنى الرأسمالية المتطرفة وكلاهما يمثل تموجات العقلية اليهودية وبين هذين المعلمين : مجتمعاً وحضارة فى القرن العشرين ، فالتيار الرأسمالى والتيار الماركسى أبوهما معاً التيار الصهيونى « أما التيار الرابع رغم تمزق رقعته ورغم ضعف موقفه فهو التيار الأصيل ذلك أن الماركسية لم تفلح فى خلال نصف قرن من التطبيق أن تحقق هدفاً واحداً من أهدافها بل كانت فى كل مرحلة تصدر تنازلات عن آرائها وتقبل الواقع ، ولم يتحقق لشعوب المجتمعات الشيوعية الكفاية بين أفرادها ولا تزال تواجه الأزمات وليس الإسلام كالمسيحية فالإسلام نظام كامل يتصل بالروح ويشرع لعالم المادة ومن ثم فلا يمكن أن يقع حوار بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهم يملكون منهجاً كاملاً جامعاً قادراً على مواجهة مختلف التحولات والتغيرات .

(٣) ويرى العالم الروسى أندريه سخاروف أبو القنبلة الهيدروجينية فى كتابه (بلادى والعالم) صورة قائمة لروسيا الشيوعية فيتحدث عن مستوى الأجور المنخفض فى روسيا ، وكيف ينفق الروس الجزء الأكبر من أجورهم على الطعام فى حين أن العامل فى الغرب ينفق ربع دخله على الطعام والباقي على رفاهيته ومدخراته ، هذا مع رداة الخبز ورداءة الأطعمة والتعليم والإضاءة فضلاً عن القيود المفروضة على التنقل داخل البلاد وأشار سخاروف إلى « الإدمان المأسوى » للخمور عند الغالبية العظمى من السكان بما فيهم النساء والشباب ، وأن استهلاك الفرد من الكحول اليوم فى الاتحاد السوفيتى ثلاثة أضعاف ما كان فى روسيا القيصرية ، وإدمان الخمور فى رأيه يجعل الناس أسهل انقياداً ونتيجة لذلك يتساقط عشرة آلاف سكير كل عام ويتجمدون حتى الموت . ويتحدث سخاروف عن السياسة العليا للاتحاد السوفيتى فيقول أنه بالرغم من الموارد الضخمة التى يمتلكها وبعد سبعين عاماً من الجهود الهائلة منها ثلاثين عاماً من السلام المستقر لا تستطيع أن تصل إلى مستوى المعيشة فى الدول المتقدمة . وسر هذا يرجع إلى الإنفاق العسكرى الهائل وتحويل التحركات السوفيتية السرية والعلنية فى جميع أنحاء العالم من الشرق الأوسط إلى أمريكا اللاتينية . . (عن جريدة الأخبار ٢٠١١-١٩٧٨) ويوجد نصف مليون جاسوس سوفيتى تنفق عشرة آلاف مليون دولار خمسة أمثال الذين يعملون فى مخابرات أمريكا وجميع دول أوروبا الغربية مجتمعين . وتوفير مستويات المعيشة العالية للطبقة المتميزة فى المجمع السوفيتى وتغطية تكاليف الأخطاء الباهظة التى تنتج من طراز الإدارة المتخلف الذى يدير الاقتصاد السوفيتى . ويقول سخاروف : إن المواطنين السوفيت

يخضعون لنوع من التدريب يشبه تدريب الخيول ولذلك فهم يستسلمون خوفاً على حياتهم ،
إنهم شعب أسير الخوف . السادة هم الذين تنهب سيارتهم الفارهة المدرعة الشوارع التي أُلتمت
من أجلهم . ويقول : يخضع الفنانون والكتاب والمثليون والمدرسون وكل المثقفين لضغط
أيديولوجي مخيف وإلى الحد الذي لا يسمع المرء إلا يزداد معه عجباً وتحدث عن تأثير العوامل
المعادية للفكر على العلوم ، ذلك أن جميع الاتجاهات العلمية والاكتشافات العلمية والتكنولوجية
الحديثة قد نمت خارج الاتحاد السوفيتي ، في حين ظهرت على سطح الحياة هناك : الديماغوجية
والجهل والدجل والشعوذة . ويتمول : إن هناك بين ٢٠٠٠ و ١٠ آلاف مسجون سياسي ، غير
من يضطهدون من أجل معتقداتهم الدينية ويؤدى المسجونون السياسيون أعمال السخرة وحكامهم
وقد ذهب ضحية هذه السجون والمعتقلات الرهيبة أكثر من ٢٠ مليون شخص منذ قيام
الثورة . ويقول : إن الإضطهاد الديني تقليد مخيف في الاتحاد السوفيتي ، ولقد كان الضحايا
الأرثوذكس والمسلمين في العشرينات والثلاثينات لا يقعون تحت حصر . ويقول : إن السياسة
السوفيتية هي التي أشعلت النار في الشرق الأوسط واستغلت فكرة القومية العربية على المدى
الطويل لإثارة المتاعب والعقبات أمام الدول الغربية في الحصول على البترول وبذلك يتم
كسب بفوز عليها وهي خطة وضعت في الكرملين عام ١٩٥٥ .

(٢)

محاولة الماركسية في أفق العالم الإسلامي

وكانت تجربة الغزوة الشيوعية للعالم الإسلامي وللبلاذ العربية في الستينات من أخطر
الغزوات الشرسة التي حملت معها كل تراث الوثنية والمادية والإباحية وطرحه في مجرى نهر
الفكر الإسلامي فضيعة بضيعة رمادية قائمة حاولت التأثير على متطلعاته وأأسسه ، تحت
أسماء جرافة منها التقدمية والعلمية والأمية وكلها مفاهيم مشبوهة لأنها استحدثت لتحمل بقايا
تلميحية قديمة . ولقد كان أخطر ما طرحته هذه الغزوة تلك الفكرة الساذجة التي طرحتها
الشيوعية الماركسية في أوروبا وهي رد الدين إلى مجموعة من الخرافات والأساطير وليكنها لم
تلبث أن تبين أنها أمام حائط صلب لا تهتز لهذه المفاهيم كما اهتز لها الفكر الغربي ذلك لأن
الإسلام قام منذ وجوده على حقائق ثابتة فطرية ربانية لم تلعب بها الأهواء ولم تغيرها أيدي
كهان أو أجيال . ولقد حاولت الشيوعية في تجربتها اتخاذ أسلوب الخداع والمناورة ، وإخفاء
أهدافها وراء عبارات طبيعية مرنة ومن ذلك اعتصامها بكلمة الاشتراكية وكلمة اليسار .

وذلك لتخفى وراءها شيوعيتها وماركسيته اللبينة كذلك فقد كان من أخطر دعاوهم المرحلية فتح باب الحوار مع الدين لخداع الشعوب الإسلامية . ولكن الشيوعية لم تستطع الاعتراف بوجود الله وأنبيائه وكتبه ، وظلت تقرر أن أنبيائهم هم ماركس ولينين وستالين وخروشوف وأعلنت أن إنكار وجود الله ليس أمراً شخصياً ولكنه جذر من استراتيجية الفكر الشيوعي . وكذلك فقد عجزوا عن ستر علاقاتهم بالصهيونية ، فقد تبين من عشرات الوثائق والكتابات الرصينة أن الشيوعية كما ثبت سابقاً هي جناح أيديولوجي للصهيونية العالمية وأن الشيوعية والصهيونية مظهر أن للفكر اليهودي الذي ينادى بالعداء السافر للشعوب وأن لبين منتد عام ١٩٠٢ حضر باسم الحزب الشيوعي مؤتمر حكماء صهيون واشترك معهم في وضع البروتوكولات . ومن هنا كان موقف الحزبين الشيوعيين في سوريا ولبنان الذي أيد وجود اليهود في فلسطين ودعا إلى حق تقرير مصيرهم بوصفهم أنه في طريق التكوين . ولقد كان من الضروري أن يواجه عالم الإسلام كل تجربة في عالم الغرب وأن يتأثر بها حيناً يلتمسها بعض دعاة التجديد الذين يرغبون في اقتباس الأنظمة الخارجية أو الذين تصنعهم رياح السياسة العالمية في طريق التبعية ، شأن الماركسية في هذا هو شأن الديمقراطية الغربية التي نقلت في العقود السابقة وتبين فشلها وزيفها وعجزها عن العطاء الصحيح في عالم الإسلام ثم جاءت الشيوعية بوصفها تعارض الدول المستعمرة وتؤازر الدول الراحبة في الخروج من فلك الدول الغربية تحت إسم العدل الاجتماعي والخصومة مع الاستعمار في الظاهر ثم لم تتكشف الحقيقة إلا بعد وقت طويل حين عرفت الدول الإسلامية أن لعبة الأمم مقسمة بين الأيديولوجيتين دفعاً وطرحاً وأنه لا فاضل ولا مفضل لأن النظامين الرأسمالي والماركسي خاضعين لقوى أكبر تحركهما في فلك السياسة العالمية : خصومة وتقارباً وأن العالم الإسلامي موضوع بين القوتين كمطمع أساسي بحكم ثروته ونتاجه ووضع الاستراتيجية ومن ثم فقد كانت التجربة الماركسية في العالم الإسلامي وخاصة في (أندونيسيا ومصر وغينيا) أشد فشلاً من التجربة الرأسمالية . ولقد تبين أن الدعوة الشيوعية خارج وطنها تستهدف زرع الفوضى والفساد وقلب الحكومات . ولقد تركزت الحملة على الأديان في عالم الإسلام ، وهي حرب عوان لا هواة فيها غير أن الإسلام ثبت ثبوتاً واضحاً في الميدان وعجزت كل المحاولات عن النيل فيه . ومن هنا كانت دعوتهم إلى التزاوج أو الالتقاء بين الإسلام والماركسية وهي دعوى فاسدة سرعان ما تبين زيفها فالماركسية المادية والدين بعامه والإسلام

خاصة لا يمكن أن يمتزجا لأنهما كالزيت والنار . وإذا كانت الدعاية الماركسية قد وجدت تربة خصبة في البلاد الإسلامية المستعمرة المتطلعة إلى التحرر في مرحلة الخمسينات فإن التجربة قد انكشفت بسرعة عن نتائج واضحة لا تدع مجالاً للشك في كذب الإدعاءات والخداع ، وإن كل ما بثته الماركسية بعد أن سيطرت على الصحافة والإعلام والثقافة من سموم على أنها العلاج الناجح الوحيد في القضاء على الاستعمار والتخلف قد ترك آثاراً مريرة ما تزال تحتاج إلى جهود ضخمة للتخلص منها ، وكان من أخطر مؤامرتهم العمل على تزيف الإسلام وتشويه تاريخ الإسلام وذلك لوضعه في وضع ملائم للالتقاء مع الفكر الماركسي الشيوعي ، وقد قام بدور خطير في هذا المجال عبد الرحمن الشوقى وأحمد عباس صالح بعد الدور الذى قام به طه حسين من قبل حين مهد لهما الطريق بكتابه (الفتنة الكبرى) وقد عمد الشوقى إلى تصوير الرسول مصلحاً بشرياً وألغى صفته النبوية القائمة بالوحى كما قام بتشويه مفهوم البطولة في الحسين شهيداً . وأتهم الرسول في كتابه عنه بأنه اقترب من الخمر والأصنام قبل الدعوة وهو الرسول الذى عصمه الله وحاول عباس صالح تفسير التاريخ الإسلامى على أنه يمين ويسار .

(٢) لقد كانت محاولة الماركسيين لغزو المجتمعات الإسلامية جد خطيرة فقد تكاثفت فيها قوى كثيرة غير القوى المحلية واستخدم فيها فلاسفتهم الذين قدموا إلى العواصم العربية لهذا الغرض وفي مقدمتهم جازودى ورودسون وسارتر . والهدف هو توسيد الطريق النفسى أمام المسلم ليرتضى أن يكون مسلماً ومعتقاً للشيوعية وهو محال . يقول الدكتور عماد خفاجى : إن هذه المؤامرة بدأتها روجيه جازودى في كتابه (ماركسية القرن العشرين) حين قال بأن المسلم يستطيع أن يصل إلى الاشتراكية العلمية بدءاً من منطلقات أخرى غير هيجل أو سان سيمون والادعاء بأن الإسلام دين عقيدة أما المذاهب فهى فلسفة واقتصاد واجتماع جاهلين بأن المسلم يؤمن بأن دينه عقيدة وشريعة ونظام مجمع وأنه عقيدة ومذهب فى نفس الوقت وأن ذلك المفهوم الانشطارى الذى يعرفه المسيحيون لا ينطبق على الإسلام ذلك أن المسيحية دين لاهوتى عبادى لا يحمل معه نظام مجتمع ولذلك فإن أهلها يلتزمون الأيدولوجيات والنظم البشرية أما المسلم فلا يستطيع أن يعتنق أى أيدولوجية تخرج عن إطار الإسلام وأن الاستشهاد بآبين سيناء والغزالي وابن رشد هو استشهاد باطل ، فالماركسية ليست من هذا القبيل : وأن المنطلق الفكرى للماركسية يتمثل فيما يطلق عليه فى الفكر الفلسفى (المادية الجدلية)

فما هي المادة الجدلية التي انطلقت منها الماركسية وجعلتها منهجاً في التاريخ والاجتماع والاقتصاد وكونت من خلال هذه العقيدة الماركسية التي سادت الأحزاب الشيوعية فالماركسية ترد المادة إلى الاتجاهات القديمة ، إلى نظرية الفيلسوف القديم هرقليط المادية الذي كان يرى أن العالم واحد لم يخلقه إله أو إنسان كان وسوف يظل شعلة حية تتوهج وتنطفئ حسب قوانين معينة . هذا المنطق الماركسي الأساسي يكفر بكل ما تقرره الأديان ويعترف جارودي بالإلحاد الماركسية وبأنها وارثة التراث الإلحادي في القرن الثامن عشر. هذا الذي عناه ماركس في مقدمة أطروحته عام ١٨٤١ بقوله إن الفلسفة تتبنى شعار بروميتوش : أنا ضد كل الآلهة . ويقول جارودي : إن ما يتميز به الإلحاد الماركسي البحث هو أنه على خلاف سابقه لم يكتف باعتبار الدين خديعة فحسب ، اصطنعها المستبدون أو مجرد وهم ولده الجهل بل إن ماركس وانجلز قد بحث في الحاجات الإنسانية التي تلبىها الأديان بهذه الصورة المخادعة « فوصل كما يقول ماركس إلى أن هذه الأديان هي في وقت واحد انعكاس لشقاء الإنسان وضعفه فهي تبدو كعقيدة تفسير للنظام القائم هي تبرير له معاً وهو يستخدم سلاح السلطان ويسمح بتعليم الجماهير أن النظام القائم نظام من إرادة الله وأن الخير أن يستسلم المرء إلى هذا النظام وينقاد له في طواعية وانصياع (الدين أفيون الشعب) . ويقرر المعجم الفلسفي المكتوب من وجهة نظر شيوعية عام ١٩٦٧ : إن الدين أفيون الشعوب وإن الدين الإسلامي يبرر الظلم الاجتماعي ويصد الناس عن الكفاح الثوري ويدفعهم إلى انتظار بليد إلى السعادة في الآخرة . وهكذا فشلت تلك المحاولة الخادعة والمؤامرة الزائفة التي حاكمتها الشيوعية لتجد لها طريقها إلى عالم الإسلام وإلى العقل المسلم بالرغم من القصور القائم في المجتمع الإسلامي للتطبيق الإسلامي الصحيح أو الفهم العميق لأصول الإسلام ، فقد كان العلم متيقناً أنه لا يمكن الجمع بين الإسلام والشيوعية وأن محاولة الشيوعية على الصحافة والأعلام والفن لم تستطع هزيمة هذا الإيمان .

(٣) ظنت الشيوعية أنها استطاعت أن تحقق نصراً جديداً بالتوسع في العالم العربي حينما سيطرت على مصر أكبر بلد عربي في السنوات المظلمة الممتدة من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨ حين أخذت في أواخر ١٩٦٤ تخرج الماركسيين من السجون وتوليهم أرق المناصب الإعلامية والصحفية وتترك بين أيديهم الصحافة والسينما والمسرح والأعلام كله . وقد كانت هذه السنوات القليلة كافية لكشف زيف الفكر الماركسي الشيوعي وعجزه عن العطاء وكانت

المحاولة الشيوعية قد بدأت في يوليو ١٩٦١ تحت تأثير إنذار روسي وجه إلى المسئولين وفرض عليهم هذا الاتجاه في الوقت الذي أصبحت الكلمة المسلمة جريمة وقد حوصرت الدعوة الإسلامية تماماً وانحازت بقية من كتاب الإسلام إلى الصمت ، وظهر سمو الفكر الإسلامي وأصالته واستجابته الحقيقية للأشواق التي تحملها النفس المسلمة والعربية ، في هذه الفترة كان الشيوعيون في دور الصحف المسلمة يطبعون القرآن وتفسير القرآن وكتب السنة النبوية لينفقوا منها على مشروعاتهم الإلحادية وظهر أن الكتاب الإسلامي هو الكتاب المكتسح المتداول الذي يتلقفه الجماهير ، وظهر التحدى واضحاً حين أقام المسلمون مساجد الصلاة يوم الجمعة في قلب القاهرة في شارع عماد الدين وعدلى وثروت وفؤاد بالميكروفونات كما أنشئت مئات المساجد في القرى والبلاد بلغت في تعدادها عشرون ألفاً في الوقت الذي لم تكن تملك فيه وزارة الأوقاف سوى ستة آلاف . ولم تكن الصحف الماركسية وغيرها توزع إلا بالأوامر المفروضة على المكاتب السياسية والاتحادات وظهرت أقلام وأصوات عالية هزت الوجود الاجتماعي كله . فهذا ما كتبه عبد الوهاب فايد في الاعتصام وخطب الشيخ كشك ، وكلمات الشيخ محمد الغزالي ، ومع ذلك فقد استشرت تلك السموم التي ألقاها لويس عوض ومحمد سيد أحمد ولطفي الخولي ومحمد عوده وكمال الملاخ ، وعباس صالح ، وغيرهم من الذين سيطروا سيطرة كاملة على المسرح والأعلام والصحافة وقد استعبد الشيوعيين الجهات الرسمية على كل المجالات التي كان لها فكر أصيل كالثقافة والرسالة فؤاد وهما ، ولم تبق إلا تلك الكلمات المسمومة التي يكتبها لويس عوض كل أسبوع . وكان أخطر تشكيلات الزيف الماركسي تتمثل في منظمات الشباب التي كانت تعلم الفكر المادى وتقول للشباب أنه لا يوجد في الكون غير المحسوس ، والتي كانت تهزأ بالدين والقرآن والنبوة والوحي (وتعاون الشيوعيين مع مراكز القوى وكان معظمهم من قادة وأعضاء الخلايا السرية ومن أصحاب المخصصات السرية في البنوك وفي عام ١٩٦٥-١٩٦٦ قاد الشيوعيون التنظيم الاشتراكي وأعطوه صبغة الحزب الشيوعي الروسي ، وكان الموجهون السياسيون جميعاً شيوعيون وكانوا يلقبون بالقوة والإكراه طلبة الجامعة والفلاحين والعمال مبادئ كارل ماركس وآراء الفوضوى الاشتراكي برودين وقد نفر الحس الشعبي من هذه المفاهيم ولكن الشيوعيين فرضوها كمسلمات فرضاً قهرياً لا رحمة فيه ، ولما رفض الطلاب تقبلها أدخلوا فيها المذهب الحسى المادى ليكون منطلقاً إلى الماركسية ، وجعل الشيوعيون من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية مركزاً للفكر

الشيوعي في مصر ، وبدأت دورات فكرية في معاهد موسكو الخاصة لتخريج دعاة شيوعيين في البلاد النامية (آسيا وأفريقيا) . وقال أحد الشباب (ليسانس حقوق ١٩٦٦) في منظمة الشباب : « ألا يمكن - فرضاً نظرياً - أن يكون واحد - ولو واحد فقط - من بين الخمسين ألف معتقل والذين نكل بهم في السجن الحربى وأبى زعبل وطره بريئاً ، وإذا كان ذلك جائز فلماذا لم تسمح السلطة الحاكمة بعد عشرين شهراً من السجن بإخراج معتقل واحد ولماذا لم يسمح الشيوعيون المسيطرون على أبواق الدعاية بترك مسجون واحد يرفع شكواه » ومع ذلك فقد كتب لطفى الخولى يقول : إن الشيوعية المصرية كانت حامية للحريات وأنه كان يفتح صفحات الطليعة للإسلام وللمخالفين للفكر الماركسى عموماً .

(٤) وقد أشار مكسيم ردونسون في كتابه (الماركسية والعالم الإسلامى) إلى أن نشأة الشيوعية الماركسية في البلدان العربية من الحلقات الأجنبية وأنها كانت مقطوعة الصلة منبوذة من الشعب وما زالت رغم تسلم مقاليد أمور الأحزاب الشيوعية للعرب الذين يحملون أسماء مسلمة أو عاشوا بعقلية وسلوك مسلم ولو جغرافياً إلى أن قويت شوكتهم وكثرت اتجاهاتهم » . والمعروف أن تسرب الشيوعية بدأ على أيدي اليهود بحضارة الاستعمار ورضاه وأن جهوداً كثيرة مشتركة بذلت في هذا الصدد في البلاد العربية المستعمرة والشرق الأوسط الذى كان موزعاً بين بريطانيا وفرنسا في الفترة التى تآلفت فيها الشيوعية مع الغرب لحساب الصهيونية للقضاء على ألمانيا هتلرية ، وفي نطاق هذا قامت الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية لخدمة الصهيونية وبدأ تدخل الاتحاد السوفيتى في شئون العرب وقضاياهم تحت شعار الصداقة والمساعدات الاقتصادية والعسكرية والعداء للإستعمار الغربى ، ولا شك أن اليهودية العالمية والقوى الأجنبية (الغرب وفى مقدمته أمريكا) هما اللتان دفعتا بالاتحاد السوفيتى ليكون طرفاً في النزاع والصراع في الشرق الأوسط وذلك حتى تتم لعبة الأمم لتحطيم العرب والمسلمين ، فلولا إسرائيل لما وجد الاتحاد السوفيتى مكاناً بجانب الدول الاستعمارية الغربية ولولا الأنظمة الشيوعية التى أقامتها القوى الغربية لتسهيل مهمة السوفيت في اللعبة لما وجد المجال للماركسية في البلاد العربية والمعروف أن كتاباً غربيون معروفون بولائهم للغرب وللأمريكان هم الذين حملوا لواء الدعوة إلى الماركسية وفي مقدمتهم جلال العظم . ويقول أحد الباحثين أن الشيوعية دخلت العالم الإسلامى لهدفين : أولاً : خلق تيارات ماركسية من المسلمين أنفسهم بتوجيه من اليهود الشيوعيين تنفيذاً للمخطط الصهيونى الشيوعى . ثانياً :

تحطم المجتمع الإسلامي بثورات متعددة متتالية : والواضح أنَّ الصهيونية شرعت في تنفيذ خطتها بعد نجاح الثورة الروسية مباشرة حيث تخلفت عن تحقيق جل هدفها بكامل الدقة ، لأنَّ المد الشيوعي بعد خمسين سنة (٢٠ - ١٩٧٦) وصل إلى جزء من أهدافه ببلوغ كثير من التيارات الماركسية الأخرى من سياسة بلدانها وثقافتها ، ولكن الأحزاب الشيوعية فشلت فشلاً ذريعاً ولم تستطع قط أنَّ تصل إلى الحكم أو تنفيذ رغبات الشيوعية العالمية والصهيونية وظلت منبوذة ومعزولة عن مشاعر الجماهير المسلمة . وقد فهم الماركسيون الشيوعيون بعد الجهود المضنية بأنهم لم يكتسحوا عقول المسلمين وإنَّ اكتسحوا عقول الليبراليين الحاكمين باسم الليبرالية وأنهم لم يغيروا من مجتمع المسلمين وإنما غيروا من مجتمع الليبراليين وأنظمتهم ورغم ما قام به الماركسيون من تهديدهم للإسلام والمجتمع الإسلامي فأقلامهم تنتقد الدين كعمل أساسي لتحطيم المجتمع وتغييره وقد سفهت كتبهم وصحفهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة العقيدة الإسلامية وفجروا حولها الشبهات ورفعوا شعار الدين أفيون الشعوب ولكن قيادة الإسلام واجهت زيفهم وسومومهم بصمود عجب . ولكنهم لم ييأسوا فإنهم حاولوا تغيير أسلوبهم بالدخول في الإسلام وضربه من الداخل وفي نفس الوقت عمدوا إلى الهجوم على الجماعات الإسلامية الواعية وعياً سياسياً وحاولوا إقامة بدائل زائفة من الهيئات والصحف لم تستطع أن تحرز لدى الناس قبولاً أو ثقة . وغاية ما تريد الشيوعية من الشعب المسلم المتدين هي تحويله إلى شعب بلا قيم ولا مثل ولا ماض ولا أصالة . وقد حرصت الشيوعية في ذلك على أمرين : : على خلق أجواء من الأباحية والفساد الاجتماعي والرشوة وعلب الليل وخلق أجواء موازية لها من الأحقاد والصراع بين الناس ، في مختلف شؤون العيش ودفعهم دفعاً إلى الجرى وراء أدوات الاستهلاك في طمع وشره ، كان له أبعد الأثر في فساد المفاهيم الاجتماعية بين أهل المجتمع الواحد . ثم عمدت الشيوعية إلى رفع شعارات الحق والدم ، وحاولت دفع المجتمع الإسلامي إلى امتهان الكرامة الإنسانية والقيم والأخلاقيات ، ولكن العقيدة الإسلامية كانت عائقاً ضخماً في وجه هذه المحاولة الخطيرة فقد دعا الإسلام إلى العمل مع المحافظة على إنسانية الإنسان واعتباره ، وكرامته وشخصيته ورفض الضمير الإسلامي الجمعي أن يكون الفرد مجرد ترس في آلة ، أو رافعة في منجم ، أو عبداً للتحلل الأخلاقي .

(٥) لقد عمدت الشيوعية في العالم الإسلامي على تقديم أشد سمومها خطراً وهي معارضة الدين والأخلاق وتآجيج الحقد في النفوس وإشعال نيران الصراع بين الطبقات وتحريض

الفقراء على الأغنياء والجهلاء على المنتفعين حتى يتحول الحق إلى ثورة تقضى على الأخضر واليابس وتقوم على آلاف القتلى وسفك الدماء ولا يستقر لها قرار إلا في جو الكبت الدائم والتنكيل المستمر بينما يقوم منهج الله الحق على الرحمة التي تعتبرها الشيوعية ضعفاً ، والأمان الذي يقوم على الرحمة والتسامح والأخوة والتعاون . يقول أحد الذين خاضوا التجربة مع الشيوعية : الدكتور مصطفى محمود « إن الصحوة من الحلم كانت حينما سافرنا ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتهجمة في المجر ورومانيا وألمانيا وكافة البلاد الشرقية التي تجرّه في هذا الفلك ولم نجد للرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأرضي أثراً » وكانت الصدمة الثانية الأعظم حينما فتح خروشوف ملف ستالين وأعلن على رؤوس الأشهاد المظالم التي ارتكبتها ستالين والملايين الذين قتلهم في السجون والمعتلات وأعدمهم بالرشاشات وأبقاهم للموت في جليد سيبيريا وأسلمهم لآلات التعذيب بين يدي الجلاد الرهيب برياً . . « وقد احتاج الأمر إلى سنوات لكي اكتشف أن الفساد ليس من التطبيق » ولكنه في المذهب نفسه وأن تلك الأفكار الثورية لم تكن أكثر من تجسيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخي العالم من ظلم ليلقى به في ظلم أقبح » . وهذا الذي أعلنه مصطفى محمود هو ما اكتشفه جلال كشك ولعى المطيعي وعبد الغنى سعيد في كتابات صريحة واضحة كاشفة تدحض تلك الزيوف التي حاول دهاقنة الشيوعية إلقائها في أفق الفكر الإسلامي والمحاولات المختلفة التي جرى تنفيذها وأخطرها محاولة جارودي في دعوة المسلمين إلى الشيوعية حين أعلن في نوفمبر ١٩٦٩ أن الماركسيين لا يحتقرون هؤلاء الذين يؤمنون بدينهم ولكنهم يمدون إلى هؤلاء المؤمنين يد العون حتى يخرجوهم من مجال ضيق إلى نوع جديد من الإيمان وهو الإيمان العالمي العميق بقيمة الإنسان وكرامته ، هذا هو الهدف الذي نريد إصابته وهو أن الدين أي دين ليس إلا مرحلة من مراحل التطور الإنساني وأنه يمكن أن يتخذ وسيلة يمكن الاستعانة بها لما تنطوى عليه من قيم إنسانية رفيعة لتعجيل مراحل هذا التطور الإنساني ولا ريب أن ما يقوله جارودي لا يخدع المسلمين الذين يعرفون حقيقة الإسلام ، الذي لا يمكن أن يحتاج إلى عطاء جديد يأتي من الماركسيين الملاحدة الذين تمتلئ قلوبهم حقداً على البشرية ورغبة في إيقاد نار الصراع الدموي بين طبقاتها ، هؤلاء الماركسيين المستشارين الذين حين عرفوا أن شباب الإسلام في مصر لم يتقبل النظرية الماركسية نصحوا بتدريس مادة الإلحاد والمذهب المادى في منظمات الشباب والتنظيم الطليعى . والواقع أن ما قاله جارودي زائف وليس صحيحاً

من أنه لا يوجد تناقض بين الإسلام والاشتراكية وكيف يمكن أن يكون هناك بين المنهج الرباني المحرر من كل الأمواء والمطامع والراغب في العطاء الرحيم العادل بين المنهج البشري القائم على الأهواء والمتطلع إلى القضاء على كل قيم الرحمة والعدل والدافع إلى العنف والقسوة والإكراه والثورة المدمرة المخربة وحين يقول ماركس وانجلز في بيانها : أنه لا يمكن تحقيق أهداف الشيوعية إلا بقلب الأحوال الاجتماعية جميعاً بالقوة . أو يقول لينين : أن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء ولكن الشيء الهام أن يصبح الربع الباقي منهم شيوعيون . ولقد وضع أن الشيوعيون لا يستطيعون تحقيق أهدافهم عن طريق الاقناع بفكر واضح صريح ولكنهم يقيمون خططهم على التآمر والغش والكبد والدس والنفاق وجارودى نفسه هو الذى دعا الماركسيين إلى أن يدخلوا فى الإسلام ظاهرياً ويحاربوه من داخله بالحملة على بعض الأوضاع وإثارة الخلاف على النحو الذى عرف فى المرحلة التالية يعد أن انتزعت من الشيوعيين سيطرتهم على الأعلام والفن والصحافة . وفى نطاق التجربة المصرية يتبين الآن بوضوح أن الشيوعيون هم مصدر الهزيمة فى حرب ١٩٦٧ بمؤامراتهم ومناوراتهم وتنسيقهم مع الصهيونية العالمية حتى لا تستطيع مصر أن تحصل على نصر واضح على إسرائيل . ثم كانت خطط الشيوعية فى أجزاء كثيرة من العالم العربى والإسلامى وأفريقيا ومنها تصريح أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ١٩٦٧ قبل نكبة حزيران بشهرين حين قال : (بعد انسحاب البريطانيين من اتحاد الجنوب العربى يجب العمل على إنشاء دولة اشتراكية مستقلة لذلك يرى الاتحاد السوفيتى نفسه مضطراً إلى التصرف تجاه أى حل تقرره الأمم المتحدة حيال هذه المنطقة) وقد اعتبر هذا التصريح بمثابة وعد بلفور ماركسى سوفيتى للانطلاق إلى اليمن والجزيرة العربية برمتها وحين ينظر إلى الموقف جملة منذ اعترف الاتحاد السوفيتى بإسرائيل ١٩٤٨ وحين قدم لها العنوان العسكرى الذى مكنها من هزيمة العرب وحين قدم لإسرائيل تلك الأعداد الضخمة من الخبراء المهاجرين وخذل العرب عندما أوقف صفقات الأسلحة المتعاقد عليها كل هذا يكشف بوضوح أبعاد المؤامرة . وقد استهدفت الشيوعية فى تعاونها مع الأنظمة العربية والإسلامية العمل على تنفيذ خطة خطيرة فى مواجهة الإسلام بوصفه العدو الوحيد الذى يحول دون تقدمها : أولاً : تشويه العقيدة الإسلامية وتقديمها لجمهور المثقفين فى صورة منتقصة أو موسومة بالتخلف لا تتناسب مع التقدمية والطموح إلى مواكبة التطور العلمى مع تخدير الإسلام بعبارات طيبة فى حق العقيدة الإسلامية التى ساهمت فى.

مقاومة الاستعمار ولكنها لم تعد صالحة لما بعد ذلك . ثانياً : قمع كل مبادرة للتعلق باللغة العربية وبذر بذور اليأس في نفوس المشبثين بها واعتبار المطالبة بالتعريب موقفاً غير عملي ونابع من عاطفة التعلق بالتراث والتزمت والانغلاق عن العصر وإعلاء شأن اللهجات المحلية والتراث السابق للإسلام . ثالثاً : المطالبة بأن تمتد التربية الإلحادية والثقافة الشيوعية إلى فصول رياضة الأطفال بعد أن تركزت ونمت في مراحل التعليم العليا . رابعاً : المبادرة بإلغاء الشريعة الإسلامية في قوانين الأحوال الشخصية والعمل على تفكيك الأسرة المسلمة وتهديم بنيتها وقطع جميع العلاقات الإنسانية (أبوة - أمومة - أخوة - صهر - نسب) بين أعضائها خامساً : المطالبة بمنع قيام الأبوين من القيام بواجبيهما في تربية أولادهما عن طريق إنتزاع الأطفال وإلحاقهم بالمؤسسات . . سادساً : إلغاء التزام الزوجة بطاعة زوجها أو معاملة أهله بالمعروف وإلغاء ركني الزواج الأساسيين : الصداق والولي والنفقة الواجبة على الزوج أثناء الزوجية وفي فترة العدة لأن النفقة رمز تفوق الزوج على زوجته مما يتنافى مع الروح التقدمية وقد تبين بوضوح أن التيار الإسلامي وهو الخصم الحقيقي للشيوعية وهو القادر على مواجهة هذه السموم كلها وكشف هذا التيار الذي غيبته القوى المتآزرة ووجهت له في مصر أشرس الضربات حيث صدر في ماسكو الحكم بإعدام عدد قادة الحركة الإسلامية عام ١٩٦٥ هـ .

(٣)

شيخوخة الماركسية

تؤكد الوثائق التي تكشف عنها الأحداث اليوم^١ أن تجمع على دخول الفكر الماركسي والتجربة الماركسية كلها مرحلة « المحاق » والشيخوخة والهزيمة والإنهيار ، فالشيوعيون اليوم يواجهون هزائم متوالية في كل مكان في الاتحاد السوفيتي نفسه وفي الغرب الأوربي وفي العالم الإسلامي في الاتحاد السوفيتي تبدو هزيمة الفكر الماركسي اللينيني واضحة في التنصل من ماركس ومن الرخصة اللينية ، وهناك تراجع شامل في النظرية والتطبيق وفي الغرب نجد المحاولات الصريحة للتحرر من التطبيق الماركسي اللينيني في تجربة يوغسلافيا وتجربة براغ والأمر يختلف الآن عن عام ١٩٦٨ عندما عبرت دبابات حلف وارسو حدود تشيكوسلوفاكيا من

كل صوب وسحقت التجربة الجريئة تحت جنازيرها (تجربة دوتشيك) أن الأحزاب الشيوعية الأوروبية تعلن اليوم بوضوح وصراحة أنها لا تخضع للكرملين . وقد كشفت بوضوح في كتابات متعددة رفض تنفيذ النموذج المطبق في الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية والدعوة إلى برامج منبثقة من واقع وطنهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وهم يرون أن النموذج السوفيتي قد فشل من الناحية الانسانية خاصة في مجال الحرية الفردية . وقد كشف هذا المعاني كثير من الباحثين في مقدمتهم (سانيا جوكاريلو) في كتابه البوركومبو تزم والدولة (أي الشيوعية الأوروبية والدولة) وأن هذه الأزمة بدأت عام ١٩٥٦ عندما ألقى خروشيف بقنبلته وكشف الحجاب عن فظائع ستالين الأمر الذي أصاب الحركة الشيوعية العالمية بهزة عنيفة أدت إلى إنفصال الصين من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٠ بعد أن انطلقت منها أيديولوجية خاصة هي الماوية نسبة إلى (ماوتسى تونج) . والآن تولد أيديولوجية جديدة اسمها الشيوعية الأوروبية تنطلق من دول متقدمة اقتصادياً والحرية فيها متوفرة ويرى المراقبون أنها ستكون بعيدة الأثر في تحطيم جدار الحركة الشيوعية . وقد حاول برجنييف جمع شمل الأحزاب الشيوعية بعد إعدام دام سنتين فلما اجتمعت الأحزاب الشيوعية في برلين (يونيو ١٩٧٦) فشل المؤتمر ولم ينجح وبدأت موسكو تواجه انتقادات الأحزاب المنشقة : الأحزاب اليوغسلافية والرومانية والإيطالية والأسبانية وقد أعلنت استقلالها عن موسكو . ولخص ستياجو في كتابه ما يأخذه الشيوعيون الأوروبيون على موسكو فقال إن في موسكو طبقة من البروقراطية للتمتع بسلطة سياسية لا حدود لها إذ أنها تأخذ قراراتها دون استشارة الشعب ولا حتى الحزب . ويقول إن طبيعة المجتمع السوفيتي من شأنها أن تعطل النمو الاقتصادي وبالتالي لن يحقق الاتحاد السوفيتي بوضعه الحالي : الشيوعية ، وأن الخطأ هو أن موسكو اعتبرت الحركة الشيوعية كنيسة وأن موسكو هي الفاتيكان وبالتالي فقد شنت واشنطن هجوماً شديداً على الشيوعية الأوروبية . أما في داخل روسيا فإن الأمر أشد خطورة : يقول أحد المراقبين في تقرير يصف هذا التحول : « إن موسكو الآن تعاني من ثورة عارمة تمردت فيها فصائل اليسار على قيادة الكرملين وقد بدت على السطح مرحلة من المواجهة الساخنة بين الاتحاد السوفيتي وبين التيار المتصاعد للحركة القومية داخل الأحزاب الشيوعية سواء في ذلك الأحزاب الأحرار الأوروبية في فرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال ، أو الأحزاب الاسيوية في الهند وسري لانكا وكوريا واليابان . هذا التيار المتصاعد يشكل الانقلاب النهائي للحركة الدولية في قبضة الكرملين .

وهو الأمر الذى بدت بواكيره الأولى بانشقاق يوغسلافيا ١٩٤٨ ثم أعقبه الانشطار الاخر بالانشقاق الصينى ١٩٦٠ وموضع الخطر بالنسبة لموسكو هو أن انتشار الثورة على (الكرملين) من جانب الأحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية سوف يؤدى إلى تعقيدات خطيرة عبر الامبراطورية الروسية فى أوروبا الشرقية بالذات حيث تمسك فيالق الجيش الروسى لضمان السيطرة الروسية على دول الستار الحديدى وقد أثبتت التقارير أن للسوفيت واحد وثلاثين فيلقاً من جيوشها المدرية فى دول أوروبا الشرقية وهى آمنة فكيف تكون حاجتها إذا إنتشرت الثورة فى الإمبراطورية الروسية كرد فعل لتمرد الأحزاب الشيوعية الغربية على سيطرة الكرملين . إن الخطر الذى يواجهه القيادة السوفيتية بفقدانها للعالم الشيوعى ليس مجرد خطر سياسى أو سيكولوجى فحسب ولكنه خطر ينطوى على كثير من التعقيدات العسكرية والاستراتيجية بصورة أشد ، ذلك أن موسكو مقبلة اليوم على مرحلة تقع بين محظورين : بين عالم شيوعى قد رفعها عالم رأسالى لم يقبلها والنتيجة المحتوية هى العزلة العسكرية والسياسية على السواء . وهذه أولى ملامح التغير المرتقب فى ميزان القوى . ويكشف المراقبون أن نتيجة هذا كله هو أن تراجعت الماركسية اللينينة تراجعاً كاملاً فى النظرية والتطبيق وأن عملية التراجع شملت بلدانها تقريباً أولاً : يوغسلافيا ورومانيا . ثانياً : تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبولندا . ثالثاً : مناطق يسيطر عليها الاتحاد السوفى سيطرة مباشرة : ألمانيا الشرقية وبلغاريا . رابعاً : حركة المنشقين والأصوات المطالبة بالتغيير يعلو صوتها وتلقى قمعاً صارماً من السلطات . وفى الصين : أعلن رئيس وزراء الصين أن المعسكر الاشتراكى أصبح شيئاً لا وجود له ، وأن الصين تنتمى إلى دول العالم الثالث وقال إن الوجود الأمريكى فى آسيا مهم لنا وذلك لموازنة النفوذ السوفيتى المتزايد وفى الصين يبنون القومية الصينية ويتركون الروح المحلى ويغلبون الإقليمية على الأهمية الشيوعية . وبذلك انهزمت كل تصريحات الأهمية والوحدة والطبقة والمادية المحلية وتقهقر الفكر الشيوعى فى غرب أوروبا وارتبط بالفشل فى التطبيق العملى فى شرق أوروبا الذى كشف عن أخطاء النظرية وخبالها وضلالها وكذلك فشلت التجربة الاشتراكية فى مصر والعراق والسودان وأندونيسيا وتنزانيا وغيرها وتراجعت أكثر البلدان فى مجال التطبيق الاشتراكى وشهد النصف الثانى من القرن العشرين النهاية الحاسمة للشيوعية فكراً وممارسة . وهذه النهاية جاءت على أيدي الشيوعيين أنفسهم فى نفس الوقت الذى انهار فيه النظام الرأسالى .

(٢) يقول الأستاذ لمى المطيعى جاءت الذكرى السنوية لثورة أكتوبر الاشتراكية في الاتحاد السوفيتى ١٩٧٧ والخلاف حاد ومستحكم بين الصين وروسيا وينمو اتجاه مستقبل محايد إزاء الصراع الصينى السوفيتى يتمثل في يوغسلافيا وكوريا وفيتنام ورومانيا وداخل الدول الشيوعية يتصاعد اتجاه الاستغلال من النفوذ السوفيتى ، وفي داخل الاتحاد السوفيتى تظهر حركة المنشقين التى تمتد لتشمل عناصر مرمقة من الكتاب والمفكرين وهناك الشيوعية الأوروبية التى ترفع لواء التمرد على حق الاتحاد السوفيتى فى السيادة الفكرية على الأحزاب الشيوعية الأخرى وتعلن التخلي عن مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وتؤيد الديمقراطية البرلمانية وكل هذه الأفكار خروج صريح على قيادة ثورة أكتوبر وخروج واضح على أفكار ماركس ولينين التقليدية . وتعد ثورة أكتوبر : النموذج العملى لتطبيق الماركسية اللينية ومن هذا المنطلق أعلن المؤتمر الأول للكونمترن (٧ مارس ١٩١٩) الشروط الأساسية ومن هذه الشروط الأساسية الوصول إلى السلطة بالعنف الثورى وتأييد الاتحاد السوفيتى دون تحفظ . ولم يدر بذهن ماركس ولا بذهن لينين أن يأتى يوم تنتكر فيه أحزاب شيوعية لمبادئ الولاء المطلق للاتحاد السوفيتى وديكتاتورية البروليتاريا والعنف الثورى (وقد أعلن الحزبان الشيوعيان الفرنسى والإيطالى التخلي عن مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وإمكانية الوصول إلى السلطة عن طريق الانتخابات البرلمانية) . وهناك الخلاف بين الصين الشعبية وبين روسيا منذ عام ١٩٥٦ وعدم التقيد بنموذج التجربة السوفيتية أو توجهات الاتحاد السوفيتى وما أعلنه (سانتاجو كاريللو) فى أسبانيا من أن النظام الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى نظام لا يصلح للتطبيق فى المجتمع الأوروبى المتقدم . ويرى السوفيت أن الشيوعية الأوربية تمثل تهديداً مباشراً لنفوذهم أخطر من أى تهديد سياسى يمثله الرأسماليون الأوربيون ، كما يعد اتجاه الشيوعية الأوربية أخطر انشقاق فى صفوف الشيوعية الدولية فى العصر الحديث وإن مؤتمر برلين الشرقية قد انتهى بهزيمة ساحقة للفكرة السوفياتية التى كانت تقوم على مبدأ قيادة الاتحاد السوفيتى للحركة الشيوعية العالمية » وقد تبنى مؤتمر الأحزاب الشيوعية وثيقة جديدة لتحديد العلاقات بين الأحزاب تنص على المساواة والسيادة والاستقلال لكل من هذه الأحزاب وعدم تدخلها فى الشؤون العامة على أن يطور كل حزب لنفسه ذاتياً وهذا يعنى سقوط قيادة الاتحاد السوفيتى للأحزاب الشيوعية ، وهذا هو التمزق الجديد بعد التمزقات التى مضت ، ماركسيان وشيوعيتان فى الصين وروسيا ، ثم أخذت دول أوروبا تتخلص أولاً بأول من نفوذ القيادة الروسية (تيتويوغسلافيا ، رومانيا تشوسيسكو) وهاهو انشقاق الأحزاب الأوربية عن الفكرة الماركسية اللينية

كعقيدة ومبدأ والاتحاد السوفيتي كقيادة . هذا وقد أخذ بريق الماركسية بعد مائة وخمسين عاماً من عمرها ينطوى ولم يعد من المسلم به القول بأن الماركسية دين لا يخطئ أو أنها تنفرد بالوحدانية في التنمية الاقتصادية . إن التطبيق الحرفي لافكار انبعثت في ظروف القرن التاسع عشر لابد أن تؤدي إلى موقف رجعي في النصف الثاني من القرن العشرين حيث التقدم العلمى والتكنولوجيا المذهل . وقد ثبت أن المادية العلمية والماركسية اللينيه قد فشلت بعد هذا العمر الطويل في أن تكون وسيلة للتفكير .

(٣) ويقول الدكتور مهدي بن عبود : بعد أن تناول بالبحث هذا الطور الخطير من الشيوعية : أن الماركسيون اليوم يدركون أن الشيوعية نوع من الإكراه الذي لا يقوم إلا في فترات الشيخوخة عند الأمم أو شيخوخة الحضارات المتمثل في ذلك الرعب المنشر تدريجياً بين الأفراد ضمن العائلة الواحدة يقول المفكر الفرنسي ديبلسى في كتابه حياة الحضارات وموتها : إن الشيوعية بدلا من أن تكون نقطة بداية هي في الواقع نقطة نهاية لنوع حضارى ، ولهذا يصفها الغرب بكلمة « الأزمة » فهي نوع من أنواع الأزمات في القرنين ١٩ ، ٢٠ بدلا من أن تكون ترياقاً أو علاجاً وقال إن تركيز السلطة في الدولة عرض من أعراض الشيخوخة لهذه الدولة وللفترة الزمنية التي تعيش فيها . يقول ومع هذا فإن القوى التلمودية الصهيونية ما تزال تدفع الدول السوفيتية إلى السبق العسكرى في مجال الصواريخ والتفوق البحرى على النحو الذى تورده وكالات الأنباء ووفقاً لتصريح كبار رجال الحكومة الحفية الذى أعلن أن الحرب العالمية الأولى صنعت الدولة الشيوعية وأن الحرب العالمية الثانية وضعتها على مستوى أقوى الدول الغربية وأن الطريق أصبح ممهداً لحرب عالمية ثالثة تسيطر فيها الشيوعية الصهيونية وقد تنافست القوتين الشيوعية البلشفية والرأسمالية الغربية خلال ما بعد الحرب العالمية الثانية بما انتهى إلى سياسة الوفاق وقد واجه العالم الإسلامى كلا القوتين وانكشف فساد الأيدلوجية الغربية كما تبين فساد الأيدلوجية الشيوعية . وأصبح العالم الإسلامى والبلاد العربية اليوم تشجه إلى تحقيق نظام إسلامى يستمد كيانه من الشريعة الإسلامية وتطبيقات الاقتصاد الإسلامى والنظام السياسى الإسلامى .

(٤) وتحدث الان دراسات الباحثين والمعلقين والمراقبين عن شيخوخة الماركسية وهزيمتها أويتساءل أندرى أماتريك في كتاب له : تحت عنوان هل يبقى الاتحاد السوفيتى حياً حتى عام

١٩٨٤ وهو الكتاب الذى تنبأ فيه بأن النظام الشيوعى سوف يتفسخ وينحل نتيجة الاختناقات الاقتصادية والعدواة القومية وكذلك بسبب نشوب حرب مع الصين الشعبية وقد نشر الكتاب فى عدة دول غربية عام ١٩٧٠ . كذلك فقد أجرت مجلة يو : اس نيوز أف وورلد الأمريكية (١٩٧٦) استطلاعاً لمجموعة من كبار السياسيين فى الحكومة الأمريكية فيما ينتظر الحركة الشيوعية العالمية خلال الحقبة القادمة ، وقد تكهن هؤلاء المعلقون السياسيون بأن التصدع المستمر والتفكك المضطرد سوف يكونان السمة البارزة للحركة الشيوعية الدولية خلال السنوات العشر القادمة وتحدث التعليقات عن أن الخلاف الأيدلوجى العميق الذى دب بين موسكو وبكين بمثابة بداية النهاية للحركة الشيوعية بغض النظر عن يتولى السلطة فى بكين وموسكو وأن الشيوعية تتعرض للتفكك خلال السنوات القادمة . وقد أشارت برقيات بكين (١٩٧٧.١٣.٣١) إلى ما أسمته هزائم متوالية للسوفيت فى العالم العربى فأعلنت أن دولاً فى العالم العربى أعلنت رفضها ومقاومتها للسيطرة السوفيتية خلال عام ١٩٧٧ فقد ألغت مصر والصومال معاهدتى الصداقة مع الاتحاد السوفيتى وقد اضطر الاتحاد السوفيتى نتيجة لذلك إلى الانسحاب من المراكز الاستراتيجية من قناة السويس ومدخل البحر الأحمر . وقد جاءت هزيمة الاتحاد السوفيتى بعد أن عانى العرب من تدخل السوفيت وسيطرتهم وتحزيبهم .

(٥) يقول وحيد محمد عبد الحميد : لقد اضطرت الشيوعية فى مؤتمر الحزب الفرنسى (فبراير ١٩٧٦) إلى إلغاء النص على ديكتاتورية البروليتاريا وكان جورج مارشيه سكرتير الحزب فى كتابه التحدى الديمقراطى قد عارض هذا المصطلح وطالب بإلغائه ، وكذلك طرح الحزب الشيوعى الإيطالى صيغة التسوية التاريخية القائمة على استيعاب التيارات الثلاث الرئيسية فى المجتمع الإيطالى ، وهى الكاثوليكية والاشتراكية والشيوعية . وهذا فى حد ذاته يعبر عن أزمة حقيقية يعانى منها الفكر الماركسى اليوم فى ظروف الثلث الأخير من القرن العشرين : أزمة تناقض بين المقولات النظرية التى كان الماركسيون يعدونها إلى وقت قريب فى عداد المسلّمات وبين الواقع السياسى ومقتضيات الحركة السياسية فى المجتمعات الليبرالية التى تأسّلت فيها قيم الديمقراطية إلى حد أصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل اقتلاعها . لقد توارى الحديث عن الاستيلاء على السلطة بالعنف أو الانتفاضة المسلحة التى تميز الأدب الماركسى فى الثلث الأول من هذا القرن ليحل محله الحديث عن الأسلوب البرلمانى . هذه الأزمة ليست مجرد أزمة تناقض ذاتية محصورة داخل كل مجتمع على حدة وإنما هى ذات بعد عالمى هام

يشرك آثاراً واضحة وخطيرة على الحركة الشيوعية العالمية في مجملها وبالذات على علائق هذه الأحزاب بالاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل إلى وقت قريب محور الحركة الشيوعية العالمية . نقول وهكذا أصبحت « ظاهرة تقلص دائرة النفوذ السوفيتية في البلاد الشيوعية حقيقة قائمة ونحن الذين نرفض الأيدلوجيات الغربية : رأسمالية وشيوعية إنما نعرض لهذه الظاهرة لنكشف عن فساد هذه الأيدلوجيات وتضاربها وأنهارها في القريب بعد أن فقدت مسببات وجودها ولم تستطع أن تحقق شيئاً للشعوب التي تطلعت عليها أول الأمر وظنت أنها ستقدم لهم الفردوس الأرضي ، كذلك فهي تصحح مفاهيم العرب الذين تصوروا عندما أدخلوا الاتحاد السوفيتي إلى الشرق الأوسط عام ١٩٥٥ أنه سيساعدهم على تحرير نصف فلسطين فاكشفوا بعد اثني عشر عاماً أنه ساعدهم على إضاعة كل فلسطين ١٩٦٨ .

(٦) أعلن ولتر روستو وشلبرنجر وريمون أرون أن كل النظريات ومنها الاشتراكية العلمية قد عني عليها الزمن وأن السيادة قد انتقلت الآن إلى الأفكار . وكتب أرون تحت عنوان (نهاية الأيدلوجية وبداية النهضة الجديدة للأفكار) : لقد سبق العالم كل الأيدلوجيات القديمة ليصل إلى استراتيجية عالمية أكثر مرونة وحيوية ، وأدان الأيدلوجية الاشتراكية العلمية التي تعبر عن مصالح الطبقة العامة والجماهير الكادحة وقد أصبحت مجموعة من العقائد الجامدة التي تتعارض مع الواقع . وقد أصبحت فكرة الصراع الطبقي باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتحقيق مصالح الجماهير الكادحة وقال رستو : إنه يمكن للبلاد المتخلفة أن تتقدم بطريقة مرضية دون نظرية الاشتراكية . وكشفت كتابات أخرى كثيرة عن أن الاشتراكية الماركسية والشيوعية هما إسمان لمسمى واحد ، وإن بدا اليوم أن كل منهما يمثل مذهباً خاصاً إلى حد النضال والخصومة ، والفرق بين الاشتراكية والشيوعية أن الاشتراكية ترمي في النهاية إلى الشيوع بينما ترى الشيوعية أن جميع الثروات الاجتماعية مجموع يستهلك الفرد منه بقدر ما يسد جميع حاجاته وليس فقط بقدر ما يناسب خدماته . ولقد كانت باطلة تلك الدعوى التي حاولت أن نتسب إلى الإسلام مفهوماً اشتراكياً على هذا النحو فإن الإسلام لم يعرف الاشتراكية بمعناها الحديث ، ذلك أن الإسلام من الناحية الاقتصادية يحمي الملكية الشخصية ويحيطها بكل الصمانات الشرعية ويحمي حرية الفرد في الطموح والعمل ويحمي ثمرات عمله وتحصيله ولا يسمح للدولة أن تتدخل في حرية الفرد الاقتصادية إلا في أضيق الحدود ومن الحق أن نظرة الإسلام إلى المال ليست نظرة الرأسمالية ولا نظرة الاشتراكية فالملكية للمال

في الإسلام ملكية خاصة ومنفعة المال الخاصة فيه منفعة عامة وتقوم هذه النظرة على مبدئين :
(المبدأ الأول) : استخلاف الإنسان في الحياة الدنيا على المال وتفويضه عن المالك الحقيقي وهو الله تبارك وتعالى في جمعه وتنميته واستثماره وإتفاقه وعلى هذا المبدأ تتأصل الملكية الخاصة للمال أي تكون هي الأصل ولا تخرج عن هذا الأصل إلا للضرورة : كضرورة الحفاظ على وحدة الأمة ، (المبدأ الثاني) : إن منفعة هذا المال الخاص هي منفعة عامة للمالك ولفترة من أصحاب الحاجة في الأمة أي لا تستتبع الملكية الخاصة للمال : المنفعة الخاصة به للمالكه . فالإسلام يجعل المال مملوكاً للفرد ، ولا يلغى الأغنياء ، ولا الدافع الفردي ولا يسحق الفقراء أو يظلمهم : ففي الإسلام الزكاة والصدقة فإذا لم تنهض الزكاة بحاجة المسلمين وبقى منهم محتاج فللحاكم أن يأخذ من مال الله لفقراء الله . والناس متفاوتون في الرزق أو في المال ولهم مستويات مختلفة في ملكية المال .

(٧) كشفت كتابات كثيرة إرتباط الفكر الشيوعي بالصهيونية ، وفي مقدمة هذه الأعمال والدليل الوثيق عليها كتاب محمد سيد أحمد المريب « بعد أن تسكت المدافع » الذي يقترح وضع المال العربي في يد الرأسمالين اليهود . وهو خيط من خيوط مختلفة تتصل بمحاولات الماركسيين العرب في خداع المسلمين والعرب بمحاولة الجمع بين الماركسية والإسلام أو بين الصهيونية والعرب وكل هذا يتطابق مع المعروف تاريخياً من أن ماركس هو تلميذ مؤسس النظرية الصهيونية (موشه هيس) وأي ماركس هو حفيد الحاخام مردخاي ثم إن فكرة الطليعة الشيوعية هي اسم عصري لفكرة استعلاء شعب الله المختار ويتصل بهذا أن لينين أصدر إبان الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ قراراتين يوضحان العلاقة الوثيقة بين الشيوعية والصهيونية هما . (أولاً) العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون . (ثانياً) تأييد الحق الكامل لليهود في بناء وطن لهم في فلسطين وأن هذا قد ارتبط بالمؤامرة على الخلافة الإسلامية منذ قيام الانقلاب الماسوني بقيادة الاتحاديين أولاً ثم بقيادة أتانورك . ولا شيء يزعج الشيوعية مثل ما يزعجها المد الإسلامي ، وقد أشارت الصحف إلى ما انتاب الكرملين (يوليو ١٩٧٤) من موجات القلق والتوجس بسبب تزايد انتشار اعتناق الإسلام في الأطراف المتراصة على الحدود الروسية وذيوع مبادئ وتعاليم الإسلام ، فقد دفع الغضب من هذه الموجة قادة الحزب الشيوعي لاتخاذ إجراءات عنيفة لصد تيارات هذه الموجة ووقف مداهم المتزايد سواء في داخل الاتحاد أو في الدول الموالية له في منطقة جنوبي شرق آسيا إلى درجة إلقاء القبض

على كل من أعلن إسلامه ثم صدر الحكم بإعدامه وأكدت الأنباء التي تسربت رغم التشديد بعدم نشرها أن من يصدر عليه الحكم بإعدامه بتهمة اعتناق الإسلام كان يتغنى فرحاً وهو يساق إلى ساحة الإعدام ويردد مزهواً : (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) . كما أصدرت قيادة الحزب الشيوعي أوامرها بضرب القوى التي يشيع فيها اعتناق الإسلام وإعدام أهلها وحرق دورهم بالقنابل وتكليف مائة طائفة حربية بالمهمة الوحشية لإبادة القرى التي أعلن الإسلام فإن وكالة (رويتر) ذكرت أن عدداً كبيراً من أعضاء الحزب الشيوعي في إقليم (أوزهاريا) المتاخم للحدود التركية قد أعلنوا اعتناقهم لدين الإسلام وأقاموا شعائره الدينية وأن عدد المسلمين في المنطقة المظلمة على البحر الأسود في تزايد . وما تزال الأيام تكشف كذلك تمزق العلاقات السوفيتية مع الدول العربية بعد أن رفع القناع عن وجهه - قالت صحيفة لورو الفرنسية (عن الأخبار ٢١ أغسطس ١٩٧٧) أن الاتحاد السوفيتي يواجه معارضة من جانب الذين قدم لهم بعض المساعدات أو الذين أرادوا فرض نظامه الاقتصادي والسياسي على شعوب عرفت بروحها التحريرية وقد اتضح فشله الذريع في شمال أفريقيا والشرق الأوسط وبدأ العالم العربي في الابتعاد عنه ففي غضون أربع سنوات فقدت السوفيت مواقع هامة تتمثل في مصر والسودان ثم اليمن الشمالية والصومال وموريتانيا .

(٤)

اليقظة الإسلامية تكشف الزيف

كشفت حركة اليقظة الإسلامية فساد النظرية التي طرحتها الشيوعية في أفق الفكر الإسلامي وهي أنه لا الشيوعية ولا الماركسية يمكن أن تقيم بينها وبين الإسلام أى لقاء أو تعارف ، لأن كليهما اتباع فكر بشري بينما الإسلام منهج رباني بل إن مجرد المقارنة بينهما لا تصح علمياً إذ كيف يمكن المقارنة بين رأى من نتاج عقل بشري - والعقل البشري يخطئ ويصيب وله أهواءه وتصوره - وبين تنزيل إلهي ، فالإسلام فوق البمين واليسار والتقدم والرجعية ، ذلك أن الشيوعية إنما جاءت رداً على تحديات الرأسمالية فهي تصلح بالمقارنة إليها ، لاتصالها به وصراعها معه ، أما الإسلام فهو شيء آخر ، بعيد عن هذه عن هذه الصراعات والمقابلات فالشيوعية قامت بحجة مواجهة مجتمع صناعي ، وفي المجتمع الصناعي عنصران : عنصر العمل وعنصر رأس المال . ونحن أمام نظريتين متعارضتين بدت كل منهما على طرف النقيض من الأخرى ، وهما مع مرور الزمن لم يتدابرا ، بل اقتربت

النظريات ، وكلا النظريتين خطأً ، والصواب هو النقطة التي يدعى كل منهما أنه يسمى إليها ، أما الإسلام فإنه يقدم الحقيقة الناصية ، وقد أثبت الواقع التطبيقى خطأ الرأسمالية لأنها لا تصلح نظاماً للحياة وخطأ الاشتراكية لأنها لا تصلح نظاماً للحياة . فى الرأسمالية فكر بشرى أخطأ ويحاول تصحيح نفسه فى التطبيق أما فى الإسلام فإن الذى قدم لنا المنهج حمانا من خطأ التطبيق . وكشف بطلان النظرية الاقتصادية الرأسمالية والماركسية السواء .

وإذا وجدنا فى مجتمعنا الإسلامى ضعف أو خلل فمعنى ذلك أن تطبيقنا كان خطأً أو أننا لا تطبق ما أمر الله به ، وإذا وجدنا ضعفاً أو خللاً فلا بد أن حداً من حدود الله قد عطل . لقد جاء الإسلام ليجعل الغنى سخياً وليرفع همة الفقير عن السؤال ، ولقد جفت ينابيع الخير فى البلاد التى أخذت بالشيوعية وتعطلت بالمواهب وسيطرت فئات بالعنف والقسوة على أهل البلاد وشاع الفساد وضعفت المهمم ، ولقد تبين أن الادعاء بالاشتراكية هو أقصر طريق للحكم ، لذلك يسير وراءها هوة الحكم والراغبون فى السطوة ، ينشرون البغضاء بين الطبقات تحت شعار تحرير الشعوب . ولقد تبين أنه من الأكاذيب القول بأن الاشتراكية يمكن أن تشكل سداً أمام الزحف الشيوعى لأنها تحقق العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة الوطنية ذلك أن الاستعمار الجديد يعتبر الشيوعية إحدى أدواته الحاسمة ولا تملك الاشتراكية إلا أن تكون جزءاً من التيار العالمى المرتبط بموسكو وبكين . ولا ريب أن أخطر أخطار الاشتراكية تحويل ولائ المواطنين من الدين أو الأرض نحو الطبقة وقد دعا خروشوف المصريين إلى أن تكون الاشتراكية هى أساس الوحدة العربية وليس القومية . وقد كشفت حركة اليقظة الإسلامية : استحالة التنسيق بين الإسلام باعتباره وحياً من الله سبحانه وتعالى وبين الماركسية بما تقوم عليه من إنكار لوجود الله وبما تركز عليه من تفسير مادى لأصل الكون ولحركة التاريخ وأن الماركسية تنتهى فى التطبيق إلى تحطيم الفرد والمجتمع عقيدة وأخلاقاً وقد أهابت المؤتمرات الإسلامية المتعددة بالعمل على وقاية أبناء المسلمين من أخطار هذا المذهب والعمل على سد الطرق والمفارق التى يسلكها العمل على استبعاد أصحابه ومحاربة أفكارهم فى أجهزة الأعلام والتربية فى المدارس والمعاهد والجامعات . كذلك تعددت الأبحاث الجادة التى تكشف عن الفراق العميقة بين الإسلام والاشتراكية باعتبار أن الإسلام عقيدة والاشتراكية نظام اقتصادى وأنه لا وجه للمقارنة بينهما فالماركسية فكر بشرى والإسلام دين الله الحق ، والفكر البشرى يجوز عليه الصواب والخطأ والصلاحية لزمان دون زمان . وأن قيم الإسلام

أصلية ثابتة لا يجوز تجاوزها وأن فكرة كون الإسلام يتجدد أو يخضع لعامل الزمن في تطوره هي فكرة استعمارية فالمبادئ القطعية الأساسية في الشريعة لا تقبل التطور : كإداء الأمانات والحقوق إلى أصحابها والتزام العدالة في القضاء والشهادة والتراضي في العقود وقمع الإجرام وسد الذرائع إلى الانحراف . وهذه الأصول الثابتة التي يقوم عليها الإسلام تجعل من العسير على دعاة المذاهب : ماركسية وشيوعية وديموقراطية أن يصلوا معه إلى شيء ، لأنهم يتحركون في إطار دعوات مرتبطة بعصور معينة أو بيئات معينة ، تختلف باختلافها وتتغير بتغيرها بينما يقف الإسلام كالطود قادراً على مواجهة مختلف ظروف البيئات والعصور . ولا ريب أن هذه المحاولات ترمى إلى سلخ المنهج الإسلامي من صفته الربانية العالمية الجامعة وجعله إقليمياً أو قومياً بهدف الإجهاز على الشخصية الإسلامية التي تستمد وجودها من هذا المنهج فهو على لسان القوميين نهضة عربية في عصر من عصور التاريخ ، وهو على لسان الماركسيين ثورة تمثل مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني القائم على أساس التفسير المادي ، والغرض من هذه التعابير المسمومة هو القول بالباطل بأن هذه الرسالة الخالدة العالمية شأنها كسائر النظريات الوضعية خاضعة لظروف الزمان والمكان وليست بالرسالة الخالدة التي تكسب هذه الخلود من مصدرها الرباني وكما لها المطلق .

(٢) وكشفت حركة اليقظة الإسلامية عن أن تجربة الصداقة الروسية في سنواتها العشر كانت مرحلة حرت لبني إسرائيل كما تقول الدكتور بنت الشاطي : « تسجل وثائق تاريخنا الحديث أن البولشفية كانت تعتمد على خدمات اليهود وأن نشاطها كان مسائراً لمراحل البرنامج الصهيوني لتحقيق علم بني إسرائيل على أرض المعاد ، السنوات العشر السابقة على قرار التقسيم (٣٧ - ٤٧) شهد ما يشبه موجة مد شيوعي تكلفت مؤسسات وأفراد من اليهود بتوجيهه وتمويله . وفي مصر كانت دار الكاتب المصري للطباعة والنشر متطوعة لخدمة الفكر الإسلامي وإثرائه بترجمات لروائع الدراسات اليهودية للإسلام مثل كتاب اليهودي المجري جولد سيهر عن الشريعة والعقيدة في الإسلام . كانت مكتبة اليهودي كوريل مركزاً لتوجيه الحركة الشيوعية في مصر والسودان وتمويل شعبها وكانت تحمل اسم (دار القرن العشرين) شعاراً للتقدمية وإعلاناً عن عصريتها ودعوة جذابة للشباب الذين كانوا يلتهمون زاداً عصرياً ، قدمت بضاعتها وليس فيها كتاباً عن الصهيونية بل الزاد كله من أدب الدعاية الروسية والفكر الصهيوني باللغات الثلاث . كذلك حملت الخلايا الشيوعية والجمعيات

اليسارية ومجلاتها أسماء (الفجر - البعث - الجديد - الطليعة - الضمير - جماعة البحث العلمى دار الأبحاث العلمية ، النادى التقدمى) وكانوا زملاء دراسة فى الجامعة ليسوا عندى بموضع ريبة أو اتهام . ولقد تبين أن الفكر الماركسى : رجعى متخلف وأن نسج أصحابه بدعوى العصرية فهو يقوم على عبادة الزعماء وإصرارهم على الحجج إلى قبر لينين ، أما الإسلام فإنه يفرض حرية الكلمة إلزاماً بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والساكت عن الحق شيطان أخوس ، فهل يباح لمفكر روسى أن يجهر بنقد عمل أو قول لقادة المذهب وهل يسمح لمواطن أن يرفض المذهب . أن الشيوعية قد جحدت الأديان ثم ما لبثت أن صيرت المذهب عقيدة وديناً فهل كانت القضية أن يستبدل الإنسان العبودية لخالقه وحده عبودية لأرباب من البشر . الشيوعية كشفت سوات رجال من الكهوف وبشرت بتحرر الشيوعية من إعلامهم ثم ما لبثت أن أفرزت طبقة من الكهان أخرى ، من الرهبان والأخبار ، فهل كانت القضية أن يبدل الإنسان براسبوتين عشرات ومئات من أمثاله . ولقد توقعت أن ينحسر مد الإلحادية المادية بعد أن يبلغ ذروة العنفوان أو ليس من طبيعة الأشياء أن يغفل الإنسان فى عقله عن زيف نقدية تحكى صدى ما قبل عصر الطوفان وخدع عصرية تتطور بالإنسان إلى ما دون الآدمية . وتقول الدكتورة بنت الشاطىء : هل درينا حقاً أن السنوات العشر للصدقة الروسية ٥٧-٦٧ كانت مرحلة حريث لبنى إسرائيل ، فيما ألفت من بذور سامة فى الموقع الفكرى ، فى محاضرات المثقفين الماركسيين وأغاني المطربين والمطربات وما أنتجت العبقريات الفنية من قصص ومسرحيات وقصائد للكتاب والشعراء الذين جاروا التيار وداروا مع الريح ، ومن فتاوى الذين تطوعوا بالتوفيق بين الشيوعية والإسلام وأفواج من شباب جامعاتنا قادة الغد أوفدوا إلى دول شيوعية بعثات للدراسات العليا . أن أغلب من تجردوا لفضح سنوات الشيوعية كانوا من كتاب مرحلة ما قبل التصحيح على امتداد عشر سنوات حين كان هم القيادة السياسية إقناع الشعب بما ربحته صداقة الروس : بناء السد العالى ومشروعات التنمية والتقدم والنفوذ السياسى فى الدفاع بالمحافل الدولية عن حقنا الشرق ورفض الصهيونية ووضع أسلحته المتطورة فى خدمة معركة التحرير وأخذ دعاة الماركسية دورهم القيادى فى مجال الإعلام والتبشير ومراكز التوجيه الأدبى والفكرى فظهروا وكأنتهم وحدهم المثقفون ودعاة التجديد وجواة التقدم وكل من عداهم متخلفون رجعيون يجترونها من تاريخ الإسلام وعلومه أفكاراً بالية ، حتى انتهت تلك المرحلة حصاها المشوم فى الخامس من يونيه ١٩٦٧

ولم تكن ندرى أنها مرحلة حرث لبني إسرائيل ودفعنا ثمن الصداقة الروسية باهظاً من شرفنا وأمتنا ومن أرضنا ودمائنا .

(٣) وتكشف الوثائق لعبة السلاح السوفيتي في تحقيق حلم بطرس الأكبر في الوصول إلى البلاد الإسلامية والعربية . يقول الأستاذ محمود الدرة : كان من سوء حظ الأمة العربية أن يفكر قادتها بعيوبهم وبالشعارات التي لفقها وزينها لهم الدجالون ليلعبوا لعبتهم الخطيرة على الحصان الخاسر فاعتمدوا لجيوشهم الثورية على السلاح السوفيتي في صراعهم مع عدوهم الإسرائيلي . وجاءت سنة ١٩٦٧ التي برزت على سطحها ظاهرة ضرب طبول الحرب الفارغة عند العرب لتضرب إسرائيل ضربتها القاصحة للظهور حالما أنار لها جونسون رئيس الولايات المتحدة الضوء الأخضر وصحونا على أنفسنا صبيحة (٥ يونيو) الأسود صحوة عبدالله الصغير الذي بكى على ملكه الذي أضاعه بيده في الأندلس فتوصل الضمير العالمي بعودة أرضنا المحتلة لننهي صراعنا مع إسرائيل . لقد كسب الاتحاد السوفيتي عن طريق أعوانه في عراق عبدالكريم قاسم وسوريا (صلاح جديد) وحقق لنفسه حلم بطرس الأكبر بالوصول إلى المياه الدافئة بلا ثمن يذكر ثم حقق ما هو أبعد من حلم ذلك القيصر فأقام قواعد عسكرية على شواطئ البحر المتوسط وفي قلب الشمال الأفريقي ثم بث نفوذه العسكري والسياسي والاقتصادي والعائدي في أكبر من موقع في الوطن العربي مقابل ما قدمه لمصر من سلاح ومضانع أخذ ثمنها أو من رهن انتاج مصر لما تبقى من الثمن » والذي قاله كل الباحثون والمراجعون هو أن عبد الناصر أول من فتح للشوعية باب المشرق العربي الذي أدى إلى وصول هذا النفوذ الآن إلى القرن الاتريقي والبحر العربي المسيطر على شبه الجزيرة العربية ودول الخليج وإيران والعراق . ثم رأى بنفسه كيف خذله الروس وعرضوه للهزيمة ومنعوه من بدء المعركة يوم ٥ يونيو حتى بدأتها إسرائيل وألحقت بالعرب أضخم هزيمة في تاريخهم الحديث . فإذا ربطنا هذا بدور الاتحاد السوفيتي من أجل إيجاد إسرائيل وبقائها وتوسعها ، عرفنا مدى الدور الذي قامت به الشيوعية في هزيمة العرب وتأيد الصهيونية وإسرائيل ، لقد اعترفت روسيا وإسرائيل في الدقائق الأولى لقيامها ١٩٤٨ وأمدتها بالأسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا وأمدتها بعشرين ألف مقاتل. ولما أعطت روسيا للعرب أسلحة دفاعية أدى هذا إلى أن تعطى الولايات المتحدة لإسرائيل ، حدث ألوان الأسلحة الهجومية وكانت الموازنة أن يعطى لإسرائيل ما يفوق ما يعطى للدول ما العربية جميعاً حتى تظل إسرائيل متفوقة على العرب ، وكان

الدور رسياً الخفى من أجل التوسع الإسرائيلى ١٩٦٧ أنها هى التى أخبرت مصر كذباً بوجود
حشود إسرائيلية على حدود سوريا وهى التى طلبت من مصر ألا تبدأ الحرب قبل فجر ٥ يونيو
وهذا يكشف عن التنسيق الشيوعى الصهيونى ويكشف كثير من الباحثين حقيقة لا تقبل
النقض وهى أن تسلل روسيا والشيوعية إلى البلاد العربية والإسلام جاء نتيجة لطبيعة
السياسة الغربية وكراهيتها الدفينة للإسلام والمسلمين ، ذلك أن الغرب يعد (الأمة الإسلامية)
شركة لا صاحب لها وهو يتحكم فى علاقتها بدينها ويرغمها على ترك ما يرى من شرائعها
وإخفاء ما يكره من شعائره .

(٤) كشف الدكتور مصطفى محمود أخطاء الماركسية بعد أن اتصل بها اتصالاً وثيقاً
ثم نبذها فى عدة عناصر : أولاً : اعتمد ماركس فى استنباط نظريته عن التاريخ عن بعض
مراحل تاريخية دون الأخرى فكان ينتقى من التاريخ ما يوافق هواه ويهمل ما يتناقض
فكرة وليس للقوانين التى استخرجها صفة الإطلاق على التاريخ كله ولا تصدق عليها صفة
القوانين إنما هى تلفيقات وأقوى البراهين على ذلك نشأة الإسلام فلم يكن الإسلام قط من
إفراز النظام الطبقي فى قريش ولم يكن ديناً رجعياً يحفظ للظالمين المستبدين أموالهم وامتيازاتهم
ولم يكن مخدراً للفقراء ، دافعاً لهم قبول فقرهم ، فقد دعا الإسلام إلى التمتع بالحياة فى
اعتدال ودعا إلى قتال الظالمين المستغلين ، ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب مناظر فى نظام
الإنتاج وعلاقات الإنتاج فى قريش وإنما جاء كظاهرة قومية مستقلة عن البيئة وقد جاء
الإسلام من البداية مقررراً المساواة فى الفرص وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن
الاقتصادى بين الفرد والجماعة وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد
الحر الموجه وجاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن ظروف الإنتاج وعلاقات
الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن تقول أن ما حدث كان انبثاقاً من واقع اقتصادى وتحدى
بذلك منطق الماركسية التاريخى وحساباتها المادية التى تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من
انقلاب مناظر فى الإنتاج وعلاقاته . ثانياً : حرمانه من الحافز الدينى والمبدأ الروحى ،
والدين كما هو معلوم يمد الإنسان بأعظم طاقة ليضحى ويبذل بلا حذود عن طيب خاطر
فقد سلبت الشيوعية الجنة من الإنسان وسرقت منه الخلود فلم يعد يتحمس لشيء . ثالثاً : العامل
الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس إلهاً تصدر عنه كل الأشياء وسبباً واحداً تتداعى من
ورائه كل التغيرات التاريخية والحضارة فيما يسميه بالتفسير المادى للتاريخ. هذه الفكرة قد

قد سقطت علمياً والرأى السائد الآن أن في ميدان الظواهر الاجتماعية لا يوجد سبب واحد مستقل منفصل ، وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر في تولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر في بعضها تأثيرات متقابلة والعامل الإقتصادي بهذا لا يصلح أن يكون إلهاً تصدر عنه الأشياء وإنما هناك العامل (القوى ، النفسى ، العنصرى ، العقائدى) يمكن أن تشكل التاريخ بأقوى مما يشكله العامل الإقتصادي رابعاً : كانت دكتاتورية البروليتاريا انتقالاتاً بالمجتمع من ظلم طبقى إلى ظلم طبقى آخر استبدل الاستغلال باستغلال آخر أشمل وأسوأ وأهم وكان ماركس مبالغاً أشد المبالغة في تلك الحالة الأسطورية التى أضفها على البروليتاريا (طبقة العمل) في كلامه . لقد أقام ماركس نظريته على ظروف القرن التاسع عشر الصناعية المختلفة من حيث أن العامل هو عامل يدوى كادح مطحون مسحق لا يكاد يجد لقمة ولم يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا في القرن العشرين حيث أصبح العامل رجل مرفه يجلس أمام أزرار وآلات الكترونية ومن ورائه نقابات عمالية وقوانين للتأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض تحفظ له حقه . وأن الطبقة العاملة إنشقت إلى طبقتين متناقضتين : نتيجة تفاوت الدخل هما العمال المؤهلون والعمال غير المؤهلين . والنتيجة هى انفصال الفكر الماركسى عن واقع القرن الذى نعيشه ورجعته وتخليقه قياساً إلى ظروف عصرنا . خامساً : تعسف الماركسية وإدعائها أنها فكرٌ شموليٌ يجاوب على كل شيء ويبتكر الحل لكل شيء ويفتح كل باب ثم ادعائها ختمية قوانينها والمعروف أنها لا حتمية في الأمور الإنسانية لأن الناس ليسوا جمادات مثل كرات البليارد ولا هم آلات صماء كتروس الساعات يمكن حساب حركتها والقول بحتميتها والتنبؤ بها (١) لهذا أخطأ فقال بخروج الشيوعية من مجتمع صناعى رأسالى متقدم مثل إنجلترا والمانيا فكذبه التاريخ وخرخت الشيوعية في بلد زراعى متخلف (٢) وتنبأ باتساع هوة الخلاف بين البرجوازية والبروليتاريا في الدول الرأسمالية بشكل مضطرد إلى أن يتفاقم الوضع إلى ثورة تقلب العالم كله ولكن ما حدث في المجتمعات الرأسمالية كان العكس ، فهو مزيد من التفاوت بين الطبقات عقب سلسلة من الإجراءات الإصلاحية في حين اطلق الصراع وتفاقم بين دول العالم الإشتراكي نفسه كالصين وروسيا . (٣) تنبأً بازدياد تمركز رؤوس الأموال في احتكارات هائلة يزداد معها غنى الأغنياء وفقر الفقراء ولكن الذى حدث كان اتجاهاً إلى تفتيت رؤوس الأموال عن طريق الشركات المساهمة وتفتيت الملكيات الزراعية من تلقاء نفسها بالميراث .

(٤) تنبأ ماركس بالأزمة الاقتصادية الماحقة التي تسحق النظام الرأسمالي بسبب إزدياد إجمالي الإنتاج عن معدل الطلب والقدرة الشرائية نتيجة فقر العمال المدقع ، ولكن الملاحظ إلى الآن أن كل أزمات الرأسمالية ذات طابع عرضي . (٥) أخطأ ماركس في نظريته عن فائض الإنتاج وقال إن أجر العامل في النظام الرأسمالي يتحدد على أساس الحد الأدنى اللازم لمعيشته ولكن الواقع كذب هذه التقديرات بفضل التشريعات الجديدة والتعديلات التي أدخلها النظام. الرأسمالي على نفسه فارتفع أجر العامل في دول أوربية كثيرة إلى مستوى رخاء ملحوظ سبق بها زميله في الدول الاشتراكية . (٦) حاولت الرأسمالية أن تحمي نفسها بالتعصب وإطلاق الشعارات وادعاء العلمية والتقدمية واتهام المخالفين في أخلاقهم (خونة رجعيون متعصبون) فأصبح الشيوعي مثلاً للجمود والتزمت وضيق الأفق والتبعية في الرأي والصلافة والغلظة . سادساً : أدى التطبيق الشامل حيناً طبق وفي أى بلد إلى هبوط في الإنتاج وإلى كارثة اقتصادية قول خرشوف (إن البقرة التي يملكها صاحبها تدر من اللبن أكثر من البقرة التي تملكها الدولة) قد هدم نظرية ماركس في التأميم والملكية والاشتراكية وقد جر التأميم وراءه : اللامبالاة والإهمال والكسل والبيروقراطية وسوء الإنتاج . وقد خرجوا بفلسفة الحوافز إزاء الروتين . لكن الحوافز لم تفعل شيئاً بل كانت نوعاً من الرشوة أدت إلى طمع من يأخذ وحقد من لا يأخذ . ورأينا روسيا التي تملك أكبر حقول القمح في أكرانيا تطلب القمح من أمريكا وتطلب خبراء الصناعات من أمريكا وتفتح بلادها للمصانع الأمريكية لفروع البنوك الأمريكية وبعد أن نزعو ملكية المواطن الروسي سمحوا بالملكية والاستثمار لرأس المال الأمريكي . إن التأميم قد حكم عليه بالفشل ، وأن الفساد في المبدأ وليس في التطبيق لأنه مضاد للفطرة . وأن الحضارة من فكر وفن وصناعة هي في النهاية ثمرة ملكات أفراد ومواهب أفراد وتطلعات أفراد وإذا حرمانها مجالها الحر وسجنائها في الية وروتين بلا طموح انتهت إلى الكسل والعقم . وتبين أن نظام التأميم يسد كل أبواب الرزق ولا يبقى للناس شيئاً . وأن ضمان اللقمة يتطلب الانتهازية والتملق ، وبذلك يتحول المجتمع إلى غابة من الناس يأكل بعضهم بعضاً . إن الصراع الطبقي بين الفلاح وصاحب الأرض والعامل وصاحب العمل ينشهر كما تنتشر النار في الهشيم فيتحول إلى تمزق المجتمع إلى ملايين يطعن بعضهم بعضاً وإلى جيهاة متقاتلة متباعدة يقول تروتسكي : إن بين شكوى الفرد وطموحه وضعاً نفسياً فيه كثير من كوامن الحقد والحقد هو أسهل معاول الصراع الطبقي . فالماركسية تقرر شرعية

الحقد بين المخربين وشرعية استخدامه لقلب المجتمعات . إن التأميم الذى انتزع المصانع من خمسة أو ستة رأسمالين سلمها إلى مائة ألف لص فى المؤسسات والجمعيات فالعيب فى صلب النظرية وليس فى التطبيق . ويدعون أن للماركسية بعداً روحياً وينسون كلمة لينين القاطعة « إننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعوقة أن أبواب الكنيسة والإقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبهم باسم الله إلا استغلالاً » وعندهم أن الأخلاق والدين خدعة برجوازية تتستر وراءها البرجوازية من أجل مطامعها وكلها شعارات تهيج وتحريض يتداولها المخربون فى الدول النامية وتقوم الماركسية على إنكار الإرادة الإلهية القائمة وراء هذه العوامل المادية وإنكار أثرها فى التاريخ والدين فى نظر الماركسية هو المخدر للفقراء وأفيون الشعوب وقد جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططه وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأنجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار .

(٥) ولقد كشف الباحثون المسلمون جوانب الفساد والزيف فى النظرية الماركسية والتنظيم الشيوعى . وكانت كتابات الدكتور إبراهيم دسوقى أباطة غاية فى القوة والعمق فقد أشار إلى أن ماركس لم يقل غير نصف الحقيقة أما نصفها الآخر فقد جهله وعجز عن استيعابه : « عندما يجيء ماركس بعد قرون ليقول بأن الرأسمالية تعول على الاستغلال وأن الرأسمالى عندما يصادر على العامل حقه فى فائض القيمة فهو لا يقبل ذلك عن قصد منه أو سوء نية وإنما هو مدفوع دفعاً بالنظام للرأسمالى لأن الاستغلال تعبير ذوطبيعة لاصقة بذلك النظام . وعندما يجيء ماركس ليقول هذا فهو لا يقول سوى نصف الحقيقة ، أما النصف الآخر فيمكن فى البناء المادى للرأسمالية الذى يجعل من الربح الحافز وتحرير الإنسان من نوازهة وقيمه ليرده إنساناً اقتصادياً . » وليس صحيحاً أن الاستغلال سمة نظام دون نظام (الشيوعية والرأسمالية) إنما ابتناء النظام الرأسمالى على القيم المادية وإهداره للقيم الروحية هو الذى يؤدى إلى قيام الاستغلال واستفحاله . « فالاستفحال شعور مصدره النفس عندما تتحرر من ضوابطها الروحية فستسقط فى إसार المادة وتحيل الإنسان فى النهاية إلى عبد يتحرك بتوجيهها وبحكم قوانينها . كذلك فإن الجبرية الاقتصادية التى سقطت فيها الماركسية لا تقل بشاعة وظلماً من الجبرية المادية الرأسمالية فكلاهما رغم تباعد الشقة يحتكم إلى المادة ويقيد الإنسان فى دائرتها ، وكلاهما

مردود إلى النبع المادى . « ولن يختفى الاستغلال إلا بعودة الإنسان إلى إنسانيته إلى فطرته وإلى الجبل التى جبله الله عليها والاعتراف بتركيبه الحقيقى ، أى بأنه مادة وروح وكل نظام يبنى على أساس المادة فهو نظام فاسد مهما دلت دقة تنظيمه ومهما حقق من رفاهية مادية لأعضائه » . ويقول : إنه بينما يستخدم الخيرون الدنيا حتى ينالوا السعادة من الله ، يرغب الأشرار على العكس استخدام « الله » حتى يتلذذوا بالحياة الدنيا . ويصل الباحثون إلى تعرية الماركسية وكشف فساد جوانب أخرى منها . وخاصة الجانب الخلقى الإنسانى الذى تهاجمه الماركسية بقوة وتحاول تدميره تماماً . ويرى ماركس أن النظم الخلقية ليست إلا خدعاً وبهتاناً افتراه الرأسماليون فالأخلاق عنده كل ما يؤدى إلى هدم المجتمع الاستغلالى وأن الغاية فى رأيه تبرر الوسيلة فكل وسيلة يستعين بها لهدم المجتمع الاستغلالى مشروعة . ويرى أنجلز أن واضعى القيم الأخلاقية هم الدجالون وهذا لا ينقص شيئاً عن شريعة الغاب وعن مفاهيم أشد الطوائف البشرية توحشاً وفساداً وهو ما عرفته الفلسفات البائدة القديمة كذلك فإن الماركسية تقول إن النساء كانت مشاعة فى عهد البشرية الألى ثم تكونت الأسرة بفعل علاقة الإنتاج ولذلك فإن النساء والأبناء علاقات إنتاجية صرفة بعيداً عن الصفة الإنسانية البشرية ولذلك فقد دعت الماركسية إلى القضاء على العائلة باعتبارها دعامة المجتمع الرأسمالى ولذلك يجب تحطيمها والقضاء عليها إذ أن الحب الحرفى نظرياً ينبوع عنها ويقوم مقام الزواج ومن قولهم فى هدم الأسرة : إن إشاعة البغاء العلنى تقضى على الأسرة . ويرى ماركس أن الدين وما يشتمل من اعتقاد فى وجود الله تبارك وتعالى والخلق والشرائع يراها هذه كلها ماركس بناءً زائفاً لإقامته ظروف الإنتاج لتعكس مصالح الطبقة المسيطرة فالقانون والأخلاق والدين أوهاهم رأسمالية ولا وجود لله (تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً) والحياة مادة بحتة وعندما حمل الماركسيون أفكارهم هذه إلى بلاد الإسلام والبلاد العربية كانوا يحملونها تحت سم التحرر ومحاربة الاستعمار والإقطاع ثم كان إغرائهم للشباب والطلبة والفتيات للدخول فى خلاياهم قائم على إشاعة الفساد الاجتماعى ودعوة الشباب إلى نبذ العادات والتقاليد ومحاربة القيم الاجتماعية على أنها شعارات من عمل الرجعية والإمبريالية فلا توجد هناك نظم اجتماعية ولا تربية خلقية ولا احترام متبادل ولا دعائم أسرية ولا حرمان ولا قيود دينية ثم أحلوا لهم تناوون كل شئ فأموال الأغنياء من حقهم ومتعة النساء مباحة . وقالوا إن الدين هو فى المسجد ومن خصوصيات الإنسان ولا علاقة له بالحياة . إن القرآن كان النظام المناسب قبل

مئات السنين لأعراب البادية أما في العصر الحاضر فالمادة هي الأساس . ولقد كان لهذه الأفكار آثارها البعيدة المدى التي هزت الكيان الاجتماعى الإسلامى وعرضته لخطر شديد ولقد حملت حركة اليقظة الإسلامية على هذه المفاهيم الكاذبة والسموم الفاسدة وكشفت عن زيف هذه الدعاوى وبطلانها . واستطاعت أن تقدم مجموعة من الحقائق الأساسية :

(أولاً) كشف الصلة العضوية بين الصهيونية والشيوعية والصلة الجذرية بين الرأسمالية والماركسية والصلة العميقة بين قوى الاستعمار واليهودية والماركسية . وأن الرأسمالية والماركسية هما من منبع واحد والاقتصاد هو معبود اليوم وعجله الذهبى والبنوك معابده وقد تبين فى أفق العالم الإسلامى عجزهما عن إرضاء النفس البشرية والاستجابة لداعى الحق (ثانياً) إن الماركسية التي أراد ماركس أن يواجه بها ظروف القرن التاسع عشر المتخلفة وأوضاع العامل اليدوى الكادح المطحون لا تصلح علمياً لمواجهة ظروف القرن العشرين حيث قلبت ثورة التكنولوجيا جميع الموازين وخلقت طبقة جديدة من العمال المرفهين ومن خلفهم قوانين للتأمين تحميهم ضد العجز والشيخوخة والمرض . (ثالثاً) لم يمض على ظهور الشيوعية سوى نصف قرن حتى أخذت التناقضات تدب وأزداد لهيها بين معتنقى الفكرة أنفسهم وانحرف بها لئين حين أجاز الملكية الفردية بشكل محدود . (رابعاً) أثبتت الدراسات العلمية أنها لا تستهدف إنقاذ الطبقة المحرومة أو الفقيرة ولكنها الأثرة والكرهية للبشرية مستمدة من كراهية اليهودية التلمودية لها وأن الصراع الطبقي هو مظلة الشيوعية . ويستهدف تأجيج نار الخلاف والخصومة والقتال بين المجتمعات . (خامساً) إن تجربة ماركس قاصرة على التاريخ الغربى وحده فى العصر الذى عاش فيه ولا يستطيع أن يتجاوزه إلى التطبيق على التاريخ البشرى كله ولا يصلح للتطبيق على التاريخ الإسلامى أصلاً ، وهذا هو الذى جعل الماركسية مذهباً ناقصاً لم يلبث بعد قليل أن أنهار وتمزق واحتاج إلى تعديل وتعديل دون أن يكون قائماً على استيعاب النفس الإنسانية وتحقيق هدفها فى الحياة . (سادساً) تبين أن النظرية المادية الخالصة تحجب عالماً كاملاً من الفكر والنفس والروح وأن العالم لن يستطيع أن يقيم نظامه الاجتماعى على أساس المادة لأن ذلك مخالف لطبائع الأشياء ونواميس الكون وأن عالم الفكر وقيم النفس والروح لها آثار بعيدة المدى . (سابعاً) تجاوز مذهب ماركس فى تفسير الحياة أو المجتمع أو التاريخ كثيراً من الحقائق القائمة الواضحة وخاصة فى افتراض أن السبب الاقتصادى هو السبب الأول المقدم على كل الأسباب ، كذلك فإن اعتماد الماركسية على

إحدى نظريات العلم التي تبين فسادها من بعد قد أحالها إلى شيء عاجز ومغلق ، ذلك أن مفترضات العلم ما لبثت أن تغيرت فانهارت القاعدة التي قامت عليها النظرية . وقد أدى ذلك إلى إعادة التغيير والتنقيح والتعديل للنظرية يوماً بعد يوم دون القدرة على الوقوف عند حد محدود . ذلك أن نظرية ماركس قامت في ظل طغيان العلم والظن بأنه قادر على أن يقول الكلمة الأخيرة في كل شيء ثم تبين للعلماء أن العلم محدود القدرة وأنه لا يستطيع أن يتجاوز ظواهر الأشياء . (ثامناً) لم تتحقق النبوءات التي قدمتها الماركسية بعد ستين عاماً عاماً من التطبيق وملايين الضحايا الذين ضاعوا نفيًا وقتلاً وتعذيباً . وقد أخطأ ماركس في الاعتقاد بأن تاريخ البشرية عملية واحدة لا تتكرر وتخضع لقوانين يمكن اكتشافها . (تاسعاً) تبين أن الماركسية فلسفة مرحاية ورد فعل للرأسمالية وأن القول بأن الشيوعية علم أو أن الماركسية علمية هو تجاوز كبير وكذب على العالم ذلك أن الحقيقة العلمية هي ما تقرره المعامل . وأن التفسير المادى ليس هو التفسير الوحيد ولا العام الجامع وأن هناك التفسير الجنسى والتفسير النفسى والتفسير الجغرافى وهناك عوامل أخرى لها أثرها في تاريخ الإنسان المادية والاقتصادية ولقد كان العامل الدينى ولا يزال من أبرز عوامل التأثير في حركة التاريخ (عاشرًا) تبين أن الشيوعية تقدم تحت ستار الخداع صورة الصديق المعين لتمكين لنفسها وتثبيت أقدامها . وقد خدع هذا البريق الزائف أنظار بعض شبابنا لعدم وجود حصانة من فكر إسلامى يحول دون دخول أى فكر غريب إلى ضمائرهم أو دون الانبهار بأى فكر وافد . (حادى عشر) تبين أن مذهب ماركس هو رد فعل لحالة المجتمع الأوروبى ، وأن مفهوم الماركسية هو شطر مكمل للنظرية الرأسمالية ، وأن وجهة نظر ماركس في الدين مستمدة من فهمه للمسيحية وتاريخها وليس للدين بصفة عامة . وأن تجربة ماركس قاصرة على مرحلة واحدة من التاريخ الغربى هو العصر الذى عاشه وهى لا تستطيع أن تتجاوزه إلى أن تكون تطبيقاً على التاريخ البشرى كله ولا تصلح لأن تجد مجالاً للتطبيق على التاريخ الإسلامى . وقد اعترف جارودى بالإلحاد الماركسية وأنها وارثة التراث الإلحادى في القرن الثامن عشر حيث تبنى ماركس شعار بروميثيوش : (أنا ضد كل الالهة) وقد تبين خطأ الماركسية في القول بأن انهيار النظام الرأسمالى وشيك الوقوع فضلاً عن أنها لم تستطيع تخليص المجتمع الاقتصادى من كل مساوئ الرأسمالية وأن التجربة التي أقامتها في المجتمع الشيوعية لم تحقق الكفاية بين أفرادها وبرغم المذهبين لم تطبق الماركسية بشمولها حتى في روسيا ذاتها . كما تبين أن

فساد النظام الرأسمالى هو الذى خلق الماركسية والشيوعية وقد فوتت الرأسمالية على الشيوعية هدفها حين حققت للعمال آمالهم وما يزال الفقر متفشياً فى البلاد الشيوعية . (ثانى عشر) . إن أخطر جوانب الشيوعية أنها دعوة مادية : تستهدف الإغراق فى الشهوات والمتاع والأهواء على حساب القيم والمقومات الأصيلة للشخصية الإنسانية وللأمم ذات الأصالة ، وأن هدف نشر الماركسية إنما هو العمل على تدمير هذه الأمم وأفرادها بتحويل أنظارتهم نحو المادية والمتعة والترف والأنانية والصراع حول العالم والذات وإلغاء الارتباط بالأخلاق والتراث والماضى كله . وقد جاءت الأديان لتحرير الإنسان من هذه المظاهر التى هى من طفولة البشرية دفعاً للأمم إلى الرشد الإنسانى والتحول من الأنانية إلى الغيرية ومن الفردية إلى الإنسانية ومن المطامع والأهواء إلى الإيمان وحماية الحدود والضوابط التى وضعها الدين الحق ورعاية مقاييس الحلال والحرام وإلى العمل على بناء المجتمع الربانى والسعى فى الدنيا لتحقيق العدل والرحمة . وهكذا يرى الباحثون وهم صادقون أن هدف الشيوعية الأول هو إغراق الشعوب فى الانحلال تحت أسماء التقدم والعصرية والعلم والحضارة وإن الغاية من هذا هو خدمة هدف أصيل لليهودية التلمودية التى تستهدف السيطرة العالمية بعد تدمير المجتمعات البشرية . (ثالث عشر) كشف كتاب حركة اليقظة الإسلامية عن أن الشيوعية تعارض الفطرة والعلم وطبائع الأشياء ومصادر الأفكار والعقول وأنها مضادة للطبيعة الإنسانية فى أفرادها الذين منحهم الله حق التفكير . وتجاهل الروح وهو شطر الحياة وإنكار لرسالتها الحققة ، وإنكار ما ليس مشاهداً أو محسوساً (إنكار وجود الله والبعث والنشور والجزاء والحساب) والنظر إلى الفرد كأنه شريحة أو صامولة فى آلة ودعوى جبرية الإنسان القادر الذى حرره الإسلام من كل قيد إلا قيد الإيمان وعملها على فسخ الفطرة الإنسانية ومحاربة التقدم (سابع عشر) إن من أكبر أخطائها إصرارها على أن تكون فكراً شمولياً يشمل العقيدة . والمجتمع والحضارة والتاريخ وإغلاق الباب تماماً على أى تجربة أو تغيير بالرغم من الصدد المستمر الذى يصيب النظرية ومع اختلاف هذا كله مع الإسلام وخطأها فى تصنيف الناس ، إما رأسمالين يمينيين أو يساريين ماركسيين ولا شئ آخر ، هذا مع اختلاف ذلك كله مع مفهوم الإسلام الجامع الذى يفتح باب الاجتهاد أمام الأجيال والعصور فضلاً عن مواثمه التامة للفطرة والعلم وطبائع الأشياء واتخاذها من عديد من العوامل وأهمها العوامل الروحية المعنوية والدينية إلى جوار الاقتصاد والمادية أساساً لتفسير التاريخ (خامس عشر) تبين أن الوقائع التى اعتمدت

عليها النظرية في إقامة فرضياتها : انتقائية بمعنى أنها جمعت وقائع وافقت الأهواء وتركت وقائع تتعارض مع اتجاهها » فهي لم تستوعب التاريخ كله دراسة إياه مسنبطة منه ما استظهرت واكتفت ببعض عصوره مغلبة عصوراً على أخرى ووقائع على أخرى لأنها تفسد عليها هواها ، فهي عملية مصطنعة لم تقم على أساس التجرد العلمى ، ذلك لأن المادية التاريخية مادة خادعة وهى بطبيعتها متعددة المصادر ومتناقضة ومتضاربة ولا يمكن استيفائها كلها ولا جمعها كلها يبقين كاف (سادس عشر) كان أخطر ما أحدثه المذهب الشيوعى تلك المعركة الطاحنة بين طبقات المجتمع فطبعها بطابع صراع لازمه واتسم معه . صراع فى الداخل وصراع فى الخارج فقادة الشيوعية وروادها متصارعون فيما بينهم ، ويطغى بعضهم على بعض ويحاول كل منهم أن يستأثر بالسلطة دون سواه مع أنهم يقولون بالقيادة الجماعية وكذلك رفضها التعاون مع المذاهب والنظم الأخرى حتى مع الاشتراكية التى تمت إليها بسبب ومن أوضح صور الصراع : النزاع بين روسيا والصين ولم تستطع الشيوعيات المعاصرة حتى الان أن ترفع مستوى معيشة الفرد بدرجة محسوسة ، ولا يزال مستواه دون مستوى غيره فى البلاد المتقدمة وبالرغم من أن الشيوعية تحارب مفهوم الفردية والتألية والتدين فإنها تقوم على عبادة الأشخاص وتقديسهم وقد حرمت الإنسان من غذائه الروحى ووقفت عند الماديات وألغت التدين وهو جزء هام من حياة الإنسان (سابع عشر) كان الشيوعيون يقولون إن الشيوعية هى شباب العالم واليوم يدركون تدريجياً بأنها نوع من الإكراه الذى لا يقوم إلا فى فترات الشيخوخة عند الأمم أو شيخوخة الحضارات . ذلك أنها تقوم على إكراه الحزب الواحد المرفوع فوق الرؤوس مع الإرهاب العسكرى والرعب المنتشر تدريجياً بين الأفراد ضمن الوحدة (ثامن عشر) لقد أصدر ماركس حكماً عاماً ظالماً على الأديان دون أى دراسة للدين الإسلامى وبمجرد استقراء محدود للمسيحية فى أوروبا وبذلك وقع فى خطأ فاحش ولذلك فإن إنكارهم للأديان ما عدا اليهودية كان ضارياً وحرهم للإسلام أشد عنفاً . (تاسع عشر) تبين أن للممارسة ظاهراً وباطناً : الظاهر هو الدعوة البراقة التى تتحدث عن العدالة ونقل الثروة من أيدي الأغنياء إلى أيدي الفقراء والباطن فهو سيطرة قوة ديكتاتورية على مقدرات الدولة وتحويل كل المقدرات والملكيات إليها للتصرف منها تصرفاً لا يملك أحد المعارضة فيه ولذلك فهى لم تقضى على الفقر بل حولت المجتمع كله إلى الفقر حين ألغت الملكية وثروات الأفراد وسيطرت وهى لم تحرر الطبقة العاملة والفقيرة من سيطرة الرأسمالية ولكنها سلمت الجميع للقيادة

الجماعية التي هي في معناها الحقيقي قيام قيصرية شيوعية بدلاً من القيصرية الأولى وكانت محاولة التأكيد على كرامة الإنسان في حقيقتها هي جعل هذا الإنسان ترساً في آلة كبيرة وبدلاً من أن يكون المجتمع هو المالك الحقيقي للمال أصبحت الملكية لجماعة صغيرة . (عشرون) كشفت الدراسات عن أن التآمر هو جوهر الشيوعية ، وهو لذلك يظل ملازماً للشيوعية حتى في البلاد التي أصبح فيها زمام الأمور بيد الشيوعية وقد عرفت الشيوعية أساساً بأنها حركة تآمر للاستيلاء على السلطة في عهد اضمحلال النظام الرأسمالي وهي من الناحية السياسية تركز على الإرهاب وخداع الجماهير ومن الناحية الاقتصادية إلى تعليق الدولة كل شيء . والطبيعة البشرية الشيوعية تقوم على الظلم والتعسف حيث لا تعرف الشفقة طريقاً إلى صدورهم ويتميز علمائهم وكبارهم بالمجاهرة المفضوحة . (واحد وعشرون) يعلن أرنولد توينبي أنه تبين أن الشيوعية هي دين بكل تأكيد ، وهي دين خالص وقديم رغم المظهر الأيدلوجي الحديد الذي تتبدى به ، إنها كالقومية شكل من أشكال عبادة القوة الإنسانية الجماعية ، عبادة الإنسان لنفسه على طريقة جمع المتكلم ، إنها آخر تنوع لعبادة الالهة روما والاله قيصر في الأمبراطورية الرومانية وعبادة (الملك - الاله) في مصر الفرعونية (توينبي) (ثاني وعشرون) إن أخطر وجوه النظر إلى الماركسية والشيوعية والاشتراكية هو الظن بأنها جاءت من أجل إصلاح المجتمع البشري وإن أصدق وجوه النظر هو معرفة الحقيقة الأساسية بأن الماركسية كانت ولا تزال محاولة متآمرة على البشرية لا ريب . (ثالث وعشرون) تلتقي الماركسية مع الفكر الغربي في نظرية التفسير المادي للتاريخ التي ليست من إنشاء الشيوعيين وإنما يرد أصلها إلى هيجل ولا ينفرد الشيوعيون باعتناقها بل يشاركون فيها الماديون والدهريون والوجوديون أما هيجل فينزع منزعاً ميتافيزيقياً وينزع ماركس منزعاً مادياً خالصاً والتفسير الإسلامي للتاريخ لا يقر هذه الوجهة ويرى أن هناك عوامل غير العوامل المادية والاقتصادية منها عامل القومية وغريزة السيطرة وحب القوة والأديان والدعوات الإصلاحية . (رابع وعشرون) استطاع كثير من الباحثين أن يربط بين الرأسمالية والقومية والديمقراطية والشيوعية والاشتراكية وإنها مطروحات مضللة يراد بها إفساد المنهج الإسلامي الذي هو أسلوب الحياة والمجتمعات الإسلامية الأوحده . ولقد كان للقومية دورها الاستعماري في تفتيت الكتلة الإسلامية أولاً ثم في تفتيت الوحدة العربية وذلك بتفريغها من محتواها العربي الأصل وأصبحت الفكرة القومية كالفكرة الإقليمية دعوة مناهضة لفكرة الوحدة الإسلامية ، والشيوعية أيضاً كان لها دورها

في تنفيذ المخطط اليهودي وهو تحطيم الأديان وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين الأفراد والشعوب . (خامس وعشرون) ليس بين الإسلام والشيوعية نقطة إلتقاء واحدة ولا حوار فهي مناقضة للإسلام مناقضة تامة . الشيوعية تنفي وجود الله وتهدم كل القيم الانسانية وتملك بالقسر كل وسائل الإنتاج وتدعو إلى الصراع الطبقي والمعتقد الإسلامي يجعل الشيوعية في مقدمة أعداء الإسلام . إن تطبيق المذهب الشيوعي أكثر من خمسين عاماً أقامت البرهان على فسادة وإهدار كرامة الإنسان وحرية . والإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقضى على الشيوعية وأن أعداء الإسلام من غير الشيوعيين أضعفوا حركة الإسلام كما أضعفوا المسلمين وزرعوا إسرائيل في قلب الوطن العربي وبذلك مكنوا للشيوعية ولو ترك الإسلام بقوته الذاتية في وجه الشيوعية لما أمكن أن يبقى لها وجوداً أو كياناً . والمسلم الحق لا يمكن أن يهادن الشيوعية . (سادس وعشرون) ثبت أن المجتمع الإسلامي ليس حقل تجارب للأيدولوجيات الغربية وقد كشف جوهره الأصيل حين واجه الليبرالية والماركسية على السواء بنفس القدر من الإعراض بعد أن تمت في خلال السنوات السبعين الأخيرة محاولات فرض الديمقراطية والفاشية والماركسية مكان الدين . لقد جرت محاولة لصياغة مذهب سياسي واجتماعي من متناقضات القومية والديمقراطية والاشتراكية وتبين للفكر الإسلامي فساد النظرية الغربية في التطبيق وعدم صلاحيتها للمجتمع الإسلامي ثم تبين للفكر الإسلامي فساد النظرية الماركسية في التطبيق لأشياء كثيرة مناقضة للإسلام في روحه وجوهره . أولاً :- أولية المادة . ثانياً - الصراع الطبقي . ثالثاً - لطغيان الحزب الواحد داخلياً والاستعمار الروسي خارجياً ، ومعارضة الإسلام لإلغاء الحرية وإلغاء الملكية الفردية ودعوته إلى الإخوة فالرحمة سابع وعشرون : أثبتت الأبحاث العلمية الجادة أن البشرية قد تجاوزت ماركس ، وتابعت سيرها مستجيبة لسنة التطور دون أن تتكون لها الكلمة الأخيرة في هذه التغيرات ، كما تقول الدكتورة بنت الشاطيء : لقد تقدم علم الإنسان فأدرك أن الجماعات البشرية ليست قطعاً يخضع لنمط واحد في السلوك ويضبطه في قوالب عامة كالتى تضبط سائر الكائنات سواء ، وشهد العصر الحالى أحداثاً في حياة الشعوب أضافت إلى العوامل الموجهة لحركة التاريخ فيها عوامل إنسانية لم تدخل في حساب المذهب المادى . لقد عرض العامل المادى على تاريخنا فلم يقبله إلا من حيث اتصاله بالعامل الدينى الذى تلقاه حيناً رجعنا البصر في الوجود التاريخي لامتنا العريضة مستقطباً العوامل الأخرى : مادية وسياسية وإقليمية وحضارية في تفاعل مؤثر

لا يحجبه أى عامل منها . ذلك أن الدين - أى الإسلام - عقيدة الأمة الجامعة لأبنائها على مختلف أجناسهم وأفكارهم وتفاوت مستوياتهم وأنماطهم تحت لواء واحد يلوذ به لواء الأمة في صراع البقاء ومخاطر الطريق وتحديات الزمن ويجمع شمل الأمة الجامعة .

(٤)

نظام الإسلام في مواجهة الشيوعية

النظام الإقتصادى فى الإسلام ليس نظاماً مستملاً ولكن قطاع من نظام الإسلام الجامع للسياسة والاجتماع والتربية والعقيدة والأخلاق ، وهو ليس نظاماً شيوعياً لأنه يقر الملكية الفردية ويحميها وليس نظاماً رأسمالياً لأنه لا يطلق العنان لرأس المال بل يجرده من وسائل السيطرة والنفوذ وليس من النظم الاقتصادية المتطرفة إلى اليسار لأنه لا يمعن في إضعاف رأس المال الفردى فهو يفسح له المجال للقيام بوظيفته في حدود الصالح العام بوصفه عاملاً هاماً من عوامل الإنتاج وقد أقام الإسلام بنيان اقتصاده على دعائم ستة تعمل متضافرة لتحقيق المساواة بين الأفراد والجماعات (أولاً) تضيق نظام الملكية الفردية لخير الجماعة وفى سبيل الصالح العام . (ثانياً) يحرم الملكية الفردية للأشياء الضرورية لجميع الأفراد ويدخلها في نطاق الملكية الجماعية . (ثالثاً) يحرم الكسب غير المشروع ، ويجعل الربا والفائدة من الأموال المحرمة . (رابعاً) استغلال النفوذ والسلطات للحصول على المال . (خامساً) تحريم جميع المعاملات التى تنطوى على الغش والرشوة أو أكل أموال الناس بالباطل (سادساً) فى سبيل جعل الملكية الفردية فى نظام متزن لا تطغى وتصبح ثروة مكتسبة أوجد الإسلام نظام الميراث والوصية . يتكفل النظام الأول بتوزيع الثروات بين الناس تنظيماً عادلاً ويحول دون تضخم الأموال وتجميعها فى أيدي قليلة ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات حيث يقسم التركة بين أقرباء المالك بحيث تتوسع بذلك دائرة الانتفاع من الملك الذى كان فردياً فأصبح جماعياً ، كذلك الشأن بالنسبة للوصية حيث يمكن لصاحب المال أن يوصى بجزء من ماله لأحد كذلك أمر الإسلام بالزكاة والصدقة حتى يأخذ الفقير نصيبه من مال الغنى وفى هذا حد . لتصاعد الملكية . وينظر الإسلام إلى التملك على أنه مجرد وظيفة يقوم بها صاحبها بانفاق المال على مستحقه (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وحين يقرر الإسلام الملكية الفردية ويحيطها بسياج من الجماعة ويدلل أمام الفرد سبيل التملك والحصول على المال ويشجع على

العمل ويعطى لكل مجتهد جزاء إجهاده من ثمرات الحياة ، ويفسح المجال أمام المنافسة والرغبة في التفوق والطموح يحقق تكافؤ الفرص بين الناس ، ويقلم أظفار رأس المال ويجرده من وسائل السيطرة والنفوذ دون أن يشل حركته أو يعوقه عن القيام بوظيفته بوصفه عاملاً هاماً من عوامل الإنتاج وتعمل على استقرار التوازن الاقتصادي وتقليل الفوارق بين الطبقات ويحول دون تضخم الثروات ودون تجميعها في أيدي قليلة والمقصود بالمساواة في الاقتصاد الإسلامي هو تحقيق تكافؤ الفرص بين الناس فينال المجتهد جزاء إجهاده وثمرات أعماله وبذلك يتحقق التوازن الاقتصادي فتتمحى الفروق الطبيعية ويحصل التقارب بين مختلف الطبقات حتى لا تتضخم الثروات وتتجمع في أيدي قليلة والإسلام يعترف بالملكية الفردية والتفاوت فيها والملكية الفردية شيء طبيعي ولذلك أقرها الإسلام ، وقد اعترف الإسلام بالملكية بشرط : ١ - أن يكون مصدر المال سليماً لم يأت عن طريق الغضب أو الرشوة ٢ - أن يحسن المالك تصريف المال فلا يجوز فيه الإسراف أو الكنز أو الإحتكار أو الاستغلال ٣ - أن تتوقف الملكية عند المال فلا تتجاوزته إلى التسلط على العاملين فيه . ٤ - أن يؤدي المالك حق الفقير ، ليست الزكاة فقط بل أى نسبة من المال يحتاج إليها المجتمع . وسنة الإسلام في اقتناء المال والتصرف فيه ما برحت قائمة على أساس الإباحة فلكل مسلم أن يقتنى المال من حله بلا تحديد مقدارله ، ثم أن يضعه في مواضعه الذى أباحها الإسلام لأهله وأن يخرج ذكاته بالنظام الشرعى الذى استقر منذ بدء الإسلام وقد حث الإسلام كل مسلم على السخاء في الأنفاق في سبيل الله وفي مرضاة الله ، ولا شك أن المال في نظام الإسلام وسيلة لسد حاجات الفرد والجماعة فهو في حكم الأمانة لله ، تحت يد من ساقه الله إليه ، يتصرف فيه بالمعروف ومن الخطأ اعتبار جمعه غاية مقصودة لذاتها : هذه الأسس للاقتصاد الإسلامى تكشف عن عمق الفوارق بين مفهوم الإسلام وبين النظامين الرأسمالى والماركسى ومن استحالة اللقاء بينه وبينها فالإسلام قد سبق هذين النظامين فهو ليس واحداً منهما وهو ليس خليطاً منهما وهو ليس مستمداً من مجموعهما ولكل له وجهته الواضحة تضع الرأسمالية الفرد في بؤرة اهتمامها وتضع الاشتراكية المجتمع في بؤرة الاهتمام والاقتصاد حر في النظام الرأسمالى وموجه في النظام الاشتراكى والحكم في النظام الرأسمالى ديمقراطى الوجهة وإن حكمت المؤسسات ورؤس الأموال بينما الحكم في النظم الاشتراكية يقوم على ديكتاتورية الطبقة العاملة ، وعلى حين يضحى الرأسمالى بالعدالة الاجتماعية من أجل الفرد.

فإن الاشتراكية تضحي بالفرد من أجل عظمة الدولة ، وهكذا يتنازل كل نظام من النظامين عن شيء في مقابل شيء آخر ، وقد نشأ كل منهما كرد فعل للظروف السائدة في مجتمعه وعصره . أما الإسلام فهو غير ذلك تماماً ، فهو نظام رباني وضعه خالق الكون وخالق الإنسان وهو يربط الفرد بالله ويجعل الولاء لله تبارك وتعالى سابقاً للولاء للنفس والأهل والمال . وهو نظام يرتبط فيه الفرد بالله ويتلقى فيه التشريع والحكم والقواعد العامة في السلوك ، ويتدخل الإسلام في كل شيء فينظم قواعد العبادة وعلاقة الأسرة والمواثيق والوصية كما يضع القواعد العامة للحكم والمجتمع ويقوم نظام الاقتصاد في الإسلام على مبدئين أساسيين هما أن المال مال الله وأن المسلمين خلفاء لا أصلاء في إدارة هذا المال واستثماره وفي ضوء هذين الاعتبارين يقر الإسلام الملكية الفردية ومظهرها التصرف والانتفاع فإن شرط بقاء هذه الوظيفة هي الصلاحية للتصرف ويقرر الإسلام في ملكية المال رفضه لأن يحبس في أيدي فئة خاصة من الناس ، يتداول بينهم ولا يجده الآخرون . ومن الخطأ أن نتصور أن الإسلام مع الاشتراكية ضد الرأسمالية أو مع الرأسمالية ضد الاشتراكية ، ذلك أن الإسلام كنظام يقف أصلاً مع نفسه فهو نظام خاص له خلفيته الفكرية التي تصل الإنسان بالله وله أسلوبه في الحكم والسياسة والاقتصاد وله طابع المميز الذي قد تشابه معه بعض المذاهب والأنظمة أو لا تشابه . ولفظ الاشتراكية لا ينطبق على الإسلام فإن لفظة الاشتراكية إصطلاح اقتصادي اقتضته الضرورة أما الإسلام فهو وحدة لا تتجزأ ونظام قائم متكامل قد سماه الله إسلاماً . يقول ولفرد كانتول سميث : إنه لأمر عظيم أن نقيم حياة اجتماعية سليمة على وجه الأرض ولا شك أن النظام الإسلامي هو أجدى وأوضح تجربة تمت لتحقيق العدالة بين الناس ، ولقد كان هذا النظام حتى ظهور الماركسية أعظم التطبيقات وأكثرها طموحاً . إلا أن هناك فرقاً واضحاً بين الإسلام والماركسية هو أن الإسلام يرى لكل حدث دنيوي مغزياً ويقيسه بمقياسين : أحدهما وقفي أو دنيوي والآخر أبدي أو أخروي ، كذلك فإنه من وجوه الخلاف التي تحددها مبادئ الإسلام وطبيعته الشمولية نظرته إلى التاريخ فالإسلام كما جاءت الماركسية تحاكيه فيما بعد يعطى أهمية بالغة لتطور التاريخ وحيثيته إلا أن الإسلام يتميز مع تقريره للمغزى الحاسم للتاريخ بأنه يرى أن هذا المغزى لا يلزوم إلا في خضم التاريخ نفسه بل يصنع من المبادئ والقيم ما يعلوا على مجريات التاريخ - والحكم على هذه المجريات يمكن بل يجب أن يكون في ضوء هذه المبادئ والقيم وأن هذه القيم والأخلاق

لا تسلم بها الماركسية مطلقاً بل تدخلها في باب الغيبات والمثاليات زاعمة أنه لا توجد في المجتمع الإنساني المتطور قيم ثابتة وقد غاب عنها أن هذه القيم إنما هي ضوابط منظمة للحركة وليست بالقيود المعوقة لها . ولا ريب أن النظرية الشاملة للإسلام حقيقة مسلم بها بمقتضى هذه المبادئ الكلية التي يقيم بها الإسلام نظامه الخالد لكل زمان ومكان .

ملاحق البحث

أولاً : ثلاثة وثائق خطيرة من وضع لينين وستالين وماركس .

ثانياً : سموم يطرحها الفكر الماركسي في سبيل خدمة الصهيونية

ثالثاً : الإسلام فوق لعبة اليمين واليسار .

(١)

مؤامرة اشترك فيها : هرتزل وماركس ، ستالين ولينين وطه حسين وهنري كوريل ثلاث وثائق خطيرة من وضع لينين وستالين وماركس تكشف جذور العلاقة العضوية بين الماركسية والصهيونية والهدف الذي ترمى إليه اليهودية العالمية في السيطرة ماركسياً وصهيونياً على العالم كله : عندما استولى الشيوعيون على الحكم في روسيا بعد الانقلاب الشيوعي (٧ أكتوبر ١٩١٧) هاجمت الشيوعية جميع الأديان (وخاصة الدين الإسلامي) وغضت الطرف عن (اليهودية) كلية . وقد كان ذلك موضع دهشة المراقبين الذين تساءلوا هل هناك علاقة بين الشيوعية واليهودية ؟ وقد أجاب عن ذلك الزعيم الشيوعي « لينين » مفسر الماركسية ومقننها والذي كمرحلة جديدة « الماركسية اللينة » ، أجاب لينين على ذلك بما يضع أمام المؤرخين الباحثين وثيقة جديدة تؤكد العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية . وكان المظنون حتى قبيل العثور على هذه الوثيقة التي سنعرضها ونقدم تحليلاً وافياً لها ، كان المظنون أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان تتحكمان بجمهرة اليهود الروس وتسطران عليهما . وقد أعلن الصهيونية زعيمها (تيودور هرتزل) ودخلت إلى روسيا حوالى سنة ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الأكبر كارل ماركس : حفيد أحد الحاخامين وكان لا بد في النهاية لكل يهودى روسى أن يلتحق بإحدى هاتين الحركتين (راجع كتاب الصهيونية والشيوعية) لفرانك بریتون تعريب نهاد عيسى (بيروت ١٩٥٤) . و كارل ماركس يهودى اسمه « كاي مردخاي » ولكنه غير دينه واتبع المسيحية ليستطيع أن يهاجمها بحرية ستالين يقول : الدين والشيوعية مثل الماء والنار لا يلتقيان وإحدهما تقضى على الثانية . . فلا مكان للدين في الديار الشيوعية .

الوثيقة الاولى بقلم : لينين

« إن حجة الزاوية في رأى كارل ماركس وانجلز في الدين هو قولهما المأثور (الدين أفيون الشعوب) لقد كان رأى الماركسية في الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع من أنواع المؤسسات الدينية إنها صدى الرجعية والبرجوازية ، لا هدف للأديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير وتشريع تصرفات الملوك التي يتخذها الرأسماليون نحو الطبقات الكادحة ، أما (الخرافات اليهودية) وإن كانت لا تختلف عن باقي الأديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضروري للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم . فان اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون في الأقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون إسرائيلييتهم كمجموعة كاملة ومتحدة فإن الدين أمر ضروري فلم يجمع بنى إسرائيل غير الدين . والمحافظة على اليهودى أمر حيوى لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم » . ويعلق الدكتور محمد عزت نصرالله الذى كان أول من نشر هذه الوثيقة في كتابه (الثورة العربية) على ذلك بقول : « إن هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثناءه من مخطط محاربة الأديان ، يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم ابتداءً من فلسطين العربية المسلمة ، فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود . فإن الأجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة ، وذلك بخلاف الأجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى . الشيوعية الروسية تحارب الإسلام والمسيحية وتستثنى الدين اليهودى من مخطط محاربة الأديان السماوية لأسباب

الوثيقة الثانية بقلم ستالين

إن دولة السوفيت الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين ، فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة ، فى حين أن الدين يناهض المادة . الدين والشيوعية مثلهما مثل الماء والنار فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان ، وإحدهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية أبداً . فكل دين من الأديان هو والمادة على طرفى نقيض » . أجاز القانون الأساسى تعليم الدين إلى النشء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢١ سنة) ونص على تعليم الدين للأطفال قبل سن الرشد جريمة يعاقب عليها ، هذا هو معنى الحرية الدينية فى الاتحاد السوفىي وهذه الحرية لا يسمح بها إلا فى الظروف التى يميزها مبدأ الانتهازية السياسية للشيوعية . جاء فى كتاب التعليقات على القانون الجنائى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية فى الطبعة الثانية

إلا بالتحويل الاشتراكي للعالم بأسره ، وإذابة الأديان والقوميات في بوتقة الماركسية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود هم « شعب الله المختار » وبما أن الماركسية حركة تهدف لإخضاع المجتمع البشرى إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية في العالم يرى اليهود أنهم أصلح البشر بصفة كونهم شعب الله المختار لإحتلال مركز القيادة الطليعية التي هي الاسم العصري لعقيدة « الشعب المختار » كاليهود . ولقد استطاع المكر اليهودي أن يؤسس الحركة الماركسية لنتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحويل الاشتراكي وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مخادعة العالم وخاصة الولايات المتحدة وأوروبا الغربية بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشوعية العالمية وأنها تعمل لصالح الاستعمار الغربي وخدمة استراتيجية الدولية العامة ، وبذلك تتمكن من إحراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومي اليهودي ، ثم الالتفاف - بعد تحقيق ذلك - للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية العالمية بالسيطرة - ماركسياً وصيونياً - على العالم كله وهكذا يتحقق التصور اليهودي للعقيدة اليهودية . وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتي - قاعدة العمل الماركسي - والصهيونية سوى (تكتيك مرخلى) تتطلبه خطة السيطرة اليهودية في الوقت الراهن . ويقول الدكتور محمد عزت نصر الله : طبيعى أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامى وإضعاف الشعوب الإسلامية هذا هو المخطط اليهودي (الصهيوني الماركسي) المشترك كما استخلصه الباحثون في كتابات الصهيونيين أنفسهم . وهو المفتاح الحقيقي لفهم تحركات السياسة الدولية في العصر الحديث وقد تنبه له كثير من مقدمتهم الأستاذ العقاد والأستاذ محمد خليفة التونسي في مقدمته لكتاب بروتوكولات صهيون وكان أول من ترجمها إلى العربية ثم جاء كتاب فزانك بريتون وهو مفكر غربي كاشفاً لهذه العلاقة الغامضة التي ترتبط أساساً بالماسونية وقد كشف المرحوم الكولونيل عبدالله التل في كتبه العديدة ومنها « جذور البلاء » و « الأفعى اليهودية في معازل الإسلام » كما كشف هذا مؤلف كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج ومؤلف كتاب (الحكومة الخفية) وكلها مؤلفات متداولة طبعت في بيروت وتوجد في الأسواق العربية والسوق المصرية . وقد كانت موجودة خلال الفترة السابقة ولكن قادة الرأي لم يكونوا قادرين على تبين هذا الاتجاه ، حتى كشفه المرحوم جلالة الملك فيصل حين قال « أن الشوعية وليدة الصهيونية » وهناك دراسة موسعة لهذا التصريح للأستاذ أحمد عبد الغفار عطار تتناول

فيه جذور هذه القضية وإذا نظرنا في ضوء هذه المفاتيح الحقائق وجدنا أن حاة الشيوعية في مصر في مطلع هذا العصر كانوا يهوداً (هنرى كوريل وراؤل كوريل ومليونير يهودى آخر (ريمون احيون) وقد كان هؤلاء وغيرهم يهاون الحركات الشيوعية بالمال وقيل بالجنس وقد تعاقدوا مع طه حسين على إصدار مجلة الكاتب المصرى وكان الدكتور طه قد أعلن تأييده لمفهومهم بتكذيب انقرآن في وجود سيدنا إسماعيل عليه السلام ولم يكن يعرف في هذا الوقت الباكر أن ذلك القول الجريء خدمة للصهيونية .

٢ - سموم يطرحها الفكر التقدمى الماركسى

في سبيل خدمة الصهيونية التلمودية

هناك محاولة خطيرة ترمى إلى أن تطرح في أفق الفكر الإسلامى مفاهيم زائفة وأخطاراً مسمومة تحاول بها عزل العرب والمسلمين عن « طريق الأصالة » الذى التمسوه منذ العاشر من رمضان والذى وصلوا إليه بعد أن سقطت تجربة الاحتواء الغربى والماركسى جميعاً وبعد أن تبين لهم أنه هو الطريق الوحيد إلى امتلاك الإدارة ومواجهة الغزو الاستعمارى الصهيونى الماركسى الذى يحاول اجتياح عالم الإسلامى اليوم . تعمل هذه المحاولة على تقديم تفسيرات للتاريخ الحديث مستمدة من وجهة النظر الصهيونية التلمودية التى هى أشد خطراً من التفسير الماركسى والتفسير المادى الغربى . من حيث أنها تستهدف تسميم عقول المسلمين العرب بشأن العلاقة بين العرب والغرب وبين العرب وإسرائيل والصهيونية في محاولة للقول بأن القضية كلها قضية صراع اقتصادى وهدف مادى أو استعمارى . وأن الغرب هو الذى اضطنع الصهيونية لتكون قاعدة له في المشرق وأنه لا توجد أى علاقة بين ما يجرى الآن وبين الدين أو العقائد . كما تحاول هذه الدعوة المسمومة إعادة تفسير الحروب الصليبية على هذا النحو أيضاً وتصويرها بأنها مطامع التجار والملوك في المشرق وأن الأعراض الدينية كانت أقوى من الأعراض الدينية . ولا ريب أن هذه المحاولة فاسدة ومرفوضة ولا يصدق بها أحد من أصحاب الأصالة الإسلامية . وأنها ترمى إلى الخداع والتزييف للواقع ولا شك أن الهدف واضح من وراء هذه المحاولة . إذ أن القائمين عليه من دعاة العصرية والتقدم والتفسير المادى للتاريخ ، إنما يهدفون إلى خدمة الصهيونية التلمودية الكامنة وراء الفكر الماركسى والفكر التقدمى كله ، فهى وليدته وهى صانعة هذا الفكر لحمايتها والنود عنها . وأى مطلع على

أساليب الفكر الماركسي والصهيوني المادى يعرف هذا الأسلوب الذى ينكر طابع الدين في تفسير التاريخ والأحداث ويحل محله مفهوم الاقتصاد أو المواجهة الحضارية أو غيرها من العبارات البراقة الخادعة إن التلمودية الصهيونية المسيطرة الان على الفكر الغربى وعلى هذه الطبقة التى تشكلت في أول السبعينات تحت اسم اليسار والماركسية والتقدمية ، والتى تعمل في خدمة العداء للإسلام أولاً وتحت أى اسم آخر من الناحية الأخرى تحاول أن تلغى الأثر الدينى في الحروب والعلاقات والأحداث وتحل محله العلاقات الاقتصادية والسياسية ، ولا ريب أن هذا الاتجاه ليس علمياً وليس صحيحاً . إن موقف الغرب من العالم الإسلامى هو موقف واضح معروف وهو موقف يمكن أى يكون سليماً ومسالمًا لولا هذه القوى التى تحرك الأحداث لخدمة أهدافها الخاصة كالصهيونية والشيوعية . وهى التى تحاول أن تلقى في افق الفكر الغربى مواقف الخوف من امتلاك العرب والمسلمين لإرادتهم ، وهى التى تحاول أن تفسر العلاقات التى تقوم من جانب المسلمين والعرب ، على أساس من الفهم العميق والساحة والإخاء واليسر والإنسانية تفسيراً باطلاً وزائفاً ولقد كان موقف الغرب مغلفاً بالخصومة والبدان ، وكان الهدف وما زال أن يظل المسلمون والعرب غير قادرين على امتلاك إرادتهم وأن يحال بينهم وبين تحقيق وجودهم الصحيح . إن المسلمين قد قامت أمتهم في هذه المنطقة الخصبة الاستراتيجية الوافرة فهم ليسوا أعداء لأحد ولكنهم ما زالوا يقاومون إغارات الغزو التى تحاول اجتياحهم لأنها تستهدف ثروتهم وترى أن دينهم هو القوة القادرة على حمايتهم من السقوط في برائن العدو ومن هنا كانت حملة الاستشراق الغربى والصهيونى والماركسي على مفاهيم الإسلام وقيمه ولعل موقف لويس التاسع بعد هزيمته في الحملة الصليبية الثامنة هو أكبر دليل على فساد دعاوى هذه الطبقة المحتواه الخادمة لقوى الغزو . فإنه بعد أن فشل عسكرياً دعا قومه إلى السيطرة على الإسلام عن طريق الكلمة والتبشير ودعاهم إلى محاولة هدم القيمة الأساسية للإسلام وهى « الجهاد » ومع ذلك كله توصف الحروب الصليبية بأنها حروب غير دينية . والصهيونية اليوم التى تجعل اسم حملتها عام ١٩٦٧ (خير) والتى تحاول أن تتحدث عن أنها في طريقها إلى حيث كان يهود الجزيرة العربية ، والتى تواجه الإسلام ورسوله وعقيدته والأمة العربية لأنها من أبناء إسماعيل وتحاول أن تنكر رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى الجزيرة العربية وبناء بيت الله الحرام والكعبة المشرفة لأن هذا يجعل وعد الله تبارك وتعالى لإبراهيم مشتركاً بين أبناء إسماعيل وأبناء اسحق ، هذه المحاولة التى تقوم على أساسها دعوى إسرائيل والصهيونية العالمية في فلسطين ، ألا تكون هذه ذات صلة بالدين ! نحن لا نشق

بالتفسير الذى يقدمه أتباع الصهيونية والماركسية للتاريخ الإسلامى لأنه يقوم على هوى الخصومة والحقد. ونحن لا نستطيع أن نصدق أن الغرب المسيحى أقام إسرائيل اليهودية من أجل أهداف سياسية استراتيجية اقتصادية ولذلك فإنهم يخدعوننا حين يقصرون الخلاف مع الغرب وحده وليس مع الصهيونية العالمية ، ولكن مدرسة البقطة الإسلامية تعرف أبعاد القضية معرفة جيدة وكتابها قد كشفتوا هذه الأبعاد فى عديد من دراساتهم ومؤلفاتهم وهم موضع ثقة المسلمين والعرب ، والأمم فى إسرائيل وإقامتها عميق وله أبعاده وأخطاره التى تتصل بالحملة على الإسلام نفسه ، وبالرغبة فى السيطرة على العالم الإسلامى وثرواته ، ومحاولة دحر فكرته التوحيدية وعقيدته الخالصة ، ومن يقرأ بروتوكولات صهيون وكتابات وتصريحات دعاة الصهيونية التلمودية ومن تابعهم من رجال الفكر أمثال فرويد وماركس ودوركايم وليف بريل وسارتر يعرف أبعاد الخطر الذى يحاول خداعنا عنه هؤلاء الذين هزموا شر هزيمة فى بلادهم ولكنهم ما زالوا يتطلعون إلى منابر جديدة ذات بريق ليخدعوا منها العرب والمسلمين . (٢) من هذه الدعاوى التى يسوقها دعاه التقدم قولهم أن هزائم العرب مرهونة بخلافاتهم وانتصاراتهم تتوقف على تضامنهم وهذه دعوى باطلة أيضاً فإن مصدر القوة الذى انتصر به المسلمون فى الحروب الصليبية وفى معارك المواجهة والغزو الخارجى تتركز فى التماس منهج القرآن الكريم لإقامته كأسلوب للحياة والحكم وبناء المجتمع . وهذا هو وحده منار الوحدة والتضامن والاتقاء بين أهل القبلة ، لقد هزم العرب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ لشيء واحد هو أنهم تجنبوا المنهج الأصيل فلما التمسوه فى حرب رمضان حققوا النصر واليوم تجرى المحاولات بقوة لإبعادهم عن هذا المنهج وتفسير التاريخ لهم تفسيراً زائفاً لإعادتهم إلى الاحتواء الصهيونى . أن التناقضات العربية لا يحلها إلا « المنهج الإسلامى » ذلك لأن محاولة الخداع والتضليل وإبعاد المسلمين عن الحلول الصحيحة وعن الأسلوب السليم لمواجهة إسرائيل وامتلاك إرادتهم تنأت من تعدد الدعوات المسمومة التى توجه إلى العرب والمسلمين وهى دعوات تبدو ناصحة فى مظهرها ولكنها غادرة فى مضمونها ، ذلك لأنها تجعل ثمن تحررهم من إسرائيل هو إلغاء وجودهم وراثتهم وعقيدتهم ودخول دائرة الاحتواء والأمية . إن الواقع الإسلامى اليوم ، يجب أن يكون منطلقاً إلى التماس المنهج الإسلامى ، حتى يتحرر من نفوذ التغريب والاستشراق والغزو الثقافى الذى أضر بهم خلال قرن من الزمان سواء فى تبعيتهم للفكر الغربى أو للفكر الماركسى ، ولا سبيل إلى تحريره والانتقال به إلى الأصالة من التماس مفاهيم الإسلام وقيمه ومنهجه وتطبيق شريعته وإقرار أسلوبه فى التربية والتعليم إن من أكبر

الأخطاء التي وقع فيها المسلمون والعرب بعد نكبة ١٩٤٨ أنهم ظنوا أن الأسلوب الغربي يستطيع أن يحررهم فإذا به يسلمهم إلى الأسلوب الماركسي الذي كان مصدر نكبتهم ١٩٦٧ ولا ريب أن الأسلوبين كانا محتويين من الصهيونية التلمودية التي استطاعت أن تنقل العرب من محور إلى محور لتحول بينهم وبين الوصول إلى الطريق المضيء ، والقاعدة الصلبة ، وهي منهج الإسلام ومن هنا نجد أن الطريق الوحيد : هو حتمية المنهج الإسلامي . (٣) ومن تلك السموم التي ما زال يثيرها دعاة التقدم والماركسية هجومهم على الدولة العثمانية ووصفها بالاستعمار والظلم والاستبداد » ونحن نعلم أن هذه الدعوى باطلة وأنها انطلقت لتعطى الصهيونية الحق في أن تصل إلى القدس وأن تقضى على الامبراطورية التي حملت لواء الجامعة الإسلامية في مواجهة الغزو الغربي كله وأن تقضى على الخلافة الإسلامية . ومن ذلك تفريقهم بين اليهودية والصهيونية. لخداع المسلمين عن أولياء الماركسية اليهود ، والمسلمون يعلمون أن الصهيونية في مطامعها وأهوائها ودعوتها إلى السيطرة على فلسطين إنما تنطلق أساساً من التوراة المكتوبة بأقلام الأخبار . ولا ريب أن حملة هذه الشبهات هم تابعون للصهيونية التلمودية مهما ادعوا أنهم دعاة التقدم والعصرية . إن الماركسيين يخدمون الصهيونية يطرح هذه المفاهيم اليوم ومحاولة جعلها مسلمات ونحن نعرف لماذا هم يحرفون تاريخ العرب والإسلام الحديث ، ولماذا يعيدون تفسير التاريخ الإسلامي على نحو زائف مسموم ، إن الغرض هو خداع العرب والمسلمين عن الحقائق التي وصلوا إليها والتي أقاموا عليها منطلقهم الجديد بعد هزيمة ١٩٦٧ التي قضت على كل نظرياتهم المسمومة . ولقد تبين للمسلمين والعرب أن أسلوب الاقتصاد ونظام الربا والقانون الوضعي وأسلوب التعليم والتربية الغربي هي كلها مصادر الهزيمة التي خافت بالمسلمين والعرب خلال هذه الحملة الصليبية التي بدأها الاستعمار وتقوم عليها اليوم الصهيونية والماركسية ورثتا الاستعمار . نحن نعرف أن الصهيونية تدرس الحروب الصليبية وتحاول أن تطرح لها في أفق الفكر الإسلامي مفهوماً جديداً تنخدع به المسلمين والعرب حتى يحولوا نظرهم عن المفهوم الأصيل الذي عرفوه والتمسوا النصر على ضوئه في حرب العاشر من رمضان وهي « تهويمات » ومراوغات خادعة من مثل قولهم إن إسرائيل ليست إلا قاعدة غربية في قلب الشرق ، وأن الغرب اضطهد اليهود في بلاده ، ولكنه ألقى بهم إلى غيرهم . نحن نؤمن أن القضية ليست كذلك قضية صراع حضارى طويل أم قصير فهذا مفهوم يراد به وضع العرب والمسلمين في متاهات وضباب كثيف . إن المواجهة بيننا وبين

الإستعمار والصهيونية والماركسية هي مواجهة عقائدية لا حضارية ولا سياسية ولا اقتصادية وأن علينا أن نلتمس أسلوبنا الصحيح ومفهومنا الأصيل وعندئذ نجد الإجابات الصحيحة لكل القضايا والتحديات والمواقف . إن السلاح والتكنولوجيا والقوة البشرية والطاقة هي في أيدي العرب والمسلمين اليوم فلا مجال للكلام عن الصراع الحضارى فإن إسرائيل لا تملك من ذلك شيئاً إلا ما يدفعه إليها الغرب ، إن العرب والمسلمين يعلمون أن هذه القوى تريد أن تضع مقادير المسلمين والعرب في أيدي العصابة الباغية التي تريد أن تسيطر على العالم ، ولن ينقذ المسلمين والعرب من هذا الخطر إلا اعتصامهم بمنهج ربهم فهو وحده سبل الخلاص يجب أن يكون معلوماً للمثقفين والباحثين والمشتغلين بالفكر الإسلامى فى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والقانونية أن هذا الأسلوب المسموم فى تفسير الأحداث والمواقف والتاريخ على النحو الذى حملت لواءه الماركسية والمادية ودعاة العصرية والتقدم مرفوض ومردود لأنه معارض للروح الإسلامية والأصالة القرآنية : هذه الطبقة التى تشكلت فى السنوات العشر الأخيرة وحسبت أنها تستطيع أن تسيطر على الفكر الإسلامى وتوجهه وجهة جديدة غير وجهته الأصلية ، التى استعانت بالعاملين فى مجال الفكر الغربى الليبرالى لتشكيل جبهة واحدة ذات فروع كثيرة تعمل جميعها فى طريق واحد لمواجهة الفكر الإسلامى فى منهجه الأصيل ومفهومه الجامع ، هذه الطبقة التى سقطت بعد العاشر من رمضان وأثبتت الأحداث فشل خطتها ومنهجها وسلامة منطق المنهج الإسلامى الذى حملته حركة اليقظة وكان هو المصدر الوحيد للنصر ، حين دعا إلى الأصالة وإلى إلتماس المنابع باعتبارها الحصن الحصين الذى عرفه المسلمون فى مختلف الأزمان والتحديات طوقاً للنجاة . والذى صدقهم فى كل مرة واستطاع أن يهزم باطل الغزاة ويردهم على أعقابهم ويثبت الحق وأهله . واليوم تحاول هذه الطبقة أن تجدد دعواها وأن تنشر سمومها من جديد وبأسلوب جديد لتحويل العرب والمسلمين عن طريق الأصالة الذى التمسوه وتؤكد لهم أنه الطريق الوحيد الذى يستطيع أن يحقق لهم المواجهة الصحيحة إزاء كل القوى التى تتكلم اليوم لغزوهم على الجبهات الثلاث : الاستعمار والصهيونية والماركسية . فلتعلم أن هذه المحاولة باطلة وأن المسلمين قد اعتصموا بمنهجهم الربانى فى طريقهم إلى اتخاذه منطلقهم الوحيد .

٣ - الإسلام فوق لعبة اليمين واليسار

إن أخطر ما يواجه المسلمين والعرب فى هذا العصر هو أنهم يتحركون من خلال الإطار

الذى رسمه لهم النفوذ الأجنبي وأنهم يعانون أشد المعاناة من أجل الخروج من هذه الدائرة المغلقة إلى دائرة فكرهم الأصيل : تلك الدائرة المرنة السمحة التى تقدم لهم الضوء الكاشف الذى يهديهم إلى معرفة الحقائق محررة من كل تدليس ومن كل زيف . ومن أخطر ما يقع فيه المسلمون أن يلتمسوا تلك الأسماء والمصطلحات التى يطرحها الغزو الفكرى فى محيطهم فإذا هم يضعون أنفسهم وفكرهم فى داخل مربعاتها وقد وقع فى هذا الخطر عدد من مفكرى الإسلام أولئك الذين حاولوا أن يلتمسوا إلى فهم الإسلام والتعبير الجامع : طريق الفيلسفة فأعجبتهم كلمات الديمقراطية والاشتراكية والوجودية وغيرها وحاولوا أى يضعوا مفهوم الإسلام الجامع الوافر فى هذه القوالب الضيقة واليوم يطرح دعاة التغريب كلمات اليمين واليسار ويعملون على إدخال المسلمين فى لعبة اليمين واليسار والإسلام فوق هذه المحاولات والمناورات فالإسلام لا يقارن إلى المناهج الوضعية ولا يوضع موضع المناقشة بمقاييسها وتفسيراتها التى ما وضعت إلا من خلال فكر بشرى محدود بحدود القدرة العقلية البشرية القاصرة التى لا تستطيع الخروج من دائرة الزمان والمكان الذى تعيش فيه ومن ثم فإن أى منهج بشرى مهما كان دقيقاً ومحكماً فإنه لا يلبث بعد سنوات قليلة أن يعتوره الفساد والقصور أزاء المتغيرات السريعة التى تعمل عملها على تحويل الواقع وتطويره وليس كذلك الفكر الربانى المتمثل فى شريعة الإسلام ونظامه وقانونه الذى يقوم على إطار من الثوابت يسمح بالحركة فى داخله على نحو منضبط يمكن الحياة الانسانية من العمل والتعبير دون أن تخرج على الحدود التى رسمها الحق تبارك وتعالى وأحاطته بالزمان المتجدد والمكان المتغير واستيعابه لكل شئون التطور والتحول التى تواجه البشرية فى مسيرتها . كذلك فإن الإسلام يقدم البلسم لأدواء البشرية فيدعوها أن تصلح وجودها وأن تحرر نفسها من الزيوف والأهواء لتجرى فى مجرى الإسلام الأصيل إذا أنه ليس من الحق أن يدعى الإسلام لتبرير انحراف البشرية فى إنطلاقها نحو الأهواء والاستعلاء والإندفاع بمعطيات العلم إلى تدمير البشرية أو إلى التمييز بالثروة عن الأمم والشعوب أو بالتسلط على الأمم بدعوى التفوق العلمى أو العنصرى ، فإن الإسلام يشجب ذلك كله ويرفضه ويدعو البشرية إلى التماس منهجه الأصيل فى التوحيد والأخوة البشرية إيماناً بوحدة الخلق ووحدانية البشرية ، قياماً بأمر الله بالاستخلاف فى الأرض وتعمير الحياة وإقامة المجتمع الربانى على وجه الأرض وكذلك فإن الإسلام يرتفع ويعلو على لعبة الدول الكبرى : لعبة اليمين واليسار ويجب أن يرفع المسلمين عن أن تحتوهم هذه اللعبة

أو يخضعوا لها فإن المسلمين إرادتهم الكاملة التي تمكنهم من أن يكونوا « أمة » قائمة بذاتها لا تخضع للشرق ولا للغرب في منهج من مناهج الاقتصاد أو الاجتماع ، وهى بما تملك من رسالته الحق وميراثها الكبير لها منهجها الأصيل وشريعته الغنية التي استطاعت أن تقدم للبشرية في العصر الحديث عشرات من المعطيات في مجال القوانين والنظم الاجتماعية التي أشاد بها المفكرون المنصفون والتي سوف لا تجد البشرية أمامها من طريق ، غير طريقها ، عندما تنقشع عن العيون تلك السحابات المضلة التي تفرضها الآن أهواء التلمودية الخطيرة التي تسيطر على علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والاقتصاد وقد تساقطت هذه القوانين وبان عوارها وأحس الغرب اليوم الذى احتوته التلمودية اليهودية منذ قرابة مائة عام أنه يسير في التيه وأنه بلغ درجة الانحلال والغربة والتدمير النفسى ، يوم استبدل طريق الدين بحثاً عن الدين الحق إلى طريق التلمودية الخطير المظلم ولقد كان من العجب أن يقرط المسلمون في ميراثهم ويلتمسوا الإصلاح مجتمعاتهم هذه المناهج الباطلة المضلة التي لم تستطيع أن تحقق فرة من النور والخير لأهلها في الغرب . واليوم والعالم يبحث عن ميراثهم وقيمهم ليلتمس بها طريقاً ومخرجاً إلى الإيمان نجد المسلمين ما زالوا واقفين تحت لعبة اليمين واليسار ، ونرى تيارات الفكر الماركسى والصهيونى والليبرالى تتصارع على أرض الإسلام تحاول احتواء المسلمين وتخديعهم عن أصالتهم وحقهم وما تستطيع الماركسية أو الليبرالية أن تقدم شيئاً للمسلمين والعرب إلا ما قدمت خلال هذه السنوات الأربعين التي عاش العرب فيها بين التجربتين وشهدا فشلهما وقسادهما . وجنوا ثمار التبعية نكبة ونكسة واحتلالا وسيطرة صهيونية على أرضهم وعلى قدسهم فعلى المسلمين والعرب أن تكون التجربة المريرة المظلمة التي مروا بها مخدوعين خلال السنوات الأخيرة قد أصبحت كافية لأن تردهم عن هذا الطريق وتدفعهم إلى الطريق الأصيل : طريق الله الحق ، طريق الشريعة الإسلامية والمنهج الربانى الجامع الذى هو فوق كل منهج وما تزال الأحداث تثبت للمسلمين والعرب إن هذه المناهج الوافدة التي التمسوها وصدقوها يوماً هي التي فتحت لهم باب الشر واسعاً وأنه لا بد من حسم في المواجهة والتبذ على سواء حتى تقوم النهضة الإسلامية على شريعة الله فهى وحدها التي تجمع المسلمين وترد عنهم خطر الاحتواء والغزو والتدمير الذى تستهدفه المناهج الوافدة لقد كنا نقول منذ ثلاثين سنة أن قوى العدو إنما تتطلع إلى السيطرة من أجل الموارد والأسواق وأنها تكتفى والخضوع من العرب والمسلمين ولكن يبدو أن هذه النظرة كانت ساذجة فان القوى الجديدة

التي برزت أنبياءها تحت أسماء الصهيونية والماركسية لا ترى هذا ولا تقف عنده وإنما ترسم لتمزيق رقعة الإسلام من طرفها الغربي طنجة وطرفها شرق باكستان ووسطها فلسطين وأنها تضربها بمحاول الأيدلوجيات التي أخذت تغزو البيوت والعقول والقلوب عن طريق السينما والمسرح والقصة والكتاب . والمهدف (أولاً) إيقاف المد الاسلامي والقضاء على حركة اليقظة الإسلامية التي ثبت الان تماماً إنها الطريق الذي لا طريق غيره للمسلمين (ثانياً) تمزيق هذه الأمة التي جمعها القرآن بالتوحيد حتى تصبح أمة محتواه ليس لها رابطة من لغة أو عقيدة أو فكر ولقد قال سياسى غربى كبير يوماً بعد هزيمة أمته : أن هناك خطراً يمتد من طنجة إلى كراتشى ، وإن الإسلام ذو قوة وحضارة وثقافة وهو جدير بأن يكون الوارث لنا . إن المسلمين والعرب اليوم قوة ولليهم كل أدوات امتلاك الإرادة وهم مفتوحون على الحضارة الغربية وعامل هام في التوازن الدولى ولكنهم لا يعقل أبداً أن يخضعوا إزاء أى أيدلوجية أو مذهب غير منزههم ، وهم حين يفرضون منهجهم القرآنى فإنما يقررون مبدأ السباحة والاخاء البشرى الذى يرفع راية المساواة والاخاء بين جميع الأجناس إلا من اعتدى واتبع سبيل التامر والغزو فهذا خارج عن نطاق هذا التعامل « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » إن مرحلة التبعية والسيطرة والاحتواء قد انتهت تماماً وزالت إلى غير رجعة وأن مرحلة امتلاك الإدارة والرشد قد بدأت فعلاً وهى بداية مرحلة الانتقال من اليقظة إلى النهضة فى عالم الإسلام وهى كبرى علامات القرن الخامس عشر الهجرى الذى يطلع فجره اليوم فعلى المسلمين والعرب أن لا يرتدوا إلى الوراء وأن يعلموا أنهم يملكون إسمى المناهج وأنهم الأعلون فوق لعبة السياسة والاحتواء وأن طريقهم هو ذلك الصراط المستقيم : طريق الأصالة والذاتية المتميزة التى تضعهم حيث وضعهم الله شهداء على الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقىمون المجتمع الربانى فى الأرض .

عالم الإسلام المعاصر

في القرن الرابع عشر الهجري

واجه عالم الإسلام المعاصر خلال القرن الرابع عشر خمس ثلاث تحديات هي أخطر ما واجهه من تحديات.

أولاً : التجربة الغربية

كشفت الأحداث المتوالية على مدى ثلاثين عاماً ، أن الكيان الإسلامي ما زال يرفض الجسم الغريب ولا يقبله ، لأنه ليس من معدنه ، ولأنه لا يستطيع أن يقدم له أشواق الروح ، أو يتجاوب معه في أسلوبه ومضمونه وقيمه . لقد رفض الكيان الإسلامي التجربة الغربية . ليس في مجال النظام السياسي الديمقراطي الليبرالي وحده ، ولكن على النطاق الأوسع في مجال الحضارة والمجتمع . لقد جاءت التجربة الغربية في بلاد الإسلام معارضة تماماً لطبيعة تكوين هذه الأمة ، التي شكلها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً في وجوه كثيرة ، وإن كانت في بعض مظاهرها تخدع الذين لا يعرفون جوهر الإسلام ، بالمقارنة بين الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية . وبينهما فروق بعيدة وخلافات عميقة ، ولقد جاءت الديمقراطية الغربية إلى بلاد الإسلام على سبيل القسر والتحكم ، ولم تكن عن رغبة أو طوعية . فقد فرض النفوذ الأجنبي بالاحتلال السياسي والعسكري هذا النظام ، بعد أن عطل منهج الشريعة الإسلامية ، الذي عاشت الأمة الإسلامية في إطاره عمرها كله ، ولم يكن هذا النظام الوافد البديل إلا عاملاً من عوامل تهديم المجتمع الإسلامي وضربه في الصميم ، فقد فرض عليه القانون الوضعي ونظام الربا ، وأباح فيه أسلوباً من التعامل قريباً من الإباحية وحمل التفسخ ، وأتاح لكل عوامل الفساد أن تنمو في حياطة القانون وحمايته ، فضلاً عن النظام السياسي الذي لم يكن إلا مظهراً كاذباً يحمل طابع الديمقراطية وحكم الشعب ، بينما يضمّر في أعماقه تسلط الفرد الديكتاتور . لقد قامت الديمقراطية في الغرب على مفاهيم ميكافلي : الذي قرر أن السياسة لا تخضع للدين ولا للأخلاق ، وأن لها قواعدها المتقلبة ، والسياسة عند ميكافلي هي : الوصول إلى الحكم ، ثم البقاء في الحكم بعد الوصول إليه ، وفي سبيل الوصول إلى الحكم تباح جميع الوسائل بدون استثناء ومن ذلك قولهم : أن السياسة تكتيك ، لا شأن لها بالخير والشر . فمن أراد أن يصل إلى الحكم فهذه هي الوسائل : القتل ، والكذب ، والرشوة ، والمكر ،

والخداع ، ويرى ميكافلي - وقد قامت مفاهيم النظام السياسي الغربي الديمقراطي الليبرالي على ما قعده من قواعد - يرى أن السياسة لا تقوم إلا على الدسائس والمؤامرات لنيل القوة وان الغاية تبرر الوسيلة ، وأن على الحاكم أن يحقق رغبته دون نظر إلى الأخلاق والقيم . يقول ميكافيلي : « فليحافظ الأمير على عرشه ، دون النظر إلى الوسائل ، فإنها ستبقى على الدوام معتبرة شريعة مدحها الكل . لأن العامة مأخوذون بالظواهر وبتنتائج الأشياء ، وأنهم هباء لا قيمة لهم ولا يحسب لهم حساب » وبهذا المفهوم جرى تطبيق التجربة العربية في بعض بلاد عالم الإسلام ، ولم تكن الصورة الديمقراطية الظاهرة إلا قفازا حريراً يخفي وراءه الأظفار المخضبة بالدماء ، والتي لا تسمح للمعارضة أو الرأي الآخر أن يكون له وجود حقيقي ، ومن العجب أن يشهد كتاب الغرب بأن هذه الديمقراطية الليبرالية قد فشلت فشلاً ذريعاً في بلادها ، ومع ذلك فقد نقلت إلى أفق العالم الإسلامي لتلقى مزيداً من الفشل يقول مؤلف كتاب « الثورة العقائدية » : « أن الليبرالية السياسية لم تنم نمواً طبيعياً في أية بلاد إسلامية ، وأن بعض المحاولات التي جرت لنقل الليبرالية الأوروبية في القرن الراهن ، إلى بعض البلاد الإسلامية قد فشلت ، ويبرر المفكرون المسلمون هذه الظاهرة : بأن القرار ديمقراطي في جوهره ، كما ينطوي على مساواة بين الناس ، ولما ينص عليه من شورى قبل تقرير الأمور ، ولما يؤكده من اجماع ويضرب عليه من ضرورة خضوع الحاكم للشرع والواقع أن الاسلام لا يقيم نظاماً بشرياً يسمى مبدأ سيادة الأمة ولكنه يقيم نظاماً ربانياً يسمى تطبيق حكم الله واقامة المجتمع الرباني ولذلك فإن الإسلام حين يأخذ مبدأ الشورى لا يهدف إلى تحقيق ما يسمونه : «مبدأ سيادته الأمة» فإن التشريع الإسلامي في الحقيقة ، هو التعبير الأصيل عن إرادة الأمة ، وأن الحاكم في الإسلام إلى أن يكون لهذه الأحكام السلطة العليا . وأن محاولة جعل الأمة صاحبة سلطة السيادة ، إنما هي محاولة مضللة ، لإخفاء وضع هذه السيادة في يد القيصر أو الديكتاتور ، وإنما يهدف إنما يهدف القيصر أو الديكتاتور أن يتخفى وراء هيئة نيابية منتخبة من الشعب ، وليس الأمر في نظر رجال القانون الغربيين ، إلا مجرد رمز أو صورة ، تخفي وراءها سلطة ديكتاتورية مستورة ، وراء ما يسمى : « الاستفتاء الشعبي » ، ويقول الفقهاء الغربيون اليوم بمنتهى الوضوح : أن مبدأ سيادة الأمة لا يكفل منع الاستبداد أو الاستئثار بالسلطة المطلقة ولقد تلائم مبدأ سيادة الأمة مع الأنظمة الديكتاتورية ، فهو لا يمنع الاستبداد بل هو خطر على الحرية ، لأنه ليس من شأن هذا المبدأ أن يهدف إلى وضع قيود أو حدود ، على سلطان السلطة التنفيذية أو السلطة التشريعية . ولقد وصلت الديمقراطية الغربية اليوم ، إلى مرحلة الفشل والهزيمة

والانهيار ، بعد أن اقتحمها الأخطاء من كل ناحية ، ولم تعد الشعوب في الغرب تثق فيها ، أو تجد فيها نظاماً صالحاً ، ولم تعد أحزاب الغرب تستطيع أن تنال ثقة الناس . وقد كتب كثيرون من أمثال « توينبي » وغيره يكشفون عورات هذا النظام وفساده ونتائجه الخطيرة ، في الاضطراب الاقتصادي ، والتحلل الاجتماعي ، والفساد الأخلاقي ، وتوسيع الهوة بين الفقراء والأغنياء . وعندما ننظر إلى إحدى الدول الأوروبية الديمقراطية ، نجد أن ٤٨٪ من ثروتها في قبضة ٧٪ من مجموع المواطنين . وأنه بينما تسلمت أرملة آخر من فقد حياته من عمال المناجم أثناء عمله ٦٧٥ دولاراً تعويضاً عن حياة زوجها ، حقق لورد كارنجتون (وزير الدولة السابق لشئون الطاقة) ما يساوي ٩٣٢ ألف دولار ربح صفقة واحدة . وقال « دزرائيلي » منذ مائة عام أن بريطانيا أمتان تقع كل منهما تحت مؤثرات مختلفة ، وتحكمها أخلاقيات متباينة ، ولا يجمعهما فكر مشترك ولا حتى في المشاعر ، بل مجتمع للفقراء ومجتمع للأغنياء ، يطفحان بروح الصراع الطبقي العميق . ومن هنا نجد الخطر كل الخطر ، في ذلك الجيل الذي يؤمن بتفضيل قيام النظام الديمقراطي الغربي ، بديلاً عن النظام الإسلامي ، وهذا الجيل الذي لم يتعرف إلى مفهوم الإسلام تعرفاً صحيحاً مع التفريق الواضح بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية ، بعد أن حدث خلط كبير بينهما . ذلك أن الإسلام يجعل السيادة للشرع لا للشعب أو لفرد أو لجماعة : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » النساء : ٦٥ ، فالسلطة التشريعية هي لله وحده تبارك وتعالى ، فلا يجوز للناس أن يشرعوا ، أما السلطة التنفيذية فهي بين يدي أمير المؤمنين ، ونظرة الإسلام إلى الحكم : هي أن يكون الحاكم نائباً عن الأمة في تنفيذ ما تعاقدت معه على تنفيذه . فالحاكم في الإسلام نائب عن الأمة في تنفيذ أحكام الشرع عليها ، لأن السلطان للأمة أصلاً ، تعطيه بالإنابة عنها ، لمن تراه كفؤاً على القيام بأعباء الحكم وتنفيذ أحكام الشرع . ومن هنا فقد بطلت تلك المحاولة التي تهدف تطويع الإسلام تحت اسم الشورى ، إلى مفهوم الديمقراطية على الطريقة الحديثة ، ذلك أن ذاتية الإسلام تعلو على هذه المقارنة ، وعلى المسلمين تطويع مجتمعاتهم لنظام الإسلام ، وأن يعلموا أن الديمقراطية الحديثة تختلف اختلافاً عميقاً وجذرياً عن الإسلام ولا ريب أن محاولات بعض الكتاب المسلمين في إخضاع مفهوم الإسلام للشورى ، للأساليب الغربية خطأ محض ، وهذه الطريقة الغربية تخضع للرشوة وللتزوير ، والتي تمثل البعض من الوصول إلى السلطة بغير

كفاية حقيقية بينما الشورى فى الإسلام لا تكون إلا مع من صفت نياتهم وتأكد الإمام من إخلاصهم حتى يطمئن إلى الأخذ برأيهم والاعتماد على وجهات نظرهم ، فلا يستنبطون من وراءها أمراً ولا يطمعون فى مغانم أو مصالح ، ومن ذلك خطأ الذين يقولون أن الديمقراطية تقوم على الشورى ، وأن الشورى الإسلامية يمكن أن تنفذ عن طريق المجالس الشعبية الديمقراطية وبالطريقة التى تعمل بها ، لأن هذه المجالس لا تمارس وظيفة الشورى بل وظيفة الرقابة فليس الحكم الديمقراطى قائماً على الشورى كما يفهم بعض الناس ، ولكنه يقوم على الرقابة وإحصاء الأخطاء أما الطريقة الإسلامية فانها تختلف عن ذلك تماماً ، فى الإسلام وحدة الهدف الذى يسعى إليه الحاكم والمحكوم ، وتقيد سلطة ولى الأمر إنما يكون بمقتضى النصوص الشرعية فولى الأمر فى النظام الإسلامى لا يملك التشريع إلا فى أمور فرعية ، وهو متقيد بالأصول الشرعية وهو منفذ للشرعية ، والعدالة الإسلامية عدالة ثابتة ويجب التقيد بها على مر الزمان ولا يصح طرح الشريعة لمجرد الطعن عليها بالقدم ومضى المدة وتغير الظروف وليس فى الإسلام حكومة (ثيوقراطية) والتاريخ الإسلامى كله لم يعرف مثل هذه الحكومة ، فالإسلام يقيم نظام الدولة شاملاً لجميع المواطنين ، ويجعلهم على قدم المساواة فى الحقوق والواجبات ، ويكفل حرية الاعتقاد والعبادة لجميع المواطنين ، والقول بأن فى الإسلام دولة ثيوقراطية هو من الأخطاء التى يحاول بعض المستشرقين والعلمانيين الصاقها بالإسلام ، بينما هى من عمل التاريخ الغربى والأديان فى الغرب ، ومن الحقائق الثابتة الأكيدة ، أن الإسلام لم يقم الدولة الثيوقراطية على المفهوم الذى عرفه البابوات فى حكوماتهم ، ومفهوم الدولة الثيوقراطية التى يتولى أمرها رجال الدين على المعنى المتعارف عليه فى الغرب ، لا يوجد فى الإسلام ، وشريعته السمحاء لا تقر وجود ما يسمى رجل الدين ، وليس فى التوحيد بين السلطين الدينية والدنيوية فى الإسلام ، ما يؤدى إلى شىء من التضارب ، فليس فى الإسلام حقائق روحية خالصة ، ولكنه جامع بين الروح والمادة ، وحكومة الإسلام فى تطبيق مبادئه ليست إلهية ، بل هى بشرية تخضع للنقد وتقبل الشورى وتقبل رأى الإنسان واجتهاده ، وإمام المسلمين هو بحكم نظام الإسلام من الخيرة بينهم إيماناً بالله ومعرفة بمبادئ الإسلام ، وأكثرهم تجنباً للظلم واحترافاً للحق وإقراراً للعدل لقد سجل كثير من الباحثين المسلمين فساد المنهج البشرى ، فكتب أمثال الدكتور محمد عبد الله العرنى عن تجربته الخاصة فقال بأدركت - كما أدرك غيرى من علماء أوربا أنفسهم - أن هذه النظم التى تمكنت من درسها

وتدريسها أكثر من ثلاثين عاماً عاماً ، كانت من أهم الأسباب في كل ما حاق بالبشرية ، وما زال يحقّق بها من ويلات وكوارث وشقاء شامل من هذه النظم الأوربية وما فيها من اضطراب وتناقض لأنّها من تفكير البشر وصنع البشر ، الذين لا يرون إلا ما هو مكشوف لهم في فترة محدودة من الزمن ، وفي قطاع محدود من الأرض . رؤية فيها كل قصور الإنسان وانفعالاته العابرة وشهواته الجامحة . فتفكيره من أجل ذلك لا مناص من أن يكون تفكيراً جزئياً وتفكيراً وقتياً ، ومن هذه الجزئية يقع النقص والقصور . ومن هذه النقطة يقع الاضطراب في التمييز بين الحق والباطل فما يكون حقاً في عصر يكون باطلاً في عصر آخر» تبعاً لأمزجة الحكام وأحياناً المحكومين . ويقول : « لقد احتجبت حضارتنا الإسلامية أمام غزو حضارة أجنبية ، وكان تقليدنا لما خبث فيها أسرع من اقتباسنا لما صلح منها فشابنا في الجامعات لا يدرسون إلا النظم السياسية والاقتصادية كما تعرفها أوروبا ، وتشريعاننا الوضعية في شئون الحكم والاقتصاد والاجتماع ، تحتذى حذو التشريعات الأوربية وتنهج على منوالها فيما تحرمه وفيما تبيحه ، وفي سياستنا الاقتصادية والمالية اقتبسنا نظمهم المصرفية الربوبية ، التي سيطر من خلالها اليهود على الاقتصاديات العالمية ، وفي سلوكنا الاجتماعي أصبحنا نقلد مجونهم وأزياءهم ومبادئهم الناجرة ، ثم تقاعسنا في نفس الوقت عن ابتكاراتهم الفنية وكشفهم العلمية . هذه هي الحقيقة التي انكسفت في العالم الإسلامي منذ وقت طويل ، عندما أخذت حركة اليقظة الإسلامية تكشف زيف الدعاوى الوافدة ، في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون وتلح إلحاحاً شديداً على مدى الاخطار التي واجهتها المجتمعات الإسلامية منذ أن خضعت للتجربة الغربية ، ومدى الاثار التي تربت عليها في أجيالها المتوالية فكان لابد أن تصل الأمور إلى غايتها بإزاحة هذه التجربة في بعض الأقطار الإسلامية كباكستان وإيران ، والكشف عن آثاريها التي تتمثل في فرض مجتمع الفجور والربا على الأمة الإسلامية ، وقد بدأ واضحاً اليوم أن المسلمين إنما يريدون مجتمعاً أصلاً يستمد وجوده من مفاهيمهم وقيمهم ، ولا يرضون عن هذا المجتمع الذي أقامه اليهود في قلب العالم الإسلامي على دعائم من النظام الليبرالي الديمقراطي . والذي يتمثل في ديكتاتورية الحاكم المستبد ، تحت اسم العصرية والتقدم واعتبار الإسلام رجعية ، وبناء النظرية التقدمية على أساس الأصول الوثنية القديمة . وإحياء التراث الذي سحقته الإسلام سحقاً ، سواء أكان مجوسياً أو آشورياً أو هندوكياً أو بابلياً ، أو تراث قورش ، وإقامة الدولة العصرية على معنى التحلل

الخلقى والفجور إن التجربة الغربية فى أسلوب العيش قد فشلت فى المجتمع الإسلامى فشلاً ذريعاً ، وما يعتقد أحد أن المسلمين يرغبون فى إعادة تسبىق مجتمع الانحلال والفساد الغربى على مجتمعهم حيث لا تفهم الدولة العصرية إلا حرية الفجور والخمر وسيادة اليهود عن طريق الفوائد الربوية ، هذا هو النمط الذى كان يشجعه بعض الحكام المسلمين الذين أسقطهم الشعب ، حيث تفتك الدكتاتورية وتسلب ثروة الشعب من ناحية ، وتدميرهم بالمفساد والانحلال من ناحية أخرى وتحول بينهم وبين امتلاك ثرواتهم وإرادتهم فى إقامة المجتمع الأصيل : إن المسلمين الذين يملكون اليوم الطاقة والثروة والتفوق البشرى يتطلعون فى قوة إلى مجتمع إسلامى قائم على مفهوم الإسلام الأصيل ، بعد أن فشلت التجربة الغربية ، وبعد أن أخذت شمس الحضارة تغرب عن أوروبا بشقيها الديمقراطى والماركسى ، وبدأت أنظار العالم كله تتطلع إلى المشرق إلى عالم الإسلام ، وإلى الإسلام نفسه كمنقذ للبشرية من وهدهتها . إن على الغرب أن يغير نظرتة وأسلوبه القديم ، حين كان ينظر إلى الشعوب الشرقية كأنها وسائل لغاياته الخاصة وأن تتوقف محاولات الغرب فى أن يفرض على المسلمين أسلوب العيش الغربى وحضارته ، فى إطار أيدلوجياته المضطربة من ديمقراطية واشتراكية ، لأنها تهدف إلى الحيلولة بينه وبين امتلاك إرادته الحرة ، فى إقامة المجتمع الربانى وتقديم الإسلام للبشرية كلها بوصفه الأمل الوحيد الباقى للبشرية ، حتى تخرج من أزمتها القاسية . لقد كانت رسالة الإسلام وستظل . أعمق حركة من حركات التحرر ، تحرير الإنسان من عبودية الإنسان وتحرير الإنسان من الوثنية وعبادة غير الله . وقد أعلنت مساواة الأجناس البشرية أمام العدل الإلهى ، وتحطمت القوى المستبدة على صخرة المساواة الإسلامية واليوم ما أشد حاجة البشرية إلى تحريرها من المادية والوثنية والإباحية التى تتردى فيها . إن الإسلام لا يزال غصناً طرياً ، وقادراً على العطاء ، وإن التجربة التى تمت قد كشفت عن فساد الأسلوب الغربى الذى أخذت به الدول الإسلامية منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم . وكيف جر عليها هذا الأسلوب من التدمير والخطر والفساد ما يعرضها اليوم إلى الاندحار . لذلك فإن الصيحة التى تنطلق اليوم فى باكستان وإيران وتركيا هى صيحة طبيعية ، لأنها تكشف عن مدى ما وصل إليه العقوق ، فى حجب المنهج الإسلامى تحت ركام شديد الظلام والفساد ، من الفكر الوثنى القديم المنبعث ، والفكر الغربى الوافد ، الذى لا يلتقى مع الفطرة الإنسانية ولا مع الأصالة الإسلامية يقول فريد هاليدى فى كتابه إيران الدكتاتورية والتطور : « كان المثقفون الإيرانيون يشعرون

أنهم في مضيدة فمن ناحية كانوا يدركون حدود التاريخ والثقافة الإيرانية ، ومن ناحية أخرى كانوا ثائرون على الشكل المحدود من الثقافة الغربية التي كانت تستورد إلى إيران ، ولهذا تطلع عدد محدود من هؤلاء المثقفين إلى العودة ، إلى القيم الإسلامية ، أما الذين كانوا يتطلبون إلى ما قبل الإسلام فكانوا يعتنقون أفكاراً خاوية متعصبة ، كذلك فإن مجال التعبير في ظل الدكتاتورية كان محدوداً للغاية ، فقد اتسع نطاق المنوعات والمحظورات ليشمل مجالات متعددة » . لقد كان من أكبر التحديات أن يبعث في شعب مسلم بعد - أربعة عشر قرناً - عودة إلى قورش وقمبيز والاحتفال بالوثنية الجاهلية ، وإعادة جذعه ، وإنفاق ملايين الجنيهات على هذا الإحياء ، بل إن الشاه ألغى التقويم الهجري واستبدل به تقويمياً فارسياً قديماً ، تحدياً لتاريخ الإسلام الذي أعطى المجتمع الإيراني هويته الحضارية في الأربعة عشر قرناً الأخيرة ومن ثم تلتقى الدكتاتورية بالوثنية الجاهلية بالإباحية الغربية ، للاجهاز على شعب مسلم ، وكان من طيبة الإسلام أن تنبعث من أعماقه القوة القادرة على التصحيح والتماس الأصالة والمنابع ، هذه الصيحة التي هزت أركان العالم الاستعماري كله والتي تستغلها الصهيونية العالمية ، لكي تخيف الغرب من يقظة الإسلام . هذه اليقظة الكريمة التي لا تحمل في طياتها إلا الرحمة والعدل والأخاء البشري . إن الإسلام لا يهدد أحداً ولكنه يتطلع إلى أن يقدم المنهج الصحيح للبشرية أما اليهود فليس لهم بضاعة إلا البغاء والفساد والربا ، ولذلك فهم من وراء القوى المستبدة المفسدة . إن الأمة الإسلامية بعد أن جربت النظام الغربي ، وجربت النظام الماركسي قد أصبحت مقتنعة تماماً اليوم أنه لا سبيل لها إلا عن طريق منهج الإسلام : وأن أى منهج لتحديث المسلمين أو إدخالهم في حضارة العصر لا يصلح إلا إذا قام الإسلام نفسه ، وقد استطاعت الحركة الإسلامية أن تؤكد للعالم كلها ، أن الإسلام ما زال حياً قادراً على العطاء وأن كل ما أذاعه المستشرقون والاستعماريون عن الإسلام كاذب مضلل ، وأن الغد للإسلام .

ثانياً : القوميات

كشفت الأبحاث الجادة التي قام بها باحثون محايدون ، أن نظرية القومية العربية التي طرحها في أفق الفكر الإسلامي ، كانت بمثابة مؤامرة استهدفت تمزيق الوحدة الإسلامية ، السياسية والاجتماعية والفكرية ، وأنها هي أخطر المحاولات لتفريق عقد الأمة الإسلامية ،

التي كانت مترابطة تحت كلمة التوحيد ، وقد جاءت هذه الأبحاث بعد ركام ضخم من الكتابات والدراسات ، التي قدمت منذ الثلاثينات من هذا القرن ، بهدف تدمير وحدة العروبة والإسلام الجامعة ، التي كان يصدر عنها رجال العمل السياسي في البلاد العربية . وكانت الدعوة إلى القومية ، بمثابة دعوة إلى الإقليمية أولاً ، في الأقطار التي لما تاريخ قديم سابق للإسلام ، وكانت من ناحية أخرى كمحاولة لفصم عرى العروبة والإسلام ، فقد استعملت كلمة القومية بمفهوم الإقليمية في مصر باسم الفرعونية ، وفي سوريا باسم الفينيقية ، وفي العراق باسم الآشورية والبابلية ، وفي المغرب باسم البربرية . وتركزت حول هذه الدعوى دراسات مضللة ، قام بها مستشرقون يتبعون وزارات الاستعمار في فرنسا وانجلترا مستهدفين إحياء هذه النحل التي قضى عليها الإسلام ، حين جاء قاطعاً لذلك الارتباط القديم الذي يفرق بين اجتماع أمة الإسلام وبين ارتباطها تاريخها ولغاتها القديمة . وحتى نعرف أبعاد قضية القوميات وتفسيراتها الوافدة ، يجب أن نراجع تصريحاً تردد على ألسنة الكثيرين من دهاقين السياسة في أوائل هذا القرن ، يلخصه الدكتور « صمويل زويمر » كبير المبشرين البروتستانت في الشرق في قوله : « أن أول ما يجب عمله للقضاء على الإسلام هو إيجاد القوميات » . ولقد كان أول عمل بدأت به الإرساليات التبشيرية في بيروت هو الدعوة إلى العروبة بهدف تمزيق وحدة العرب والترك ، القائمة تحت لواء الخلافة العثمانية . وكان حملة هذه الدعوة هم مسيحيو لبنان ، الذين كانوا يطالبون بكيان مستقل داخل الدولة العثمانية . ثم ظهرت الدعوة إلى القومية التركية ، تحت اسم الطورانية عن طريق حزب الاتحاد والترقي ، بهدف إخراج تركيا من طابعها الإسلامي ، فلما نجح حزب الاتحاد والترقي في الوصول إلى الحكم أخذ يعمل على تتريك الشعب وتحويل المحاكم والمدارس ودور الحكم إلى اللغة التركية والقضاء على اللغة العربية ، ومن هنا بدأ العرب في المملكة العثمانية في الدفاع عن أنفسهم فنشأت الدعوة إلى العروبة ، فلما سقطت الدولة العثمانية اتخذ العرب من الترابط تحت اسم العروبة ، أسلوباً من أساليب مقاومة النفوذ الأجنبي . غير أن الاستعمار والنفوذ الأجنبي ، عمد إلى طرح مفهوم للعروبة ، مستعد من مفهوم القوميات الغربية ، استشرى أمره وحاول أن يقضي على ترابط العروبة والإسلام ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فإن الفكر الوافد حاول أن يطرح عدة نظريات ، ليمزق وحدة الفكر الإسلامي ، ويحول به دون الالتقاء في كيان جامع موحد ، فكانت هناك الدعوة إلى القومية الوطنية ، وتمثلت في الدعوة إلى القومية اللبنانية والقومية

السورية والقومية المصرية ، وكانت هناك دعوة القومية المستمدة من مفهوم النظرية الألمانية أو النظرية الفرنسية ، واحداهما تعتمد اللغة أساساً لها ، وتعتمد الأخرى مفهوم الميثية . ولم تكن الدعوة إلى القومية الوطنية في حقيقتها إلا دعوة إلى الإقليمية في محاولة لإعطاء هذه الاقليميات طابع القوميات . ثم لما برز طابع العروبة ، الذي كان هو منطلق سوريا والعراق والحجاز في مواجهة الطورانية أولاً ، ثم في وجه الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان ، ثانياً كموقف مفروض لا محيد عنه ، هنالك رأت حركة التغريب أن فكرة العروبة بمفهومها الإسلامى التى أخذت تتزعزع ، بمثابة خطر جديد عليها ، فأخذت تتدخل فيها لتحريفها وإفسادها ، وذلك بعد أن فشلت دعوة الأقليميات ، لذلك فقد عمدت إلى طرح نظرية القومية العربية وحشدت لها حشوداً ضخمة ، بهدف زعزعة المقومات الأصيلة ، وتعرية العروبة من كل مفاهيمها المرتبطة بالإسلام سواء على صعيد الفكر ، كالثقافة والتاريخ واللغة أو على صعيد السياسة ، كالترباط والانفتاح بين الأمم الإسلامية ذات التاريخ والثقافة والعقيدة الواحدة ، والتي تجمعها منذ خمسة عشر قرناً أرضية ثابتة ورصيد ضخم كانت النظرية في القومية تريد أن تحمل معها ثلاثة محاذير خطيرة . أولاً : طابع الاستعلاء الجنسى المعلق في مواجهة الأمم الإسلامية ثانياً : طابع الانعزال الكامل عن التاريخ والتراث والمقومات الإسلامية . ثالثاً خلق وجود معاصر منفصل تماماً عن الإسلام وعن العالم الإسلامى متصل بالغرب مندغم في تفسيراته وقيمه وطوايعه . وقد غاب عن الذين طرحوا النظرية الغربية في القومية ، أن هناك عاملاً ضخماً لا سبيل إلى تجاهله أو إغفاله من أى نظرة علمية ، وذلك هو الطابع الفكرى العميق الذى صاغه الإسلام للتشكل العربى ، في أولى مراحل وجود العرب كأمة ، بعد أن كانوا مجموعة من القبائل المتصارعة ، وأن هذا الطابع قد أقام حداً فاصلاً عميقاً (فكرياً وسياسياً واجتماعياً) بين ماضى العرب والمصريين والشاميين والعراقيين والمغاربة جميعاً ، وكل من عاش في هذا العالم الممتد ، الذى سيطر عليه الإسلام وشكله الفكر الإسلامى ، وخاصة تلك المنطقة التى تعربت وأصبحت تسمى مجال العروبة ، وأنه لا سبيل إلى إعادة هذه الأمم إلى ماضيها القديم ، بعد أن نقلها الإسلام ، تلك النقلة الواسعة من الأساطير والوثنيات والعصبية والصراع الفكرى والفراغ الاجتماعى ، إلى ذلك الطابع المتكامل من التوحيد والعدل والحق والمقومات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية الواضحة في ذلك النظام المحكم الذى نزل به القرآن ورفع لواءه الإسلام وفي عام ١٩٤٠ تقريباً بدأت عملية طرح النظرية الغربية في القوميات وظهرت أقلام تتحدث عن فلسفة القوميات ، وتشكلت هذه الفلسفة على

هيئة مؤسسات وأحزاب ومدارس فكرية ، وبدأت نقطة إنطلاقها من لبنان ومن خلال خريجي معاهد الإرساليات ، والعائدين من بعثات تعليمية أجنبية ، واتخذ بعضهم الأسلوب المجنح الحالم الصوفي ، الذى يحاول أن يعطى كلمة القومية العربية مفهوم العفيدة الدينية ، ويروج لها فى إطار من الزامير والموسيقى والأنشيد والتراتيل ، على نحو يؤثر فى نفوس الشباب الطامح المشرق حماسة ، إلى مثل أعلى وفكرة ومنهج حياة . وقد شاء أصحاب الدعوة ، أن يرجعوا التاريخ المكتوب الذى عاشته العروبة فى كنف الإسلام ، أن يرجعوه القهقري من جديد ، ليدخلوا فيه كلمة القومية التى لم يكن يعرفها ، والتى لم تجر على الألسنة والأقلام إلا فى أوائل هذا القرن الميلادى ، والتى ينذر أن يوجد نص مكتوب لأديب أو مفكر أو شاعر يتخذ من كلمة (ق و م) شعاراً له أو منطلقاً فى قصيدة أو مقال أو كتاب . ذلك أن أصحاب هذه الدعوة لم يكفهم أن يقولوا كلمتهم اليوم ، ولكنهم حاولوا أن يقدموا لها تاريخاً طويلاً بعيد المدى ، يسبق ظهور الإسلام ويمتد بعده ، ولا شك أن تلك المحاولة كانت باطلة وزائفة ذلك لأنه لم يكن هناك إلا تاريخ واحد ، هو تاريخ الأمة الإسلامية ، والعرب جزء منه ، ولم يكن هناك ما يفرق بين العرب والمسلمين خلال ذلك التاريخ ، الذى كان العرب والترك والفرس والهنود فيه كلا متكاملًا . ولا ريب أن تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً قومياً ، كان مضللاً وكاذباً ، حيث لم يكن هناك انفصال بين الإسلام والعروبة إلا بعد الاحتلال الأجنبى وانفصال الدولة العثمانية عن العرب . كذلك فقد كان هدف دعاة القومية أن يفصلوا العرب عن الفكر الإسلامى ، وعن الامتداد الإسلامى ، وأن يخلقوا كياناً عربياً جاهلياً يعود بالعرب إلى كنعان وعدنان وادم ، وإحياء هذا التراث القديم ، بعد أن سيطر الفكر الإسلامى أربعة عشر قرناً كاملة على عالم الاسلام الواسع ، واستوعب فى أعماقه كل فكرة صائبة ونظرة صالحة من ذلك التراث القديم وإذا كانت بعض الظروف قد أفسحت المجال لطرح النظرية القومية الوافدة حيناً ، فإنها لم تلبث أن تكشف فسادها وغرابتها على الروح الإسلامية وأنها ليست منبعثة من وجودنا ، وليست تمثل فكرنا أو كياننا أو جوهر قيمنا . وأن أخطر ما وقع فيه هؤلاء الدعاة جميعاً ، أنهم صلدوا عن مفهوم وافد تشكل فى إطار المجتمع الغربى ، وواجهه المسيحية الغربية ، وفاتهم اختلاف العلاقة بين العرب والمسلمين ، وبين مفهوم الإسلام كعقيدة تختلف عن المسيحية ، فى أنها ليست نظرية لاهوتية أو علاقة بين الله تبارك وتعالى والفرد . ولا صلة لها بأنظمة المجتمع وفاتهم أن الإسلام عقيدة ومنهج حياة ولأن القائمين بالدعوة

كانوا غزبي الفكر ، فقد فاتهم فهم حقيقة الإسلام الجامعة بين الدين والدولة ، وبين الدين والمجتمع ، وأنه حضارة وثقافة ومنهج حياة . وبالجمله فان دعاة القومية الوافدة قد جانبوا الأضالة والفهم العميق للإسلام والعروبة ، وكانت محاولتهم في فرض مفهوم غريب دخيل وافد ، ومحاولة مبتسرة ، شأنها شأن المحاولات التي فرضت على الفكر الإسلامي من قبل ومن بعد ، وقد أعلنت جميعها فشلها الكامل ، كالديمقراطية والاشتراكية والوجودية وغيرها . ويصدق في هذا دارسان غريبان أولهما : « أرنولد توينبي » الذي يقول في كتابه : « المسيحية بين أديان العالم » أن الشيوعية والقومية هما العدوين للأديان ، إذ هما شكلان مختلفان لموضوع فاسد ، ألا وهو عبادة الإنسان لنفسه . ويقول ألفريد كانتول سميث : « إن القومية المجردة ليست هي القاعدة الملائمة للنهوض والبناء وما لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه فلن تثمر الجهود ، وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على ذلك » . بل أن مستشرقاً آخر ينصح قومه بالتخلي عن طرح هذه النظرية لفسادها ذلك هو « ألبرت جوراني » الذي يقول : « ليست القومية نظاماً فكرياً متكاملًا ، ولكنها نقطة بداية لتنظيم المجتمعات المتحدة ، فإن الشرق العربي قد وصل إلى مرحلة ما بعد القومية » وهذه حقيقة فإن السنوات الأخيرة قد كشفت عن فساد منطلق القومية ، وعجزها عن أن تحقق شيئاً ، بل أنها قد سجلت على نفسها ذلك الأثر السيء العميق ، الذي أخر نمو الوحدة الإسلامية ، التي هي الطريق الأصيل للإلتقاء الجامع ، تحت لواء العقيدة والمنهج ، وقد تبين أن القومية « أيديولوجية غربية كانت في انبعاثها في الغرب تستهدف تحطيم الوحدة المسيحية الجامعة ، التي كانت تشكل إطاراً عاماً في الغرب ضد اليهودية ، التي كانت تعيش في أحياء الجيتو دون أن تختلط بالحياة الاجتماعية الغربية ، وقد رأت الدوائر الأجنبية التي طرحتها في أفق العالم الإسلامي أن تمزق وحدة العالم الإسلامي . ولقد كانت القومية الطورانية ، قومية لا دينية حمل لوائها ضيائاً كوكباً ألب وأحمد أغاديف ويوسف أشقورا ، وكانت تدعو إلى أمجاد طوران ، كما ظهرت القومية الفارسية ، لتعظم أمجاد فارس قبل الإسلام والسير على خط كورش « كورش » أما القومية العربية فقد قادها لورنس عميل المخابرات البريطانية والصهيونية معاً ، وأسلمها إلى مجموعة من دعاة التغريب وتلاميذ الاتحاد والترقي العرب . وكان كتابها ودعائها يحملون العداء لكل ما هو إسلامي ، وقد اختلفوا في كل شيء ، واتفقوا على شيء واحد هو رفض الإسلام ، عقيدة وتاريخاً وحضارة ، وأعلنوا غدواتهم للتراث والأمجاد التاريخية وللنصحي ،

وحين أعلنوا أن مقومات القومية هي اللغة والتاريخ فاتهم أن اللغة هي الفسك لا اللفظ، وأن التاريخ لا يفصل بين العروبة والإسلام وأن الإسلام جنسية ووطن بكل معنى الكلمة لها ركائزها من اللغة والمشاعر المشتركة ووحدة الهدف . وأن الإسلام هو الذى حمى الوطن العربى من الصليبيين ، بعد أن أقاموا أربع إمارات صليبية لهم على ساحل الشام ، فجاء صلاح الدين المسلم الكردى لينشل العروبة من رقبتها ، وقد أكمل هذا الدور قطز وبيبرس ، وهما من المسلمين لا من العرب ، لقد جاء بعد صلاح الدين الكردى ، المماليك الذين حموا الأرض العربية من التتار وقضوا على بقية معاقل الصليبيين . وفى الجزائر التى وصفها الفرنسيون بأنها فرنسا الجنوبية ، كان الإسلام : وليست اللغة العربية هي التى حمت الأمة مائة وثلاثين عاماً بعد أن تحطمت اللغة والثقافة ، ولولا القرآن ما كانت هناك قوة فى الأرض تستطيع أن تحمى اللغة العربية الجزائرية بعد أن ظلت تتعرض لحرب منظمة مدى قرن وربع قرن من الزمان . ولا ريب أنه حيث يسقط الإسلام يسقط العرب ، وأن العرب بغير الإسلام لا شيء ، فهو الذى شكلهم وأقامهم كأمة ، وهو الذى رفع أعلامهم على مشارف القارات الثلاث . ولا ريب أن نظام الإسلام قد كون رجالاً عرباً وعجماً تكويناً نفسياً وعقلياً فصودروا عن حركتهم التاريخية ، عن هداه وسننه ، وحيث لم يناقض الإسلام المقومات الجنسية ، لكل أمة وشخصيتها النابعة من التطورات المختلفة عبر القرون ، بل حافظ على الكيان الخاص لكل بنية . ولا ريب أن التفسير القوى جزئى وناقص ، ومناقض للحقيقة التاريخية الجامعة ، ومناقض فى نفس الوقت لعموم الرسالة التى لا تعترف بالحركات القومية الضيقة الأفق ، ولا ريب أن الإسلام يمكنه أن يظل حياً بدون العروبة ولكن العروبة وحدها عاجزة عن إثبات وجودها ، ومعنى هذا أن الإسلام قوة دافعة للعروبة وليس منضمماً لها ، بل هو سبب قوتها وتماسكها وبقائها ، وليس حرباً عليها ، وأن أى محاولة للفصل بينهما ، يسيء إلى العروبة أكثر مما يسيء إلى الإسلام . وقد شرف الله تبارك وتعالى أرض العروبة فجعلها منزلاً لروحيه وقرآنه ومنبتاً لخاتم رسله ، وقد امتزجت العروبة بالإسلام امتزاجاً قوياً ، جعل غير العرب ينظرون على أنهم شيء واحد ، وقد وقف القرآن الكريم سداً منيعاً لحماية اللغة العربية من الذوبان والانصهار فى اللهجات . ولقد كانت كل مشروعات تبسيط اللغة العربية تهدف إلى القضاء على القرآن ، بينهما وقف القرآن سداً منيعاً مستعصياً على التحريف والتصحيف وفى مراجعة مع السيد « محب الدين الخطيب » رحمه الله ، حول مفهوم العروبة أبان حركتهم بعد

الحرب الأولى قال : إن مفهوم العروبة ومفهوم الإسلام لم يكونا منفصلين وكانت العروبة تعنى ارتباطها بالإسلام ولا تنفك عنه ، ومفهوم الإسلام أنه قام ويقوم بالأمة العربية ، ولذلك فإن الحركة العربية الأولى لم تكن منفصلة عن أرضية الفكر الإسلامى ، وإنما كانت حلقة من حلقاته ، وإذا كان دعاة الفكر الإسلامى قد عملوا فى جانب العروبة فى هذه الفترة ، أى بعد الحرب العالمية الأولى ، فمعنى هذا أنها قد أصبحت هى القلعة التى جرى من خلالها العمل لمقاومة الاستعمار والنفوذ الغربى وحركة التغريب والغزو الثقافى . وقد حرص المسلمون على الربط بين مصر العربية ومصر الإسلامية وكانت لهم فى ذلك نظرية دقيقة واضحة أما الفرعونية والفينيقية والبربرية فقد كشفت الأبحاث من بعد أنها فروع من العروبة وأنه لا تضارب بينها ، فهى موجات خرجت من الجزيرة العربية ، واستقرت هنا وهناك على طول الأرض العربية وعرضها ، وأن محاولة الاستعمار فى استخدامها للتفريق كانت باطلة ويصور هذه المرحلة الاستاذ « ادريس الكتانى » فى بحث مطول فيقول : « أنها كانت تجربة مرة عاشها العرب منذ الحرب العالمية الأولى ، وتمثلت فى اتجاه كثير من الزعماء والأحزاب ، لدوافع وأسباب مختلفة لخلق إطار موحد للعمل يكون أساساً للنهضة العربية ، ويجمع شمل الأمة العربية ، وقد قبل العرب هذا الإطار باعتباره مجرد غطاء خارجى له محتوى أساسى هو الإسلام ، ولكن هذا الاتجاه تطور فيما بعد ليجعل « الغطاء » يحل محل المحتوى ، وبدأ الناس يبحثون عن فلسفة خاصة ، وهكذا أصبحنا نحن الذين أيدنا (القومية العربية) نراها تتحول إلى المذهب ورغم أنها لم تتمتع بالتأييد لزمناً أطول ، ولو أنها استطاعت أن تحقق أقل قدر من النجاح لأثبتت أصالة بنائها ، وأنها قامت على أرض صلبة لا على كثران من الرمال ، ولقد عجز مذهب القومية أن يخلق فى نفوس أصحابه شيئاً من هذا الإيمان أو قليلاً من التضحية . هذه الوحدة العربية لم تتحقق حتى بين دعائها وأنصارها الذين اتخذوها شعاراً لهم ، ولم تتحقق شيئاً للعرب المؤمنين بها ، ومعنى هذا أن تجربة هذا المذهب تكون قد استنفذت غرضها ، بعد أن أدى العرب ثمن فشلها غالباً ، وینفتح الباب أمام الإسلام من جديد برجال جدد من العرب أنفسهم ، ويمضى العرب إلى تحقيق وحدتهم ولكن باسم العقيدة التى وحدتهم أول مرة ، وباسم العقيدة سيواصلون معركتهم على واجهتين : ضد التخلف داخل الوطن الأكبر ، وصد الاستعمار والصهيونية فى كل مكان فى الأرض وعندئذ يكون عصر البقطة الإسلامية قد انتهى ، ويبدأ فجر النهضة وتشرق شمس الإسلام من جديد على العالم . »

وقال : « ان هناك مراحل قطعها الاستعمار والتغريب فى تعويق الانتقال من البقطة إلى

النهضة : منها الاقليمية والقومية والماركسية والقانون الوضعي والنظام السياسى الغربى والتعليم بمناهج الغرب العلمانية ، ومحاولات تخذيل الفصحى لغة القرآن . ولقد سقطت تلك لمحاولات ، التى كانت تجعل القومية بديلا عن دين الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانها أرادت أن تفرغ العروبة من محتواها الإسلامى « أمة وعقيدة » وأرادت أن تقيم قومية حاقدة منفصلة مغلقة عن أرض الإسلام كما هى مغلقة عن قيم الإسلام نفسه ، فيها المفهوم المادى الوثنى ، وفيها أحقاد الأمم ، حيث أن مفهوم الإسلام لا يفصل بين الدين والدولة ، ولا يعرف حكومة إلهية ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر والعرق وبالجملته فان الفكرة القومية كانت تياراً من تيارات الغزو الثقافى ، استحدثت أساليبه بعد أن سقطت دعوى الوطنيات والاقليميات ، وكانت مهمته تفرغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامى ، وإحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته . واستبدال رابطة أخرى برابطته ، لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلاً نهائياً ، بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأى شعب من الشعوب الأخرى التى تدين بالوثنية والماركسية وبذلك تنسف الجسور التى تصل بين الشعوب الإسلامية . ولقد كان طرح فكرة القومية العربية عاملاً للتمهيد لطرح فكرة القومية الصهيونية وسبجاً لظهور دعوة إلى القومية الكردية وغيرها من قوميات ، وكان أخطر ما هنالك محاولة دعاة القومية إلى إيجاد منهج أشبه بالدين يحل محل الإسلام ، وتلك دعوته إلى إيجاد نظام نظرى شامل يستوعب الحياة الإنسانية بأكملها ، فلا يخرج عن دائرته قطاع ما من قطاعات الوجوه البشرى ، وصياغة عقيدة قومية كلية تضاهى فى كليتها وشمولها الفكرة الشيوعية ، أى أن الهدف الحقيقى هو إحلال القومية محل الإسلام وأن يصبح العرب بين خيارين : أما الشيوعية أو القومية المادية الوثنية ، وكأنما أبعد الحق الأصيل وهو الإسلام الذى يحمل المنهج الأصيل ، والذى يقاوم زيف الشيوعية والذى تعجز القومية مهما أوتيت من قوة أن تحققه وهى تركيب مفتعل معارض للطرة الانسانية ، مجاف لطبيعة الحياة وقد سموها هذا الخليط الزائف (عقيدة قومية) . هل استطاعت الفكرة القومية الوافدة أن تحتوى مفهوم العروبة والإسلام ؟ ؟ والواقع أن مضمون الفكرة القومية عند أمم الغرب كانت على الدوام مقترنة بفكرة التفوق الشعبى واحتقار الأمم الأخرى ، وهو معنى لا يقره أى مسلم أو يرضاه ، كذلك فقد عارضت الفكرة القومية الوافدة مفهوم الإسلام ، واعتبرته ديناً لاهوتياً - وهو ليس كذلك - بل هو منهج

حياة ونظام مجتمع ، ولقد كشفت الدراسات عن أن نظرية القومية الغربية هي دعوة عنصرية تستهدف قطع الروابط والصلات الجامعة بين المسلمين ، وتفریق الأمة الإسلامية إلى كيانات فضلا عن عملهم في عزل العرب عن التاريخ الإسلامي ببطولاته ومواقفه ، وحصرها في التاريخ الاقليمي ، وكذلك عزل الأدب العربي الحديث عن الأدب الإسلامي ، وفرض مناهج التفكير الغربي في السياسة والاقتصاد والقانون والتربية وهذه كلها محاولات تستهدف تفریغ العرب من إسلامهم ، ولقد سقطت هذه المحاولات سقوطاً تاماً ، وتنبه العرب إلى أهداف المؤامرة ، ويكفيهم أن مفكری الغرب قد كشفوا هدفها وزيف وجهتها .

ثالثاً - حركة تحرير المرأة

إستهدفت حركة تحرير المرأة - التي حمل لواءها إتباع النفوذ الاستعماري في العالم الإسلامي - تحقيق مجموعة من الأهداف الخطيرة ، ترمي إلى هدم الأسرة وتدمير المجتمع ، ودفع المرأة إلى أن تكون أداة للأهواء والرغبات ، وإخراج المرأة عن مكانتها ورسالتها ، وتحطيم القيم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية في شأن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وبين الأجيال المتتابعة وبين الشباب والفتيات بل إن دراسة مستوعبة لأهداف هذه الحركة لتكشف في وضوح أن كل مقدرات النفوذ الأجنبي في هدم المجتمع الإسلامي ، إنما تركز في العمل وراء هذا المخطط الذي يتخذ أسماء لاهماً براقاً من أسماء الأضواء . وذلك أن الهدف من تحرير المرأة في مفهوم المخططات الغازية إنما يرمى في الحقيقة إلى استعباد المرأة وتدمير وجودها الشخصي وكيانها النفسي والاجتماعي ، وتحويلها إلى أمة بعد أن حررها الإسلام ، وأعطاها حقوقها السياسية والاجتماعية والمالية ، على نحو لم تعرفه القوانين والشرائع القديمة والحديثة ، ولما تصل إليه بعد وقد حملت رياح السموم معها مفاهيم كثيرة مغلوطة وفاسدة في شأن علاقة المرأة بالرجل والمجتمع والأسرة والنسل ، أريد بها تحويل المرأة عن طبيعتها فطرتها ورسالتها ودفعها إلى طريق مظلم مضلل وخاصة فيما يتعلق بالمساواة بين الرجل والمرأة ، والقوامة والاختلاط والأمومة واللباس والعمل . ولما كانت هذه المفاهيم الخاطئة ، قد انطلقت سنوات طويلة من العبث من خلال القصة والمسرحية ، ومن خلال الإذاعة والصحافة فقد خلعت الكثيرين والكثيرات حتى ظن القوم إنها مسلمات وحقائق ، ومن هنا نرى تلك المحاولة الضخمة في معارضة العودة إلى الفطرة وإلى المفاهيم الأصلية ، توجهها قوى أجنبية تحاول أن تجند لها

قيادات مضللة ، تستمد توجيهها من خارج نطاق العالم الإسلامى : من القوى الاستعمارية والصهيونية والشيوعية التى تعول كثيراً على حركة تحرير المرأة ، وترى فيها ركيزة خطيرة لتدمير المجتمع الإسلامى وأهدافه ومن العجب أن تقود مظاهرات معارضة عودة المرأة إلى الأضالة نساء لسن مسلمات ولا يعرفن مسئولية المجتمع الإسلامى ولا مفاهيم دينه ، وهم يعرفون أن تجربتهم فى العرب قد فشلت ولكنهم مصممون على تدمير المجتمع المسلم . ولعل أخطر ما تواجهه المرأة اليوم فى البلاد العربية والإسلامية : تلك المحاولة التى ترى إلى كسر الحاجز بينها وبين الرجل : حاجز العرض والعفة والخلق الذى يحمى من السقوط والانهار . إن هناك محاولات ضخمة من خلال المسرح والسينما والقصص ، والكتاب النسائيين ، تهدف كلها إلى تحطيم هذا الحاجز حتى تسقط الأسرة وتتحطم الأمومة ، وينتشر طابع الخيانة الزوجية - على أساس أنه عرف من أعراف المجتمع - ولا ريب أن المرأة المسلمة اليوم ، التى عرفت حقها فى القرآن ورسالتها فى الإسلام ، يجب أن تعرف أبعاد هذه المؤامرة حتى لا تخدع بمعسول الكلام ولعل أول ما يقدم لها فى هذا الشأن هو تجربة المرأة الغربية نفسها ، فى مجتمعها المعاصر ، وهى تجربة قاسية عيفة ، بعد أن انحرفت الحضارة الغربية بالمرأة إنحرافاً طائشاً عن المسار الحضارى السليم ، حتى وصفت بأنها تقوم بعملية إنتحار حقيقة ، وقد أكد علماء الغرب المنصفون أن إنفاذ المجتمع لا يتم إلا بالقضاء على أسباب الانحراف ، التى أدت إليها هذه الفاجعة وتبدو عوامل الانحراف فى الظواهر الآتية : (١) إنتشار أقرص منع الحمل دون رقابة ، أدى إلى إنتشار الصلات الجنسية المحرمة (الزنا) دون تحفظ ولا خوف ، فتزعزعت أركان الأسرة ولم تعد فتاة الحضارة الغربية - ومثلها الشباب - ترى أن فى الزواج وتكوين الأسرة ضرورة إجتماعية . (٢) إنتشار ظاهرة الهيبية والخنفسة وانتشار الأزياء القصيرة الفاضحة والساح دون تحفظ بالمزيد من الإباحية فى السينما والمسرح والصحافة . (٣) إنتشار المخدرات بجميع أنواعها وأشكالها ، أدى إلى تورط شباب الحضارة الغربية وفتياتها فى الجريمة والإباحية وأدى إلى فقدان الثقة بالمثل والأخلاق ، فأصبحوا يجاهرون بل يفاخرون بمعاودة المجتمع والقانون . وقد أعلن البروفسور « يواكيم هاتيه » بأن الأمراض الجنسية قد زادت حوالى خمسين فى المائة فى المجتمعات الغربية عما كانت عليه قبل عشر سنين ، وأن ٧٠ مليون مصاب بالسليلان القيقحى بين ذكر وأنثى فى الدول الغربية المتقدمة ، هذا فضلاً عن إنتشار الأمراض الجنسية بين طلاب وطالبات المدارس المختلفة كذلك أشارت

الأبحاث إلى أطفال القرن العشرين البؤساء الذين هجرتهم أمهاتهم ، وأضافت إلى الحجر عقوبة أخرى هي اليتيم ، وما دام الطفل محروماً من أمه فهو طفل يتيم ، ولا يمكن أن يعوضه عن افتقاد الأم أية أم أخرى صناعية أو مستعارة ، كذلك كان أطفال العصر الذين خرجت أمهاتهم للعمل أقرب إلى اللقطاء ، واليتامى ، فالأم تريد بعد العمل أن تتفرغ للهوها ولذلك فقد ألقت الأبناء في أحضان الخادومات الجاهلات القاسيات أو دور الحضانة التي أصبحت مهنة تجارية رابحة وليست دوراً للتربية . بل إن التجربة الغربية التي يجب أن توضع أمام المرأة المسلمة قد وصلت إلى أقصى من ذلك ، فقد أشار تقرير عصبة الأمم ١٩٢٧ ، إلى أن هناك طائفة من الفتيات يجد سمسرة الأعراض بينهن مورداً عظيماً لا ينضب ، وهذه الطائفة من الممثلات والراقصات وفتيات المسارح والحانات وأمثالهن . ومما يدعو إلى الأسف أن كثيراً من مديري تلك المسارح والحانات ، يشترطون في الفتيات اللاتي يستخدمنهن . أن لا يرفضن بيع أعراضهن إذا طُلب منهن ذلك ، وهذه هي الصورة الغربية التي يجب أن تكون أمام المرأة المسلمة ، وهي تقرر موقفها من هذه الحركة الضالة التي تقودها القوى الأجنبية في بلادنا ، ولقد كانت حركة تحرير المرأة في أوائل هذا القرن مؤامرة خطيرة استهدفت - كما وصفها الأستاذ محمد فريد وجدي - تدهوراً مروعاً في الآداب العامة وانتشاراً مفرعاً لمبدأ العزوبة وأصبحت جلسات المحاكم غاصة بقضايا هنك الأعراض ، وهرب الشابات من دور أهلن وقد أعلنت الدكتورة بنت الشاطيء ما تكشف عنه حركة تحرير المرأة مما أسمته « مهزلة أليمة موجعة » تلك هي : « أن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم ، وهم يوهموننا أننا نعمل ويعملون معنا لحسابنا ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم ، ولكنهم كذبوا في هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السامة والضجر في دنياهم . إن أقصى ما نلقاه في محنتنا هو شعورنا بما انكشف من ضعف الرجال وصغارهم ، ونحن شقيات بذلك ، فكان منه مرارة موجعة وأشارت الدكتورة عائشة إلى هذا الانحراف فقالت : « إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للتطور ، ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا ، وأعني به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي ، وترفعها عن التفرغ لما تسميه « خدمة البيوت وتربية الاولاد » ، ذلك لان الأمة لم تخرج فتياتها من دورهن لتسد بهن فراغاً كانت تشكوه في ميادين الاعمال ، وإنما أرادت أن يجد فيهن الأمهات المستنيرات الشغقات قدوة وهاهي اليوم ترى البيوت منهن مقفرة خلاء ، أما الأبناء

فتركوا للخدم ، وبلغ سوء ما وصلت إليه الحال : أن نادى مناديات بحذف نون النسوة من اللغة ، كأنما الانوثة نقص ومذلة وعار وأهدار الاعتراف بالأمة كعمل من الاعمال الاصلية لنا ، حتى سمعنا من يسال : كيف تعيش أمة برئة معطلة ؟ يقصد بالبرئة المعطلة : هؤلاء الباقيات فى بيوتهن يرعين الاولاد ، وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها فى البيت ووظيفتها فى الخارج . وقد كشف الكثيرون عن أن هذه الحركة النسوية ، ما هى إلا مناورات مضللة ، وقال الشيخ محمود أبو العيون رحمه الله : إن المرأة فهمت الحرية فهماً معكوساً ، وفى ظل الحرية الزائفة تحررت المرأة من الآداب والاخلاق ، ورأت فيها قيوداً يجب تحطيمها وفى ظل هذه الحرية الزائفة داست المرأة أقدم واجباتها كزوجة وأم وربة منزل ، فتهدمت تلك الأصول الثلاثة التى تبنى عليها حياة الاسرة وسعادة المجتمع . وقالت السيدة لبية هاشم : أو لسا نرى عيوب المدنية الأوربية بدأت تجر أذيالها ، فتكنس آثار الحشمة فى طريقنا ، أو لسا نشعر بربحها السموم تهب من الغرب فتلدروا فى عيوننا رماداً تعمى به أبصارنا ، ما أهمية الشعر مجزوراً أو مترسلاً أو معقوصاً أو مضافوراً ، إذا كانت الرأس لا تحوى عقلاً وعلماً بل إن قاسم أمين نفسه بعد أن كتب كتابه تحرير المرأة والمرأة الجديدة ، قد غير رأيه إذ رأى النتائج العكسية لما دعا إليه ، فقال فى تصريح نشرته جريدة الظاهر (١ أكتوبر ١٩٠٦) لقد كنت أدعو إلى إقتفاء أثر الترك بل الأفرنج فى تحرير نساءهم ، وغاليت فى هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق الحجاب وإلى إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائهم وولكننى أدركت الآن خطر هذه الدعوة ، بما اختبرته من أخلاق الناس ، فلقد تبعت خطوات النساء فى كثير من الأحياء ، لأعرف درجة إحترام الناس لهن ، فرأيت من فساد أخلاق الرجال - بكل أسف - ما حمدت الله على ما خذل من دعوى ، واستنفر الناس إلى معارضتى ، لهذا لا أجده الوقت مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصده من قبل . وهذا كله يعنى فساد هذه الدعوة التى أشعلها الاستعمار ليكسب من وراءها تدمير المجتمع الإسلامى ، والسير بها إلى الغايات التى يرجوها وآية ذلك أن تعلم الفتاة المسلمة ما زال ناقصاً ومبتوراً ، ولا تجنى منه الفتاة إلا غروراً وزهواً ، وأنه فشل فشلاً تاماً فى تخريج زوجة صالحة ، تدبر شئون بيتها وتربى أطفالها ، بل إنه لم يعلمها ما هى رسالتها الحقيقية فى المجتمع . وقد استتبع الخطأ الواحد عدة أخطاء : إستتبع تلك الحركة الضالة التى استهدفت المساواة والإختلاط ، والاستهانة بمسئولية المرأة ومهمتها الأساسية ، ودفعها إلى مجال الأهواء .

فقد فتحت لها بيوت الأزياء وأعدت لها وسائل الزينة والإغراء والدعاية ، وقام على ذلك كله اليهود ، وخصوصاً الإسلام ، وكان وراء هذه الدور غابات خبيثة وما تزال المرأة سلعة يلعب بها يهود العالم وقد جعلوها وسيلة للكسب والدعاية ، واقتحمت موضات اللباس المختلفة كل البلاد ، وفرضت نفسها على المجتمعات الإسلامية . بل إن بعض الاقطار الإسلامية خضعت في قوانين الطلاق لغايات من قوانين كنسية لا إسلامية ، حدث هذا في الوقت الذي تراجعت فيه الكنسية عن الزواج الكاثوليكي ، أى عن منع الطلاق تحت ضغط الحاجة ، وفي إيطاليا قلعة الكاثوليك أقر برلمانها إباحة الطلاق ، وما أن صدر القانون حتى جوبت المحاكم بمليون طلب طلاق وما زال المسلمون يخضعون لمؤامرات الغرب في تحديد النسل ، بينما رفضت الكنيسة ، وما زال أسلوب تعليم المرأة وتربيتها خاضعاً وتابعاً للأساليب الغربية وسيظل تعليم المرأة المسلمة عبثاً ما لم يهدف إلى أمور ثلاثة ١- تربية أنوثتها فهي هبة الله الكبرى . ٢- تربية أمومتها فهي جوهر ذاتيتها / ٣- تربية ذوقها فهو مفتاح شخصيتها . لقد أعطى الإسلام للمرأة المسلمة منذ بزغ فجره حرية وكرامة ، ومساواة لم تمنحها لها أية حضارة أو شريعة سابقة عليه ، فجعل لها حق الامتلاك والتصرف والبيع تصرفاً مستقلاً عن الرجل ، وجعل لها حق العلم فريضة ، وأتاح لها أن تعمل في مجال التربية والتطبيب ما تشاء ، ما دامت تحفظ شخصيتها ودينها وكيانها ، وقد أحاط الإسلام رسالتها الأساسية وعملها كله بقيم أساسية عامة ، في مجال الأخلاق والذين ، تجرى من خلالها حركة المرأة في قدر كبير من التحوط لها ، والمحافظة عليها ورفعها إلى مجال الكرامة والكمال ، وحماية لها من ذوى الأغراض والأهواء وأبرز ما يوصى به الإسلام ودعا إليه المرأة ، هو المحافظة على ذاتها وعرضها ، وصونه عن غير من هو أحق به حلالاً وهو الزوج ، والكرامة في إبداء الزينة لهذا الرجل المصاحب في الحياة بحق الشرع ، فليس لغيره أن يطلع على زينة المرأة أو جمالها ، أما بالنسبة للناس جميعاً فإن كرامتها تقتضيها أن تواجههم في ملابس لا تشف ولا تكشف ولا تصف ، إيماناً بأنها ليست أداة من أدوات الزينة ، أو المتعة لكل الناس ، وليست معرضاً للأزياء أو مصداً من مصادر الترف لكل ناظر ، وهكذا حفظ لها الإسلام كرامتها في مواجهة الناس ، فهي حين تلقاهم تلقاهم في سمت كريم ، ولغة واضحة « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً » (الأحزاب) ومشاركة في العمل قوامها العقل والفهم والنوق ، وليس قوامها الإغراء بالملبس المكشوف أو الكلمة الرخية . ومن حق المرأة أن تعرف حق ربها

عليها ، وحق زوجها وحق أهلها فتؤدي هذه الحقوق بالصلاة والصدقة والسؤال والزيارة ومن حق المرأة أن تثقف نفسها ثقافة نسوية خاصة وثقافة علمية عامة فلها مجال في الثقافة بالإضافة إلى المجال العام، يكشف عن دورها في بناء الأسرة وتربية الطفل ورعاية الزوج، والقيام على مختلف الشئون المنزلية أداءً أو إشرافاً على من يؤديها . ومن حيث يريد الإسلام لها من حقوق وواجبات ومجال عمل طرق حياة ، إنما يريد أن يحررها عن أن تكون أمة أو عبدة أو أداة للرجل ، على النحو الذي يفهم في ظل الحضارات الوثنية القديمة ، أو الذي تحاول أن تصوره الحضارة الحديثة ، فالرجل لا يعجب إلا بالفتاة ذات الكرامة والاستعلاء عن الأهواء ، الفتاة التي تعرف واجبها وحق الله عليها ، وحين تعتصم الفتاة بالإيمان والكرامة وسلامة الشخصية ، إنما تدفع عنها كثيراً مما يواجهها في الحياة اليوم من أخطار وأسوأ . فالتعليم وحق المرأة في العمل موجودان في الإسلام ، وهو الذي أهداهما إلى الحضارة الغربية أصلاً ، ومن حقها أن تمارسهما في حدود قيمنا ومفاهيمنا ، وعلى الفتاة أن تعرف واجبها كاملاً وأن تسترشد فيه بهدى النماذج الكريمة التي قدمها تاريخ الإسلام للمرأة المؤمنة المجاهدة في سبيل الله ، بانية الشباب الكريم النافع وصانعة الحياة الطيبة ، ومؤازرة الرجل في عمله ومشاقه ، مرتفعة فوق مطامع الناس وأهواء المجتمعات ومحاولات الذين يريدونها رقيقاً من حيث جعلها الله ذات سيادة وكرامة . ولقد شاء الله تبارك وتعالى للجنسين أن يعملوا ويعمرا الحياة ، وقسم بينهما الأعمال تقسيماً يصلح لشخصيته وطبيعته ، لتكوين كل منهما ، الدور الذي يقوم به ، وجعل من حق المرأة العمل بحيث لا يتعارض مع تنشئة الأبناء والحفاظ على كيان الأسرة ، فإذا تعرض بناء الأسرة للخطر . كان على المرأة أن تحفظه وأن تتنازل عن حقها في العمل الخارجي الذي يمكن أن يؤديه غيرها والمرأة المسلمة بعامة إنما تستمد مصادر نهضتها من خلال القيم الأساسية التي رسمها الإسلام والقرآن ، وطبقها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، بما يفتح لها طريق الكرامة وحسن الخلق ، وبناء شخصية المرأة على أساس من الإيمان والقدوة الحسنة والتربية العملية بما يحررها من أقصى قيد يحاول النفوذ الأجنبي أن يوقعها فيه ، وهو قيد (الاستعباد) والعودة إلى حياة الأماء والعبودية لشهوات الرجل بأن تكون أداة للأهواء الجامحة التي تريد أن تدمر المجتمع الإسلامي ، فليست المرأة أداة ولا متعة ولا صنعة أهواء الرجال ، وإنما هي شخصية كاملة عالمية الكرامة ، لها رسالتها ودورها ومهمتها ولنذكر أن المرأة المسلمة على طوال تاريخ الإسلام كانت تعمل وهي تحمل معها قيم الإسلام ،

ولم تنخل عنها وبذلك استطاعت أن ترسم صورة شريفة لدور المرأة في بناء الحياة الإنسانية. هذه أمانة الفكر الإسلامى إلى ذات الرداء الأبيض اليوم ، ونحن نشاهد هذه النهضة الجديدة التى تقوم على أساس التماس المرأة المسلمة لمفهوم الإسلام الحقيقى ، لقد كشفت الدراسات الجادة عن مآخذ إجتماعية خطيرة فى حياة المرأة العربية والمسلمة ترجع إلى الثقافة الوافدة التى تعارض مفهوم الإسلام الأصيل فالمرأة العربية والمسلمة تتأسى بصورة المرأة فى كتاب ألف ليلة وليلة الدخيل والزائف ، وتجعل من صورتها فيه نموذجاً لها ، وهو نموذج الجارية التى لا يهتمها إلا لباسها ولا ترى فى نفسها أكثر من متعة للرجل . تعيش بغرائزها وعليها أن تكون جميلة وأن تسلى الرجل وأن تطهو له الطعام أشبه بدمية : مثلها الأعلى الأناقة المسرفة ، وبذلك جحدت عطاء ربها وجحدت المجتمع وجحدت ذاتها . ولقد ساقته المجلات - التى تسمى نفسها نسائية - إلى أن تكون أشبه بعارضة أزياء ، لا هدف لها إلا ملابسها وحقائبها وأحذيتها ، وهى قد أضعفت فيها الحدود والضوابط التى تفضل بين المرأة المؤمنة والمرأة الخليعة ، فهى لا ترى بأساً فى أغلب الأحيان من أن تحترف الغناء والتمثيل وأن تحطم نطاقها الشرعى الشريف . لقاء عطاء ماذى لا قيمة له أمام الكرامة والعرض . كذلك فهى مخدوعة بكل دعوة إلى العمل والسفر ، حتى ولو تكشف أن هذا العمل ليس إلا فى مجالات بعيدة عن العفة والكرامة تغريها على هذا أفلام لامعة ، لا تجعل لها قياساً إلا ما تحصل عليه مادياً ، مهما كان نوع العمل ومهما كان ما تتعرض له من سوء ذلك لأننا عجزنا عن أن نربي فى المرأة المسلمة الغيرة والكرامة والحفاظ على العرض ، والإرتفاع به فوق كل المغريات وكل المعطيات ومن ذلك مقياس الأجر فى موازنة تربية الطفل . فهل يمكن أن يوزن أى أجر يعطى للمرأة ، تنفق أغلبه على أزيائها وملابسها بما يفقده طفلها من رعاية ، عندما تدعه فى يد الخادومات القاسيات وهناك ظاهرة الخسارة التى تتعرض لها بلادنا ، بانفاق ملايين الدنانير كل عام ، على شراء الثياب والأحذية والعطور والمساحق وهذا باب آخر من أبواب الشر يضاف إلى الخسارة المتعددة الوجوه ، التى فتحت أبوابها فتنة تحرير المرأة . تقول الدكتورة نازك الملائكة : أن معامل الأقمشة فى الغرب المستعمر تضحك منا ، وتستعملنا نحن النساء فى ضرب الإقتصاد القومى فى العالم العربى ، ومعامل الأقمشة لا أخلاق لها وآلاتها الرهيبة بلا قيم ولا إنسانية ، إنها تريد أن تباع ، وليس يهتمها فى سبيل ذلك أن تقتل روح الإنسان وتذل كرامته ، وهذه المعامل الشريرة الجشعة هى التى تغير الأنماط كل عام فتصنع دفاتر لنماذج

جديدة ، وهو ما يسمى بالموديلات التي تغمر أسواقنا مثل مجلة (بوردة) اليهودية وسواها ، وهذه المجالات تفتك بروح المرأة فتكاً ذريعاً ، يؤدي بنا إلى الخراب الاقتصادي الأكيد فنبى تأتى بخبراء للملابس يخططون الأقمشة الجديدة فى أنماط معينة ثم تقيم معارض للأزياء ، فتأتى بفتيات جميلات تلبس هذه الملابس . وتعرض أجسادهن على العيون ، كما كانت الجوارى يعرضن فى سوق النحاسين وقد أصبحت أخيراً تغرى الإذاعات المرئية بتصوير حفلات الأزياء ونقلها ، ليراهما الملايين وينتقل الفساد إلى داخل البيت العربى نفسه . وبالجملـة فإن المرأة تنهار أمام هذا الغزو الفاضح تحت تأثير تشجيع الصحافة والإذاعة وكتاب القصص ، وكل هذا يدعو إلى التساؤل : هل خضعنا للتخطيط الوافد . الذى يدفع المرأة المسلمة إلى أن تنهار أمام الغزو الغربى المادى ، وبذلك يستقط العالم الإسلامى كله من وراء ذلك لقمة سائغة فى أيدي القوى المسيطرة على هذه الأعمال ، إن أغلب معامل العطور والمساحيق والأقمشة إنما يملكها اليهود فى الغرب . هؤلاء الذين يسعون إلى السيطرة على العالم ، ويحكمونه بعد أن يدمروا أخلاقنا ، وأسلوبهم فى السيطرة ذو شقين : أولهما : الإستيلاء على المال فى كل بلد ينزلونه . الثانى : هدم الأخلاق والقيم والمثل والمعتقدات . ولقد أشار هنرى فورد فى كتابه (اليهودى العالمى) بأن اليهود من أجل تحقيق غايتهم ، قد سيطروا على ثلاثة أشياء : البنوك للربا ، والسينا لتقديم مفاهيمهم المسمومة ، ومعامل الملابس والمساحيق والعطور ، وسواها من مستلزمات (المودة) ، فكلما غيروا الأنفاط زادوا النساء شراء وإنفاقاً ، وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق ، ويشيعون التفسخ وينشرون الشهوات ، وإنما الملابس القصيرة إبتكار يهودى فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ليزولن الحياء وتنتشر الرذيلة ويشيع الاختلاط غير البرى بين الشبان والشابات ، وتضيع طهارة الفتاة وتتهدم الأسرة وتنتشر الأمراض الجنسية ، ويبتل الأطفال وينشأ جيل ضائع موبوء مريض ، والمرأة المسلمة تسعى إلى حتفها وحتف أمتها دون أن تدرك ، وقبل أن تفيق من أحلامها وأهوائها . ومن هنا فإن على المرأة المسلمة أن تصرف عن نفسها تلك الأكاذيب المضللة التى خدعت بها ، من مثل القول بالمساواة بين الرجل والمرأة ، أو الاختلاط ، وأن تعلم أن وظيفة المرأة الأساسية هى بناء الأسرة ، وإنشاء الجيل الصالح . وإن تقدم تربية أبنائها على كل عطاء مادى ، أو عمل لا يناسبها ، ولا يحفظ كرامتها . أو ليست فى حاجة إليه ، وعليها أن تعتصم بالغيرة والمروعة ، وأن تحمى نفسها من أهواء المفسدين الذين يتاجرون بالجنس . وينشرون النساء

باستغلالهن في دور اللهو والفساد ، وأن تحرص على اللباس الكريم المحتشم ، وستر ما يجب ستره كما أن تمتنع عن التبرج أو الترجل وتقليد الرجال ، في الكلام أو المشي أو شرب السجائر ، وأن يعلمن بأن الاختلاف التكويني بين الرجل والمرأة هو خلاف بيولوجي يجعل لكل منهما وظيفة غير وظيفة الآخر . وقد أشار الدكتور أليكس كاريل : إلى أن الاختلاف بينهما ليس في الأعضاء التناسلية وحدها ، ولا في وجود الرحم والحمل بل هو اختلاف ثابت ومتميز في الأنسجة ، وتلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة ، كذلك فإن هناك خلافاً أساسياً في تكوينها العضلي ، ومن هنا فقد أخطأ الجاهلون في أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً ، أو يمنحا سلطات واحدة أو مسؤوليات متشابهة ، ولا ريب أن ما قاله كاريل ، عن الفوارق بين الرجل والمرأة من حيث التكوين العضلي والعصبي والعقلي ، إنما يؤكد ما سبق إليه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً حين قرر « وليس الذكر كالأنثى » وقوله تبارك وتعالى « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » الزخرف : ١٨ لقد دعت النساء الأوروبيات اللاتي أسلمن (استأن رابتيش إني ييزانت ، أيفلين كربلاد) المرأة المسلمة إلى الحفاظ على مهمتها ووظيفتها والحفاظ على شخصيتها . والاحتراز من أخطار الاختلاط في الوظائف والأعمال والأسواق ، وإلى الامتناع عن الأزياء غير المحتشمة ، ونعى هؤلاء عليها إنصرافها عن مسؤولياتها في تربية الأولاد ورعاية الزوج وكيف أن المرأة تتمتع في ظل الإسلام بكرامة شخصية وحقوق إنسانية لم تتحقق للنساء في أوروبا وأمريكا حتى الآن ، وأن العالم لن يجد له طرية إلا التماس مفهوم الإسلام ليخرج من أزيمته . ولكي نعرف خلفيات هذه القضية الخطيرة يجب أن نذكر شيئاً مهماً هو أن كتاباً ظهر في مصر عام ١٨٩٤ (أى بعد الإحتلال البريطاني بعام واحد لمحام مصرى موال لكرומר وللنفوذ الأجنبي يدعى « مرقص فهمى » تحت عنوان « المرأة في الشرق » صور فيه خطة الاستعمار في المطالبة بتحقيق خمسة أغراض : (١) القضاء على الحجاب الإسلامى . (٢) إباحة الإختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها . (٣) تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى . (٤) منع الزواج بأكثر من واحدة (٥) إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين . وكان هذا المخطط هو النواة للنفوذ الأجنبي الذى تدرس على ضوءه « حركة قاسم أمين » وهدى شعراوى ، ذلك أنه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض سلامتها ، فما هى هذه الخلفيات لهذا الحدث الخطير . أولاً : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام

بجريدته الصادرة في ٤ يناير ١٩٢٨ مقالا . قال فيه أن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور « المصريون » ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند إتهاماته .. فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن في صف النهضة النسائية فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة ، كما ندد بالداعيات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلي فاضل تعريضا . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلي فاضل ولها صالون يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامحين إلى تولي السلطة في مصر تحت قيادة النفوذ البريطاني وبرعاية اللورد كرومر) . ويقول داود بركات متابعاً : وقد أُشير على جريدة المقطم - وهي لسان الإنجليز في مصر ذلك الوقت - أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم في هذا الاتجاه ودفاعه عن الحجاب ، وإستنكاره اختلاط الجنسين .. ثم أوقفت الحملة بعد إتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة في دروسه في « الرواق العباسي » بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور في مراجعتها ومما أورده لطفى السيد أنه إجتمع في جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه . ثانياً : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالا في مجلة الحديث (الحلبية) عام ١٩٣٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال : « إنه ظهر كتاب للدوق داركور يطعن فيه على المصريين طعناً مرّاً ، ويخص النساء بأكبر قسط منه . إذ رماهن بالجهل وضعف مكانتهن في المجتمع . فاهتاج الشباب وتطوع قاسم أمين للرد على كتابه . ويستطرد فارس نمر يقول : وهنا أُشير لحقيقة لا يكاد يعلمها إلا نادرة في مصر . هذه الحقيقة أن كتاب قاسم أمين الذي رد فيه على « دوق داركور » لم يكن في صف النهضة النسائية التي كانت تمثلها الأميرة نازلي .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسي ، ويرفع من شأن الحجاب ، ويعده دليلا على كمال المرأة ، ويندد بالداعيات إلى السفور ، واشتراك المرأة في الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه هذا ساء ما به إخوانه من أمثال محمد المويلحي ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول .. ورأوا فيه تعريضا جارحا بالأميرة نازلي ، فتشاوروا فيما بينهم في الرد واتفقوا أخيراً أن أتولى الكتابة عن هذا الموقف وعرض فصوله وانتقاد ما جاء به خاصاً بالمرأة ، وبدأت في كتابة سلسلة مقالات عنه .. ولكن ذلك النقد

لم يرتق في نظار قضاة محكمة الإستئناف ، ورأوا فيه مساساً بهيبتهم . لأن قادم أفندى كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبدلون بها لكي أكف عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلي فاضل لكي تطلب إلى ذلك . . وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحي . . وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة في هذا الشأن . فالتفت إلى سموها وقالت لي : أنها لا تجد بأساً في أن أكف عن الكتابة في الموضوع . وكانت هي لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعو إليه . فلما رأى ذلك محمد المويلحي قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها . فبدت الدهشة عليها وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها . وعبثاً حاولت أن أقفل باب الحديث في هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الإضطراب والجد والعنف . فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . لأنه توسط في هذا الموضوع . . مرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحي وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالإعتذار إلى سمو الأميرة . فقبلت إعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها . وكلما مرت الأيام إزدادت في عينه ، وارتفع مقامها لديه . وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلي والذي أقام الدنيا وقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب . . انتهى كلام فارس نمر : ثالثاً : أشارت هدى شعراوى في محاضرة لها إلى هذا المعنى وكشفت هذا السر الذي ظل خافياً زمناً طويلاً ولم يكشف بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة غير أن الذي يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعده ، وتبين له أنه أخطأ الطريق . وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين في حديث له صحيفة « الظاهر » التي كان يصدرها المحامي محمد أبو شادى حيث أعلن رجوعه ، وأعلن أنه كان مخطئاً في (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة . . هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » في أكتوبر ١٩٠٦ قال قاسم أمين : « لقد كنت أدعو المصريين قبل الان إلى إفتناء في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب ، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومادهم وولائهم . . ولكني أدركت الان خطر هذه الدعوة بما إختبرته من أخلاق الناس . . فلقد تببعث خطوات النساء في كثير من أحياء الناصمة والإسكندرية لأعرف عرف درجة إحترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن جاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على

ما خذل من دعوى واستنفر الناس إلى معارضتي .. رأيتهم ما مرت بهم أمراء أو فتاة إلا تطاولوا إليها باللسنة البذاء ، ثم ما وجدت زحاما في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسن جميعاً .. إنني أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصده من قبل » ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذي نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم أمين قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التي جاءت استدراجاً ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة وهي الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله ، وأنها لم تكن على طريق الحق .. أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وانطفاء نفوذ نازلي فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفف من هذه التبعة . وربما كان لبعض التجارب أثرها في نفسه .. فيها هو يروى أن صديقاً عزيزاً زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ! ! فدهش قاسم .. كيف يطلب مقابلة زوجته . فقال له صديقه : أأنت تدعو إلى ذلك . إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك . فأطرق قاسم أمين صامتاً ومما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح . وقال محمد فريد وجدى : إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة ، وأحدثت إنتشاراً مفرعاً لمبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم خاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن . ونعت الدكتورة بنت الشاطيء ما تكشف من حركة تحرير المرأة مما أسمته مهزلة أليمة موجهة .. تقول بنت الشاطيء : « إن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا أننا نعمل أو يعملون معنا لحسابنا .. ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم .. ولكنهم كذبوا في هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السامة والضجر في دنياهم » ثم قالت بنت الشاطيء : « إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للتطور ويكفى أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا . وأعنى به إنحراف المرأة الجديدة عن طريق الطبعي وترفعها عن التفرغ لما نسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد . ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهن . أما الأبناء فتركوا الخدمة . وقد نشأ هذا الإنحراف الضال نتيجة لخطأ كبير في فهم روح النهضة . وبلغ من سوء ما وصلت إليه أن نادى مناديات بحذف نون النسوة في اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة

وعار . وأهدر الاعتراف بالأئمة كعمل من الأعمال الأصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمة برئة معطلة .. يقصد بالبرئة المعطلة هؤلاء الباقيات في بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها في البيت ووظيفتها في الخارج » . إنتهى كلام الدكتورة بنت الشاطيء . أما ما هي ملابس زعامة هدى شعراوى للحركة النسوية . فالواقع أن هناك عدة ملابس لا يفسرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية في مصر لرجلين : أحدهما والدها محمد سلطان ، والآخر زوجها على باشا شعراوى أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعى في كتابه « محمد سلطان إمام محكمة التاريخ » . إنه كان من أعلام الثورة العربية . ولكنه تذكر لها في أحلك أوقاتها ، ومشى في ركاب أعدائها : الخديوى والإنجليز .. حتى نال حظوته من الخديوى بالإحسان ، ومن الإنجليز بالتقدير .. وقد أثبت ما أورده السيد محمد رشيد رضا في كتابه : « الأستاذ الإمام محمد عبده » ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذى لعبه محمد سلطان في خدمة مخابرات الإنجليز في سبيل الوصول إلى معسكر العربيين في التل الكبير . وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العربية ، وطاف ببور سعيد والإسماعيلية بجيش عرابى معلناً الثقة في الجيش الغازى ومطمئناً الأهالى على حياتهم وقد أفهمهم حسن نيات الإنجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم أنهم لا يستهدفون غزو البلاد . بل يستهدفون تأديب العصاة وتابع سلطان باشا نشاطه فأخذ يفرق الناس عن عرابى ، ويجمعهم لمعاونة الإنجليز فأرسل إلى شيخ بدو الهنادى المقيم في الصالحية ويدعى سعود العماوى والآخر إلى محمد صالح الحوت ليتفق معهما على إستمالة العربان ولم يكتف محمد سلطان بنشاطه في الجاسوسية وبث الدسائس في منطقة القناة وفي ميدان المعركة . بل مد نشاطه إلى داخل البلاد ليقضى على كل معاونة شعبية لحركة عرابى . ورافق (ولسلى) قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان ، كما كانت الأموال التى أعدها الخديو لرشوة شيوخ البدو في عهدة سلطان (راجع بلنت : : التاريخ السرى ومذكرة سلطان إلى الخديو في الإسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسيه رقم ٢) . وكان سلطان هو الذى أبلغ الخديو هزيمة عرابى . ودخل سلطان القاهرة من مزهوا يتطلع لفجر جديد في حياته بعد أن سجل خيائته ، وكتب تاريخها بنفسه . وقلده الخديو النيشان المجيدى الاول رفيع الشأن ووضعه على صدره بيده ،

وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضاً للأضرار التي ألحقت به ثم عينه رئيساً لمجلس شورى ولكن ضربة القدر لم تمهله ليتمتع بما إشتري من أطيان فداهمه مرض السرطان واشتد به المرض وتوفي في أوروبا سنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشيل وسان جورج الذي يخول صاحبه لقب «سير» . هذه هي خلفية الحياة الاجتماعية لقائدة النهضة النسوية والتي تزوجت وهي في الرابعة عشرة من رجل غني موسر صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو علي شعراوى باشا أحد الثلاثة الكبار الذين قابلوا المندوب البريطانى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (سعد زغلول وعبد العزيز فهمى) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالى للإستعمار البريطانى لعرض مطالب البلاد . ولم يلبث شعراوى باشا أن توفي وقد كان الثلاثة هم دعاة الولاة البريطانى والتعامل مع الإنجليز والشاجبين لمفاهيم الحزب الوطنى فى المفاوضات قبل الجلاء . ولقد وجدت السيدة هدى شعراوى الفرصة سانحة للتبرير خاصة وأن السيدة صفية زغلول - ابنة مصطفى فهمى الذى حكم مصر بالحديد والنار خلال أول مراحل الإستعمار البريطانى ثلاثة عشر عاماً وزوج سعد زغلول والمساهة بأسماء الأضداد « أم المصريين » - تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالا جديداً تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة وخاصة . وأنها نزعته نقابها فى ثورة ١٩١٩ . ولقد تلفقتها جماعات تحرير المرأة العالمية والمنتبهة فى أوروبا وخاصة فى باريس وبرلين وبروكسل والتابعة للمحافل الماسونية ومنظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طيراً سميناً فدعتها إلى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التى كانت الصهيونية العالمية تديرها من وراء ستار ، والتى كانت تستهدف إحداث الضجيج حول حقوق المرأة السياسية فى البرلمان والحكم وخلخلة المجتمعات الإسلامية ودفعها إلى طريق الإنهيار والمعروف أن هدى شعراوى لم تنطلق فى دعوتها من أى منطلق إسلامى . بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة برزة لها صالون ويتحلق حولها عدد من الرجال المجندين لكتابة الخطب والكلمات التى كانت تلقيها فى الاحتفالات وكانت تنفق على ذلك من أموال سلطان باشا التى دفعت ثمنها الثورة العرابية . ودعت إلى تلك الأفكار التى تحرص المرأة على التحرر من القيود الاجتماعية ، والإنطلاق حتى كان أحدهم يقول لواحدة سألته « لو كنت بغير أولاد لقلت لك أتركه ورزقه وزق قابلك على الله » والمعروف أن السيدة هدى شعراوى لم تكن تعباً فى دعوتها بالمفهوم الإسلامى للمرأة ، أو تصدر عن فهم حقيقى لرؤسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك فى هذا الإطار . وإنما كانت تضع أمامها المرأة

الغربية كممثل أعلى . ولذلك فقد شجعت أسباب الزينة والأزياء والمودات المستحدثة . وكانت أجنحتها من الثقافات ثقافة فرنسية وذلك الولاء الماركسي والصهيوني ، ولم يكن للمفهوم الإسلامي لديهم أى أهمية . ويقول الأستاذ حسين يوسف : إنه لم يكن عجباً أن يعمل الاتحاد النسائي بزعامة هدى شعراوى للأهداف التى يحرص الاحتلال على الوصول إليها . وأن يردد فى عام ١٩٢٣ نفس المبادئ التى نادى بها مرقص فهمى من قبل ، والتى فيها قاسم أمين . ولما كان دعاة تدمير مفاهيم المرأة المسلمة لا ينامون فإنهم يدعون اليوم إلى تجديد ذكرى هدى شعراوى بإقامة تمثال لها . والمهدف هو دعم هذه الأفكار المسمومة التى تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

(٤) الدعوة الإسلامية تشق طريقها إلى آفاق الأرض مع عديد من التحديات والانتصارات ما زال الإسلام يفتح آفاقاً جديدة أمام الدعوة إلى الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف أجزاء الكوكب الأرضى على نحو هو الآن موضوع دهشة المراقبين وعجبهم نظراً لقلة الموارد المالية التى تنفق فى هذا السبيل وبالرغم من كل أعمال المقاومة والحشد المبذول للحيلولة بين الناس وبين الإسلام . وفى العالم الغربى (أوروبا والأمريكيتين) بالرغم من ضخامة النفوذ الأجنبى الذى تفرضه الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية والأنفاق الضخم والمحاولات الجديدة فى كسب الشباب بفتح أبواب الإغراء بحلقات الرقص وتقبل قوانين الاجهاض وإقرار الشذوذ الجنى والعباد بالله ورفع الحظر عن معتنقى الماسونية فإن ذلك كله يوحى بالكساد الشديد والانصراف الشديد حتى فى مجال تربية أجيال جديدة من قادة الفكر الدينى فإن النسبة المطروحة توحى بالانصراف الشديد عن هذا المجال . هذا بينما يكسب الإسلام مزيداً من معتنقيه تحت تأثير قراءة النصوص الإسلامية أو الالتقاء بالدعاة المسلمين على ندرتهم فى المراكز الإسلامية فى بعض العواصم بالإضافة إلى تلك الروح البارزة لانصاف الإسلام ورسوله التى تكشف عنها الكتابات التلقائية التى لا يدرج أصحابها تحت قوائم الاستشراق والتبشير . وفى مناطق مختلفة من الأمريكتين وأستراليا بالإضافة إلى أوروبا نفسها نجد تجمعات جديدة تمثل أقليات صغيرة مسلمة تحاول أن تقيم مجتمعاً إسلامياً خالصاً وسط هذا الركام الضخم من فساد الحضارة الغربية واضطراب المجتمعات الأوربية . وتجرى المحاولات لاستخلاص تصريحات من قادة المسلمين ترمى إلى القول بأنّه لا فوارق حقيقية بين الإسلام وبين المسيحية أو الأديان الأخرى بهدف تشبيط همم الذين

يرغبون للدخول في الإسلام بوصفه ممثل عقيدة التوحيد الصحيحة اليوم، المحرر من الوثنية والتثنية والتعدد . وفي الولايات المتحدة جاليات من الملونين الذين هم من الأفارقة في الأصل يمثلون تجمعا إسلامياً ، ولكن هناك أعداد كثيرة من الأمريكيين أنفسهم أخذت تدخل في الإسلام حتى يقول مدير إحدى المؤسسات الإسلامية في واشنطن « أنه لا تطلع الشمس يوماً إلا على مسلم جديد » وأن هذا يحدث في كثير من بقاع القارة الأمريكية وتزايد هذه الظاهرة حتى تمثل علامة جديدة يصفها الدكتور محمد عبد الرؤف بقوله : « إنني أرى أن هناك قوة خفية تعمل على نشر الإسلام في هذه البلاد وهي قوة الله تبارك وتعالى وليس عملنا إلا من وراء إرادة الله وتقديره ، حيث لا ينتشر الإسلام بين الأمريكيين السود فحسب بل بين العنصر المسيحي (انجلو ساكسون) وقد وجد طريقه إلى ذوى النفوذ في البلاد وعندما نقرأ ما يكتبه أمثال الدكتور موريس بوكاي من مقارنات بين العهد القديم وبين القرآن من حيث (المصدر) وحيث يكتشف « ربانية » القرآن و « بشرية العهد القديم » فإلى أى مدى تحدث هذه الآثار دويماً . فإذا أضيف هذا إلى ما تقدمه منظمات عدة في دراسات الكتب المقدسة ، بالإضافة إلى ما كشفته مخطوطات كهف قمران وما تزال تكشفه الحفريات الأثرية مما يؤكد صدق نصوص القرآن الكريم وتزييف كثير من تلك المسميات الكاذبة التي تقوم عليها دراسات التاريخ القديم من حيث تجاهل (الحنيقية الإبراهيمية) ودورها في بناء ذلك التكوين الروحي الذي عرفته هذه المنطقة ممتداً من إبراهيم عليه السلام في أبنائه وفي إسماعيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم . « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً » وما يتصل بهذه الرسالة من حقائق تتمثل في جماع الإيجابيات التي نراها في الجاهلية وفي فساد التفسيرات التي صرفتها اليهودية والمسيحية مما كشف القرآن زيفها مما غيره أهل الكتاب من وجهه الدين ومن إنكار الارتباط بالنبوة الخاتمة وما تزال هذه الحقائق تنكشف ومازال قوى التزييف تحول بين الناس وبينها « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره » . وفي الوقت الذي تتعدد الجاليات الإسلامية في كل مكان في العالم وفي أوروبا وفي آسيا لم يترك النفوذ الأجنبي هذا النشاط يزدهر وعلى هذا الأساس دعم الانجليز الحركة الأحمدية (القاديانية) في الهند وغدوها بالأموال لإيجاد بليلة في صفوف الأمة الإسلامية ويبني في انجلترا مسجد للأحمدية (أو القاديانية) ليكون مركز انطلاق لهم في انجلترا أو أوروبا كما ساعدت انجلترا على طبع كتب الأحمدية المضللة وخصوصاً باللغة الإنجليزية ، وقد توسعت الأحمدية في

قلب أفريقيا ولكنها ما تزال مرفوضة لما تخالف من مفهوم السنة الجامعة . وقد فضح أهدافها وعملاتها للإستعمار العلامة المودودي والسيد الندوى ورابطة العالم الإسلامى وغيرها من الهيئات الإسلامية وقد توسعت بعد الحرب العالمية الثانية حركات الطلبة المسلمين فى عديد من البلدان الأوربية ، وتزاحم الغربيون فى كل مكان أمام الأعياد الإسلامية ليحضرُوا ويشاهدُوا شعائر الصلاة الإسلامية من قيام وركوع وسجود وتقاطروا على سماع خطبة العيد مما لفت أنظارهم فسعوا إلى الاتصال بالمراكز الإسلامية والحصول على المؤلفات الشارحة للعقيدة الإسلامية ، ولا شك ملأ نفوس هذه الجماعات وخاصة شباب المدارس والجامعات وشدهم إلى الإسلام لبساطة عقيدته وسلامه مبادئه وسماحته واقترابه من الفطرة وعطائه وتكامله مع إشراق النفس الإنسانية وحيث يدعو إلى الرحمة والعدل والأخاء والتوحيد فقد شد إليه الزنوج الأمريكيين الذين عانوا من العسف والظلم والاسترقاق على أيدي الأمريكيين البيض ويعانى المسلمون معاناة شديدة فى مناطق كثيرة من العالم . وأقصى ما يواجهون ما يلقونه فى المناطق الواقعة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية ، وهناك ما يلقيه المسلمون فى مناطق كثيرة من أفريقيا إزاء الحملات التبشيرية النصرانية حيث تتركز البعثات التبشيرية فى نيجيريا والكامرون وجنوب السنغال وتنزانيا وكينيا وحيث تندفع القبائل الوثنية إلى الإسلام وتدخل القبائل الزنجرية فى دين الله أفواجاً وحيث تقف الدعوة الإسلامية بقوتها الذاتية فى مواجهة الإمكانات الضخمة المتاحة لرجال الإرساليات وحيث الكنائس والأديرة والمعابد مقامة فى أنحاء كثيرة من البلاد فى المدن والقرى . وقد شهد الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين بما يلقونه من ترحيب كبير خاصة فى المديرية الجنوبية الثلاث : أعلى النيل والاستوائية وبحر الغزال حيث الاتصال بالمواطنين البدائيين والضاربين فى منابت الأعراش والغابات ومواطن الحشائش والمستنقعات : يقول أحدهم « اقتنعنا بأن العمل فى هذا الميدان سهل ميسور وأن ما يبذله المبشرون المسيحيون من جهود ، لو بذل المسلمون عشر معشاره لأثمرت جهودهم أضعاف ما ثمر جهود المبشرين » بل إن الإسلام قد اقتحم مناطق جنوب أفريقيا : (جوها نسبرج ، ديريين ، إيست لندن ، كيب تاون) حيث قامت مجتمعات صغيرة من المسلمين ولكنها متماسكة ، فهم يجمعون الزكاة ويوزعونها على مستحقيها وينشئون المدارس الإسلامية والمساجد ويطبعون الصحف والمجلات الإسلامية . والمساجد هى مركز نشاط المسلمين الاجتماعى ، وكلما استولت الحكومة على منطقتهم ، رحلوا

إلى أرض أخرى وأقاموا مساجدهم ومساكنهم ويتساءل بعض الذين زاروا تلك المناطق :
« لماذا تتجه جميع بيوت المسلمين في جنوب أفريقيا نحو القبلة » رغم الصراع الحقيقي
الذي يخوضونه مع جهاز البلدية عند تخطيط البناء فالمسلم هنا لا ينام إلا في اتجاه القبلة
ويقيم في داره ثلاث حفيات للوضوء ، وغرفة للمصاحف ، ومكان للصلاة ، والنساء المسلمات
يخرجن محجبات ويعمل الجميع في تكامل رائع ، والأطفال يحفظون القرآن ويحسنون
تلاوته وتجويده ، ويقبل الوثنيون في جنوب أفريقيا على اعتناق الإسلام اقتناعاً بأنه الدين
الذي أوجب المساواة وذوب الفوارق بين الناس ولم يعترف بأى امتياز أو فضل أو تفوق
مصدره اللون أو الفرق أو المال . وما تزال مناطق إسلامية كثيرة تقاوم : أمثال أرتيريا في
مواجهة الحبشة المسيحية الماركسية ومسلمي الفيلين (شعب بانجامور) المسلم ٨ ملايين
نسمة في الجزر الجنوبية الخمسة الكبرى وهناك اضطهاد المسلمين المتجدد في الهند وهناك
مشاكل مسلمي بورما الذين شردتهم حكومة بورما ومسلمي كمبوديا وفيتنام ولاوس وهي مثل
لما يقاسيه المسلمون الذين يعيشون في الدول الشيوعية وهناك مشكلة خمسة مليون مسلم في
تايلاند ، وما يزال مسلمو قبرص يقاومون في سبيل تثبيت وجودهم في الجزيرة وحقوقهم في
البقاء حيث لم تكن قبرص في يوم من الأيام أرضاً يونانية وحيث عمد الاستعمار البريطاني
إلى تفرغ الجزيرة من المسلمين وجعلهم أقلية فيها ، وقد تعرض المسلمون لصنوف بشعة من
التعذيب والحرمان . ومن الآفاق الجديدة التي فتحتها الإسلام في سنوات ما قبل بزوغ فجر
القرن الخامس عشر الهجري : غزوته السلمية لليابان حيث ديانته الشنتو (عبادة الطبيعة)
والبوذية القادمة من كوريا والصين في القرن السادس الميلادي حيث أصبح نصف الشعب
الياباني يعتنقها ، والمعروف أنه بعد إندحار اليابان في الحرب العالمية الثانية ودخول قوات
الإحتلال أعلن الامبراطور للملأ أنه لم يعد إلهاً وإنما هو بشر ، وقد انتهزت الهيئات التبشيرية
العالمية الفرصة وركزت جهودها على اليابان متطلعة إلى أن تكون « المسيحية » هي عقيدة
الشعب الياباني ، وفي ظل هذا الفراغ العقائدي وجد اليابانيون في الإسلام استجابة لمطامع
نفوسهم وتطلعاتها بين ثلاث حركات تتصارع هي التبشير المسيحي (حيث توجد خمس
جامعات تبشيرية ومدارس ثانوية وإبتدائية تضم ٢٠٠ ألف) ودعوة ماركسية شيوعية واشتراكية
وحركة بوذية وقد دخل الإسلام إلى اليابان من عدة جهات من قازان عاصمة جمهورية التتار
الإسلامية ، ومن الصين ، مقاطعة منشوريا ، ومن أندونيسيا والملايو حيث اتصل أفراد جيش
الاحتلال الياباني لأندونيسيا بالشعوب المسلمة هناك . وما تزال الدعوة الإسلامية في اليابان

تشق طريقها مع آمال عريضة وهكذا نجد أن الدعوة الإسلامية في نهاية القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر تواجه عديداً من التحديات. وسيلغ الاسلام ما بلغ الليل والنهار مع إمتداد الزمان وجهاد العاملين والحمد لله رب العالمين .

٦ - الأمة الإسلامية

على أبواب القرن الخامس عشر

ثلاث عناصر تحتاج إليها الأمة الإسلامية لتستوعبها وتضعها موضع التنفيذ إذا أرادت أن تحقق وجودها في مطلع القرن الخامس عشر الهجري :

أولاً : إمتلاك إرادة العودة إلى « أسلوب العيش الإسلام » والتحرر تماماً من أسلوب العيش الغربي الذي يدفعها الآن دفعاً إلى الدخول في مرحلة الترف والإنهيار الاجتماعي تبعاً للدور الخطير الذي تمر به الحضارة الغربية المنهارة التي تعاني اليوم أزمتها القاتلة . ولقد كان المسلمون على مدى عصور النهضة والقوة لا يخضعون للترف ولا للمادة ولا لهوى النفس أو الترخيص في الأمور والتراجع عن العزائم منطلقاً في حياتهم . فهم يأخذون الأمور من تقاليد القوة والجرأة والاعتماد على الله تبارك وتعالى ولا يخافون في الحق لومة لائم ويؤمنون بأن الموت في سبيل الله أسمى أمانهم وإن الفناء في الحق هو عين البقاء وأن من يحرص على الموت توهب له الحياة . ومن هذا المنطلق القوى الجريء دانت لهم القارات والممالك ، وكان العدل الذي أقاموه هو المنطلق الذي دفع الناس إلى الحصول في دين الله أفواجا . وما أعتقد أن أسلوب العيش الغربي الذي فرضه النفوذ الأجنبي على بلاد المسلمين وأعانت عليه مقتبسات قشور الحضارة في الترف والدعة والتراخي سواء في الطعام والملبس أو المركب أو أدوات التسلية إلا عاملا من عوامل انهيار العزائم والخوف من الأخطار والدعة والتسليم بالواقع الضعيف والفاجر . وما كان للمسلم الذي يؤمن بالله تبارك وتعالى أن يقبل الضيم أو يسكت عن الظلم أو يذهب مذهبه التراخي والدعة والنوم وإنما هو يقظان أبداً مقيم على ثغرة من ثغرات الإسلام فلا يؤتتين من قبله صابراً مرابطاً لا تكل أعضابه عن التحمل واليقظة وتوقع الأحداث . ولقد كان المسلمون أبان الاحتلال الأجنبي قائمين على الدفاع والكفاح ولكنهم استلنوا واستنموا بعد أن حققوا الاستقلال وغفلوا عن عدوهم يدبر لهم أن تنهار قوتهم مرة أخرى بالفرق في الترف أو التراخي وتلك أزمة الحضارة العربية الآن التي أصابتها بالتمزق

وُلا مخرج منها للمسلمين إلا العودة إلى الخشونة وملابس الجهاد والمراقبة في ثغور الأوطان
وثغور العقيدة نفسها

(ثانياً) القدرة على تحقيق الأصالة الفكرية بالعودة إلى المطابع الإسلامية الشرة
المستمدة من القرآن والسنة والتحرر من نفوذ الشبهات والسموم والأيدولوجيات والمناهج
الإجتماعية الغربية التي تحاول أن تقضى على الذاتية الإسلامية « والطابع الإسلامي القرآني
الواضح الذي شكل به القرآن الرجل المسلم » ليكون شامة بين الناس ونموذجاً ضاحكاً
لا ينصهر ولا ينماع ولا يسقط في آتون الأُمّية أو العالمية لأنه مكلف بأن يحمل رسالة الله
الحق بالتوجيه والعدل والرحمة والآباء الإنساني إلى البشرية بعد أن فشلت الأيدولوجيات
والمذاهب إجتماعية وفردية ولبرالية واشتراكية ووجودية في أن تحقق له الطريق إلى المجتمع
الإنساني الطابع الرباني المصدر . ولقد أوغلت البشرية في طريق التيه بعيداً عن منهج الله
حتى كادت أن تضل السبيل ولم يعد هناك في أمل في عودتها إلى الحق إلا ذلك الضوء الضئيل
الساري من بقاع أرض التوحيد ليعيدها مرة أخرى إلى الحق والهدى . ولكن أهل هذا الضوء
ما زالوا في مطالع القرن الخامس عشر غارقون في الخلاف متمزقون فرقاً ومذاهب لم يتجمعوا
تجمع الحذر من الخطر حول وحدة الفكر الإسلامي التي شكلها لهم القرآن ودعاهم إليها الرسول
العظيم . وما تزال قدرتهم على التلقى من النبي العظيم بوصفه النموذج البشري الأمثل تطبيقاً
لمنهج القرآن ، وما تزال قدرتهم ضعيفة وما تزال إرادتهم عاجزة عن أن يكونوا ربانيين
قرآنيين محمديين في أسلوب الحياة والعيش وفي أسلوب الفكر بعيداً عن كل ما تحاول القوى
الأجنبية غزوهم به : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبل ملتهم » ولقد دعانا
رسولنا إلى أن نحالف أهل الكتاب في طريق عيشهم وأن نلتبس أسلوباً ربانياً قرآنياً . وهذا
كله يقتضينا أن نتحرر من الزيف والشبهات والسموم النافعات الوافدة من الفكر البشري
الذي هو ركام الوثنيات القديمة وعلم الأصنام اليونانية والمادية والمجوسية والباطنية وكلها
مما يختلف مع منهج التوحيد .

ثالثاً : القدرة على إمتلاك المنهج العلمي في التكنولوجيا والتجريب والمعامل وذلك
لإقامة الحضارة الإسلامية القادرة على تحقيق الأسلوب الرباني في العدالة الشاملة للبشرية
كلها وتوزيع الثروة على كل أهل الأرض : « لكي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم »
والمسلمون بإجماع الرأي هم صانعو المنهج العلمي التجريبي الذي قامت عليه الحضارة المادية

الجديثة ولذلك فهم أحق الناس بالتماسه ، وهو الشيء الوحيد الذى يسمح لهم باستيراده على أن ينقل إلى أفق الفكر الإسلامى ليكون للناس جميعاً وإلى أفق اللغة العربية ليدور فى فلك القرآن والعدل والرحمة والآخاء . ولقد جاء الإسلام أولاً ومنذ أربعة عشر قرناً بمنهج جامع للحضارة قوامه تحرير العقيدة من الوثنية وتحرير الإنسان من عبودية الإنسان التى كانت قوام حضارات الرومان والفرس والفراعنة ثم جاء يشطر الحضارة الآخر وهو « المنهج التجريبي » استمداداً من القرآن : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » لاستخراج ما فى باطن الأرض وتعميرها وإقامة المجتمع الربانى على العدل والرحمة والآخاء الإنسانى ثم زاغت حضارة الغرب عن هذا المنهج وإعادة الوثنية والعبودية وجعلت مطامحها سلهة فى إذلال الإنسان للإنسان وسيطرة القوى على الضعيف والاستعلاء بالجنس والعنصر وتكديس الثروات فى أيدي الأفراد والأمم دون بقية البشر ومن ثم حاقت بهذه الحضارات والأزمات فانتقلت من الفردية إلى الجماعية ومن الرأسمالية إلى الاشتراكية دون أن يجديها ذلك نفعاً فى تحقيق مطامح البشر وإسعادهم . ومن ثم فقد كان لزاماً على البشرية أن تبحث عن منهج جديد يحقق الأمن والسلام وليس هذا المنهج غير منهج الإسلام . ولما كان على المسلمين أن يقدموا هذا المنهج الربانى إلى البشرية وإقامة الحجة به عليهم وهم لن يستطيعوا أن يقوموا برسالة التبليغ العالى لدين الله الحق إلا إذا أقاموا هم المجتمع الربانى ولا بد من التحرر من هذه المحاذير الخطيرة التى وهمتهم والتى تضعهم الآن فى أغلال التقليد والتبعية للفكر الغربى الوافد سواء فى مجال الفكر والعقيدة أو المجتمع ولذلك فإن القرن الخامس عشر جفى بأن يمكنهم من تحطيم هذا القيد والانطلاق إلى أمرين :

(أولاً) إلى تطبيق الإسلام فى مجتمعاتهم .

(ثانياً) إلى تبليغ الإسلام إلى العالمين .

أنور الجندي

(موسوعه)

مقدمات العلوم والمنهاج

محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل

المجلد الثالث

عالم الإسلام المعاصر

يتناول بالبحث تاريخ العالم الإسلامي المعاصر وأقطاره وقضاياها والتحديات الموجهة إليه ، وقضية الجامعة الإسلامية والوحدة العربية والتضامن وموقف العالم الإسلامي من القوى الغازية الثلاث : الاستعمار الغربي والصهيونية والشيوعية ودراسة قضايا العالم الإسلامي على أبواب القرن الخامس عشر الهجري وما يتصل بالعلاقات بين الشيوعية والصهيونية والدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والمخططات التي تستهدف غزو المجتمع الإسلامي .

أنور الجندي

توزيع
دار الأنصار
٨١ شارع البستان ناصية شارع النهضة
عماديين ٩٣١٥٨١ -

مطبعة المقدم

٤٤ شارع الحارثي بالمسيرة - القاهرة
تليفون: ٨٩١٤٢١

رقم الإيداع ٥٣٥٥ / ٨٠

الترقيم الدولي ٩٧٧-٧٣٤٠-٠٩-٥

مقدمات العلوم والمناهج

موسوعة إسلامية جامعة

تهدف إلى إرساء منهج إسلامي جامع للفكر الإسلامي تضم عشرة مجلدات في عشر موضوعات كبرى كل منها في مجلد خاص كوحدة مستقلة ويتكامل في مجموعها العام بحيث تستوعب مختلف القضايا الإسلامية استيعاباً كاملاً .

المجلد الأول : الفكر الإسلامي

يتناول بالبحث الجذور الأساسية للفكر الإسلامي التي بناها القرآن الكريم والسنة المطهرة وما واجهه من محاولات في العصر الأول وفي العصر الحديث وخاصة ما يتصل بحركات التغريب والغزو الثقافي عن طريق الاستشراق والتبشير وانبعاث الفكر الوثني الهليني والشرقي القديم .

المجلد الثاني : تاريخ الإسلام

ويتناول بالبحث دراسة مستوعبة لتاريخ الإسلام منذ بزوع فجره إلى اليوم مروراً بمراحله المختلفة وأحداثه الكبرى وتوسعاته في قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا إلى العصر الحديث وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين عالم الإسلام والغرب وبين العرب والدولة العثمانية وسقوط الخلافة وقيام القوميات والاقليميات .

المجلد الثالث : العالم الإسلامي المعاصر – هذا المجلد

- المجلد الرابع : اللغة والأدب والثقافة .
- المجلد الخامس : التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة .
- المجلد السادس : المجتمع الإسلامي .
- المجلد السابع : الحضارة والعلم والعلوم الاجتماعية .
- المجلد الثامن : الإسلام في مواجهة الفلسفات والأديان .
- المجلد التاسع : الشبهات والأخطاء الشائعة .
- المجلد العاشر : حركة اليقظة الإسلامية .

من المنتظر أن تصدر ملاحق للموسوعة بعد انتهائها
يصدر المجلدات تباعاً عن دار الأنصار للطبع والنشر – مطبعة التقدم

فهرست الموضوعات

صفحة

٢١٨	٣ - الدعوة المهدية
٢٢٠	٤ - الحركات الإصلاحية
٢٢٢	٥ - حركة جمال الدين - محمد عبده
٢٣٠	٦ - الحركة السلفية
٢٣٣	٧ - جمعية العلماء
	٨ - الحركة الإسلامية في الهند الإسلامية
٢٣٥	والباكستان
٢٣٧	٩ - حركة الإصلاح في أندونيسيا والملايو
٢٤١	١٠ - الحركات الصوفية
٢٤٣	١١ - ثمرة الحركات الإسلامية
٢٥٨	الباب الخامس - الثقافة في العالم الإسلامي
٢٥٨	١ - التعليم
٢٦٧	٢ - الثقافة
٢٧٣	٣ - اللغة العربية
	الباب السادس - الاستعمار والعالم
٢٨٨	الإسلامي
٢٨٨	١ - الاستعمار
٢٩١	٢ - تقسيم العالم الإسلامي
٣٠٠	٣ - انجلترا والعالم الإسلامي
٣٠٩	ثانياً - التبشير
٣٢٠	ثالثاً - الصهيونية
٣٢٦	رابعاً - الحركات الهدامة
٣٣٠	١ - البهائية
٣٣٣	٢ - القاديانية

الرسالة الثانية

العالم الإسلامي والغزوة الصهيونية :

٣٤٥	مدخل
٣٥٢	أولاً - مصادر الفكر اليهودي التلمودي
٣٥٢	١ - التوراة والتلمود
٣٦١	٢ - رحلة الشتات
٣٧٠	حركة التلمودية على المحاور الثلاث
	ثانياً - أوروبا المسيحية من الماسونية إلى
٣٧٠	الثورة الفرنسية
٣٧٦	٢ - الثورة الفرنسية

صفحة

١

مدخل

الرسالة الأولى

العالم الإسلامي المعاصر

الباب الأول

	الفصل الأول : الإسلام وعالم الإسلام
٩	الفصل الأول : الإسلام وعالم الإسلام
٩	١ - الإسلام والأمة العربية
١٩	٢ - تركيا : مقاومة الغزو الغربي
٢٤	الفصل الثاني - حركة الانقضاظ على الإسلام
٣٢	٢ - التحول
٥٦	الفصل الثالث ١ - إيران (الشيعة)
٧٤	٢ - أفغانستان
٨٠	٣ - باكستان ومسلمو الهند
١٠٦	٤ - أندونيسيا وأرجيل الملايو
١١٨	٥ - الإسلام في جنوب شرق آسيا
١٢٦	٦ - أفريقيا قارة الإسلام
١٣٨	٧ - الدرة المغتصبة (فلسطين)

الباب الثاني

الباب الأول - العالم الإسلامي وحركات

١٤٥	الوحدة
	الفصل الأول الوحدة الإسلامية
١٥٥	١ - الجامعة الإسلامية
١٦٥	٣ - الوحدة العربية حلقة على الطريق
١٦٩	٤ - الخلافة الإسلامية
	الباب الثالث : الأمة العربية ومصر العربية
١٧٨	الإسلامية

١٨٢	٢ - الوحدة العربية والدعوات الإقليمية
١٨٨	٣ - الإسلام وحركات المقاومة العربية
١٩٣	٤ - ثورة الجزائر
٢٠٢	٥ - جذور الوحدة العربية
	الباب الرابع - حركات الإصلاح في
٢٠٧	العالم الإسلامي
٢٠٧	أولاً - الدعوات الإسلامية
٢٠٩	١ - دعوة التوحيد
٢١٣	٢ - الدعوة السنوسية

٥١٠ ٦ - الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية

الرسالة الثالثة

العالم الإسلامي والغزوة الشيوعية :

٥١٥ مدخل تاريخي

٥٤٤ أولاً - فساد النظرية الماركسية

٥٥٥ ٢ - الماركسية والمجتمع

٥٦٠ ٣ - الماركسية والدين

٥٦٧ ٤ - الماركسية والأخلاق

٥٦٩ ٥ - الماركسية والعلم

٥٧٤ ٦ - الماركسية والصهيونية

٥٨٣ ثانياً - فشل التجربة الماركسية اللينينية

٤٨٣ ١ - التجربة الماركسية

٥٩٠ ٢ - محاولة الماركسية في أفق العالم الإسلامي

٥٩٩ ٣ - شيخوخة الماركسية

٦٠٧ ٤ - اليقظة الإسلامية تكشف الزيف

٦٢٣ ٥ - نظام الإسلام في مواجهة الشيوعية

٦٢٦ ملاحق البحث

٦٢٦ ١ - ثلاث وثائق

٦٣٠ ٢ - سموم يطرحها الفكر الماركسي

٦٣٤ ٣ - الإسلام فوق لعبة اليمين واليسار

عالم الإسلام المعاصر في القرن الرابع عشر

٦٣٨ الهجري

٦٣٨ ١ - التجربة الغربية

٦٥٢ ٢ - حركة تحرير المرأة

٦٦٦ ٣ - الدعوة الإسلامية

٦٧٠ ٤ - الأمة الإسلامية على أبواب القرن الحديدي

قريباً المجلد الرابع من موسوعة مقدمات

العلوم والمنهاج : اللغة والأدب والثقافة

يتناول بالبحث قضية اللغة العربية والأدب

العربي والثقافة العربية وانتمائها الإسلامي والمحاولات

التي قام بها الغزو الثقافي والتغريب في سبيل

بعث العاميات وإدخال مفاهيم المناهج الوافدة

في الأدب والثقافة والقضايا التي حاول التغريب

إثارة السموم حولها .

٣٨٣ ٣ - الماسونية والمسيحية

٣٨٧ ٣ - روسيا الأرثوذكسية والثورة الشيوعية

٤٠٦ ثالثاً - العالم الإسلامي والصهيونية

٤٢٣ ١ - المخططات اليهودية الهدامة

٤٢٥ ١ - هدم الأديان

٤٢٩ ٢ - تزيف التاريخ

٤٣٣ ٣ - تدمير الإنسان

٤٣٥ ٤ - فرض المادية على الفكر البشري

٤٣٧ ٥ - التأمر على البشرية

٤٤١ ٦ - السيطرة الاقتصادية

٤٤٣ رابعاً - إحتواء الفكر الغربي

٤٤٣ ١ - ميراث الركام البشري

٤٤٥ ٢ - التلمودية والدعوات الهدامة

٤٥١ ٣ - اليهود وراء العلوم والفنون

٤٥٣ ٤ - السموم في الآداب والفنون

٤٥٥ ٥ - إعلاء الجنس

٤٥٧ ٦ - هدم المجتمع

٤٥٩ ٧ - الفلسفة المادية

٤٦١ ٨ - الحضارة : وهل لهم دور فيها

خامساً - المخططات التلمودية في غزو

الفكر الإسلامي

٤٦٤ ١ - التاريخ القديم

٤٦٤ ٢ - تاريخ الإسلام

٤٧١ ٣ - تمزيق الوحدة الإسلامية

٤٧٤ ٤ - الفلسفة الماسونية المسمومة

٤٧٦ ٥ - الصهيونية : إمبراطورية الربا

٤٨١ ٥ - الصهيونية : إمبراطورية الربا

٤٨٧ سادساً - الفكر التلمودي الصهيوني

محاولات الكشف عن زيفه

٤٨٧ ١ - استكشاف أعماق المخططات

٤٩٣ ٢ - بصمات التلمودية على النظام الغربي

٤٩٨ ٣ - بين الصهيونية والمسيحية

٥٠١ ٤ - بين الصهيونية والشيوعية

٥٠٨ ٥ - الصهيونية والفكر الإسلامي